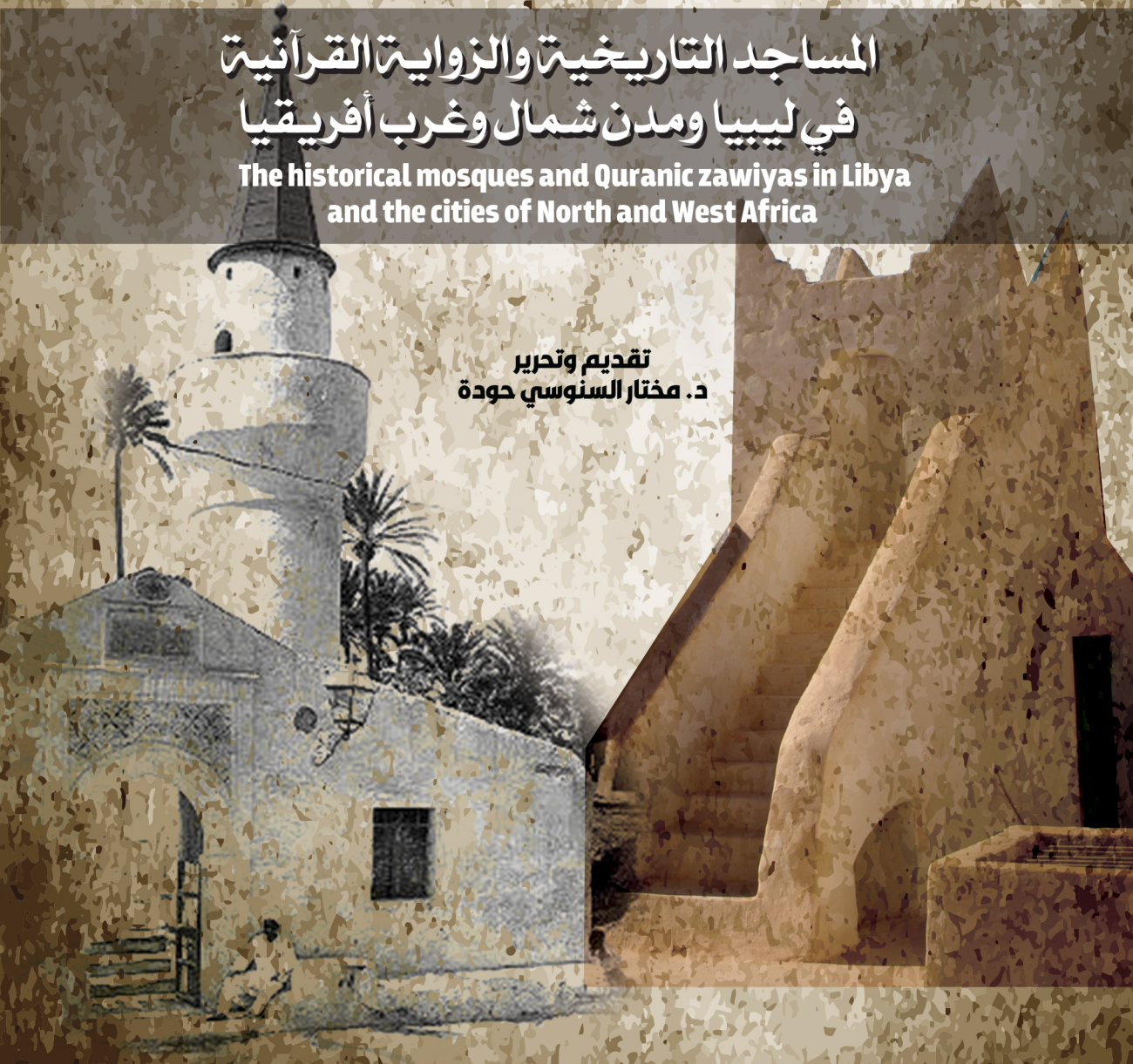




المساجد التاريخية والزوايا القرآنية في ليبيا ومدن شمال وغرب أفريقيا

The historical mosques and Quranic zawiyas in Libya
and the cities of North and West Africa

تقديم وتحريرو
د. مختار السنوسي حودة



الكتاب : المؤتمر العلمي الدولي حول تراث غدامس الدورة الرابعة
المساجد التاريخية والزوايا القرآنية في ليبيا ومدن شمال وغرب أفريقيا
المؤلف : شركة كيدامي للإنتاج الفني / نخبة من الباحثين

سنة النشر : 28.10.2024

التصنيف : أبحاث علمية تاريخية

الطبعة الأولى : 2024

رقم الإيداع القانوني : 2024/697

الترقيم الدولي : 8 - 03 - 878 - 9959 - 978 ISBN

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

دار الكتب الوطنية – بنغازي – ليبيا

هاتف : 9097074-9096379-9090509

بريد مصور : 9097073

البريد الإلكتروني : nat_lib_libya@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة لـ : شركة كيدامي للإنتاج الفني والخدمات الفنية
والاعلامية(مركز غدامس للأبحاث والدراسات وتوثيق التراث)

المؤتمر العلمي الدولي حول تراث مدينة غدامس

الدورة الرابعة

المساجد التاريخية والزوايا القرآنية
في ليبيا ومدن شمال وغرب أفريقيا

نخبة من الباحثين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا
اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾

(التوبة الآية 18)

مقدمة

تُعتبر المساجد والزوايا القرآنية (الكتاتيب) من المؤسسات التعليمية الأكثر تأثيرًا في شمال وشرق إفريقيا، حيث تمتد جذورها إلى عصور قديمة، وقد لعبت دورًا محوريًا في تشكيل الهوية الثقافية والدينية للمجتمعات. هذه الأماكن ليست مجرد معقل للعبادة، بل هي أيضًا مراكز للعلم والتعلم، حيث تمثل نقطة التقاء للطلاب والعلماء، وتساهم في نشر المعرفة وتعزيز القيم الأخلاقية والدينية. لقد أسهمت هذه المؤسسات في بناء أجيال متعلمة ومثقفة، قادرة على مواجهة التحديات المعاصرة.

تاريخيًا، كانت المساجد والزوايا بمثابة مدارس مفتوحة، حيث يتلقى الطلاب فيها التعليم الديني والدنيوي. فبفضل جهود العلماء والمربين، تمكن العديد من الطلاب من تلقي دروس في القرآن الكريم ومبادئ الفقه واللغة العربية، مما ساعد على تكوين شخصياتهم وتوجيه مساراتهم الحياتية. لقد شهدت هذه الزوايا والمساجد تطورًا كبيرًا على مر العقود، حيث تكيفت مع متطلبات العصر، واستجابت للتحديات الاجتماعية والثقافية والسياسية.

إن هذا الكتاب يأتي كنتاج لمؤتمر علمي يهدف إلى تسليط الضوء على التجارب والابتكارات التي تم طرحها خلال النقاشات، ويعكس التنوع الغني للممارسات التعليمية في هذه المناطق. من خلال عرض الأوراق البحثية والمداخلات المختلفة، نأمل أن نقدم رؤية شاملة حول كيفية تعامل هذه المؤسسات مع القضايا المعاصرة، مثل العولمة، والتغيرات الاجتماعية، والاتجاهات الحديثة في التعليم.

تتجاوز أهمية هذه المؤسسات مجرد التعليم؛ فهي تلعب دورًا حيويًا في تعزيز القيم الإنسانية، مثل التسامح، والتعاون، والعدالة. كما تعد هذه الزوايا والمساجد منبرًا لنشر الوعي المجتمعي حول القضايا الاجتماعية والبيئية، مما يساهم في بناء مجتمع واعٍ ومتعاقد.

في ظل التحديات العالمية الحالية، مثل النزاعات المسلحة، والفقير، والتغير المناخي، فإن الحاجة إلى تعزيز دور التعليم في بناء مجتمعات مستدامة أصبحت أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى. لذا، فإن دراسة هذه المؤسسات تعد ضرورة ملحة لفهم كيفية مساهمتها في تحقيق التنمية المستدامة.

نتطلع إلى أن يكون هذا العمل مرجعًا مهمًا للباحثين والمهتمين، وأن يسهم في تعزيز الحوار الأكاديمي حول أهمية المساجد والزوايا القرآنية في تشكيل المجتمعات. إن التعليم هو الأساس الذي يُبنى عليه مستقبل أفضل، وعلينا جميعًا أن نعمل معًا للحفاظ على هذه المؤسسات ودعمها، لضمان استمرار دورها الفاعل في الحياة الثقافية والدينية.

في النهاية، نؤكد على أن هذه المؤسسات ليست فقط جزءًا من التراث الثقافي، بل هي أيضًا ضرورة حيوية لمستقبل مشرق. إننا نعيش في زمن تتزايد فيه التحديات، ولكننا نؤمن بأن هذه المؤسسات قادرة على مواجهة تلك التحديات واستثمار الفرص المتاحة لتحقيق التنمية المستدامة. فلنعمل جميعًا على تعزيز هذا التراث وحمايته، لضمان استمرار دوره في بناء مجتمعاتنا.

د. فوزي محمد عقيل

رئيس اللجنة العلمية

كلمة رئيس مركز غدامس للأبحاث والدراسات وتوثيق التراث
رئيس اللجنة المنظمة للمؤتمر / في حفل الافتتاح
الأستاذ / مختار السنوسي حودة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد. أما بعد
نرحب في هذا المحفل العلمي

السادة الحضور الكرام

السادة الضيوف الكرام

السادة الباحثين والأساتذة الكرام الذين يتابعوننا عبر شاشات الزوم.

السادة الباحثين الكرام الحاضرون معنا هنا والذين تجشموا عنا السفر من أجل حضور هذا
المؤتمر من جمهورية الجزائر، ومن الأساتذة من ربوع ليبيا للمشاركة معنا في هذا
المؤتمر.

نرحب بالدكتور محمد قنان رئيس جامعة نالوت، ونرحب بوكيل وممثل كلية الدعوة
الإسلامية العالمية الدكتور علي كامور ونرحب بممثل المعهد العالي لتقنيات الفنون
وممثل كلية الفنون والاعلام.

اليوم نحتفي بذكرى السنة المانية في غدامس ألا وهي يوم الممساء والتي توافق 1
ميو أو مايو من السنة الاعجمية الموافق لـ 13 مايو ميلادي، والتي يتم فيها تنظيم
الإداري من قبل المنوبين والكتبة المشرفين على عمليات توزيع حصص المياه وبيع
وشراء واكترا وغيره.

حملت عنوان تاريخ غدامس القديم والدورة الثانية حول العيون المانية بغامس، والثالثة
حول العمارة الصحراوية .

مركز غدامس للأبحاث والدراسات توثيق التراث هو ثمرة عمل مضني في توثيق التراث
انطلق من سنة 1987 م ومخرج المشروع الوطني لتوثيق تراث غدامس الذي انطلق من
سنة 2014 ، حيث يتم ادارته حاليا من خلال كوالده وعناصره وفي مقدمته المدير
التنفيذي للمركز الأستاذة إيمان سانو وباقي الأعضاء الخيرين الذين يبذلون قصار جهدهم
من أجل حفظ وصون هذا الإرث الإنساني بكافة تفاصيله .

أتوجه بأسمى آيات الشكر والامتنان للجهات الداعمة والمساندة لتنظيم هذا المحفل العلمي

- الشركة الليبية للحديد والصلب .

- جامعة نالوت .

- جمعية الدعوة الإسلامية العالمية .

- جهاز تنفيذ وإدارة النهر الصناعي.

- شركة العزوم القابضة .

ولانسي الجهة المساندة والحاضنة لهذا المحفل وهي بلدية غدامس.

الشكر الموصول لأعضاء اللجنة العلمية المشرفة على الورقات العلمية للمؤتمر وعلى
رأسهم رئيس اللجنة الدكتور فوزي عقيل ، والشكر موصول لكافة أعضاء اللجنة التحضيرية
والتنظيمية للمؤتمر والذين يقومون بجهود كبيرة من أجل إنجاز تنظيم المؤتمر .

نسأل الله أن يوفقنا جميعا في أدى هذه الرسالة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الفهرس

- 3..... الآية.
- 4..... مقمة
- 6..... كلمة رئيس المؤتمر
- 7..... الفهرس.
- 9..... أهداف المؤتمر
- 10..... محاور المؤتمر
- 16..... اللجان المشرفة
- 17..... البرنامج العام
- 26..... لقطات مصورة من المؤتمر
- 37..... المسجد العتيق بمدينة سبها (دراسة تاريخية معمارية)
- استفادة أهالي الريانية من المواد المتوفرة في بناء المساجد العتيقة مسجدي بلدة أولاد علي
 61..... أنموذجاً
- 81..... " الزاوية العياشية بالمغرب الأقصى ووظائفها الدينية، والتربوية، والتعليمية"
- التصميم الداخلي للمسجد العتيق بنغازي بين المحددات البنائية والانسانية..... 95
- 113..... توثيق التراث الهندسي لمدينة غدامس القديمة
- 137..... دور المسجد في تحقيق روح الإخاء وتماسك المجتمع
- الإشعاع العلمي والثقافي لزاوية الشيخ أحمد باندي القرآنية في محافظة شرق بوركينافاسو..... 153
- الشكل والنمط المعماري للمنذنة بين التأصيل والحداثة (دراسة حالة، مآذن المساجد بمدينتي زليتن
 والخمس - ليبيا) 177
- المفردات والسمات المعمارية المحلية لزاوية الصواديق..... 197
- استعمال المواد المحلية والطبيعية لبناء مباني مستدامه خاصة المساجد في ليبيا..... 213
- السياحة الدينية في شمال افريقيا وتحديات الاستعمال اللغوي - منطقة سوق أهراس نموذجا..... 227
- الموضوع: "مسجد أولاد يحي التاريخي بنالوت ومنارة اللوح المحفوظ للعلوم الشرعية
 أنموذجاً" 239
- 257..... الحماية التشريعية والقانونية للأثار والتراث الحضاري في ليبيا
- 275..... مفردات العمارة الإسلامية بالمسجد والمباني الدينية
- 301..... مساجد مدينة غدامس من خلال منظومة قاعدة البيانات الجغرافية
- 317..... زاوية الجغبوب، تأسيسها وعمارتهها 1856م-1895م.....

- دور المساجد في ترسيخ الخطاب الديني وتعزيز الانتماء الهوياتي بالجزائر المستعمرة
1830م-1962م.....347
- المنهج التعليمي القديم في مساجد وزوايا حي الجديد بسبها.....367
- المساجد التاريخية في منطقة الخمس مسجد الباشا / دراسة حالة.....385
- أساليب وتقنيات البناء والتجديد لجوامع مدينة غدامس القديمة.....405
- مساجد تاريخية تم الحفاظ عليها بنجاح جامع يدر الغوط مصراته أنموذجاً- دراسة حالة.....427
- الوصول الشامل للمساجد القديمة في مدينة بنغازي حالة دراسية: المسجد العتيق.....447
- جهود المؤسسات الدينية في الحفاظ على ثوابت الهوية الجزائرية وبلورة الوعي الوطني خلال
الحقبة الاستعمارية 1830-1962م "الزوايا أنموذجاً".....467
- تصنيف المساجد وفق المعايير التصميمية وكيفية حل مشاكلها للمحافظة على الأثر الثقافي في
ليبيا.....485
- مسجد الباشا بمدينة الخمس / ليبيا.....495
- المساجد التاريخية ودورها في تنشيط السياحة الثقافية لمدينة قسنطينة، الجزائر.....513
- العناصر المعمارية والسماط المحلية للجامع العتيق بمدينة غدامس.....533
- زاوية البيضاء السنوسية قديماً وحديثاً.....551
- دراسة تاريخية معمارية للمساجد والزوايا الاثرية بمدينة زليتن (مسجد الجمعة، ومسجد العرصة،
وزاوية البازة، وزاوية الفواتير السبعة).....573
- محور الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني تطور عمارة مسجد وزاوية الشيخ عبدالسلام الاسمر
بمدينة زليتن عبر القرون 912 هـ 1491م.....597
- الزوايا وخدمة المشروع الإصلاح في الجزائر خلال النصف الأول من القرن 20.....621
- الصراع المذهبي وأثره على إنشاء المساجد في المغرب الأوسط "الصراع المالكي الاباضي في
حاضرة ورجلان أنموذجاً".....633
- مسجد العالم العلامة سيدي الفقيه سرار الإدريسي الحسني ودوره في المجتمع في أواخر القرن
السابع الهجري.....649
- توصيات واقتراحات المؤتمر.....667

الأهداف

- الحفاظ على المساجد التاريخية نظراً لمكانتها العظيمة في الدين الإسلامي، ولتميز طابعها المعماري الأصيل، إضافة إلى كونها أحد أهم معالم التراث العمراني في ليبيا وفي مدن شمال وغرب أفريقيا - ابراز أهمية وتفاصيل المسجد والزاوية القرآنية وعناصرها من الناحية المعمارية والفنية والجمالية والتاريخية والاثريّة والاعلامية والسياحية والجغرافية والادارية وغيرها.
- التعريف بأهم الشواهد التي تدل على مسيرة انتشار الإسلام في مدن ومناطق ليبيا وشمال وغرب أفريقيا وإبراز دور ومراحل دخول الإسلام والفتوحات الإسلامية.
- العمل على حصر وتوثيق كافة المساجد التاريخية والقديمة في ليبيا وفي مدن شمال وغرب أفريقيا .
- المساهمة في إعادة تأهيل لبعض المساجد التاريخية واحياءها .
- توظيف وسائل التقنية الحديثة في التعريف بهذه المعالم واشهارها ، ووضع الخطط والدراسات التي تسهم في الحفاظ عليها .
- إن الكثير من هذه المعالم قد تعرضت للإهمال والاندثار سواء بفضل عوامل الزمن أو من تعديت الإنسان وجهله بقيمتها أو غير ذلك فيجب تسليط الضوء عليها .
- تمثل هذه المعالم إرث إنساني عالمي وحضارة من الحضارات الإنسانية التي كان لها دور في تاريخ البشرية كغيرها من الحضارات الأخرى وجب على المنظمات المحلية و الدولية والمؤسسات المحلية والعالمية أن تهتم بهذا الإرث وتعمل على الحفاظ عليه وعلى ديمومته
- تسليط الضوء على ابرز الشخصيات العلمية والفكرية والتي قدمت اسهامات كبيرة في نشر الإسلام في مدن شمال وغرب أفريقيا
- ابراز أهمية ودور الجامعات والمعاهد المتخصصة في اجراء الدراسات والبحوث في هذا الجانب.
- دور مصلحة الآثار وأجهزة الدولة في حفظ وصون هذه الآثار .

المحاور

المحور الأول / محور الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني

- المسجد كنواة للمدينة الاسلامية.
- العناصر المعمارية وتطورها عبر الحقب التاريخية المختلفة.
- تأثير وتأثر المساجد والزوايا والكتاتيب، بالتخطيط الحضري في ليبيا ودول شمال وغرب افريقيا.
- المعايير الجمالية وطرق قياسها في عمارة المدن ومساجدها.
- التصميم المعماري للمساجد في شمال وغرب أفريقيا.
- الابتكار في تصميم المساجد واستخدام التقنيات الحديثة.
- تأثير المساجد في النسيج العمراني والتخطيط الحضري.
- الحلول المعمارية والتصميمية المبتكرة للمساجد.
- استدامة وتصميم المساجد الحديثة .
- استخدام المواد المحلية والمستدامة في بناء المساجد.

المحور الثاني / محور التصميم والفنون الزخرفية

- أنواع ومدارس فنون الزخرف والنقش في المساجد والزوايا القرآنية .
- الزخرفة والفنون الإسلامية في التصميم الداخلي والخارجي للمساجد .
- الاستخدام الفعال للأنماط الهندسية والزخارف في المساجد .
- العناصر الفنية والزخرفية في تصميم المساجد .
- تحديات التصميم الهندسي والبنائي للمساجد الكبيرة والمعقدة .

المحور الثالث / محور الهندسة الإنشائية ومواد البناء

- الأساليب الإنشائية في بناء المساجد والكتاتيب و الزوايا قديما و حديثا .
- ومواد البناء وتطورها عبر الحقب التاريخية المختلفة .
- تقنيات البناء المستخدمة في المساجد التقليدية والحديثة .

المحور الرابع /محور الحفاظ على المساجد التاريخية

-التحديات والاستراتيجيات للحفاظ على المساجد التاريخية
-دراسات حالة عن المساجد التاريخية التي تم الحفاظ عليها بنجاح في
المنطقة
-تحقيق التوازن بين الحفاظ على المساجد وتلبية الاحتياجات والوظائف
المعاصرة

المحور الخامس / محور الآثار والسياحة.

- المساجد التاريخية والآثار المعمارية في المنطقة.
- الدراسات والحفريات واللقى الأثرية ودورها في تحديد تواريخ وأهمية
هذه المعالم .
- دور المساجد في جذب السياح والزوار وتعزيز السياحة الثقافية.
- استراتيجيات إدارة السياحة المستدامة حول المساجد.
- تحقيق التوازن بين المقدسية الدينية والوصول السياحي والحفاظ على
المساجد .
- استعادة وترميم المساجد التاريخية وحفظ .

المحور السادس/ محور الجغرافيا وهندسة المواقع

- توزيع المساجد في المنطقة الجغرافية وتأثيرها على المجتمعات المحلية.
- اختيار المواقع المثلى لبناء المساجد وتأثير العوامل الجغرافية.
- تأثير المساجد على تطور المدن والمناطق الحضرية.

المحور السابع /محور التاريخ

- مراحل تطور المساجد في شمال وغرب أفريقيا عبر العصور.
- الأنماط المعمارية والفنية للمساجد عبر الزمن.
- دور المساجد في الثقافة والتاريخ الإسلامي في المنطقة.

المحور الثامن/ محور التراث والهوية

- المساجد كمكون للهوية الثقافية والدينية في شمال وغرب أفريقيا.
- حفظ وتعزيز التراث المعماري للمساجد.
- تحديات الحفاظ على التراث وتوثيق المعرفة التقليدية المتعلقة بالمساجد
- دور المساجد في المحافظة على التراث الثقافي.

- العادات والتقاليد المرتبطة بالمساجد.
- تعزيز الوعي بالتراث الثقافي المسجدي في المجتمع.

المحور التاسع/ محور الرواد والاعلام والشخصيات ومؤسسي المساجد والزوايا والكتاتيب

- أهم وأشهر الشخصيات التي كان لها دور في نشر الإسلام وفي نهضته.
- أدوار الرواد والمؤثرين في نشر المعرفة والوعي بالمساجد.
- استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام في تعزيز دور المساجد.
- تأثير المساجد في تشكيل الرأي العام والثقافة المجتمعية.
- أمثلة تاريخية ومعاصرة للمساجد التعليمية المشهورة.
- الدراسات والمؤلفات والبحوث العلمية التي تتناول المساجد والزوايا القرآنية وتلك الشخصيات والأثار والرحلات العلمية.
- مؤسسي المساجد والزوايا والكتاتيب ودورهم في نشر الإسلام والمحافظة عليه.
- تأسيسهم للمساجد والزوايا مقتضيات الزمان والمكان والأهمية.
- وظائف الزوايا (تعليمية ، دينية ، اجتماعية ، جهادية).

المحور العاشر/ محور المساجد والزوايا والمجتمع

- دور الزوايا في الإصلاح وتحقيق الضبط الاجتماعي.
- الادوار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمساجد والزوايا في مواجهة السياسات الاستعمارية.
- التقلبات السياسية والاجتماعية والحقب الاستعمارية، ودور شيوخ الزوايا في مواجهتها.
- الدور الثقافي – التعليمي للمساجد والزوايا والكتاتيب.
- الوظائف التربوية والاجتماعية التي تحققت من خلال الزوايا.
- مبادرات التنمية المجتمعية التي تتم عبر المساجد وما تحققت من أهداف اجتماعية.

المحور الحادي عشر / محور التصميم المستدام والتنمية المستدامة والبيئة والابتكار في بناء المساجد والزوايا

- تطبيقات التكنولوجيا الحديثة في تصميم وإدارة المساجد.
- الذكاء الاصطناعي وتقنيات التشغيل الذكية لتحسين كفاءة المساجد.
- التوجهات المستقبلية لاستخدام التقنيات الرقمية والابتكار في المساجد.
- التعامل مع التحديات المعاصرة التي تواجه المساجد في المنطقة.
- استخدام التكنولوجيا في إدارة المساجد وتجربة الزوار .

المحور الثاني عشر / محور التعليم والتوعية

- دور المساجد والزوايا القرآنية في التعليم والتوعية الدينية والثقافية.
- بناء القدرات وتدريب القادة والمشرفين في المساجد والزوايا القرآنية.
- المساجد والزوايا القرآنية كمراكز للتعليم والبحث العلمي ونشر المعرفة.
- دور الزوايا القرآنية في تخريج وتأهيل الحفظة وحملة كتاب الله.
- دور الزوايا في الإصلاح وتحقيق الضبط الاجتماعي.
- الأدوار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمساجد والزوايا في مواجهة السياسات الاستعمارية.
- التقلبات السياسية والاجتماعية والحقب الاستعمارية، ودور شيوخ الزوايا في مواجهتها.
- الدور الثقافي – التعليمي للمساجد والزوايا والكتاتيب.
- الوظائف التربوية والاجتماعية التي تحققت من خلال الزوايا.
- مبادرات التنمية المجتمعية التي تتم عبر المساجد وما تحققت من أهداف اجتماعية.

المحور الثالث عشر / محور المساجد ووسائل الاعلام

- دور المساجد في استخدام وسائل الإعلام لنشر الرسالة الإسلامية.
- وجود المساجد في وسائل الإعلام المحلية والعالمية.
- كيفية توظيف الوسائل والوسائط الإعلامية الحديثة ومواقع التواصل الالكتروني وغيرها في التعريف بالدور الذي لعبته ولا زالت تقدمه هذه المؤسسات الدينية.
- التحديات والفرص في استخدام الإعلام للتواصل مع المساجد.

المحور الرابع عشر / محور الهوية الثقافية والاجتماعية

- دور المساجد في تعزيز الهوية الثقافية والدينية للمجتمعات.
- المساجد كمراكز للتواصل الاجتماعي والتلاقي الثقافي.
- تأثير المساجد على تعزيز التضامن والتعايش الاجتماعي.

المحور الخامس عشر / محور المرأة والمساجد

- استكشاف دور المرأة ومشاركتها في المساجد.
- المساحات والمرافق المخصصة للنساء داخل المساجد.
- تمكين المرأة من خلال مبادرات وبرامج تقام في المساجد.

المحور السادس عشر / محور المساجد والشباب

- دور المساجد في تمكين وتوجيه الشباب.
- برامج المساجد الموجهة للشباب وتطوير مهاراتهم.
- المساجد كمراكز للتوجيه والتأطير الشبابي.

المحور السابع عشر / محور المساجد والرعاية الاجتماعية

- المساجد كمراكز لتنمية المجتمع والرعاية الاجتماعية.
- الأنشطة الخيرية والبرامج التي ينظمها المساجد.
- الشراكات بين المساجد والمنظمات غير الحكومية للتواصل مع المجتمع.

المحور الثامن عشر / محور الإدارة والصيانة

- إدارة المساجد والتحديات الإدارية والمالية المرتبطة.
- أفضل الممارسات لصيانة وتشغيل المساجد.
- تطوير استراتيجيات للحفاظ على المساجد وتأمين الموارد المالية.

المحور التاسع عشر / محور المساجد والصحة العامة

- دور المساجد في تعزيز الصحة والوعي الصحي للمجتمع.
- برامج المساجد المتعلقة بالصحة والعلاج البديل.
- الحملات الصحية والتوعية التي تنظمها المساجد.

المحور العشرون / محور التكنولوجيا والابتكار

- تطبيقات التكنولوجيا الحديثة في تصميم وإدارة المساجد.
- الذكاء الاصطناعي وتقنيات التشغيل الذكية لتحسين كفاءة المساجد.
- التوجهات المستقبلية لاستخدام التقنيات الرقمية والابتكار في المساجد.
- التعامل مع التحديات المعاصرة التي تواجه المساجد في المنطقة.
- استخدام التكنولوجيا في إدارة المساجد وتجربة الزوار.

المحور الحادي والعشرون / محور دور الجامعات والمعاهد والمراكز البحثية .

- دورها في اعداد البحوث والدراسات حول المساجد والزوايا والكتاتيب .
- دور الجامعات والمؤسسات التعليمية المتخصصة في التعريف بالمعالم الدينية وأشهارها وإبراز أهميتها.
- المكتبات العامة والخاصة والمراكز البحثية ودورها في الحفاظ والتعريف بها .
- اجراء الدراسات الميدانية والحفريات الأثرية.
- اعداد الدراسات والرسائل والاطروحات الجامعية.
- توجيه الطلبة والمهتمين إلى أهمية دراسة هذه المعالم الدينية كجزء من الإرث الحضاري والثقافي للهوية الإسلامية.
- بعض المحاولات والتجارب المؤسساتية أو الفردية في هذا الاطار.

المحور الثاني والعشرون/ محور دور المؤسسات والهيئات والوزارات ومصحة الآثار وجهاز ادارة المدن التاريخية في الاهتمام بهذه المعالم الإسلامية والمحافظة عليها .

- قوانين حماية الآثار والمتاحف والمدن التاريخية.
- دور مؤسسات الاعلام والسياحة في الاهتمام بوسائل النشر الحديثة من مطبوعات وكتب ومطويات ونشرات وغيرها، للتعريف بهذه المعالم الإسلامية وإشهارها.
- دور الشراكة المجتمعية في المحافظة على المعالم الدينية.
- التخطيط السياحي والتنمية المستدامة.
- دور الهيئات والمؤسسات والجمعيات الاهلية في صيانتها وحمايتها من العبث والتخريب.

التاريخ : 16 / 01 / 2024

الإشاري : م. غ. 24.16.

المؤتمر العلمي الدولي حول المساجد التاريخية والزوايا القرآنية في ليبيا ومدن شمال وغرب أفريقيا

غدامس - ليبيا / 13 . 14 . 15 مايو 2024

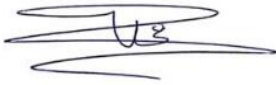
قرار تشكيل اللجان المشرفة على تنظيم المؤتمر

رئيس المؤتمر - أ. مختار السنوسي حوده . مركز غدامس للأبحاث والدراسات وتوثيق التراث.
اللجنة العلمية والإستشارية.

- 1 - د. فوزي محمد عقيل - رئيسا - عضو هيئة التدريس - كلية الهندسة جامعة المرقب .
- 2 - أ. ربيعة الطيب يدر - مقرر اللجنة - أستاذة بالمعهد العالي للعلوم التقنية غدامس
- 3 - بروفيسور - د . محمد ولد بيج - خبير لدى منظمة اليونسكو - موريتانيا .
- 4 - د. محمد جاكاييتي - مدير معهد أحمد بابا بنبكتو - مالي .
- 5 - د. عبد الحليم احمد عسائي - استاذ في جامعة باتنة - الجزائر .
- 6 - د. حبيب محمد الموفق - عضو هيئة التدريس كلية الآداب جامعة نالوت .
- 7 - د. أسماء موسى زايد - عضو هيئة التدريس كلية الآداب - جامعة بني وليد .
- 8 - د. نورا صالح الفايدى - عميد كلية الهندسة جامعة البحر المتوسط الدولية بنغازي ,
- 9 - د. محمود عبد الكريم قريو - عضو هيئة التدريس كلية الهندسة - جامعة مصراته .
- 10 - د. عمر علي الأمين - عضو هيئة التدريس - كلية الهندسة جامعة المرقب .

اللجنة التنظيمية والتحضيرية .

- أ. إيمان ابوبكر سانو . المدير التنفيذي لمركز غدامس للأبحاث والدراسات.
- أ. عبد الجبار الصغير
- عبد الستار هبية .
- عبد السلام التهامي.
- منير موسى
- حسن حمودة صيلة .
- هيثم عبد الله مقورا .
- حسن حمود.
- محمد قاسم يدر .



مختار محمد السنوسي

مدير شركة كيدامي للإنتاج الفني والخدمات الفنية والاعلامية
ومدير مركز غدامس للأبحاث والدراسات وتوثيق التراث



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ
إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ
(التوبة الآية 18)

المشروع الوطني
لتوثيق تراث مدينة غدامس
THE NATIONAL PROJECT FOR GHADAMES
HERITAGE DOCUMENTATION

مركز غدامس
للأبحاث والدراسات وتوثيق التراث

المؤتمر العلمي الدولي
حول تراث غدامس

المؤتمر العلمي الدولي حول المساجد التاريخية والزوايا القرآنية في ليبيا

ومدن شمال وغرب افريقيا

الدورة الرابعة

غدامس . ليبيا / 12 . 13 . 14 مايو . 2024



الشركة الليبية للحديد والصلب

LIBYAN IRON AND STEEL COMPANY

الراعي الماسي

الراعي الذهبي



معاً لبناء الوطن

الداعمون



منظمة تورينكا للثقافة والتراث
TORINKA ORGANIZATION
FOR CULTURE AND HERITAGE

تنفيذ

شركة كيدامي للإنتاج الفني
والخدمات الفنية والإعلامية
kidami media



السنة المائية

1 مايو - مايو أعجمي / 13 مايو ميلادي

الحساب نامن



مناسبة مرور 4021 سنة
لعمر مياه الخزان السطحي
لعين الفرس جيولوجيا
- عين بلاد غدامس (غسوف)
1997 قبل الميلاد





مركز غدامس

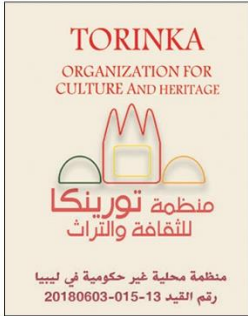
للأبحاث والدراسات وتوثيق التراث
Ghadames Center for Research, Studies and Heritage Documentation

أهم أعمال ومحطات شركة كيدامي للإنتاج الفني والخدمات الفنية والإعلامية ومؤسسها - منظمة تورينكا للثقافة والتراث -



KIDAMI MEDIA

30 سنة بيت الخبرة



- الإشراف على الإذاعة المدرسية وبرامجها 1977 م - 1981 م
- المشاركة في برامج المركز الثقافي غدامس ومن ضمن رواده 1980 م
- المشاركة في الأعمال المسرحية المدرسية 1984 م
- معرض الصور الضوئية 1988 م
- المعرض الأول للصور الضوئية تحت شعار من أجل إحياء تراث غدامس 1991 م
- استكشاف الآثار والرسومات الصخرية 1994 م عبر جمعية ليبيا
- لاستكشاف المخايء والكهوف فرع غدامس .
- انشاء مركز كيدامي للخدمات الإعلامية سنة 2000 م
- توثيق أعمال برنامج الأمم المتحدة لإعادة تأهيل مدينة غدامس القديمة 1999 م - 2006 م
- تحرير وطباعة صحيفة مرآة المدينة - البيداء
- عين الفرس - القادوس . 2003 م - 2007 م
- تعديل مركز كيدامي إلى تشاركية دار كيدامي للإنتاج الفني والخدمات الفنية والإعلامية سنة 2007 م
- أعمال توثيق وارشفة التراث الليبي
- تنفيذ العديد من الأشربة الوثائقية التراثية وإصدار الملصقات والمطويات والمطبوعات المختلفة
- توثيق المهرجانات والندوات وإصدار البطاقات البريدية السياحية
- إصدار دليل غدامس السياحي بخمس لغات العربية - الإنجليزية - الفرنسية - الإيطالية - الألمانية . 2007 م - 2009 م
- تطوير دار كيدامي وترقيتها إلى شركة كيدامي للإنتاج الفني والخدمات الفنية والإعلامية سنة 2013 م
- إنشاء منظمة تورينكا للثقافة والتراث 2018 م
- تقديم تقارير إخبارية ومعلومات تراثية وتاريخية عبر عدة وسائل إعلامية ووقنوات فضائية ابتداء من سنة 2003
- وحتى الوقت الحالي ومن أبرز هذه القنوات خدماتنا ومنتجاتنا في القنوات الفضائية قناة الجزيرة - العربية LBC اللبنانية - HD - الشبابية - الليبية - 218 - ليبيا الاحرار- الوطنية وغيرها
- تنظيم مهرجان غدامس الثاني للصورة والكتاب 2010 م / الثالث 2013
- تنفيذ دورات تدريبية لصالح وزارة العمل والتأهيل ومكتب تطوير التعليم ومكاتب الثقافة . 2013 م - 2015 م
- إنجاز منظومة قاعدة البيانات الجغرافية GIS المصورة لعناصر ومكونات مدينة غدامس القديمة 2011
- 2013 م
- انطلاق المشروع الوطني لتوثيق تراث مدينة غدامس . 2014 م
- جائزة غدامس الدولية للصورة التراثية لسنة 2016 م / 2017
- إنشاء مركز غدامس للأبحاث والدراسات وتوثيق التراث سنة 2018
- إصدار كتاب ومضات من تاريخ غدامس - عين الفرس (غسوف) - تاريخ غدامس القديم
- مدرسة تيلوان - الجامع العتيق - مؤتمر العيون والموارد المائية - مؤتمر العمارة الصحراوية - مؤتمر المساجد التاريخية والزوايا القرآنية.
- تنظيم المؤتمر العلمي الدولي حول تراث غدامس والعمارة الصحراوية والمساجد التاريخية سنة 2021-2022-2023-2024
- وسام غدامس للتميز والوفاء سنة 2017-2019-2023-2024



الشركة الليبية للحديد والصلب LIBYAN IRON AND STEEL COMPANY

الشركة الليبية للحديد والصلب

رؤيتنا

تسعى الشركة الليبية للحديد والصلب ان تكون إحدى شركات الحديد و الصلب الرائدة إقليمياً و دولياً من خلال الاستغلال الأمثل لمواردها البشرية و المادية و تبني تقنيات حديثة و متطورة صديقة للبيئة تفي بمتطلبات الزبائن وتحسن اقتصادياتها وقدرتها التنافسية في الأسواق المحلية و العالمية.

رسالتنا

إنتاج منتجات ذات جودة عالية و بأسعار منافسة تساهم في الإيفاء باحتياجات السوق المحلي والإقليمي وتطور القطاعات المختلفة للاقتصاد الوطني من خلال تبني تقنيات متطورة و تطبيق نظم الإدارة الحديثة بما يكفل رضا المجتمع و العاملين و الزبائن.

نبذة عن الشركة

تعتبر الشركة الليبية للحديد و الصلب من أكبر الشركات الصناعية بليبيا ، وتقع على مساحة قدرها 1,200 هكتار في مدينة مصراتة ، على بعد 210 كيلومترات الى الشرق من مدينة طرابلس وتبلغ الطاقة التصميمية للشركة 1,700,000 طن من الصلب السائل سنوياً بطريقة الاختزال المباشر لمكورات الحديد باستخدام الغاز الطبيعي المحلي .
وقد وضع حجر الاساس للشركة في 18/9/1979، ايذانا بارساء قاعدة التصنيع الثقيل بليبيا وبتاريخ 9/9/1989 تم افتتاح الوحدات الانتاجية و بذلك دخلت الشركة مرحلة الانتاج.



تضم الشركة الوحدات الانتاجية الاتية

- 1- مصنع الاختزال المباشر (3 وحدات).
- 2- مصنعا الصلب (2.1) .
- 3- مصنع درفلة القضبان و الاسياخ (4 خطوط).
- 4- مصنع درفلة القضبان(2)
- 5- مصنع درفلة القطاعات الخفيفة و المتوسطة .
- 6- مصنع الدرفلة على الساخن .
- 7- مصنع الدرفلة على البارد .
- 8- خط الجلفنة .
- 9- خط الطلاء .

تضم العديد من الوحدات المساعدة و المرافق أهمها

- 1- الميناء و ساحة تخزين المكورات .
- 2- محطة الكهرباء و تحلية المياه .
- 3- مصنع الاكسجين و الهواء المضغوط .
- 4- مصنع الجير .
- 5- الورشة المركزية .
- 6- مركز التدريب .
- 7- معامل مراقبة الجودة .
- 8- المصيف والنادي البحري .

للتواصل معنا

الطريق الساحلي، مصراتة - 85VX+HM7

الهاتف: 051-2742621

ادارة التسويق والمشتريات

+ 218 51 2619680/ 2613810

marketing@libyansteel.com

+218 51 2613794

purchasing@libyansteel.com

الرعاية



معاً نبنا الوطن



الشركة الليبية للحديد والصلب

LIBYAN IRON AND STEEL COMPANY

الداعمون



المنظّمون



KIDAMI MEDIA

30 سنة بيت الخبرة

TORINKA
ORGANIZATION FOR
CULTURE AND HERITAGE



منظمة تورينكا
للثقافة والتراث

منظمة محلية غير حكومية في ليبيا
رقم القيد 13-015-20180603

**البرنامج العام للمؤتمر العلمي الدولي
حول المساجد التاريخية والزوايا القرآنية في ليبيا ومدن شمال وغرب أفريقيا**

اليوم / التاريخ	البرنامج اليومي	التوقيت / الساعة	المكان
اليوم الأول الأحد 12/05/2024	الانطلاق نحو غدامس	7:00 صباحاً	طرابلس
	الوصول إلى غدامس والاستقبال وترتيبات الإقامة	3:00 ظهراً	مقر الإقامة
	زيارة الكتبان الرملية	6:30 مساءً	غدامس
اليوم الثاني الاثنين 13/05/2023	زيارة المدينة القديمة	9:00 صباحاً - 1:00 ظهراً	المدينة القديمة
	زيارة المعارض والمناشط في المدينة القديمة	10:30 صباحاً	المدينة القديمة
	استراحة	11:30 صباحاً	المدينة القديمة
	الاستراحة بمقر الإقامة	1:00 ظهراً	مقر الإقامة
	الافتتاح الرسمي للمؤتمر والبرنامج العام للافتتاح	5:30 - 6:30 مساءً	مسرح مدرسة عبد الرحمن البوصيري الأخضري
	عرض شريط عن يوم الماء		
	استراحة وبوفيه	6:30 - 6:50 مساءً	مدرسة عبد الرحمن البوصيري الأخضري
مداخلة المتحدث الخاص بالشركة الليبية للحديد والصلب	6:50 - 7:20 مساءً	مدرسة عبد الرحمن البوصيري الأخضري	
المتحدث الرسمي	7:20 - 7:50 مساءً	مدرسة عبد الرحمن البوصيري الأخضري	
الجلسة الأولى (7:50 - 10:00) مساءً			
رئيس الجلسة : د. عمر الامين مقرر الجلسة : د. نورا الفاندي			
1 - المسجد العتيق بمدينة سبها	د. ابراهيم احمد المختار الحضيري	باحث مستقل/ سبها، ليبيا	
2 - الزاوية العياشوية بالمغرب القصي وظائفها الدينية، والتربوية، والتعليمية	د. عبدالحق عدي	المملكة المغربية	
3 - زخرفة القباب في العمارة الدينية ببلاد الجريد خلال العصر الحديث	د. ذاكر سيله	أستاذ مساعد في الآثار الإسلامية المعهد العالي للعلوم الاجتماعية والتربية بقفصة / جامعة قفصة	
4 - التصميم الداخلي للمسجد العتيق بنغازي بين المحددات البيئية والنشائية	أ / عبد المنعم مصطفى الجارح الفخاري أ. منال سالم بومداس	د. قسم التصميم الداخلي- كلية الهندسة - جامعة البحر المتوسط	
5 - توثيق التراث الهندسي لمدينة غدامس التاريخية	م. عبدالعليم بونس عبدالرحمن	المعهد العالي للعلوم والتقنية غدامس	
6 - إعادة تأهيل مساجد قصبية الجزائر في إطار القطاع المحفوظ	ارمولي بلال قادرين سامية	أستاذ محاضر المدرسة العليا للفنون الجميلة محافظ تراث الثقافي/ المدرسة العليا للفنون الجميلة	
7 - دور المسجد في تحقيق روح الإخاء وتماسك المجتمع	د. مزمل محمد عابدين محمد	أستاذ التفسير المشارك، بجامعة الإمام المهدي كلية التربية، قسم الدراسات الإسلامية - السودان	
8 - الإشعاع العلمي والثقافي لزاوية الشيخ أحمد باندي القرآنية في منطقة شرق بور كينا فاسو	د. نوح عيسى سيد بي	أستاذ مشارك، كلية الشريعة والقانون الجامعة الإسلامية بالنيجر	
9 - الشكل والنمط المعماري للمنتنة بين التأصيل والحداثة (دراسة حالة، مآذن المساجد بمدينة زليتن والخمس - ليبيا)	د. عبدالله مفتاح بن محمود أ. سعاد سالم بن ضو	أستاذ مساعد بقسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني - كلية الهندسة - الخمس - ليبيا محاضر بقسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني - كلية الهندسة - الخمس - ليبيا	

اليوم الثالث
الثلاثاء
14/05/2023
الفترة الصباحية

الجلسة الثانية (8:30 - 11:00) صباحا

مقرر الجلسة : أسماء زايد

رئيس الجلسة : د. محمد قريو

استاذ مساعد بقسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني، كلية الهندسة جامعة المرقب، الخمس، ليبيا 3 محاضر بقسم العمارة - المعهد العالي للعلوم والتقنية، غدامس، ليبيا	د. فوزي محمد عقيل د. عمر علي الأمين أ. ربيعة الطيب بدر	10-المفردات والمساحات المعمارية المحلية لزواوية الصواوق
الأكاديمية الليبية للدراسات العليا مدرسة العلوم الهندسية والتطبيقية - قسم الهندسة المدنية والمعمارية - شعبة العمارة	م. سفيان محمد مادي	11 - استعمال المواد المحلية والطبيعية لبناء مباني مستدامة خاصة المساجد في ليبيا
أستاذ التخصص: لسانيات الخطاب. جامعة: محمد الشريف مساعديّة - سوق أهراس	دياسين سراجيعة لندة قياش	12 - السياحة الدينية في شمال افريقيا وتحديات الاستعمال اللغوي - منطقة سوق أهراس نموذجا
دكتوراه دولة في أصول الفقه، "فقه مقارن"، جهة العمل: جامعة نالوت	د. عيسى امحمد سالم الجاحي	13 - مسجد أولاد يحي التاريخي بنالوت ومنازة اللوح المحفوظ للعلوم الشرعية أنموذجا
استاذ هندسة عمارة وتخطيط مدن بالأكاديمية الليبية . جنزور استاذ التصميم الداخلي بكلية الفنون الجميلة بجامعة طرابلس	د. محمد عمار المجنوبي د. عمر ابراهيم الهنشيري	14 - عمارة المساجد بين الأصالة والمعاصرة
أستاذ الشريعة والقانون بالجامعة الاسمية الإسلامية	د.عبدالمسيح بلعيدالعجم	15 - الحماية التشريعية للقانونية للأثار والتراث الحضاري في ليبيا
أستاذ محاضر بجامعة حسنية بن بو علي الشلف	الأستاذ خالد بلعربي الأستاذ بلعالية ميلود الأستاذ حليبي بن شرفي	16 - المؤسسات الدينية بحوض الشلف من الوظيفة التعليمية إلى الدور الجهادي 1954 / 1962
استاذ مساعد بجامعة نالوت - كلية الهندسة جادو- قسم الهندسة المعمارية والتخطيط الزنتان - كلية الهندسة الزنتان- قسم العمراني معيد بجامعة لهندسة المعمارية والتخطيط العمراني	د.رجب بشير عكرة م. عبد الجواد الفيتوري قجام	17 - مفردات العمارة الإسلامية بالمسجد
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	جعفر بوزيدي	18 - الصراع المذهبي وأثره على إنشاء المساجد في المغرب الأوسط "الصراع المالكي الأياضي في حاضرة ورجلان أنموذجا"
مهندس استشاري وعضو هيئة تدريسي بعضو هيئة تدريس بالمعهد العالي للعلوم والتقنية طرابلس	أ.عبدالباسط طاهر أحمد أ.فتحية طاهر حسان	19 - الرطوبة وتأثيرها على المباني والمساجد التاريخية

استراحة ووقف (11:00 - 11:30) صباحا

الجلسة الثالثة (11:30 - 2:30) ظهرا

مقرر الجلسة : د. عمر الأمين

رئيس الجلسة : د. حبيب الموفق

الهيئة الليبية للبحث العلمي	د.أبوبكر إبراهيم خليفة سعد السراي .	20 - مسجد سيدي سراج ودوره في المجتمع
أستاذ التعليم العتيق بمعهد الحسن البوسي بصفرو وإمام وخطيب بمدينة فاس / المغرب شركة كيدامي الإعلامية مركز غدامس للأبحاث والدراسات وتوثيق التراث	د.زكريا غازوي	21 - دور المرأة ومشاركتها في المساجد
جامعة باتنة - الجزائر	أ. مختار السنوسي حودة . أ.إيمان أبوبكر ساتو .	22 - مساجد مدينة غدامس من خلال منظومة GISالجغرافية (جهاز تنمية وتطوير مدينة غدامس)
أستاذ مساعد- كلية الآداب/ جامعة بني وليد أستاذ مساعد- كلية الآداب/ جامعة بني وليد	أنور الدين محمدي	23 - دور الزوايا في الإصلاح وتحقيق الضبط الاجتماعي
	د. الصغير المزوغي احمد الجدك أ. أحمد سالم الضيع	24 - المظاهر المورفولوجية للمساجد القديمة في مدينة بني وليد: دراسة في المحددات الشكلية والوظيفية.

25 - الزوايا القرآنية وخدمة المشروع الإصلاحي في الجزائر خلال النصف الأول من القرن 20.	محمد بن ساعو	أستاذ محاضر بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية - جامعة سطيف الجزائر
26 - زاوية الجغبوب، تأسيسها وعمارتها (1895-1856)	أ.دريس التواتي	خبير قضائي، مكتب خبيرة الآثار، مركز الخبرة والقضائية والبحوث، الجغبوب ليبيا
27 - دور المساجد في ترسيخ الخطاب الديني وتعزيز الانتماء الهوياتي بالجزائر المستعمرة 1830م-1962م	أريمة بوكوشة	جامعة ابو القاسم سعد الله الجزائر
28 - التعليم الشرعي في المساجد والزوايا الصومالية زاوية الشيخ معلم نور محمد زياد نموذجا (1942م)	د.أبو بكر محمد الخليفة	أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم بالجامعة الوطنية الصومالية
29 - نشأة زاوية أحمد الزروق وأثرها الاجتماعي في مدينة مصراتة	د. محمد فتيني محمد كتبش	أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الحديدة - اليمن
30 - المنهج التعليمي القديم في مساجد وزوايا منطقة الجندب بسبها	د. كلثوم عثمان حسن الحضيري	عضو هيئة التدريس جامعة سبها
31 - المساجد التاريخية في منطقة الخمس مسجد الباشا / دراسة حالة	أ. منصور علي الحرير	محاضر مساعد جامعة الزيتونة - كلية الآداب - قسم الآثار والسياحة
استراحة بمقر الإقامة (2:30 - 5:00) ظهرا		
الجلسة الرابعة (5:15 - 8:30) مساء		
رئيس الجلسة : أ. ربيعة بدر		مقرر الجلسة : د. فوزي عقيل
32- أساليب وتقنيات البناء والتجديد لجوامع مدينة غدامس التاريخية (دراسة مقارنة)	أ.حسن محمد حمود م. عبد العليم عبدالرحمن يونس	مراقبة آثار غدامس المعهد العالي للعلوم والتقنية غدامس
33- دور الزوايا بإفريقية في نشر التصوف ونوثة البنيو بالعصر الوسيط	د. أسماء موسى زايد	استاذ مساعد بقسم التاريخ ووكيل الشؤون العلمية، كلية الآداب، جامعة بني وليد، ليبيا
34 - دراسة حالة عن المساجد التاريخية التي تم الحفاظ عليها بنجاح جامع بدر الغوط (مصراتة) نموذجا	د. اكرام البشير الجمل	قسم السياحة والآثار بكلية الآداب جامعة مصراتة
35 - الوصول الشامل للمساجد القديمة والحديثة في مدينة بنغازي حالة دراسية: المسجد العتيق ومسجد نور الرحمان	أ. سالمة مفتاح الفالح أ / عبد المنعم مصطفى الجراح الفاخري	الهيئة الليبية للبحث العلمي
36 - جهود المؤسسات الدينية في الحفاظ على ثوابت الهوية الجزائرية وبلورة الوعي الوطني خلال الحقبة الاستعمارية 1830-1962م "الزوايا نموذجا".	أ. خيرة بودحام	جامعة ابو القاسم سعد الله الجزائر

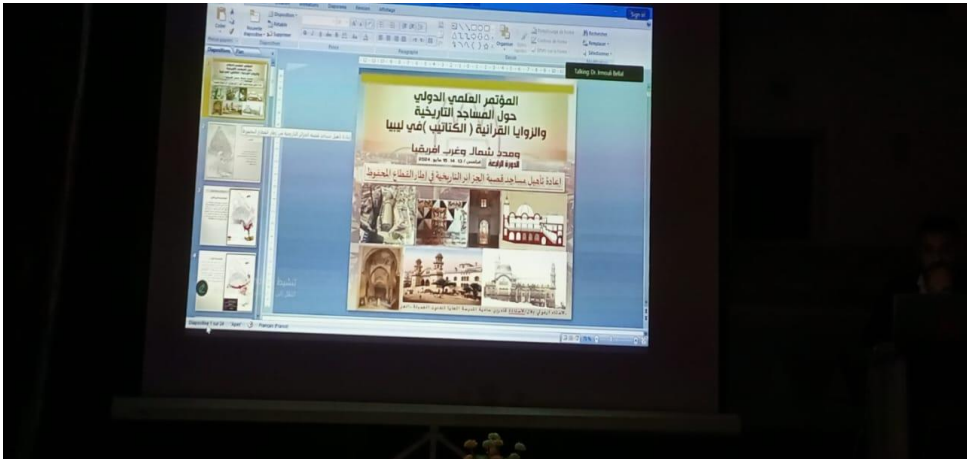
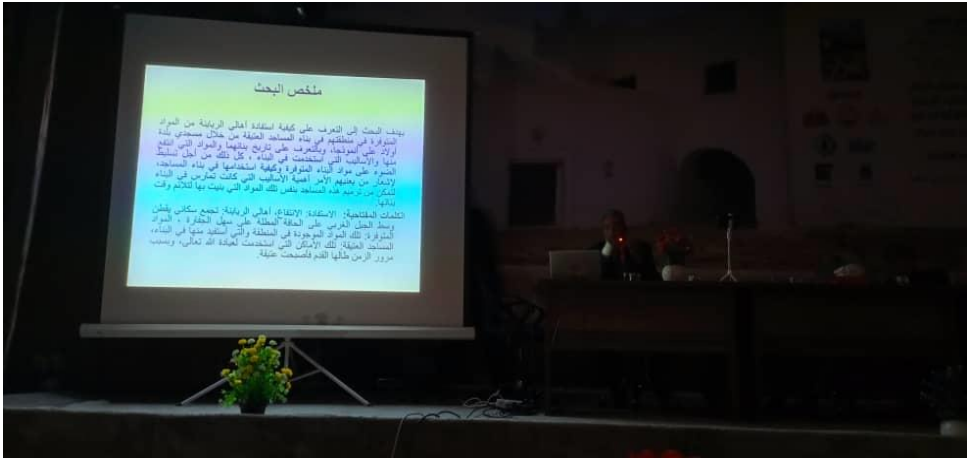
اليوم الثالث
الثلاثاء
14/05/2023
الفترة المسائية

دكتوراه في هندسة العمارة وبيئة البناء عميد كلية الهندسة جامعة البحر المتوسط الدولية - بنغازي	د.نورا صالح الفايد	37 - تصنيف المساجد وفق المعايير التصميمية وكيفية حل مشاكلها للمحافظة على الأثر الثقافي في ليبيا
جامعة المرقب، ليبيا استاذ مشارك بالاكاديمية الليبية للدراسات العليا	أ.باسم سعيد كامل د. عادل المبروك الفار	38 - مسجد الباشا بمدينة الخمس / ليبيا
استاذ مساعد بقسم الشريعة كلية القانون جامعة صبراتة	د.إبراهيم عبدالسلام المغول	39 - مسجد وزوايا سيدي زكري و دورهم في التعليم الديني بمدينة صرمان
- قسم الهندسة المعمارية، جامعة بسكرة، بسكرة، الجزائر. مخبر التصميم المعماري ومماثلة الأشكال وأجواء الأحيز، جامعة بسكرة، الجزائر. مخبر السكن والبيئة، جامعة سطيف - الجزائر - معهد الهندسة المعمارية والعمران، جامعة باتنة 1، باتنة، الجزائر. مخبر السكن والبيئة، جامعة سطيف، الجزائر. - مخبر التصميم المعماري ومماثلة الأشكال وأجواء الأحيز، جامعة بسكرة، الجزائر. قسم الهندسة المعمارية، جامعة بسكرة، بسكرة، الجزائر. مخبر التصميم المعماري ومماثلة الأشكال وأجواء الأحيز، جامعة بسكرة، الجزائر.	د. عادل سخري د. عبد الحليم عساي د. مصطفى منوكي	40 - المساجد التاريخية ودورها في تنشيط السياحة الثقافية لمدينة قسنطينة، الجزائر
قسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني كلية الهندسة/ جامعة مصراتة	د. محمود عبد الكريم مفتاح قريو	41 - العناصر المعمارية والسمات المحلية للجامع العتيق بمدينة غدامس
الهيئة الليبية للبحث العلمي/البيضاء	أ.صدام حسين يونس	42 - زاوية البيضاء السنوسية وأثرها في الحياة قديما وحديثا
استاذ مساعد بقسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني - كلية الهندسة - جامعة المرقب - الخمس استاذ بقسم التاريخ - كلية الآداب - الجامعة الاسمية الاسلامية - زليتن محاضر بقسم التاريخ - كلية الآداب - الجامعة الاسمية الاسلامية - زليتن	د.عبدالله مفتاح بن محمود د.محمد عمر بيشينة د.أشرف حسين الفرادي	43 - دراسة تاريخية معمارية للمساجد والزوايا الاثرية بمدينة زليتن مسجد الجمعة، ومسجد العرصة، ومسجد زاوية البازة، وزاوية الفاثير السبعة)
جامعة يحي فارس بالمدينة - الجزائر	د.سعید فرج	44 - دور المساجد في الحفاظ على هوية الأمة الجزائرية خلال فترة الاحتلال الفرنسي.
. استاذ مساعد بقسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني، كلية الهندسة، جامعة المرقب، الخمس، ليبيا . استاذ مساعد بقسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني، كلية الهندسة، جامعة المرقب، الخمس، ليبيا . استاذ مساعد بقسم العمارة كلية التقنية الهندسية، مسلاته، ليبيا	د/ عمر علي الأمين د. فوزي محمد عقيل د. عياد عبدالله ابورويص	45 - تطور عمارة مسجد الشيخ عبدالسلام الاسمر بمدينة زليتن عبر القرون 912 هـ 1491م
حفل الاختتام وتوزيع الشهادات (8:30 - 9:30)		

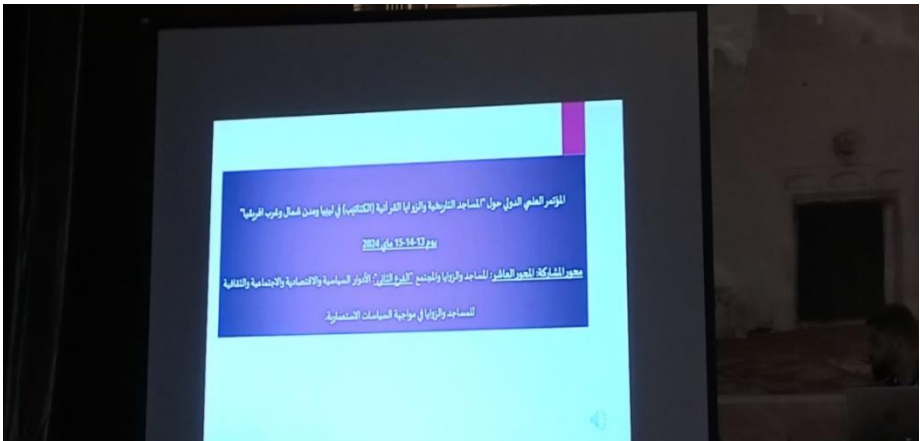
صور متنوعة من المؤتمر

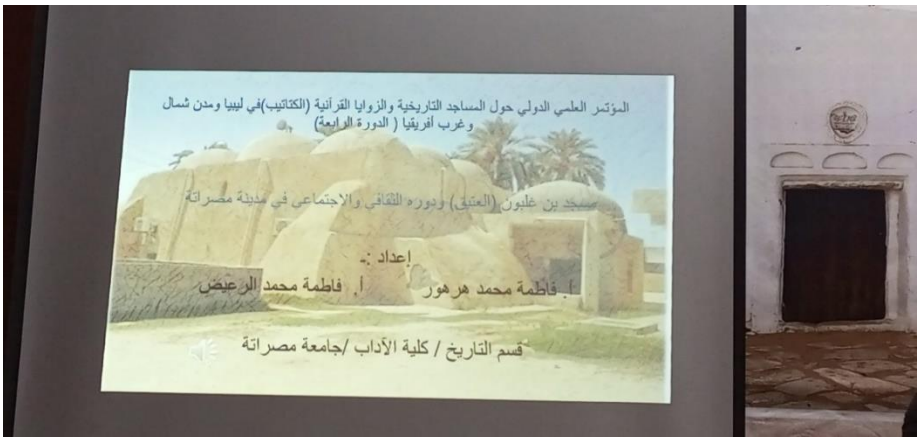




















المسجد العتيق بمدينة سبها

(دراسة تاريخية معمارية)

د. إبراهيم أحمد المختار الحضيري¹

¹باحث مستقل, سبها, ليبيا

Almokhtar_72@yahoo.com*

ملخص البحث

يُعد المسجد العتيق بمدينة سبها من أبرز المعالم الأثرية بالمنطقة, والذي يقع في طرف البلدة القديمة بحي الجديد شمال غربي المدينة. وقد شيده الشيخ العلامة محمد الحضيري في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي). سُمي هذا المسجد بالمسجد العتيق لكونه أقدم مساجد المدينة, كما يعرف أيضاً بالجامع الكبير الذي يجتمع الناس في صلاة الجمعة وفي المناسبات الدينية والاجتماعية المختلفة. وقد ظل هذا المسجد رمزا مهماً على مر القرون وشاهداً لحضارة عريقة انتشرت من هذه البلدة إلى ما حولها من المناطق داخل ليبيا وفي شمال أفريقيا. تهتم هذه الورقة البحثية بتوثيق تاريخ المسجد بالاعتماد على الروايات التاريخية المأثورة, وتوصيفه معمارياً قصد الإحاطة والإلمام بجانب من معطياته ومعالمه الأثرية. تناول البحث التعريف بالمسجد, والتطرق إلى المراحل التاريخية التي مر بها ودوره الدعوي والتعليمي الذي خدم به منطقتة المتواجدة بها والمناطق المحيطة والجاورة له. وقد جاء البحث في مقدمة ومحورين وخاتمة وعدد من الملاحق التي تبرز شكله من الداخل والخارج.

الكلمات المفتاحية: المسجد العتيق, بلدة الجديد, المساجد التاريخية, المعالم الأثرية, التراث.

1. المقدمة

يعود تاريخ بناء المساجد إلى بداية ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية خلال الربع الأول من القرن السابع الميلادي, إلى أن وصل إلى أرجاء واسعة وانتشر في جميع أنحاء العالم. مؤدياً ذلك الانتشار والتوسع إلى تنوع في أساليب تصميمها وبنائها. وتنتشر المساجد التاريخية في ليبيا وشمال أفريقيا على نطاق واسع, ولكل مسجد خصائصه المرتبطة بشكل مباشر بما بلغته الحضارة التي تواجد فيها من تطور اجتماعي ومعماري وفني.

وقد أذى المسجد - عبر التاريخ الإسلامي - أدواراً عظيمة الشأن بالغة التأثير في المجتمع، مترعباً على عرش الحياة الدينية لدى المسلم، فهو البيت الجامع الذي يقصده الناس للعبادة ولتسيير شؤونهم العامة وتدير أمور دنياهم. وأولى الناس لهذه المساجد أهمية خاصة في بنائها وعمارها وكل ما يتعلق بها.

وتعد عمارة المساجد من أبرز فروع العمارة الإسلامية كونها مرتبطة بالجانب الروحي والوجداني للفرد المسلم، وقد جسدت التكوين المعماري البسيط للمسجد المعاني والتعاليم الشرعية للدين الإسلامي. وعرفت المساجد تطوراً عبر المراحل التاريخية المختلفة؛ اختزنت فيها تاريخ وتراث المنطقة التي تتواجد فيها، بل وتمثل هوية تاريخية لها وجزءاً من شخصيتها التي تميزها عن غيرها من المناطق(1).

ويُعد المسجد العتيق بمدينة سبها من أبرز المعالم الأثرية بالمنطقة، والذي يقع في طرف البلدة القديمة بحي الجديد شمالي غربي المدينة. وقد شيده العلامة محمد الحضير في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)(2). وسمي هذا المسجد بالمسجد العتيق لكونه أقدم مساجد المدينة، كما يعرف أيضاً بالجامع الكبير الذي يجمع الناس في صلاة الجمعة وفي المناسبات الدينية والاجتماعية المختلفة.

تقع مدينة سبها بإقليم فزان وسط الصحراء الليبية جنوبي غربي البلاد، على بعد حوالي 750 كم من مدينة طرابلس(3). وهي ذات أهمية تاريخية كونها تتربع على عدد من البلدات القديمة التي توسعت عمرانياً لتشكّل المدينة بوضعها الحالي، وهي الجديد والقرضة وحجارة. ويقع المسجد العتيق بطرف إحدى هذه البلدات وهي بلدة الجديد القديمة التي تعد أحد أهم المعالم الأثرية بالمدينة، مساهماً في تثبيت دعائم الهوية التاريخية والجغرافية لجزء كبير من سكانها، ويعد المنطلق الأول لنشأة البلدة واتساعها. والتي تم تسجيلها مؤخراً على قائمة التراث الثقافي في العالم الإسلامي(4)، وذلك عن طريق منظمة الإيسيسكو (ICESCO) التابعة لمنظمة التعاون الإسلامي مما أكسب المسجد أهمية استثنائية تتمثل في قيمته التاريخية والثقافية.

1.1. إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث في أن المسجد لم يحظ بالدراسة الكافية من قبل الباحثين والمهتمين بالتاريخ والتراث، ولم يلق الاهتمام الكافي للتعريف به، رغم أهميته باعتباره من أقدم المساجد بالمنطقة وبالتحديد في مدينة سبها وما جاورها بمنطقة فزان بالجنوب الليبي.

2.1. أهمية البحث:

تنتقل أهمية البحث في كونها تتعلق بمسجد لم يُدرس سابقاً بشكل مستفيض ومفصل, أو يوثق بدراسة علمية جادة على الرغم من أهميته التاريخية والحضارية. حيث يعد المسجد من أبرز المعالم الأثرية بالمنطقة والذي لم يزل يحتفظ بتركيبته المعمارية وعامراً بالرواد من المصلين والزائرين. كما أنه يعتبر منطلقاً لإشعاع علمي ودعوي عمّ ما حوله من المناطق ووصل هذا الإشعاع إلى مناطق عديدة عبر تاريخه الممتد لأكثر من 500 عام.

3.1. أهداف البحث :

يهدف البحث إلى إبراز وإظهار معالم مدينة سبها التاريخية التي تزخر بها, وعلى رأسها المسجد العتيق بالمدينة. والتعريف به وإظهار خصائصه المعمارية والوقوف على تاريخه وتأثيره على محيطه علمياً وثقافياً واجتماعياً.

4.1. منهجية البحث:

اعتمدت خطة البحث على المنهج الوصفي الاستقرائي, ولذا فقد تمّ تبويب الخطة على النحو التالي:

مقدمة, احتوت على الإجراءات المنهجية.

لمحة عن البلدة القديمة بحي الحديد بمدينة سبها.

التعريف بالمسجد العتيق بالمدينة.

الدور الدعوي والتعليمي للمسجد.

خاتمة, تمثلت في النتائج والتوصيات.

بالإضافة - طبعاً- إلى قائمة بالمراجع, والملاحق.

5.1. صعوبات البحث:

تمثلت الصعوبات في قلة المصادر والمراجع التي تناولت دراسة المسجد وتاريخه بشكل مستفيض ومفصل.

6.1. الدراسات السابقة:

لا توجد دراسات أكاديمية سابقة -حسب علم الباحث- حول هذا المسجد.

2. لمحة عن البلدة القديمة بحي الجديد بمدينة سبها

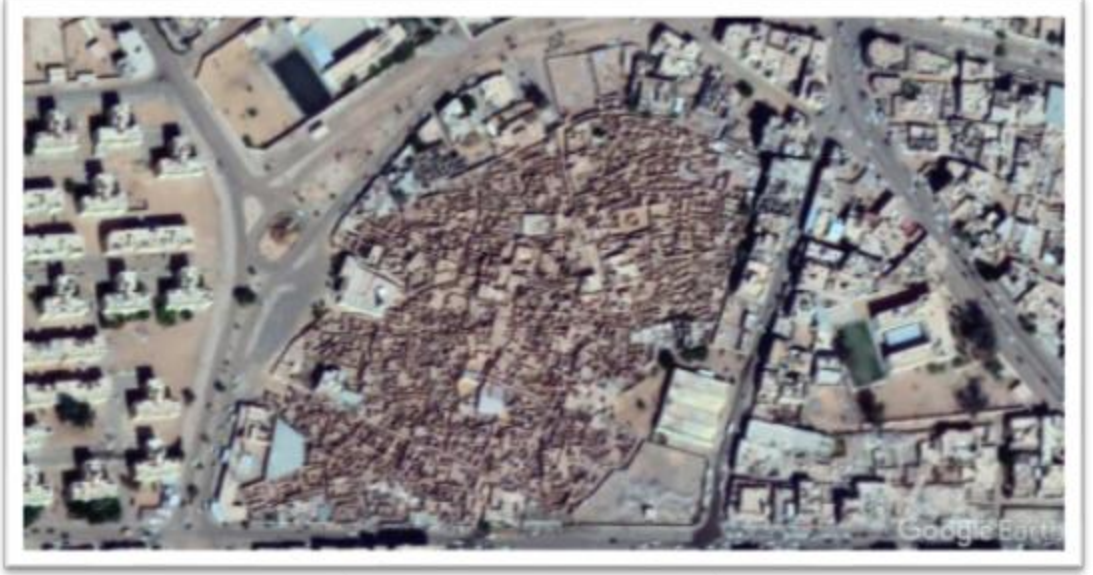
تقع البلدة في الشمال الغربي لمدينة سبها في حي الجديد, وتبلغ مساحتها قرابة ستة هكتارات. وقد تأسست في النصف الأخير من القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) تقريباً(5), وذلك من خلال استيطان بعض سكان البلدات والقرى الموجودة آنذاك حول المسجد العتيق لغرض الصلاة فيه وتلقي العلوم الدينية وحفظ القرآن الكريم وتعلّم القراءة والكتابة(6). حيث اتسع العمران فيما بعد ليشكل هذه البلدة بمبانيها القائمة حتى الآن, قبل أن ينتقل سكانها إلى المناطق المجاورة لها والمحيطة بها لبناء مساكن وفق الطراز المعماري الحديث.

وتعد البلدة -المعروفة ببلدة الجديد القديمة- إحدى أهم البلدات التاريخية في منطقة الجنوب الليبي(7), حيث تعتبر الوحيدة من بين تلك البلدات التي مازالت محتفظة بتركيبتها العمرانية وشكلها العام المتميز بالتماسك ووحدة الأجزاء. وتمثل البلدة أنموذجاً واضحاً لتجمع بشري مثل ثقافة مميزة أظهرت تفاعلاً بين الإنسان وبيئته المحيطة(5), كما يظهر من خلال سلوك سكانها المرتبط بالتمسك بالقيم الدينية المستندة على الاهتمام بتعلم القرآن الكريم والسنة النبوية والعلوم الشرعية, ونشرها في المناطق المجاورة الممتدة من جنوب الصحراء حتى مناطق الساحل عبر تنقل وارتحال علمائها في مراحل مختلفة من تاريخها.

وتتميز شوارع البلدة بكونها ضيقة ومتعرجة تحمل أسماء مختلفة. ويوجد بالبلدة ما يقارب الثلاثمائة منزل, بُنيت حوائطها من الحجر والطين, وبعضها من القوالب المربعة المضروبة من الطين التي, أما أسقفها فهي من جذوع النخيل(3). وتحوي البلدة إلى جانب المسجد العتيق عدة مساجد وزوايا أخرى, أهمها مسجد الشرفاء والمسجد الصغير المؤسسان في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) وزاوية الشيخ حامد الحضيري المؤسسة في أوائل القرن الحادي عشر الهجري وزاوية الشيخ عثمان العالم المؤسسة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري.

وتقع مقبرة البلدة في الناحية الغربية منها على بُعد حوالي نصف كم تقريباً, وهي مشهورة باسم مقبرة الشيخ حامد الحضيري(8), ويدفن بها أغلب سكان المدينة. وهذه المقبرة يوجد بها العديد من أضرحة المشايخ والعلماء المشهورين, وذلك قبل أن يتم هدمها مؤخراً.

كما تحوي البلدة معالم أخرى أهمها: مدرسة اليونسكو القديمة, والمستشفى والسجن الفرنسي الذي تأسس خلال حقبة الانتداب الفرنسي لإقليم فزان, بالإضافة إلى مبنى كان يستخدم مركزاً إدارياً لولاية إقليم فزان(5).



شكل رقم (1) : صورة فضائية لبلدة الجديد القديمة وسط التوسع العمراني لمدينة سبها

3. التعريف بالمسجد العتيق بمدينة سبها

1.3. الموقع :

يقع المسجد بالطرف الغربي لبلدة الجديد القديمة. تحاذيه المباني القديمة للبلدة من جميع الجهات, ما عدا واجهته الرئيسية فتطل على الطريق الرئيس المعبد المحاذي لطرف البلدة من الناحية الغربية(7). وكان قديماً يقع داخل سور البلدة القديمة في شارع القصر غربي البلدة, بعد أن أزيل جزء من السور المقابل له(9). ويتربع المسجد على مساحة إجمالية تتجاوز الألف متر مربع تتوزع على مختلف مكوناته ومرافقه.



شكل رقم (2) : صورة فضائية توضح موقع المسجد بين مباني بلدة الجديد القديمة



شكل رقم (3) : منظر عام للمسجد العتيق بمدينة سبها

2.3. التأسيس:

تأسس المسجد العتيق - أو الجامع الكبير كما يسميه البعض - في النصف الأخير من القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) تقريباً. وهو أول بناء يقام ببلدة "الجديد" القديمة عندما قام الشيخ محمد الحضيبي ببنائه وألحق به مدرسة أو زاوية لتعليم القرآن الكريم وبنى منزله بالقرب منه. حيث استوطن حوله بعض سكان البلدات والقرى الموجودة آنذاك - مثل (الجديد الشارف وأم الرويس والأحمر وغيرها) - لغرض تعلّم العلوم الدينية وحفظ القرآن الكريم وتعلّم القراءة والكتابة بالزاوية الملحقة به (3). واستمر المسجد في أداء وظيفته حتى وقتنا الحاضر. ولا يزال المسجد باقياً على تصميمه الأول، غير بعض التعديلات الطفيفة التي أدخلت عليه عند إجراء التوسعات المتعاقبة بسبب ضيق المسجد نتيجة زيادة عدد المصلين.

والشيخ العلامة محمد الحضيبي - مؤسس المسجد - هو محمد بن عبد الله (يلقب بأبي رشادة) ابن إبراهيم بن محمد الناعمي. ولد في النصف الأول من القرن التاسع الهجري وتوفي في أواخره (10). خرج من بلدة تعرف بـ "الجديد الشارف" وبنى هذا المسجد وخصص به زاويته التي استقلت عن المسجد فيما بعد وعرفت بزاوية الحضيبي. وكان من أشهر من تتلمذ عليه ابنه الشيخ حامد المعروف بـ "حامد الكبير" الذي قتل داخل المسجد وكان قد تولّى إمامة المسجد بعد والده. وذلك على يد قطاع طرق الصحراء في وقت السحر قبل صلاة الفجر كما تذكر الروايات المتداولة، وقد دفن بالمسجد وبقي جثمانه إلى وقت قريب قبل أن ينقل إلى مقبرة بلدة الجديد بالمدينة (6) المعروفة باسم ابنه الشيخ "حامد الحضيبي" المشهور بلقب الغوث كما يسميه أهل التصوف.

3.3. وصف المسجد والتوسعات والتعديلات التي أجريت عليه:

1.3.3. المبنى القديم والتوسعة الأولى :

الجزء القديم من المسجد الذي يمثل بيت الصلاة الرئيس بُنيت حوائطه من الأحجار والطين، وكان مسقوفاً بجذوع النخيل - قبل أن يستبدل سقفه بالخشب - وذلك على غرار مباني ومساكن البلدة القديمة المجاورة له. وتوجد به أعمدة سميكة مبنية من الحجارة والطين أيضاً، يبلغ مقطعها العرضي حوالي المتر المربع الواحد، ويعلوها أقواس بنفس السمك تقريباً. كما توجد فتحات غائرة بالحوائط لوضع الأشياء بداخلها.

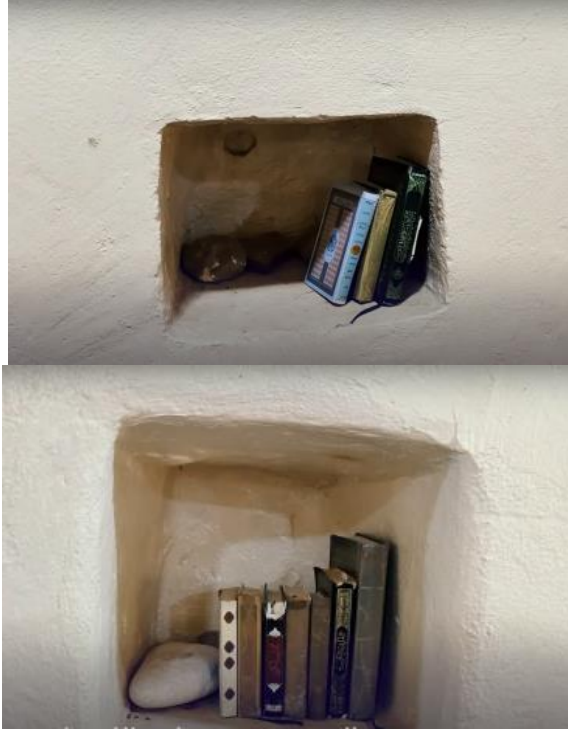
وكانت توجد بئر قديمة تستخدم للوضوء تقع خارج المسجد لحاجة الناس للشرب منها، ثم تمّ ضمها بسياج إلى المسجد قبل أن تصبح جزءاً منه بعد إجراء التوسعة الأولى من جهة المشرق خلال ثلاثينات القرن الماضي⁽⁹⁾ (الربيع الثاني من القرن العشرين الميلادي) في عهد إمامه الشيخ إبراهيم بن حامد الحضيري (المشهور بالدامي) والمتوفى في العام 1942 م، حيث روعي فيها الحفاظ على نفس الطراز من الأعمدة والأقواس الداخلية، واتسع المسجد لعدد عشرة صفوف بعد أن كان يسع لستة صفوف من المصلين.



شكل رقم (4) : منظر عام للمسجد العتيق بمدينة سبها



شكل رقم (5) : استخدام الخشب في سقف المسجد ضمن أعمال التوسعة



شكل رقم (6) : صور لفتحات غائرة بالحائط لوضع الأشياء بداخلها

يتوسط المبنى القديم للمسجد اثنا عشر عموداً، ويوجد في مقدمته تجويف لمحراب الصلاة، وتجويف آخر لمكان المنبر المصنوع من الخشب، وكان قديماً -حتى أربعينات القرن الماضي- يستخدم جذع نخلة أو ما شابه لصعود خطيب الجمعة عليه، ثم تم صناعة أول منبر خشبي من قبل الأسطى النجار المهدي بن محمد الكشكري(8). وللمبنى القديم بابان في الحائط الخلفي، وباب في وسطه من الناحية الجنوبية، وباب صغير بجائز القبلة يدخل منه الإمام لصلاة الجمعة. كما توجد به ثلاث نوافذ عريضة بالجهة الشمالية، وتقدر مساحته بحوالي 200 متر تقريباً.



شكل رقم (7) : الأعمدة والأقواس السمكية داخل المبنى القديم للمسجد



شكل رقم (8) : تجويف المحراب داخل حائط القبلة



شكل رقم (9) : صور توضح المنبر الموضوع داخل تجويف بحائط القبلة

2.3.3. الإضافات والصيانات والتعديلات الحديثة للمسجد:

أجريت التوسعة الثانية للمسجد في عام 1976م في عهد إمامه الشيخ عثمان بن عبد الرحمن الحضيري المتوفى في العام 1983م (9)، حيث أضيفت للمسجد مساحة خلف بيت الصلاة القديم -تمثل صحن المسجد- تقدر بحوالي 180 متراً مربعاً أسقف جزء منها بالخشب، وهي تسع لتسعة صفوف من المصلين، وبه محراب خارجي للصلاة تتوسطه أربعة أعمدة خرسانية دائرية وأربعة مداخل. وأزيلت في هذه التوسعة بضع شجرات من نخيل التمر من نوع يعرف بـ (الأقروزة) (8).

كما أضيفت مساحة طويلة على امتداد الجهة الجنوبية للمسجد تقدر بحوالي 140 متراً مربعاً، تستوعب ثمانية

عشر صفاً للصلاة، وبها بابان خارجيان أحدهما في الجهة الجانبية الجنوبية، والآخر يفتح على الواجهة الرئيسة بالجهة الغربية، بالإضافة إلى ثلاثة أبواب تطل على داخل المسجد. وهي أيضاً مسقوفة بالخشب وتتوسطها ستة أعمدة، وبها أربعة نوافذ.

واستبدل خلال أعمال الصيانة هذه؛ حوض الوضوء القديم - المعروف بالكروة- والموجود منذ القرن الحادي عشر الهجري (8) بمواضع ودورات مياه حديثة، ووضع خارج المسجد. كما تمّ فيها وضع مئذنة مرتفعة من الحديد استبدلت بالمئذنة القديمة، كذلك تمّ وضع قبة المسجد الحديدية فوقها.



شكل رقم (10) : صورة المحراب الخارجي بصحن المسجد



شكل رقم (11) : صورة توضح التوسعة الجانبية للمسجد من الناحية الجنوبية



شكل رقم (12) : صورة توضح "الكورة" بعد وضعها خارج المسجد



شكل رقم (13) : صورة لمئذنة المسجد من جهة البلدة القديمة

أما التوسعة الثالثة الأخيرة فقد تمت في العام 1984م في عهد إمامه الشيخ الطاهر محمد بن عبد الله الأحيرش الحضيرى المتوفى في العام 2023 م, حيث أضيف للمسجد صالتان سفلية ثم علوية, وهي عبارة عن محاضر لتدريس القرآن ومصليات ربطت بالمسجد وبنيت بناء حديثاً. مساحة كل منهما 140 متراً مربعاً, وتسع كل منهما لعدد خمسة صفوف. وشكلت هذه الإضافة الواجهة الخارجية للمسجد وفق الطراز المعماري الحديث.



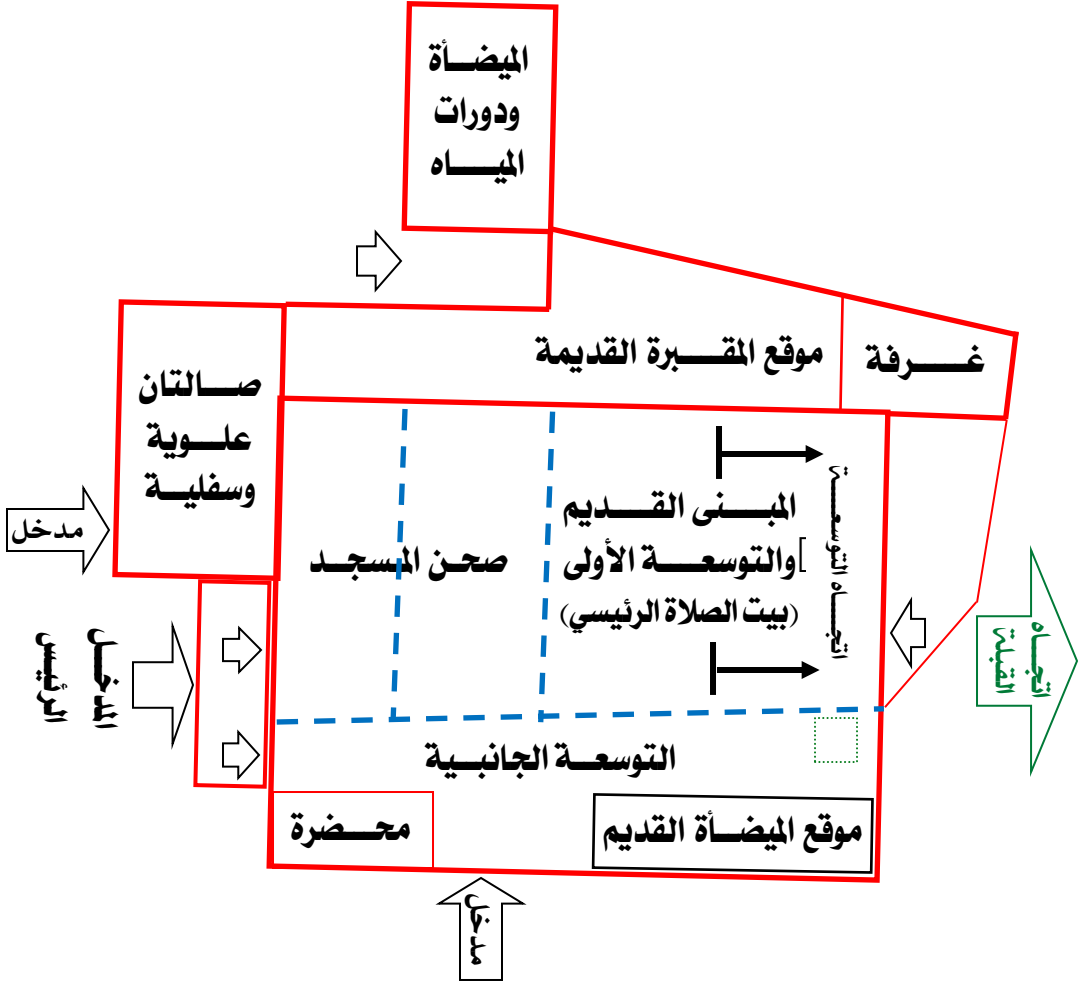
شكل رقم (14) : صورة للجزء الرابط بين المسجد القديم والإضافة الحديثة التي تمثل واجهة المسجد



شكل رقم (15) : صورة لواجهة المسجد العتيق بحي "الجديد" بسبها

كذلك حصلت بعض التعديلات مؤخراً وذلك على الرحاب الخارجي والمدخل الرئيس للمسجد. وتم قبلها نقل الميضية ودورات المياه إلى الجهة الشمالية في العام 2001 م ليصبح منفصلاً عن مسقوف المسجد، كما أسقفت بقية المساحة الأمامية للمسجد التي تشكل صحن المسجد الخارجي وهي بمحدود 80 متراً مربعاً، وذلك في العام 2008 م.

كما تم نقل المقبرة القديمة المحاذية لبيت الصلاة في العام 2013 م إلى مقبرة المدينة المعروفة بمقبرة (سيدي حامد). وفتح بها باب للدخول منها إلى المبنى القديم بالمسجد.



شكل رقم (16) : مخطط يوضح أجزاء ومكونات المسجد العتيق بمدينة سبها

التوسعة أو التعديل	تاريخها	المساحة المستهدفة	عدد الصفوف المضافة	الزيادة في عدد المصلين
التوسعة الأولى لبيت الصلاة الرئيس	ثلاثينات القرن الماضي	100 متر مربعاً تقريباً للتوسعة	4 صفوف	70 مصلياً تقريباً
التوسعة الثانية	1976 م	180 متراً تقريباً خلف بيت الصلاة القديم (صحن المسجد)	9 صفوف	150 مصلياً تقريباً
التوسعة الثالثة الأخيرة		200 متر مربعاً تقريباً على طول الجهة الجنوبية للمسجد	18 صف	200 مصلياً تقريباً
إضافة صالتان خارجيتان (علوية وسفلية)	1984 م	80 متراً مربعاً لكل صالة	5 صفوف لكل صالة	80 مصلياً تقريباً في كل صالة
نقل الميضأة ودورات المياه إلى الخارج	2001 م	60 متر مربعاً	—	—
سقف الصحن الأمامي للمسجد	2008 م	80 متر مربعاً	—	—
نقل المقبرة القديمة	2013 م	60 متر مربعاً	—	—

الجدول رقم (1) يوضح أطوار ومراحل التوسعة والتعديلات والتغييرات التي حدثت للمسجد، والزيادة الناتجة عنها في عدد الصفوف وأعداد المصلين.
جدول رقم (1): يوضح أطوار ومراحل التوسعة والتغييرات التي حدثت للمسجد

4.3. أوقاف المسجد:

للمسجد أوقاف وأحباس كثيرة - أهمها مزارع من النخيل والبساتين - أوقفها عليه الخيرون من أهالي المدينة لصرف ريعها على أئمة المسجد والقائمين عليه ومحفظي القرآن الكريم وطلبة العلم الشرعي وذلك خلال فترات متعددة من تاريخه (8).

وكان الوقف الخيريّ يقسم إلى ثلاثة أثلاث: ثلث للمحراب وثلث للمئذنة وثلث للمحاضرة كما يشار إليها في الوثائق المتعلقة بتلك الأوقاف, وتعطى للإمام وللمؤذن وللفقيّ وهو معلم القرآن, حسب هذه التقسيمات. وأحياناً يقسم الوقف إلى أربعة أرباع: ربع للمحراب وربع للمئذنة وربع للمحاضرة وربع لزيت المصباح والحصير (وتعطى لقيّم المسجد). أما الأوقاف الذريّة؛ فإذا انقطعت فإنها تؤول إلى المسجد العتيق وزاوية الشيخ حامد الحضيري والمقبرة(8).

وما يؤسف له حقاً؛ أنه وخلال العقود الأخيرة أهمل أغلب هذه الأوقاف وتوقف نتاجها.

4. الدور الدعوي والتعليمي للمسجد

يمثل المسجد دور المؤسسة الدينية التي تمارس فيها العبادات من صلاة وتلاوة للقرآن والأذكار ودروس الوعظ وغيرها من النشاطات الدينية كالقضاء ومجالس الحل والعقد, بالإضافة إلى الدور التعليمي بدءاً من تعلم القراءة والكتابة إلى تحفيظ القرآن الكريم ووصولاً إلى تعلم مختلف علوم اللغة والعلوم الشرعية.

ولقد اضطلع المسجد العتيق بسببها منذ تأسيسه بهذا الدور من خلال الزاوية التي ألحقها به مؤسسه(6). ومن أشهر من تتلمذ على يد مؤسسه وإمامه؛ ابنه المعروف بـ "حامد الكبير" وابنه الشيخ أبوبكر (909 هـ 1503 م) وحفظ القرآن الكريم على يديه, وقد كان - الشيخ أبوبكر - خطيباً مفوهاً انتشرت خطبه في جهات متعددة من طرابلس التي توفي بها سنة (996 هـ 1587 م) ودفن بالظهرة في مقبرة اشتهرت باسمه "بُوبُكِر".

ومن أبرز العلماء الذين خرجوا من بين عرصات هذا المسجد الشيخ حامد بن حامد بن محمد الحضيري (1567م - 1646م) والشيخ علي بن أبي بكر بن محمد الحضيري (1572م - 1650م) والشيخ أحمد بن إبراهيم بن محمد وغيرهم الكثير(10).

وكان لهؤلاء العلماء مكانة مرموقة بين أبناء عصرهم, اكتسبوا من خلال تألقهم وبروزهم في ميادين العلم والمعرفة. كما كانت لهم قدم راسخة وآثار ملموسة في التأليف والتدريس والفتوى والقضاء, فألفوا العديد من الكتب في الفقه والتوحيد والتصوف واللغة والفلك, كما أنهم نظموا القصائد في مدح الرسول "صلى الله عليه وسلم" وفي السيرة النبوية وسيرة الصحابة "رضوان الله عليهم" كما جادت قرائحهم بنظم المتون وكتابة الشعر.

وامتد أثرهم في كافة مناطق فزان وربوع ليبيا, وانتشروا في المناطق المجاورة الممتدة من جنوب الصحراء حتى

مناطق الساحل(11)، بل امتد أثرهم إلى ما وراء الحدود في أفريقيا (النيجر ومالي وتشاد ونيجيريا).

وخلفت تلك الشخصيات العلمية الفذة نتاجاً علمياً - استند على الاهتمام بالقرآن الكريم والسنة النبوية والعلوم الشرعية- تمثل في كم هائل من المخطوطات والمتون والوثائق يعد مرجعاً علمياً للمهتمين والباحثين.



شكل رقم (16) : مخطوطة للشيخ أحمد الدريبر الحضيبي، أحد مشايخ بلدة الجديد القديمة

وإلى وقت قريب؛ كانت الطريقة المتبعة في تعليم القرآن الكريم بمحضرة المسجد (الكتاب) هي الطريقة التقليدية المتمثلة في استخدام اللوح الخشبي وقلم القصب(8).

كما يقف المسجد شاهداً على تقليد ثقافي استمر في ليبيا لفترات طويلة وكان سائداً في أغلب دول شمال غرب أفريقيا تمثل في نظام تعليمي مفتوح، وهو نظام الحلقات والقراءة الجماعية للقرآن الكريم التي تقام في بيت الصلاة - المعروفة بالحزب الجماعي - وذلك بعد صلاة المغرب بواقع جزء يوميًا على مدار الشهر الهجري والذي مازال مستمراً حتى يومنا هذا، واقتفت بعض مساجد المدينة بهذا الأثر في أسلوب القراءة.

بالإضافة إلى:

الاحتفاء بالمولد النبوي الشريف طوال شهر ربيع الأول، وإحياء ليلته حتى الفجر بالمدائح والأذكار والقصائد الشعرية المتوارثة. وقراءة قصة مولده وشمائله - عليه الصلاة والسلام- في الأيام التي تلي ليلة المولد.

المحافظة على سنة رفع الأذان لصلاة الجمعة ثلاث مرات عند جلوس الخطيب على المنبر.

توزيع مصحف مجزأ قبل صلاة الجمعة وهي ختمة قرآن أسبوعية؛ يهدى ثوابها لأموات المسلمين. ويعرف هذا المصحف المجزأ بـ (الربعة)، وكانت توجد منه نسخة مخطوطة وحيدة بالمسجد قبل انتشار المصاحف المطبوعة.

- تعارف أهل المدينة بتوليّ إمام المسجد العتيق إمامة المصلين في صلاة العيد بساحة المدينة المخصصة لصلاة العيد والصلاة على الجنائز.
- اعتبار المسجد الوجهة الرئيسة لبعض الناس لأخذ الفتوى قديماً وحديثاً .
- رفع الأذان وفق الصيغة المعتمدة بالمذهب المالكي وبنبرة تقليدية متوارثة.

ومن الملاحظ أن المسجد منسجم مع محيطه روحياً ومكانياً، وهناك علاقة حسية وجدانية بين المسجد والسكان وخاصة في المناسبات الدينية مثل شهر رمضان والمولد النبوي الشريف، حيث يقصده المصلّون من أماكن متعددة من المدينة.

5. الخاتمة

1.5. النتائج:

- المساجد هي بيوت الله، وهي أدلة مرئية خالدة تشهد على تاريخ الأمة الإسلامية وحضارتها. ويعد المسجد مؤسسة دينية ثقافية علمية وتربوية اجتماعية، يؤدي خدمة عمومية جلية للمجتمع. كما أنه مركز لنشر الدين والقيم الأخلاقية.
- المسجد العتيق بسبها أقدم مساجد المنطقة، وكان له دور بارز ومتميز في مجال الدعوة والتعليم ونشر العلوم الشرعية في محيطه الجغرافي الممتد من جنوب الصحراء حتى مناطق الساحل. ومنذ نشأته وهو يمثل روح البلدة القديمة بالمدينة وقلبها النابض، وقد أسهم في تعزيز وحدة الأهالي. فهو فضاء الالتقاء اليومي والتجمع الأسبوعي بين الأفراد المصلين بمختلف أعمارهم.
- يحتفظ المسجد بأصالته التاريخية وقيمتها المعمارية من خلال احتفاظه بنفس الملامح ومواد البناء لحوائطه الهيكلية. كما أنه يؤدي الوظيفة نفسها كمكان للعبادة وتعلّم القرآن الكريم والعلوم الشرعية. ويظهر بوضوح مدى التأثيرات القوية لعمارة المسجد القديمة التي اندمجت بالطراز المعماري السائد، وذلك على

- امتداد فترة من الزمن تجاوزت الخمسمائة عام. اندمجت فيها العمارة القديمة السائدة بالطراز المعماري الحديث الذي ظهر مؤخراً على مداخله وواجهاته الخارجية.
- من الواضح أن عمارة المسجد يبدو عليها البساطة والبعد عن الزخارف, وأن تأسيسه جاء منسجماً ومندمجاً مع بيئته المبنية المحيطة به من خلال التمسك بالمقاييس والأحجام الصغيرة نسبياً. قبل أن يتطور لاحقاً ليفي بالمتطلبات الجديدة في ازدياد عدد المصلين. ويعد المسجد أمودجاً بارزاً لنمط من البناء المعماري الذي يمثل فترة من التاريخ الذي مرت بالمنطقة.
 - المسجد في حالة جيدة جدا من حيث بُنيته الهيكلية وأداء وظيفته كمكان للعبادة , ويولي الأهالي والمصلين عناية كبيرة به، ويقع ضمن منطقة حيوية يجعل منه معلماً لافتاً ومقصداً للزائرين.
 - يعد هذا البحث — حسب علم الباحث — هو الأول من نوعه الذي اهتم بتخصيص هذا المسجد وإفراجه بالدراسة. وهو بذلك قد فتح الباب أمام الباحثين والمهتمين في الولوج لمزيد من البحث والاطلاع فيما يتعلق بهذا المسجد التاريخي العريق.

1.5. التوصيات:

- الاهتمام بالمساجد التاريخية والقديمة في منطقة فزان بالجنوب الليبي على وجه الخصوص وفي ليبيا بشكل عام. والسرعة في كتابة وتدوين تاريخها المخزون بالذاكرة البشرية عند كبار السن المعاصرين لمراحل زمنية من إنشائها، مع ما يعتري النفس البشرية من العجز وانتهاء الأجل.
- القيام بدراسة المساجد القديمة الأخرى بالمنطقة حسب أماكن تواجدها. وذلك من ناحية أنماطها المعمارية وتطور أشكالها عبر المراحل التاريخية المختلفة.
- إيلاء عملية الصيانة والترميم للمساجد القديمة اهتماماً كبيراً، وإسنادها إلى الجهات المختصة بشؤون التراث من أجل المحافظة عليها.

6. المراجع:

- [1] د. إبراهيم أحمد المختار الحضيري، بلدة الجديد القديمة بسبها: مورد خام للسياحة التاريخية، عرض معد للمشاركة في المؤتمر الدولي الثاني للسياحة في ليبيا، 2019 م.
- [2] أبوبكر عثمان القاضي الحضيري، نشأة التصوف ودخول الطرق الصوفية لمناطق فزان، الطبعة الأولى، 2006 م.
- [3] أبوبكر عثمان القاضي الحضيري، فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء.
- [4] جهاز إدارة المدن التاريخية، صفحة الفيسبوك، ليبيا، 2024/1/17 م.

- [5] د. إبراهيم أحمد المختار الحضيري, استمارة الترشيح على قائمة التراث المادي والطبيعي في العالم الإسلامي لبلدة الجديد القديمة بمدينة سبها, 2023 م.
- [6] د. إبراهيم أحمد المختار الحضيري, زاوية الحضيري: دورها وتأثيرها العلمي والاجتماعي في فزان, مجلة أصول الدين/ الجامعة الأسمرية الإسلامية, المجلد السابع, العدد الأول, يونيو 2023 م.
- [7] إدارة جهاز المدن التاريخية, وزارة الحكم المحلي, ليبيا, دراسة المخطط العام لبلدة "الجديد" القديمة بمدينة سبها, 2012م.
- [8] سكان وأهالي بلدة الجديد القديمة, روايات متواترة من بعض المهتمين والمؤرخين, سبها, 2024م.
- [9] أبوبكر عثمان القاضي الحضيري, اللوحة التوثيقية المعلقة بجدار المسجد العتيق بسبها, 1983 م.
- [10] أبوبكر عثمان القاضي الحضيري, المسك والريحان فيما احتواه عن بعض أعلام فزان (مخطوطة محققة), 1996 م.
- [11] حبيب وداعة الحسناوي, الحياة العلمية في فزان في القرنين السادس والسابع عشر الميلادي, مجلة الفصول الأربعة, العدد الثالث, ط 1978م.
- [12] الطاهر الزاوي, معجم البلدان الليبية, منشورات مكتبة النور, طرابلس, الطبعة الأولى, 1968م.
- [13] محمد البشير الحضيري, رؤية في إدارة المدن التاريخية, مكتب ابن رشد للاستشارات الهندسية والتطوير التقني والصناعي, سبها 2013 م.
- [14] المرحوم الشيخ سالم بن حسن الحضيري, مذكرات عضو مجلس النواب الليبي بالملكة (1917 م - 1994 م).
- [15] د. محمد المدني الحضيري, مخطوطات بالمكتبة الشخصية, سبها - الجديد.
- [16] مجلس أهالي بلدة الجديد القديمة بمدينة سبها, محضر التأسيس, سبها - الجديد.
- [17] المجلس العائلي لآل الحضيري, صفحة الفيسبوك, سبها - الجديد, 2023/12/25 م.
- [18] مخطوطات أبناء الحضيري **Hodairis' Manuscripts**, صفحة فيسبوك, سبها.

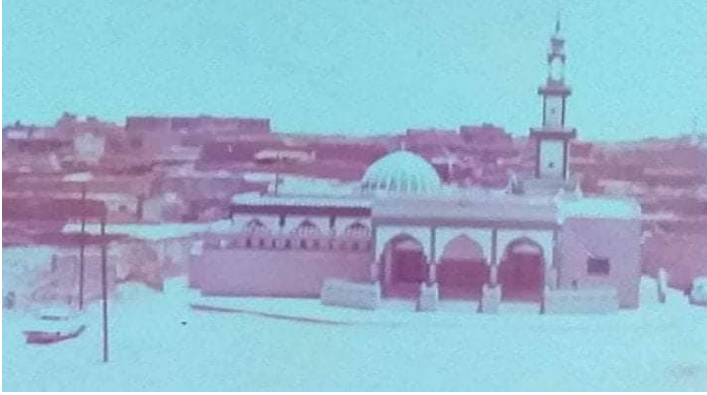
ملاحق

صور من داخل المسجد:





صور لواجهة المسجد عبر فترات زمنية مختلفة:



استفادة أهالي الريانية من المواد المتوفرة في بناء المساجد العتيقة

مسجدي بلدة أولاد علي أنموذجا

د. الزروق سالم عون.. كلية التربية/ الريانية.. جامعة الزنتان.

ملخص البحث

يهدف البحث إلى التعرف على كيفية استفادة أهالي الريانية من المواد المتوفرة في منطقتهم في بناء المساجد العتيقة من خلال مسجدي بلدة أولاد علي أنموذجا، وبالتعرف على تاريخ بنائهما والمواد التي انتفع منها والأساليب التي استخدمت في البناء ، كل ذلك من أجل تسليط الضوء على مواد البناء المتوفرة وكيفية استخدامها في بناء المساجد، لإشعار من يعينهم الأمر أهمية الأساليب التي كانت تمارس في البناء لتمكن من ترميم هذه المساجد بنفس تلك المواد التي بنيت بها لتلائم وقت بنائها.

الكلمات المفتاحية: الاستفادة: الانتفاع، أهالي الريانية: تجمع سكاني يقطن وسط الجبل الغربي على الحافة المطلة على سهل الجفارة ، المواد المتوفرة: تلك المواد الموجودة في المنطقة والتي أستخدمت منها في البناء، المساجد العتيقة: تلك الأماكن التي استخدمت لعبادة الله تعالى، وبسبب مرور الزمن طالها القدم فأصبحت عتيقة.

الإطار العام للبحث

المقدمة:

تقع مدينة الريانية على سطح الجبل الغربي الذي يعرف بالعديد من التسميات (المحلية-الإدارية) فمن الأسماء المحلية: جبل نالوت- جبل نفوسة- جبل يفرن- جبل غريان.. الخ، قد تتسع بعض المسميات لتغطي على غيرها أو تتقلص لتعبر عن اسم المدينة نفسها، ومن الأسماء الإدارية: الجبل الغربي- الجبل الطرابلسي.

أماً مدينة الريابنة فهي تتموضع وسط هذا الجبل، وهي عبارة عن تجمع سكاني يبلغ عدد سكانها حوالي 22.000 نسمة في مجموعة بلدات ممتدة من الشرق إلى الغرب هي: أولادعلي- أولاد أبوحسين- أهل العين- الأفاضل- العقيبة- أولاد ريان- أولاد عبد العزيز، وهي تتميز بأنها أرض زراعية تكثر بها أشجار الزيتون، وأشجار التين، وأشجار النخيل، ووفرة المياه، وتشير العديد من الدلائل الأثرية إلى أنها كانت من ضمن المزارع المحصنة أثناء العهد الروماني، لأنها تقع خلف خطوط الدفاع المعروفة، وقد استخدم الأهالي كل ما يوجد في المنطقة من موارد طبيعية في عملية بناء مساكنهم ودور العبادة لديهم.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

إن طبيعة حياة السكان فوق سطح الجبل، لاشك لها أثر على استغلالهم للمواد الطبيعية المتوفرة في مكان إقامتهم مثل: استخدام الصخور والحجارة ومادة الجبس كملاط في الحوائط في الجدران وجذوع أشجار النخيل وأغصان أشجار الزيتون في السقوف والأبواب والنوافذ. ونظرا إلى تقادم الأبنية وإهمال الأهالي لها تسبب في تحطيمها وأصبح معظمها ركاما، إلا المساجد استمرت في حالة جيدة لارتباطها بالجانب الديني، مما أسهم في المحافظة عليها، ونتيجة لعدم اهتمام السكان الحاليين بمواد البناء التي استخدمت في المسجدين نلاحظ بأن هناك تناقضا في الأشخاص الذين لديهم دراية باستغلال المواد الطبيعية القديمة في البناء، مما أدى إلى الاتجاه إلى الصيانة المستعجلة باستخدام مواد بناء حديثة الذي قد يأتي على حساب الطابع التاريخي الأثري، لذلك يكمن تساؤل البحث الرئيس في الآتي:

ما مدى استفادة أهالي الريابنة من المواد المتوفرة في بناء المساجد العتيقة؟
ويتفرع عن التساؤل الرئيس الأسئلة الآتية:

1- متى تم بناء مسجدي بلدة أولاد علي العتيقة؟

2- ما المواد التي استفاد منها في بناء المسجدين؟

ما الأساليب المستخدمة في بناء المسجدين؟

أهداف البحث وأهميته:

يهدف البحث إلى التعرف على كيفية استفادة أهالي الرياينة من المواد المتوفرة في بناء المساجد العتيقة من خلال ما يوجد في مسجدي بلدة أولاد علي نموذجاً يمكن تعميمه على كل المساجد بالمدينة من خلال معرفة فترة بنائهما والمواد التي استفاد منها واستخدمت في البناء والأساليب والطرائق التي تم بها البناء. أما أهمية البحث فتعود إلى كونه أول محاولة على حد علم الباحث في تسليط الضوء على مواد البناء المتوفرة وكيفية الاستفادة منها واستخدامها في المساجد العتيقة بمدينة الرياينة، وتوضيح طرائق البناء القديمة التي كانت تستخدم للاستفادة منها في تدريب أفراد قادرين على ترميم المساجد بنفس طريقة البناء القديمة، بالإضافة إلى تنبيه الجهات المعنية بالمساجد العتيقة على مستوى مدينة الرياينة أو الجهات العليا في الدولية إلى ضرورة الاهتمام بالمساجد العتيقة وترميمها بالصورة المثلى حتى لا تتغير ملامح هذه المساجد من مساجد تاريخية تحاكي ثقافة وحياة بنائها إلى ثقافة الجيل الحاضر ومن ثم تنتفي صفة العتق عنها.

حدود البحث:

أ- الحد الموضوعي: استفادة أهالي الرياينة من المواد المتوفرة في بناء المساجد العتيقة - مسجدا بلدة أولاد علي أنموذجاً.

ب- الحد المكاني: مدينة الرياينة

ج- الحد الزمني: 1217هـ-1802م مسجد أولاد علي العتيق، 1245هـ-1838م مسجد الحلالبة العتيق.

مصطلحات الواردة في البحث:

أ- الاستفادة: ورد مصطلح الاستفادة في معجم المعاني الجامع: بأنه(اسم) مصدر استفاد، والاستفادة من

مجهوداته: الانتفاع بها(1).

ب- أهالي الرياينة:

تجمع سكاني يبلغ عددهم حوالي(22.215)(2) نسمة في مجموع بلدات ممتدة في وسط الجبل الغربي، وقد

¹ -- معجم المعاني الجامع : معجم عربي- عربي، متاح على الموقع: almaany.com تاريخ الدخول 2024 /2/12 م ص

² - جمعة سالم أحمد (أمين مكتب إصدار السجل المدني الرياينة) إحصائية بعدد سكان الرياينة بتاريخ 11 /1 /2023 م

ذكر (التليسي) بأن الريانة عشيرة وتتكون من القبائل الآتية: أولاد ريان، أولاد عبدالعزيز، أولاد علي، أولاد لأبي حسين، الفواضل، أهل العين، العقبية (3).

ج-المواد:

ورد في معجم المعاني: بأن المواد(اسم)، جمع مادة، والمادة كل شيء يكون مددا لغيره، والمادة كل حجم ذي امتداد ووزن، وتشغل حيزاً من فراغ، مواد البناء: لوازمه(4).

د- المتوفرة:

ذكر معجم المعاني بأن متوفر:(اسم) سانح، متاح، مهياً(5).

هـ- المساجد:

المساجد هي أماكن عبادة الله بالسجود والركوع، لأنها ما بنيت إلا للعبادة(6).

و- العتيقة:

العتق في اللغة: "الشيء من باب ظرف أي قدم وصار عتيقاً"(7)

المفهوم الإجرائي:

يرى الباحث أن استفادة الأهالي بالريانة من المواد المتوفرة هي انتفاعهم مما يوجد في المنطقة من مواد بناء تم استخدامها في تشييد المساجد العتيقة سوى أكان مواد صخرية كالحجارة والجبس أم مواد خشبية كجذوع وأغصان الأشجار وغيرها، لتبقى هذه المباني تقاوم عوادي المناخ، وإهمال الإنسان لتشهد على قدرة الأهالي في الاستفادة من كل ما يوجد في منطقة الجبل من موارد طبيعة والانتفاع بها في حياتهم.

ثانياً - الإطار النظري

المبحث الأول - مواقع المساجد وتاريخ بنائها:

يقع المسجدان محل البحث في بلدة أولاد علي التابعة إلى مدينة الريانة وهي تتكون من أربع لحمات هي (الحلالبة، القوائد، المغاربة، المنعة) وقد ذكر أوغسطيني بأنهم "عرب باتفاق الروايات المتواترة وهم مستقرون

3 - خليفة محمد التليسي: معجم سكان ليبيا، ديم، دار الريان، 1981م، ص 179.

4 - معجم المعاني الجامع: مرجع سابق، ص 2.

5- المرجع السابق، ص 3.

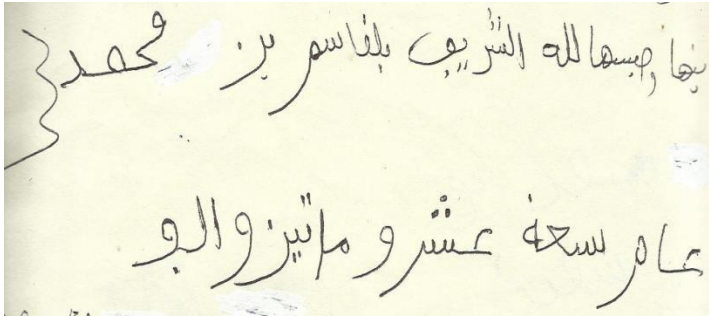
6 - إبراهيم عبدالله أرفيدة وآخرون: معاني القرآن الكريم(تفسير لغوي موجز) الربع الثاني، طرابلس، جمعية الدعوة الإسلامية، 1989م، ص 121.

7 - محمد بن بي بكر الرازي : مختار الصحاح، عنى بترتيبه: محمد خاطر، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1976م، ص 373.

ببلدة الرياينة ويبدو أن لهم أصلا مشتركا واحدا⁽⁸⁾، وهي تقع في الناحية الشرقية من مدينة الرياينة، فالبلدة لم تفرغ من سكانها مهما حدث من جفاف أو الهجرة الموسمية إلى الساحل أو الرحيل خلف قطعانهم أو أثناء حصاد المحاصيل الزراعية في السهل أو الظاهر، وما وجود القصور والغرف والشوارع الضيقة والأزقة والساحات والمساجد العتيقة إلا دليل على استقرارهم بهذه المنطقة منذ مئات السنين لما تحويه من إمكانات، وما توفره من مقدرات أسهمت في الاستيطان البشري، حيث وفرة المياه وتنوع المحاصيل الزراعية، وكثرة الموارد الطبيعية التي ساعدت على البناء وإقامة الإنشاءات المعمارية المتنوعة، وبتناول المسجدين محور هذا البحث يعطينا مؤشرات على مدى استفادة الأهالي من المواد المتوفرة في المنطقة في عملية البناء بصفة عامة، وبناء المسجدين بصفة خاصة.

أ- مسجد أولاد علي العتيق:

ت- تم تأسيس هذا المسجد في البلدة في فترة مبكرة قد تعود إلى أيام سكن المغاور حيث ذكرت عدة روايات بأن المسجد كان عبارة عن مغارة كبيرة فردمت الجهة الأمامية منها حيث تم بناء المسجد في عام 1217هـ حسب الكتابة التي لا تزال في سقف الكمرة الأمامية المقابلة لمدخل الباب في خطوط بارزة إلى الأمام عبارة بهذا الشكل:

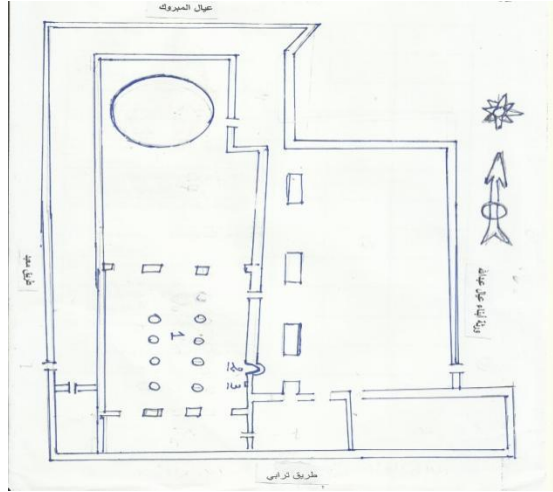


الشكل رقم(1) اسم وتاريخ بناء مسجد أولاد علي العتيق

وهو يبين أن من بناها وحبسها الله الشريف بلقاسم بن محمد عام السابع عشر ومئتين وألف (1217هـ) وهو يقابل سنة (1802م تقريبا) في عهد الوالي يوسف باشا القره مانلي والرسم التخطيطي التالي يبين شكل المسجد القديم والتوسعة الحديثة:

⁸ - هنريكو دي أغسطيني: سكان ليبيا، الجزء الأول، ترجمة وتقديم: خليفة محمد التليسي، طرابلس- تونس: الدار العربية

للكتاب، 1974م، ص 476.



(رسم تخطيطي رقم (1) لمسجد أولاد علي العتيق سنة 2018)

من خلال الرسم التخطيطي السابق يمكن الإشارة إلى المبنى القديم بحيث يتكون من الأتي:
 بيت الصلاة: مقسم على ثلاثة بيوت كامورية ومقامة على ثمانية أعمدة رومانية مجلوبة من كنيسة قديمة (9).
 المحراب: توجد كوة المحراب في الحائط بارزة إلى الخارج.
 المنبر: توجد درجتان أحدهما صغيرة والأخرى كبيرة (من خلال التدقيق يتضح بأن هاتان الدرجتين تم إضافتهما حديثاً) وهو ما يعطي إشارة إلى عدم وجود منبر عند بناء المسجد.
 حجرة الميضاء: كان بالقرب من المسجد غيران تستخدم في الوضوء.
 المفئدة: لا توجد مفئدة عند بناء المسجد حيث يصعد المؤذن على سطحه لإقامة الأذان.



(صورة رقم (1) توضح الجزء الشمالي من مسجد أولاد علي العتيق)

⁹ - إن رواية الأعمدة التي قطعت من كنيسة رومانية قديمة متداولة عند جميع الأهالي ببلدة أولاد علي، ولكن لم أجد أي مرجع أو دراسة تؤكد أن هذا المكان الذي أخذت منه الأعمدة يعود إلى كنيسة.

مسجد الحلالبة العتيق:

يقع المسجد في جوار بيوت عائلة الحلالبة القديمة وهو مقام على حافة الجبل المطل على منطقة الكاف والخشة إلى الجهة الشمالية من المساكن، يحده من الشرق حافة الجبل ومن الشمال المنحدر نحو الوادي العميق، ومن الغرب شارع ضيق يمر بوسط المساكن، أما من الجهة الجنوبية يحده بقايا قصر الحلالبة القديم المعروف (بقصر الصياح)،

والصورة التالية تبين المسجد من الجهة الشمالية وبنائه على حافة الجبل



(صورة رقم 2) توضح مسجد الحلالبة العتيق من الجهة الشمالية)

وقد تم بناؤه عام (1245هـ) ما يقابل سنة (1838م تقريبا) يعود إلى بدايات العهد العثماني أي في عهد الوالي علي عسكر باشا الذي تولى حكم ايالة طرابلس الغرب عام 1838م إلى عام 1842م عندما استعدى إلى اسطنبول ووصول محمد أمين باشا إلى طرابلس ليحل محله (10)، أما من قام بعملية البناء اختلفت الروايات كثيرا حوله (11) مع الإشارة لوجود اسم (صطاه علي بن سالم) وهو في الأقواس الداخلية في مستطيل بارز في السقف مع وجود أسماء أخرى منها اسم مسعود بن محمد والصورة التالية تبين تاريخ بنائه وهو موجود في القوس الداخلي للمسجد مكتوب بشكل مقلوب (12)، واسم علي بن سالم متكرر في أثناء عشر موضعا في الأقواس والحيطان والأسقف الكامورية:

10 - أنتوني ج كاكيا : ليبيا خلال الاحتلال العثماني الثاني 1835-1911م، طرابلس: دار الفرجاني، 1957م ص 30-32.

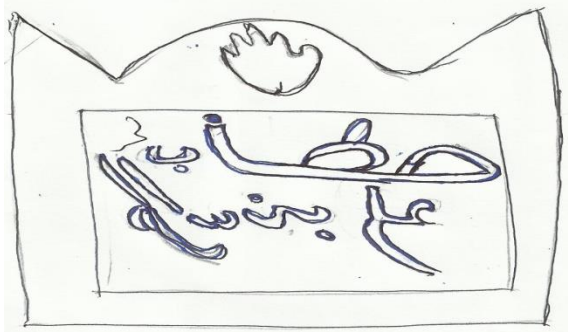
11 - في غياب الوثائق الدالة على من قام ببنائه كل عائلة تدعي شرف بنائه لها ولذلك الباحث لم يرجح أي منها.

12 - للمزيد حول التاريخ والزخارف بمسجد الحلالبة العتيق ينظر بحثنا بعنوان " زخارف مسجد الحلالبة العتيق ومدلولاتها الشعبية

ببلدة أولاد علي في الجبل الغربي" مجلة القرطاس، العدد الثالث والعشرون، 2021م، ص 1-30.

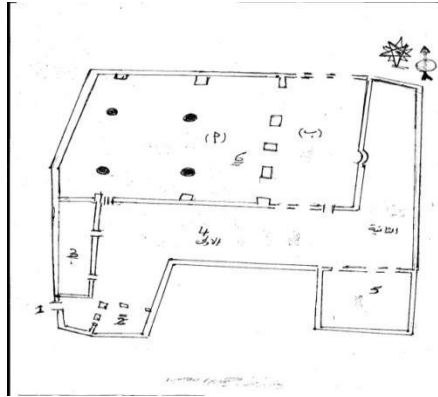


(صورة رقم (3) توضح تاريخ بناء مسجد الحلالبة العتيق)



(شكل رقم (2) يوضح اسم الأسطى علي بن سالم)

والرسم التخطيطي التالي يبين بيت الصلاة والساحات وحجرة تحفيظ القرآن:



(رسم تخطيطي رقم (2) بين مسجد الحلالبة العتيق)

رقم 1: مدخل المسجد: فهو يفتح في الجهة الغربية على الشارع الرئيس للمساكن ويفتح في هذا الاتجاه نظرا

لان المسجد في الجهة الشرقية على حافة الجبل، وكان المدخل في الماضي عبارة عن باب مصنوع من خشب

أشجار النخيل مثبتة عن طريق أوتاد من شجر الزيتون، وفي عقد الثمانينات من القرن الماضي تم تغييره بباب من الحديد وأبعاده 1.10 متر عرض و1.50 متر ارتفاع.

رقم 2: حجرة تحفيظ القرآن: فهي تقع بعد مدخل المسجد مباشرة ومساحتها من الشمال إلى الجنوب 1.30 متر وطولها من الشرق إلى الغرب 3.10 متر وتجمع الروايات بأنها كانت إحدى حجرات قصر الحلالبة القديم (قصر الصباح)، وتم التبرع بها إلى المسجد، وأصبحت في العقود الأخيرة تستخدم في تحفيظ القرآن الكريم وخاصة للأطفال المبتدئين نظراً لصغر مساحتها.

رقم 3: غرفة الإمام القديمة: فهي تقع إلى اليسار من باب المسجد تفتح في فسحة داخلية، وتبلغ مساحة هذه الحجرة 2.70 متر من الشرق إلى الغرب، وطولها من الشمال إلى الجنوب 5 متر، وهي مسقوفة بجذوع أشجار الزيتون ومغطاة بالحجارة والتراب وحوائطها من الصخور ومادة الجبس وتذهب الرواية إلى أن بناءها تم في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي، وأضيف إليها محراب وإقامة صلاة الجماعة عند توسعة محراب بيت الصلاة في ستينيات القرن الماضي، ثم استخدمت في تحفيظ القرآن الكريم وغرفة اجتماعات واستراحة للضيوف بعد بناء غرفة للإمام في الجهة الشرقية من المسجد في أواخر الستينيات من القرن الماضي ثم تم إزالة هذا المحراب في ثمانينات القرن الماضي وأصبح لهذه الغرفة بابان .

رقم 4: الساحات: توجد بالمسجد ساحتان متصلتان الأولى: أمام بيت الصلاة وبعد دخول المسجد وهي متصلة مع الساحة الشرقية، وهي التي يفتح بها باب بيت الصلاة من خلال الباب القديم المغلق في جهتها الغربية ويفتح فيها باب الصلاة الحديث في جهتها الشرقية، ومساحة هذه الفسحة من الشمال إلى الجنوب 5.30 متر ومن الشرق إلى الغرب 3.70 متر .

أما الثانية: فهي الساحة الشرقية المطلة على حافة الجبل وهي متصلة مع الساحة الأولى ويبرز فيها المحراب ودرجات تعلوه لغرض صعود المؤذن للمناداة إلى الصلاة وتفتح فيها غرفة الإمام الحديثة نوعا ما، مساحتها من الشمال إلى الجنوب 4.60 متر، ومن الشرق إلى الغرب 3.00 متر وكان الحائط الشرقي لهذه الساحة عبارة عن صخور مرتبة على بعضها إلى ثمانينات القرن الماضي عندما تم بناؤها بالاسمنت بارتفاع بسيط لا يزيد على 40 سم.

رقم 5: غرفة الإمام الحديثة: تم بناء هذه الغرفة في أواخر ستينات القرن الماضي وهي مبنية من الصخور ومادة الاسمنت ومصقولة جيدا ومسقوفة بعوارض حديدية وطوب الأجر (وقد آلت للسقوط)، ومساحتها من الشمال إلى الجنوب 5.00 متر وعرضها من الشرق إلى الغرب 3.90 متر واستخدمت لإقامة إمام المسجد .

رقم 6: بيت الصلاة: يمكن تقسيم بيت الصلاة بمسجد الحلالبة العتيق على قسمين هما:

القسم الأول (أ): بيت الصلاة قبل التوسعة: فهو شبه مستطيل إلا انحناء بسيط في الجهة الشمالية من الحائط الغربي، ويقوم على أربعة أعمدة دائرية تذهب بعض الروايات بأنها أعمدة رومانية جلبت من كنيسة قديمة والتي يعتقد بأنها كانت كنيسة رومانية بالإضافة إلى أربع أكتاف تحمل السقف البرميلي في ثلاثة أروقة (فراغات) بحيث يوجد بين العمودين الدائريين والحائط الغربي رواق (يسمى محليا طلقة) وبين الأعمدة الدائرية الأربع رواق وما بين الأعمدة الدائرية الوسطى والحائط الشرقي الذي كان به المحراب القديم رواق، ولكن بعد التوسعة أصبح الحائط الشرقي عبارة عن أكتاف غير متساوية على شكل أربعة مستطيلات تحمل السقف ومربوط بما سقف التوسعة، ومساحة هذا القسم الكلية من الشرق إلى الغرب 4.65 متر، ومن الشمال إلى الجنوب 5.37 متر، ويوجد به الباب القديم الذي يتضح بأنه مقفل نهائيا وفي الجزء العلوي نافذة بسيطة مستطيلة مساحتها 50 سم

عرض و30 سم ارتفاع، وأيضاً توجد نافذة في الجهة الشمالية يتضح بأنها حديثة نسبياً عرضها 40 سم وارتفاعها 45 سم أما السقف في هذا القسم مبني بالجبس على شكل كمرات في الأروقة الثلاث، وكذلك توجد به مجموعة كوات في الحائط الجنوبي الداخلي وما بين الأقواس وهي عبارة عن " فراغات تحفر في الجدران وتستعمل لوضع أدوات ذات منفعة ولها شكل مربع..."(13)

ومن خلال هذا الوصف يتضح أنه يميل إلى الطراز "الاسباني المغربي حيث يستخدم هذا النوع العقود على هيئة حدوة الفرس ويستخدم الدعائم المبنية من الأجر عوضاً عن الأعمدة مما يكسب الأبنية هيئة وجلالا عظيمين"(14).

القسم الثاني(ب): بيت الصلاة وتوسعة المحراب: إن المحراب في المسجد عبارة عن "حنية تبين اتجاه الكعبة"(15) ويعد المحراب من أساسيات المساجد فلا يوجد مسجد بدون محراب، لذلك غالباً ما يتم الاهتمام به من حيث دقة موضعه في المسجد وزخرفته بالفن الإسلامي، أما في مسجد الحلالبة العتيق فتتمت توسعته إلى الجهة الشرقية وتذهب الروايات إلى أن هذه التوسعة حدثت في أوائل الستينيات من القرن الماضي حيث تم زيادة المحراب إلى الأمام بمسافة 2.30 متر وهي مبنية بالصخور والاسمنت وسقفه مسطح وبنفس عرض بيت الصلاة السابق من الشمال إلى الجنوب 5.37 متر، ويحتوي هذا القسم على العناصر الآتية: باب بيت الصلاة بعرض 70 سم وارتفاع 1.80 سم وكان في السابق مصنوع من أشجار النخيل وفي ثمانينيات القرن الماضي تم تغييره بباب من

13 - عزت على خيرى"غدامس.. جوهرة الصحراء" مجلة آثار العرب، مصلحة الآثار العدد: الخامس، سبتمبر 1992، ص117.

14 - زكي محمد حسن: فنون الإسلام، الجزء: الثالث، بيروت: دار الرائد العربي، 1981م، ص16

15 - عادل عيد السلام الشاعرى " بداية ظهور الزخارف العربية الإسلامية"، مجلة آثار العرب، مصلحة الآثار، العدد: الثاني،

مارس 1991، ص75.

الحديد .

2- بعد الدخول من باب بيت الصلاة مباشرة في جهة القبلة درجات المنبر وهي عبارة عن ثلاث درجات

بسيطة.

3- المحراب يقع في اتجاه القبلة بعرض 75 سم وعمق 65 سم وارتفاع 1.80 متر وبه كوة صغيرة تدخل إشاعة

الشمس بعرض 25 سم وارتفاع 25 سم.

مع ملاحظة أن المسجد لا توجد به مئذنة وإنما عبارة عن درجات من الناحية الشرقية تصعد على بروز المحراب

ومنه إلى سقف المسجد حيث يدور المؤذن على سطحه عند إقامة الأذان وبطبيعة الحال فإن صوته يسمع بدرجة

كبيرة؛ لان المسجد نفسه مقام على حافة الجبل وهذا الطراز من مباني المساجد التي لا توجد بها مآذن موجود في

ليبيا كما ذكر (كشبور) في بحثه حول المآذن القديمة بمدينة بنغازي إلى نوع ثان من المآذن وفيه "اقتصرت المئذنة

على عنصر معماري واحد وهو السلم الذي يؤدي إلى سطح المسجد ومن هناك يرتفع صوت المؤذن مناديا

للصلاة" (16)، والصورة التالية توضح درجات فوق المحراب لصعود المؤذن لسطح المسجد:



(صورة رقم 4) تبين درجات فوق المحراب من الخارج للصعود إلى السطح

16 جمعة المهدي كشبور " المآذن القديمة في مدينة بنغازي " مجلة أثار العرب، مصلحة الآثار، العدد: الثاني، مارس 1991،

المبحث الثاني: المواد التي استفاد منها في بناء المسجدين:

إن سكان مدينة الرياينة كغيرهم من قاطني مدن الجبل الغربي/ نفوسة " الذي يمتد من الحدود التونسية إلى الخمس، فهذه السلسلة الجبلية بطول حوالي(500) كيلو متر"(17) استفادوا من الموارد الطبيعية المتوفرة في منطقتهم، والمتمثلة في الصخور والأشجار والأتربة مما مكّنهم من العيش الكريم على سطح الجبل ومن المواد التي استخدمت في بناء المساجد العتيقة بالمنطقة هي:

أ- الصخور:

بطبيعة الحال فإن الصخور الجيرية توجد بكثرة في سلسلة الجبل فهي صخور " بعضها متبلور وبعضها به عقد صوانية... أما تكوينات العصر الكريتاسي فهي أعظم التكوينات الجيولوجية اتساعا في إقليم جبل نفوسة حيث يتكون منها معظم النطاق الجبلي ما بين مدينة الخمس والحدود التونسية... وهي مكونة من صخور جيرية متباينة تختلط بتكوينات طينية أو رملية"(18)، ولذا كانت الصخور أساسية في بناء المساجد العتيقة في مناطق الجبل بصفة عامة ومنطقة الرياينة بصفة خاصة حيث يتم تكسير الصخور من خلال استخدام عتلات خاصة بذلك أو استخدام الأزاميل ويتم تشذيبها في أماكن الخلع وتوضع في أكوام، ثم تنقل إلى المكان المخصص لبناء المسجد بإحجام مختلفة كبيرة ومتوسطة وصغيرة الحجم.

مادة الجبس:

توجد مادة الجبس في سفح الجبل على هيئة طبقات وفي أماكن معروفة حيث يذهب الأهالي إليها، ويتم صنع فرن الجبس: عن طريق حفر حفرة عميقة وترتب بالحجارة، ويتم تسوية حجارة الجبس بطريقة التعشيق بشكل هرمي حيث توضع الحجارة الكبيرة ثم الصغيرة ويطرح عليها مخلفات الحيوانات من أعلى لزيادة اشتعال النيران، ويدخل الحطب من فتحة التهوية، ويمكن بقاء النيران مشتعلة لمدة يوم وليلة كاملة، وعندما تخرج اللسنة اللهب من أعلى يطرح عليها مزيد من مخلفات الحيوانات ثم يستخرج الجبس من الفرن ويحمل قطعاً إلى أماكن البناء(19) والصورة التالية تبين فرن جبس:

17 - محمد المبروك المهدي: جغرافية ليبيا البشرية، طرابلس: المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان، د: ت، ص 30، 31.

18 - عبدالعزيز طريح شريف: جغرافية ليبيا، الطبعة: الثالثة، منقحة ومعدلة تعديلا شاملا، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 1996م، ص 18.

19 - للمزيد حول طريقة صناعة الجبس واستخدامه في البناء ينظر كتابنا: الملامح الحضارية بمدينة الرياينة، الجبل الغربي/نفوسة، طرابلس: نالة للطباعة والنشر، 2023م، ص 218، 219.



(صورة رقم(5) تبين فرن جبس)

ج- التراب:

يعد التراب من أساسيات البناء حيث يتم الاستفادة من الأتربة الصلصالية القابلة للتشبع بالمياه بحيث تغربل من الصخور وتنقع في المياه لزيادة تخميرها وتبقى من فترة ثلاث أيام إلى أسبوع كامل وتنقل إلى مكان البناء.

د- جذوع أشجار النخيل:

تنمو هذه الشجرة المباركة على حواف الجبل وحول عيون المياه ويتم قطع جذوعها بمقاسات مناسبة وتستخدم في السقوف والأبواب.

هـ- شجرة الزيتون:

إن مدينة الريانية محل البحث عامرة بشجرة الزيتون وأكثرها معمرة بحيث توجد بين مختلف البلدات حتى سمية كل مساحة بين بلدة وأخرى بالغابة لكثرة هذه الشجرة المباركة ومن ثم استخدمت في سقوف المنازل والمساجد(20).

المبحث الثالث - الأساليب المستخدمة في بناء المساجد:

تعددت أساليب البناء في المساجد من خلال الاستفادة من المواد المتوفرة من الصخور ومادة الجبس والتراب والأشجار والنباتات، ومن مساكن الأمم السابقة في المنطقة، وهو ما يتم تناوله فيما يلي:

أ- استخدام الصخور ومادة الجبس:

بطبيعة الحال فإن الجبل يحتوي على مادة الصخور بمختلف الأشكال والأحجام لذلك يتم خلع هذه الصخور وتشذيبها وتقطع إلى أجزاء لسهل نقلها بالإضافة إلى حرق صخور الجبس في الأفران وحملها إلى مكان المعد لبناء المسجد من خلال الدواب، أو على ظهور البشر، ويتم وضع الصخور الكبيرة الحجم في الأساسات عن

20 - للمزيد حول أشجار النخيل والزيتون بمدينة الريانية ينظر كتابنا: دراسات حول بلدة أولاد علي بالجبل الغربي، الجزء: الثاني، الدراسة الثانية: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، طرابلس: طباعة شركة أسيل للطباعة والإعلان، 2019م، ص- ص 51- 55.

طريق أقواس تكون متقابلة، وكلما ارتفع الحائط قل حجم الصخور إلى أن يصل إلى أجزاء صغيرة، وكل ذلك يثبت بمادة الجبس التي يتم إعدادها عن طريق تكسير صخور الجبس المحروقة إلى قطع صغيرة جداً قد تصل إلى مرحل الطحن، ثم يقوم العامل بمخلط قليل من الجبس بالماء وأعطاه إلى البناء(الأسطى) الذي يقوم بوضعه في مكانه بسرعة؛ لأنه من المتعارف عليه أن الجبس سريع الجفاف، ويتصلب لذلك تكون سرعة الحركة متبادلة بين العامل والأسطى الذي يقوم بالعمل فلا يتوقف البناء إلى أن ينتهي من الجزء المراد بناؤه، والصورة التالية توضح الأقواس في الحوائط الخارجية:



(صورة رقم 6) تبين أقواس الحوائط الخارجية في المباني

وبعد اكتمال أقواس الحوائط الخارجية يتم قفلها بالصخور وتثبيتها بمادة الجبس، أما السقوف في المسجدين تم استخدام السقف الكاموري(البرميلي) المعتمد على الحجارة الصغيرة ومادة الجبس وأسلوب بناء السقف يتم على النحو الآتي:

- 1- توضح مساند من الأخشاب وأعواد الشجر ويوضع فوقها كيس مملوء بالقش والتبن إذا كان وقت البناء فترة حصاد الزرع، أو كمية من نبات الحلفاء أو ورق الشجر في بقية الفصول، ويكون حجم الكيس حسب المساحة التي تم اختيارها للسقف من الأكياس المتداولة عند الأهالي (الغرارة إذا كان الحجم صغيراً، والحمل(21) إذا كان المساحة كبيرة وقد يربط اثنان مع بعضهما حسب المساحة المطلوبة).
- 2- توضع فوق الكيس كمية من التراب الصلصال المخلوط بالماء والمخمر لعدة أيام بحيث يغطي كل الكيس، وهنا تظهر الجوانب الفنية للبناء أو المعاوين حيث كل منهم يقوم بكتابة ما يحلو له من آيات قرآنية أو الشهادتين أو كتابة أسماء، أو وضع كف اليد، وأحياناً القدم وغيرها حتى يتم زخرفة كل سقف المسجد بالخطوط، الأشكال المتنوعة فلا تترك زاوية أو ناحية إلا يحفر بها.

21 - بالنسبة للغرارة والحمل أدوات تستخدم عند الأهالي للمزيد حولهما انظر : نفس المرجع السابق، ص، ص 71، 72.

3- ثم يتم وضع مادة الجبس ويغلب عليها في السقف أن يكون الجبس أكثر من الصخور وإن استخدمت فيها تكون بإحجام صغيرة جداً، ثم بعد فترة بسيطة قد تكون يوماً أو بعض يوم يتم سحب الأعمدة الساندة للكيس ثم سحب الكيس وإزالة التراب فيبقى السقف معلقاً على الجدران أو الأعمدة في المنتصف، وتبقى تلك الخطوط والزخارف بارزة في السقف ومتدلّية للخارج.

4- بطبيعة الحال فإن المساجد تحتوي بيوت الصلاة فهي من أساسيات المسجد لذلك استفاد أهالي بلدة أولاد علي من خرائب الأمم السابقة بالانتفاع بالأعمدة المتوفرة في أراضيهم بحيث قاموا باستقدام عمالة مهرة من بلدة جنان وهم مشهورون في قطع الصخور بمختلف الأشكال مثل: حجارة معاصر الزيتون أو أداة الرحي التي توجد في كل بيت؛ لأنها من ضروريات الاستخدام اليومي عند الأهالي، بحيث قام هؤلاء بقطع الأعمدة من مكان آثار روماني يعرف عند الأهالي بالكنيسة ويعرف حالياً بمسجد خروف، وحملت هذه الأعمدة إلى مكان بناء المسجد العتيق الذي تم بناؤه سنة 1217هـ بأطوال مناسبة وركبت على الأعمدة تيجان أيونية والملفت للنظر بأن التيجان الثمانية التي ركبت كل واحدة تختلف في الشكل عن غيرها(22)، والصور التالية تبين الأعمدة بمسجد أولاد علي العتيق وبعض التيجان التي حملت سقف بيت الصلاة:



(صورة رقم7) تبين الأعمدة الرومانية ببيت الصلاة بمسجد أولاد علي العتيق



(صور 8، 9، 10، 11) توضح بعض تيجان الأعمدة الأيونية بمسجد أولاد علي العتيق)

5- أما مسجد الحلالبة العتيق الذي تم بناؤه سنة 1245هـ فإن الأعمدة عبارة عن قطع صخور صغيرة تذهب بعض الروايات بأنها جلبت من نفس المكان الذي جلبت منه أعمدة المسجد أولادعلي العتيق ولكنها أصغر حجما، وقطع متناثرة، فتم جمعها مع بعض وطلبت بمادة الجبس، والصورة التالية توضح الأعمدة في مسجد الحلالبة العتيق:



(صورة رقم 12) توضح الأعمدة بمسجد الحلالبة العتيق)

ب- استخدام الأشجار في بناء المساجد:

6- بالرغم من أن مسجدي بلدة أولاد علي محل البحث كانت المادة الأساسية هي الصخور ومادة الجبس، فإنَّ استخدام الأشجار برز في الأبواب والنوافذ وفي الحجرات الخارجية المعدة لتخفيف القرآن وحجرة إقامة قيم المسجد، حيث كانت من جذع أشجار النخيل وساق شجرة الزيتون، وأساليب استخدامها بعد بناء الإطار الخارجي يتم وضع عوارض من شجر الزيتون وترتب جذوع شجرة النخيل التي يتم تقطيعها إلى أجزاء، وكذلك بالنسبة لساق شجرة الزيتون توضع العوارض ثم ترتب الأغصان الفروع بينها وفي كلا النوعين بعد ترتيب الجذوع أو الأغصان، وأحياناً الصخور المستوية تردم بالتراب، وتصبح الحجرة مسقوفة تماماً تمكن الإنسان من العيش فيها، والصور التالية توضح: سقف من جذوع النخيل وسقف من أشجار الزيتون وباب مصنوع من شجر النخيل ومثبت بقطع من شجر الزيتون:



(صورة 15: باب نخيل)

(صورة 14: سقف زيتون)

(صور 13: سقف نخيل)

الخاتمة:

إن مدينة الريانية الرابضة وسط الجبل الغربي مطلة على سهل الجفارة فهي تجمع سكاني ممتد في سبع بلدات، استفادت من المواد المتوفرة في المنطقة في أغراض البناء بصفة عامة وبناء المساجد بصفة خاصة، حيث انتفعت بتوفر الصخور الجيرية في سلسلة الجبل وصخور الجبس، بإقامة أفران خاصة لحرقه وتجزئه، وانتفعت من أهم شجرتين لهما دور بارز في حياة سكان الريانية، وهما شجرة النخيل التي ارتفعت في الأودية، وحول عيون المياه،

وشجرة الزيتون التي عمرت في ظاهر المدينة، وأصبحت غابات كثيفة مترامية من الأشجار، لذلك قام الأهالي باستغلالهما الاستغلال الأمثل في جميع مناحي حياتهم المعيشية، وكان البناء احد هذا الاستغلال والانتفاع، فقد قطعت هذه الأشجار إلى مقاسات خاصة واستخدمت في السقوف والأبواب والنوافذ، ومن ثم نجد أن أهالي الربيانة قد استفادوا من كل الموارد المتوفرة في منطقتهم في إقامة وبناء الإنشاءات المعمارية الدينية المتمثلة في المساجد العتيقة.

المراجع:

- 1- إبراهيم عبدالله أرفيدة وآخرون: معاني القرآن الكريم (تفسير لغوي موجز) الربع الثاني، طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية، 1989م.
- 2- أنتوني .ج. كاكيا: ليبيا خلال العهد العثماني الثاني 1835-1911م، طرابلس: دار الفرجاني، 1957م.
- 3- جمعة المهدي كشبور " المآذن القديمة في مدينة بنغازي " مجلة آثار العرب ، مصلحة الآثار، العدد: الثاني مارس 1991م.
- 4- خليفة محمد التليسي: معجم سكان ليبيا، د: م، دار الربان، 1981م.
- 5- الزروق سالم عون : دراسات حول بلدة أولاد علي ، الجزء:الثاني، الدراسة: الثانية ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، طرابلس: شركة أسيل للطباعة والإعلان، 2019م.
- 6- الزروق سالم عون" زخارف مسجد الحلالبة العتيق ومدلولاتها الشعبية ببلدة أولاد علي في الجبل الغربي " مجلة القرطاس ، العدد: الثالث والعشرون، 2021م.
- 7- الزروق سالم عون: الملامح الحضارية بمدينة الربيانة، الجبل الغربي/ نفوسة(بحوث أكاديمية) طرابلس: تالة للطباعة والنشر، 2023م.
- 8- زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، الجزء:الثاني، بيروت: دار الرائد العربي، 1981م.
- 9- عادل عبدالسلام الشاعر" بداية ظهور الزخارف العربية الإسلامية " مجلة آثار العرب ، مصلحة الآثار، العدد : الثاني ، مارس 1991م.
- 11- عبدالعزيز طريح شريف: جغرافية ليبيا، الطبعة: الثالثة منقحة ومعدلة تعديلا شاملا، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 1996م.
- 12- عزت علي خيرى" غدامس.. جوهرة الصحراء " مجلة آثار العرب، مصلحة الآثار، العدد: الخامس، سبتمبر 1992م.

- 13- محمد بن بي بكر الرازي: مختار الصحاح، عنى بترتيبه : محمد خاطر، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1976م.
- 14- محمد المبروك المهدي: جغرافية ليبيا البشرية، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، د: ت. ، تاريخ الدخول **15almauny.com**-معجم المعاني الجامع : معجم عربي-عربي، متاح على الموقع ، 12. 2. 2024م.
- 16- مقابلة مع جمعة سالم يحي ،صفته: أمين مكتب إصدار السجل المدني الريانية ، بخصوص إحصائية بعدد سكان الريانية بتاريخ "11، 1، 2023م.
- 17- هنري دي أغسطيني: سكان ليبيا، الجزء: الأول، ترجمة وتقديم: خليفة محمد التليسي، طرابلس- تونس: الدار العربية للكتاب ، 1974م.

" الزاوية العياشية بالمغرب الأقصى ووظائفها الدينية، والتربوية، والتعليمية "

الدكتور، عبد الحق عبدي

- البلد: المملكة المغربية.

*العنوان البريدي: abdoabdelhak80@gmail.com

ملخص

تهدف هذه الورقة البحثية بحول الله تعالى وقوته تسليط الضوء على زاوية من الزوايا المغربية التي كان لها إشعاع علمي وتربوي خلال القرن الثاني عشر الهجري، وهي: الزاوية "العياشية أو الحمزية" والتي تقع بإقليم ميدلت بمنطقة تعرف بأيت عياش بجهة درعة تافيلالت بالمملكة المغربية المحروسة بإذن الله تعالى، والتي أسسها سيدي محمد بن أبي بكر العياشي (ت 7661هـ)، وأخيه سيدي عبد الجبار بن أبي بكر العياشي (ت 7601 هـ). بعد قدومهما من منطقة فكيك شرق المملكة.

وقد كانت هذه الزاوية تقوم بعدة وظائف دينية وتربوية وعلمية، ومن أهم الظروف المساهمة في ذلك نباهة شيوخها وسعة علمهم، إضافة إلى مرافقها التربوية والعلمية الحيوية المتمثلة في مسجد الزاوية وخزانها العامرة، والتي لا تزال إلى اليوم قبلة للباحثين في فن تحقيق التراث لما تحتوي عليه من نوادير الكتب المخطوطة في مختلف العلوم والفنون والتي يتجاوز عددها الألف كما هو مستخلص من فهرسها الوصفي إضافة إلى عدد هائل من الرسائل. وتجدر الإشارة هنا إلى أن أغلب هذا التراث لم يحقق بعد.

ومن أهم دوافع اختياري لهذا الموضوع رغبتني في المساهمة قد المستطاع في إحياء دور الزوايا القرآنية لحفظ كتاب الله تعالى والعناية به عبر العصور، وكذلك انسجاما مع موضوع مؤتمر: " المساجد والزوايا القرآنية) الكتاتيب(في ليبيا ومدن شمال وغرب أفريقيا" المزمع تنظيمه بتاريخ: 71 مايو 1612 من طرف مركز غدامس للأبحاث والدراسات وتوثيق التراث.

الكلمات الدالة:

الزاوية العياشية: مؤسسة وتربوية. - وظائفها: أهم خدماتها الدينية والتربوية والعلمية.
المغرب الأقصى: المملكة المغربية.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وعلى آل بيته وصحابته الكرام البررة.
ذهب جمهور المؤرخين إلى أن ظهور الزوايا في المغرب يعود إلى بعد نهاية القرن الخامس الهجري إبان حكم يعقوب المنصور الموحد، الذي بنى الزوية في مدينة مراكش.
وقد اعتنى ملوك المغرب بإنشاء الزوايا، مثل "دار الضيافة" التي بناها المرينيون، والزوية العظمى التي أسسها أبو عنان فارس خارج مدينة فاس، وكانت تسمى في فترة من فترات تاريخ المغرب "دار الكرامة.

. أهمية البحث

تتجلى أهمية موضوع هذه الورقة البحثية في تسليط الضوء على آثار الزوايا في حفظ التراث اللامادي للأمة الإسلامية خاصة تلك التي تعنى بكتاب الله تعالى تحفيظا وتعليميا للأجيال عبر العصور.
كما تظهر كذلك في التعرف على مختلف الزوايا القرآنية التي حملت هذا المشعل والمنتشرة بدول شمال أفريقيا والمغرب العربي، وتماشيا مع موضوع هذا المؤتمر الذي أرجو الله تعالى له النجاح حتى تنتفع بأعماله الأمة.

إشكالية البحث

يعد مقصد حفظ التراث الإسلامي وتحصين الهوية الدينية والحضارية للأمة الإسلامية من أهم المقاصد التي أولى لها العلماء والمؤرخين عناية فائقة، وكذلك المراكز والمؤسسات العلمية عبر التاريخ بدأ بمؤسسة المسجد والزوايا، وانتهاء بالمراكز والجمعيات العلمية والدينية والثقافية وغيرها.

وتأتي هذه الورقة البحثية إحياء لدور المساجد التاريخية والزوايا القرآنية في تحقيق هذه المقاصد والغايات. فإلى أي حد استطاعت الزاوية العياشية بالمملكة المغربية المساهمة في تحقيق هذه الغايات؟ وما هي أهم الوظائف الدينية، والتربوية والعلمية التي كانت تقدمها لسكانها ومريديها؟

- مناهج البحث:

سأعالج موضوع هذه الورقة بحول الله تعالى وحسن عونه من خلال المنهجين التاليين:

1. المنهج الوصفي:

وظفت هذا المنهج في وصف الزاوية العياشية من الجوانب التالية: موقعها الجغرافي، وشكلها الهندسي والمعماري، وأهم مرافقها.

2. المنهج التاريخي:

وقد وظفت هذا المنهج في بيان تاريخ نشأة الزاوية العياشية وتأسيسها، وكذلك في بيان أهم المراحل التاريخية التي مرت بها منذ تأسيسها إلى اليوم.

- أهداف البحث:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. التعريف الزاوية العياشية وبعض مرافقها
2. إبراز أهم وظائفها الدينية والتربوية والعلمية.
3. إبراز أهم الخالصات والتوصيات المستخلصة.

المبحث الأول : مفاهيم لغوية
واصطلاحية.

الفرع الأول: الزاوية في اللغة.

الزاوية في اللغة لفظ مشتق من فعل: زَوَى، "يقال: زوى الشيء يزويه زيا أي: جمعه وقبضه" (21الارزي، 1221هـ).

ويقال: " انزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تداونا وتضاموا" **3** (البغدادي، 1332هـ، 1/3)

الفرع الثاني: الزاوية في الاصطلاح.

وفي الاصطلاح. الصوفي: "الزاوية والرباط هما مركزان خاصان بالسادة الصوفية للإستعداد للجهاد ومحاربة الكفار وأعداء

الاسلام، والمذاكرة في أصول الطريق والسنة النبوية الشريفة". **4** (جنان، 2112) وقال أحدهم: " يقصد بها المكان الذي ينزوي فيه المريدون بحضرة مشايخ التصوف لأجل "تنقية النفس وتهذيب السلوك". **5** (موقع: ويكيبيديا.)

ويمكن الجمع بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي للزاوية بأنها مؤسسة دينية وتربوية يجتمع فيها شيخ الزاوية بطائفة من مريديه، حيث يدنوا بعضهم إلى بعض حول مائدة العلم والذكر.

الفرع الثالث: المغرب الأقصى.

المغرب الأقصى هو الإسم التاريخي الذي كان يستعمله المؤرخون العرب لمنطقة تواجد المغرب حاليا، والذي كان يمتد من وادي ملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن البحر المتوسط شمال إلى بلاد شنقيط جنوبا **6**. (موقع: ويكيبيديا.)

المبحث الثاني: بطاقة تعريفية للزاوية العياشية.

سأحاول في هذه البطاقة أن أعرف بالزاوية العياشية من خلال بيان موقعها الجغرافي الهندسي، وتاريخ تأسيسها، وبعض مؤسسيها البارزين، ثم التعريف ببعض مرافقها الدينية، والعلمية والتعليمية.

الفرع الأول: موقعها الجغرافي وهندستها المعمارية.

تقع الزاوية العياشية أو الحمزية على سفح جبل العياشي بجماعة تَنْفِي ت إقليم ميدلت جهة درعة تافيلالت بالمملكة المغربية. والتي أسسها الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر العياشي (ت **1161** هـ) أوائل القرن الحادي عشر الهجري بإشارة من شيخه محمد بن أبي بكر الدالتي وهو ابن مؤسس الزاوية الدالتيية الشيخ الصوفي: أبو بكر الدالتي المجاطي الصنهاجي. (ت **1121** هـ) تولى أمر الزاوية بعد وفاة أبيه المذكور، وهو من شيوخ أبي سالم العياشي، توفي رحمه الله تعالى سنة (ت **1163** هـ، 7)، الافراني، (ص. **116** - والتي صارت قبلة للطالب والمريدين من المغرب الأقصى.

وقد أقامها مؤسسها على هضبة تطل على ضفة أحد روافد واد زيزيز بالجنوب الشرقي للمملكة المغربية تحت جبل العياشي بسلسلة جبال الاطلس الكبير.

وتتميز هذه الزاوية بمهندسة معمارية رائعة تُعري الزائرين وتحير المهندسين، حيث أقيمت على شكل قلعة محصنة بأبوار شاهقة حماية لها من العدو، وبجانبها الشرقي واد متدفق بماء عذب صيفا وشتاء. وفي قبلتها مسجد الزاوية الذي لازال إلى اليوم يقاوم عوادي الزمان مستمر في أداء وظائفه كما سيأتي بيانه في المبحث الخاص بمرافق الزاوية. أما بالنسبة لمساكنها فقد أقيمت تحتها جداول لمياه الشرب درأ لعناء جلب الماء. وبجنتها جنان من

الأشجار المثمرة كالخوخ واللوز والجوز، وأشجار الصفصاف الشاهقة. وقد كان لي شرف الإقامة بها مدة أسبوع كامل سنة 2111 م في ضيافة السيد سليمان الحمزاوي العياشي الحفيد السابع للشيخ سيدي محمد بن أبي بكر المذكور، أثناء قدومي إليها لتصوير أحد نسخ مخطوط "شرح عقيدة الرسالة" للعالمة أبي الإرشاد علي بن زين العابدين الجمهوري المالكي، موضوع أطروحتي لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، تخصص العقيدة والفكر الإسلامي، بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس. كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس. فاس. والموسومة بعنوان: "شرح عقيدة الرسالة" للعالمة أبي الإرشاد علي بن زين العابدين الجمهوري المالكي (ت 1166هـ)، والتي نوقشت بتاريخ: 23 نونبر 2123 م.

الفرع الثاني: تاريخ تأسيسها.

كانت هذه الزاوية في بداياتها تسمى بالزاوية العياشية نسبة إلى قبيلة آيت عياش، التي تعد من القبائل الأمازيغية التي ارتبط اسمها بإحدى جبال الأطلس الكبير الشرقي، وقد أسست هذه الزاوية على يد الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر العياشي (ت 1161 هـ)، بمعية أخيه سيدي عبد الجبار بن أبي بكر العياشي (ت 1132 هـ) أوائل القرن الحادي عشر الهجري بعد قدمهما من منطقة فجيح بالجنوب الشرقي للمملكة المغربية، وذلك بإشارة من شيخه محمد بن أبي بكر الدالهي (ت 1163 هـ).

وقد اشتهرت هذه الزاوية أكثر على يد ابنه الشيخ عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المعروف بأبي سالم العياشي الفقيه الأديب الصوفي الرحالة المشهور صاحب كتاب الرحلة "ماء الموائد". يعتبر من أبرز أعلام المغرب والمشرق خلال القرن الحادي عشر الهجري، حيث أسند إليه كرسي التدريس بالمدينة المنورة، كما أسند له كرسي التدريس والإفتاء بفاس.

وبعد ذلك استقر بشكل نهائي الزاوية العياشية إلى أن توفاه الله بها سنة (ت 1191 هـ) وقد أقام له أهل قريته ضريحاً يحمل اسم "ضريح أبي سالم العياشي".

ارجع بالأساس إلى عنايته الفاتحة بجميع م ارفقها خاصة وقد عرفت الزاوية العياشية في عهده ازدهار علميا وثقافيا وهذا مسجدها وخازنتها العامرة

المبحث الثالث: أهم مرافقها.

لقد دأب المسلمون عبر التاريخ عند تأسيسهم لى ارفقهم وحواضرهم أن يقيموا بها عدة م ارفق حيوية كالمساجد والكتاتيب القرآنية، والزوايا، والخزانات والمكتبات.

وعلى هذه السنة أسس سيدي محمد بن أبي بكر العياشي المذكور مريداه زاويته المسومة بالزاوية العياشية بمعية إخوته وبعض من الطائفة الدالئية. ومن أهم م ارفقها نجد ما يلي:

الفرع الأول: مسجد الزاوية.

عند قدومه إلى يثرب حيث كان مسجد قباء أول عمل قام به صلى الله عليه وسلم، وعملا بقوله تعالى:

(فِي بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رَجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِعَزِيزٍ حِسَابٍ) الآية 36، 37، 38 سورة النور.

وقد كان لمسجد الزاوية عدة أوقاف تبرع بها سكان القرية وغيرهم من مريدي الزاوية من أبناء المنطقة خاصة من مدينتي ميدلت والريش وغيرها. وكانت تصرف عليه موارد تلك الأوقاف إلى اليوم. وهذا المسجد لازال قائما إلى اليوم يواجه عوادي الزمان ويودي أهم وظائفه المتمثلة في إقامة صلاة الجماعة والجمعة. ومن أهم مرافقه نجد: مقصورة للصلاة، وقاعة كبيرة لتحفيظ القرآن الكريم، وأو اردا في السيرة النبوية والشمائل الحمديّة.

الفرع الثاني: خزانة الزاوية

تعد خزانة الزاوية العياشية من أهم م ارفقها الحيوية، والتي لازالت إلى اليوم قائمة ، والتي يعود نواة تأسيسها إلى سيدي محمد بن أبي بكر مؤسس الزاوية ، وأخيه سيدي عبد الجبار بن أبي بكر (ت 1136 هـ) لما حبس جميع كتبهما على بنيهما الذكور إلى قيام الساعة كما أخبرني خادمها ومحافظ خازنتها اليوم سيدي سليمان الحمزاوي العياشي.

وقد كان لي شرف الاطلاع على نص وثيقة هذا الوقف بخط يده وهي محفوظة بالخزانة العياشية تحت رقم: 211. وجاء في بداية هذه الوثيقة: "الحمد لله حبس المرابط، سيدي محمد بن أبي بكر العياشي. وقد ازدهرت هذه الخزانة على يد ابن مؤسسها الشيخ سيدي عبد الله بن محمد المعروف بأبي سالم العياشي الأديب والفقير الصوفي المذكور.

وقد اعتنى بما عناية خاصة حيث كان يصرف جهده وماله في جلب أمهات الكتب المخطوطة في مختلف المجالات الدينية، والعلمية، والثقافية، والطبية من المغرب وخارجه. كما كان رحمه الله تعالى يحرص على تزويدها بكل ما تحتاجه من النساخ وأدوات النساخة.

وقد صار على نحمه ولده الشيخ حمزة بن أبي سالم العياشي (ت 1131 هـ)، والذي إليه تنسب الزاوية إلى اليوم باسم "الزاوية الحمزية"، حيث أولى لهذه الخزانة عناية فائقة من خلال تزويدها بنسخ الكتب المخطوطة عن طريق الشراء أو التملك، وكذلك بنسخه لمجموعة من نوادر الكتب.

فقد كان الشيخ حمزة رحمه الله تعالى يشرف بنفسه على عملية النساخة مستعينا ببعض النساخ من الزاوية

العايشية نفسها ومن مدينة فاس، وقد وقفت على خط يده وتوقيعه في عدة كتب بهذه الخازنة كما سيأتي الحديث عنه في المبحث الثالث الخاص بوظائفها.

وخالصة القول فقد مرت الزاوية العياشية بعدة م ارحل يمكن تلخيصها في ثلاثة م ارحل أساسية وقد ارتبطت كل مرحلة بشيخ من شيوخها البارزين، وهي كالآتي:

- المرحلة الأولى: مرحلة التأسيس التي ترجع بالأساس إلى سيدي محمد بن أبي بكر العياشي. - المرحلة الثانية: مرحلة الازدهار والانتعاش العلمي والثقافي، وهذه المرحلة مرتبطة بشيخين بارزين وهما الشيخ أبو سالم العياشي، وابنه سيدي حمزة بن عبد الله.

- المرحلة الثالثة: مرحلة الأفول النسبي وهي التي تلت فترة الشيخ سيدي حمزة إلى اليوم، حيث عرفت الزاوية في هذه الفترة تراجعاً وانكماشاً ملحوظاً.

المبحث الرابع: وظائفها الدينية، والعلمية والتربوية.

لقد عرفت الزاوية العياشية منذ تأسيسها على يد سيدي محمد بن أبي بكر العياشي إلى نهاية فترة حفيده حمزة بن أبي سالم العياشي ازدهار دينيا، وعلميا، وتربويا، وسأقوم بحول الله تعالى وقوته في هذا المبحث ببسط الكلام عن هذه الوظائف من

خلال ما يلي:

الفرع الأول: الوظائف الدينية.

يعتبر مقصد حفظ الدين من الكليات الخمس التي أمر الله تعالى بحفظها ورعايتها باعتباره من أهم غايات الخلق، وهذه الغاية لن تحقق إلا بتوحيده عبادة وألوهية قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (الذاريات، الآية: .) 26

ولعل من أهم الوظائف الدينية التي كانت الزوايا القرآنية تقوم بها عبر التاريخ الإسلامي ترجع بالأساس إلى ما يلي: أ. معرفة الله تعالى وتوحيده ألوهية وعبادة، فمعرفة سبحانه وتعالى وإخالص العبادة له تعد من أول

واجبات المؤمن قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء

الآية 25.

ب . العناية بالقرآن الكريم حفظا وفهما وتدبر عمل بقوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر الآية 9

وقوله صلى الله عليه وسلم: " خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلِمَهُ " .9) البخاري، 2113) فخير الأعمال وأنفعها للفرد والمجتمع هو تعلمه وتعليمه لنا السبيل إلى الهداية والصالح.

وعلى هذا الأساس دأب شيوخ الزاوية العياشية، فالنسبة لمقصد حفظ كتاب الله تعالى ورعايته نجدهم قد أسسوا كتابا قرآنيا داخل مسجد القرية وكانوا ينتقون له محفظين ماهرين بكتاب الله تعالى لتحفيظ القرآن الكريم وتثبيتته في قلوب الناشئة من أبناء القرية ومريدي الزاوية ومما يشهد لهذا المقصد النبيل ما يلي:

1 . تعتبر نسخ القرآن الكريم، والكتب التي تعنى بعلومه وتفسيره من أهم التراث المخطوط الذي تزخر بها خازنة الزاوية العياشية والتي كان مؤسسها سيدي محمد بن أبي بكر وابنه أبي سالم العياشي وحفدته منه مولعين باقتنائها بالاستنساخ والشراء من المغرب والمشرق، ويوجد بمكتبتها ضمن ملف يحمل رقم: 223 الاثحة أهم النسخ المخطوطة التي جلبها أبو سالم من المشرق أثناء رحلته سنة 1162 هـ. 10 (حميد الحمير، .) 2119

ومن بين نسخ القرآن الكريم وعلومه مما ألفه الشيوخ العياشيون أو نسحوه بأيديهم مما هو محفوظ بالخزانة العياشية أذكر مايلي: 11 (حميد الحمير، .) 2119

نسخة مخطوطة من القرآن الكريم بعنوان: مصحف كريم في سبعة أجزاء/ الجزء الثالث مقيدة تحت عدد: 211. وهذه النسخة نسخها أبو سالم العياشي.

نسخة ضمن مجموع بعنوان: تبصرة القراء في قراءة أبو عمر بن العلاء، رقم حفظها: 2/219. من تأليف: عبد الكريم بن محمد بن أبي بكر العياشي.

نسخة لكتاب: كتاب التعريف في القراءات الشاذة، من تأليف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الداني الأموي (ت 222 هـ)، نسخها الشيخ حمزة بن أبي سالم العياشي، رقم حفظها: 16/219 (ضمن مجموع.)

نسخة بعنوان: تحفة المرید لمقدمة التجويد، من تأليف: محمد بن يوسف العياشي المالكي، مقيدة بعدد 232/3 (ضمن مجموع.)

2 . اعتناء حفيد المؤسس الشيخ حمزة بن سالم السالف الذكر بجمع الكتب واستنساخها خاصة تلك التي تعنى بالقرآن الكريم وعلومه وتفسيره، وقد سجل له محمد بن الطيب القادري هذا الاعتناء في "نشر المثاني" الجزء الثاني الصفحة: 111. ترجمة مجزة جاء فيها: " وله عناية بالزاوية أبه ببلادهم: أيت عياش، واعتنى بجمع الكتب، إذ يوجد فيها مالا يوجد في غيرها اليوم في سائر المغرب... " وقد تأكد ذلك من تملكاته المسجلة على جملة من

النسخ التي نسخها بيده أو استنسخها غيره.

فعناية العياشيون بالكتب لم يقتصر على من سبق ذكرهم من الشيوخ بل هناك شيوخ آخريين من البيت العياشي

من له ولع بنسخ الكتب ومنهم على سبيل الذكر ما يلي (12: حميد الحمر،). 2119

أحمد بن حمزة بن أبي سالم العياشي ومن النسخ المخطوط التي نسخها بيده النسخة المقيدة بالخزانة العياشية تحت: 331. رقم عمر بن محمد بن أبي بكر من نسخه المخطوطة التي نسخها بيده نجد: المجموع المسجل تحت رقم: 211.

عمر بن عبد الكريم بن محمد بن أبي بكر من نسخه نسخة برقم: 191.

محمد بن حمزة بن أبي سالم من مستنسخاته المجموع رقم: 219.

أحمد بن محمد بن عبد الجبار من مستنسخاته نجد المجموع رقم: 261.

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الجبار ومن مستنسخاته المجموع رقم: 313.

الفرع الثاني: الوظائف التربوية والتعليمية.

لقد كان للزوايا إلى جانب تعريف الناس بأمور دينهم كما سبقت الإشارة إليه أعلاه وظائف أخرى تربوية وتعليمية: ولهذا فقد حرص الشيوخ العياشيون القائمون على أمر الزاوية منذ تأسيسها على يد سيدي محمد بن أبي بكر على تربية المريدن تربية روحية تقوية إيمانهم، وتعليمهم أمور دينهم، ويظهر هذا التوجه الروحي والسلوكي لدى هؤلاء الشيوخ فيما يلي: كان شيوخ الزاوية العياشية يجالسون الطلبة والمريدن في مجالس الحضرة يربونهم على مجاهدة النفس وتركيتها من الذنوب والمعاصي وتحليتها بمكارم الاخلاق حضور هذا التوجه الصوفي في تأليفهم، كما كان لهم شغف كبير بكتب الأخلاق والمواعظ والآداب والسلوك، ويتأكد هذا الطرح من خلال ما تزخر به الزاوية العياشية من مخطوطات في هذا الاتجاه، فمن خلال اطلاعي على الفهرس الوصفي لمخطوطات الزاوية الحمزية العياشية وجدت أن عددها يناهز 1911 مخطوطا وسأذكر جملة من هذه المخطوطات وذلك من خلال الاقتصار على ذكر النسخ التي ألفها الشيوخ العياشيون في هذا المجال أو التي نسخوها بأيديهم، ومن ذلك ما يلي:

نسخة من " رسائل الشيخ أبي فارس عبد العزيز بن خليفة القسطنطيني التونسي " نسخها محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر العياشي، رقم الحفظ: 1/62 (ضمن مجموع).

نسخة بعنوان: " التعرف لمذهب أهل التصوف " من تأليف: أبي بكر بن محمد بن إسحاق إبراهيم بن يعقوب البخاري الكلب الذي الصوفي (ت 331 هـ)، والتي نسخها: محمد بن يوسف الحم ازوي، رقم الحفظ 1/23 (ضمن مجموع).

نسخة من " منظومة في عيوب النفس وأم ارضها ودوائها " من تأليف الشيخ: أحمد زروق الفاسي 399 هـ)، نسخت بيد الشيخ: محمد بن موسى العياشي. رقم الحفظ 16 131 (ضمن مجموع).

نسخة بعنوان: " آيات الحرس " من تأليف أبي سالم العياشي. رقم الحفظ: 6/196.

نسخة تحت عنوان: " فتوى / ذكر الله الله " من تأليف: أحمد بن العياشي. رقم محمد بن عبد الجبار بن أبي بكر الحفظ: 19 / 229 (ضمن مجموع).

- خاتمة:

وختاماً أختتم هذه الورقة البحثية بما يلي:

- أوال: خالصات البحث:

- التنويه الزاوية العياشية وخازنتها وأن جل الرحلات إليها إنما وقع ذلك في القرن الثاني عشر الهجري وقد زاها جملة من الشيوخ والعلماء والباحثين الذين استفادوا من تراثها المخطوط أذكر منهم ما يلي: 13 (حميد الحمير،) 2119

أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الحريشي الفاسي (ت 1123 هـ).

عبد الكريم بن عبد الرحمن المجذوب بن عبد الحفيظ بن مدين الفاسي (1292 هـ).

- يستخلص أنه بعد القرن الثاني الهجري إلى اليوم أخذت قيمة الزاوية العياشية وخازنتها في التراجع بسبب فتور الحركة العلمية إليها، كما أصابها شيء من التفريط في بعض الفت ارت وخاصة في العصر الحديث، ومع هذا فإن مكتبة الزاوية لا تزال تزخر بعدد هائل من نوادير المخطوطات التي في حاجة إلى الدراسة والتحقيق حتى تستفيد منها الأمة.

- كان الزاوية العياشية وشيوخها فضائل عديدة أجملها فيما يلي:

العناية بكتاب الله تعالى نسخا لمصاحفه وتحفيظا.

حفظ التراث اللامادي للأمة الإسلامية من الضياع خاصة المخطوط منه.

العناية بالعلم وكتبه نسخا واستنساخا.

الاهتمام بتهديب سلوك المريدين بالتربية والتركية والتعليم.

- دأب شيوخ الزاوية العياشية منذ نشأتها على يد سيدي محمد بن أبي بكر العياشي وأخيه سيدي عبد الجبار

إلى اليوم بانتداب

قَِّم على الزاوية وخازنتها وآخرهم اليوم هو سيدي سليمان الحم ازوي الحفيد السابع ألي سالم العياشي

حفظه الله تعالى.

- اهتمام إدارة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الجامعة المغربية، والخازنة العامة بالخازنة العياشية وذلك من

خلال إرسال

أربع بعثات علمية للقيام بفهرست مخطوطاتها والتي كانت آخرها البعثة التي ترأسها الدكتور حميد لحر سنة:

2119 م، حيث

أعدت الفهرس الموسوم " الفهرس الوصفي لمخطوطات الخازنة الحمزية العياشية بإقليم الرشيدية" وهو المعمول به حاليا.

- اشرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية حديثا على بناء مقر جديد خاص بالخازنة إلى جانب

مسجد الزاوية السالف الذكر.

- ثانيا: توصيات البحث.

من أهم التوصيات التي توصلت إليها ما يلي

أناشد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية المزيد من العناية بالزاوية العياشية ومرافقها خاصة خزانته العامة،

ومسجدها العريق حتى تبقى منارة للعلم

والثقافة .

أوصي غيري من الباحثين في التراث المخطوط أن يعمدوا بتحقيق ودراسة نوادرها المخطوطة التي تنهل من

مختلف العلوم الشرعية واللغوية والطبية غيرها.

ونافلة القول هذا ما يسر الله تعالى لي جمعه في هذه الورقة فما كان من توفيق فمن الله وما كان زلل فمني والشيطان والله تعالى منه براء.

وأخي ار أتمنى لهذا المؤتمر النجاح والسداد سائل الله تعالى أن يجعله في ميزان حسنات جميع القائمين على تنظيمه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت 666هـ). مختار الصحاح: تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية -الدار النموذجية، بيروت - صيدا، المجلد:14، (1420هـ / 1999م) 363.
. محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت 711هـ). لسان العرب. دار صادر - بيروت، المجلد الخامس (1414 هـ)، 617.
. القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت 224هـ). غريب الحديث. تحقيق: محمد عبد المعيد خان. مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد-الدكن، المجلد الأول (1384 هـ - 1964 م) الصفحة: 3.

. مقال إلكتروني بعنوان: الزوايا في المغرب دورها .. ووظائفها": عزلان جنان، بتاريخ: 11 يونيو 2015م. موقع: مشاهد 24.

. موقع: ويكيبيديا، تاريخ الاقتباس: (2024/ 03 /31).

. موقع: ويكيبيديا، تاريخ الاقتباس: (2024/ 03 /31).

. محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير الإفريقي. صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر. تحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء . المغرب. المجلد الثاني، (2004م)، الصفحة: 106.

. حميد الحمر (وآخرون). الفهرس الوصفي لمخطوطات خزنة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الراشدية. من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، مطبعة الأمنية . الرباط. المجلد الأول، (2009)، الصفحة: 9.

. محمد بن إسماعيل البخاري. الصحيح. رقم الحديث: 5027. دار ابن كثير . لبنان . بيروت، المجلد الأول، (2018 م)، الصفحة: 156.

- . حميد الحمر. الفهرس الوصفي لمخطوطات خزنة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الراشيدية. من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، مطبعة الأمنية. الرباط. المجلد الأول(2009)، 9.
- . حميد الحمر. الفهرس الوصفي لمخطوطات خزنة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الراشيدية. من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، مطبعة الأمنية. الرباط. المجلد الأول، (2009)، 41.
- حميد الحمر. الفهرس الوصفي لمخطوطات خزنة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الراشيدية. من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، مطبعة الأمنية. الرباط. المجلد: الأول، (2009)، 10.
- . حميد الحمر. الفهرس الوصفي لمخطوطات خزنة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الراشيدية. من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، مطبعة الأمنية. الرباط. المجلد: الأول(2009)، 15 و16.

التصميم الداخلي للمسجد العتيق بنغازي بين المحددات البيئية والانشائية

د. منال سالم علي أبومداس¹، أ. معتر محمد محمد جيد الله الب دري²، أ. عبد المنعم مصطفى الفاخري³، أ. احمد محمد

عمر سالم⁴

Manal.abmdas@gmail.com¹ الهيئة الليبية للبحث العلمي، جامعة بلاغري للعلوم الحديثة، بنغازي، ليبيا.

mutaz.gedalla@uob.edu.ly² قسم العمارة، كلية الهندسة، جامعة بنغازي، بنغازي، ليبيا.

menem_fakri_2010@hotmail.com³ قسم التصميم الداخلي - كلية الهندسة - جامعة البحر المتوسط.

الهيئة الليبية للبحث العلمي، بنغازي، ليبيا.⁴

الملخص

تعد المساجد من أظهر بقاع الأرض، ويمثل تواجدها في حياة الإنسان المسلم أهمية كبيرة جداً، فهي تعتبر أماكن لأداء العبادة ونشر العلوم والمعارف والثقافة الإسلامية. كما تساهم بشكل كبير في تقوية روابط المجتمع، حيث يلتقي الناس فيها خمس مرات في اليوم داخلها، و يحاول البحث دراسة فكرة التصميم الداخلي للمسجد العتيق بمدينة بنغازي وتحليل مكونات البيئة الداخلية للمسجد وتعاطيتها مع البيئة بشكل عام والاضاءة والتهوية بشكل خاص، والتطرق لدراسة تصميم النوافذ والفتحات ومدى نفاذيتها للإضاءة والتهوية وعرض وتحليل اساليب معالجة التهوية والتوجيه بمبني المسجد و سيتطرق البحث لأهمية طرق البناء التي تراعي البيئة (الحجر والطين وجدار بسمك لأكثر من 50 سم)' ويحاول البحث التطرق الي نظم الانشاء المستخدمة داخل المبني مثل العقود والاقواس، وأهمية تبنى فكرة المعالجات البيئية المستخدمة بهذا المسجد في مباني المساجد الحديثة للتقليل من استخدام الطاقة، ومن خلال هذا البحث سيتم دراسة هذه المعالجات البيئية وتقييم مدى امكانية تنفيذها بالمساجد الحديثة.

الكلمات الدالة: مفهوم التصميم الداخلي والانشائي للمساجد القديمة - البيئة - المعالجات البيئية - المساجد القديمة.

Abstract:

Mosques are among the purest places on earth, and their presence in the life of a Muslim person represents very great importance, as they depend on their owners, scholars, and Islamic knowledge. It also contributes greatly to strengthening community ties, as people participate five times inside it, and try to search for the idea of the interior design of the ancient mosque in the city of Benghazi and analyze the environment of the interior mosque and its interaction with the environment in general and lighting and identity in particular. It will address the study of the design of windows and openings and the extent of their

permeability for lighting and ventilation, and present and analyze methods for treating ventilation and orientation in the mosque building. The research will address the importance of construction methods that take into account the environment (stone, clay, and a wall with a thickness of more than 50 cm). The research attempts to address the construction systems used inside the building, such as arches and arches. The importance of adopting the idea of environmental treatments used in this mosque in modern mosque buildings to reduce energy use. Through this research, these environmental treatments will be studied and the extent of the possibility of implementing them in modern mosques will be evaluated.

Keywords: Interior and structural design concept for old mosques - environment - environmental treatments - old mosques.

المقدمة:

المسجد العتيق يقع في ميدان البلدية بمدينة بنغازي ليبيا ولا يعرف تاريخ تأسيس هذا المسجد علي وجه الدقة ، ومن المرجح انه مشيد خلال العصر العثماني الأول (1551 - 1711م) حيث أصبحت بنغازي في هذا العصر عاصمة لإقليم برقه علي اثر الحملة العسكرية التي امر بها محمد باشا الساقزي عام 1638م . " الدراجي " ويعتبر من أقدم مساجد المدينة التي لا تزال قائمة، حيث ترجع مصادر اخري تاريخ تأسيسه إلى العام "1577 كانت به معذنة تاريخية أزيلت في صيانة التي أجريت عام م. أي في العهد العثماني الأول في مدينة بنغازي و 1973م. حيث قام ببناء الجامع "الشيخ عبد السميع القاضي" بعد قدومه من مدينة مصراته وقامت بتطوير وتكبير الجامع بعد ذلك الحكومة العثمانية وفي سبعينيات القرن الماضي اجريت أعمال صيانة للجامع وقاموا بازالة رفات الشيخ ودفنت خارج المسجد .

مشكلة الدراسة:

يواجه المسجد العتيق عدة مشاكل في صيانتته لعدم توفر الدراسات التفصيلية الكافية للمراحل التي مر بها تجد المسجد منذ أنشائه في العهد العثماني عام 1577م وحتى الان. وتتلور مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس التالي:

أي طراز معماري يتبع المسجد العتيق في مدينة بنغازي؟، وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:
ما هي المراحل التي مرت بها عملية تجديد المسجد؟
ما هي أساليب التصميم الداخلي والانشائي المستخدمة في المسجد؟
ما الواقع التصميمي والتخطيطي للمساجد في مدينة بنغازي؟
ماهي أهم المعالجات البيئية المستخدمة في المسجد العتيق؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في تناول مفهوم واصل المسجد الليبي وتأثير عمارة المساجد ابان العهد التركي، ومحاولة عرض وتحليل المراحل التي مر بها تجديد المسجد العتيق بينغازي.

مببرات اختيار الموضوع:

1. تسليط الضوء على التركيب المعماري الذي اوجده الليبيون وخبرتهم الانشائية والمعمارية ببناء المساجد.
2. تسليط الضوء على المراحل التي مر بها تجديد الجامع.
3. تسليط الضوء على التصميم المعماري وإبراز التصميم الداخلي للمسجد.
4. توضيح المعالجات الانشائية ومواد البناء الصديقة للبيئة المستخدمة في بناء المسجد.
5. تسليط الضوء المعالجات البيئية والاضاءة والتهوية بالمسجد.

أهداف الدراسة:

6. تهدف الدراسة بصفة رئيسية إلى تقييم المسجد من خلال مفهوم التركيب المعماري والانشائي الليبي الذي اوجده الليبيون في بناء المسجد فإن الدراسة تتناول الأهداف الفرعية التالية:
7. دراسة التصميم المعماري والانشائي للمسجد.
8. تحليل النظام الانشائي المستخدم في بناء المسجد واستخدام العقود والاقواس داخل المسجد.
9. التعرف على قبة المسجد وشكل وطرز الفتحات (النوافذ والابواب) والمعالجات البيئية المستخدمة في بناء المسجد.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي بأسلوب دراسة حالة، وذلك من خلال تناول الجانب النظري للمساجد من جهة، والملاحظة والمشاهدة بالخرائط والصور الفوتوغرافية، بالإضافة إلى استخدام البرامج الهندسية المعمارية لتجسيم مبني المسجد ولتقييم الوضع الراهن له من جهة أخرى.

حدود الدراسة:

تم اختيار المسجد العتيق والذي يعتبر من أقدم مساجد مدينة بنغازي، ويقع في وسط المدينة القديمة (منطقة وسط البلاد) في ميدان البلدية.

تأسيس المسجد:

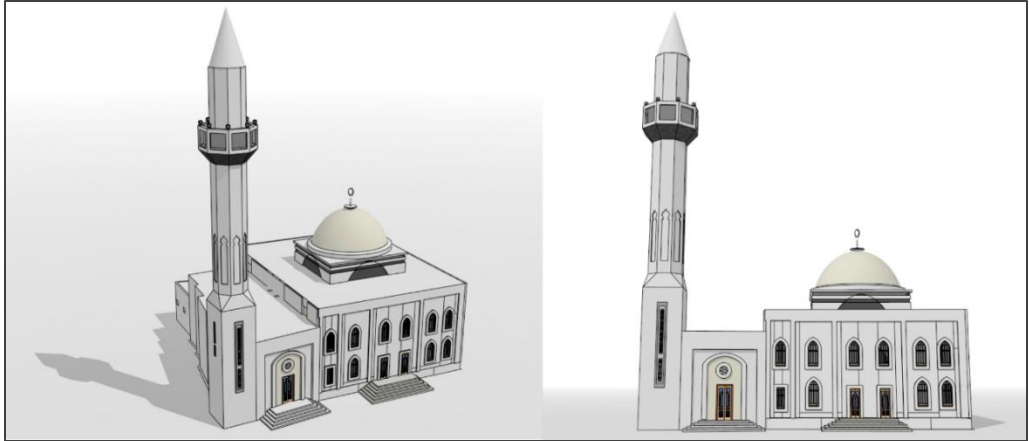
لا يعرف تاريخ تأسيس هذا المسجد على وجه الدقة والمرجح انه شيد خلال العصر العثماني الأول (1551-1711) (الدراجي، 2017). ويعد المسجد العتيق من أقدم مساجد المدينة، ويعرف بالمسجد الكبير نظراً لكبر مساحته مقارنة بالمساجد القديمة الموجودة في ذلك الوقت، بالإضافة إلى فخامة مئذنته والتي تعتبر أول مئذنة في مدينة بنغازي، ويذكر ذي جستني عام 1922م، انه سمع رواية من بعض سكان بنغازي تفيد بأن المسجد العتيق شيد منذ 400 سنة من قبل عبد السميع القاضي لا انحالا تعتمد على وثيقة تاريخية.



، الباحثين www.google.com الشكل (1.1): يمين المسد العتيق عام 1900، يسارا المسجد عام 2024، المصدر:

نبذة تاريخية:

يعرف الجامع العتيق بالجامع الكبير ويرجع بنائه الي أوائل القرن السادس عشر وقد بناه شخص يدعي عبد السميع القاضي، ثم قام حاكم برقه طاهر باشا عام 1892م-1903م بتجديد معظم بنائه، ولما تعرضت المدينة للغارات



يوم 19/10/1903م دمرت معظم المباني وكان من بينها مئذنة المسجد التي رمها الايطاليون فما بعد.

الشكل (2.1): المسجد العتيق 2024، المصدر: عمل الباحثين

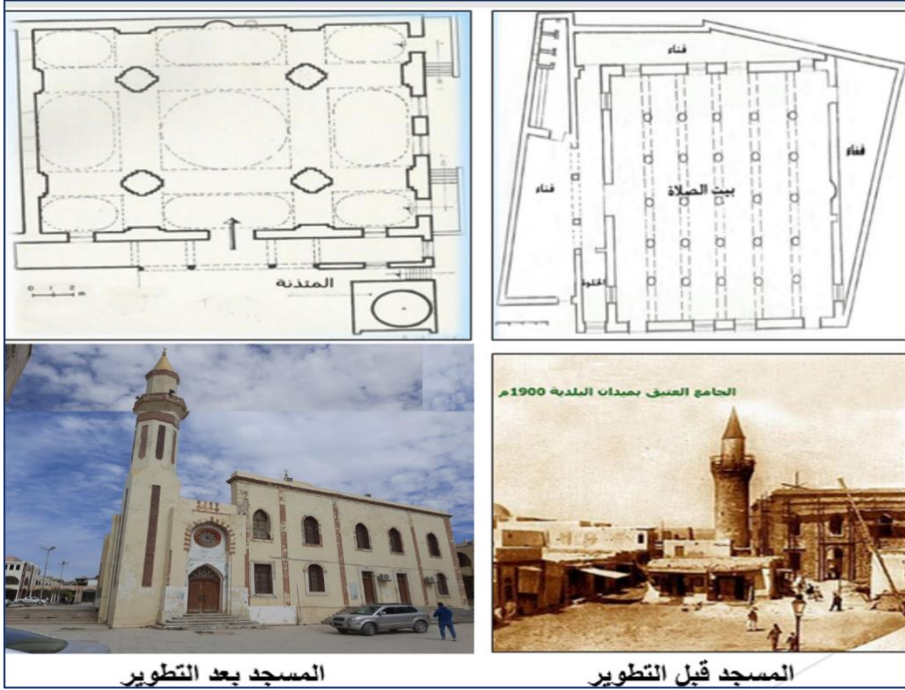
الموقع العام للمسجد: يقع المسجد في ميدان البلدية في وسط المدينة القديمة، ويحده من الغرب ميدان البلدية، ومن الشمال شارع سيدي سالم، ومن الشرق والغرب سوق الظلام.



google earth pro. 2024 الشكل (3.1): الموقع العام للمسجد العتيق، المصدر:

تم تشييد وبناء المسجد وفق الطراز المحلي على أرض مربعة الشكل، يشغل فيها بيت الصلاة مساحة مستطيلة (19.55×16.25) م²، مقسمة إلى ثلاث بلاطات بواسطة أربع أكتاف مربعة وقد رتبت البلاطات بحيث تكون الوسطى أكبرها، وينطلق من فوق الأكتاف اثنا عشر عقداً، ستة منها موازية لجدار القبلة وستة أخرى عمودية عليه، وتنتج من هذا التقاطع تسعة فراغات، خمسة منها مربعة والبقية مستطيلة. وفي نهاية القرن التاسع عشر طرأ تغيير على بيت الصلاة والذي شمل تغيير الأعمدة حيث أصبحت أربعة أعمدة كبيرة فالوسط، وبالسقف توجد قبة مركزية وعدد ثمان قباب صغيرة (أربعة نصف كروية، وأربعة بيضاوية)، وكان هذا التغيير يمثل أسلوب البناء التركي.

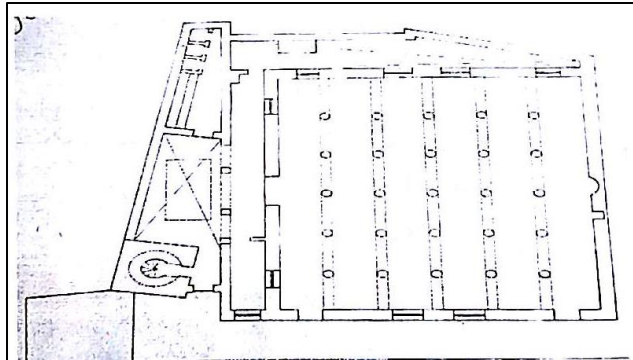
كان المسجد العتيق قد دمج بين العمارة المحلية وأسلوب البناء التركي، وتمثل الجزء المحلي في منتصف الواجهة السفلي والمئذنة ببدنها الضخم، والفناء، وبساطة الواجهات، وحوائط بيت الصلاة الخالية من الزخارف والنقوش (العربي، 2020).



الشكل (4.1): المسجد العتيق قبل وبعد التطوير، المصدر: تجميع الباحثين، 2023

المراحل التاريخية التي مر بها المسجد العتيق: المرحلة الأولى:-

من نهاية من نهاية القرن الثامن عشر حتى عام 1897م يعتبر الرحالة هاملتون عام 1852 م أول من تحدث عن مسجد به مئذنة بمدينة بنغازي، كما ظهر في رسم يرجع الي عام 1860م اما هايمان عام 1881م ويقول عنه انه مسجد صغير الحجم وبه مئذنة ضخمة. " (الفقيه 1996)

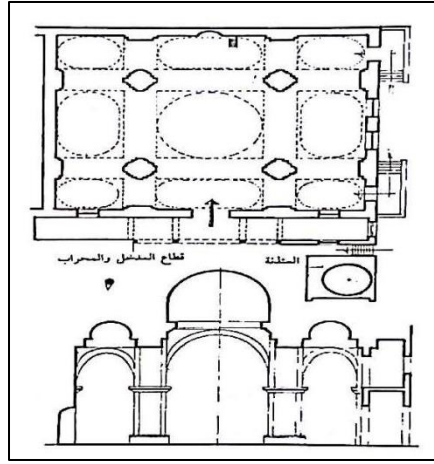


الشكل (5.1): مخطط المسجد العتيق حتى نهاية القرن التاسع، المصدر: كتاب مساجد بنغازي

اهم مكونات المسجد بالمرحلة الاولى:

1 - بيت الصلاة:

من المحتمل ان يكون لبيت الصلاة في تلك الفترة نفس المساحة الحالية 19.55 متر * 16.25 متر اما ارتفاعه يزيد عن 4.5 م وله نفس أسلوب البناء المحلي ، حيث تكثر بداخله الأعمدة الاسطوانية التي تحمل عقودا نصف دائرية تقسم بيت الصلاة الي مجموعة اروقه موازية لجدار القبلة الذي يوجد في منتصفه المحراب وهو عبارة عن عوارض خشبية من لوح الصنوبر فوقها طبقة من قش البحر والطين وكان يوجد لبيت الصلاة ثلاثة أبواب منها بابان بالواجهة الجنوبية حيث نافذتان ، وهذه الواجهة من المسجد تشبه واجهة مسجد الشويجات والمسجد المسطاري ، اما الباب الثالث فيقع في منتصف الجدار الغربي الذي يفتح علي الفناء ، وتوجد نافذتان علي اطراف هذا الباب كما توجد شرفة " مصلي " غرب بيت الصلاة تفتح علي الفناء . " (الفقيه 1996)



الشكل (6.1): مخطط يبين مسقط وقطاع للمسجد العتيق، المصدر: كتاب المعمار الإسلامي في ليبيا

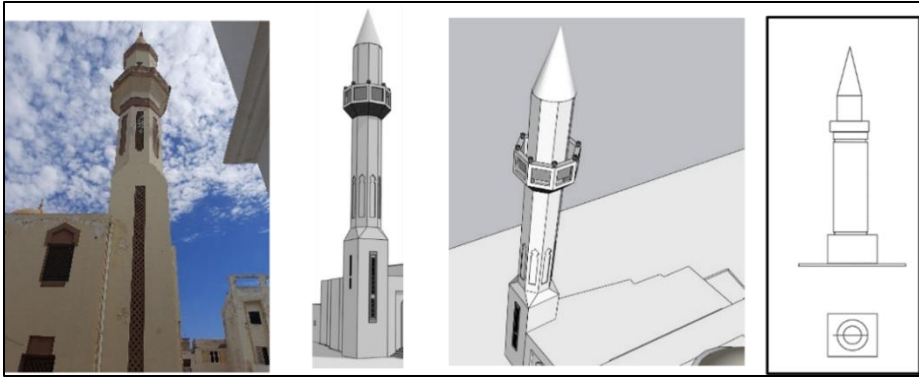
2 - الفناء:

كان يوجد بالمسجد ق فناء ان أحدهما كبير ويقع بالجهة الشمالية من المسجد وتتصل به دورة المياه والميضأة وله باب رئيسي يفتح علي ميدان البلدية أما الفناء الاخر فهو عبارة عن شريط طويل يقع بالجهة الغربية من بيت الصلاة وكان به ضريح مؤسس المسجد العتيق واحد واحفاده. " (الفقيه 1996)

2 - المئذنة:

أول مرة ظهرت فيها المأذنة بمدينة بنغازي بالمسجد العتيق ، وقد عملت هذه المئذنة الرأسية علي توازن الكتل

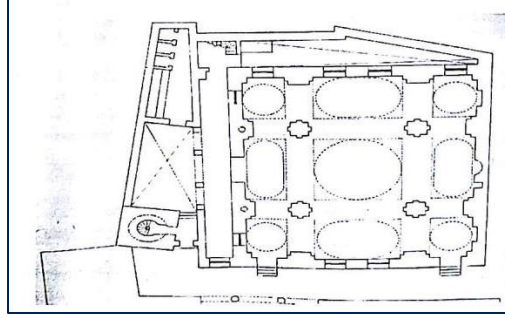
الافقية للمساكن وخاصة وانها تبرز في وسط المدينة ارتفاع شاهق ، فيشاهد القادم الي المدينة من مسافة بعيدة رمزا من رموز الإسلام وهي تشبه مفذنة مسجد محمود خازندار بمدينة طرابلس حيث تتكون من قاعدة مربعة الشكل ترتكز عليها أربعة جدران ارتفاعها 2.5م ، وطول كل منها أربعة امتار ولها باب صغير يفتح علي الفناء من جهة الغرب ويعلوها بدن اسطواني ارتفاعه 12 م ينتهي بشرفه يعلوها جزء مخروطي الشكل ، ويصل ارتفاع مفذنة المسجد العتيق الي 20 مترا وبها سلم حلزوني يتكون من 72 درجة وقد شيدت بالحجارة المنتظمة ومونة الجير ، وهذه المواد لم تستعمل في البناء بمدينة بنغازي الا بعد القرن السابع عشر ميلادي حيث نجد مبني القلعة الذي شيده الاتراك في منتصف القرن السابع كان من الطين والحجارة غير المنظمة. " (الفقيه 1996)



الشكل (7.1): يمين يبين مفذنة المسجد العتيق القديمة، يسارا يبين المفذنة الحالية، المصدر: عمل الباحثين

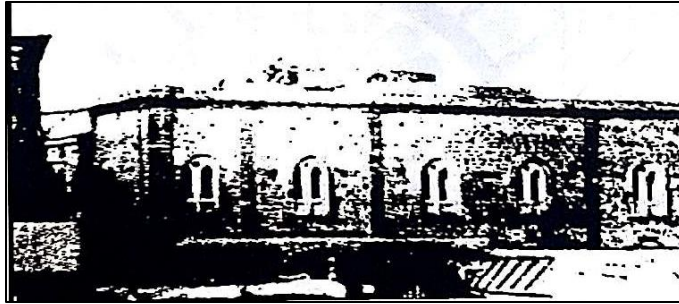
المرحلة الثانية: من عام 1897م الي 1955 م.

شرع سكان المدينة عام 1897م خلال فترة حكم طاهر باشا في هدم بيت الصلاة بينما ظلت المفذنة كما هي علي ذلك الميضاة ودورات المياه وخزان تجميع مياه الامطار (الماجن) وتم تشييد بيت الصلاة الجديد بنفس أسلوب وطريقة مسجد عصمان، واستمر البناء لمدة ثمان سنوات وقد استكمل عام 1905 م الا ان هطول الامطار الغزيرة بشكل غير معتاد في ذلك العام تسبب في هدم جزء من القبة المركزية وفي عام 1908م شرع الاتراك في ترميم قبة المسجد العتيق بشكل يختلف عن طابعها الأصلي. " (الفقيه 1996)



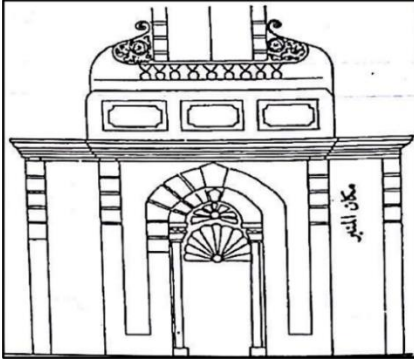
الشكل (8.1): مخطط المسجد العتيق في بداية القرن العشرين، المصدر: كتاب مساجد بنغازي القديمة

بيت الصلاة اهم مكونات المسجد العتيق في هذه الفترة: يعتبر بيت الصلاة أهم مكونات المسجد العتيق، وهو يشبه لحد كبير بيت الصلاة بمسجد عصمان المجاور له ، فشكله مستطيل طوله 19.55م وعرضه 16.25م وفي منتصفه اربع اعمده ضخمة لها قطاع مربع 130سم* 130سم ، اما باقي الأعمدة وعددها ثمانية فتقع بالجدران ، وتحمل هذه الأعمدة عقودا نصف دائرية تعلو سقف به قباب ، اكبرها القبة المركزية التي يصل قطرها الي 6 م ، اما بقية القباب فهي صغيرة الحجم ، اربع منها لها شكل نصف كروي وتقع بأركان السقف ، بينما اربع قباب اخري بيضاوية الشكل . كان انحيار القبة المركزية عام 1905م لها شكل نصف كروي وهي تطابق تماما شكل قبة مسجد عصمان وقد شرع الاتراك ترميمها بعمل قاعدة مثمثة تعلوها جدران بارتفاع مترين وتتخلل هذه الجدران ثمان نوافذ تفتح علي بيت الصلاة ويعلو هذه الجدران قبة مزودة بثمان دعائم منحنية. (ميسانا 1998م)



الشكل (9.1): يبين انهيار قبة المسجد العتيق، المصدر: كتاب مساجد بنغازي القديمة

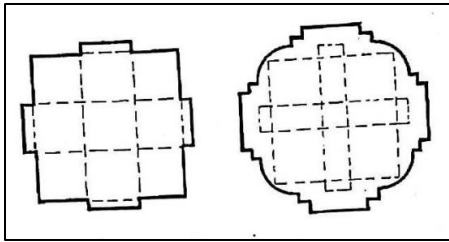
يوجد ببيت الصلاة مجموعه من العقود نصف الدائرية الشاهقة التي تقسمه الي أروقة كبيرة موازية لجدار القبلة الذي في منتصفه المحراب، وشكل محراب المسجد عبارة عن تجويف بعمق 120 سم يعلوه قوس علي شكل نصف دائرة محمول على عمودين اسطوانيين، وعلى يمينه تجويف بعمق 95 سم وعرضه 75 سم لوضع المنبر.



الشكل (10.1): يمين يبين تفاصيل محراب المسجد العتيق، يسارا يبين محراب المسجد العتيق، المصدر: كتاب المعمار الإسلامي في ليبيا

يصل ارتفاع واجهة بيت الصلاة التي تتكون من جزئين الى تسع أمتار حيث يشبه الجزء الأسفل طراز بناء المساجد المحلية بمدينة بنغازي، فهو يتكون من بابين بأطراف الواجهة الرئيسية ونوافذ مستطيلة والجزء العلوي فيه نوافذ تنتهي بشكل محذب، وكان يوجد ببيت الصلاة في الجزء الشمالي سده وهي متصلة بالفناء الشمالي عن طريق سلم خشبي.

تعرض بيت الصلاة لأضرار من جراء القصف العشوائي الذي قامت به البوارج الحربية الإيطالية عام 1911م وقد تم عمل صيانة للأعمدة المركزية وتغير شكلها من مربع الى أسطواني، ومن المرجح انها كانت تشبه أعمدة مسجد عصمان المجاور للمسجد العتيق.

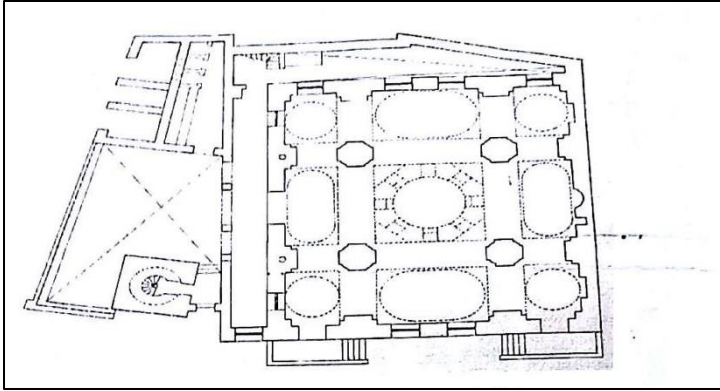


الشكل (11.1): يبين الفرق بين عمود المسجد العتيق ومسجد عصمان، المصدر: كتاب المعمار الإسلامي في ليبيا

كما طرأ على المسجد العتيق بعض التحسينات حيث ازيلت المحلات التجارية التي كانت تفصله عن ميدان البلدية وتم توسيع شارع عمر المختار بحيث يكون مدخل المسجد العتيق في محور هذا الشارع، وتم ربط المسجد من جهة الغرب بقوس مع شارع سيدي سالم ومن جهة الشرق بقوس مع مدخل سوق الظلام، وزرعت أشجار النخيل بفناء المسجد وبميدان البلدية وشيدت مباني بهذا الميدان واعيد بناء مبني البلدية لعمل توازن كع كتلة المسجد الضخمة مما ساعد على اظهاره بشكل متناسق مع البيئة المحيطة به، كما زود بيت الصلاة بشرفة امامية. " (الفقيه 1996)

المرحلة الثالثة: من عام 1973م الي 1955 م.
ظراً على المسجد العديد من التغيرات في هذه الفترة أهمها:

- 1 - هدم المئذنة القديمة وبناء مئذنة جديدة بشكل يخالف أسلوبه الأصلي.
- 2 - استقطاع شريط بكامل الواجهة الغربية بعرض 1.5 متر.
- 3 - إزالة ضريح مؤسس المسجد.
- 4 - إزالة الفناء الشمالي وضمه الي الساحة الواقعة خارج المسجد.
- 5 - إزالة السدة من بيت الصلاة.
- 6 - تشييد مبني يتكون من طابقين مكان الفناء الغربي.
- 7 - تغيير في فتحات الواجهة الرئيسية حيث تحولت النافذتان الي البابين، البابين الي نافذتين.
- 8 - ازيلت الشرفة أمام الواجهة الرئيسية وكذلك أشجار النخيل. (الفتية 1996)

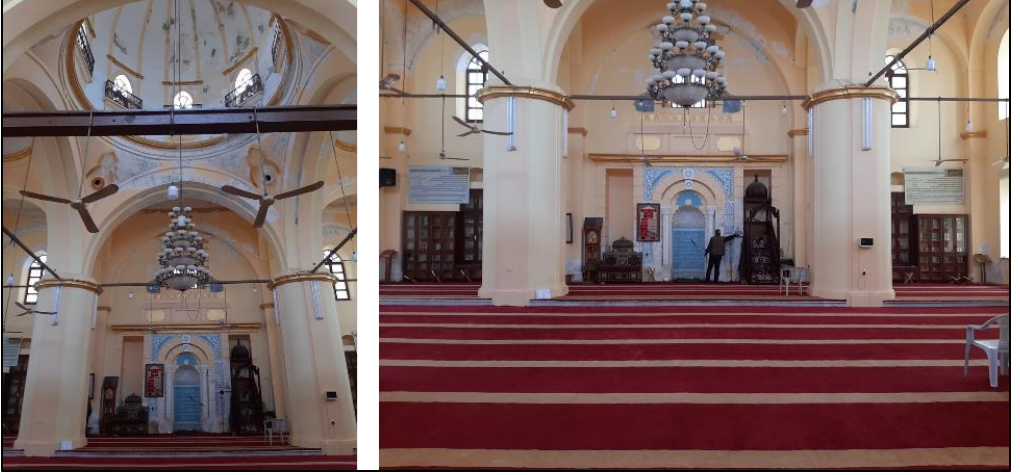


الشكل (12.1): يبين مخطط المسجد العتيق في منتصف القرن العشرين، المصدر: كتاب مساجد بنغازي القديمة

فكرة التصميم الداخلي للمسجد العتيق بمدينة بنغازي

بيت الصلاة اهم مكونات المسجد العتيق في هذه الفترة: يعتبر بيت الصلاة أهم مكونات المسجد العتيق، وهو يشبه لحد كبير بيت الصلاة بمسجد عصمان المجاور له ، فشكله مستطيل طوله 19.55م وعرضه 16.25م وفي منتصفه اربع اعمده ضخمة لها قطاع مربع 130سم*130سم ، اما باقي الأعمدة وعددها ثمانية فتقع بالجدران ، وتحمل هذه الأعمدة عقودا نصف دائرية تعلو سقف به قباب ، اكبرها القبة المركزية التي يصل قطرها الي 6 م ،

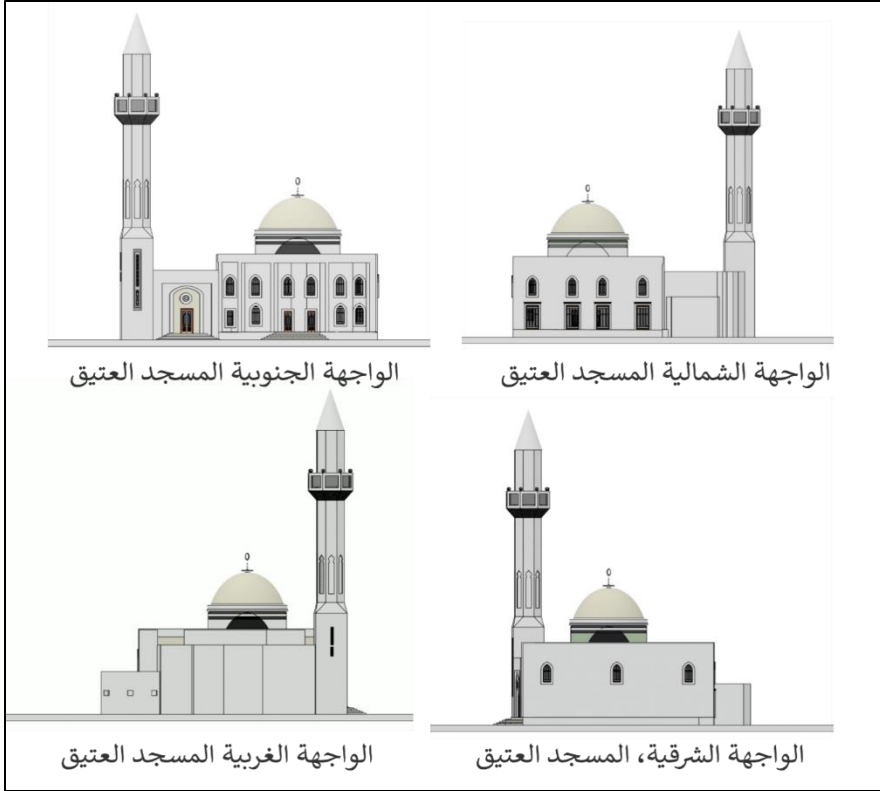
اما بقية القباب فهي صغيرة الحجم ، اربع منها لها شكل نصف كروي وتقع بأركان السقف ، بينما اربع قباب اخري بيضاوية الشكل .



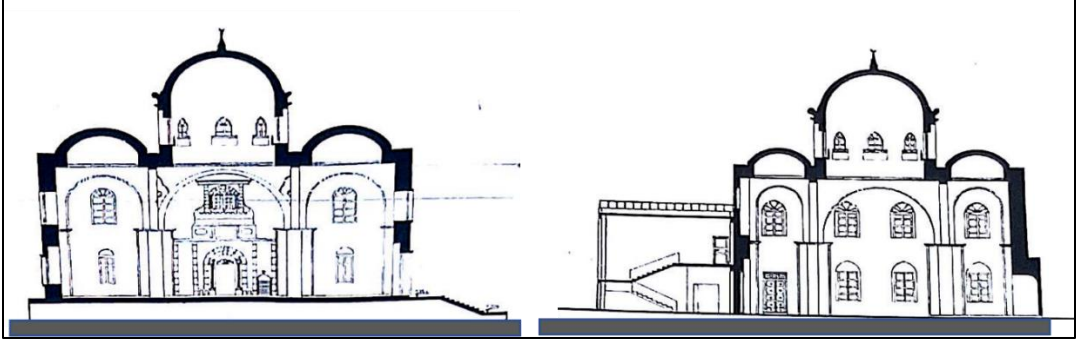
الشكل (13.1): يبين بيت الصلاة بالمسجد العتيق، المصدر: الباحثون 2024

المسجد العتيق في كان مبني وفق الطراز المحلي في العصر القرملي ويتكون من عدة اروقه مسقفه بالخشب وقد بقي علي هذه الصفة حتي جدهه والي برقة طاهر باشا واكتمل بنائه عام 1896م والمسجد في هذه المرحلة قد بني علي نفس نمط جامع عصمان المجاور له ويغل بيت الصلاة فيه مساحة مستطيلة الشكل (16.25*19.55م) قسمت الي ثلاث بلاطات بوساطة اربع اكتاف مربعة ، وقد ارتبطت البلاطات بحيث تكون الوسطي اكبرها ، وينطلق من فوق الاكتاف اثنا عشر عقدا ، ستة منها موازية لجدار القبلة ، والستة الأخرى عمودية علي ، وقد نتج من تقاطع العقود تسع فراغات خمسة منها مربعة الشكل والباقي مستطيلة الشكل ، واكبرها الوسطي وقد سقفت بقبة مركزية بلغ قطرها حوالي 6 متر وفي حين اعتلت هذه الفراغات التي شغلت الأركان الأربعة وكذلك الفراغات المستطيلة بجانب القبة اقبية مقببه كما بالصور (13.1) .

المسجد العتيق تعرض الي صيانة خلال الاحتلال الإيطالي طالت عددا من عناصره واهمها الاكتاف الأربعة التي تستند عليها العقود الحاملة للسقوف، حيث غلفت بجدار من الاجر ساهم في تغيير شكلها الأصلي واستحدث في بيت الصلاة سدة متصلة بالصحن بواسطة سلم خشبي وطالت الصيانة أيضا المحراب الذي قوامه حنية متوجة بنصف قبة على شكل صدفه ويكتنف الحنية عمودان يعلوهما عقد نصف دائري مصنوع من صنج حجرية وهو محاط بعقد اخر من نفس الصنج ويرتكز على اكتاف.



الشكل (14.1): يبين الواجهات للمسجد العتيق، المصدر: عمل الباحثون 2024



الشكل (15.1): يمين يبين قطاع طولي، يسارا يبين قطاع عرض بمبني المسجد العتيق، المصدر: المنصوري واخرون 2005

ان كتلة المحراب المؤكدة بإطار مستطيل ضمت داخلها شكلين من البلاطات المزججة وهي إيطالية الصنع مزينة بزخارف هندسية ونباتية مرسومة بلونين الأبيض والازرق الغامق على أرضية سماءيه، ومصممة على شكل تجمعات تتكون من الاشكال الهندسية أبرزها الدوائر المكررة. والبلاطات المذكورة كانت تغطي كوشتي العقد وجانبية لكنها للأسف نزعت اثناء الصيانة الأخيرة التي بدأت عام 1999 م واستبدلت بزخارف جصية ولم يبق منها اليوم سوى جزءا ما زل يشاهد حول النافذة المفتوحة فوق المحراب (الشكل 13.1 والشكل 16.1)



الشكل (16.1): يمين يبين تفاصيل نافذة المحراب من الداخل، يسارا يبين محراب المسجد العتيق، المصدر: عمل الباحثون

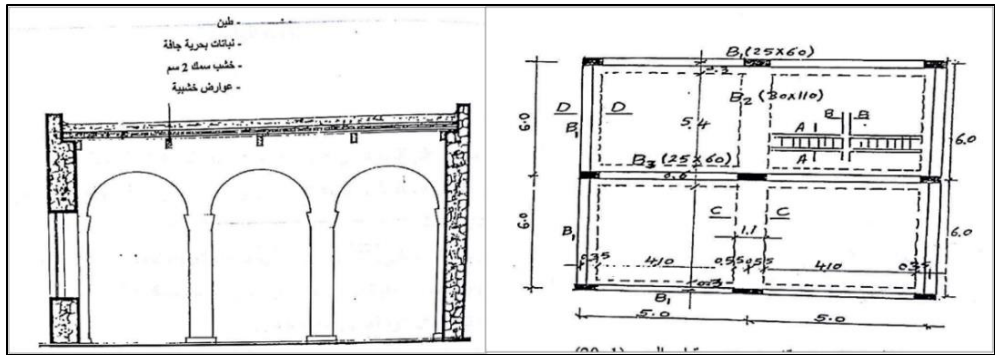
2024



الشكل (17.1): يبين تفاصيل النوافذ بالترتيب نافة مضافة، مربعة، نهايتها قوس ، نهايتها مديبة بالمسجد العتيق، المصدر: الباحثون 2024

دراسة النظام الانشائي للمسجد:

نظم الانشاء التي شيدها اجدادنا منذ عدة قرون لا تختلف كثيرا عن نظم الانشاء المستخدمة حاليا في جوهرها واساسها النظري ، مفهوم الجدار كان معروفا لدي اكثر المجتمعات البدائية انه وقتها كان منخفض الارتفاع كونه منفذ من الحجر الطبيعي الذي لا يسمح بزيادة ارتفاع الجدار كثيرا ثم بداء الانسان يستخدم المواد الرابطة المصنوعة من الطين او الكلس فظهرت إمكانية بناء ابنية جدارية اعلي ، ثم استطاع الانسان مع تطور أدوات نحت الحجر وتكسيهه علي شكل قطع مصقولة الوجوه فزادت ارتفاع الجدران اكثر وامكن تقليل سمكها وزيادة متانتها من الطوب والقرميد الى ارتفاع عشرات المتار .



الشكل (18.1): يمين يبين سقف الهوردي، يسارا يبين فكرة التسقيف القديمة بالمسجد العتيق، المصدر: كتاب مساجد بنغازي القديمة.

كما ان الأعمدة كانت عبارة عن متطاولة طبيعية منتقاة تثبت وتم توضع عليها احجار اخري مطولة وكلن بشكل افقي ما يشبه الجائز او العتبة. وكان ان ذلك أساس النظام الهيكلي في الانشاء والذي يبقي يعتمد على عنصرين أساسيين هما العنصر الشاقولي أو العمودي والعنصر الافقي أو الجائز، ونجد ان القوس أو القنطرة التي على شكل

نصف أسطوانة والقبة كلها أنظمة انشائية عرفت منذ الألف السنين ومازالت تستخدم كنظام انشائي بشكل واسع حتى وقتنا الحاضر في العديد من المنشآت ولكن بأبعاد ومقاسات أكبر ومواد وأشكال متعددة.



الشكل (19.1): يمين يبين شكل الاقواس، الوسط يبين شكل الاعمدة، يسارا يبين فكرة الاقواس والقبة من الداخل بالمسجد العتيق، المصدر: عمل الباحثون 2024

أسلوب الزخرفة:

وجدت عناصر جديدة للزخرفة لم تكن شائعة، وهي كسوة الحائط والقباب بالقيشاني، والملاحظ في زخرفة العمائر العثمانية بصفة عامة أنها مشتقة إلى حد كبير من العمائر السلجوقية وقد اقبل العثمانيون على استعمال المرمر في صناعة المنابر، وان التجديد العظيم في الزخارف المعمارية هو استخدام القيشاني لكسوة الجدران فقد اختفي استعمال الموزاييك الخزفية التي عرفناها في الطراز السلجوقي وحل محلها في بداية العصر العثماني لوحات من القيشاني ذات اللون الأزرق وبها رسومات ذهبية متعددة الألوان.

مناقشة النتائج:

تتضمن هذه المناقشة عرض للنتائج التي تم التوصل إليها من خلال أدوات الدراسة سابقة الذكر، وهي كالتالي:

- النتائج المتعلقة بالمشاهدة والملاحظة والصور الفوتوغرافية: أظهرت النتائج بأن المسجد تعرض للعديد من عمليات التجديد المختلفة.

- النتائج المتعلقة بقائمة التدقيق: بحسب التدقيق أظهرت النتائج أن المسجد تعرض الي محاولات طمس للهوية المعماري الليبي واضفاء الطراز العثماني السلجوقي على مبني المسجد من خلال عمليات التجديد التي قام بها الاتراك.

الخلاصة

مرحلة عهد حكم الاتراك ليبيا أدت الي إخفاء حقيقة أصل المسجد الليبي والذي لم يكن في الواقع مجرد تقليد بل جاء نتاج الحركة المرابطية التي جعل انتشارها الشاسع من القبة دليلا على الموقع المقدس بل وان هذا النوع من المساجد كلن خلاصة خبرة معمارية وانشائية نتيجة انفرادية اهل ليبيا الذين وجدوا فيه تركيبا معماريا يتناسب مع طبيعتهم.

التوصيات

1. ضرورة توثيق للمراحل التجديد للمسجد بداية من تأسيسه 1577م الي تجديد الايطاليين وتجديد الاتراك.
2. دراسة الصور القديمة والمعلومات التي تصف المسجد قبل تجديده (أصل المسجد) وتحليل الطراز الليبي المحلي الذي اوجده الليبيون خلال بناء المسجد في عام 1577م.
3. دراسة النظام الانشائي المستخدم في بناء المسجد

المراجع

1. الفقيه، عبد الستار محمد، (1996)، مساجد بنغازي القديمة، الهيئة العامة للأوقاف بنغازي، الطبعة 1.
2. ميساننا، غاسبري (1998)، المعمار الإسلامي في ليبيا: تعريب علي الصادق حسين، دار الرواد طرابلس الطبعة 1.

3. الدراجي، سعد إبراهيم (2017)، المساجد التراثية في مدينة بنغازي: دراسة عمارية، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد 8، ال عدد 1.
4. المنصوري، ايمن عبد العاطي، واخرون (2005)، مشروع تخرج المسجد العتيق بنغازي، المركز المهني العالي لإعداد المدربين، التعليم التقني، بنغازي.
5. العربي، فتحية (2020)، منهج العمارة المحلية، قسم العمارة وتخطيط المدن، كلية الهندسة، جامعة بنغازي.

توثيق التراث الهندسي لمدينة غدامس القديمة

عبدالعليم يونس عبدالرحمن يونس

قسم التقنيات الهندسية، المعهد العالي للعلوم والتقنية، غدامس، ليبيا

Abdyay2018@gmail.com

ملخص البحث

تقع مدينة غدامس في الغرب الليبي، في المثلث الحدودي الليبي التونسي الجزائري، وترتفع (365 متر) عن سطح البحر وتقع في خط طول (9.40) شرقا وخط عرض (30.60) شمالا. تقع المدينة شمال الصحراء الكبرى فمناخها صحراوي يتميز بشح الامطار، وصيفها حار جدا وشتاؤها بارد. يقدر عمرها بألاف السنين استنادا الى النقوش الموجودة في أطراف الواحة، واحتلتها القرطاجيون ثم الرومان، ودخلها نور الإسلام سنة (42 هـ).

تحتوي هذه المدينة جميع المرافق التي يحتاجها السكان كالمنازل والمساجد والأسواق، فهي مترابطة ومسقوفة بالكامل، مما جعلها جوهرة فريدة ومتميزة في وسط الصحراء، وهي محاطة بأشجار النخيل للمساعدة على تلطيف الجو. بنيت هذه المدينة من مواد بناء محلية حيث وظفت هذه المواد بالشكل الأمثل في عمليات البناء، ويعيب هذه المواد المتمثلة في التربة والاشخاب والحجارة ديمومتها القصيرة، وعليه فإن المدينة تحتاج لعمليات صيانة وترميم بشكل دائم.

في سنة 1986م أدرجت مدينة غدامس القديمة على لائحة التراث العالمي، وخلال السنوات (1999م - 2001م) قامت منظمتا اليونسكو (UNESCO) ومنظمة الانماء العالمي (UNDP) بعمل صيانات رئيسية لإنقاذ المدينة من الخراب، ثم اسندت المهمة الى جهاز تنمية وتطوير مدينة غدامس.

من خلال العمل مع هاتين المؤسستين فقد اكتسب الباحث العديد من الخبرات التي تتعلق بمواد واساليب البناء في هذه المدينة، كما لوحظ وجود بعض الخلل المتعلق بجودة الاعمال، ويرجع ذلك لعدة أسباب منها عدم وجود مواصفات معتمدة، ونقص الخبرات لدى الأجيال الجديدة، وعليه فقد قام هذا البحث بمحاولات لغرض معالجة هذا الخلل وتوثيقه

وقد تحققت بعض الاهداف بالتعاون مع بعض المؤسسات والخبرات المحلية، كما وضعت خطة مستقبلية تهدف الى توريث هذا التراث الى الأجيال الجديدة ونقله الى العالمية.

1. المقدمة

تقع مدينة غدامس القديمة في قاع وادي قديم يتكون من مجموعة من الروافد، تبدأ غرب وشمال غرب الحمادة الحمراء منتهية الى الغرب من المدينة، ويحيط بها من جهة الغرب السبخة التي بنيت عليها قرية تونين المجاورة، وبالقرب منها الكثبان الرملية وجنوبا يوجد منخفض الكبو [1] .

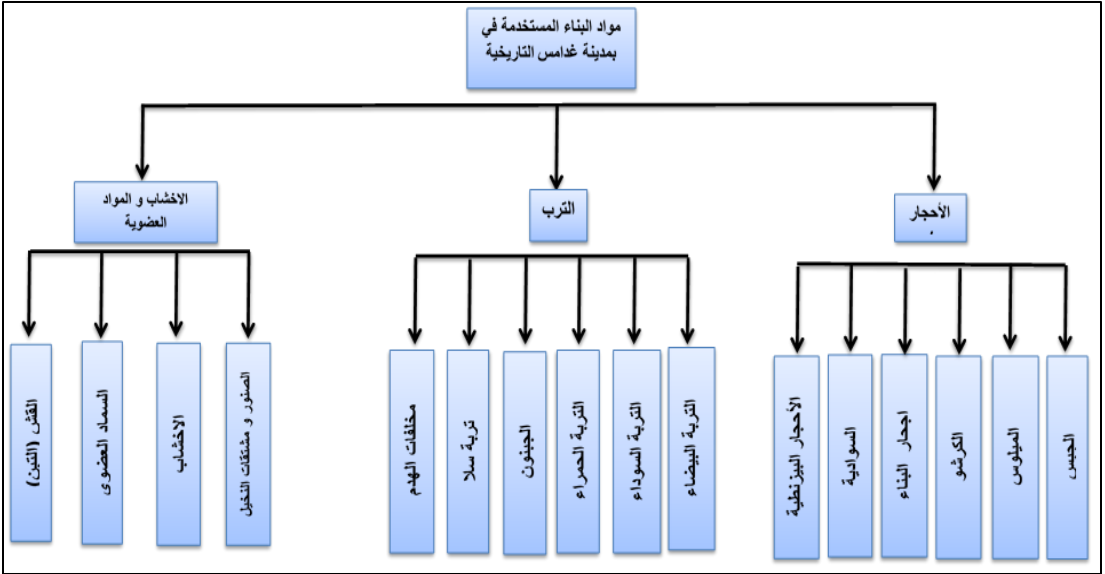
اعتمدت الحياة في مدينة غدامس على أربعة عناصر أساسية تتمثل في مصدر الماء الدائم (عين الفرس)، والعنصر الاقتصادي والمتمثل في الزراعة والتجارة، وكذلك عنصر الأمن والمتمثل في السور المحيط بالمدينة، وأخيرا العنصر الديني والعقائدي [2] .

إن مدينة غدامس ذات طابع هندسي ومعماري فريد فهي مدينة متكاملة ومسقوفة بالكامل، لحماية سكانها من العوامل المختلفة كالعوامل الجوية، ولغرض تلطيف حرارة المدينة الصحراوية ابتكر السكان العديد من الحلول الفريد والمميزة، فالمدينة بنيت بالكامل من الطوب الطيني والذي يعتبر عازل ممتاز للحرارة، كما أن المدينة محاطة بغطاء نباتي بالكامل، إضافة لوجود فتحات تهوية في شوارع المدينة تقوم بتلطيف وتغيير الهواء بشكل مستمر ودائم. تبلغ المساحة الكلية لمدينة غدامس القديمة (38) هكتارا، وبها (372) من الشوارع والزقاق و (1350) منزلا، وما لا يقل عن (28) من المساجد، وعدد كبير من المصليات والزوايا القرآنية، والعناصر الأخرى كالأسواق والبوابات وغيرها [3] .

يعتقد أن المدينة في بداية نشأتها كانت عبارة عن مجموعة من القصور المتباعدة والقائمة الى الآن وهي (قصر مقدول/قصر النونو/قصر شهوان/قصر أمانج/قصر أجزض نماس/قصر بن عمرو)، ومع زيادة السكان والعمران أصبحت المدينة وحدة واحدة.

2. الجانب العملي

بنيت مدينة غدامس القديمة بالكامل من مواد محلية مكونة أساسا من أنواع مختلفة من التراب والحجارة ومشتقات النخيل وبعض الاخشاب، ويبين الشكل (1) حصر وتصنيف هذه المواد [4].



شكل رقم (1): حصر مواد البناء في مدينة غدامس القديمة

لقد تمكن سكان المدينة من توظيف هذه المواد بطريقة مميزة ومثالية ونتج عن ذلك مدينة متكاملة وفريدة في قلب الصحراء وظلت صامدة وشامخة لألاف السنين الى يومنا هذا، ولا يخفى أن مرافق المدينة تجري لها عمليات صيانة دورية ومستمرة من قبل السكان القاطنين بها للمحافظة عليها من العوامل المختلفة كالعوامل الجوية والزمن والعبث البشري.

فالحجارة الصفراء و الحمراء تستخدم أساسا في بناء الاساسات و الجدران ذات الأحمال العالية و رصف الأرضيات، كما يستعمل حجر الأكرشو (الأمرماج) ذو المسامية العالية و الوزن الخفيف في بناء الأقواس و الدمس (القباب)، كما يتوفر في محيط الواحة أحجار الجبس حيث يقوم السكان بقطعها و حرقها بطريقة معينة تسمى الكور لغرض الحصول على مادة الجبس المستخدمة في بناء الأقواس و الدمس و بياض للجدران و في بناء السلام و عمليات الترميم، و من ضمن الأحجار الموجودة في محيط قرية تونين القريبة حجر الميلوس الشفاف و الذي يتم حرقه للحصول على مادة الجير المستخدمة في تبييض الجدران، كما توجد في بعض المواقع المهمة الحجارة ذات النقوش المميزة و التي توضع كتيجان للأعمدة، ويعتقد أن مصدرها كنيسة قديمة في موقع قصر مقبول، و في الجنوب من المدينة يقع موقع السوادية و يحوي أحجار نارية مفلطحة تستخدم في رصف الشوارع و قنوات المياه.

استخدمت في بناء مدينة غدامس القديمة مجموعة متنوعة من الترب، و تسمى عادة بناء على لونها، فالتربتين الحمراء والسوداء تستخدمان في انهاء الاسوار المحيطة بالمزارع، و تخلطان عادة مع التربة البيضاء لإنتاج خليط الترب الذي

يستخدم في إنتاج وحدات الطوب وكمونة في البناء، و يوجد في المزارع المحيطة بالمدينة تربة متصلبة تسمى الجبنون و تستخرج عند حفر الآبار أو استصلاح الأراضي حيث يتم تقطيعها و استخراجها على هيئة مكعبات أو مستطيلات و تترك لتجف و يتمثل استخدامه الوحيد في بناء اساسات الجدران المحيطة بالمزارع [5]، و من التربة ذات الخواص الفريدة تربة سلا و هي تربة صفراء اللون تستخرج من ضواحي قرية تونين القريبة و هي تربة ذات حبيبات مبعثرة و قوامه مثل مادة الدقيق تماما، و تخلط هذه التربة من مسحوق الفلفل و منقوع التمر والملح و تطلى به قطع الصنور قبل استخدامها في البناء مباشرة لحمايتها من العوامل المختلفة كالتسوس، و من عمليات الاستدامة التي تشتهر بها مدينة غدامس القديمة إعادة تدوير المباني المنهارة (مخلفات الهدم)، حيث يتم تنقيتها من الشوائب وإعادة استخدامها في إنتاج الطوب و كمونة في البناء.

تتوفر بمدينة غدامس على عدد كبير من أشجار النخيل و يستفاد من أجزاءها في مختلف نواحي الحياة اليومية لسكان المدينة، فجدع النخلة يتم شقه الى نصفين متساويين فنحصل على مادة الصنور المهمة و التي لها العديد من الاستخدامات كبناء الاسقف و صناعة الأبواب و بناء البويللة (الجدران الساندة) و ترميم الشقوق، و يستفاد من مادة الجريد في بناء الأسقف و صناعة الأبواب، كما تتوفر بالواحة بعض الأشجار المثمرة كالزيتون و الرمان و المشمش و تستخدم اخشابها في صناعة الأبواب و الأقفال، و تشير بعض المصادر و المشاهدات إضافة السماد العضوي (روث الحيوانات) للخليط المستخدم كمونة و في إنتاج الطوب لإكسابه قابلية للتشغيل و زيادة مقاومة النفاذية للماء.

قامت المنظمات الدولية و جهاز تنمية و تطوير مدينة غدامس بمجهودات جبارة للحفاظ على هذا الإرث الإنساني فقد اعيدت بناء بعض المعالم التي تعرضت للاهتيار الكلى أو الجزئي، كما اجريت عمليات صيانة لعدد كبير جدا من المرافق الموجودة في المدينة، و من خلال متابعة العمل مع هذه الجهات لوحظ بعض الخلل في عمليات البناء و الصيانة و جودة المواد و الذي يرجع أساسا لعدم وجود مواصفات معتمدة تمكن المهندسين من الاعتماد عليها، مما قلل من جودة بعض الاعمال، و يبين الجزء التالي من هذا البحث بعض مواضع الخلل التي اثرت سلبا على جودة عمليات البناء و الصيانة.

1.2 حصر بعض مواضع الخلل في عمليات البناء والصيانة

إن المباني كمنشآت هندسية تعمل كوحدة واحدة، فالنشاط الذي يولد الأحمال عادة ما يكون على السقف ثم تنتقل هذه الأحمال الى الجدران أو الأعتاب ومنها الى الأساسات التي تنقلها الى التربة، وأي خلل في هذه العملية سيؤدي الى ظهور المشاكل بمختلف أنواعها كالهبوط والتشققات وغيرها.

من خلال العمل في هذا المجال رصدت بعض الأخطاء التي يمكن تلافيها والتي أثرت سلباً على جودة الأعمال المنجزة ويمكن تصنيف هذه الأخطاء في النقاط التالية:

1.1.2 بناء الأساسات

إن الأساسات هي الركيزة الأساسية التي يستند عليها المنشأ في نقل أحماله إلى التربة، و يختلف نوع و حجم و شكل الأساس حسب نوع المنشأ و الأحمال المسلطة عليه، فجميع مباني مدينة غدامس القديمة بنيت باستخدام الأساس الشريطي الذي يمتد بطول الحائط، و تبنى الأساسات بالحجارة الصفراء و الحمراء المبنية في الفقرات السابقة، فهي حجارة صلبة و قاسية و مقاومة للرطوبة و العوامل الطبيعية كالتعرية، و اثبتت جدارتها من خلال ما نراه حالياً من مباني يرجع عمرها لألف السنين، بشكل عام تعتبر الأساسات المنجزة خلال عمليات البناء و الصيانة في نطاق المدينة القديمة ذات جودة ممتازة، ماعدا بعض الملاحظات البسيطة و التي منها على سبيل المثال ما يلي:

- 1- عدم ثبات الأساس، حيث يتم بناء الأساس للجدران العادية بحفر الموقع إلى عمق بسيط عادة لا يتجاوز (40 سم) ثم يتم تعشيق الحجارة على جانبي الأساس مع ملء الفراغ الوسطي بكسر الحجارة، وفي حال عدم تعشيق قطع الحجارة بالصورة الصحيحة فلن يكون الأساس ثابتاً مما يؤدي إلى ميله وبالتالي سقوط الجدار المبنية عليه، ومبين الشكل (2) أساس نموذجي.



شكل رقم (2): أساس نموذجي

2- حدوث هبوط للأساس لعدة أسباب كأن تكون تربة الموقع ضعيفة، ولكن أغلب حالات الهبوط ترجع لطريقة السقي بالغمر في المزارع الملاصقة والتي تؤدي الى تخلل مياه الري طبقات التربة تحت الأساس وبالتالي تخلصها وهبوط الأساس وظهور التشققات على الجدران، انظر الشكلين (3) و (4).



شكل رقم (3): سقوط حائط بسبب حركة الاساس شكل رقم (4): تشقق الجدران بسبب حركة الأساس

من الأخطار الشائعة عند بناء الجدران الطوبية ملامستها لسطح الأرض الطبيعية، مما يساهم في انتقال الرطوبة الى هذه الجدران وبالتالي تأثرها بالرطوبة وتفتتها وانحيارها، انظر الشكل (5)، وتكون الطريقة المثالية بان يكون الأسس الحجري مرتفع عن سطح الأرض بعدة سنتمترات لمنع انتقال الرطوبة الى الجدران الطوبية، انظر الشكل (6).



شكل رقم (5): جدار طوبي ملامس لسطح الأرض



شكل رقم (6): اساس نموذجي مرتفع عن سطح الارض

2.1.2 إنتاج الطوب

يعتبر الطوب بمختلف أنواعه من أهم وحدات البناء التي استعملت في البناء على مر العصور، واشتهرت مدينة غدامس القديمة منذ آلاف السنين بأنها مبنية من وحدات الطوب الطيني الذي ينتج محليا بخلط نوعيات مختلفة من التراب البيضاء والحمر والسوداء، بطرق وبنسب معينة (1 بيضاء:2 حمراء) أو (1 بيضاء:2 سوداء) وتعتمد جودة الطوب المنتج على عدة نقاط كنسب الخلط الصحيحة وطريقة المعالجة والصب والتجفيف. فبعد خلط التراب بالنسبة المعتمدة بشكل جيد الى أن تتجانس، ثم يشبع بالماء لمدة لا تقل عن أسبوع، ثم يتم إعادة خلطها وإنتاج وحدات الطوب باستخدام قوالب قياسية، عادة ما تكون بأبعاد محددة ومتعارف عليها. من خلال المتابعات المستمرة لوحظ في بعض الأحيان بعض الممارسات الخاطئة والتي تؤدي إلى إنتاج طوب غير قياسي وذو مواصفات رديئة مما يؤدي لظهور مشاكل إنشائية كتآكل الجدران أو انهيار المباني، ويمكن بيان أهم الملاحظات في النقاط التالية:

- 1- عدم مزج خليط التراب بالطريقة الصحيحة يؤدي للحصول على طوب غير متجانس وبالتالي يكون ضعيف وغير قادر على تحمل الأحمال بالشكل الأمثل، ويبين الشكل (7) طوبة من تراب غير ممزوجة بشكل جيد.



شكل رقم (7): طوبة من ترب غير متجانسة

2- لوحظ في بعض الحالات استخدام الترب العادية كالتربة الزراعية في انتاج الطوب، فوحدات الطوب المنتجة في هذه الحالة تكون ضعيفة وهشة جدا وعادة ما تتفتت أثناء نقلها من مواقع الإنتاج الى موقع العمل، انظر الشكل (8)، كما أن الجدران المنجزة بهذه الوحدات تتعرض للتفتت بشكل سريع جدا بسبب العوامل المختلفة كالأمطار والرياح.



شكل رقم (8): طوب منجز من تربة عادية

3- عدم إزالة الشوائب الكبيرة كقطع الحجارة يؤدي الى تداخلها في جسم الطوبة فنحصل على طوب غير قياسي ملئ بالشوائب مما يقلل من متانته وتحمله للأحمال وسهل الكسر، انظر الشكل (9).



شكل رقم (9): طوبة تحوي شوائب كبيرة الحجم

4- من الأخطاء الشائعة في إنتاج الطوب ظاهرة التعشيش، وهي كثرة الفراغات في جسم الطوبة وخصوصا في الحافات الخارجية، ويرجع السبب الرئيسي لهذه الظاهرة عدم دمك ورص خليط التربة عند ملء القالب فنحصل في النهاية على طوب ضعيف بإبعاد غير قياسية وملئ بالفراغات والفجوات، كما هو مبين في الشكل (10).



شكل رقم (10): طوب معشش

5- إن الطوب المعد لأعمال البناء في المدينة عادة ما يكون بأبعاد $10*30*40$ سم، ولكن من خلال المتابعات المتواصلة لوحظ أن بعض منتجي الطوب يستعملون قوالب غير قياسية، فنحصل بالتالي على طوب بإبعاد غير قياسية نتيجة لوجود خلل في الأبعاد، انظر الاشكال (11) و (12).



شكل رقم(12): طوبة بطول صغير



شكل رقم (11): طوبة بسمك صغير

6- عدم استواء الأرضية تحت القالب يؤدي للحصول على طوب بإبعاد غير منتظمة خصوصا من الأسفل (تحذب من الأسفل). انظر الشكل (13).



شكل رقم (13): طوبة بأبعاد غير منتظمة لعدم استواء الأرضية اثناء الاعداد

7- إن الطوب القياسي المستخدم في مدينة غدامس القديمة يحتوي على تحذب من الأعلى، للتقليل من المونة أثناء البناء، ولزيادة الربط بين طبقات الطوب في الجدار الواحد، حيث تزداد درجة التعشيق بين طبقات الجدار الواحد في حال وجود تحذب للطوب المستخدم في البناء، ووجدت في الحالات وحدات من ذات سطح مستوي مما يقلل من درجة الربط والتعشيق في حال البناء بها، كما هو مبين في الشكل (14).



شكل رقم (14): طوبة مستوية السطح

3.1.2 بناء الجدران

إن جميع مباني مدينة غدامس القديمة بنيت بنظام الجدران الحاملة، أي ان الاحمال تنتقل من السقف الى الجدران ومنها الى الأساسات وتنتهي بالأرض الطبيعية، عليه في هذا النوع من البناء يجب ان تبنى الجدران من مواد متينة وذات جودة عالية لضمان تحملها للأحمال وعدم تعرضها للمشاكل المختلفة كالشقوق والانحيارات، كما أن سمك الجدران يكون بعرض أكبر في الأدوار السفلية من المباني، ويقل كلما ارتفعنا للأعلى الى أن تصبح رقيقة في الأسطح، وبشكل عام تعتبر الاعمال المنجزة خلال فترات البناء والصيانة ممتازة ماعدا بعض الممارسات التي قد تؤثر سلبا على سلامة المنشأ، والتي نورد منها ما يلي:

1- أشرنا في الفقرة السابقة إلى إنتاج وحدات من الطوب من التربة العادية، وهذا مخالف للأعراف الهندسية المتبعة في المدينة، فهذا الطوب المنتج ضعيف ويتفتت بمجرد نقله ووضعها في البناء، وقد رصدت بعض الجدران المبنية بهذا النوع من الطوب، وبالفعل ظهرت عليها آثار التفتت والتآكل بشكل سريع، مما يؤثر سلبا على ثبات وسلامة المنشأ، انظر الشكلين (15) و (16).



شكل رقم (16): حائط حديث ومتآكل بالكامل



شكل رقم (15): حائط متآكل من الأعلى

2- من العناصر الإنشائية التي ينفرد بها التراث الهندسي للمدينة حائط البويلة، و هو ما يعرف هندسيا بالجدران الساندة، و تستعمل لإسناد الحوائط العالية للمباني لمنعها من الحركة و الانهيار، و تبنى هذه الجدران بطريقة معينة، فهي تبنى من الطوب و أساسها من حجارة البناء و تكون بعرض كبير في بدايتها و تقل كلما ارتفعنا للأعلى، اثناء متابعة أعمال البناء لهذه الجدران، لوحظت بعض الأخطاء التي قد تؤثر سلبا على ثبات و سلامة البويلة والجدران التي تسندها، أول هذه الممارسات يتمثل في وضع وحدات الطوب متقاربة أو ملاصقة لبعضها البعض مما يقلل من كمية المونة المطلوبة للربط بينها مما يقلل من ثبات الحائط، كما هو مبين في الشكل (17).



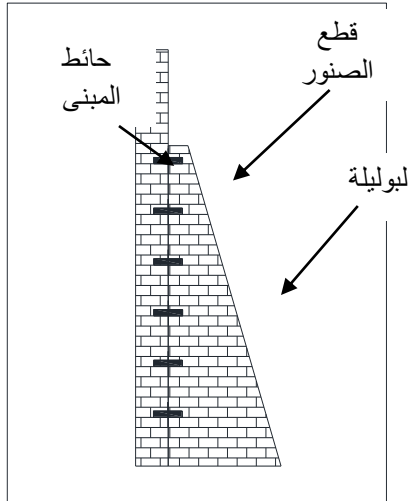
شكل رقم (17): بويلة مبنية بطوبات متلاصقة

ويتمثل الخطأ الثاني في عدم ربط جدار البوليصة مع جدران المباني المطلوب إسنادها، مما يؤدي إلى حدوث انفصال بينها مباشرة بعد الانتهاء من البناء، كما هو مبين في الشكل (18).



شكل رقم (18): بوليصة حديثة البناء منفصلة عن الحائط

وتكون الطريقة الصحيحة للبناء بوضع صف من قطع من الصنور يتداخل نصفها في البوليصة والنصف الآخر في الحائط المسنود للربط بينهما وللعمل كوحدة واحدة، بحيث لا تقل المسافة العمودية بين كل صفتين من قطع الصنور عن (1 متر) أو خمسة صفوف من الطوب، انظر الشكل (19).



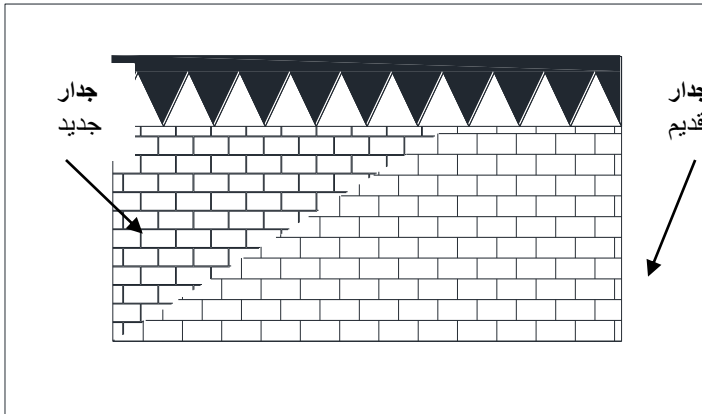
شكل رقم (19): التفاصيل القياسية لربط البوليصة بالجدران المسنودة

3- عند حدوث إزالة أو انهيار لأي جدار طوبي في نطاق المدينة، يتم إزالة الجزء المتضرر فقط وإعادة بناءه، وهذه الظاهرة كثيرة الحدوث في الجدران المحيطة بمزارع المدينة، ويقوم بعض العمال بربط الجدار الجديد بالجدار القديم بشكل مباشر ومن مواقع الانهيار فقط كما هو مبين في الشكل (20).



شكل رقم (20): ربط حائطين قديم وحديثة بطريقة خاطئة

تقوم الطريقة الصحيحة بإزالة جزء من الجدار القديم وبزاوية، وإعادة بناء الجزء الذي تمت إزالته تزامنا مع بناء الجدار الجديد لزيادة قوة الربط ودرجة التعشيق، ولمنع حدوث انفصال بينهما، انظر الشكل (21).



شكل رقم (21): ربط حائط جديد بحائط قديم بعمل زاوية

4.1.2 استخدام الصنور

يعتبر الصنور وحدة البناء الأساسية المستخدمة في بناء الأسقف، فأغلب اسقف المدينة تستند على وحدات الصنور المتحصل عليها من أشجار النخيل المتوفرة في نطاق المدينة، و من خلال الخبرات المتراكمة للبنائين تم تحديد أنواع معينة من أشجار النخيل التي تنتج صنورات ذات جودة عالية تستخدم بشكل اساسي في بناء الاسقف ذات الفضاءات الكبيرة، و من اهم هذه الأنواع (التمودي والتيسوين والمدغوية)، و تستخدم الأنواع الأقل جودة في الأعمال الأقل أهمية كالأعتاب و الفضاءات الصغيرة، كما أن وحدات الصنور تحتاج لمعالجات خاصة قبل استخدامها في البناء، فبعد قطعها مباشرة يتم تجفيفها لمدة تتراوح من ستة أشهر الى سنة، كما يجب طلائها قبل وضعها في السقف بخليط خاص يتكون من تربة سلا و حبوب الفلفل و منقوع التمر و الملح، بهدف حمايتها من التسوس و من العوامل الطبيعية، و من خلال المتابعات المستمرة سجلت بعض الأخطاء المتعلقة باستعمال الصنور خصوصا في بناء الأسقف و من أهمها ما يلي:

- 1- نظرا للنقص الحاد في أنواع الصنور ذو المتانة العالية، فعالبا ما يلجأ البناؤون الى استخدام أي نوع من الصنور دون التحقق من نوع النخلة، مما يؤدي في بعض الأحيان الى فشل الصنور في تحمل أحمال السقف فيحدث لها الخناء أو قد تنكسر، وبالتالي يحدث هبوط أو انهيار للسقف، انظر الشكل (22).



شكل رقم (22): صنورات سقف مكسورة

- 2- من خلال البحث والمعاينات المتواصلة تبين في بعض الحالات النادرة وضع صنورات السقف في وضعيات مائلة، أي ما يخلق فجوات بين السقف ووحدات الصنور، بمعنى أن السقف لا يستند على وحدات الصنور بالطريقة المثالية، إضافة لملء هذه الفجوات بالموونة أو قطع إضافية من الصنور، كما هو مبين في

الشكلين (23) و (24)، وهذا مخالف للأعراف والمواصفات الهندسية المتبعة، فهذه الفجوات هي نقاط ضعف قد يحدث عندها هبوط للسقف.



شكل رقم (23): ملئ الفراغ فوق الصنور بالمونة شكل رقم(24): ملئ الفراغ فوق الصنور بقطعة

3- كما أن متابعة الأعمال المتعلقة بتجهيز واستخدام الصنور في عمليات البناء، لوحظ إلغاء عملية المعالجة التقليدية بشكل نهائي، فهذه المعالجات هي التي حافظت على وحدات الصنور لمئات أو آلاف السنين من العوامل الطبيعية ومن تأثير الحشرات الناخرة له، وبالفعل رصدت بعض الحالات التي ظهرت فيها حالات تسوس بسبب الحشرات كما هو مبين في الشكل (25)، كما أن استخدام الصنور قبل جفافه التام يؤدي الى إنجناؤه وبالتالي قد يتعرض للكسر، انظر الشكل (26).



شكل رقم (25): حالة تسوس الصنور



شكل رقم (26): إنحناء الصنور بسبب عدم الجفاف التام

5.1.2 بناء الأسقف

تعتبر الأسقف من أهم العناصر الإنشائية في المباني، فالنشاط البشري يتركز في السقف، وعليه فإن تصميم وبناء الأسقف يحتاج لعناية كبيرة، ولمواد ذات جودة عالية لضمان تحمله للأحمال المسلطة عليه. إن أغلب الأسقف في مدينة غدامس القديمة تستند على وحدات الصنور التي يجب أن تكون من نوعيات معينة وذات جودة عالية ذكرت سابقاً في هذا البحث، إن سمك السقف يجب أن يكون مناسباً بحيث يكون مستقراً وثابتاً، عمليات البناء والصيانة التي شهدتها مدينة غدامس تم خلالها بناء وصيانة العديد من الأسقف، وأغلبها في حاله جيدة، ولكن رصدت بعض الممارسات الخاطئة والتي من شأنها التأثير على سلامة السقف ونورد منها ما يلي:

- 1- إن سمك السقف المتعارف عليه في جميع مباني مدينة غدامس القديمة لا يقل عن (30سم)، مما يجعله أكثر ثباتاً واستقراراً، ولكن وجدت بعض المواقع التي أنجزت فيها أسقف بسمك صغير فهي غير مستقرة وتتمز بشكل ملحوظ عند المرور عليها، كما تظهر عليها الشقوق بسبب السمك القليل للمونة، والشكل (27) يبين سقف بسمك صغير ويمكن ملاحظة ذلك من فتحة التهوية.



شكل رقم (27): سقف بسمك صغير مع شقوق

2- من خلال الخبرات المتراكمة لبنائي المدينة، اعتمدت مسافات معينة ما بين وحدات الصنور عند بناء الأسقف تتراوح (60-90سم)، غير أنه لوحظ في بعض الحالات عدم الالتزام بهذه المسافة، فالشكل (28) يبين مسافة كبيرة مقدارها أكثر من متر بين الصنورة وحافة السقف.



شكل رقم (28): مسافة كبيرة بين الصنورة وحافة السقف

3- عند صب مونة السقف منازل مدينة غدامس القديمة، يجب ان تكون بها نسبة معينة من الماء، كما يجب أن يتم دمكها جيد بواسطة الكرناف وهي نهايات الجريد العريضة، حيث تحدف عملية الدمك الى التخلص من الفراغات الموجودة في السقف، وزيادة كثافته ومقاومته لإنفاذ الماء، مما يجعل السقف أكثر قوة ومتانة، ولكن في بعض الحالات لم يتم الالتزام بهذه المعايير، فالشكل (29) يبين سقف انجز بطريقة سيئة مما أوجد فجوات كبيرة مما يجعل السقف معرضا للخراب بشكل سريع.



شكل رقم (29): سقف حديث يه فجوات

3. النتائج

من خلال تراكم الخبرات العملية والدراسات البحثية في السنوات السابقة، وما تم عرضه في الفقرة السابقة من بعض الممارسات الخاطئة والتي تؤثر سلبا على سلامة المباني التي تم صيانتها وترميمها، فإن السبب الرئيسي لهذه الممارسات يمكن حصره في النقاط التالية:

- 1- خصوصية بنود الأعمال الهندسية في مدينة غدامس القديمة، فهي تختلف بشكل كبير عن بنود الأعمال الهندسية للمباني الحديثة والمعتمدة لدى الجهات ذات العلاقة.
- 2- عدم وجود مواصفات مكتوبة ومعتمدة أطلق العنان لبعض المقاولين للعمل بحرية تامة وبدون رقابة هندسية تذكر.
- 3- عدم التحقق من جودة المواد المستخدمة في اعمال البناء والصيانة، لعدم وجود إدارة متخصصة لدى الجهات ذات العلاقة.
- 4- عدم تكوين كوادر هندسية متخصصة في اعمال البناء والصيانة المتعلقة بمدينة غدامس القديمة، حيث يتم إقحام المهندسين مباشرة في الاعمال دون إعداد مسبق، فطرق البناء والصيانة تختلف عن الأساليب التي تدرس في المعاهد العليا والجامعات.

بناء على ما سبق و باعتبار عضو هيئة تدريس بالمعهد العالي للعلوم و التقنية بغدامس و ما يمثله ذلك من إعداد و تعليم مهندسي المستقبل، و عمل دراسات و بحوث علمية خدمة للصالح العام من أجل تطوير العمل الهندسي بالمدينة، وخدمة لمدينة غدامس القديمة التي تمثل صرحا حضاريا و علميا، و نظرا للكلم الهائل من المعلومات و

البيانات الهندسية المختلفة سواء الإنشائية منها أو المعمارية، فإن هذا التراث يحتاج لمجهودات مؤسساتية لغرض توثيقه و نقله للأجيال القادمة وبسبب عدم وجود مؤسسات تعنى بهذا المجال، عليه فقد تم اقتراح عدة محاولات في هذا المجال وتم العمل بالتوازي ضمن أربعة محاور رئيسية مبينة في الشكل (30).



شكل رقم (30): محاور مبادرة التوثيق

1.3 ضبط الجودة

من خلال الخبرات المتراكمة وبملاحظة بعض الممارسات الخاطئة وبالتعاون مع الجهات ذات العلاقة، عملت كمستشار في جهاز تنمية وتطوير مدينة غدامس، وهو الجهة المخولة بأعمال البناء والصيانة داخل مدينة غدامس القديمة، وكان الهدف استحداث إدارة للجودة تقوم بالإشراف على جودة المواد والأعمال الهندسية، ضمانا للوصول الى أعلى معدلات الأداء وبحيث تكون المحصلة مباني تقليدية بمواصفات عالية تؤدي دورها بشكل مثالي، وبالرغم من قصر المدة إلا أنه تم تحقيق بعض الأهداف والتي منها ما يلي:

(1) استصدار قرار بإنشاء لجنة ضبط الجودة بالجهاز وترأست اللجنة، وكانت تهدف لإنشاء معمل متكامل لمواد البناء وضبط جودة المواد المستخدمة في أعمال البناء والصيانة خصوصا في مدينة غدامس القديمة.

(2) إنشاء لجنة الطوب بالجهاز وكانت تهدف الى ضبط جودة الطوب الطيني المستخدم على نطاق واسع في مدينة غدامس القديمة، وقد عملت اللجنة بجد ومثابرة ورفضت العديد من العينات

الغير مطابقة للمواصفات، كما تم اعتماد اختبار التحميل للطوب والذي يقيس متانة الطوب قبل الاستخدام انظر الشكل (31).



شكل رقم (31): اختبار التحميل للطوب

(3) من ضمن الأهداف كان عمل كتيبات إرشادية للمقاولين ولمنتجي مواد البناء المحلية، لتعريفهم بالطرق الصحيحة في تحضير وتجهيز المواد، ونظرا لقصر الفترة الزمنية لم يستصدر إلا الكتيب الخاص بالطوب وهو كتيب شامل يبين الطرق الصحيحة في انتاج الطوب بداية من اختيار المواد الى عمليات التجفيف والتخزين .

2.3 تعليم الأجيال الصاعدة

إن التراث الهندسي لمدينة غدامس القديمة لا يدرس في الجامعات والمعاهد التقنية العليا، عليه كان من الضروري عمل آلية للتعريف بهذا التراث خصوصا لطلبة الهندسة بالمعهد العالي للعلوم والتقنية بغدامس، وتم ذلك من خلال عدة محاولات كان من أهمها:

- (1) تجهيز عروض ضوئية ومحاضرات للتعريف تعطى للطلبة، في محاضرات خاصة ومفصلة عن المناهج الدراسية.
- (2) جمع وتخزين عينات من مواد البناء التي استخدمت في مدينة غدامس القديمة، والمشاركة بها في بعض المعارض الداخلية.

3) الإشراف على بعض مشاريع التخرج بقسم الهندسة بالمعهد والمتعلقة بالتراث الهندسي لمدينة غدامس القديمة.

3.3 التوثيق

اثناء العمل في مجال مدينة غدامس القديمة و بمجالسة البنائين من كبار السن ذوي الخبرات العالية، و بالاحتكاك المباشر مع المهندسين المشرفين و عمال البناء، فقد لاحظ الباحث وجود فجوة معرفية كبيرة بين الجيلين، فالخبرات لم تنتقل بالشكل المطلوب من الأجيال السابقة الى الحالية، عليه كان السبيل الوحيد لتغطية هذه الفجوة هو العمل على توثيق هذه التراث الهندسي، و بالفعل بدأت المبادرة من عدة سنوات بداية من تجميع المعلومات الخاصة بمواد البناء و تحديد الطرق المثلى للتجهيز و المعالجة، و ثم التطرق للجوانب الإنشائية كطرق و اساليب و البناء والصيانات انتهاء بعمليات الصيانة و غيرها، و بالرغم من صعوبة العملية تم إنجاز ما لا يقل عن (40%) من الأهداف المرصودة على أمل أن تتسارع الخطى لاستصدار مجلد متكامل بالخصوص، يكون مرجعا للطلبة و الباحثين في هذا المجال.

4.3 الخطط المستقبلية

تهدف الخطط المستقبلية الى التعريف بالتراث والحضارة المتمثلة في مدينة غدامس القديمة، ونقل وتعليم هذا التراث للأجيال الصاعدة، ونقله نحو العالمية إسوة بالحضارات الأخرى، ويمكن إنجاز هذه الأهداف في النقاط التالية:

- 1) العمل على إنشاء جمعية متخصصة تضم المهندسين وذوي الخبرة والمتخصصين في هذا المجال.
- 2) توثيق التراث المعماري لمدينة غدامس القديمة.
- 3) المشاركة في المحافل المحلية والدولية.
- 4) السعي لاعتماد مواصفات معتمدة لمواد وأساليب البناء بمدينة غدامس القديمة.
- 5) إنشاء مركز توثيق متكامل لتقديم الدعم والمشورة للطلبة وللباحثين والدارسين في مختلف أنحاء العالم.

4. التوصيات

بناء على ما سبق ولغرض تسريع البرامج المتعلقة بتوثيق الشق الهندسي لمدينة غدامس القديمة، يجب التنسيق مع الجهات ذات العلاقة وتوعية المواطنين بأهمية هذا التراث، لأنه يمثل حضارة ليبية خالصة وفريدة قائمة الى يومنا

هذا، ولغرض تنسيق هذه الجهود بالشكل الأمثل نوصي بالتالي:

- 1- تحفيز الجهات ذات العلاقة للعمل على اعتماد مواصفات هندسية خاصة بمواد وأساليب البناء بمدينة غدامس القديمة.
- 2- العمل على تدريب المهندسين المشرفين قبل إقحامهم في الأعمال المتعلقة بمدينة غدامس القديمة.
- 3- إعداد كوادر من الفنيين المحليين متخصصين بأعمال البناء بالمدينة لغرض خلق فرص عمل وللمحافظة على الطرق التقليدية في البناء والصيانة.
- 4- المشاركة في المعارض والمحافل المحلية والدولية ذات العلاقة.
- 5- العمل على إعادة الحياة للمدينة القديمة من خلال نشاطات اجتماعية وثقافية تجعل السكان يعودون إليها.
- 6- العمل مع الجهات ذات العلاقة على إعداد برامج شاملة لتوثيق كل ما يتعلق بمدينة غدامس القديمة، سواء من الناحية الهندسية أو التاريخية أو الملكيات، و نقله و تعليمه للأجيال القادمة.

المراجع

- عبدالعزیز طریح شرف - جغرافية ليبيا - مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية - 1963م. [1]
- فؤاد سالم رقص - عناصر العمارة الداخلية لمدينة غدامس القديمة بليبيا (دراسة تحليلية) - رسالة مقدمة لقسم [2] الديكور استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير - جامعة حلوان - 2003م.
- إحصائية برنامج الأمم المتحدة الإنمائي - مكتب مدينة غدامس القديمة. [3]
- عبدالعليم يونس عبدالرحمن يونس - توظيف المواد المحلية في بناء مجتمعات حضرية متكاملة (مدينة غدامس [4] نموذجاً) - المؤتمر العلمي الدولي حول تراث غدامس العمارة الصحراوية في مدن شمال و غرب افريقيا - غدامس - مارس 2023م - الصفحة (1).
- [5] Romain Anger, Laetitia Fontaine, BUILDING MATERIALS & PRACTICES IDENTIFICATION, OLD TOWN OF GHADAMES, LIBYA, CRATERRE-ENSAG.

المحور الرابع عشر/ محور الهوية الثقافية والاجتماعية

عنوان البحث: دور المسجد في تحقيق روح الإخاء وتماسك المجتمع

د. مزمل محمد عابدين محمد / أستاذ التفسير المشارك، بجامعة الإمام المهدي الإسلامية

كلية التربية، قسم الدراسات الإسلامية

mozamil.abdeen194@gmail.com

الملخص:

تناول هذا البحث المسجد ودوره في تحقيق روح الإخاء وتماسك المجتمع أسوة بدور المسجد النبوي الذي تصاهر فيه مجتمع المهاجرين والأنصار فكانوا كالجسد الواحد، وتطرق البحث لمكانة المسجد في الإسلام، ورسالته الدعوية، ومميزات الأخوة الإسلامية ودور التأخي في تحقيق التآلف ووحدة المجتمع، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي، وذلك من خلال دراسة ما دلت عليه موضوع البحث على حدة في دراسة تحليلية، ومن حيث ما يهتدي إليه مجموع النصوص الشرعية من جهة أخرى كدراسة موضوعية، ومن أهم ما توصلت إليها الدراسة من النتائج أن المسجد يعتبر من أكبر الدُور في تماسك المجتمع ففيه تعقد الاجتماعات وتُلَقح الأفكار في حل الأزمات والقضايا الطارئة، وأن الرسالة الدعوية للمسجد كالخطب والدروس الشرعية له الأثر الطيب في زوال العصبية والقبلية، وأن المسجد في تقوية أواصر الأخوة له بطرق عديدة منها بتفقد المصلين إذا غابوا:، والتعرف والتآلف بين المصلين:، وإلقاء الدروس والخطب على المصلين..

الكلمات المفتاحية: المسجد، الإخاء، وحدة، المجتمع .

The fourteenth axis/cultural and social identity axis, research title: The role of the mosque in achieving the spirit of brotherhood and community cohesion

Dr. Muzammil Muhammad Abdeen Muhammad College of Education, Imam Al-Mahdi University / Sudan.

mozamil.abdeen194@gmail.com

Abstract

This research dealt with the mosque and its role in achieving the spirit of brotherhood and community cohesion, similar to the role of the Prophet's Mosque, in which the community of immigrants and supporters intermingled so that they were like one body. The research touched on the position of the mosque in Islam, its preaching message, the characteristics of Islamic brotherhood and the role of brotherhood in achieving harmony and community unity. To achieve the objectives of the study, it was used The researcher uses the inductive and deductive approach, by studying what the research topic indicates separately in an analytical study, and in terms of what the total legal texts guide us to on the other hand as an objective study One of the most important results of the study is that the mosque is considered one of the largest places in the eyes of society, where meetings are held and ideas are fertilized in resolving problems and emerging issues, and that the mosque's preaching message, such as sermons and legal lessons, has a good effect in eliminating partners and tribalism, and that the reader is in the full bonds of brotherhood for him. In many ways, including: checking on the messengers if they are absent, getting to know each other, getting to know each other, and getting to know each other among the worshippers: meeting hairs and treating the worshippers.

Keywords: mosque, brotherhood, unity, community

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

لقد أدرك أعداء الإسلام أن قوة المسلمين تكمن في هذا الدين وفي اجتماعهم حول مبادئ هذا الدين وتمسكهم برابطة الأخوة الإسلامية التي تنتظمهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم في مكان يجتمعون فيه، يتبادلون فيه الآراء وتعاونون على قضاء حوائج إخوانهم والمسابقة في أعمال البر والإحسان تذليل صعابهم وحل معضلاتهم، إنه قلعة الإيمان (المسجد)، إنه الجامعة الشعبية فهو المعبد الذي فيه يجتمعون لإقامة الصلاة، والمدرسة التي يتلقون فيها علم الدنيا والآخرة، والندوة التي يبحثون في ظلها معضلاتهم اليومية والأسبوعية، والمركز الذي يتدربون فيه على تطبيق معاني الإسلام في سلوكهم الفردي والاجتماعي والسياسي، والملاذ الآمن الذي يعمق بينهم روابط الأخوة، ويفتت الفوارق التي يحدثها اختلاف المنازل الاجتماعية بين الناس فيعودون كما يريد لهم الإسلام خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، أمة، وفيها تنعقد مجالس القضاء للحكم بين الناس.

ولكي يستعيد المسجد دوره الأخلاقي والديني والعلمي في ظل تحديات العولمة وتعدد وسائل الترفيه وفي جذب الشباب من جديد إلى ساحة العلم في المسجد سعيت أن أكتب في هذا الموضوع المهم.

أهمية الموضوع وسبب اختياره

تبرز أهمية هذا الموضوع وسبب اختياره لعدة أمور

1- بناء المسجد من الأمور المهمة التي قام النبي صلى الله عليه وسلم من أهم دعائم الدولة الجديدة ولذا وبدأ به.

2- الأخوة الإيمانية تتحقق التكافل الاجتماعي بين أفرادها، والترابط المجتمعي .

3- الرابطة الإسلامية القوية ينال المسلمون بها العزة والفلاح، وبها ينتصرون على الأعداء .

مشكلة البحث:

أن دور المسجد تراجع كثيراً ليتحول الى مكان لا يقصده المسلم إلا لدقائق قليلة يؤدي فيها صلاته لينصرف بأقصى سرعة، وهذا الأمر يطرح سؤالاً مهماً: كيف يستعيد المسجد دوره في تحقيق الأخوة الدينية وما الوسائل

التي يمكن أن يخدم بها المجتمع؟ ويتفرع عنه هذا السؤال : ما مفهوم المسجد وما أهميته، وما فضل بنائه؟
ما دور المسجد في تحقيق التآلف ووحدة المجتمع.؟

أهداف البحث:

من خلال الإجابة عن أسئلة البحث يمكن تحقيق الهدف العام وهو معرفة دور المسجد في خدمة المجتمع، ومعرفة الأهداف الفرعية التالية:

معرفة مفهوم المسجد وأهميته، وفضل بنائه، ودوره في خدمة المجتمع، ودوره في تحقيق التآلف ووحدة المجتمع.

منهج البحث وأداته:

وكانت أدواته تحليل محتوى الأدلة ذات استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، والاستنباطي، التفسيري، في الكتابات القديمة والحديثة التي اعتنت، بموضوع دور المسجد في الصلة بالموضوع، وما كتبه علماء تحقيق الإخاء ووحدة المجتمع، بغية الوصول إلى أهداف البحث..

الدراسات السابقة:

لم اجد بحث مستقل بهذا العنوان على حسب الاطلاع، ولكن هنالك بحوث ذات صلة بالموضوع كالتالي:

1/ آيات أحكام المساجد وبيان مقاصدها في القرآن الكريم، الأحمري، تغريد بنت علي بن دليم، جامعة ذمار - كلية مجلة الآداب الآداب

3/ دور المسجد في تحقيق الأمن الاجتماعي، ونس علي ويحي حسين ومحمد بركنطو آدم

خطة البحث: يحتوي البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، كما يلي:

المبحث الاول: مفهوم المسجد وأهميته، وفضل بنائه

المبحث الثاني: دور المسجد في خدمة المجتمع

المبحث الثالث: رسالة المسجد في تحقيق التآلف ووحدة المجتمع.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الاول: مفهوم المسجد وأهميته، وفضل بنائه

المطلب الأول: المسجد في اللغة والاصطلاح:

المسجدُ: بالكسر، كل موضع يتعبد فيه المسلمون بالصلاة (i) ويشهد لذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا" (ii)»، وهو مأخوذ السجود، قال الزركشي: "ولما كان السجود

أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه فقليل: مسجد ، ولم يقولوا مركب. ثم إن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأة للصلوات الخمس (iii)'''

والمسجد في الاصطلاح الشرعي: المكان الذي أُعِدَّ للصلاة فيه على الدوام (iv)، وأصل المسجد شرعاً: كل أرض تحل فيه الصلاة (v)، لقوله صل الله عليه وسلم: "... وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهوراً، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ، فَلْيَصِلْ (vi)" وهذا من خصائص نبينا - صلى الله عليه وسلم - وأُمَّتِهِ، وكانت الأنبياء قبله إنما أُبيحت لهم الصلاة في مواضع مخصصة: كالْبَيْعِ وَالْكُنَائِسِ (vii) .

المطلب الثاني: أهمية المسجد في الاسلام

في ثمان وعشرين آية من كتابه - المساجد بيوت الله - سبحانه وتعالى -، ولمكانتها وفضلها ذكرها الله - سبحانه الكريم (viii)، وأضافها إلى نفسه إضافة تشريف وتكريم، فقال سبحانه: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ) وقد جاءت نصوص الشرع تبين فضله وأهميته ومن ذلكم: [أَحَدًا] الجن: 18

1 / أول أعمال النبي صلى الله عليه وسلم :

كان أول ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة بناء المسجد، وذلك لتظهر فيه شعائر الإسلام التي طالما حُوربت، ولتقام فيه الصلوات التي تربط المرء برب العالمين وتنقي القلب من أدران الأرض وأدناس الحياة، وشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العمل مع أصحابه

2 / مساجد أحب بقاع الأرض:

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها (ix)».

3 / الدفاع عن المساجد وحمايتها مطلباً من مطالب الدين:

وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِحَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ (يشرع لأجله القتال في سبيله، قال تعالى [الحج: 40]) (وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا)

قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى- عن هذه الآية: أي لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء، لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بينته أرباب الديانات من مواضع العبادات، ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة (x).

4 / شهود الملائكة

ومما يدل على أهميتها وفضلها أن الملائكة تشهد الصلاة فيها، وتحضر كما جاء في

الصحيح في

« عن أبي هريرة قال: قال عليه السلام: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، وَمَثَلُ الْمُهَجِّرِ، كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقْرَةً، ثُمَّ كَبْشًا، ثُمَّ دَجَاجَةً، ثُمَّ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طَوَّأُوا صُحُفَهُمْ، وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ)» الخُطْبَةُ (xi).

5/ تعلق القلوب به سبب في رحمة الله يوم القيامة :

وَمَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ فِي الْمَسَاجِدِ، فَكَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ لَهَا، وَالْمَلَازِمَةَ لِلْجَمَاعَةِ فِيهَا؛ كَانَ مِنَ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظَلِّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظَلِّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وَذَكَرَ مِنْهُمْ: «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ» [أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ].

6/ به يتبدأ المسافر عند عودته من السفر

كان من هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه إذا رجع من سفرٍ يبدأ بالمسجد يصلي ركعتين شاكرًا لله سلامة العودة مستفتحا أعماله بعد العودة بالصلاة في المسجد إشعارًا بأهميته وتقديمه على المنزل تذكيرًا بنعمة الله سبحانه وتوثيقًا للرابطة القوية للمسجد. ولذا تجد أن النبي صلى الله عليه وسلم أول عمل قام به بعد هجرته من مكة إلى المدينة بناء المسجد المسمى مسجد قباء.

7/ عمارة المساجد من علامات الإيمان

لقوله تعالى: { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } [التوبة: 18] الآية. قال القرطبي في تفسير قوله: قد أثبت الإيمان في الآية لمن عمّر المساجد بالصلاة فيها وتنظيفها وإصلاح ما وهي منها وآمن بالله (xii). ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أسس مسجده على التقوى، ففيه الصلاة والقراءة والذكر وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم (xiii).

المطلب الثالث الحث على عمارة المساجد:

رغب الشارع الحكيم في بناء المساجد وعمارتها حسا ومعنى، وجعل أصل وظائفها ذكره تعالى وإقامة الصلاة ، قال الله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ * وَالْأَصَالِ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ * يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ

يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ (النور: 36 - 38)، قال أبو بكر الجصاص: «يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَرْادُ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا مِنْ رَفْعِهَا بِالْبِنَاءِ وَمِنْ تَعْظِيمِهَا جَمِيعًا؛ لِأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ لِذِكْرِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ تَنْزِيهُهَا مِنَ الْقُعودِ فِيهَا لِأُمُورِ الدُّنْيَا مِثْلِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَعَمَلِ الصَّنَاعَاتِ وَلَعُوِ الْحَدِيثِ الَّذِي لَا فَايِدَةَ فِيهِ وَالسَّفَهَ وَمَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ»^(xiv).

ويدخل في رفعها: بناؤها، وكنسها، وتنظيفها من النجاسات والأذى، وصونها من المجانين والصبيان، الذين لا يتحرزون من النجاسات، وعن الكافر، وأن تصان عن اللغو فيها، ورفع الأصوات بغير ذكر الله.

4/ تعطيل المساجد، ومنع الناس من ذكر الله فيه ظلم:

: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي : أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (البقرة: 114).

وسائل ربط المسجد بالمجتمع: المبحث الثاني:

دور المسجد كبير في خدمة المجتمع منذ الرعيل الأول فلقد كان للمسجد دور في خدمة المجتمع من عهد نبينا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم إلى عهد قريب، فقد كان المسجد مركزا لنشاطات المسلمين الاجتماعية والثقافية. . . وإلى جانب ذلك كان في عهد النبوة وعهد الخلافة الراشدة مدرسة يشع منها نور الحق، . «(xv)

الوسيلة الاولى: خدمة المسجد للمجتمع علمياً:

والمسجد مدرسة للتعليم والتهديب، ومجلس صلح وقضاء، وملتقى للتعاون على البر والتقوى، ومحل للتشاور بين المسلمين والتناصح فيما بينهم، ومركز القيادة العسكرية وعقد الألوية للجيش المجاهدة في سبيل الله، ومكان لاستقبال الوفود التي كانت تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قبل ذلك كله مكان لإعلان العبودية الخالصة لله. عز وجل. قال تعالى: { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا } . الجن آية 18.

الوسيلة الثانية خدمة المسجد للمجتمع تربوياً وأخلاقياً:

ففي الناحية التربوية يجب أن يكون المسجد هو بيت التربية، ومحضن الصلاح ودار الفلاح، لأنه المكان الخصب لتربية الأرواح وتربية النفوس، ولذلك أمر الشارع الحكيم بجملة من الآداب لداخل المسجد، وحثه على التحلي بها والالتزام بموجها؛ لأنه بدخوله يصبح ضيفاً على الرحمن بعيداً عن الشيطان.

كما أن اختلاط المسلم بالأتقياء والأصفياء والصالحين داخل المسجد والاستماع لتوجيهاتهم وإرشاداتهم؛ يُكسبه السلوك الحسن والأخلاق الحميدة والصفات النبيلة.

ولحلق الوعظ ودروس الرقائق عظيم أثر في تنمية أخلاقيات المجتمع المسلم وتهذيبها، ففتجسد فيه كثير من الأخلاق الطيبة، ويتعد عن السلوكيات السيئة؛ لما لهذه المواعظ من روحانية وتأثير في ترفيق القلوب ومعالجة ما في المجتمع من أدواء وعيوب، واستئصال لكل خلق ذميم حتى يعيش المجتمع المسلم نقياً راشداً مُربياً: (أَتْلُو مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) [العنكبوت: 45]، يقول القرطبي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "أخبر بأن الصلاة تنهى صاحبها وممتلئها عن الفحشاء والمنكر، وذلك لما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة، والصلاة تشغل كل بدن المصلي فإذا دخل المصلي في محرابه وخشع وأخبت لربه، وذكر أنه واقف بين يديه وأنه مطلع عليه ويراها، صلحت لذلك نفسه وتذلت، وخامرها ارتقاب الله تعالى وظهرت على جوارحه هيبتها ولم يكذب يفتر عن ذلك حتى تظلمه صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حالة كما أن الوقار والسكينة والهدوء والانضباط داخل المسجد، يعين الفرد على النظام والوقار والأدب، فيدخل إليها الداخل فيزداد أدبه وإيمانه، ويشتد في الخلق والحق بنيانه، ولهذا نرى أن الإسلام نهي عن الضحك واللعب واللغو في المساجد.

والدولة الإسلامية لن تقوم والدين لن ينتشر والخير لن يعم؛ إلا بأولئك الرجال الذين تربوا في المساجد، ولهذا بدأ -صلى الله عليه وسلم- ببناء المسجد، وفي هذا يقول الشاعر:

لا بد من صنع الرجال ، ومثله صنع السلاح*** وصناعة الأبطال علم في التراث له اتضاح
ولا يصنع الأبطال إلا في مساجدنا الفساح*** في روضة القرآن في ظل الأحاديث الصحاح
في صحبة الأبرار ممن في رحاب الله ساح*** من يرشدون بحالمهم قبل الأقاويل الفصاح
وغراسهم بالحق موصول، فلا يحويه ماح*** من لم يعيش لله عاش وقلبه ضمآن ضاح

الوسيلة الثالثة: خدمة المسجد المجتمع ثقافياً:

ومن الأدوار العظيمة التي يؤديها المسجد في إصلاح المجتمع: أنه يسهم إسهاماً كبيراً في تعليم العلم للناس، فتصبح المساجد جامعات ومنارات علمية وفكرية رائدة، تدرس فيها العلوم المختلفة، ويتخرج منها علماء عمالقة في كل المجالات، وفي مختلف المهن والكفاءات.

فقد كانت لجابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم الاجتماع في المسجد لطلب العلم والإقبال عليه يجعل الإنسان في حفظ الله وكرامته وورعياته، فقد أخرج البخاري من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم بينما هو جالس في المسجد، والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول صلى الله عليه وسلم وذهب واحد، قال: فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه". (xvi) " (xvii)». وعند ابن ماجه وأحمد مرفوعاً: «من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة(xviii)» .

ولفضلها رغب (صلى الله عليه وسلم) في التعليم فيها وجعلها أفضل دار للعلم والتعليم فقد روى مسلم وغيره مرفوعاً: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده(xix)».

قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة، فقال: أيكم يحبُّ أن يغدو كلَّ يومٍ إلى طجاء عن عقبة بن عامر بطحان، أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثمٍ ولا قطيعة رحمٍ؟ فقلنا: يا رسول الله، نُحِبُّ ذلك. خيرٌ له من ناقتين، وثلاثٌ خيرٌ له من ثلثٍ، وأربعٌ خيرٌ له من أربعٍ، ومن أعدادهنَّ من الإبل أخرجهم مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، برقم(803).

وقد علق في أذهان كثير من المسلمين اليوم أن المسجد إنما هو مكان الصلاة فحسب، وأي نشاط آخر يقام في المسجد فقد يكون محل تساؤل، وهذا خطأ، فإن المسجد له شأنه في الإسلام، فكما أنه مكان للصلاة فهو كذلك مكان للتعليم والخطابة والوعظ والمحاضرات والدروس والاجتماعات وتوجيه الناس إلى كل ما يصلح أمورهم في دينهم ودنياهم.

وفي الآونة الأخيرة، ومع بواكير الصحوة الإسلامية المباركة، بدأ المسجد يستعيد شيئاً من مكانته ورسالته، مما يستدعي ضرورة الاهتمام بهذا الموضوع من قبل العلماء والمؤسسات المعنية وطلاب العلم عامة، والأئمة والخطباء والمؤذنين على وجه الخصوص.

أما الجوانب الاجتماعية العملية، فقد أسهم المسجد إسهاماً فاعلاً في خدمة الناس وإصلاح أحوالهم المعيشية والاجتماعية، فكان المسجد دار إعانة ورعاية اجتماعية، تُستقبل وتقسّم فيه الصدقات، ويدعى فيه الأغنياء إلى البذل والميسورين إلى الإنفاق على إخوانهم المحتاجين، وخصص النبي - صلى الله عليه وسلم - في مسجده مكاناً لإيواء الفقراء الغرباء، الذين ليس لهم مأوى ولا محلة يسكنون فيها عرفوا بأهل الصفة.

وصل الدور الاجتماعي للمسجد إلى درجة أنه كان مأوى للفارين من الهموم والغموم والمشاكل، فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: دخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: (أبو أمامة) فقال: "يا أبا أمامة ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة" قال: هموم لزممتني وديون يا رسول الله قال: "أفلا أعلمك كلاماً إذا أنت قلته؛ أذهب الله -عز وجل- همك وقضى عنك دينك" قال: قلت بلى يا رسول الله قال: "قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال" قال: ففعلت ذلك؛ فأذهب الله -عز وجل- همي وقضى عني ديني" [سنن أبي داود (1555)].

الوسيلة الرابعة: خدمة المجتمع اقتصادياً وللمسجد دور ريادي في معالجة مشكلة الفقر والقضاء عليها وإشاعة

التعفف في المجتمع، فقد أنزل الله في أهل الصفة قوله: (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْافًا) [البقرة: 273]. فكان المسجد متكفلاً بهم مراعيًا لهم، لا يألو جهداً ولو بالقليل في إطعامهم وإدخال السرور عليهم، "فإِذَا آتَى النَّبِيَّ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا" [أخرجه البخاري (6452)].

الوسيلة الرابعة خدمة المجتمع سياسياً وعسكرياً:

وأما في الجانب السياسي والعسكري فقد كان للمسجد دور لا يتصور في خدمة المجتمع وإصلاح أموره في هذه الجوانب، فقد كان المسجد المعسكر الذي تعقد فيه الألوية ومنه تسير الجيوش لحماية المسلمين، وكان الجرحى فيه يعالجون والأسرى بسواريه يربطون، والوفود والسفراء فيه يستقبلون، وكان الأحباش يتدربون ويتبارزون ويتصارعون في المسجد، والرسول -صلى الله عليه وسلم- يشهد ذلك. ويراها أيضاً أزواجه -رضي الله عنهن- من خلفه. يقول المهلب -رحمه الله- في الفتح: "المسجد موضوع لأمر جماعة المسلمين فما كان من الأعمال يجمع منفعة الدين وأهله جاز فيه

المبحث الثالث: رسالة المسجد في تحقيق التآلف ووحدة المجتمع:

المطلب الأول: دور المسجد في تقوية أواصر الأخوة

إن تأدية المسلمون في بيت من بيوت الله، جنباً إلى جنب، تغرس في نفوسهم من حقائق المساواة الإنسانية وموجبات الود والأخوة، وتثمر ما لا تفعله عشرات من الكتب التي تدعو إلى المساواة بالفقير والغني والأبيض والأسود يجمعهم لصف الواحد بل قد يكون ذو الطبقات الغنية من خلف صف الفقراء.

1 - تفقد المصلين إذا غابوا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُومُ (XX) الْمَسْجِدَ (أَوْ شَأْبًا) فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَسَأَلَ عَنْهَا (أَوْ عَنْهُ) فَقَالُوا: مَاتَتْ. قَالَ "أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي" (XXI). قَالَ: فَكَانَهُمْ صَغَرُوا أَمْرَهَا (أَوْ أَمْرَهُ). فَقَالَ: "دَلُونِي عَلَى قَبْرِهَا" فَدَلُّوهُ. فَصَلَّى عَلَيْهَا. ثُمَّ قَالَ "إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا. وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ"

2- التعرف والتآلف بين المصلين:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ {

قال السعدي: «وجعلهم شعوبًا وقبائل أي: قبائل صغارًا وكبارًا، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك، التعرف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوبًا وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعرف، ولحوق الأنساب» (xxii) لذا ينبغي أن نغير مكان الصلاة فلا يتخذ مكانا كمواطن الأبل:

روى أحمد وابن خزيمة وابن حبان وغيرهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى أن يُوطِنَ الرَّجُلَ المَكَانَ فِي المَسْجِدِ كما يُوطِنُ البعير، وإن كان الغرض من ذلك عدم مشابجة الحيوان والبعد عن الرياء، فله مصلحة أخرى وهي معرفة أكبر عدد من المصلين.

قال الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله: "ولا يخفى أن محبة مكان من المسجد على حدة تنشأ عن الجهل أو الرياء والسمعة (xxiii)" ومن فوائد الانتقال من مكان لمكان معرفة عدد كبير من المصلين، والبعد عن الرياء.

3/ الدروس والخطب التي تلقى على المصلين:

لا شيء أفعل في تحقيق هذه المعاني في قلب المسلم من كلمة الحق يسمعها في بيوت الله مؤيدة بآيات الوحي من كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والحث على تقوية أواصر الأخوة

عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوْلَا أَدْلُكُمْ عَلَى سَيِّئٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ" (xxiv)

المطلب الثاني: الحث على مراعاة حقوق الأخوة ومشاعرهم في المسجد:

1- الاغتسال لصلاة الجمعة:

طلب الاغتسال في يوم الجمعة بذاته ما يشير إلى أن الأمر بإزالة كل ما يتأذى به المسلمون المجتمعون في المساجد من قدر أو روائح كريهة دلالة واضحة على اهتمام الإسلام بمشاعر الناس والمحافظة على راحتهم ورفع كل ما يؤذيهم حتى تسود روح الألفة والمودة بينهم (xxv)»

2- عدم إيذاء المصلين بتخطي الرقاب:

عن أبي الزاهرية، قال: كنتُ جالسًا مع عبد الله بن بسرٍ يومَ الجمعة، فما زال يُحدِّثنا حتى خرج الإمام، فجاء رجلٌ يتخطى رقاب الناس، فقال لي: جاء رجلٌ يتخطى رقاب الناس ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخطب، فقال اجلسن؛ فقد آذيت (xxvi) وآنيت (xxvii) له:

3- النهي عن أكل ما فيه الروائح الكريهة في المسجد:

الأمر بتنزيهاها من الروائح الكريهة، ولو كانت غير محرمة مثل نحي الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن أكل البصل والثوم، فقال: «من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مصلانا» (xxviii) غير أن بعض إخواننا هداهم الله، يؤذون وربما يأثمون ويؤثمون إخوانهم من المصلين، بما ينبعث منهم من روائح كريهة، بسبب الدخان (السجائر والشيشة)

4- لبس ما فيه روائح كريهة (أصحاب المهن)

السنة للمصلي: أن يكون على أحسن وأجمل هيئة، وأكمل طهارة ونظافة، لقول الله تعالى: يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ . أي: عند كل صلاة، ولما أثر عن ابن عمر . رضي الله عنهما . أنه قال لما سئل عن من يصلي مكشوف الرأس: الله أحق أن يتجمل له من الناس

﴿ إِنَّمَا يَعْزُمُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ [التوبة: 18] اللَّهُ فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿

ومن الألبسة ما يسمى بالابزل قد يضر العامل الدخول إلى المسجد وفيه ثيابي زيت العربات أو الديزل وهذا يوسخ المسجد ويؤذى المسلم الذي يصلى جواره

5- النهي عن كل ما يضر بالمسلم:

ومما ينبغي أن تصان عنه المساجد البزاق فيها لحديث: «البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها» (xxix) والحكمة من ذلك أن ذلك فيه إيذاء الغير، ولأنه قد يصاب الشخص بالتلوث وإذا بدر المسلم البصاق وهو في المسجد فليبزق في ثوبه ويحك بعضه ببعض، وإن كان في غير المسجد يبصق عن

يساره أو تحت قدمه لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى نخامة في قبلة المسجد فأقبل على الناس فقال: ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنزع أمامه؟ أيجب أحدكم أن يستقبل فيتنزع في وجهه؟ فإذا تنزع أحدكم فليتنزع عن يساره تحت قدمه فإن لم يجد فليقل هكذا"، ووصف القاسم، فتفل في ثوبه، ثم مسح بعضه على بعض (xxx)»
ومن باب أولى النخامة.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " خِصَالٌ لَا تَنْبَغِي فِي الْمَسْجِدِ: لَا يُتَّخَذُ طَرِيقًا، وَلَا يُشْهَرُ فِيهِ سِلَاحٌ، وَلَا يُنْبَضُ فِيهِ بَقُوسٌ، وَلَا يُنْشَرُ فِيهِ نَبْلٌ، وَلَا يُمَرُّ فِيهِ بِلَحْمٍ نَيِّئٍ، وَلَا يُضْرَبُ فِيهِ حَدٌّ، وَلَا يُقْتَصُّ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ، وَلَا يُتَّخَذُ سَوْقًا " حديث ضعيف
عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبَيْعِ وَالْإِبْتِياعِ وَعَنْ تَنَاشُدِ الْأَشْعَارِ فِي الْمَسَاجِدِ»
6- الاهتمام بشؤون المصلين:

إيواء للمصابين والجرحي:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: (أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فِي الْأَكْحَلِ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ، لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ)0 (xxxi)

إيواء للفقراء والمحتاجين:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: «كُنَّا نَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (xxxii)
وكان أهل الصفة يتخذون المسجد مأوئاً لهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بفضلته تتم الصالحات

فإنه مما سبق نجد أن المسجد يمثل أساساً قويا في تماسك المجتمع وتحقيق الأخوة الإيمانية فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث:

- إن مفهوم المسجد في الشرع : هو المكان الذي أُعِدَّ للصلاة فيه على الدوام.
- إن وسائل ربط المسجد بالمجتمع علميا وتربويا، واقتصاديا وعسكريا.

- دور المسجد في تقوية أواصر الأخوة له بطرق عديدة منها : بتفقد المصلين إذا غابوا، والتعرف والتألف بين المصلين، وإلقاء الدروس والخطب على المصلين.

التوصيات: كما يُوصي هذا البحث بالآتي:

- إجراء الكثير من الدراسات التي تتعلق بنواة المجتمع-بالأسرة -وما يؤدي إلى تماسكها، والمقاصد الشرعية في تحقيق وحدة الأمة في شكل بحوث وأوراق علمية لتعم الفائدة،
- الدعم المادي والمعنوي للأئمة المساجد والدعاة.

الهوامش

- () لسان العرب / مادة (سجد) 204/3
- () البخاري مع الفتح، كتاب التيمم 436/1.
- () «إعلام الساجد بأحكام المساجد» (ص28).
- () معجم لغة الفقهاء، للأستاذ الدكتور/ محمد روس، ص397.
- ويخرج من ذلك المقبرة والحمام ومواطن الأبل، والحش وأماكن القاذورات، لحديث: ابن عمَرَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " سَبْعُ مَوَاطِنَ لَا يَجُوزُ فِيهَا الصَّلَاةُ: ظَاهِرُ بَيْتِ اللَّهِ، وَالْمَقْبَرَةُ، وَالْمَرْئِلَةُ، وَالْمَجْرَزَةُ، وَالْحَتَامُ، وَعَطْنُ الْإِبِلِ، وَحَجَّةُ الطَّرِيقِ " (متفق عليه: البخاري، كتاب التيمم، باب: حدثنا عبد الله بن يوسف، برقم 335، ومسلم، كتاب المساجد، باب المساجد ومواضع الصلاة، برقم 521
- () انظر: المفهم لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ مُسْلِمَ، للقرطبي، 2 / 117.
- () انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، ص345
- () أخرجه مسلم (671)
- () «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (70 / 12):
- () «شرح صحيح البخاري - ابن بطال» (2 / 513).
- () «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (8 / 90):
- () «مجموع الفتاوى» (35 / 39).
- () «أحكام القرآن للحصاص ط العلمية» (3 / 423)
- () مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة» (41 / 80 بتقييم الشاملة آليا):

(رواه البخاري برقم (450) ، الصلاة، باب من بنى مسجدا . . . ومسلم برقم (533) ، المساجد، باب فضل بناء المساجد والحث عليها.

(رواه ابن ماجه برقم (738) في المساجد، باب من بنى لله مسجدا.

(رواه مسلم برقم (2699) في كتاب الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(تقم المسجد) أي تكنسه. والقمامة الكناسة. والمقمة الكنيسة.

(فهلا آذتموني) من الإيدان. أي أعلمتموني بموتها حين ماتت].

(«تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص802).

(إصلاح المساجد من البدع والعوائد

(رواه مسلم بَاب بَيَّانِ خِصَالِ مَنْ انْصَفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ رَقْم (54)

«مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة» (18/402 بتقييم الشاملة آليا).

أُذِّيتَ وَأَنْبِيتَ: أَيُّ أذَّيْتِ النَّاسَ بِنَحْطِيبِكَ، وَأَحْرَتِ الْمَجِيءَ وَأَبْطَأْتُ. يُنْظَرُ: ((النهاية)) لابن الأثير (78/1)

(رواه أبو داود (1118)، والنسائي (103/3)، وأحمد (190/4) (17733).

(«مسند أحمد» (8/261 ت أحمد شاكر).

(رواه مسلم صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها 1 / 389،

والبخاري في صحيحه: كتاب الصلاة 1 / 107، باب كفارة البزاق في المسجد.

(المصدر السابق

«صحيح البخاري» (1/177 ت البغا):

(«سنن ابن ماجه» (1/248 ت عبد الباقي):

الإشعاع العلمي والثقافي لزاوية الشيخ أحمد باندي القرآنية

في محافظة شرق بوركيننا فاسو

إعداد

د. نوح عيسى سيدبي

الجامعة الإسلامية بالنيجر

ورقة عمل مقترحة للمشاركة في المؤتمر العلمي الدولي حول

المساجد التاريخية والزوايا (الكتاتيب) في ليبيا ومدن شمال وغرب إفريقيا

الدورة الرابعة

غدامس 13 - 14 - 15 مايو 2024

المحور الثاني عشر: محور التعليم والتوعية

دور المساجد والزوايا القرآنية في التعليم والتوعية الدينية والثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

الزوايا والكتاتيب القرآنية جزء أصيل من الثروة الوجدانية الضاربة الجذور في أعماق النفس الإفريقية في منطقة غرب إفريقيا منذ سحيق الزمان، لأنها هي من اضطلعت بمهمة نقل شعاع العلم والإيمان إلى هذه المنطقة في وقت كانت فيه غارقة في ظلمات الجهل والخرافة والأساطير، فهي بذلك تعتبر واضحة اللبنة الأولى للحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا.

وبوركينا فاسو ليست بدعة ولا شذوذا في هذا المجال، فقد انتشرت الزوايا والكتاتيب القرآنية في أنحاء كثيرة منها قبل ظهور المدارس النظامية بأنواعها المختلفة بمئات السنين.

وقد قمنا في هذه الورقة الموجزة بتتبع أثر زاوية الشيخ أحمد باندي في المحافظة الشرقية لدولة بوركينا فاسو، في محاولة للتعرف على بعض المنجزات والمكتسبات التي حققتها الزاوية للمحافظة من الناحية العلمية والثقافية وخدمة الإسلام، واستخدمنا في ذلك أداة المقابلة بالتوازي مع المنهج الوصفي التحليلي المدعوم في بعض الفقرات بالمنهج التاريخي، وجاءت الصياغة النهائية للورقة تحت عنوان: الإشعاع العلمي والثقافي لزواوية الشيخ

أحمد باندي في محافظة شرق بوركينافاسو.

وقد قادتنا رحلتنا العلمية الموجزة مع الموضوع إلى نتيجة أساسية واضحة، تتخلص في أن المحافظة الشرقية مدينة بصورة أساسية - في انتشار التعليم العربي الإسلامي فيها - لزواية الشيخ أحمد باندي وملحقاتها المختلفة التي تفرعت عنها فيما بعد، وهذا ما يجعل من الزاوية مركزا حقيقيا للإشعاع العلمي والثقافي في المحافظة كما هو مشار إليه في عنوان الورقة.

ونظرا إلى التحديات الكبرى التي تمر بها الزوايا والكتاتيب القرآنية على مستوى الدولة ومنها المحافظة الشرقية، والتي تهددها في أصل وجودها، فقد ذيلنا الورقة بتوصيات نراها جديرة بالأخذ في الاعتبار، للتعامل الإيجابي مع هذه التحديات والإبقاء على الدور العلمي والثقافي لهذه الزوايا جنبا إلى جنب مع المدارس النظامية ذات الطابع العصري.

المقدمة

كانت الزوايا والكتاتيب القرآنية هي من تولت دور التعليم والتثقيف ونشر الإسلام في غرب إفريقيا قبل ظهور المدارس النظامية بطابعها الحديث الذي لم يعرف في المنطقة إلا بعد حدث الاستعمار. وقد استمرت عبر مئات السنين تضطلع بهذا الدور وتنبث بحدود عبر أوصال المجتمع، حتى غدت جزءا أصيلا من الثروة الوجدانية والنسيج الاجتماعي والثقافي لهذا المجتمع منذ قديم الزمان. ورغم التقلبات الهائلة التي شهدتها المنطقة بعد الاستعمار وما أعقبه من تفكيك المنظومة التعليمية القديمة للمنطقة وإحلال المنظومة الغربية الحديثة محلها، وما أفرزه ذلك من انتشار المدارس الحديثة بمختلف أنواعها (الفرنسية والعربية) وسيطرتها شبه الكاملة على الساحة التعليمية، إلا أن الزوايا والكتاتيب لم تزال تقوم ببعض الدور الذي كانت تقوم به في القديم، رغم التحديات والصعوبات.

وكغيرها من دول غرب القارة الإفريقية الأخرى، حظيت بوركينافاسو بدخول الكتاتيب والزوايا القرآنية إليها منذ وقت مبكر من تاريخها، وذلك قبل فترة طويلة من ظهورها بحدودها الجغرافية القومية التي تعرف بها اليوم وتتمايز عن غيرها من الدول. ولذلك فليس من الصعب ملاحظة تغلغلها في النسيج الاجتماعي والذاكرة الشعبية للمجتمع تغلغلا جعلها جزءا من الثقافة الشعبية المتوارثة في الدولة، حيث نلتقي بآثارها من قمة المجتمع إلى قاعه، فلا نكاد نلتقي بأسرة ملكية مارست شيئا من النفوذ والإمرة قبل حدث الاستعمار إلا ونجد لها علاقة قديمة وطيدة مع شيخ أو أكثر من شيوخ الكتاتيب القرآنية حتى ما كان من ذلك أسرا غير مسلمة، كما ينذر أن نجد قرية أو تجمعاً منقطع الصلة تماما عن الزوايا والكتاتيب القرآنية حتى القرى ذات الأغلبية الوثنية. وتأتي هذه الورقة الموجزة لإلقاء شيء من الضوء على الخدمات الجليلة التي قدمتها هذه الزوايا

لمحافظة الشرقية من دولة بوركينا فاسو، من خلال تناول شيء من أنشطة زاوية الشيخ أحمد باندي التي تعتبر أُمّ الزوايا ورائدتها وملهمتها في تلك المحافظة، وقد جاءت الورقة في صياغتها الأخيرة بعنوان: الإشعاع العلمي والثقافي لزاوية الشيخ أحمد باندي القرآنية في منطقة شرق بوركينا فاسو.

الأهداف:

تهدف هذه الورقة الموجزة إلى تحقيق جملة أهداف أهمها:

- بيان أن الزوايا والكتاتيب القرآنية لم يزل لها بعض الدور والأهمية في مجتمع بوركينا فاسو رغم الظهور الكاسح للمدارس النظامية الفرنسية والعربية.
- إبراز دور زاوية الشيخ أحمد باندي في نقل شعاع العلم والثقافة الإسلامية إلى المحافظة الشرقية لدولة بوركينا فاسو.
- التنويه بالمشاركة الإيجابية للشيخ في مجال التنمية الاجتماعية للمحافظة الشرقية بعد إنشاء الزاوية واستقرار المقام به في مدينة تانوالبوغو 23TANWALBOUGOU.

منهج البحث:

بالنظر إلى طبيعة الموضوع فقد سلكتنا نهج المقابلة في جمع مادته العلمية الأساسية، وقد تكرم الشيخ بالموافقة على عقد لقاءات منتظمة معه لهذا الغرض، حيث طرحنا عليه - مشافهة - كافة الأسئلة التي كنا بحاجة إليها وقام هو بالإجابة المستفيضة عنها. وحرصنا منا على عدم تفويت أية معلومة فقد قمنا بتسجيل الأجوبة كلها، ثم أعدنا كتابتها وتبويبها بعد ذلك، وراجعناها مع الشيخ قبل اعتمادها في البحث²⁴. وبعد جمع المادة العلمية الأساسية بواسطة المقابلة، استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي في معالجتها

[23] مدينة صغيرة تقع على الطريق الوطني الشرقي الرابط بين واغادوغو العاصمة ونيامي عاصمة النيجر، وتبعد بحوالي خمسين كيلو مترا إلى الشرق عن مدينة "فادا نغورما" Fada N'gourma عاصمة المحافظة الشرقية. كانت قرية صغيرة لما استوطنها الشيخ في ثمانينات القرن الماضي، ثم ما لبثت أن تحولت إلى مدينة صغيرة تعج بالنشاط والحوية، نتيجة هجرة كثير من المزارعين والتجار إليها؛ لأنها محاطة بأراض زراعية خصبة، وواقعة على طريق حيوي هام، وتضم اليوم مستوصفا حكوميا، وعدة مدراس، وحمية من الدرك، وسوقا أسبوعية رائجة للحيوانات، يؤمها تجار الحيوانات من النيجر وبنين وتوغو فضلا عن تجار بوركينا.

[24] عقدنا اللقاء الأول مع الشيخ يوم الأربعاء 21 فبراير 2024 على تمام الساعة السابعة صباحا في بيته في مدينة واغادوغو العاصمة التي انتقل إليها بعد أن أصبحت المحافظة الشرقية غير آمنة من هجمات الجماعات المسلحة بمختلف أنواعها، واستمرت اللقاءات معه طوال شهر مارس وجزءا من شهر أبريل في أوقات فراغه القليلة، وآخر لقاء عقدناه معه كان يوم 17 أبريل 2024 للمراجعة الأخيرة واعتماد ما كتبناه.

وتنسيقها وإجراء التعديلات والتنظيمات المختلفة عليها، وصولاً إلى تحقيق أهداف الموضوع، بإعطاء القارئ صورة واضحة عن الزاوية ودورها وإشعاعها العلمي والثقافي في المحافظة الشرقية لدولة بوركينا فاسو. ويمكن ملاحظة حضور شيء من المنهج التاريخي مدموجاً بالمنهج الوصفي في بعض فقرات البحث وموضوعاته، متى ما كان ذلك ضرورياً ويسهم في تسهيل معالجة الفقرة أو الموضوع. وقد لجأنا إلى المواقع الإلكترونية بصورة أساسية في توثيق أغلب المواد العلمية المتعلقة بالدولة الواردة في البحث، والسبب في ذلك هو أنها معلومات مشاعة يعرفها كثير من الناس في الدولة، ولكنها لا تتوفر في مراجع مؤلفة في هذا الغرض تجمع ما تناثر منها، ولذا وجدنا أنفسنا مضطرين إلى العودة إلى المواقع الإلكترونية الرسمية للتوثيق منها، مثل المواقع الرسمية للوزارات والجهات المختصة بالإحصاءات ونحو ذلك. ومن جهة أخرى، لم نجد أنفسنا مضطرين إلى إعادة توثيق المعلومات الواردة عن الزاوية في الحواشي السفلية للبحث؛ لأننا استقينها مباشرة من الشيخ عبر اللقاءات العديدة التي عقدناها معه، وهذا ما ننبه عليه القارئ الكريم في هذا المقام، بأن كل معلومة أوردناها عن الشيخ أو الزاوية فهي مأخوذة مباشرة من الشيخ نفسه.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة. في المقدمة قدمنا لمحة بسيطة عن الموضوع من حيث أهميته وأهدافه والمنهجية المتبعة في تناوله وخطة السير التي سلكناها في معالجته. أما التمهيد فقد جعلناه بمثابة مدخل تعريفي عام وموجز، وقسمناه إلى شقين: تناولنا في الشق الأول تعريفاً موجزاً بدولة بوركينا فاسو من حيث الموقع والمساحة، وأهم القبائل، والتنظيم الإداري، واللغة الرسمية، وعماد اقتصاد الدولة، وحالة الإسلام والمسلمين، وختمناه ببداية ظهور الزوايا والكتاتيب القرآنية في الدولة. أما الشق الثاني فخصصناه للحديث عن المحافظة الشرقية حاضنة الزاوية. ثم خصصنا المبحث الأول للتعريف بالشيخ ونسبه، ورحلاته في طلب العلم، ومساعيه في إنشاء الزاوية وتنظيمها، وجهوده الدعوية وإسهاماته في المجالات الثقافية والاجتماعية المختلفة لمحافظة. أما المبحث الثاني فقد خصصناه للحديث عن الزاوية ونشأتها وطريقة تنظيمها، ونظام الدراسة فيها، وإسهاماتها العلمية والثقافية، وعلاقتها بالمدارس النظامية المختلفة في المنطقة، وأهم التحديات التي تواجهها، والرؤية المستقبلية التي تضمن لها البقاء والاستمرار. وفي الخاتمة قدمنا خلاصة موجزة عن أهم النتائج التي توصلنا إليها، والتوصيات التي نراها جديرة

بالأخذ في الاعتبار لمواجهة التحديات التي تمر بها الزاوية وغيرها من الزوايا في الدولة.

التمهيد

مدخل تعريفي موجز بدولة بوركينا فاسو والمحافظة الشرقية

أولاً: نبذة تعريفية بدولة بوركينا فاسو:

1. الموقع والمساحة:

تقع بوركينا فاسو في وسط غرب القارة الإفريقية، تحدها من الشرق دولة النيجر، ومن الشمال والغرب دولة مالي، ومن الجنوب كوت ديفوار وغانا وتوغو، ومن الجنوب الشرقي دولة بنين، وتبلغ مساحتها الإجمالية 274.000 كم². وإذا كان هذا الموقع يجعل منها دولة داخلية حبيسة لا تملك منفذاً على المحيط، مما يُقيِّمها مَدِينَةً فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهَا الْاِقْتِصَادِيَّةِ لِلدُّوْلِ الْجَوَارِ الْجَنُوبِيِّ وَخَاصَّةً كُوتِ دِيْفَوَارِ وَغَانَا، فَإِنَّهُ أَتَّاحَ لَهَا أَنْ تَكُونَ مَعْبَرًا وَهَمْزَةً وَصَلَّ ضَرْوَرِيَّةً بَيْنَ كَثِيرٍ مِنْ دُولِ الْمَنْطِقَةِ، سِوَاءٍ مِنْ نَاحِيَةِ تَنْقَلِ الْبَضَائِعِ أَوْ الْبَشَرِ، كَوْنَهَا تَقَعُ فِي مَوْجِعِ الْوَسْطِ وَالْقَلْبِ مِنْهَا، وَهَذَا مَا أَكْسَبَهَا صِبْغَةَ الدَّوْلَةِ الْمُحَوْرِيَّةِ ذَاتِ التَّأْثِيرِ الْكَبِيرِ فِي الْمَنْطِقَةِ، خَاصَّةً وَأَنَّهَا تَعْتَبَرُ مِنْ قَلَائِلِ الدُّوْلِ الَّتِي تَرْبِطُهَا بِجَمِيعِ الدُّوْلِ الْحَيْطَةِ بِهَا طَرَفًا مَعْبَدَةً تَنْطَلِقُ مِنْ عَاصِمَتِهَا وَاغَادُوغُو إِلَى عَوَاصِمِ جَمِيعِ تِلْكَ الدُّوْلِ، كَمَا تَمْلِكُ شَبْكَةً سَكَاكٍ حَدِيدِيَّةٍ تَصَلُّهَا بِالْمَنْفَذِ الْحَيَوِيِّ الْأَهْمِ لَدَيْهَا عَلَى الْوَسْطِ الْأَطْلَسِيِّ عِبْرَ كُوتِ دِيْفَوَارِ 25.

تعرضت بوركينا فاسو كغيرها من كثير من دول غرب إفريقيا للاستعمار الفرنسي، ولم تستقل بمحدودها القومية الحالية إلا في عام 1960م، بعد نضال طويل وصعب لم تخض مثله بقية دول المنطقة، حيث كانت فرنسا مصممة على تقسيم أراضيها بين جاراتها الثلاث: مالي وكوت ديفوار والنيجر، متذرعة بالضرورات المالية والإدارية، ومتجاهلة حقائق التاريخ الراسخة، وبذلك احتاج الشعب في بوركينا إلى نوعين من النضال من أجل الاستقلال: أولاً نضال للإبقاء على كيائها وهويتها الخاصة، التي تكونت عبر مئات السنين، من التذويب في دول الجوار التي لم تكن مسيطرة على شيء من أراضيها قبل حدث الاستعمار، وهو ما تحقق له في عام 1947م، إثر المشاركة البطولية لأبنائها في حرب تحرير فرنسا من النازية، وثانياً نضال للتحرر النهائي من ريق الاستعمار

[25] Ki – Zerbo, Joseph, **HISTOIRE DE L'AFRIQUE NOIR D'Hier à Demain**, LIBRAIRIE A. HATIER, P 517.

الفرنسي وهو ما تحقق له في عام 1960م 26.

"**Volta**" للدولة في إشارة إلى أنهار "فولتا **Haute Volta** أعطى الفرنسيون اسم "فولتا العليا" الثلاثة التي تستمد منابعها منها، وعلمًا مكونًا من ثلاثة ألوان أفقية متوازية هي: الأسود والأبيض والأحمر؛ تعبيرا عن تلك الأنهار الثلاثة، وبهذه التسمية والعلم استقلت الدولة وسجلت حضورها بين الأسرة الدولية 27.

" إلى سدة الحكم في عام 1983م، قرر **Thomas Sankara** ومع وصول الرئيس "توما سنكارا" إعادة النظر في كثير من الرموز الموروثة من حقبة الاستعمار، وكان من ضمن ما شمله قرار المراجعة: اسم الدولة " التي **Burkina Faso** وعلمها، وبذلك تم الاتفاق في عام 1984م على تغيير اسمها إلى "بوركينافاسو" تعني " وطن الشرفاء"، وتحويل العلم إلى لونين أفقيين متوازيين هما: اللون الأحمر الذي يشير إلى النضال والاستقلال والحرية، واللون الأخضر الذي يشير إلى النماء والخصوبة والزراعة، يتوسطهما نجم أصفر اللون يشير إلى الأمل ونأزيئون **MOUHOUN** والطموح والإباء، كما تم تغيير أسماء الأنهار الثلاثة إلى أسماء محلية هي **NAZINON** و **NAKAMBE**. 28

تشارك بوركينافاسو اليوم في عضوية كثير من المنظمات العالمية والإقليمية أهمها: الأمم المتحدة، ومنظمة سيدياو التي تجمع 15 دولة في غرب إفريقيا 29، وتستخدم عملة السيفا التي تشارك فيها مع سبع **CEDEAO** ، وهي: كوت ديفوار والسنغال وغينيا **UEMOA 30** دول في المنطقة هي الدول الأعضاء في منظمة إيموا، بيساو ومالي والنيجر وبنين وتوغو.

2. أهم القبائل:

[26] <https://www.rifimo.org> BURKINA FASO: Une jeune démocratie à l'épreuve du terrorisme islamiste.

تاريخ الزيارة: 11 أبريل 2024م.

[27] <https://mjp.uni-v-perp.fr> Haute Volta (Burkina Faso) La colonie française de Haute – Volta.

تاريخ الزيارة: 11 أبريل 2024م.

[28] <https://www.jeuneafrique.com> Le 4 Aout 1984, Thomas Sankara rebaptisait la Haute – Volta en Burkina Faso, Benjamin Roger.

تاريخ النشر: 04 أغسطس 2021م، تاريخ الزيارة: 11 أبريل 2024م.

[29] تعتبر منظمة سيدياو أهم منظمة اقتصادية تجمع دول غرب القارة الإفريقية، تأسست في 28 مايو 1975م، وتتخذ من مدينة أبوجا عاصمة جمهورية نيجيريا مقرا لها، وتضم جميع دول غرب إفريقيا باستثناء دولة موريتانيا. وفي 28 يناير 2024 الماضي أعلنت بوركينافاسو انسحابها منها إلى جانب دولتي النيجر ومالي، وهو قرار متسرع يأتي في ظرف استثنائي لم تمر بوركينافاسو منذ إنشائها، ولا يدري ما إذا كانت ستذهب به إلى النهاية أم هو مجرد مناورة سياسية، وستجتمع المنظمة بعد مرور سنة على صدور القرار لتقييمه واتخاذ موقف نهائي إزاءه كما تنص عليه لوائحها.

[30] هي مؤسسة مالية تضم الدول المستخدمة لعملة السيفا في تعاملها، تأسست في 10 يناير 1994م متخذة من دكار عاصمة دولة السنغال مقرا لها.

تتجاوز في دولة بوركينا فاسو ما لا يقل عن 60 قبيلة مختلفة، عاشت جنباً إلى جنب في تناغم وتكامل جميل منذ تكوين الهوية الوطنية الحديثة للدولة بعد الاستقلال عن الاستعمار الفرنسي، وحافظت الحكومات المتعاقبة على التوازن العرقي بين هذه القبائل في كافة ميادين الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها، إلا أن السنوات الأخيرة شهدت تمزقاً واضحاً وشرخاً عميقاً في هذا النسيج الاجتماعي الذي كان متماسكاً، وذلك منذ أن أطلقت ظاهرة ما يسمى بالإرهاب بوجهها على الدولة، وتم التعامل معها بطريقة خاطئة وانتقائية؛ أدت إلى إثارة الأحقاد والإحـن والضغائن بين الشرائح الاجتماعية الفاعلة في الدولة، فأصبحت المعاناة مضاعفة والمستقبل غائماً والتعاضد السلمي شبه منهار، وهذا ما يجعل الدولة اليوم تواجه أخطر تحدٍّ منذ إنشائها في عام 1960م 31.

" هي القبيلة ذات الأغلبية الساحقة MOSSE وتجمع الإحصاءات الوطنية المتعاقبة على أن قبيلة "موسي" في الدولة، حيث تصل نسبتها إلى 50% فما فوق من النسبة الإجمالية للسكان، مكونة بذلك النواة الصلبة التي تتمحور حولها بقية قبائل الدولة، ويلاحظ أن النسبة في زيادة مطردة ومتواصلة نتيجة عوامل كثيرة لا يتسع المجال لذكرها. وتعتبر المحافظات الوسطى من الدولة هي الموطن الأساس لهذه القبيلة 32، ومنها انطلقت لتنبث في كافة الأنحاء والمناطق، وتشتهر بالجديبة والتفاني في العمل، وتتعاطى جميع الحرف في الدولة بلا استثناء وخاصة التجارة والزراعة.

يأتي الفولانيون في المرتبة الثانية بعد "موسي"، وتوصلهم بعض الإحصاءات إلى حوالي 11% من مجموع السكان بينما لا تتجاوز بهم بعضها 8% 33، ويعتبرون أوسع القبائل انتشاراً وانبثاقاً في أرجاء الدولة، بحيث لا نكاد نعثر على منطقة أو إقليم ليس لهم فيه وجود ملحوظ وإمارات محلية قديمة معروفة، كما أنهم يعتبرون من أكثر القبائل اندماجاً وتأقلماً مع المحيط الاجتماعي الذي يعيشون فيه، حيث لا نجد منطقة يعيشون فيها دون أن يتكلموا لغة القبائل الكائنة فيها إلى جانب لغتهم، بل كثيراً ما يتخلون عن لغتهم لحساب لغتها.

[31] <https://www.afrobarometer.org> Les Burkinabè sont fortement attachés à leur identité nationale.

تاريخ الزيارة: 11 أبريل 2024م.
[32] إحدى محافظات الدولة الثلاثة عشر.

[33] كثيراً ما تكون هذه الإحصاءات - حتى الرسمية منها التي تقوم بها الدولة - مرتبكة ومنحازة أحياناً، لاعتبارات سياسية أو دينية أو حتى قبلية وهو ما يجعل من الصعب الاطمئنان إليها. وقد تم آخر إحصاء رسمي عام في الدولة في 2019م وهو الإحصاء الخامس الذي تقوم به الدولة منذ نشأتها، وقد ركز بصورة أساسية على أمور التنمية، ولم يقدم معلومات دقيقة عن القبائل والأديان في الدولة.

أما منطقتهم الأساسية التي يشكلون فيها غالبية السكان فهي محافظة الساحل 34، وقد نشأت لهم فيها إمارات منظمة قبل الاستعمار، ويشتغل أغلبهم في تنمية الثروة الحيوانية إلى جانب الزراعة وتجارة المواشي، وليس لهم كبير اهتمام بغيرها من الحرف حتى عهد قريب، ولهم نشاط وافر في مجال الدعوة الإسلامية والتعليم العربي الإسلامي، ونسبة الإسلام فيهم تصل إلى 100 %، متفوقين بذلك على جميع قبائل الدولة بلا استثناء 35.

3. التنظيم الإداري:

بوركينافاسو دولة متوسطة الحجم، تعرضت لتقطيعات وتنظيمات إدارية كثيرة إلى أن استقرت في النهاية على 13 محافظة 36، تضم كل منها عددا من المقاطعات الإدارية التابعة، على اختلاف بينها في ذلك حسب طبيعة المحافظة وسعتها وأهميتها، وتصل المقاطعات إلى 45 مقاطعة، تحت كل منها مجموعة من البلديات المدنية يمثل الحكومة المركزية 37، والجدول الآتي يوضح أسماء المحافظات Gouverneur والريفية، ويرأس كل منها محافظ وعواصمها وعدد المقاطعات الإدارية التابعة لها:

رم	اسم المحافظة	عاصمة المحافظة	المقاطعات الإدارية
1	Centre الوسط	Ouagadougou واغادوغو	1
2	Plateau Central الهضبة الوسطى	Ziniare زينيارى	3
3	Centre Est الوسط الشرقي	Tenkodogo تنكودوغو	3
4	Centre Ouest الوسط الغربي	Koudougou كودوغو	4
5	Centre Nord الوسط الشمالي	Kaya كايا	3
6	Centre Sud الوسط الجنوبي	Manga مانغا	3
7	Est الشرق	Fada N'gourma فادنغورما	5
8	Nord الشمال	Ouahigouya واهيغويا	4

[34] إحدى محافظات الدولة الثلاثة عشر.

[35] <https://www.axl.cfan.ulaval.ca/afrique/burkina.htm>.

تاريخ الزيارة: 12 أبريل 2024م.

[36] كان ذلك في 02 / 07 / 2001، انظر الموقع الرسمي لوزارة الداخلية:

<https://www.matd.gov.bf>.

تاريخ النشر: 21 أكتوبر 2020م. تاريخ زيارة الموقع: 14 أبريل 2024م.

[37] <https://www.ontbbf/burkina-faso/geographie>.

تاريخ الزيارة: 12 أبريل 2024م.

المقاطعات الإدارية	عاصمة المحافظة	اسم المحافظة	رم
4	غاواGaoua	Ouest Sud الجنوب الغربي	9
4	دوريDori	Sahel الساحل	10
6	ديدوغوDédougou	Boucle du منحنى نهر موهون Mouhoun	11
3	جولاسو Bobo Dioulasso	Haut Bassins أعالي الأحواض	12
2	بانفوراBanfora	Cascade الشلالات	13

4. اللغة الرسمية:

سبقت الإشارة إلى أن بوركينا تعرضت للاستعمار الفرنسي، ومن ثم فإن فرنسا هي من اضطلعت بمهمة إرساء الدعائم الأولى للإدارة الحديثة فيها، وبعد الاستقلال ورثت عن فرنسا لغتها وطرائقها في الإدارة والحكم والتعليم، لأنها (بوركينا) لم تكن متوفرة على لغة وطنية جامعة ومكتوبة يمكن الاستعاضة عنها مباشرة باللغة الفرنسية بعد مغادرة فرنسا، فاضطرت إلى اعتماد الفرنسية لغة للإدارة والحكم والتعليم، وبمرور الزمن ترسخت الفرنسية وانتشرت وأصبحت لغة التواصل والتفاهم بين الشرائح المثقفة والمتعلمة من القبائل المختلفة التي لا تتفاهم فيما بينها بلغاتها المحلية، ثم تجاوزت ذلك إلى أن أصبحت اليوم بمثابة لغة شعبية عامة يتواصل بها أغلب شرائح المجتمع وخاصة في المدن.

ولكن ذلك كله لم يؤد إلى إهمال اللغات المحلية والتنكر لها، بل سعت الحكومات المتعاقبة إلى تنشيطها وتفعيلها عبر ابتداء حروف مشتركة لها مستوحاة من حروف اللغة الفرنسية، وتعميم تعليمها خاصة في الأوساط الريفية، ولكنها لم تصل بعد إلى حد اعتمادها لغات رسمية في الإدارة والمرافق الحكومية إلى جانب اللغة الفرنسية أو عوضاً عنها، لأمر كثيرة لا يسع المجال للتطرق إليها.

وتعتمد الدولة على اللغات المحلية الثلاث الأكثر انتشاراً فيها رديفة للغة الفرنسية في كافة احتياجاتها الاجتماعية والثقافية وغيرها وهي لغة موسي ولغة جولا واللغة الفولانية³⁸.

5. اقتصاد الدولة:

[38] <https://www.axl.cefan.ulaval.ca/afrique/burkina.htm>.

لم تشتهر بوركينا فاسو بالغنى في مجال الموارد الطبيعية، ولكن أن الله حباها بشعب نشط مكافح ومناضل، جعلها تقف على قدميها وتستفيد استفادة قصوى من استغلال مواردها الطبيعية المتوفرة استغلالا صحيحا، عاد عليها بالاكْتفاء الذاتي والأمن الغذائي في مجالات كثيرة³⁹.

وتعتمد بوركينا بصورة أساسية على الزراعة كمصدر رئيس لتأمين الغذاء لرعاياها، مستفيدة من التربة الخصبة والأمطار الموسمية القارة، ومنذ تسعينات القرن الماضي لم تشهد الدولة أزمة غذائية ذات شأن، بل العكس نجحت في تحقيق الاكتفاء الذاتي في محاصيل زراعية كثيرة مثل الدخن والذرة والسكر والبقول السوداني، نتيجة الاستقرار السياسي والأمني التي شهدتها، ولكن أزمة الإرهاب الحادة التي تمر بها الدولة منذ أكثر من خمس سنوات من الآن، بدأت تنسف الجهود الكبيرة التي بُذلت في هذا المجال، وأصبح الأمن الغذائي في خطر حقيقي، بعد تهجير كثير من المزارعين من قراهم وحرمانهم من استغلال أراضيهم الزراعية⁴⁰.

وإلى جانب الزراعة كانت بوركينا تحقق اكتفاء ذاتيا في مجال اللحوم بمختلف أنواعها الحمراء والبيضاء حتى عهد قريب؛ نظرا إلى وفرة الثروة الحيوانية من البقر والغنم والمعز ومختلف أنواع الدواجن فيها، رغم التهميش الذي يعانيه هذا القطاع بالمقارنة مع قطاع الزراعة والمناجم، ولكن هذا الاكتفاء أيضا بات مهددا بالحالة الأمنية المتأزمة التي تمر بها الدولة، وخاصة المضايقات المقصودة التي تتعرض لها الشريحة السكانية المهتمة بتنمية الثروة الحيوانية، وقد شهدت السنوات الثلاث الأخيرة هجرات كبيرة من رؤوس الأموال الدابة نحو دول الجوار الجنوبي وخاصة كوت ديفوار وغانا؛ فرارا من الهجمات المسلحة والسطو المنظم على الحيوانات ومالكيتها باسم الحرب على الإرهاب⁴¹.

أما قطاع المناجم فيعتبر أحد أنشط القطاعات في بوركينا حاليا، وقد تحولت الدولة في السنوات الأخيرة من دولة تعتمد على الزراعة كمصدر رئيس لاقتصادها إلى دولة منجمية في المقام الأول؛ مستفيدة من تنوع الثروة المنجمية وتوزيعها في كافة أقاليم الدولة.

ويأتي الذهب في المقام الأول من حيث الأهمية والاهتمام وسعة الانتشار، إلى جانب الزنك والنحاس والمنغنيز والفوسفات، مع آثار شبه مؤكدة لوجود اللؤلؤ والبوكسيت والنيكل وغيرها.

[39] [Ki – Zerbo, Joseph, ibid, P 517.

[40] آخر تحديث لتقرير البنك الدولي حول الوضع الاقتصادي العام في بوركينا فاسو في 27 مارس 2024م، انظر: <https://www.banque mondiale.org> BURKINA FASO Vue d'ensemble – la Banque mondiale.

تاريخ الزيارة: 11 أبريل 2024م.

[41] <https://veterinaressansfrontiers.be> Le pastoralisme, un système résilient mais menacé au Burkina.

تاريخ النشر: 7 ديسمبر 2023م، تاريخ الزيارة: 12 أبريل 2024م.

وبفضل الاهتمام الكبير الذي أولته الدولة لهذا القطاع في السنوات العشرين الأخيرة حققت ففزة نوعية في المجال وغدت تتوفر اليوم على 15 منجما نشطا لمختلف أنواع المعادن النفيسة أهمها: منجم إيساكان للمغنيز، وتعتبر بوركينا **Tambao**، ومنجم تامباو **Oudalan** للذهب في إقليم أودالان **Esskane** في صدارة الدول المتوفرة على المغنيز والمصدرة له في العالم اليوم، هذا غير المناجم الرابضة التي تنتظر التفعيل، إلا أن التحدي الأمني الخطير الذي تمر به الدولة بدأ يهدد بإغلاق كثير من المناجم النشطة فضلا عن افتتاح أخرى⁴².

6. حالة الإسلام والمسلمين:

يشكل المسلمون غالبية سكان الدولة حيث تصل نسبتهم إلى 61% من مجموع السكان حسب الإحصاءات الرسمية الأخيرة⁴³، وهم من المسلمين السنة موزعين على التيار السلفي وتيار الطرق الصوفية وخاصة الطريقة التجانية، مع وجود عينات غير معتبرة من الشيعة والأحمدية في قليل من المدن الكبرى، ويشغلون (المسلمون) بصورة أساسية في مجال الأعمال الخاصة، كالزراعة والتجارة وتربية الحيوانات، وليس لهم كبير اهتمام بالأمر السياسي والإدارية حتى عهد قريب، وهو ما جعل من تأثيرهم في مسار الدولة ضعيفا جدا من نواح كثيرة بالمقارنة مع تأثير النصارى، فمع كون هؤلاء أقلية إلا أن سعيهم المبكر والمنظم للإمساك بقطاع التعليم وبكافة المؤسسات الحيوية في الدولة مثل الجيش والشرطة والإدارات الحكومية المختلفة والإعلام، جعلهم ينجحون بسهولة في السيطرة على مفاصل الدولة وتقدمها إلى العالم بوجه نصراني زائف، ولم ينتبه المسلمون إلى ذلك إلا مؤخرا⁴⁴. وتُرجع بعض الروايات التاريخية بدايات ظهور الإسلام في الأراضي الواقعة اليوم في إطار ما يسمى بوركينا فاسو إلى القرن الخامس عشر الميلادي، إلا أن الأبحاث التي قمنا بها في هذا المجال تُرجح أن يكون الإسلام قد وصل إليها قبل ذلك بفترة سحيقة، نظرا إلى التقارب والتواصل الدائم الذي كان قائما بين هذه المناطق ومناطق الشمال التي شهدت قيام أمبراطورية غانا، وهي أمبراطورية دخلها الإسلام منذ القرن الأول الهجري (الثامن الميلادي)، ولا يعقل أن يكون الإسلام قد احتاج إلى سبعة قرون ليسافر من جمهورية مالي الحالية التي كانت واقعة ضمن أراضي تلك الأمبراطورية إلى بوركينا فاسو الحالية، خاصة وأن التجارة والتبادل الثقافي

[42] <https://www.deleguescommrcieaux.gc.ca> Le marché minier au Burkina Faso.

تاريخ التحديث: 09 - 06 - 2022م، تاريخ الزيارة: 12 أبريل 2024م.

[43] الإحصاءات الأخيرة كانت في 2019م.

[44] <https://hal.science> Les relations islam christianisme au Burkina Faso, Fabienne Samson, Document PDF, 1 Mars 2018.

تاريخ الزيارة: 14 أبريل 2024.

والاجتماعي دائم ومستمر بين شعوب المنطقة عبر مئات السنين ولا تفصل بينها أية عوائق طبيعية أو ثقافية⁴⁵.
7. ظهور الزوايا والكتاتيب القرآنية في بوركينا:

جاءت الزوايا والكتاتيب القرآنية إلى بوركينا في ركاب الإسلام شأنا في ذلك شأن غيرها من دول المنطقة، وهذا يعني أنها سابقة أسبقية تاريخية كبيرة على المدارس النظامية بمختلف أنواعها التي لم تظهر في الدولة إلا بعد حقبة الاستعمار، وعليه فيمكن القول إنها هي وسيلة التعليم الأولى التي عرفت المنطقة، وعليها اعتمد الدعاة والمصلحون في نشر الإسلام والتعريف به في المنطقة.

ثانياً: نبذة تعريفية بالمحافظة الشرقية

سبقت الإشارة إلى أن بوركينا مقسمة إلى 13 محافظة إدارية، وتعتبر المحافظة الشرقية إحدى هذه، وهي أوسع المحافظات في **LA REGION DE L'EST** المحافظات، وتسمى رسمياً بمحافظة الشرق التي تبعد عن العاصمة واغادوغو بـ 220 كيلو **Fada N'gourma** الدولة، وعاصمتها مدينة فدنغورما مترا إلى الشرق، وتضم خمس مقاطعات هي:

1. **GNAGNA**. مقاطعة نيانبا

2. **GOURMA**. مقاطعة غورما

3. **KOMANDJARI**. مقاطعة كومانجاري

4. **COMPIENGA**. مقاطعة كومبينغا

5. **TAPOA**. مقاطعة تابوا

وتعتمد في اقتصادها على الزراعة والثروة الحيوانية، وتوجد بها بعض المناجم، وأهم القبائل فيها هي "و" الفولانيون "و" موسي " حسب معلومات وزارة الداخلية⁴⁶. ونسبة **Gourmantché** "غورمانتشى المسلمين فيها منخفضة مقارنة ببقية المحافظات وخاصة محافظة الساحل، ولذلك تنشط فيها المنظمات التنصيرية كثيرا، حيث تنجح في جلب الوثنيين إلى صفوفها بسهولة كبيرة، وهذا مما أكسب زاوية الشيخ أهمية كبيرة في المحافظة.

[45] انظر: سيدبي، نوح عيسى، **أمبراطورية غانا**، ط1، 1445هـ - 2023، دار المعارف للطباعة والنشر، كنو - نيجيريا، ص 73 - 77.

[46] <https://www.matd.gov.bf>

تاريخ النشر: 21 أكتوبر 2020م. تاريخ الزيارة: 14 أبريل 2024.

المبحث الأول

التعريف بالشيخ أحمد باندي مؤسس الزاوية

1. اسمه ونسبه:

"، إحدى Ouroube هو أحمد أبوبكر بركي عثمان بيلكو باندي، وينتسب إلى عشيرة "أوروي العشائر الأربع الكبرى المكونة للفولانيين في العالم، واللقب الأشهر الجامع للعشيرة هو "باه"، ويتغير في بعض الدول والمناطق إلى "جكتي" و"باندي" ونحوها⁴⁷.
(سمي الشيخ باللغة الفولانية)؛ لأنه سُمي **Tokora Mobbo** اشتهر الشيخ باسم تُكْرُ مُوبُو باسم الشيخ الكبير الذي تتلمذ عليه والذي نظمه في سلك الطريقة التجانية، وهو الشيخ أحمد سيدي بابا بري، التابعة لمحافظة الساحل **Yagha**، إحدى الزوايا المشهورة في مقاطعة ياغا **Marsila** صاحب زاوية مرسيليا في بوركيننا.
أما أمه فهي مريم غطاط محمد عثمان بري. وتنسب إلى عشيرة "بري" العريقة، إحدى العشائر الأربع الكبرى المكونة للشعب الفولاني عبر العالم، وتشتهر بلقب "بري" الذي يتغير في المناطق إلى "سنغري"⁴⁸.
الواقعة شرق مدينة **Noumperma** ولد الشيخ يوم 31 ديسمبر 1952 في قرية نومبيرما، إحدى المقاطعات الخمس التابعة **KOMANDJARI** عاصمة مقاطعة كومانجاري **Gayeri** غاييري للمحافظة الشرقية. وبعد ولادته بسنتين غادرت الأسرة إلى قرية أخرى قريبة هي قرية مانجدوت **Bonseega** وقضت فيها حوالي سنتين، ثم انتقلت إلى قرية بونسيغ **Mandjadoutou**.
بدأ الشيخ تعلم القرآن الكريم على يد والدته "مريم غطاط" وهو في **Bonseega** في بونسيغ الخامسة من عمره، وكانت أمه تقرئه برواية حفص عن عاصم، في حين أن رواية ورش كانت الأكثر شيوعا وقتها في المجالس والزوايا القرآنية في الدولة. وتذكر والدته أن أول ما ابتدأ به الكلام في صغره هو قوله تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها".

ليلتحق بزاوية الشيخ أحمد سيدي **Bonseega** ولما أكمل السابعة من عمره غادر قريته بونسيغ، وهناك قضى سنتين في دراسة القرآن الكريم برواية ورش حتى أكمل كتابته **Marsila** بابا بري في مرسيليا

[47] انظر: سيدي، نوح عيسى، الفولانيون ودورهم في الحفاظ على الثقافة الإسلامية بمنطقة السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة عثمان بن فودي، صكتو - نيجيريا عام 2017م، ص 52 - 55.

[48] المرجع نفسه، والصفحات نفسها.

وقراءته نظرا، وخلال هذه الفترة كان كلما عاد لزيارة أهله في قريته يواصل دراسته على يد أخيه عثمان وأمه مريم. وفي حدود العاشرة من عمره عاد إلى قريته وقضى فترة من الوقت في استذكار ما تلقاه على يد شيخه وإتقانه، فكان يخرج صباح كل يوم إلى الغابة للقراءة والمراجعة، وخلال هذه الفترة **Marsila** في مارسيلا أهدى له والده تلميذه ومريده الأول سعيد وهو في الحادية عشرة من عمره، وقد بقي سعيد معاونا وساعدا أمين له طول حياته إلى أن وافته المنية.

مع أخيه الأكبر عثمان إلى قرية **Bonseega** وفي حدود عامه الثالث عشر غادر قريته بونسيغ عاصمة محافظة الساحل، حيث حطا الرحال عند الشيخ **Dori** القريبة من مدينة دوري **Babirka** بابركا محمد عبد، فكان أخوه الأكبر يدرس على يد الشيخ بينما هو يواصل الدراسة على يد أخيه، وهناك انتقل من القراءة النظرية وبدأ بالحفظ، وفي هذه الأثناء توفيت والدته مريم، فعادا معا إلى القرية ومكثا مدة من الزمن، ثم التابعة لمحافظة **Soum** عاصمة مقاطعة سوم **Djibo** القريبة من مدينة جيبو **Sibé** غادرا إلى قرية سيبي الساحل، حيث قضيا حوالي سنة واحدة، وخلال هذه الفترة استطاع أن يحفظ ثلاثين حزبا على يد أخيه عثمان. القريبة **Tiou** عاد عثمان ليستقر في القرية، وواصل هو طريقه نحو مدينة تيو **Sibé** من قرية سيبي عاصمة المحافظة الشمالية، وهي (تيو) مدينة مشهورة بالمجالس **Ouahigouya** من مدينة واهيغويا فترة من الوقت. **Ousmane Lobbo** والحلقات العلمية المتنوعة، وهناك درس على يد الشيخ عثمان لُبو الواقعة في مقاطعة **Karkinde** واصل الترحال، وعبر الحدود إلى قرية كركندي **Tiou** ثم من تيو وقضى فترة من **Mobbo Oumar** في جمهورية مالي، والتحق بمجلس الشيخ مؤبُو عمر **Koro** كورو وقضى سنتين تجول معه خلالها في كثير من **Saidou walo** الوقت، ثم انتقل إلى مجلس الشيخ سعيد والو قرى ومدن وسط دولة مالي.

من مالي عاد الشيخ إلى قريته بونسيغ عام 1973م وعمره 21 سنة بعد أن قضى حوالي ثماني سنوات في الجولات العلمية بعيدا عن أهله وقريته لأخذ القرآن الكريم فقط، وقد أكرمه الله خلال ذلك بحفظه وإتقانه وإعادة كتابته عن ظهر قلب مرارا، وبعودته إلى القرية تزوج زوجته الأولى وخرج من حياة العزوبة. أخذ الشيخ فترة من الراحة في القرية ثم شد الرحال لدراسة الكتب، فكانت وجهته الأولى هي مدينة وبدأ **Mamoudou Babolo** مرة أخرى، وفيها التحق بمجلس الشيخ محمود بابولو **Tiou** تيو دراسة المعلقات السبع، حيث درس عليه معلقة امرئ القيس والنابعة الذبياني، ثم انتقل إلى قرية بيتيل تشوطي **Amadou**، والتحق بمجلس الشيخ أحمد بولو **Djibo** القريبة من مدينة جيبو **Petel Tchoudi**

حيث أكمل دراسة المعلقات ومقامات الحريري، **boulo**.

وفي هذه الأثناء بدأ يكوّن النواة الأولى لزاويته، حيث شرع التلاميذ يلتحقون به من مختلف الأماكن لدراسة القرآن الكريم، فكان يقسم وقته بين دراسة الكتب المختلفة على شيوخه وتدريس القرآن الكريم لتلامذته، وقد اصطحب معه زوجته في هذه الرحلة للاستقلال بمسؤولياته وأمور حياته المختلفة عن الشيوخ الذين يدرس عليهم.

انتقل مع زوجته وتلامذته إلى قرية أخرى قريبة هي قرية **Petel Tchoudi** ومن بيتيل تشوطي ، والتحق فيها بمجلس الشيخ **Djibo** الكائنة هي الأخرى قرب مدينة جيبو **Bourguindé** بورغيندي المشهور بعمر الإعراب، وتفرغ لمدة سنتين في دراسة **Oumar Alhadj Daouri** عمر الحاج دوري العشرينية والدالية وملحة الإعراب وقطر الندى وشذور الذهب، كما شرع في دراسة شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك حتى وصل باب الحال.

في قرية **Oumar Adama Kourfai** ثم التحق بعد ذلك بمجلس العالم عمر آدم كورفي ، ومكث عنده سنتين أكمل فيهما دراسة **Djibo** القريبة كذلك من مدينة جيبو **Borobassi** بورباس الألفية والأخضري والرسالة والعشماوية ومنظومة القرطبي في الفقه المالكي والمقدمة العزية، ثم انتقل معه إلى مدينة وأكمل تكوينه العلمي المتبقي خلال أربع سنوات أخرى حيث تضرّع في تفسير القرآن الكريم، **Djibo** جيبو ودرس تحفة الحكام وتصريف لامية الأفعال.

وبالجملة فقد مكث الشيخ إحدى عشرة سنة في دراسة القرآن الكريم وحفظه وإتقانه وكتابته، تنقل خلال السنوات الخمس الأولى منها في قرى ومدن شرق بوركينا وشمالها، والسنوات الست الأخيرة في قرى ومدن وسط جمهورية مالي.

كما أخذ عشر سنوات أخرى في دراسة كتب التراث المختلفة في قرى شمال بوركينا ومدنها، وبذلك يكون تكوينه العلمي قد أخذ إحدى وعشرين سنة من عمره، ليعود بعد ذلك إلى قرينته مزودا بما يلزم من الزاد المعرفي والتأهيل العلمي ويتصدى لإنشاء زاويته ونشر العلم في منطقتة.

ومن أهم الملاحظات التي يمكن تسجيلها على المسار الدراسي والتحصيلي للشيخ ما يلي:

1. أنه أخذ وقتا كافيا في الدراسة والتكوين وصبر على مستلزمات ذلك ومشقاته، حتى نال من المؤهلات العلمية والزاد المعرفي ما جعله جديرا بالتصدي للتعليم والتوجيه والإرشاد، فكان افتتاحه للزاوية بعد ذلك أمرا طبيعيا ومستحقا، أي أنه لم يكن من قبيل ذاك النوع من الشيوخ الذين يتصدون للصدارة والمشیخة والتعليم دون زاد معرفي حقيق بذلك.

2. أنه لم يحتاج لتحصيل العلم والمعرفة ودراسة كتب التراث الإسلامي واللغوي المختلفة، أن يغترب غربة بعيدة ونائية إلى شمال إفريقيا أو المشرق العربي الإسلامي، بل حصل على حاجته من ذلك في شمال بوركينا ووسط مالي، وهذا مؤشر واضح على تجذر التعليم العربي الإسلامي في تلك البلاد منذ أمد بعيد.
3. ومن أجل ما يمكن ملاحظته كذلك على المسار التحصيلي للشيخ، هو ذلك التكامل الجميل والتناغم المتميز في نظام الدراسة بالزوايا والكتاتيب القرآنية، فبمجرد أن أكمل قراءة القرآن الكريم وكتابته مرة واحدة، وعاد إلى قريته فترة من الوقت، شرع هو الآخر في تكوين حلقة الخاصة به، حتى قبل أن يكمل تكوينه العلمي ويستقر به المقام في مكان واحد، فكان لديه تلامذة صغار يتعلمون عليه، ويتنقل بهم بين الشيوخ والعلماء طوال الفترة التي كان فيها يجوب القرى والمدن بحثا عن المجالس العلمية. ومن هذا المنطلق اعتبر أخاه الأكبر عثمان من أوائل شيوخه بعد أمه؛ لأنه قرأ جزءا كبيرا من القرآن وحفظه على يديه، وبعض الرحلات التي قام بها إلى بعض القرى والشيوخ كانت من أجل متابعة أخيه عثمان والدراسة على يده، وليست من أجل الدراسة على الشيخ صاحب المجلس نفسه.

المبحث الثاني

نشأة الزاوية وإشعاعها العلمي والثقافي في المحافظة الشرقية

1. نشأة الزاوية:

بعد السنوات الإحدى والعشرين التي قضاها الشيخ في الغربية متنقلا بين القرى والمدن والشيوخ في عام 1983م، ثم شرع في نقل كامل أسرته منها إلى قرية **Bonseega** والعلماء عاد إلى قريته بونسيغ " التي وقع عليها اختياره للسكنى وإنشاء الزاوية. **Tanwalbougu**" تانولبوغو وما إن استقر به المقام في مقره الجديد حتى شرع في بناء مقر للزاوية وتنظيم حلقاتها الحلقية، وتفريغ نفسه للتدريس والإشراف والتوجيه فيها، وكان قد عاد من رحلته في طلب العلم بثلاثة وأربعين (43) تلميذا شكلوا النواة الأولى التي انطلقت بها الزاوية، وعليه فيمكن القول إن الشيخ أنشأ زاويته في عام 1983م إثر عودته مباشرة من رحلاته العلمية.

2. نظام الدراسة في الزاوية:

نظم الشيخ الزاوية بطريقة متمرحلة تضمن إتاحة الفرصة لجميع شرائح المجتمع بتحقيق الاستفادة القصوى منها، حيث يبدأ التكوين فيها بمرحلة تمهيدية ابتدائية يدرس فيها الأولاد الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين

السابعة إلى العاشرة مبادئ القراءة والكتابة، ويحفظون قصار سور القرآن الكريم، ويلقنون مبادئ الإسلام وطرائق
الوضوء والصلاة ونحوها، وهذه الفئة العمرية هي التي يطلق عليها في عرف الكتاتيب القرآنية اسم "بيبناجي

" باللغة الفولانية. **Bibinaaji**

ويتولى تأطير هذه الفئة والإشراف عليها تلامذة الشيخ الكبار الذين أتقنوا قراءة القرآن الكريم كتابة ونظرا ولم
ينتهوا بعد من حفظه وكتابته عن ظهر قلب، فيقومون بكتابة قصار السور على الألواح لهؤلاء التلاميذ وإقراءهم
إياها بصورة متدرجة، وكلما انتهى التلميذ من قراءة سورة وإتقانها بمسحها وينتقل إلى تاليتها وهكذا، ويندر أن
يتعامل الشيخ مع هذه الفئة إلا عبر الإشراف عن بُعد.

وما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام هو أن علماء الزوايا والكتاتيب القرآنية، قد سعوا إلى تسهيل تناول
التلميذ للحروف الهجائية العربية، عن طريق تفسير بعضها وإعطائها منطوقا مستوحى من البيئة المحلية باللغة
الفولانية، فكان التلميذ يبدأ بما دراسته حتى يتقنها ثم يطبقها على قصار سور القرآن حتى يصل إلى سورة الفيل،
وبذلك يكون قادرا على قراءة الحرف مفردا ومركبا في جملة، وقد تم تعميم هذا الأسلوب في كثير من كتاتيب غرب
إفريقيا حتى تلك التي يؤطرها شيوخ غير فولانيين.

تلي هذه المرحلة، مرحلة متوسطة يدرس فيها الأولاد الذين تتراوح أعمارهم بين الحادية عشر إلى الخامسة
عشر، وفي هذه المرحلة يتجرد التلميذ لحفظ القرآن الكريم بعد أن يكون قد أتقن كتابته وقراءته نظرا، ويؤطر هذه
المرحلة تلامذة الشيخ الذين أمهوا حفظ القرآن الكريم وأعادوا كتابته مرارا عن ظهر قلب، ودخلوا مرحلة قراءة
" **Fusunaadji** أمهات كتب التراث الإسلامي المختلفة، ويطلق على تلامذة هذه المرحلة اسم "فُسُنَاج
باللغة الفولانية.

ثم تأتي المرحلة العليا بعد ذلك، وهي المرحلة التي يكون فيها التلميذ قد أكمل حفظ القرآن الكريم وكتابته،
وبدأ في الإعداد لدراسة الكتب المختلفة، بعد أن يكون قد أخذ الوقت الكافي في تثبيت حفظه للقرآن وترسيخه،
ويتولى الشيخ بنفسه تأطير طلاب هذه المرحلة، حيث يفرغ لهم نفسه لتدريسهم الكتب التي يحتاجون إليها، كل
" باللغة الفولانية. **santaaji** حسب اختياره ورغبته واستعداده. ويطلق على طلاب هذه المرحلة اسم "سَنَطَاج
وخلال السنوات العشر الأولى التي تلت عودة الشيخ وإنشاء الزاوية، كان ينتقل بين خمس حلقات علمية في
زاويته يُدرّس فيها كتب الفقه واللغة والتفسير، كما خصص ثلاث حلقات لتعليم النساء.
ويمكن إجمال كتب التراث التي كان الشيخ يدرسها لتلامذته في هذه المرحلة فيما يلي:

◀ **في العقيدة والفقه:** مختصر الأخصري في العبادات على مذهب الإمام مالك، ومتن العشماوية في
مذهب الإمام مالك، ومتن المقدمة العزية للجماعة الأزهرية في فقه المالكية، ومتن الرسالة لابن أبي زيد

القيرواني، ومختصر خليل في فقه إمام دار الهجرة للعلامة خليل ابن إسحاق المالكي، وتحفة الحكام في نكت العقود والأحكام للفقير ابن عاصم الغرناطي.

﴿ في اللغة: ملحة الإعراب للحريري، والكواكب الدرية في شرح نظم الأجرومية للعلامة أبو إسحاق التواتي المزمرى، وقطر الندى وبل الصدى، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام.

﴿ في الأدب: مقصورة ابن دريد، ودالية اليوسي، والمعلقات السبع، ومقامات الحريري.

﴿ في التفسير: حاشية الصاوي على تفسير الجلالين للعلامة الشيخ أحمد بن محمد الصاوي.

أما الحلقات الثلاث المخصصة للنساء فكانت أشبه ما تكون بحلقات للوعظ والإرشاد، لتعليمهن أساسيات الإسلام ومسائل الفقه المتعلقة بالنساء ونحوها.

وإلى جانب هذا كله كان الشيخ يملك حلقة مفتوحة لتفسير القرآن الكريم في مسجده في رمضان، كما كان ملتزماً بالإمامة في الصلوات الخمس والجمعة والأعياد، وبختمة قرآنية مفتوحة في مسجده كل يوم جمعة ما لم يكن في سفر، إلى جانب الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي الشريف في كل سنة.

3. الإسهامات العلمية والثقافية للزاوية:

قضى الشيخ السنوات العشر الأولى من إنشاء الزاوية ممسكاً بزمام الأمور فيها، حيث تخرج على يديه مئات التلاميذ من حفظة القرآن الكريم وحملة العلم الشرعي واللغوي، الذين انبثوا في كافة أرجاء المحافظة الشرقية وافتتحوا حلقات تدرسية خاصة بهم، وملاؤوا الفراغ الكبير الذي كانت تعانيه المحافظة في هذا المجال، وقد أحصى لنا الشيخ ما يصل إلى خمسمائة (500) حلقة لتعليم القرآن الكريم افتتحها تلامذته ومريدوه الذين تخرجوا على يديه، وهي ماثلة في كافة أرجاء الدولة وخارجها، ومعظمها في المحافظة الشرقية، وهكذا نما التعليم العربي الإسلامي وازدهر شيئاً فشيئاً، وانتشرت حلقات تحفيظ القرآن الكريم وتفسيره ودراسة كتب التراث المختلفة في كافة أنحاء المحافظة، وأصبحت هذه الحلقات والخواص بمرور الزمن جزءاً من المنظومة الدراسية الأساسية التي لا يمكن إغفالها، في حين أن المحافظة كانت شبه خالية من ذلك كله قبل تأسيس الزاوية، حتى إن الشيخ نفسه اضطر في بداية حياته إلى التغرب فترة طويلة من الوقت لتحصيل العلم؛ لأن منطقته لم تكن تملك زوايا حقيقية يمكن للتلميذ أن يحصل على حاجته من العلم والمعرفة والتكوين فيها، ويمكن إنجاز أهم الإسهامات العلمية والثقافية التي أفرزتها الزاوية في المحافظة الشرقية فيما يلي:

- أ. نجحت الزاوية في جلب أساسيات علوم الدين واللغة إلى المحافظة بعد أن كانت خالية من ذلك، فأصبحت المحافظة موئلا للتلاميذ والمريدين وطلبة العلم من كل جهة، حتى خارج حدود المحافظة، حيث كانت الزاوية يؤمها تلاميذ من النيجر وبنين وتوغو، فضلا عن الذين يأتون من مالي ومن محافظة الساحل التي درّسَ فيها الشيخ سابقا وأصبح مشهورا فيها.
- ب. نجحت الزاوية في جعل التعليم العربي الإسلامي التقليدي جزءا من التعليم الأساسي المعترف به في المحافظة بعد أن كانت الساحة مرتعا مفتوحا لمدارس التنصير المختلفة تصول فيها وتجول دون منافس.
- ت. نجحت الزاوية في بث شعاع العلم والثقافة الإسلامية في كل ربوع المحافظة عبر الزوايا والحلقات الفرعية التي افتتحها تلامذة الشيخ في كل النواحي.
- ث. نجحت الزاوية في تكييف نفسها لمستجدات الواقع فأنشأت جناحا تعليميا حديثا على شكل مدرسة نظامية عربية فرنسية معترفا بها من الدوائر الحكومية المحلية، وهذا الإجراء أنتج نوعا من التكامل والتعاون في نظام الدراسة بين المؤسساتين.
- ج. تخرج من الزاوية مئات التلاميذ والمريدين وانبثوا في كافة مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في المحافظة الشرقية وغيرها وأسهموا بدورهم في تنمية المجتمع وتوعيته وثقافته.

4. علاقة الزاوية بالمدارس النظامية العربية والفرنسية في المحافظة:

- ح. على عكس ما يمكن أن يُتصور من أن العلاقة بين الزاوية والمدارس النظامية بمختلف أنواعها في المحافظة ستكون علاقة تنافس وتوتر واحتقار متبادل كما هو الحال في كثير من المناطق، عمل الشيخ على أن تكون العلاقة بين زاويته والمؤسسات التعليمية الأخرى علاقة تكامل وتعاون في خدمة المجتمع. وقد رأينا كيف عمل على إنشاء مدرسة نظامية مزدوجة اللغة (عربية فرنسية) غدت رديفة للزاوية ومساعدة لها، حيث لجأ كثير من آباء التلاميذ إلى الاستعانة بها في المراحل الأولى من الدراسة، لتعليم أبنائهم القراءة والكتابة؛ لأن الأساليب المتبعة فيها أكثر حداثة وفاعلية في إكساب الطفل تلك المهارات مما عليه الحال في النظام التقليدي للزاوية، على أن يلجأ التلاميذ في المراحل العليا إلى الزاوية في قراءة كتب التراث الكبرى التي لا يمكن دراستها بعمق وتفصيل في المدرسة.
- خ. أما المدارس الفرنسية التابعة للحكومة فقد شجع الشيخ أهله وعشيرته وأهل محافظته على الانفتاح عليها والاستفادة منها دون إدارة الظهر للزاوية، وبذلك توجه كثير من الآباء إلى إرسال أبنائهم إلى تلك المدارس بعد أن كانوا محجمين عن ذلك نتيجة ضيق الأفق وقلة الفهم، وفي أيام العطل والإجازات يرجع الأولاد إلى الزاوية لحفظ القرآن الكريم وتعلم أساسيات الدين التي لا يحظون بها في المدرسة الحكومية العلمانية.

أما المؤسسات التنصيرية والمدارس التابعة لها فقد حرص الشيخ على الإبقاء على العلاقة معها علاقة مواطنة عادية وهادئة، مع اهتمام كل جانب بشؤونه وأموره وعدم التدخل في شؤون الآخر، وبعون الله وتوفيقه لم يحدث أي احتكاك سلمي بين زاوية الشيخ وأية مؤسسة تنصيرية في المنطقة منذ افتتاح الزاوية إلى اليوم، بل يمكن القول إن هناك تكاملا وتنسيقا بين الطرفين في بعض المجالات، حيث إن المدارس التابعة للمؤسسات التنصيرية تتبع في مناهجها الدراسية المنهج الحكومي المعتمد، ولكنها تستغل الثغرات والفراغات الموجودة في المنهج في تمرير برامجها التنصيرية الخاصة بها، وهو الأمر نفسه الذي تفعله زاوية الشيخ مع التلاميذ المسلمين الذين يدرسون في تلك المدارس، حيث تستغل أيام الإجازات والعطل في إقراءهم القرآن وتعليمهم أساسيات الإسلام في الزاوية. وبالجملة فقد حافظ الشيخ على علاقة متوازنة وهادئة مع جميع القوى الفاعلة والنشطة في المحافظة، وأبقى على الزاوية زاوية أكاديمية صرفة، ولم يقحمها في أية صراعات سياسية أو اجتماعية، كما أبعد نفسه وزاويته تماما عن أية صراعات مذهبية أو عقائدية مع التيارات الإسلامية المتصارعة في الدولة وفي المحافظة.

5. تخفف الشيخ من أعباء التدريس في الزاوية والاتجاه نحو الخدمة الاجتماعية:

منذ أن رجع الشيخ من رحلته العلمية وافتتح زاويته وجماعته في تزايد مطرد سنة بعد أخرى، وبعد مرور عشر سنوات من الجهد العلمي المتواصل في نشر العلم في المحافظة، كثرت عليه الأعباء وضاق به الوقت، حيث أنعم الله عليه بأن جعله متواضعا مجاب الدعوة، مطلعاً على كثير من أسرار القرآن الكريم وتصريفاته، وسبل العلاج وقضاء الحوائج به، وهذا ما جعل الناس يقبلون عليه من كل الأصقاع، فاشتهر أمره وذاع صيته وأصبح مقصداً للوجهاء والأعيان والأغنياء والفقراء وذوي الحاجات من كل الأنحاء.

وباطراد ذلك وجد الشيخ نفسه مضطراً إلى التخفف من أعباء التدريس، بعد أن استحال عليه الجمع بينها وبين مهام الإنصات إلى حوائج الناس ومطالبهم، فعهد بالزاوية إلى تلميذه الأول سعيد وفرغ نفسه من الأمور التدريسية المختلفة، واحتفظ فقط بإمامة الجمعة والتراويح وحلقة التفسير الرمضانية المفتوحة، ووجه اهتمامه نحو قضاء حوائج الناس والمشاركة في التنمية الاجتماعية لمحافظة دولته.

وقد فتح الله على الشيخ بأن كتب له القبول بين الناس في المجتمع كما حباه بقدرات مالية كبيرة، ولم يبخل هو الآخر على المجتمع بما حباه الله به، ففضلاً عن المدرسة النظامية التي بناها وأنفق عليها وجعلها مفتوحة لأبناء الفقراء والمساكين، أسهم بمبالغ مالية كبيرة في بناء مستوصف مجهز وإهدائه إلى السلطات الصحية المحلية لمدينته الصغيرة التي تحولت شيئاً فشيئاً إلى مدينة مزهرة بالحركة والنشاط، إلى جانب مساعيه عند الحكومة لتزويد المدينة بحامية من الدرك وقد تحقق له ذلك، فضلاً عن مشاركاته الإيجابية في حل كافة المشاكل التي كانت تعترض

مسار المحافظة خاصة الأمنية منها والاجتماعية، حيث أصبح بمثابة مستشار روجي مقرب من السلطات الرسمية التي تعاقبت على إدارة المحافظة، بل إن رؤساء الجمهورية وكبار الوزراء كانوا يسجلون له الزيارات بين الحين والآخر ويسترشدون بأرائه ووجهات نظره في كثير من أمور الدولة والمحافظة.

6. أهم التحديات التي تواجه الزاوية:

منذ أن أنشئت الزاوية والأمور فيها تسير فيها على خير ما يرام، والإقبال عليها كان مطردا من جميع النواحي حتى إنها كانت تتلقى تلامذة من النيجر وبنين وتوغو وغيرها، وكان الجناح النظامي المتمثل في المدرسة العربية الفرنسية التابعة لها قد أعطى دفعة قوية للبرامج التعليمية فيها، وكان الشيخ يعمل على تحديثها وتزويدها بالخبرات والكفاءات العلمية والإدارية المدرية، مستفيدا من الأسفار الكثيرة التي قام بها عبر العالم؛ مما جعل منه شيخا منفتحا واسع الأفق بعيد النظر قليل التعصب (زار الشيخ معظم الدول الأوربية والولايات المتحدة وتركيا، فضلا عن رحلات الحج والعمرة التي كان يقوم بها بين الحين والآخر، وفي كل زيارة كان يرجع معه بهدايا على شكل أجهزة حواسيب حديثة يقدمها إلى السلطات المحلية الرسمية لرفع أداؤها وكفاءتها الإدارية). ولكن هذه الصورة المضيئة والطموحات الكبيرة والآمال الواسعة تحطمت على صخرة الوضعية الأمنية المتأزمة التي تعرضت لها المحافظة منذ أواخر عام 2019 إلى يومنا هذا.

تعتبر المحافظة الشرقية من أكثر المناطق التي تأثرت بالأزمة الأمنية التي انسكبت على الدولة من كل الأنحاء، وقد نال الشيخ وزاويته نصيبا وافرا من هذه الأزمة، حتى اضطر في النهاية إلى إغلاق الزاوية والانتقال إلى العاصمة واغادوغو مع الجزء الأكبر من أسرته، في حين بقي جزء صغير منها في مدينة فادنغورما عاصمة المحافظة.

7. الرؤية المستقبلية:

اضطرت الظروف الأمنية التي تمر بها الدولة والمضايقات المتكررة التي تعرض لها الشيخ من قبل السلطات وقوات الأمن إلى إغلاق الزاوية والانتقال إلى العاصمة واغادوغو 49، على أمل الحصول على قدر من الهدوء والطمأنينة لاستئناف أنشطته العلمية والثقافية وإعادة إحياء الزاوية، خاصة وأنه يملك ضياعا وأراضي واسعة هناك كان يفكر في استثمارها في بناء مجمع علمي متكامل من الابتدائية إلى الجامعة وإلحاق الزاوية بها، ولكن تصاعد وتيرة الأزمة الأمنية وصعوبة التكهن بما ستؤول إليه الأمور في المستقبل جعلته يتوخى الحذر والحيطه تجاه القيام بأي مشروع كبير وملفت للنظر في هذه الآونة.

[49] تعرض مقر الشيخ في تانوالبوغو لنزول عنيف وتفقيش متعسف من العسكر تم خلاله قتل بعض أقربائه، كما تعرض منزله في مدينة "فادنغورما Fada N'gourma" للتفقيش أكثر من مرة.

ونتيجة لذلك فقد قرر التوقف مؤقتاً عن الأعمال العامة والخدمات الاجتماعية المختلفة، وتحميد المشاريع الكبرى التي كان ينوي القيام بها، إلى حين انجلاء الأمور وانفراج الأزمة، وعلى ما يبدو فإن ذلك لن يكون في المستقبل المنظور، لأن الأزمة تزداد تعقيداً يوماً بعد يوم، والله المستعان.

الخاتمة

أحمد الله سبحانه وتعالى الذي منّ عليّ بإتمام هذه الورقة الموجزة وتبسيط شيء من الضوء على الجهود الكبيرة التي قامت بها زاوية الشيخ أحمد باندي في سبيل نشر شعاع العلم والثقافة الإسلامية في المحافظة الشرقية التي بقيت مرتعاً خصباً للمؤسسات التنصيرية؛ نتيجة الإهمال التي تعرضت له من طرف الدعاة ومؤسسي المدارس العربية الإسلامية ومؤسسات العمل الخيري الإسلامي المختلفة، وقد خرجت من هذه الجولة العلمية الموجزة بجملة نتائج أسرد أهمها هنا:

الشيخ أحمد باندي مؤسس الزاوية عالم ضليع في العلوم الإسلامية واللغة العربية، لم يتصد لإنشاء الزاوية إلا بعد أن نال من الزاد المعرفي والعلمي ما جعله جديراً بافتتاحها. أسهمت الزاوية في سد ثغرة كبيرة وفراغ واسع كان التعليم العربي الإسلامي يعانيه في المحافظة الشرقية من بوركينافاسو لفترة طويلة.

أ. نجحت الزاوية في نشر شعاع العلم والثقافة الإسلامية في المحافظة الشرقية وما وراءها؛ بتخريج مئات الطلاب الذي حملوا معهم العلوم المختلفة وشاركوا في نشرها فرادى وجماعات من خلال الزوايا التي افتتحوها في أكثر من مكان في المحافظة وغيرها.

ب. عملت الزاوية بالتكامل والتنسيق مع المدارس النظامية في المحافظة سواء العربية الفرنسية منها أو الفرنسية الصرفة التابعة للدولة أو للمؤسسات التنصيرية، نتيجة سعة الأفق التي تحلى بها الشيخ.

ت. يعتبر التحدي الأممي الذي تمر به المحافظة الشرقية والدولة برمتها أكبر تحدٍّ أمام مشروع الزاوية في مقرها الأول الذي نشأت فيه.

ث. يملك الشيخ رؤية مستقبلية واضحة وطموحة للزاوية وللتعليم العربي الإسلامي في محافظته، ولكن الظروف الأمنية المرعبة التي تمر بها الدولة أجبرته على الانزواء وتحميد كافة المشاريع.

التوصيات

ولعلي لا أختتم هذه الورقة الموجزة قبل أن أتطرق إلى بعض التوصيات التي أرى أهمية أخذها في

الاعتبار لضمان الإبقاء على الزاوية وتحسين أدائها، وهي:

1. من مصلحة الدولة والحكومة أن تركز في حربها على ما يسمى الإرهاب على من يحاربونها ويتحدونها، وتكف عن ملاحقة الأبرياء لمجرد الانتماء القبلي والديني، ومن مصلحتها كذلك ومصلحة الجميع أن تبقى الحرب في إطارها الإيديولوجي والفكري ولا تحولها إلى حرب قبلية تستهدف بها شرائح معينة في الدولة كما هو الحال والواقع في كثير من الأحيان.
2. النجاح الذي حققته الزاوية في التكامل مع المدارس النظامية والتعاون معها يعتبر مكسبا كبيرا، ولكن الزاوية بحاجة - لضمان بقائها - إلى أن تُحدِّث من أساليبها ومناهجها بحيث تكون الدراسة فيها خاضعة لمنهجية واضحة، مع ضرورة توفير المأكل والملبس والسكن للتلاميذ الدراسين فيها عبر آلية اشتراكات يتم التفاهم عليها مع أولياء أمورهم، لإخراجهم من الطابع البدائي الذي يضطرون فيه إلى التسول والتكفف لتحصيل قوتهم كجزء من التكوين، حيث إن الفقر أو العوز ليس هو السبب الأساس من وراء لجوء تلاميذ الكتاتيب إلى التسول، بل إن ذلك يعتبر جزء من التربية والتكوين فيها قديما، ولا شك في أن المجتمع الحديث لم يعد يتقبل هذا الأمر إلا على مريض، وقد بذلت الدولة جهودا كبيرة في سبيل إيقاف الأمر ولكنها اصطدمت بمعارضة شديدة من أصحاب الكتاتيب نتيجة العقلية القديمة التي لم تزل مسيطرة.
3. مشروع المجمع العلمي المتكامل الذي يضم إلى جانب الزاوية مدرسة نظامية من الابتدائية إلى الجامعة يعتبر مشروعاً طموحاً يستحق الدعم والتشجيع من جميع الأطراف وخاصة من الممثلات والجمعيات الإسلامية والإنسانية المختلفة في الدولة، ومن الدولة نفسها كذلك.
4. الزوايا والكتاتيب القرآنية منتشرة على طول الدولة وعرضها دون ضابط ولا نظام يجمع بينها، فإحدا لو فكّر أصحابها في إيجاد رابط بينها؛ لتسهيل التواصل وتقاسم الخبرات، وإن أمكن توحيد البرامج فيها سعياً إلى التكامل والتعاون والوقوف في وجه التحديات التي تعترض مسار هذا القطاع.

المراجع

[1] Ki - Zerbo, Joseph, **HISTOIRE DE L'AFRIQUE NOIR D'Hier à Demain**, LIBRAIRIE A. HATIER.

[2] <https://www.ritimo.org> BURKINA FASO: Une jeune démocratie à l'épreuve du terrorisme islamiste.

[3] <https://mjp.univ-perp.fr> Haute Volta (Burkina Faso) La colonie française de Haute - Volta.

[4] <https://www.jeuneafrique.com> Le 4 Aout 1984, Thomas Sankara rebaptisait la Haute - Volta en Burkina Faso, Benjamin Roger.

- [5] <https://www.afrobarometer.org> Les Burkinabè sont fortement attachés à leur identité nationale.
- [6] <https://www.axl.cefanelaval.ca/afrique/burkina.htm>.
- [7] <https://www.matd.gov.bf>.
- [8] <https://www.ontbbf/burkina-faso/geographie>.
- [9] <https://www.axl.cefanelaval.ca/afrique/burkina.htm>.
- [10] Ki – Zerbo, Joseph, **HISTOIRE DE L'AFRIQUE NOIR D'Hier à Demain**, LIBRAIRIE A. HATIER.
- [11] <https://www.banquemondiale.org> BURKINA FASO Vue d'ensemble – la Banque mondiale.
- [12] <https://veterinairesansfrontiers.be> Le pastoralisme, un système résilient mais menacé au Burkina.
- [13] <https://www.deleguescommerceauxgc.ca> Le marché minier au Burkina Faso.
- [14] <https://hal.science> Les relations islam christianisme au Burkina Faso, Fabienne Samson, Document PDF.
- [15] سيدبي، نوح عيسى، أمبراطورية غانا، ط1، 1445هـ - 2023، دار المعارف للطباعة والنشر، كنو - نيجيريا، ص 73 - 77.
- [16] <https://www.matd.gov.bf>.
- [16] سيدبي، نوح عيسى، الفولانيون ودورهم في الحفاظ على الثقافة الإسلامية بمنطقة السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة عثمان بن فودي، صكتو - نيجيريا عام 2017م.

الشكل والنمط المعماري للمئذنة بين التأصيل والحداثة (دراسة حالة، مآذن المساجد بمدينتي زليتن والخمس - ليبيا)

* د. عبدالله مفتاح بن محمود¹، أ. سعاد سالم بن ضو²

¹ قسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني، كلية الهندسة، جامعة المرقب، الخمس، ليبيا

² قسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني، كلية الهندسة، جامعة المرقب، الخمس، ليبيا

*a_benmahmod@yahoo.com

الملخص:

تعتبر المساجد من اهم المعالم والرموز المعمارية في العمارة الاسلامية، حيث انها ترتبط ارتباطا وثيقا بالجانب الديني العقائدي والروحي للمسلمين، ولقرون طويلة كان المسجد هو العنصر الرئيسي في عمارة المدن الاسلامية منذ بداية العصر الاسلامي حتى يومنا هذا.

وقد خضعت عمارة المساجد واشكال عناصرها عبر مرور الزمن الى الكثير من التطوير والتعديل المعماري، وذلك بما يتناسب ويتوافق مع عمارة المكان والزمان في مختلف المناطق التي وصلتها الدعوة الاسلامية، سواء عن طريق الفتوحات الاسلامية، او عن طريق التواصل الفكري الثقافي بين المسلمين والشعوب الاخرى في مختلف دول العالم.

ويهدف البحث الى دراسة التطور والتغيير في الشكل المعماري للمآذن بين القديم والحديث، باعتبارها اهم العناصر المعمارية في المساجد، ومعرفة اهم العوامل والابعاد التي أدت الى هذا التغيير، وتقييم مدى موافقة وموائمة التغير في الشكل والنمط المعماري للمآذن بالنسبة للمبادئ والاسس التصميمية والقيم الوظيفية والروحية للمساجد في منطقة المغرب العربي وشمال افريقيا، والتي تنتمي اليها المساجد الواقعة بمنطقة الدراسة وهي مدينتي زليتن والخمس الواقعتين بالشمال الغربي لدولة ليبيا، وذلك عن طريق اتباع المنهج التاريخي والتحليلي الوصفي لبعض المآذن للمساجد الواقعة بالمدينتين، وتطور طرق تصميم وتنفيذ هذه المآذن، ويخلص البحث الى وضع المقترحات والتوصيات التي من شأنها الحفاظ على الشكل والنمط المعماري المحلي للمئذنة، والذي يلائم الطراز المعماري الذي يعبر عن عمارة المكان والهوية الدينية الثقافية للمجتمع.

كلمات مفتاحية/ المسجد، المئذنة، المسجد الجامع، الطراز المعماري، العمارة الاسلامية، مدينة زليتن، مدينة الخمس.

Abstract:

Mosques are considered as one of the most important architectural landmarks and symbols in Islamic architecture, as they are closely associated with the religious, theological, and spiritual aspects of Muslims. For centuries, mosques have been the main element in the architecture of Islamic cities from the beginning of the Islamic era until today. Mosque architecture and its elements have undergone significant development and architectural modifications over time, in line with the architecture of the place and time in various regions reached by the Islamic call, whether through Islamic conquests or through intellectual and cultural communication between Muslims and other peoples in different countries worldwide.

The aim of the present research is to study the evolution and change in the architectural form of minarets between the old and the modern, as they are the most important architectural elements in mosques. It also aims to identify the most important factors and dimensions that have led to this change. It also aims to evaluate the extent of compliance and compatibility of the changes in the architectural form and style of minarets with the principles, design foundations, functional values, and spiritual values of mosques in the Maghreb and North Africa region where the mosques of the study area located. The historical and descriptive analytical approach is adopted to study some minarets of mosques located in the cities of Zliten and Al Khums, located in the northwestern part of Libya, and exploring the evolution of the methods

of designing and implementing these minarets. The study concluded at putting forward proposals and recommendations aimed at preserving the local architectural form and style of the minaret, which is in line with the architectural style that reflects the architecture of the place and the cultural-religious identity of the community.

Keywords: Mosque, Minaret, Grand Mosque, Architectural Style, Islamic Architecture, Zliten, Al Khums.

مقدمة:

يعرف المسجد بأنه مكان وموضع السجود، وهو البيت الذي يبني ويؤسس لغرض إقامة الصلاة الركن الاول من اركان الايمان التي امر الله الانسان بادائها واقامتها، خالصة له سبحانه، وهي صلة بين الانسان وبين الله عز وجل، ولذلك فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالقيم الدينية والروحية والهوية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الاسلامي، وبالتالي فان المكان الذي تقام فيه هذه الشعيرة العظيمة، وما يصحبها من فعاليات وانشطة تخدم الانسان والمجتمع هو مكان مقدس يعبر عن الهوية الثقافية الدينية للمجتمع، وله مكانة قوية في نفوس المسلمين، ويعتبر من اهم المعالم [1]. والعناصر المعمارية في عمارة المدينة الاسلامية

وحيث ان عمارة المساجد لها علاقة وثيقة ومباشرة بالدين الاسلامي، فان القواعد والمبادئ الاساسية لهذه العمارة تم وضعها مع بناء اول مسجد في الاسلام وهو مسجد الرسول الاعظم "صلى الله عليه وسلم" بالمدينة المنورة، ثم اخذت في التطور والتعديل المعماري وفق ما يناسب الهوية الثقافية وخائص البيئة المحلية لكل مجتمع دخل في ظل الدين الاسلامي، بما في ذلك الشكل العام للمسجد وحجمه والشكل والطرز المعماري للعناصر المكونة للمسجد، ومنها بيت الصلاة، والمئذنة، والقبة، والاروقة، والاعمدة الداخلية، والمنبر، والمحراب، وهي العناصر الاساسية لعمارة المساجد التي يجب ان تحتفظ بملامحها ومواصفاتها التصميمية الاساسية، وذلك لارتباطها بالقيم الدينية والعقائدية للمسلمين.

ويهدف البحث دراسة وتقييم تطور الطراز والشكل المعماري للمئذنة، باعتبارها من اهم العناصر المعمارية الملحقة بالمسجد، والتي كانت لها العديد من الوظائف من اهمها استخدامها للمناداة للصلاة، ونقطة دالة على مكان وجود المسجد، ومناارة تهدي المسافرين، وتقييم هذا التطور في الشكل المعماري للمئذنة منذ بداية ظهورها كعنصر

معماري بالمسجد الاسلامي في بدايات الحضارة الاسلامية الى شكل المآذنة في الوقت المعاصر، وذلك في منطقة مدينتي زليتن والخمس منطقة باعتبارها منقطة متوسطة تقع في الشمال الافريقي، ونقطة التقاء حضارة الشرق العربي الاسلامي بالحضارة المغاربية والاندرلسية، وسيتم اتباع المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال دراسة الشكل والطرز المعماري الاساسي للمئذنة كعنصر معماري بالمسجد، واهم انواع المآذن، والمكان والزمان اللذين تم فيهما ظهور كل نوع من هذه الانواع، ودراسة وتقييم بعض المآذن بمنطقة الدراسة ومعرفة التغير والتطور في الشكل والطرز المعماري لها، ويخلص البحث الى وضع المقترحات التي من شأنها الحفاظ على المئذنة كعنصر معماري يعبر عن الهوية الثقافية والمعمارية المحلية، ويعكس الموروث والارث الحضاري للمجتمع، ويحافظ على النمط المعماري الاسلامي الخاص بهذه المنطقة، ويساهم في تعزيز وبناء الهوية العمرانية والمعمارية وتحقيق الاستدامة الحضارية.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في ضياع النمط المعماري القديم للمآذن والذي يعبر عن الموروث التراثي والتاريخي العريق، والمرتبط بالهوية الثقافية والدينية للمجتمع، والذي يجسد الاساس الثقافي الذي ساهم في تصميم المئذنة، وتحديد شكلها، وارتفاعها وتصميم عناصرها ومكوناتها، ودلالاتها الدينية والاجتماعية والثقافية، واصبح تنفيذ المآذن لا يخضع لاي اساس من اساس التصميم المعماري للمآذن والذي يجب ان يقوم على اساس محاكاة الوظيفة الاساسية للمئذنة، وشكلها وطابعها المعماري الذي يظفي عليها الهيبة والروحانية ويجعل منها عنصرا معماريا مميزا، ونقطة رئيسية للمسجد، ومنارة يهتدي بها المسافرون، ومعلم معماري يساهم في بناء وتكوين النسيج الحضري للمدينة.

اهداف الدراسة:

1. معرفة مفهوم المئذنة، والتطور التاريخي لها، واهم انواعها واشكالها وانماطها المعمارية المختلفة >
2. تحديد اهم الاسس التي ساهمت في تصميم المئذنة في كل عصر من العصور الاسلامية، واهم المؤثرات الثقافية والدينية والاجتماعية لكل منطقة من مناطق الامة الاسلامية، والتي ساهمت بشكل كبير في انتاج اشكال وتصاميم مختلفة ومتعددة للمآذن تعبر كل منها على ثقافة وقيم ومبادئ كل عصر من العصور وكل دولة من الدول الاسلامية المتعاقبة.

3. دراسة بعض اشكال المآذن بالمساجد في المنطقة الدراسة وتحديد القصور في اسس تصميم وتنفيذ هذه المآذن، ومعرفة اسبابه، ووضع الحلول والمقترحات التي من شأنها بناء مآذن تكون معالم معمارية مميزة، تعبر عن ثقافة المجتمع وهويته المحلية.

تعريف المئذنة:

المئذنة هي عنصر معماري من عناصر مبنى المسجد تمت اضافته للمسجد لاداء عدة وظائف من اهمها المناداة لافقات الصلوات المفروضة وهي وظيفة المؤذن والتي اشتق منها اسم المئذنة، والمئذنة هي عبارة عن بناء مرتفع يعلو مستوى بناء الجامع لها شكل البرج، وقد اصبحت من خلال تصميمها وشكلها المعماري المرتفع نقطة دالة على مكان وجود المسجد، ويمكن رؤيتها من خارج المسجد ومن مكان بعيد ولذلك تعتبر منارة يهتدي بها المسافرين والقادمون الى المنطقة، ومن تم اصبحت المئذنة فناً قائماً بذاته من فنون العمارة الإسلامية، وعنصراً معمارياً يعبر عن الهوية الثقافية والحضارية للمجتمع في المكان والزمان التي بنيت فيه، وذلك من خلال تنوع واختلاف اشكالها وارتفاعاتها وعنصر تكوينها وزخرفتها ونقوشها، وطرق واساليب تنفيذ بنائها، وقد كانت اول نشأتها على شكل مرتفع بسيط مربع الشكل وفيه مكان لوقوف المؤذن ثم تطورت بعد ذلك واخذت العديد من الاشكال والطرز المعمارية المختلفة [2].

تسمية المئذنة: اخذت المئذنة اسمها من الوظيفة التي يقوم بها المؤذن الذي يقوم برفع الاذان من على شرفات المئذنة في وقت الصلاة، وتسمى ايضا بالمنارة من وظيفة الانارة للناس الموجودين في مكان بعيد ليهتدوا الى المكان، وخصوصا المنارة القريبة من شاطئ البحر حيث يوضع اعلاها ضوء ليراه الناس من عرض البحر ويهتدوا الى اليابسة.

الشكل المعماري للمئذنة:

تعتبر المئذنة احد العناصر المعمارية التابعة للمسجد ذات البناء المرتفع، وتتكون المئذنة أيا كان موقعها في المسجد من مدخل يكون متصل بصحن المسجد وذلك لسهولة الوصول اليها، ثم درج الصعود، وهو عادة ما يكون حلزونياً داخلها يدور حول محور المئذنة، ويتم بواسطته الوصول إلى الشرفات المرتفعة التي تحيط ببدن المئذنة، ولموقع الشرفة ودورها وظيفة هامة، حيث يقف المؤذن عليها ليرفع صوت الأذان للصلاة، ويجب أن تحيط الشرفة بالمئذنة كدائرة ليدور المؤذن معلناً نداء الحق في كل الجهات الأربع [3].

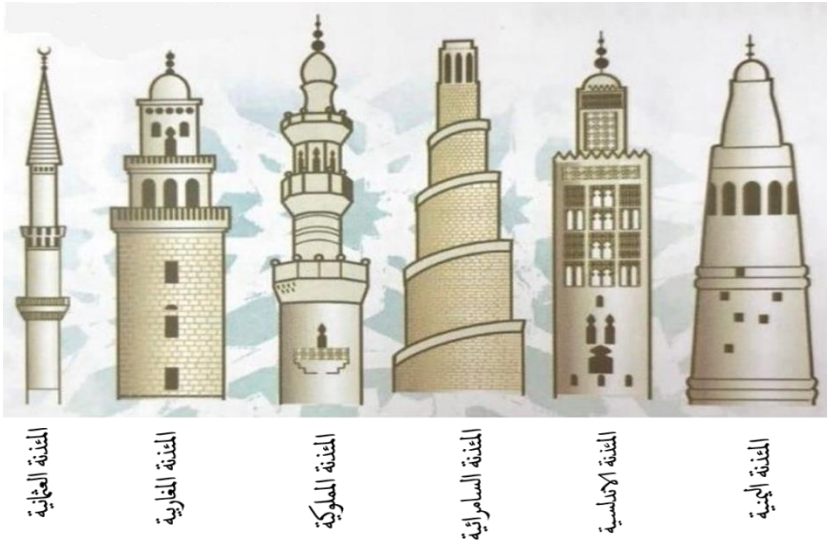
التطور التاريخي للمآذن وأنواعها:

تروي بعض المصادر التاريخية ان المئذنة استخدمت في المباني الدينية في عصر ما قبل الاسلام، وذلك في بعض ابراج وصوامع الكنائس البيزنطية والمعابد اليونانية والإغريقية، ولكن مع بدء عمارة وبناء المساجد واتخاذها اماكن للعبادة في العصر الاسلامي منذ السنة الاولى للهجرة، عند قدوم الرسول الاعظم " صلى الله عليه وسلم" مهاجراً الى المدينة المنورة سنة 622 م، لم تكن المئذنة موجودة كعنصر معماري يتبع المسجد، وانما كان المسجد عبارة عن فراغ مربع يتسع لكثر عدد من المصلين به محراب يشير الى اتجاه القبلة، تتبعه بعض الفراغات والمرافق من اهمها الصحن والرواق واماكن الوضوء "الميضأة"، وقد تم الاكتفاء بوجود مكان مرتفع يرفع فيه المؤذن صوته للإعلام بدخول وقت الصلاة، وقد كان اول مؤذن في مسجد الرسول بالمدينة المنورة بلال بن رباح يصعد لسطح المسجد ويؤذن للصلاة، ولكن فيما بعد ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية من خلال الفتوحات الاسلامية والاختلاط مع لتكون احد العديد من الشعوب الاخرى وتعدد الدول والممالك وتنوع الثقافات، نشأت الحاجة إلى المئذنة العناصر المعمارية للمسجد، التي تعبر عن الهوية الثقافية المعمارية لكل عصر من عصور الحضارة الاسلامية [3]، [4].

وقد تنوعت المآذن من حيث الشكل والطابع المعماري من منطقة الى اخرى ومن دولة الى اخرى، واتخذت المآذن أشكالاً متعددة تبعا لفترات زمنية مختلفة واصبحت من اهم المعالم المعمارية التي لها دلالة واضحة على الهوية الثقافية والدينية والعقائدية لكل عصر من العصور الاسلامية المتعاقبة، ولكل مجتمع من المجتمعات التابعة للدولة الاسلامية التي ضمت تحت مظلتها العديد من الشعوب والمجتمعات والعرقيات التي تختلف عن بعضها في العادات والتقاليد والهوية، ومن ذلك كانت هناك العديد من انواع المآذن التي تختلف عن بعضها من عصر الى آخر كما هو موضح في الشكل رقم (1).

وقد كان اول ظهور للمآذن الاسلامية في عصر الدولة الأموية بالجامع الاموي في دمشق ببلاد الشام 96 هـ (715م)، فقد بدأت كأبراج حجرية منخفضة مربعة الشكل، وذلك على أنقاض المعهد الوثني بمدينة دمشق، الذي أقيم مكانه الجامع الأموي الكبير، وصممت على شكل أدوار مدرجة يتناقص ارتفاع كل دور عن الذي قبله، وانتقل هذا النوع إلى شمال إفريقيا والأندلس، ثم توالى خلال العصور المتعاقبة واتخذت اشكال وطرز وانماط متعددة ومختلفة، فظهرت المئذنة الملتوية في العهد العباسي، والمئذنة المضلعة وذات شكل المبخرة في العصر الفاطمي والأيوبي، كما كانت المآذن الأسطوانية في إيران والعراق وآسيا الوسطى، ثم كانت المآذن المملوكية ذات الشكل المربع والمزدوجة، ذات الرؤوس الثنائية والرباعية التي ظهرت في عدد من الجوامع الكبرى في العصر

المملوكي، وفي العصر العثماني انتشرت في مصر وآسيا الصغرى والبلدان الخاضعة للدولة العثمانية، مآذن أسطوانية الشكل أو كثيرة الأضلاع، عالية، رفيعة ونحيلة، تعلوها قمة مخروطية مدببة والتي تشبه في شكلها قلم الرصاص، ويمكن التعرف على اهم انواع المآذن خلال العصور الاسلامية المتعاقبة منذ ظهور الاسلام الى العصر العثماني على النحو الآتي:



شكل رقم (1): بعض نواع المآذن خلال العصر الاسلامي

أولاً/ المئذنة الاموية:



شكل رقم (2): مئذنة العروس بالجامع الاموي، دمشق

وهي اول مئذنة تم بنائها في العصر الاسلامي في عهد وذلك بالمسجد الاموي الكبير الذي يتميز الخلافة الاموية، بتفاصيله المعمارية البديعة والذي يقع في قلب مدينة دمشق القديمة عند نهاية سوق الحميدية، وكانت المئذنة القديمة تاخذ النمط المعماري الاموي ذات الشكل البرجي والمسقط الافقي لها مربع الشكل كما في شكل (2)، وقد كان في المسجد الاموي ثلاثة مآذن أعلاها مئذنة العروس، والتي تعتبر من أقدم المآذن في الإسلام، وتعرف كذلك ب"المئذنة البيضاء" و"مئذنة الكلاسة"، والتي كان لها دور روحي ديني، وكان الأذان يرفع من أعلاها عبر فرقة المؤذنين، من أجل وصول الأذان إلى أبعد مكان وإعلام جميع سكان المدينة بالصلاة، وكانت مئذنة العروس تضيء وتتألأ بالفوانيس المضيئة عند الغروب، وصارت نموذجاً للمآذن في أفريقيا والأندلس، ثم تطورت المآذن الثلاثة بالمسجد الاموي

واخذت طرز معمارية مختلفة في العصور الأيوبية والمملوكية والعثمانية [5].

وتعرف المئذنة الثانية الشرقية للمسجد الاموي ب"مئذنة عيسى" والتي تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية منه، وهي أكثر المآذن الثلاث ارتفاعاً، بطول 77 متراً، وتقف المئذنة على قاعدة مربعة، يرتكز عليها برج ثماني الأضلاع وتتخلله شرفتان، ويرجع بناء المئذنة إلى عهد الخليفة الأموي السادس الوليد بن عبد الملك، ويقال إنها تعرضت ذات مرة لحريق هائل، وكان يجاورها سوق الدهشة، وتعرضت للاختيار في القرن السابع الهجري فخرجت عن جوهرها.

وتقع المئذنة الثالثة في الجهة الجنوبية الغربية للمسجد، وقد بنيت في عهد السلطان المملوكي قايتباي عام 1488م، وتنقسم إلى 3 أجزاء، وهي مئذنة الشكل، وكانت أول مئذنة تبنى في دمشق على الطراز المعماري المصري [5].

ثانياً/ المئذنة العباسية:



شكل رقم (3): المئذنة الملتوية بمسجد سامراء - العراق

في العصر العباسي أصبحت المآذن مدورة وظهرت اشكال جديدة من المآذن مثل المئذنة الملوية في سامراء شكل رقم (3)، الموجودة بالمسجد الجامع الذي بناه الخليفة العباسي المتوكل على الله بن الخليفة المعتصم بالله، بين عامي 234 - 237هـ / 848 - 851م، وهي ذات شكل حلزوني من مادة الجص والطوب الفخاري، ويبلغ ارتفاعها الكلي حوالي 52 متراً، وترتكز على قاعدة مربعة ضلعها 33 متراً وارتفاعها 4.2 متراً، وتزينها حنايا ذات عقود مدبية عددها تسعة، ويعلوها مبنى اسطواني مكون من خمس طبقات تتناقص سعتها بالارتفاع للأعلى، ويحيط بها من الخارج سلم حلزوني بعرض متران يلتف حول جسم المئذنة وبعكس اتجاه عقارب الساعة ويبلغ عدد درجاته 399 درجة. وفي أعلى القمة طبقة يسميها أهل سامراء "بالجاون" وهذه الطبقة كان يرتقيها المؤذن ويرفع عندها الأذان [6].

وقد بنيت بعض المآذن الملتوية فيما بعد من طبقات عديدة كل طبقة منها تختلف في تصميمها عن الطبقات الأخرى وأشهر أمثلتها مئذنة مسجد ابن طولون في القاهرة التي تتألف من ثلاث طبقات أولها وهي القاعدة وكانت مربعة الشكل، والثانية أسطوانية الشكل، والثالثة ذات ثمانية أضلاع.

ثالثاً/ المئذنة الطولونية:

وهي التي تنسب الى عصر الدولة الطولونية في مصر (868 - 904 م) ومن اهم امثلتها مئذنة مسجد احمد بن طولون الذي انشائه اول امراء الدولة الطولونية أحمد بن طولون في مدينة القطائع في الفترة بين عامي (263 هـ - 265 هـ)، شكل رقم (4)، وقد تميزت مئذنة الجامع بمظهرها الفريد في العمارة الإسلامية بمصر، وقد اخذت طابع الفن السامرائي، وكانت المئذنة تتألف من قاعدة مربعة تقوم عليها ساق أسطوانية يلتف حولها من الخارج



شكل رقم (4): مئذنة جامع احمد بن طولون ذات الطابع السامرائي المتطور

المكتفي بالله" سنة 904م، وتم تسوية مدينة القطائع بالأرض ولم يبق منها مبنى قائم سوى مسجد احمد بن طولون [7، 8] رابعاً/ المئذنة الفاطمية:



شكل رقم (5): مئذنة مسجد الحاكم بامر الله الفاطمي- القاهرة، مصر

عرضه 90 سم، ويعلو الساق سلم دائري لولبي الأستوانية للمئذنة طابقان مثمانان بهما سلام وتوسطهما شرفة بارزة تحملها مقرنصات، وهذان الطابقان المثمانان من الطراز المعمارى الشائع في عصر المماليك فيما بعد، ولقد بنى هذا المسجد مهندس مسيحي يدعي سعيد بن كاتب الفرغاني، ويقال ان أحمد بن طولون قد قال له " أريد مسجد إذا احترقت مصر بقى وإذا غرقت بقى"، وقد كان ذلك بالفعل حيث انه عندما غرقت الدولة العباسية مصر في عهد الخليفة العباسي

تتكون المئذنة في العصر الفاطمي والايوبي من قاعدة هرمية وبدن أسطواني تتوجه قبة على شكل مبخرة، ومن اهم هذه المآذن مئذنة الجيوشي بالمقطم، التي ما زالت كما هي الى الآن، وهي تتكون من قاعدة مربعة يعلوها مثمان ينتهي بمبخرة، وقد تطور شكل المئذنة إلى ما أطلق عليه اسم "المبخرة" الذي شاع استخدامه في العصر الأيوبي حتى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، مثل مئذنة جامع الصالح (نجم الدين أيوب)، ومئذنة مسجد الحاكم بامر الله الفاطمي، شكل رقم (5)، والذي بناه الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله الفاطمي في نهاية شارع المعز لدين الله الفاطمي بحي الجمالية في القاهرة بالقرب من باب

الفتوح [3، 7، 9].

خامساً/ المئذنة المملوكية:



شكل رقم (6): المئذنة المملوكية، مدرسة قاني باي الرماح، القاهرة - مصر

تم في العهد المملوكي تطوير المئذنة الفاطمية المبخرة، فقد اتخذت المآذن العديد من الاشكال المعمارية التي يعبر كل منها على فلسفة فكرية معينة من فترة الى اخرى، وتميزت بأنها عالية وليس لها قاعدة مميزة، وتنتهي بقبة بصلية، وقد تم بناء الشرفات في المآذن، وقد استخدمت الشرفات والشرائط التزيينية لتقسيم المئذنة إلى

ثلاثة أجزاء، وهي عملية محاكاة لفقرات إصبع السبابة الذي يقوم الانسان المؤمن برفعه عند النطق بالشهادتين، والتي هي أساس الأذان للصلاة، وقد بنيت بعض المآذن على شرفات مثل جامع السلطان حسن، ثم تطورت أشكالها في مسجد السلطان بروق، ومسجد السلطان فلاوون، ومدرسة قاني باي الرماح، شكل رقم (6)، حيث تكونت المئذنة من طابقين وكانت مربعة الشكل أو مثمثة، ولعل اهم المآذن في العصر المملوكي هي المآذن المزدوجة، ذات الرؤوس الثنائية والتي مثلت تعبيراً عن الثنائية والثنائيات، كثنائية الشهادتين، والثنية والتكرار في جمل الأذان، والرباعية التي ظهرت في عدد من الجوامع الكبرى، كتعبير عن الإيمان والاعتراف بالمذاهب الأربعة وتدريسها [7، 10].



شكل رقم (7): مئذنة مسجد القيروان،

سادساً/ المئذنة المغاربية الاندلسية:

يرتفع عن بناء المسجد، ويطلق على المآذن في بلاد المغرب العربي والأندلس لفظ الصوامع، بسبب شكلها المربع الذي يشبه أبراج الصوامع، وقد بنيت اول مئذنة مغاربية مربعة الشكل في مسجد القيروان شكل رقم (7)، والتي تعتبر من أضخم المآذن الأثرية الإسلامية، والتي شيدت عام 221هـ، ويبلغ ارتفاعها)

31.50 متر)، وهي مئذنة ذات ثلاثة طوابق يتسم أداها المربع المسقط بالبساطة المقرونة بالقوة، والذي يقل كلما زاد الارتفاع الى اعلى، في حين يصغر ارتفاع الطابقين العلويين بالنسبة للطابق السفلي، كما يصغر حجم الطابق العلوي عن الطابق الثاني، ومن الناحية الهندسية كانت القاعدة المربعة للمئذنة تنتهي بشرفة تسمح بأن

يدور المؤذن. اخذت المئذنة المغربية والاندلسية اساس التكوين والطابع المعماري لها من المئذنة الأموية ذلت الشكل المربع الذي حول بدن المئذنة للدعوة للصلاة، وتعلو تلك الشرفة أخرى أقل قطرا تلتف حول جوسق علوي تغطيه قبة [3، 11].



شكل رقم (8): مئذنة جامع الكتبية بمدينة مراكش، المغرب، وتمثل الطراز المغربي

وتعتبر مئذنة جامع الكتبية التي تم بنائها في عهد دولة الموحدين من اهم نماذج المآذن الاندلسية المغربية كما في شكل (8)، حيث تعد من أروع المآذن الموحدية، وأجملها تخطيطاً وبناءً وزخرفة. فهي النموذج الذي اتخذته المآذن المغربية مثلاً لها وقد تم بنائها في عهد أبي يوسف يعقوب المنصور سنة (1198 م)، ولا تزال قائمة بجمالها الاخاذ وعمارتها الرائعة حتى يومنا هذا.

سابعاً/ المئذنة العثمانية:

تتميز المئذنة العثمانية بانها مآذن رشيقة وعالية، ذات مسقط دائري تنتهي من الاعلى برأس مخروطي مدبب مما يجعلها تشبه القلم الرصاص كما في شكل رقم (9)، وقد تحتوي المئذنة على شرفة واحدة أو أكثر، وغالبا ما ترتكز على أقبية ذات مقرنصات، ومن امثلتها مآذن مسجد السليمانية بإسطنبول، وجامع التكية السليمانية في دمشق، وهذا النوع المآذن هو الاكثر تواجدا في المساجد القديمة في ليبيا الى جانب المئذنة المغربية الاندلسية، ومن امثلة المآذن العثمانية في ليبيا مئذنة مسجد درغوت باشا الذي اسس في مدينة طرابلس القديمة في ليبيا سنة 969هـ، ومئذنة مسجد الجمعة بمنطقة الفواتير بمدينة زليتن في ليبيا التي اضيفت للمسجد القديم في اواسط القرن العشرين، ومئذنة مسجد زاوية احمد البازة في مدينة زليتن، ووقد بنيت على غرار الطراز العثماني مئذنة مسجد الباشا في مدينة الخمس في اوائل القرن العشرين والتي اخذت الشكل الثماني والراس المخروطي المدبب [3، 12].

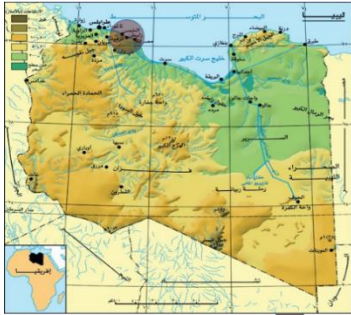


شكل رقم (9): مئذنة بمنطقة إيغر، مقاطعة هفش، المجر، وقد بنيت علم،

منطقة الدراسة (مدينتي زليتن والخمس، ليبيا):

تقع منطقة "زليتن، الخمس" في الجزء الشمالي الغربي من ليبيا على ساحل البحر الأبيض المتوسط شرق مدينة طرابلس العاصمة بمسافة 120 كلم، وتضم مدينتي زليتن والخمس وضواحيهما، شكل رقم (10)، ويحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب منطقة بني وليد و ترهونة، ومن الشرق منطقة مصراتة، ومن الغرب منطقة مسلاته والنقازة، وتمتد منطقة الدراسة بين دائرتي عرض 31.55- 32.42 شمالاً، وبين خطي طول 14.10 - 14.47 شرقاً.

وهي جزء من الدولة الليبية، ومن الشمال الأفريقي، ومن المغرب العربي، وتعتبر من قديم الزمان حلقة الوصل بين شرق العالم الإسلامي وغربه، وبين الشمال الذي يمثل جزء من حوض البحر المتوسط والجنوب الذي يتصل بدول ومدن وسط أفريقيا، ومن ذلك كانت هذه المنطقة نقطة التقاء الحضارات والثقافات القديمة، منذ أيام الفينيقيين والرومان مروراً بالعصور الإسلامية المتعاقبة منذ الفتح الإسلامي وإلى عصرنا الحالي.



منطقة الدراسة ...
مدينتي زليتن والخمس، ليبيا



شكل رقم (10): منطقة مدينتي زليتن والخمس - ليبيا
المصدر: الباحثون، 2024.

تطور انماط المآذن بمنطقة الدراسة:

منطقة الدراسة جزء من المغرب العربي الاوسط، وعرف عبر تاريخ الحضارات الاسلامية المتعاقبة بمغرب الدولة الاسلامية، وكانت حلقة الوصل بين شرق العالم الاسلامي وغربه، وقد تعاقبت عليها العديد من الدول منذ الفتح الاسلامي سنة 643 م الى نهاية الخلافة العثمانية 1911م، مروراً بالخلافة الاموية، والعباسية، ودولة الاغالبة، والخلافة الفاطمية، ودولة الموحدين، ودولة الحفصيين، والخلافة العثمانية، الى العصر الحديث، وقد ساهم ذلك كله على تطور وتنوع الاسلوب المعماري في عمارة وبناء المساجد وعناصرها المعمارية المختلفة [12].



شكل رقم (11): مسجد اوجلة العتيق، واحة اوجلة، ليبيا.

ومن ذلك نجد ان هناك عدة انواع للمآذن تختلف في اشكالها وفي نمطها المعماري الذي يعبر عن ثقافة واسلوب كل عصر من العصور الاسلامية المتعاقبة، حيث تميزت عمارة وبناء المساجد في عصر الاسلامي الاول بعدم وجود مفندة من ضمن عناصر المسجد وانما تم الاكتفاء ببيت الصلاة وبعض المرافق مثل الميضأة والحمامات وبعض الخلوات، ثم جاءت المفندة كإضافة للمسجد كرمز معماري يعبر عن اهمية

المسجد بين باقي المباني وكنقطة دالة ومنازة يهتدى بها، بالإضافة الى وظيفتها الرئيسية التي تتمثل في انها المكان الذي ينادى منها لاداء الصلاة والاعلان عن دخول وقتها، ومن ذلك يمكن تقسيم تطور المآذن في المنطقة الى الفترات الزمنية الآتية:

اولاً/ الفترة الزمنية الاولى:

وهي فترة العصر الاسلامي الذي يتبدى مع بداية الفتح الاسلامي لمنطقة شمال افريقيا والتي تعتبر ليبيا في اولها، وذلك على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه سنة 643 م، وقد تم بناء المساجد في بداية الامر بدون وجود مفندة، وانما كان يتم استخدام اي جزء مرتفع بجانب المسجد للمناداة للصلاة ورفع الأذان، وكان من اهم هذه المساجد واشهرها الجامع العتيق في اوجلة شكل رقم (11)، والذي بناه عبدالله بن ابي السرح حوالي (650 م)، [12].

ثانياً/ الفترة الزمنية الثانية:



شكل رقم (12): مئذنة جامع الناقة ... بنيت حديثا على الطراز المغربي

وهي فترة العصر الذي يبتدئ مع بداية قيام الخلافة الاموية سنة 662 م، وسيطرتها على منطقة شمال افريقيا ومنها ليبيا، الى احتلال ليبيا من قبل الخلافة العثمانية سنة 1551م، والتي تعاقبت خلاله على ليبيا ومنقحة شمال افريقيا العديد من الدول والخلافات الاسلامية المتعاقبة ومنها (العصر الاموي، والعباسي، وعصر الاغالبة، والحفصيين، والفاطميين، والموحدين) وقد تميزت عمارة وبناء المساجد في هذه الفترة بالبساطة وصغر المساحة واستعمال الاسقف الخشبية والاقبية البرميلية، وتم اضافة المئذنة الى المسجد لتؤدي وظيفتها لرفع الاذان من على شرفاتها العلوية وايضا لتكون منارات تزين سماء المدينة الاسلامية ونقاط دالة يهتدى بها المسافرين، واصبحت من اهم العناصر المعمارية للمسجد التي ترمز الى العلو والارتفاع والدلالات الروحانية في الديانة الاسلامية، وقد اتخذت الطابع المغربي ذو المسقط المربع والذي استوحته من المئذنة الاموية، وهو النمط والطراز المعماري السائد في بلاد المغرب العربي والأندلس، وقد عرفت المآذن باسم الصوامع، بسبب شكلها المربع الذي يشبه أبراج الصوامع، وقد بنيت المآذن المربعة قديما في منطقة طرابلس ومنها مئذنة جامع الناقة شكل رقم (12)، وفي مدينة

غدامس القديمة، ولكن بمنطقة الدراسة (زليتن - الخمس) كانت معظم المساجد التي بنيت في هذه الفترة لم تكن بها مآذن، وبالرغم من وجود العديد من المآذن المربعة بالمساجد الموجودة بالمنطقة الا انها بنيت حديثا في اواخر العصر العثماني او في عصر الاحتلال الايطالي وبعده، حيث شيدها اهالي المنطقة على النمط المغربي بدافع

الانتماء والهوية الثقافية المغاربية.

ثالثاً/ الفترة الزمنية الثالثة:

وتتمثل في العصر الذي يبتدئ مع بداية الاحتلال العثماني لليبيا وتبعتها للخلافة العثمانية سنة 1551 م، بحجة تحريرها من فرسان القديس يوحنا (فرسان مالطا)، الى الاحتلال الايطالي لليبيا سنة 1911م، وقد كان الحكم العثماني في ليبيا على فترات، وكانت في احد فتراته حكم لعائلة القرمانليين (1711 – 1835) وهو حكم مستقل عن الدولة العثمانية فصل بين العهد العثماني الاول والعثماني الثاني، وقد تميزت عمارة وبناء المساجد في عهد العثمانيين ايضا بالبساطة والقليل من الزخرفة، واستعمال الاعمدة والدعامات والعقود التي تحمل الاسقف المقببة ذات القباب الصغيرة، وفي بعضها كان بيت الصلاة بالمسجد يتم تسقيفه باستعمال قبة واحدة او اربع قباب واكثر، وقد تم بناء المئذنة العثمانية بجوار المسجد والتي تميزت بانها مئذنة رشيقة وعالية، ذات مسقط دائري تنتهي من الاعلى برأس مخروطي مدبب مما يجعلها تشبه القلم الرصاص، وقد تحتوي المئذنة على شرفة واحدة أو أكثر، وغالبا ما تركز على أقبية ذات مقرنصات، ومن امثلتها في ليبيا مئذنة مسجد درغوت باشا الذي اسس في مدينة طرابلس القديمة في ليبيا سنة 969هـ، وبمنطقة الدراسة مئذنة مسجد الجمعة بمنطقة الفواتير بمدينة زليتن في ليبيا التي



شكل رقم (14): مئذنة مسجد بمدينة الخمس، ويلاحظ عدم وضوح الطراز بهذه المئذنة المصدر: الباحثون، 2024.

اضيفت للمسجد القديم في اواسط القرن العشرين، ومئذنة مسجد زاوية احمد البازة في مدينة زليتن، ومئذنة قليصة بمدينة الخمس، ومئذنة مسجد الباشا في مدينة الخمس والتي اخذت الشكل الثماني والراس المخروطي المدبب كما في شكل (13).

رابعاً/ الفترة الزمنية الرابعة:



شكل رقم (15): مئذنة مسجد بمدينة زليتن، ويلاحظ التنويع وضياح الشكل والطرز بهذه المئذنة. المصدر: الباحثون، 2024.



وتتمثل في العصر الذي يبتدئ مع بداية الاحتلال الايطالي لليبيا سنة 1911م، الى الوقت الحالي، وقد كانت عمارة وبناء المساجد في هذه الفترة بأنها تتميز عناصره المعمارية على مساجد الاخرى، بالاضافة الى بعض المعتقدات الدينية المتشددة لبعض لجان وائمة ومشايخ المساجد التي ساهمت بشكل كبير في تحديد مواصفات وعناصر بناء المآذن والمنابر والمحاريب والاعمدة وغيرها من العناصر المكونة للمسجد وعدم مراعاة الطرز التقليدية التاريخية الجميلة التي تعبر عن الموروث الثقافي والحضاري للمجتمع، كل هذه الاسباب والمتناقضات ساهمت في انتاج اشكال معمارية مختلفة ومتعددة للمآذن تعتبر خليط غير متجانس للطرز التقليدية القديمة، شأنها شأن المسجد العناصر الاخرى من عناصر الاسلامي من نوافذ وابواب ومنابر ومحاريب واعمدة وتيجان وعقود واسقف وقباب واقبية وحليات وكرانيش ومقرنصات وزخارف، حيث الى مقاييس النسب المعمارية والانماط والطرز المميزة لكل عنصر، والذي نرى اشكال وانماط غريبة وشاذة تفتقد

يعبر عن رمزية العنصر وتاريخه وقيمه الحضارية ودلالاته الروحانية.

ومن ذلك فقدت عمارة المساجد بشكل عام والمآذن بشكل خاص هويتها المعمارية الاصلية وارتباطها التاريخي والثقافي وتأثيرها الروحي، فقد تم تنفيذ العديد من مآذن المساجد في منطقة الدراسة (زليتن ، الخمس) وفي العديد من مناطق ليبيا دون النظر في اختيار الشكل والنمط المعماري المناسب للمنطقة، فجاءت العديد من المآذن المشوهة كما في الاشكال (14، 15، 16)، حيث يلاحظ في بعضها عدم وضوح الطراز الذي يعبر عن الارث الحضاري التاريخي للمنطقة، وفي البعض الآخر عدم تناسب ارتفاعها مع مبنى المسجد، وقد فقدت العديد منها اهم وظائفها في كونها منارة يهتدى بها، ومعلم يزين سماء المدينة والحى السكني، ويضفي عليها الهيبة والجمال، ورمز يعكس القيمة الروحية والعقدية للسكان، ومعلم معماري يعبر على عظمة وارتفاع وسمو الديانة الاسلامية وما تحمله من صفاء ورقي وحضارة.

الاستنتاجات:

- المذنة هي عنصر معماري من عناصر مبنى المسجد اثبت اهميته من خلال وظيفته في المناداة لاقوات الصلاة، ونقطة دالة على مكان وجود المسجد، ومنارة يهتدى بها المسافرين، وعنصر معماريا يعبر عن الهوية الثقافية والحضارية للمجتمع، وعنصر جماليا يضفي الهيبة والجمال لسماء المدن والتجمعات الحضرية.
- تطورت المآذن عبر العصور الاسلامية المتعاقبة، وفي مختلف المناطق التي وصلتها الفتوحات الاسلامية، وفي جميع الدول الاسلامية في مختلف انحاء الارض، وعكست من خلال طرزها المعمارية المتعددة والمختلفة باختلاف البلدان والعصور ثقافة وهوية كل مجتمع اسلامي وكل عصر من العصور الاسلامية المتعاقبة.
- المذنة من اهم العناصر المعمارية التراثية والتاريخية التي تعبر عن اصالة وعراقة وثقافة المجتمعات الاسلامية عبر التاريخ، والتي يجب المحافظة عليها والاهتمام بها، وذلك بحفظ عناصرها التصميمية واشكالها وانماطها المعمارية الاصلية واعتبارها من اهم عناصر التنمية المستدامة.
- منطقة الدراسة والمتمثلة في مدينتي زليتن والخمس في ليبيا هي مكان التقاء العديد من الثقافات العربية والاسلامية عبر العصور باعتبارها نقطة الوصل بين الشرق والغرب، وجزء مهم من المغرب العربي الكبير، ومسرح للعديد من الاحداث التاريخية الاسلامية، ومكان لعدة حضارات ودول اسلامية ابتداء من الخلافة الاموية الى الخلافة العثمانية مروراً بالعصر العباسي، وعصر الاغلبة، والحفصيين، والفاطميين، والموحدين،

كما أنها من المناطق التي تآثرت بالحضارة الاندلسية، ومن ذلك فقد احتفظت بالعديد من الكنوز والقيم التاريخية الاثرية ذات القيمة العالية ومن بينها المباني الاثرية الاسلامية القديمة المتمثلة في المساجد والزوايا والكتاتيب والمآذن ذات الطرز الجميلة والانيقة والمتميزة.

- في زمننا الحالي ومنذ عقود مضت فقدت عمارة المساجد بشكل عام والمآذن بشكل خاص هويتها المعمارية الاصلية، وارتباطها التاريخي والثقافي بالموروث الاسلامي القديم، نظرا للعديد من الاسباب الاقتصادية والتنظيمية والادارية والتشدد العقدي، مما اثر سلبا على انتاج عمارة اسلامية ذات نمط معماري مشوه، ليعبر عن ثقافة المجتمع وتاريخه الحضاري وماضيه الاصيل، وهويته المعمارية والعمرانية المحلية.

التوصيات:

- المغذنة من اهم العناصر المعمارية بمبنى المسجد الاسلامي التي يجب تصميمها وفق قواعد واسس ومعايير تضمن سلامة الطراز المعماري التاريخي المناسب، وتنفيذها بشكل يجعلها تؤدي وظيفتها الدينية والمعمارية والجمالية المنوطة بها على اكمل وجه.
- تكوين جهة اختصاص مسؤولة ومسؤولة مباشرة وقوية على تصميم مباني المساجد الاسلامية ومآذنها وعناصرها المختلفة، والاشراف على تنفيذها وفق المعايير والاسس التصميمية التي تحفظ لها الشكل والطراز والهوية والنمط المعماري التاريخي الاصيل.
- النظر في تطوير وتعديل جميع المآذن المشوهة والتي تم تنفيذها وفقا للاهواء الشخصية وفي ظل انعدام المسؤولية المعمارية ودون مراعاة لاسط المعايير التاريخية والمعمارية والانشائية والجمالية لهذه المآذن.
- الاستمرار بعمل الدراسات والابحاث العلمية والاكاديمية حول دراسة المباني الاثرية والتاريخية وخاصة المساجد الاسلامية والمآذن، وتشجيع المهتمين بهذه الدراسات ووضعها من ضمن المناهج الدراسية في المراحل الاكاديمية المختلفة.

المراجع والمصادر:

- [1] الزركشي، محمد بن عبدالله. اعلام الساجد باحكام المساجد. تح: أبو الوفاء مصطفى المراغي، منشورات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د. ط). 2010، ص 26.
- [2] الدراجي، سعدي ابراهيم. زليتن دراسة في العمارة الاسلامية، جامعة بنغازي، بنغازي - ليبيا، الطبعة الاولى. 2012، ص 203.

- [3] عبّيد، اشرف، و مخلوف، ابتهاج. المآذن .. عرائس السماء، المآذن والابراج، (on-line)، موقع اسلام اون لاين. 2024، <https://islamonline.net/archive>
- [4] البلوشي، علي مسعود. تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرماني 1551 - 1911، نشأة ونمو وتطور انماط المساجد اللببية، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس - ليبيا. 2007، ص 127.
- [5] الصايغ، جمال. مآذن الجامع الأموي.. منارات روحية ونماذج معمارية فريدة، (on-line)، صحيفة البيان. 08 أكتوبر 2021. <https://www.albayan.ae/culture-art/heritage/2021-10-08-1.4265551>
- [6] فاروق. مئذنة الملوية في سامراء، (on-line)، موقع جامعة سامراء، العراق. 20 أبريل 2020. <https://uosamarra.edu.iq>
- [7] احمد، احمد عبدالرازق. العمارة الاسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي (21 - 923هـ) (641 - 1517 م). دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، الطبعة الاولى. 2009.
- [8] حمدي، منة الله. المآذن "عرائس السماء" تزين القاهرة الفاطمية.. اعرف قصة تطورها، (on-line)، صحيفة اليوم السابع. 7 مايو 2021. <https://www.youm7.com/story/2021/5/7>
- [9] ابواليزيد اشرف. تاريخ وعمارة الجامع الأزهر الشريف، (on-line)، مجلة العربي، العدد 679، <https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/19577>
- [10] السيد، احمد. مئذنة ومسجد قاني باي الرماح بالقلعة. تألف الفن المعماري مع الزخرفة الاسلامية، on-line)، 17 أكتوبر 2006. <https://www.aletihad.ae/article/76089/2006/->
- [11] قاسم، روعة. جامع عقبة بن نافع في القيروان التونسية صرح علمي نشر الإسلام في أفريقيا والأندلس، on-line)، صحيفة القدس العربي، (on-line). 3- فبراير - 2024. <https://www.alquds.co.uk>
- [12] البلوشي، علي مسعود، وآخرون. موسوعة الآثار الاسلامية في ليبيا، الجزء الثاني، مصلحة الآثار، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس - ليبيا، البعة الاولى. 1989.
- [13] البلوشي، علي مسعود، نظرة على العمارة الدينية وتطورها في ليبيا، في مجموعة من الاساتذة والباحثين (مؤلفين) معالم الحضارة الاسلامية في ليبيا، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م، القاهرة، مصر. 2008، ص 237 - 285.

المفردات والسمات المعمارية المحلية

لزواية الصوادق

*د. فوزي محمد عقيل¹ , د. عمر علي الأمين² , أ. ربيعة الطيب يدر³

^{2,1}استاذ مساعد بقسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني، كلية الهندسة جامعة المرقب، الخمس، ليبيا

³محاضر بقسم العمارة- المعهد العالي للعلوم والتقنية، غدامس، ليبيا

fawzi6664@gmail.com*

الملخص:

يتناول البحث نتائج عمليات الرفع المساحي لرسم خريطة معمارية لمبنى زاوية الصوادق بمنطقة وادي كعام الخمس والتعرف على المفردات والعناصر المعمارية وسماتها المحلية باعتبارها من المعالم المعمارية التاريخية القديمة والتي لم تحظى بأي اهتمام سابق لتوثيقها والتعرض لتاريخها وتناول عناصرها المعمارية المختلفة التي ستدعم حتما الهوية الثقافية والتراث المعماري الديني للمنطقة، ودور هذه الزاوية في تعليم القرآن ووصول الدين منذ فترات قديمة، مما جعلها منارة من منارات تدريس علوم الدين وتحفيظ القرآن الكريم. وتتمثل أهمية البحث في التركيز على المباني التراثية ذات القيمة التاريخية وازهارها بتوثيقها وتناول تاريخها وعناصرها المعمارية التي احتفظت بأصالتها وملاحمها التاريخية ومواد بنائها، ويهدف البحث الى التوثيق التاريخي والمعماري لهذه الزاوية ومؤسسها الشيخ علي بن عبد الصادق العبادي الجبالي الطرابلسي المتوفي سنة (1138هـ)، وقد اتبع المنهج التاريخي والتحليلي الوصفي في الدراسة ودراسة العناصر والمفردات المعمارية المكونة لها، ونط وطرز بناءها، وذلك برفع مبنى الزاوية مساحيا واعداد رسم معماري دقيق لها مع المسح الميداني والتصوير الفوتوغرافي وجمع المعلومات من المصادر والوثائق التي تناولت تاريخ الزاوية رغم ندرتها، وخلص البحث الى التوصيات التي من شأنها الحفاظ على هذا مثل هذا المعلم الذي يسهم في إثراء التراث المعماري و الهوية العمرانية والثقافية للمنطقة والمجتمع ككل .

كلمات مفتاحية: زاوية الصوادق، وادي كعام، العناصر المعمارية، الهوية الثقافية، التراث المعماري.

مقدمة

لقد شكّل طلب العلم ركيزةً أساسيةً في الدعوة الإسلامية منذ نزول الوحي على نبي هذه الأمة. فكان أول أمر من السماء على النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو الإتجاه نحو التعلم والقراءة، والأخذ بأسبابها وأدواتها. كما جاء في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ

بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿﴾. وهذا ما جعل طلب العلم فريضةً على كل مسلم ومسلمة.

وفي ظل هذا التوجيه الإلهي، اجتهد المسلمون في نشر المعرفة والتعليم في جميع أرجاء المعمورة، حيث أنشأوا المراكز العلمية والتربوية في مختلف المدن والأقاليم. وكان من أبرز هذه المراكز المساجد والرباطات والزوايا التي انتشرت في الصحاري والواحات والجبال والسواحل. وقد تنوعت أنشطة هذه المؤسسات التعليمية لتشمل تحفيظ القرآن الكريم وتدرّيس علومه المختلفة، إلى جانب تدرّيس العلوم الشرعية والعقلية.

القرآن الكريم نُزِلَ على النبي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مدى ثلاث وعشرين سنة. وقد حفظه النبي وأوصى أصحابه بحفظه والاهتمام به. وكان المسجد النبوي مركزاً علمياً تربوياً متميزاً لتحفيظ القرآن وتفسير معانيه. وفي اقتداء بالنبي مُحَمَّدٍ، سعى المسلمون لنشر العلم والمعرفة بافتتاح مراكز علمية في المساجد والزوايا في جميع الأنحاء. وكان نشاطهم الأساسي تعليم القرآن الكريم وعلومه المختلفة، حيث حفظوه وأتقنوا علومه وكتبوه في مصاحف مخطوطة.

فالمساجد هي بيوت الله التي تُقام فيها الشعائر الدينية، وتعظيم شعائر الله هو أمر مهم في الإسلام، كما جاء في قوله تعالى: "ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب".

والرسول (ص) سعى لتوحيد القبائل بإنشاء مكان للمسلمين يعتبر ملتقى الجميع، حيث يباشرون العبادة والمعاملات والاحتفالات. فأنشأ المسجد وأسماه "بيت الله"، وكان المسلمون يلتقون فيه للعبادة والتعلم والقضاء والبيع والشراء والاحتفالات. وبذلك أصبح المسجد عاملاً كبيراً في توحيد المسلمين.

كان الرسول (ص) أول من اتخذ المساجد مكاناً للدعوة والتعليم، حيث كانت تقوم على تعليم أمور الدين والعلوم والحكمة والقرآن والتفسير والحديث. وتوسعت الدراسة فيها لتشمل علوم الكلام والفقه والفلسفة والنحو والأدب والتاريخ والحساب والفلك والطب والعلوم الطبيعية. وكان التدريس في المسجد يقوم به أحد الشيوخ أو العلماء. في المغرب الأوسط، كانت فكرة عمارة المساجد ضرورية لنشر الدين الإسلامي وتعليم مبادئه. فمنذ عهد الفتوحات، كانت المساجد تبنى وتلعب دورها الديني والتعليمي.

ومن هذا المنطلق، تسعى هذه الورقة البحثية إلى إبراز دور الزوايا العلمية في ليبيا وأثرها على المجتمع عبر التاريخ. وتتناول هذه الورقة نموذج لأحد الزوايا العلمية في ليبيا وهي زاوية الصواقد وذلك ضمن المؤتمر العلمي المقام بمدينة غدامس.

المساجد لها مكانة كبيرة في الإسلام وانتشرت على نطاق واسع في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وكما أوضح ابن خلدون، المساجد تُعمَّر وتُنوَّر وتُقام وتُفَرَّش وتُرمم، وتُقام فيها الشعائر الدينية كالأذان والجماعة والتلاوة

والاعتكاف. ويجتهد الناس في المساعدة على صيانة المساجد ورعايتها من خلال الوقف والتمويل، بحيث لا يُترك مسجد دون عناية وتشغيل.

لهذا لم تحظ زاوية الصوادق باهتمام كاف على الرغم من أهميتها. وتركز الورقة على تسليط الضوء على تاريخ هذه الزاوية، ومهامها ومكوناتها الرئيسية. فالورقة تسعى إلى إبراز دور الزاوية في تحفيظ القرآن الكريم والمحافظة عليه، مع التعريف بأحد العلماء البارزين الذين كرسوا جهودهم لهذه الغاية. كما تسعى إلى توثيق نشأة الزاوية وتطورها عبر التاريخ، وإبراز الدور الرائد الذي لعبته في نشر المعارف والعلوم في المناطق المحيطة بها. وتسليط الضوء أيضاً على الوظائف التربوية والاجتماعية التي حققتها الزاوية.

في الختام، تلخص الورقة أهم النتائج والتوصيات المستفادة من خلال الدراسة التي قدمت صورة شاملة عن هذه الزاوية البارزة وإسهاماتها المتنوعة.

أهمية الدراسة

بناءً على المعلومات المقدمة، تبرز أهمية هذه الورقة البحثية في النقاط التالية:

1. توثيق إحدى الزوايا المهمة في البلاد والتي لم تحظ باهتمام كاف: حيث تسعى الورقة إلى سد هذه الفجوة المعرفية من خلال التركيز على هذه الزاوية البارزة.
 2. إبراز دور الزاوية في تحفيظ القرآن الكريم والمحافظة عليه: وهذا الدور المحوري للزاوية يستحق التسليط عليه والتوثيق المفصل.
 3. التعريف بأحد العلماء البارزين المرتبطين بالزاوية: من خلال إبراز إسهامات هؤلاء العلماء ودورهم في تعزيز رسالة الزاوية.
 4. توثيق نشأة الزاوية وتطورها التاريخي: مما يساهم في إثراء السجل التاريخي لهذه المؤسسة وتطوراتها عبر الزمن.
 5. إبراز الدور الرائد للزاوية في نشر المعارف والعلوم: وهذا الدور التنويري للزاوية يستحق الاهتمام والتوثيق.
 6. تسليط الضوء على الوظائف التربوية والاجتماعية للزاوية: وهذا جانب مهم لإبراز أبعاد الدور الذي تضطلع به هذه المؤسسة.
- بهذا تكتسب هذه الورقة البحثية أهمية بارزة في إثراء المعرفة حول هذه الزاوية البارزة وتسليط الضوء على مختلف جوانب دورها وإسهاماتها.

أهداف الدراسة

بناءً على المعلومات المقدمة، يمكن تحديد أهداف هذه الدراسة البحثية كالتالي:

توثيق تاريخ وتطور إحدى الزوايا المهمة في البلاد: حيث تهدف الدراسة إلى رصد نشأة هذه الزاوية وتتبع مراحل تطورها عبر الزمن.

إبراز دور الزاوية في تحفيظ القرآن الكريم والمحافظة عليه: وذلك من خلال التعريف بأنشطتها ومبادراتها في هذا الجانب.

التعريف بأحد العلماء البارزين المرتبطين بالزاوية: من خلال إبراز إسهامات هؤلاء العلماء ودورهم في تعزيز رسالة الزاوية.

توثيق الدور الرائد للزاوية في نشر المعارف والعلوم: وذلك بتسليط الضوء على مساهماتها في هذا المجال.

إبراز الوظائف التربوية والاجتماعية التي حققتها الزاوية: من خلال رصد تلك الأنشطة والخدمات التي قدمتها الزاوية لمجتمعها.

استخلاص أهم النتائج والتوصيات المستفادة من الدراسة: بهدف تقديم رؤية شاملة حول هذه الزاوية البارزة وإسهاماتها.

بهدف الأهداف، تسعى هذه الدراسة البحثية إلى تقديم صورة متكاملة عن هذه الزاوية المهمة من مختلف جوانبها التاريخية والتربوية والاجتماعية.

منهجية الدراسة

تم اتباع المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة لوصف وتحليل الزاوية المختارة، وقد تضمن ذلك الخطوات التالية:

1. الزيارات الميدانية للزاوية: قام الباحثون بعدة زيارات ميدانية للزاوية المختارة لملاحظة وفحص المبنى عن كثب. خلال هذه الزيارات، تم تسجيل الملاحظات التفصيلية حول الخصائص المعمارية للزاوية، بما في ذلك التخطيط والتكوين والمواد المستخدمة والزخارف والميزات الفنية.
2. المسح المعماري والرفع: تم إجراء مسح معماري شامل للزاوية باستخدام أدوات القياس والتصوير. وقد نتج عن ذلك إنتاج مسقط أفقي دقيق للمبنى، يظهر تفاصيل التخطيط الداخلي وأبعاد الغرف والمرافق المختلفة.

3. البحث في السجلات والوثائق: تم البحث في السجلات والوثائق التاريخية ذات الصلة للحصول على معلومات عن صاحب الزاوية وتاريخه و تاريخ بناء الزاوية وتطورها عبر الزمن، بالإضافة إلى أي وثائق أو مخططات أصلية للمبنى.

4. التحليل والتفسير: بعد جمع البيانات من الزيارات الميدانية والمسح المعماري والبحث في الوثائق، قام الباحثون بتحليل هذه المعلومات بشكل متعمق. تم استكشاف الخصائص المعمارية والفنية للزاوية، وربطها بالسياق التاريخي والثقافي للمنطقة. كما تم تفسير أهمية هذا المبنى الأثري وقيمه التراثية.

5. إعداد التقرير: اعتماداً على نتائج التحليل والتفسير، تم إعداد تقرير شامل يتضمن الوصف التفصيلي للزاوية، بالإضافة إلى المسقط الأفقي المعماري المنتج من المسح الميداني.

بهذا الأسلوب الوصفي التحليلي، هدفت هذه الدراسة إلى توثيق وفهم الخصائص المعمارية والتاريخية للزاوية المختارة، والإسهام في الحفاظ على هذا المورد التراثي الهام.

فن العمارة الإسلامية

فن العمارة الإسلامية كان له شخصية مميزة على مر العصور الإسلامية، على الرغم من تعدد مصادره. في البداية، لم يهتم العرب المسلمون كثيراً بفن العمارة، حيث كان انشغالهم الرئيسي هو نشر الإسلام. ولذلك، فإن الأبنية التي بناها العرب في السنوات الأولى من الفتوحات كانت تقتصر بشكل أساسي على الجوامع والمنازل السكنية. وفي القرون التالية، أصبحت المنشآت العامة في فن العمارة مقصورة بشكل رئيسي على المساجد والمباني الدينية الأخرى مثل المدارس والتكايا. وكان المسجد هو أهم ما تظهر فيه العمارة العربية، والذي كان يختلف إلى حد ما من منطقة لأخرى، لكنه ظل محتفظاً بسماته الرئيسية. وساعد الحج السنوي إلى مكة المكرمة من جميع أنحاء العالم الإسلامي على وجود نظام تقليدي لبناء المساجد، حيث كان الحجاج يلاحظون تصميم المساجد في كل مدينة يعمرون بها. وفي هذا السياق، يعتبر المسجد الذي بناه النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة سنة 622 م النموذج الأول الذي اقتدت به المساجد الأخرى في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

الإمام العلامة علي بن عبد الصادق

الإمام علي بن عبد الصادق العبّادي الجبالي الطرابلسي كان من علماء ليبيا البارزين في القرن الثاني عشر الهجري. وُلد في منطقة ساحل الأحامد بطرابلس الغرب، وتلقى العلم عن علمائها ثم رحل إلى تونس واستفاد من مشايخها هناك.

أعماله هو "إرشاد المريدين لفهم معاني المرشد المعين على الضروري من علوم من واحد كتاب سوى يُطبع لم الدين".

- هو العالم أبو الحسن علي بن عبد الصادق بن أحمد بن عبد الصادق بن محمد بن عبد الله العبادي الجبالي الطرابلسي، المالكي، الأشعري، الشاذلي(1) .
- وُلِدَ فِي مَنْطِقَةِ سَاحِلِ الْأَحَامِدِ (كَعَام) فِي طَرَابِلُسِ الْغَرْبِيَّةِ، وَدَرَسَ عَنِ عُلَمَاءِ تِلْكَ الْمَنْطِقَةِ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى تُونِسَ وَاسْتَفَادَ مِنْ عُلَمَاءِهَا، وَيُقَالُ إِنَّهُ عَاشَ فِي تَلْمَسَانَ. (2)
- صَدِيقُهُ الْعَلَامَةُ الْمُؤَرِّخُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَثْمَانَ التَّاجُورِيِّ قَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ فِي عَامِ 1139 هـ بِقَصِيدَةٍ تَقُولُ: (3)

جَزَاكَ فِي الدَّارَيْنِ رَبُّ خَالِيُ *** مِنْ كُلِّ خَيْرٍ يَا ابْنَ عَبْدِ الصَّادِقِ
فَلَقَدْ أَجَدْتَ الْقَوْلَ فِيمَا رُئِمَتْهُ *** مِنْ شَرِّ مُرْشِدِنَا الْعَظِيمِ الْفَائِقِ
- ثم قال:
- إِنْ كُنْتُ فِيْمَنْ قَدْ تَأَخَّرَ مَهْدُهُ *** فَلَأَنْتَ فِي بَحْرِ الْعُلُومِ الْفَائِقُ
لَا زِلْتَ مِقْدَامًا لِكُلِّ فَضِيلَةٍ *** لَا يَلْحَقَنَّكَ فِي الْمَكَارِمِ لَأَحَقُّ
- وصفه المؤرخ ابن غلبون بأنه كان فقيهاً صالحاً ودينياً، وكان يكره الابتداع في الدين. وله العديد من الكتب في علم الكلام والفقه وكلام القوم. (4)
- وأشار المؤرخ مخلوف في شجرة النور الزكية إلى أنه كان فقيهاً مشهوراً ومحققاً ومتفناً ومدققاً ومتصوفاً وشيخاً فاضلاً. (5)
- قال المؤرخ النائب في المنهل العذب إن العارف بالله تعالى العلامة الفقيه المالكي الفهامة، صاحب التصانيف العديدة والفوائد الجزيلة، لا يشق غباره ولا تجهل آثاره، حيث صنف كتباً كثيرة مفيدة (6) .
- وأشار الشيخ الطاهر الزاوي إلى أنه عالم فاضل ومؤلف فقيه. (7)
- بنى الزاوية في ساحل الأحامد(قرية كعام) شرق مدينة الخمس، حوالي سنة 1113 هـ . ولا زالت تعرف باسم زاوية الصوادق حتى الآن. (8)
- وتوفي في ربيع الأول سنة 1138 هـ بمنطقة ساحل الأحامد(قرية كعام) ودُفِنَ بِجُورِ زَاوِيَتِهِ. (9)
- ولهذا العالم اللببي أكثر من عشرين مؤلفاً في مجالات متنوعة مثل الفقه، والتزكية، والفلك، والسير، والطب، بالإضافة إلى الكتب التي تناولت مواضيع العقيدة.
- وتشويهها، مدرستهم تاريخ ضياع إلى أدى الكافي، مما بالاهتمام يحظوا لم المالكية ليبيا علماء أن المؤسف ومن أفكارهم. لنشر الحقائق وتزييف

:والمراجع المصادر

299. صفحة 4، المجلد والأعلام، 271 صفحة التذكار، انظر (1)
13. صفحة الدين، علوم من الضروري على المعين المرشد معاني لفهم المريدين إرشاد مقدمة: انظر (2)
127. صفحة النسرين، نفحات: انظر (3)
277. صفحة التذكار، انظر (4)
351. صفحة المالكية، طبقات في الزكية النور شجرة: انظر (5)
287. صفحة الغرب، طرابلس تاريخ في العذب المنهل: انظر (6)
264. صفحة ليبيا، أعلام: انظر (7)
52. اللوحة الطريقة أصول وشرح، 82، صفحة 1، المجلد الناصرية، الرحلة: انظر (8)
266. صفحة ليبيا، وأعلام، 277، صفحة التذكار، انظر (9)

زاوية الصوادق

جامع وزاوية الصوادق: يقع هذا المسجد في ضواحي مدينة الخمس، في منطقة سوق الخميس على شارع سيدي عون. يُعتبر من أقدم الجوامع في المنطقة، ويُنسب إلى الشيخ علي بن عبد الصادق العبادي الجبالي الذي توفي في عام 1138هـ/1725م. (حسن، 2001)

كان الشيخ مشهوراً في المنطقة بتحفيظ القرآن الكريم وتدريس الفقه المالكي وإصدار الفتاوى. يُعتقد أن المسجد تأسس في نهاية القرن الثامن عشر أو بداية القرن التاسع عشر، وتم تسجيل اسمه ضمن المساجد في منطقة الخمس خلال العصر العثماني.

تعرض المسجد للعديد من الترميمات والإضافات في مختلف الفترات، حيث تم ترميمه في عام 1938م و1988م، وآخرها كان في عام 1995م بسبب فيضان تعرض له المسجد أثر على حالته، حيث تسبب في طمي جدرانها من الخارج وتسربت مياه الأمطار مما أدى إلى تلف وانحيار بعض أجزاء الجدران. (عمر، 2013) يتكون المسجد شكل (11) من بيت الصلاة والمحراب والمنبر وحصن مكشوف، ويحتوي على مئذنة السلم في الزاوية الشمالية الشرقية لإذاعة الأذان. تم بناء المسجد بطريقة "ضرب الباب" التقليدية. (المصراي، 1955)

زاوية الصوادق - ساحل الاحامد (الخمس)

زاوية الصوادق في (منطقة كعام) الخمس، تم تأسيسها من قبل الفقيه الشيخ ابن عبد الصادق الطرابلسي الذي

توفي في عام 1138 للهجرة (1725 ميلادي). ووصفه مؤلف كتاب "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" بأنه أبو الحسن علي بن عبد الصادق الطرابلسي الحامدي، الفقيه الإمام، العالم، المؤلف المحقق، المتفنن المدقق، والمتصوف الفاضل. تلقى علمه من عدة علماء بارزين وقام بتأليف العديد من الكتب في مجالات مختلفة مثل الفقه والعقائد والطب والفلك.

ووفقاً لابن غلبون، تم بناء الزاوية أثناء حياة ابن عبد الصادق، وتم إعادة بناؤها وإصلاحها في عهد أحمد باشا القرماني وفي حياته أيضاً. ورغم ذلك، فإنها مهجورة اليوم. وقد وجد الأستاذ عمار جحيدر حوالي خمسة عشر كتاباً للشيخ ابن عبد الصادق في مجالات مختلفة من العلوم، ومعظمها مخطوطة.

توفي العالم العلامة علي بن عبد الصادق بن أحمد العيادي، المعروف أيضاً بأبي الحسن، في ساحل الأحامد في عام 1138هـ (1725م). وهو من أسرة العيادية (الأحامد)، وقد ترك العديد من الكتب منها "منظومة في عيوب النفس" و"شرحها"، و"أسباب الغنى" في علم الثروة، و"تحفة الإخوان" في الرد على أصحاب البدع، و"إرشاد المريدين لفهم معاني المرشد المعين - خ" في خزانة الرباط (863 د) في فقه المالكية، بالإضافة إلى كتب أخرى.

المصدر: الاعلام (قاموس تراجم)، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت -
history of Libya المخطوطة لكتابه "نور البصر في نتائج الفكر" من فريق مجلة وصفحة -

عناصر المسجد المعمارية

المحراب: وهو الحنية الموجودة في المسجد لتحديد اتجاه القبلة، حيث يقف الإمام أمامه ليؤم المصلين.
المئذنة: وهي البناء المرتفع الذي ينادى منه للصلاة. تطورت أشكالها وأساليب بنائها عبر التاريخ.
المنبر: وهو المنصة المرتفعة التي يخطب منها الإمام.
المقصورة: وهي منطقة محاطة بسياج، تضم المحراب والمنطقة المجاورة له، وكانت مخصصة لجلوس السلطان أثناء الصلاة.

العقود والأعمدة: وهي الهيكل البنائي الذي يرتكز عليه المسجد.
القبّة: وهي العنصر المعماري البارز في المساجد والمباني الإسلامية.
السدة: وهي منصة يقف عليها قراء القرآن في المسجد.

مكونات زاوية الصوائد المعمارية:

بيت الصلاة: هذا الجزء الرئيسي للمبنى، ويتميز ببناء مساحته مغطى بتسعة قباب الشكل رقم (1) مدعومة بأربعة أعمدة في الوسط وعقود نصف دائرية كما موضح بالشكل رقم (2). يعد بيت الصلاة المساحة الرئيسية للعبادة في هذا التصميم المعماري، ويحتوي على محراب ومنبر من الحجر كما في الشكل رقم (3). وهناك ثلاث شبابيك احدهما وراء المنبر والاثنان الاخران في الضلع الشمالي الشرقي، يبدو ان احدهما تم فتحها حديثا،

موضح بالشكل (4).

الشكل رقم (1) يوضح القباب التسعة



الشكل رقم (2) يوضح الاعمدة والعقود النصف دائرية



الشكل رقم (4) يوضح فتحة النافذة الحديثة



الشكل رقم (3) يوضح المحراب ومنبر الحجر

الصحن المكشوف: يقع هذا الفناء المفتوح في اتجاه مغاير لاتجاه القبلة، أي يقع في الاتجاه الشمالي الشرقي. ويتصل ببيت الصلاة من خلال باب رئيسي على ضلعه الجنوبي الشرقي كما موضح بالشكل (5), أما ضلعه الشمالي الغربي فيوجد به حجرات ربما استعملت كخلوة , كما يحوي بوسطه على بئرمياه وعمود غير مكتمل كما بالشكل(6), كما أن هناك درج يأخذ للسطح كان يستعمل للآذان، الشكل (7)



الشكل رقم (5) يوضح الصحن المكشوف بالاتجاه



الشكل رقم (6) يوضح الخلوة وبئر المياه والعمود الشمال الغربي



الشكل رقم (7) يوضح درج يؤدي للسطح يستعمل للأذان

المدخل الرئيسي: يقع المدخل الرئيسي للمبنى في الضلع الشمالي الشرقي ويتجه ناحية القبلة، وهو عبارة عن عقد نصف دائري مدبب. يؤدي هذا المدخل إلى الرواق المغطى. الشكل(8)



الشكل رقم (8) يوضح المدخل الرئيسي المتجه ناحية القبلة

الرواق المغطى: هذا الممر المسقوف يلي المدخل مباشرة , و يحتوي على الميضأة تحته، الشكل (9) وعلى الضلع الشمالي الشرقي. أما من الناحية الجنوبية الغربية، فإنه يطل على الصحن المكشوف من خلال مجموعة من العقود النصف دائرية المرتكزة على أعمدة حجرية ذات قواعد مستديرة عريضة. الشكل (10)



الشكل رقم (10) يوضح الرواق المغطى
المطل على الصحن المكشوف

الشكل رقم (9) يوضح الميضأة
تحت الرواق المغطى

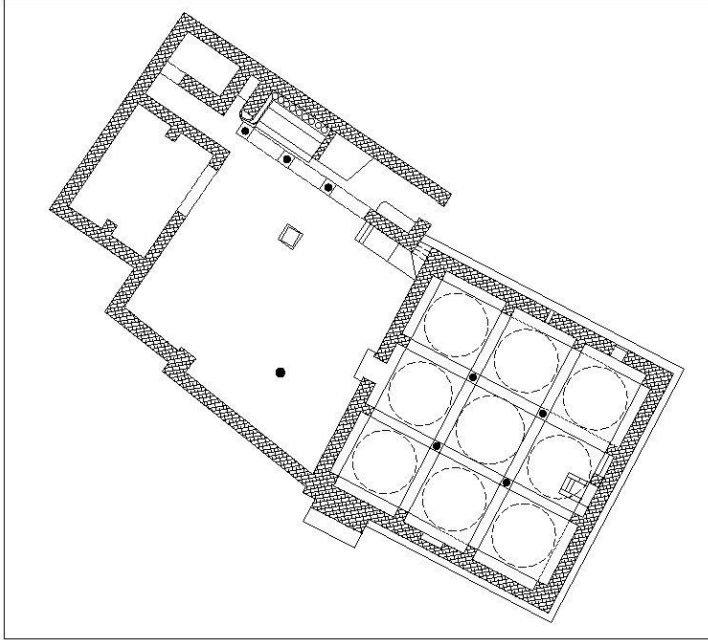
الجدران: في الجهة الجنوبية الغربية من المبنى، تم دعم الجدران بمصاطب مرتفعة لتدعيم جدران بيت الصلاة والصحن الملاصق له. الشكل (11)



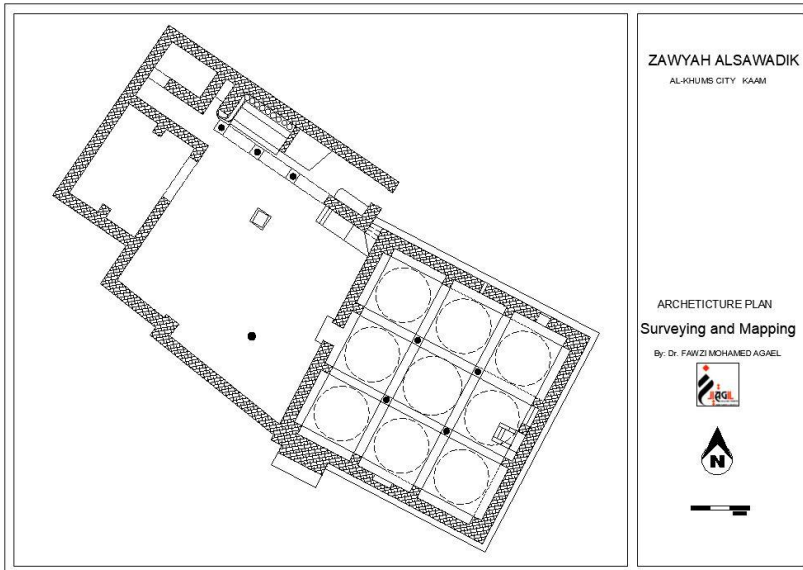
الشكل رقم (11) يوضح الجدران حول بيت الصلاة مدعومة بمصاطب

بهذا، نجد أن زاوية الصوادم المعمارية تتميز بتنظيم فراغاتها وعناصرها المختلفة بطريقة متناسقة، مع التركيز على بيت الصلاة كالفراغ المركزي والرئيسي للمبنى، والصحن المكشوف والرواق المغطى كعناصر مكملته له.

كما يبرز التصميم أيضاً في العناصر الإنشائية كالأعمدة والعقود النصف دائرية والقباب. الشكل (12) يوضح المسقط الأفقي للزاوية .



الشكل رقم (12) يوضح المسقط الأفقي للزاوية الصوادق



الشكل رقم (12) يوضح المسقط الأفقي للزاوية الصوادق

الخاتمة

إن الموروث الثقافي المادي المتمثل في المواقع والمباني الأثرية يعد من أبرز المصادر الموثوقة لمعرفة مسيرة الحضارات التي مرت على منطقة معينة. هذه الشواهد المعمارية تمكننا من إدراك مدى عراقة وأصالة المنطقة، حيث أنها تعكس وتبرز عناصر الفن والجمال والتميز. إن الحفاظ على هذا الموروث الثقافي المادي له أهمية كبيرة في تعزيز قيمة الهوية الوطنية والثقافية وحضارة المجتمع. كما أنه يربط الأجيال الحاضرة بعراقه ماضيها وإرثها المعماري. في ضوء ما تقدم في هذه الدراسة، وبناء على المعطيات المستمدة من الزيارات الميدانية للنماذج المختارة، تبلورت النتائج والتوصيات التالية:

النتائج والتوصيات

1. منطقة كعام الخمس تزخر بتراث معماري غني ومتنوع، يعكس أشكال متعددة من الحضارات التي مرت على هذه المنطقة.
2. تُعتبر منطقة كعام الخمس من أهم المناطق اليبية من حيث الموقع وتنوع الآثار التي تحتويها.
3. للمعالم الأثرية في منطقة كعام الخمس أهمية كبيرة ودور مهم في التنمية المستدامة للمنطقة.
4. تشكل منطقة الخمس أحد أهم المقاصد السياحية في ليبيا، سواء بالنسبة للسياحة الداخلية أو الخارجية، وذلك بفضل ثراء تراثها الأثري والمعماري.
5. إن هذه العناصر تؤكد على الأهمية البالغة للتراث المادي في منطقة كعام الخمس، وتبرز الحاجة إلى الحفاظ عليه والاستثمار فيه لتعزيز التنمية والسياحة في هذه المنطقة.

المراجع :

- حسن، الفقيه حسن. (2001). اليوميات اليبية. حلب: مطبعة المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية
- اكتيبي، ح. م. ز. (2005-2006). المنشآت الإقتصادية الزراعية والتجارية في مدينة لبداء الكبرى (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة المرقب، الخمس.
- روبرت ماكنوتش و طالب هادي طالب و الهام خضير شبر و غنية ضياء مشفي(2012م) بانوراما الحياة السياحية،(القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة).
- فيليب كنريك (2015م)، دليل المواقع الأثرية في ليبيا إقليم المدن الثالث، (تونس: جمعية الدراسات اليبية).
- والمباني التاريخية واللائحة التنفيذية،(طرابلس: منشورات جهاز إدارة المدن التاريخية).الحماية والارتقاء،(القاهرة:

كلية الآثار).

- مصطفى علي المصراتي (1955)، أعلام من طرابلس، (طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع).
- زيارة ميدانية للزاوية بتاريخ 2024م.

استعمال المواد المحلية والطبيعية لبناء مباني مستدامه خاصة المساجد في ليبيا

م. سفيان محمد مادي

الأكاديمية الليبية للدراسات العليا

مدرسة العلوم الهندسية والتطبيقية - قسم الهندسة المدنية والمعمارية - شعبة العمارة

sofyanmadi1983@gmail.com

ملخص

يحتل استخدام المواد المحلية في بناء المساجد المستدامة بالاهتمام كاستراتيجية لتقليل التأثير البيئي وتعزيز تنمية المجتمع. ومن خلال الحصول على المواد من المنطقة المحيطة مباشرة، يمكن تقليل انبعاثات الكربون المرتبطة بالنقل بشكل كبير. بالإضافة إلى ذلك، غالبًا ما تتطلب المواد المحلية الحد الأدنى من المعالجة، مما يؤدي إلى خفض استهلاك الطاقة والطاقة المتجددة، ولا يدعم هذا النهج الاقتصاد المحلي فحسب، بل يحافظ أيضًا على الأساليب المعمارية الإقليمية والتراث الثقافي. علاوة على ذلك، غالبًا ما توفر المواد المحلية عزلاً حراريًا فائقًا، مما يقلل من استهلاك الطاقة للتدفئة والتبريد، وإن تبني المواد المحلية في مشاريع البناء المستدامة يمكن أن يحقق فوائد متعددة، ويساهم في مستقبل أكثر استدامة مع إنشاء هياكل فريدة ومرنة. وفي ليبيا، يؤكد تشييد المباني المستدامة، بما في ذلك المساجد، على استخدام المواد المحلية والطبيعية لتعزيز الاستدامة البيئية والقدرة على الصمود. المواد المحلية وفيرة ومتاحة بسهولة، مما يقلل الحاجة إلى وسائل النقل ويقلل من انبعاثات الكربون المرتبطة بمواد البناء التقليدية. ويشجع استخدام المواد الطبيعية مثل الطين والرمل والحجر وشجرة النخيل في البناء بسبب وفرتها ومتانتها. والطين هو مادة شائعة الاستخدام، معروف بخصائصه العازلة وكتلته الحرارية، مما يساعد على تنظيم درجة الحرارة الداخلية للمباني وتقليل استهلاك الطاقة للتدفئة والتبريد. يتم استخدام الرمل والحجر في الأساسات والجدران والأرضيات، مما يوفر القوة والثبات للهيكلي. غالبًا ما يستخدم خشب النخيل في عوارض السقف والعناصر الزخرفية، مما يضيف جمالية طبيعية وتقليدية للمبنى. ويتم استخدام المواد الطبيعية مثل القش والخشب للعزل، مما يساعد على تحسين كفاءة الطاقة وتقليل فقدان الحرارة في المباني. ولا يؤدي ذلك إلى تحسين راحة الركاب فحسب، بل يقلل أيضًا من الاعتماد على أنظمة التدفئة والتبريد الاصطناعية، مما يؤدي إلى تقليل استهلاك الطاقة وانبعاثات الغازات الدفيئة. ومن خلال دمج المواد المحلية والطبيعية في بناء المساجد والمباني الأخرى، تستطيع ليبيا الحفاظ على تراثها الثقافي، ودعم الاقتصادات المحلية، والحد من تأثيرها البيئي. إن ممارسات البناء المستدامة هذه لا تفيد البيئة فحسب، بل تساهم

أيضاً في خلق بيئة مبنية أكثر صحة ومرونة للأجيال الحالية والمستقبلية.

إن كتابة هذا بحث ينطوي على منهج منظم يتضمن المنهجية في تحديد نطاق الدراسة وأهدافها مع مراجعة بعض الدراسات أو الأمثلة السابقة الموجودة حول البناء المستدام وطريقة تشييده بالمواد المحلية والطبيعية من خلال جمع المعلومات من وثائق معتمدة، حتى تتمكن من دراسة الحالة وطريقة تصميمها وتقنيات البناء والأثر البيئي لها، ومنها تحليل المعلومات حتى تتمكن من دعم نتائج البحث ومناقشتها وتقييم المزايا والعيوب لتقديم التوصيات وتلخيص النتائج وإبراز أهمية استخدام المواد المحلية والطبيعية في بناء مساجد مستدامة في ليبيا. معالجة أي قيود على الدراسة واقتراح مجالات للبحث المستقبلي في هذا المجال.

الكلمات الرئيسية: المواد المحلية، استهلاك الطاقة، المساجد المستدامة، الطاقة المتجددة، التراث الثقافي، البيئة.

1. مقدمة

يتم تصميم المساجد المستدامة وتشييدها بهدف تقليل تأثيرها البيئي، والحفاظ على الموارد، وتعزيز رفاهية شاغليها. إحدى الاستراتيجيات الفعالة لتحقيق الاستدامة في مشاريع بناء المساجد هي استخدام المواد المحلية. المواد المحلية هي تلك المتوفرة بسهولة في المنطقة المحيطة مباشرة، مما يقلل الحاجة إلى وسائل النقل ويدعم الاقتصاد المحلي. وستتناول هذه المقدمة النتائج التفصيلية التي يمكن تحقيقها باستخدام المواد المحلية في بناء المساجد المستدامة، ومن أهم نتائج استخدام المواد المحلية تقليل انبعاثات الكربون المرتبطة بالنقل. غالباً ما تتضمن مواد البناء التقليدية مثل الخرسانة والصلب والأخشاب النقل لمسافات طويلة من مواقع التصنيع إلى موقع البناء. تولد عملية النقل هذه انبعاثات غازات الدفيئة وتساهم في ظاهرة الاحتباس الحراري. ومن خلال استخدام المواد التي يتم الحصول عليها من مصادر محلية، يتم تقليل المسافات المقطوعة، مما يؤدي إلى انخفاض آثار الكربون. يساعد هذا الانخفاض في الانبعاثات على التخفيف من تغير المناخ ويدعم الاستدامة الشاملة للمبنى.

علاوة على ذلك، تتطلب المواد المحلية في كثير من الأحيان الحد الأدنى من المعالجة مقارنة بنظيراتها المستوردة. على سبيل المثال، يتطلب الحصول على الأخشاب محلياً من الغابات القريبة عمليات تصنيع أقل مقارنة باستيراد الأخشاب من مواقع بعيدة. وينتج عن ذلك انخفاض استهلاك الطاقة وتقليل التأثير البيئي المرتبط بإنتاج المواد. بالإضافة إلى ذلك، تحتوي المواد المحلية عادة على طاقة متجددة أقل، والتي تشير إلى إجمالي الطاقة اللازمة لإنتاج المواد ونقلها وبنائها. ومن خلال استخدام المواد التي تتطلب معالجة أقل ولها طاقة أقل، يتم تقليل التأثير البيئي للمبنى بشكل

كما أن استخدام المواد المحلية له فوائد اقتصادية للمجتمع المحيط. إن الحصول على المواد محلياً يدعم الشركات المحلية والحرفيين، مما يخلق فرص عمل ويساهم في النمو الاقتصادي. ومن خلال الاستفادة من الموارد المحلية، يمكن للبناء الاستثمار بشكل مباشر في الاقتصاد المحلي وتعزيز تطوير الممارسات والمهارات المستدامة داخل المجتمع. وهذا يعزز الشعور بالفخر والملكية في مشروع البناء، بالإضافة إلى الفوائد الاقتصادية، فإن استخدام المواد المحلية يحافظ أيضاً على الأنماط المعمارية الإقليمية والتراث الثقافي. غالباً ما تعكس المواد المحلية الهوية الثقافية الفريدة للمنطقة. ومن خلال تبني هذه المواد ودمجها في تصاميم المباني المستدامة، يمكن للمهندسين المعماريين المساهمة في الحفاظ على التقاليد المحلية والاحتفال بها. وهذا لا يعزز المظهر البصري للمسجدك فحسب، بل يعزز أيضاً الإحساس بالمكان والهوية لكل من شاغليه والمجتمع الأكبر.

من منظور الأداء، غالباً ما توفر المواد المحلية مزايا من حيث العزل الحراري. على سبيل المثال، تتمتع المواد مثل الخشب أو القش أو الطين من مصادر محلية بخصائص عزل طبيعية ممتازة. يمكنها تنظيم تقلبات درجات الحرارة، وتقليل فقدان الحرارة، وتقليل الحاجة إلى أنظمة التدفئة والتبريد كثيفة الاستهلاك للطاقة. ومن خلال دمج هذه المواد في غلاف المبنى، يمكن لشاغلي المبنى الاستمتاع ببيئة داخلية مريحة مع تقليل استهلاك الطاقة والتكاليف المرتبطة بها.

لتلخيص ذلك، فإن دمج المواد المحلية في مشاريع البناء المستدامة يؤدي إلى مجموعة من النتائج الإيجابية. تعمل هذه المواد على تقليل انبعاثات الكربون عن طريق تقليل مسافات النقل، وتتطلب معالجة وطاقة أقل، وتساهم في الاقتصاد المحلي. علاوة على ذلك، فإنها تحافظ على الأنماط المعمارية الإقليمية، والتراث الثقافي، وتعزز الإحساس بالمكان. وأخيراً، غالباً ما توفر المواد المحلية عزلاً حرارياً فائقاً، مما يعزز راحة المستخدم مع تقليل استهلاك الطاقة. ومن خلال إعطاء الأولوية لاستخدام المواد المحلية، يمكن بناء المساجد المستدامة باتباع نهج شامل يفيد البيئة والمجتمع المحلي ورفاهية شاغليها على المدى الطويل [1].

2. المشاكل التي تؤدي إلى عدم استعمال المواد الطبيعية لبناء مسجد مستدام:

هناك العديد من المشاكل التي قد تؤدي إلى عدم الاستفادة من المواد الطبيعية في تشييد المساجد المستدامة في ليبيا:

- أحد التحديات الرئيسية هو نقص الوعي بين المهندسين المعماريين والبنائين وصانعي السياسات حول فوائد وإمكانات استخدام المواد الطبيعية في تشييد المباني المستدامة، قد لا يكون العديد من أصحاب

المصلحة على دراية بالخصائص والتوافر والتطبيقات المحتملة للمواد المحلية والطبيعية، مما يؤدي إلى تفضيل مواد البناء التقليدية.

- في بعض مناطق ليبيا قد يكون الوصول محدودًا إلى المواد الطبيعية عالية الجودة المناسبة لبناء المساجد المستدامة. على سبيل المثال، قد لا تكون أنواع معينة من الألياف الطبيعية أو الأرض أو الحجر متاحة بسهولة بكميات كافية أو قد لا تلي معايير الجودة المطلوبة للبناء.
- قد ينظر إلى التكلفة الأولية لاستخدام المواد الطبيعية في تشييد المباني على أنها أعلى من المواد التقليدية، مما قد يمنع المطورين والبنائين من دمجها في مشاريعهم. ومع ذلك، من المهم مراعاة الفوائد والوفورات طويلة المدى المرتبطة بالمباني المستدامة، مثل تقليل استهلاك الطاقة وتكاليف الصيانة.
- قد لا يحفز الإطار التنظيمي في ليبيا أو يدعم استخدام المواد الطبيعية في تشييد المساجد المستدامة. قد لا تشجع قوانين البناء واللوائح والمعايير بشكل صريح أو تتطلب استخدام المواد المستدامة والمحلية المصدر، مما يؤدي إلى الوضع الراهن لاستخدام المواد التقليدية.
- قد تفتقر صناعة البناء والتشييد في ليبيا إلى المهارات والمعرفة والخبرة اللازمة للعمل مع المواد الطبيعية واعتماد ممارسات البناء المستدامة. قد يحتاج البنائين والحرفيين إلى التدريب وبناء القدرات للاستفادة بشكل فعال من المواد الطبيعية وتنفيذ تقنيات البناء المستدامة.
- قد يكون هناك نقص ملحوظ في طلب السوق على المساجد المستدامة المشيدة باستخدام المواد الطبيعية في ليبيا. قد يعطي المطورون والبناءؤون الأولوية لعوامل مثل سرعة البناء والجماليات واتجاهات السوق على اعتبارات الاستدامة، مما يؤدي إلى استمرار الاعتماد على مواد البناء التقليدية.

وتتطلب معالجة هذه التحديات اتباع نهج متعدد الأوجه يتضمن رفع مستوى الوعي، وتوفير التدريب والمساعدة الفنية، وتطوير السياسات واللوائح الداعمة، وتعزيز طلب السوق على المباني المستدامة المشيدة بمواد طبيعية. ستكون الجهود التعاونية بين الوكالات الحكومية والأوساط الأكاديمية وأصحاب المصلحة في الصناعة ومنظمات المجتمع المدني ضرورية لتعزيز استخدام المواد الطبيعية في تشييد المساجد المستدامة في ليبيا [5]

3. الأهداف التي توضحها البحث في استعمال المواد الطبيعية لبناء مسجد مستدام

يهدف البحث في استخدام المواد الطبيعية لبناء مسجد مستدام في ليبيا إلى تحقيق عدة أهداف رئيسية، والتي يمكن إثباتها من خلال أهداف البحث التالية:

- يهدف البحث إلى تحديد وتقييم الأنواع المختلفة من المواد الطبيعية المتوفرة في ليبيا لبناء المساجد المستدامة. وسيتضمن ذلك إجراء مسوحات ميدانية واختبار المواد وتحليلها لتحديد خصائص المواد الطبيعية المحلية ومتانتها وأدائها.
 - يهدف البحث إلى تقييم البصمة البيئية لاستخدام المواد الطبيعية في تشييد المساجد، مقارنة بالمواد التقليدية. يمكن إجراء تقييمات دورة الحياة وتحليلات البصمة الكربونية لتحديد استهلاك الطاقة وانبعاثات الغازات الدفيئة واستنزاف الموارد المرتبطة بمواد البناء المختلفة.
 - يركز البحث على دراسة الخواص الحرارية للمواد الطبيعية وتأثيرها على أداء الطاقة في المباني. وقد يتضمن ذلك إجراء عمليات المحاكاة، ونمذجة الطاقة، ومراقبة مباني الاختبار لتقييم راحتها الحرارية، وخصائص العزل، واستهلاك الطاقة.
 - سيعرض البحث تقنيات البناء المبتكرة والمستدامة باستخدام المواد الطبيعية، مثل الطين، وسيشمل ذلك تصميم وبناء مشجد نموذجية لإثبات جدوى وفوائد استخدام المواد الطبيعية في تشييد المساجد المستدامة. مثل مسجد العتيق ومسجد يوسف.
 - سيقوم البحث بتحليل الآثار الاقتصادية لاستخدام المواد الطبيعية في تشييد المساجد، بما في ذلك التكاليف الأولية، وتكاليف دورة الحياة، والوفورات المحتملة المرتبطة بالمساجد المستدامة. ويمكن إجراء تحليلات التكلفة والعائد والنمذجة المالية لإثبات الجدوى الاقتصادية والفوائد طويلة المدى للبناء المستدام باستخدام المواد الطبيعية.
 - سيتضمن البحث التعامل مع أصحاب المصلحة، بما في ذلك المهندسين المعماريين والبنائين وصانعي السياسات والمجتمعات المحلية، لرفع مستوى الوعي وبناء القدرات حول استخدام المواد الطبيعية في تشييد المساجد المستدامة. وسيتم تنظيم أنشطة نشر المعرفة، مثل ورش العمل والدورات التدريبية والمنشورات والمعارض، لتبادل نتائج البحوث وأفضل الممارسات مع المجتمع الأوسع.
 - بشكل عام، تهدف أهداف البحث إلى إظهار الفوائد الفنية والبيئية والاجتماعية والاقتصادية لاستخدام المواد الطبيعية لبناء المباني المستدامة في ليبيا. من خلال معالجة هذه الأهداف، سيساهم البحث في تعزيز اعتماد ممارسات البناء المستدام وتعزيز بيئة مبنية أكثر مرونة وكفاءة في استخدام الموارد في البلاد [6]
- 4. إظهار الفوائد الفنية والبيئية والاجتماعية والاقتصادية لاستخدام المواد الطبيعية لبناء المساجد المستدامة في ليبيا:**

1.4 الفوائد التقنية:

تتمتع المواد الطبيعية مثل الأرض والقش والخيزران والأخشاب بخصائص عزل حراري ممتازة، مما يساعد على تنظيم درجة الحرارة الداخلية وتقليل استهلاك الطاقة للتدفئة والتبريد وتحسين الأداء العام للمسجد. تتميز المواد الطبيعية بأنها متينة ومقاومة للحريق ومقاومة للعوامل الجوية، مما يوفر حلول بناء طويلة الأمد ومنخفضة الصيانة يمكنها تحمل الظروف المناخية القاسية في ليبيا. ويمكن تكييف تقنيات البناء المستدامة باستخدام المواد الطبيعية، مثل بناء الأرض أو بناء حزم القش، مع تقاليد وممارسات البناء المحلية، والحفاظ على التراث الثقافي وتعزيز الحرف اليدوية التقليدية.

2.4 الفوائد البيئية:

إن استخدام المواد الطبيعية في البناء يقلل من البصمة الكربونية للمساجد عن طريق عزل ثاني أكسيد الكربون وتقليل الانبعاثات المرتبطة بإنتاج ونقل مواد البناء التقليدية. المواد الطبيعية متجددة، من مصادر محلية، وقابلة للتحلل الحيوي، مما يقلل الاعتماد على الموارد المحدودة ويقلل من توليد النفايات أثناء البناء والهدم. تعمل المباني المستدامة المشيدة بمواد طبيعية على تعزيز التنوع البيولوجي، وتحسين جودة الهواء الداخلي، وإنشاء بيئات معيشية أكثر صحة لشاغليها من خلال تقليل التعرض للمواد الكيميائية السامة والملوثات.

3.4 الفوائد الاجتماعية

إن دمج المواد الطبيعية في المساجد المستدامة يمكن أن يعزز المظهر الجمالي والتنوع المعماري للبيئة المبنية، مما يساهم في إنشاء مجتمعات نابضة بالحياة وغنية ثقافياً في ليبيا. يمكن للمساجد المستدامة التي تستخدم المواد الطبيعية أن تحسن مستوى الراحة والرفاهية ونوعية حياة شاغليها من خلال تحسين جودة الهواء الداخلي والإضاءة الطبيعية والراحة الحرارية. إن اعتماد ممارسات البناء المستدام بالمواد الطبيعية يمكن أن يؤدي إلى تمكين المجتمعات المحلية، وخلق فرص العمل، ودعم سبل العيش المستدامة في قطاع البناء.

4.4 الفوائد الاقتصادية:

توفر المساجد المستدامة المشيدة بمواد طبيعية وفورات في التكاليف على المدى الطويل من خلال تقليل استهلاك الطاقة، وانخفاض تكاليف الصيانة، وزيادة القدرة على التكيف مع تأثيرات تغير المناخ. يمكن أن يؤدي استخدام المواد الطبيعية من مصادر محلية إلى خلق فرص سوقية جديدة لصغار الموردين والحرفيين والحرفيين، مما يحفز الاقتصادات المحلية ويعزز التنمية المستدامة. يمكن للمساجد المستدامة المشيدة بمواد طبيعية أن تعزز قيمة العقارات، وتجذب المشترين المهتمين بالبيئة، وتميز المباني في السوق، مما يؤدي إلى زيادة عوائد الاستثمار للمطورين وأصحاب المباني. ومن خلال الاستفادة من الفوائد التقنية والبيئية والاجتماعية والاقتصادية لاستخدام المواد الطبيعية في تشييد

المساجد المستدامة، يمكن لليبيا أن تشجع بيئة مبنية أكثر مرونة وكفاءة في استخدام الطاقة وغنية ثقافياً تعزز رفاهية مواطنيها وتساهم في تحقيق التنمية المستدامة. مستقبل أكثر استدامة.

5. الدراسات السابقة:

هناك مجموعة من الأبحاث والدراسات حول استخدام المواد المحلية في المساجد المستدامة، وتتضمن بعض الأمثلة الرئيسية ما يلي:

1.5 تقييم الأثر البيئي:

تناولت الدراسات الفوائد البيئية لاستخدام المواد المحلية في البناء، ويقومون بتقييم الانخفاض في انبعاثات الكربون واستهلاك الطاقة المرتبط بمصادر المواد محلياً مقابل نقلها من مواقع بعيدة، غالباً ما تقارن هذه الدراسات تحليل دورة الحياة (LCA) للمباني التي تستخدم المواد المحلية مع تلك التي تستخدم المواد التقليدية

2.5 التحليل الاقتصادي:

بحثت الأبحاث في الآثار الاقتصادية لاستخدام المواد المحلية في المباني المستدامة، ويشمل ذلك تقييم فعالية تكلفة الحصول على المواد المحلية، والتنمية الاقتصادية المحلية، وانخفاض تكاليف النقل والتوزيع، والقدرة على تحمل تكاليف المشروع بشكل عام.

3.5 الحفاظ على التراث الثقافي:

تؤكد العديد من الدراسات على الجانب الثقافي باستخدام المواد المحلية، ويستكشفون كيف يمكن أن يساعد استخدام المواد من البيئة المباشرة في الحفاظ على الأنماط المعمارية الإقليمية وتقنيات البناء التقليدية والتراث الثقافي، وغالباً ما تسلط هذه الدراسات الضوء على أهمية مشاركة المجتمع وتبادل المعرفة في مشاريع البناء المستدامة.

4.5 تقييم الأداء:

قام الباحثون بتقييم أداء المباني المستدامة المشيدة بمواد محلية، ويشمل ذلك فحص خصائص العزل الحراري والمتانة ومقاومة الرطوبة وكفاءة الطاقة مقارنة بالمباني التي تستخدم المواد التقليدية.

5.5 دراسات الحالة وأفضل الممارسات:

تم إجراء العديد من دراسات الحالة حول مشاريع بناء مستدامة محددة تستخدم المواد المحلية، وتوفر هذه الدراسات تحليلاً متعمقاً للمشاريع الناجحة وعمليات تصميمها وإنشائها وتقييم الأداء والدروس المستفادة.

6.5 السياسات والمبادئ التوجيهية:

ركزت الأبحاث أيضاً على أطر السياسات والمبادئ التوجيهية المتعلقة باستخدام المواد المحلية في المساجد المستدامة، ويشمل ذلك استكشاف اللوائح الحكومية وقوانين البناء والحواجز التي تدعم اعتماد المواد المحلية في البناء [3]

6. أنواع استعمال المواد المحلية (الطبيعية) في ليبيا

في ليبيا تم الترويج لاستخدام المواد المحلية في المباني لتعزيز الاستدامة والقدرة على تحمل التكاليف والحفاظ على التراث الثقافي، وهنا بعض الأمثلة:

1.6 البناء بالطوب اللبن:

يتمتع الطوب اللبن، المعروف أيضاً باسم الطوب اللبن، بتاريخ طويل من الاستخدام في ليبيا بسبب توفره وخصائصه الحرارية، وغالباً ما تستخدم المنازل التقليدية في المناطق الريفية جدراناً من الطوب اللبن، والتي توفر عزلاً ممتازاً وتساعد في الحفاظ على درجات حرارة داخلية مريحة، وركزت الأبحاث على تحسين الجودة والمتانة والمقاومة للزلازل لتقنيات البناء بالطوب اللبن.

2.6 البناء بالحجر:

2.7 تمتلك ليبيا موارد حجرية طبيعية وفيرة، وقد تم استخدام الحجر المحلي لعدة قرون في البناء، توفر المباني الحجرية الجاذبية الجمالية والمتانة المرونة، وتهدف بعض المشاريع إلى إحياء تقنيات البناء الحجرية التقليدية وتكييفها مع التطبيقات الحديثة.

3.6 سعف وقش النخيل:

2.8 في المناطق الصحراوية، يتم استخدام سعف وقش النخيل كمواد للتسقيف بسبب خصائصها العازلة للحرارة، وتساعد هذه المواد التي يتم الحصول عليها من مصادر محلية على تقليل انتقال الحرارة واكتساب الطاقة الشمسية، مما يساهم في بناء المباني الموفرة للطاقة، ولا تزال هياكل الخيام البدوية التقليدية المصنوعة من سعف النخيل تُستخدم أحياناً في المناطق الصحراوية.

4.6 الأحجار المحجر المحلية:

تفتخر ليبيا بأنواع متنوعة من الأحجار الطبيعية، بما في ذلك الحجر الجيري والرخام والجرانيت، وغالباً ما تستخدم هذه الحجارة في العناصر المعمارية، مثل الواجهات والميزات الزخرفية والأرضيات، وإن استخدام الحجارة المستخرجة محلياً يقلل من انبعاثات الكربون المرتبطة بالنقل ويدعم الاقتصاد المحلي.

5.6 بناء الأرض:

تكتسب التربة المدكوكة والكتل الأرضية المستقرة المضغوطة شعبية في ليبيا كبداية لبناء مستدامة، وتستخدم تقنيات بناء الأرض التربة من المنطقة المحلية، مما يقلل الحاجة إلى المواد المستوردة، وتوفر هذه التقنيات مباني موفرة للطاقة مع الحد الأدنى من التأثير البيئي.

6.6 تقنيات البناء التقليدية:

تهدف العديد من مشاريع البناء المستدامة في ليبيا إلى الحفاظ على العمارة التقليدية واستعادتها، ومن خلال استخدام المواد المحلية وتقنيات البناء التقليدية، تحافظ هذه المشاريع على التراث الثقافي مع تعزيز الممارسات المستدامة، ويتضمن ذلك البحث في طرق البناء التقليدية وتنفيذ التعديلات الحديثة لتحسين السلامة الهيكلية والمتانة.

يتماشى اعتماد المواد المحلية في المباني اليبانية مع أهداف التنمية المستدامة، بما في ذلك تقليل انبعاثات الكربون، وتقليل استهلاك الطاقة، والحفاظ على التراث الثقافي، وتوضح هذه الأمثلة كيف تستخدم ليبيا مواردها الطبيعية لتحقيق ممارسات بناء مستدامة وبأسعار معقولة وذات أهمية ثقافية [2]

7. نتيجة استخدام هذه المواد المحلية في المساجد يمكن أن يؤدي إلى عدة نتائج

إيجابية:

1.7 الاستدامة:

(وهي أهم شرط في هذه الدراسة) من خلال الاستفادة من المواد المتوفرة محلياً، يتم تقليل الحاجة إلى نقل مواد البناء من المناطق البعيدة، وهذا يقلل من انبعاثات الكربون المرتبطة بالنقل ويقلل من التأثير البيئي الإجمالي لعملية البناء.

2.9 القدرة على تحمل التكاليف:

غالبًا ما تكون المواد المحلية أكثر فعالية من حيث التكلفة مقارنة بالبداية المستوردة، وإن استخدام المواد المتاحة محلياً يمكن أن يقلل من تكاليف البناء، مما يجعل ممارسات البناء المستدامة أكثر سهولة وبأسعار معقولة للأفراد والمجتمعات.

8. الحفاظ على التراث الثقافي:

البناء بالمواد المحلية يساعد في الحفاظ على التراث الثقافي الليبي والتقاليد المعمارية، فهو يسمح بمواصلة تقنيات البناء التقليدية والأساليب المعمارية، وتعزيز العلاقة بين البيئة المبنية والهوية المحلية.

4.7 التنمية الاقتصادية:

استخدام المواد المحلية يدعم الاقتصادات المحلية من خلال تعزيز الاستفادة من الموارد المحلية وتعزيز الصناعات المحلية، وهذا يمكن أن يخلق فرص عمل، ويجفز الأسواق المحلية، ويساهم في التنمية الاقتصادية الشاملة.

5.7 كفاءة الطاقة:

توفر المواد المحلية مثل الطوب الطيني والحجر وتقنيات البناء الترابية خصائص عزل حراري ممتازة، ويساعد ذلك على تنظيم درجات الحرارة الداخلية، ويقلل الاعتماد على أنظمة التدفئة أو التبريد المستهلكة للطاقة، ويعزز كفاءة استخدام الطاقة في المساجد.

6.7 القدرة على الصمود أمام تغير المناخ:

غالبًا ما تكون المواد المحلية مناسبة تمامًا للظروف المناخية المحلية، بما في ذلك درجات الحرارة القصوى والجفاف والعواصف الرملية، وباستخدام مواد تتكيف بشكل طبيعي مع البيئة المحلية، يمكن أن تصبح المباني أكثر مرونة وتحمل التحديات التي يفرضها المناخ الليبي [2] باختصار، إن استخدام المواد المحلية في المباني الليبية لا يدعم الاستدامة والقدرة على تحمل التكاليف فحسب، بل يضمن أيضًا الحفاظ على التراث الثقافي، ويعزز التنمية الاقتصادية، ويعزز كفاءة الطاقة، ويعزز القدرة على التكيف مع المناخ. وتسهم هذه النتائج في تحقيق الرفاه العام للمجتمع والبيئة.

9. دراسات حالة في استعمال المواد المحلية في المباني بليبيا

في حين أن المعلومات المتاحة محدودة عن دراسات حالة محددة لاستخدام المواد المحلية في المساجد في ليبيا، فإليك مثالين بارزين:

1.8 مسجد العتيق:

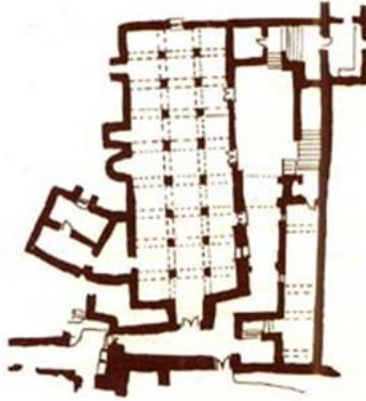
عند مرورك بالمدينة تمر بمجموعة من المساجد، مما يؤكد التزام هذه المدينة بالإسلام. وأهمها هي مسجد قديم بني عام 45 للهجرة، وله باب يؤدي إلى السوق، ولا يفتح إلا في أيام العيد، ويوم الجمعة قسم واحد مخصص لصلاة وضوء النساء. تعرضت لهجوم جوي فرنسي عام 1942 [2]



المسجد العتيق

2.10 مسجد يوسف:

ومساحته أقل من مساحة "العتيق" ويواجه ساحة السوق. ويفتح بابها الرئيسي على "شارع تنفزين". ويختلف عن مسجد "العتيق" في أن سقفه مصنوع من الحجر الجيري بينما العتيق مصنوع من الخشب (السنور). تم بناؤه في القرن الثامن الهجري.



مسجد يوسف

www.libyanheritage.com/arch/ghadames.htm

10. النتائج وتفسير النتائج في آثار استخدام المواد المحلية

- التأثيرات على انبعاثات الكربون: أظهر استخدام المواد الطبيعية المحلية في تشييد المساجد المستدامة في ليبيا انخفاضاً كبيراً في انبعاثات الكربون مقارنة بمواد البناء التقليدية. أشارت تقييمات دورة الحياة إلى أن

المواد الطبيعية مثل الأرض والقش والأخشاب تحتوي على محتوى منخفض من الكربون وتعزل ثاني أكسيد الكربون، مما يؤدي إلى حياد الكربون بشكل عام أو حتى سلبية الكربون في بعض الحالات.

- التأثيرات على استهلاك الطاقة: أظهرت المساجد المستدامة المشيدة بمواد طبيعية محلية استهلاكاً أقل للطاقة لأغراض التدفئة والتبريد، وذلك بفضل خصائص العزل الحراري الممتازة. أظهرت نمذجة الطاقة ومراقبتها أن المساجد التي تستخدم البناء الترابي، أو بناء حزم القش، أو بناء الخيزران تتطلب طاقة أقل للحفاظ على الراحة الداخلية، مما يؤدي إلى انخفاض الاعتماد على أنظمة التدفئة والتبريد الميكانيكية.

- التأثيرات على العوامل الاقتصادية: كشف التحليل الاقتصادي أن المساجد المستدامة التي تستخدم المواد الطبيعية المحلية توفر وفورات في التكاليف على المدى الطويل وزيادة العائد على الاستثمار. على الرغم من التكاليف الأولية المحتملة المرتفعة لتقنيات البناء المتخصصة، فقد أثبتت تكاليف الصيانة المنخفضة، وانخفاض فواتير الطاقة، وتعزيز قيمة الممتلكات للمباني المصنوعة من المواد الطبيعية أنها مفيدة مالياً على مدار دورة حياة المبنى.

- الآثار على الحفاظ على التراث الثقافي: أدى دمج المواد الطبيعية في تشييد المساجد المستدامة إلى تسهيل الحفاظ على التراث الثقافي في ليبيا. ومن خلال تكييف تقنيات ومواد البناء التقليدية، مثل البناء بالطوب اللبن أو الأسقف المصنوعة من قش النخيل، تحترم المساجد المستدامة التقاليد المعمارية المحلية، وتعزز الحرف اليدوية التقليدية، وتساهم في الحفاظ على الهوية الثقافية في المناطق الحضرية والريفية.

- التأثيرات على العزل الحراري: أظهرت المساجد المستدامة التي تستخدم مواد طبيعية محلية خصائص عزل حراري فائقة، مما يعزز الراحة الداخلية ويقلل الطلب على الطاقة. أظهرت الأبحاث التي أجريت على الأداء الحراري أن البناء الأرضي، وبناء حزم القش، وبناء الخيزران يوفر عزلاً فعالاً ضد درجات الحرارة القصوى والرطوبة والضوضاء، مما يؤدي إلى تحسين راحة ورفاهية الركاب.

- تسلط النتائج الضوء على الفوائد المتعددة الأوجه لاستخدام المواد الطبيعية المحلية في تشييد المباني المستدامة في ليبيا. وتشير النتائج إلى أن اعتماد المواد الطبيعية يمكن أن يقلل بشكل فعال من انبعاثات الكربون، ويقلل من استهلاك الطاقة، ويحسن الجدوى الاقتصادية، ويحافظ على التراث الثقافي، ويعزز أداء العزل الحراري في المباني. ومن خلال الاستفادة من المزايا التقنية والبيئية والاجتماعية والاقتصادية للمواد الطبيعية، يمكن لليبيا تعزيز أهداف التنمية المستدامة، والتخفيف من آثار تغير المناخ، وتعزيز بيئة مبنية أكثر مرونة وكفاءة في استخدام الموارد.

- ويؤكد تفسير النتائج على أهمية تعزيز ممارسات البناء المستدامة التي تعطي الأولوية للمواد المحلية، وتقنيات البناء التقليدية، وإشراك المجتمع. ومن خلال دمج المواد الطبيعية في تصميم المباني وتشبيدها، تستطيع ليبيا تسخير مواردها الطبيعية الغنية، ودعم الاقتصادات المحلية، وتعزيز الهوية الثقافية، وخلق بيئات معيشية أكثر صحة واستدامة لسكانها. تشير الآثار المترتبة على نتائج البحث إلى أن البناء المستدام باستخدام المواد الطبيعية يمثل استراتيجية قابلة للتطبيق وفعالة لتعزيز الاستدامة والمرونة في قطاع البناء في ليبيا وخارجها [5]

11. الخلاصة والتوصيات

إن استخدام المواد المحلية والطبيعية في بناء الهياكل المستدامة في ليبيا يوفر فوائد عديدة عبر الأبعاد الفنية والبيئية والاجتماعية والاقتصادية. توفر هذه المواد، مثل الأرض والقش والأخشاب، خصائص عزل حراري ممتازة، وتقلل من انبعاثات الكربون، وتحافظ على التراث الثقافي، وتساهم في خلق بيئات داخلية أكثر صحة. يمكن تصميم تقنيات البناء المستدام باستخدام المواد الطبيعية لتناسب مع تقاليد البناء المحلية، وتعزيز مشاركة المجتمع ودعم أهداف التنمية المستدامة.

- تعزيز الوعي: تثقيف أصحاب المصلحة، بما في ذلك المهندسين المعماريين والمهندسين وصانعي السياسات والجمهور، حول فوائد استخدام المواد المحلية والطبيعية في تشييد المساجد المستدامة.
- دعم البحث والابتكار: الاستثمار في المبادرات البحثية لاستكشاف تقنيات البناء الجديدة، وتحسين أداء المواد، وتعزيز استدامة المباني المصنوعة من المواد الطبيعية.
- تعزيز المهارات والقدرات: توفير برامج تدريبية وورش عمل لتمكين المجتمعات المحلية والبنائين بالمعرفة والمهارات اللازمة للعمل مع المواد الطبيعية بشكل فعال.
- تطوير حوافز السياسة: تنفيذ اللوائح والمعايير والحوافز المالية التي تشجع استخدام المواد المحلية والطبيعية في مشاريع البناء لدفع الطلب في السوق واعتمادها.

تعزيز التعاون: تسهيل الشراكات بين الوكالات الحكومية وأصحاب المصلحة في الصناعة والأوساط الأكاديمية والمنظمات المجتمعية لتعزيز ممارسات البناء المستدام وتبادل أفضل الممارسات في استخدام المواد الطبيعية. المراقبة والتقييم: إنشاء آليات مراقبة لتقييم الآثار البيئية والاجتماعية والاقتصادية للمباني المستدامة المشيدة بمواد طبيعية واستخدام الرؤى المستندة إلى البيانات لإرشاد عملية صنع القرار وتحسين المشاريع المستقبلية. ومن خلال دمج هذه التوصيات ودمج المواد المحلية والطبيعية في مشاريع البناء المستدامة، يمكن لليبيا النهوض بأجندة الاستدامة الخاصة بها، وتعزيز كفاءة استخدام الموارد، ودعم المجتمعات المحلية، وخلق بيئة مبنية أكثر مرونة

المراجع

1. Alao, A. O., Ruparathna, R., & Kumari, S. (2019). Sustainable building construction in developing countries: A review of energy-efficient building materials and technologies. *Sustainable cities and society*, 46, 101401.
2. Alsaadani, S., Duarte, J., & Pinto, A. V. R. (2018). Sustainability and historic heritage materials in Libyan Saharan architecture. *Built Heritage*, 1(1), 135-146.
3. Boubekri, R., Khabazi, Z., Korjenic, A., & Majdalani, J. (2016). Sustainable building materials for energy-efficient buildings: A review. *Renewable and Sustainable Energy Reviews*, 65, 537-542.
4. Hamza, N., Omer, Z., Ahmed, T., & Elamin, I. (2015). The potential of local materials for sustainable housing delivery in Libya. *Procedia Environmental Sciences*, 30, 109-114.
5. Kokogiannakis, G., & Bourdakis, V. (2015). Sustainable building design, materials and performance: Towards environmentally responsible buildings. Springer.
6. Libya Society International, ArabO.com. 2005. All Right Reservd. <httpwww.libyanheritage.com/arch/ghadames.html>.
7. Othman, N., Zakaria, N., & Zainul Abidin, N. A. (2013). Sustainable construction materials and practices: A case study of Malaysia. *Planning Malaysia*, 11(12), 77-96.

السياحة الدينية في شمال افريقيا وتحديات الاستعمال اللغوي

- منطقة سوق أهراس نموذجاً -

المحور : الآثار والسياحة

الاسم: ياسين سرايعة الدرجة العلمية : أستاذ.

التخصص: لسانيات الخطاب. جامعة: محمد الشريف مساعدي - سوق أهراس -

البريد الإلكتروني:

الهاتف: 0657460970

seraiaia_yassine@yahoo.fr

ملتقى

المساجد التاريخية والزوايا القرآنية

الملخص:

تزخر ولاية سوق أهراس الحدودية والشاسعة جغرافيا بمواقع سياحية مختلفة أثرية وطبيعية تعود إلى العهد النوميدي والروماني، بما في ذلك شجرة زيتون القديس أغوستين وميلاد الروائي الروماني أبوليوس صاحب رواية الجحش الذهبي وغيرها من الآثار الأمازيغية والبيزنطية القديمتين، وإلى جانب هذا تعد المعالم الدينية المتمثلة في الزوايا كزاوية سيدي مسعود المشهورة وزوايا أخرى مختلفة والمداري القرآنية التي تعود إلى عهد ابن باديس والمساجد التي كانت كنائس ومعابد ثم تحولت بعد الاستقلال إلى مساجد من معالم السياحة الدينية التي إليها الزائرون من الداخل والخارج، إضافة إلى الثقافة الشعبية التراثية المادية وغير المادية وغيرها... وفي تحقيق التواصل مع السائح الأجنبي تطرح هنا إشكالية اللغة العربية كأداة للاستعمال تحقق التواصل بين السواح ومعمدي الوكالات السياحية المتخصصين في الترجمة في مختلف النشاطات السياحية للترويج للمعالم السياحية الدينية باللغة العربية آليات الترويج لها كتراث سياحي والعمل على جعلها ذات أهمية لدى السائح الأجنبي.

لذا تروم هذه المساهمة تقصي واقع السياحة الدينية في ولاية سوق أهراس وعلاقته باستثمار استعمال اللغة العربية في عملية التواصل، وأهمية وضع سياسة سياحية تراعى فيها إسهام السياحة الدينية في تحقيق إنعاش اقتصادي رائد.

1- السياحة الدينية ومنزلة اللغة العربية

ترتبط اللغة العربية ارتباطاً وثيقاً بالفعل السياحي في كل المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والتعليمية، لما لها من أهمية في تحقيق التواصل بين الشعوب والحضارات، لذلك قد يوهم الكثير بعدم جدوى العلاقة بين اللغة الأم والسياحة ويلتجأ إلى التعامل باللغة الأجنبية مثلاً في التواصل مع السياح الأجانب في مدينة سق أهراس - نموذج المعاينة الميدانية - دون أن تكون رغبة في نشر مقوماتها كما تفعل الشعوب المتطورة، واللغة العربية ليست بمنأى عن أهمية الاهتمام بالتخطيط اللغوي وعلاقته بالفعل السياحي الديني كقطاع منتج، فقد أضحي عليها مواكبة الأمم المتطورة اقتصادياً وصناعياً والاستفادة من برامجها اللغوية الوظيفية الاستثمارية حتى يكون لها رصيداً وصيتاً ومكانة جوار مع اللغات الحية المتعامل بها كونيًا ورقمياً، خاصة بعدما اعتمدت منظمة السياحة العالمية اللغة العربية كلغة رسمية إلى جانب اللغات المعتمدة رسمياً نحو الإنجليزية والفرنسية والإسبانية، والروسية، وبالتالي فإن العلاقة بين اللغة العربية والسياحة متداخلة وضرورية في كل المجالات التواصلية الخدمائية، ولما لها من أثر في تحقيق التواصل الثقافي عن طريق المعالم السياحية الدينية المتمثلة في الهياكل التي تمثل مقصد السياح كالمساجد والمساجد والزوايا الدينية للتعليم القرآني والمزارات الخاصة بالأولياء والاطلاع على العادات والتقاليد التي تزخر بها الأمة.

فالعربية تتبوأ مكانة لا يستهان بها في تحقيق النجاعة في القطاعات الاقتصادية الخدمائية ذات التأثير المباشر على رفع تنمية البلد وتحقيق نمو اقتصادي محترماً وهي علاقة تبادلية، فقد تحقق أرباحاً ونجاحات كبيرة وإيجابية في المجالات الاجتماعية والتحويلات والتحويلات الثقافية والتكنولوجية التي يشهدها العالم. ^{xxxiii}

فإذا كانت اللغة العربية في القديم تمثل العائق الرئيسي أمام السياحة، فبمجرد تطور تعليم اللغات وتعلمها وتطور الوسائل التكنولوجية والتواصلية وتفشي الشبكة الإلكترونية العنكبوتية واختصار مسافات التواصل بين الشعوب بعد الاختراعات التكنولوجية الرائدة، وسبرانية اللغة وارتباطها بمجالات التسويق صار لارتباط اللغة بالسياحة شأنًا كبيراً لذلك أصبحنا نتحدث ما يسمى بـ "لغة السياحة" في الدول التي تشهد حركة سياحية لا نظير لها. ^{xxxiv}

ونظراً لما تعانيه العربية من تحد كبير أمام العوائق المرتبطة بالسياحة الدينية خاصة في البلدان الفرنكوفونية وغيرها صارت العربية تواجه مضادات كثيرة تقف حائلاً بينها وبين تسويقها خارجياً، وقد اصدرت اليونيسكو مؤخراً تقريراً مفاده أن هناك خطورة تهدم عدداً من لغات العالم منها اللغة العربية فقد تؤدي هذه المخاطر إلى حد اختفائها إذا استمر حال التدهور والإهمال والعزوف عن استعمالها والمحافظة عليها من الضياع، ^{xxxv} فكيف يتجلى كل هذا التداخل في عينة دراسة اللغة العربية وعلاقتها بالقطاع السياحي في ولاية سوق أهراس.

2- اللغة العربية والتخطيط السياحي الديني في ولاية سوق أهراس:

1-4- مدينة سوق أهراس:

ولاية سوق أهراس عاصمتها مدينة سوق أهراس، هي ولاية جزائرية تلقب بسوق الأسود لأن الولاية في السابق كانت الأسود تتخذ من غاباتها عرينا لها، وتحوي سوقا مهما لتجارة الحيوانات المفترسة، يطلق عليها الأمازيغ أسم طاغاست، وتاجيلت إسمها الأمازيغي القديم، لعبت دوراً تاريخياً منذ الأزل وصولاً إلى الثورة الجزائرية حيث لقبت بالقاعدة الشرقية، ذكرها المؤرخ الكبير بلينوس الأكبر في كتبه وأشتهرت بأنها مسقط رأس القديس أوغسطين، وتتميز بمحسوبة أرضها وتنوع فلاحتها وإنتاجها الزراعي الوفير وبمناطقها السقوية الشاسعة والمتعددة، أصبحت عاصمة الولاية سنة 1984، وهي مسقط رأس العديد من القادة العسكريين مثل طارق بن زياد، والمفكرين ماكسينوس، وأبوليوس صاحب رائعة الحمار الذهبي، والقساوسة مثل القديسة مونيكا والقانونيين مثل شهاب الدين التيفاشي.

2-4- الدين

ليس هناك إحصاء رسمي في ما يخص الديانات في ولاية سوق أهراس، ولكن تشير التقديرات إلى انه لا يوجد في الجزائر تنوع كبير في الديانات، والإسلام هو دين الأغلبية من الجزائريين (من 95% إلى 97%)، والإسلام موجود في دستور الجزائر حيث "الإسلام دين الدولة" و يلتحق الدستور الحق في حرية الضمير والرأي، وتسمح القوانين الدستورية على غير المسلمين في ممارسة شعائرهم الدينية ضمن حدود معينة، 50 مثل: الإباضية سكان الولاية من بني مزاب، حيث يوجد في مدينة سوق أهراس مسجد خاص بهم. ومن أهم المعالم الدينية نذكر منها مسجد العتيق الذي كان مسجدا خاصا بالمسلمين منذ زمن الاستعمار وبني عام بنيت جدران مسجد العتيق من حجارة الكنيسة، وفقا لتعليمات قائد الكتيبة العسكرية بدائرة سوق أهراس في ذلك الوقت الجنرال Jules LEWAL - وزير الحرب الفرنسي السابق، كما كان قبطانا للجيش الإستعماري والقائد المدني والقضائي والعسكري لدائرة سوق أهراس من 1852 إلى 1858. كما أنه المهندس المعماري وباني مدينة سوق أهراس كما نعرفها اليوم على موقع المدينة القديمة طاغاست. 1857.

ومسجد ابن باديس الذي يتوسط المدينة حيث كان معبدا يهوديا بسوق اهراس حيث تظهر النجمة السداسية، حاليا هو بالطبع وكما هو معروف مسجد ابن باديس الذي يقع بطريق تبسة. للعلم الصورة الموجودة في الملحق التقطها الطبيب العسكري الفرنسي بول روكات سنة 1892. هذا المعبد كان يشرف عليه الحاخام شير

الذي كان يقطن بنهج مورييس حاليا نهج شيجاني بشير وكان الممثل البلدي لليهود ابراهام نابوني قبل بناء هذا المعبد كان اليهود يباشرون طقوسهم وقداسهم بالدار المعبودة كما كان يطلق عليها وتقع بجانب المسرح البلدي حيث كانوا يتعبدون ويشعلون البخور ويعملون الترانيم اليهودية وهذا في حدود سنة 1860. وقيل أن النجمة السداسية ليست يهودية بل تم الاستيلاء على هذا التراث الغارق في القدم من طرف اليهود ونسبوها اليهم على أنها نجمة داوود ثم اليهود كانوا سببا في استعمار الجزائر والكل في الجزائر يعرف قصة الأخوة بوشناق كيف ورطوا الجزائر بالعمالة والدسائس.

ومسجد الأمان الذي كان كنيسة زمن الاستعمار تم وضع الحجر الأول للكنيسة الجديدة التي تظهر في الصورة الثانية في 13 نوفمبر من سنة 1927، حيث تم افتتاحها في 12 و 13 نوفمبر من سنة 1930 بعد حفل بسيط.

هاته الكنيسة هي تحول كلي وليست امتداداً أو توسيع للكنيسة القديمة التي تم تدشينها في سنة 1864 [الصورة الأولى]، و التي استبدلت الكنيسة الصغيرة التي كانت موجودة في ساحة تاغاست التي أدارها الأب جاثرون Gatheron لعدة سنوات. ويذكر أن مجلس التصنيع في اجتماعه في 15 ديسمبر 1870 قرر تقديم أجراس الكنيسة إلى حكومة الدفاع الوطني الفرنسي ليتم صهرها لتصنيع المدافع. وأصبح بعد الاستمرار مسجدا يسمى بمسجدا الأمان في قلب الولاية ويمثل أكبر مسجد فيها وتم ترميمه وإعادة استلامه مؤخرا سنة 2016.

4- ومن المعالم السياحية الاخرى في الولاية:

تزخر سوق أهراس بعديد المناطق السياحية الرائعة مثل مدينة مادور التاريخية ومدينة خميسة (تاكفيرينلس)، وتيفاش مدينة شهاب الدين التيفاشي، وزيتونة القديس أوغسطين، وزاوية سيدي مسعود، وكاف المصورة وعدة مناطق أخرى التي سيتمك تصنيفها في منظمة اليونيسكو قريبا حسب المسؤولين على قطاع الآثار في الولاية،

أ- زيتونة القديس أوغستن:

حيث تبقى زيتونة القديس أوغستين المطلة على زاوية سيدي مسعود والتي يعود تاريخها إلى (2900 سنة ميلادية)، أكبر شاهد على عراقة المكان والمنطقة، وتمثل مقصدا سياحيا مهما وعالميا تجح إليه قوافل من مختلف بلدان العالم بعدما تم اكتشافها عن طريق البعثات الفرنسية عام 1843، حيث تعتبر شجرة القديس أوغسطين رمزا للسلام وطول العمر والأمل ويروى أن القديس أوغسطين كان يجلس تحتها مدة طويلة للتأمل والتعبد وكتابة مؤلفاته، وبقيت هذه الزيتونة شاهدة على مآثره حيث يحج إليها الوفود الأجنبية من مختلف الجنسيات: الإيطالية والبرتغالية

والولايات المتحدة الأمريكية والفرنسية والاقدام السوداء، والصين، وبعض الدول العربية خاصة المجاورة، وشرعت الولايات المتحدة الأمريكية منذ انعقاد المؤتمر الدولي حول القديس أوغسطين سنة 2001، وتم تعريفه بأنه جزائري بربري منحدر من مدينة طاغست عبر مجموعة من الوكالات السياحية المختصة في السياحة الثقافية في جلب السياح من خلال استغلال هذا المنتج السياحي للتعريف بهذه الشخصية.

3- تحديات استثمار اللغة العربية ورقمنتها في الفعل السياحي الديني في

ولاية سوق أهراس:

نظرا لتوافد السياح الكثير خاصة قبل تفشي جائحة كورونا covid-19 منذ سنة 2019 ومن عديد الجنسيات ونظرا لأهمية التواصل معهم واللغة التي يتواصلون بها والخدمات التي تهيأ لهم من مرافق (فنادق ودور الشباب ووسائل نقل)، وخدمات (مطاعم وغيرها)، وأجهزة تواصلية وتوجيهية، كل إلى لغة لتحقيق التواصل معهم من خلال المرشدين السياحيين في الولاية الذين ينتمون إلى وكالات سياحية معتمدة، أحضرت استبيانا بسيطا بالتعاون مع مديرية السياحة والصناعة التقليدية، عرضت فيه مجموعة من التساؤلات ووجدت فيها تجاوبا مع الموظفين الذين أحضروا لي كل المعلومات المطلوبة، نقدم في البداية الوصف المعلوماتي ثم بعدها نقدم تعليقا بما يتطلبه موضوع البحث الخاص بأهمية اللغة العربية واستعمالها في القطاع السياحي وأهم الاقتراحات الممكنة.

الاستبيان:

الوكالات السياحية	31 معتمدة سارية المفعول	4 معتمدة لكنها أغلقت
التوظيف	ذكور 50 %	إناث 50 %
الحالة العائلية	متزوج 50 %	أعزب 50 %
سن موظفي الوكالات السياحية	65 % من 21 سنة حتى 55 سنة	55 سنة فما فوق 35 %

السكن	داخل الولاية: 90%	خارج الولاية: 10%
المستوى الدراسي	ثانوي: 40%	جامعي + تقني سامي ومعه خبرة لمدة سنة في المجال السياحي: 60%
التخصصات	اللغات والعلوم الإنسانية والاجتماعية: 50%	التخصصات التقنية: 50%
إجراء إمتحان في اللغات	لا : لكل الموظفين	نعم للمرشد السياحي
هل توجد لهم ثقافة سياحية	نعم: 25%	لا: 75%
الخدمات السياحية: إعلام تلفزي، جرائد،	يوجد: 85%	يوجد 15% الفاعلين مع القطاع السياحي والمهتمين.
اللغات المستعملة في السياحة	العربية مع العرب 100%	الأنجليزية أو الفرنسية 100% مع كل السواح الأجانب، العربية 00%
رقمنة اللغة: التواصل الاجتماعي والتفاعل الالكتروني	90% توجد	10% لا توجد
اللغات الأكثر استعمالا	العربية: أولا 70 %	الانجليزية والفرنسية 30%

لا توجد	لا توجد	حرص الوكالات على استعمال اللغات العربية والاجنبية
مكتوبة: بقية اللغات	منطوقة: والعربية والإنجليزية والفرنسية	لغة التواصل مع السياح:
فصحي: 5 % بالعربية	عامية: 95 % بالعربية	لغة التواصل مع السياح: فصحي أو عامية

المصدر مديرية السياحة والصناعة التقليدية لولاية سوق أهراس

5-1- قراءة وتعليق على النتائج والنسب الموجودة السيا- لغوي في ولاية سوق

أهراس:

الملاحظة الابرز التي تستوقفنا من هذه النسب المنقولة من المصادر الموثوقة والرسمية وبكل أمانة هو عدم جدوى الوكالات السياحية بأهمية استثمار اللغة العربية في الفعل السياحي وعدم التسويق لها، وانعدام كلي للثقافة السياحية وعدم العمل على ترشيدها، فيتناسون تماما أنها اللغة الرسمية في مجتمعهم وأنه منصوص عليها قانونيا منذ سنة 1965 عهد الرئيس الراحل هواري بومدين حين أصبح التعريب ملزما في كل المراحل التعليمية، وقد دخلت آنذاك مجالات كثيرة كالإعلام والمخاطبات الرسمية وغيرها...، لكن الحقيقة المرة أنها لم تتجاوز هذه الحدود الضيقة وبقيت اللغة المتداولة والمتواصل بها هي العامية فقط وهي الدائرة في مخاطبات الناس اليومية، فكيف يمكن تفسير هذا، وتعد الدوارج عند المرشدين السياحيين وحتى الموظفين في القطاع والمستقبلين على مستوى الفنادق أو المطاعم أو النقل هي اللغة الأولى عدا بعض الكلمات المحصورة جدا في الاستقبال والوداع وغيرها...، وهذه الإشكالية لا مندوحة منها لأن العامية / الدوارج صارت هي اللغة المتداولة خاصة بعدما اعتمدت رسميا في النصوص القانونية بعض الدوارج في مناطق محددة، واعتبرت لغة رسمية وقد أقر الكثير من الباحثين المختصين هذا منهم فرجسون الذي عدّها لغة ثابتة نسبيا، لكن هذا لا مبرر له في ولاية مثل سوق أهراس المعروفة بأصالة أهلها والتواجد القوي للمساجد والمدارس القرآنية والرغبة التي تحدو أهلها في تعلم اللغات الحية والتواصل في كل الشبكات الخدمائية باللغة العامية الأقرب إلى العربية، فلا شك أن المشكلة تكمن في الانتقاء وعدم وجود تأهيل في التواصل باللغة العربية لدى الجهات الوصية، ويستند دعاة العامية إلى رأي فيرجيسون مثلا والذي يعدّها لغة ثابتة وأكثر تعقيدا

من الناحية النحوية لذلك تنحصر في المعاملات. XXXvi

ويمكن ردّ أسباب عدم التعامل باللغة العربية إلى عدة أسباب أخرى نذكر منها :

- **يعتقد** المرشد السياحي أن التواصل باللغة العربية مع السائح الأجنبي أنه لا يتقن اللغة العربية وبالتالي يلجأ للتواصل مع بلغته الأم، أو التي يراها مناسبة للتواصل غير العربية مثل الإنجليزية، أو الفرنسية أو غيرها، وعلى نحو أقل اللغة الإسبانية أو الإيطالية، ولكنها منحصرة جداً، أو الانتقال من اللغة الأم العربية إلى اللغة الهدف عبر وسيط ترجمي.

- **عقدة** تلازم المرشد السياحي أو كل موظف في القطاع السياحي من السائح الأجنبي وتلاحقه حتى في تعامله باللغة الأم خاصة حين لا نجد مبرراً للتواصل باللغة الأجنبية، والجهل الكلي لأهمية التواصل باللغة العربية بل ادعائه أنها لغة لا جدوى منها، فينجر عنه عدم اكتساب شخصية فرض لغته وتسويقها من بوابة السياح الذين تحذوهم رغبة كبيرة لتعلم اللغة العربية.

- **المشكلة** الأملع والأهم والأضع عدم وجود معاهد خاصة أو كليات وفتح تكوين جامعي يربط بين اللسانيات والسياحة إلا في عدد محدود جداً في جامعة بسكرة وقبلها كانت محاولة محدودة جداً في جامعة عنابة، متخصصة في تكوين المرشدين السياحيين، ومتخصصة في آليات التعامل اللغوي تحقق لسان عربي أصيل يتماشى مع متطلبات العصر ويحقق للسائح أهمية التواصل باللغة العربية، وهذه في الحقيقة ليست مشكلة المرشد أو الموظف المحسوب على القطاع السياحي بل تنظافر فيه مجموعة من العناصر والهيئات الاجتماعية والثقافية والسياسية، وحتى التربوية، بل كيف نفسر عدم اعتناء الساسة وأصحاب القرار باللغة العربية عدا اهتمام بعض الهيئات المتمثلة في المجلس الأعلى للغة العربية في الاجتهاد لتحقيق الانفتاح بالعربية على الفعاليات الثقافية والاجتماعية وغيرها وهي مبادرات تستحق التشجيع.

- ولغويا هناك مشكلة أخرى تنضاف إلى المعوقات السالفة هي عدم وجود معجم لغوي عصري رقمي إلكتروني يضاوي تطلعات السائح وينافس اللغات العالمية الأخرى، فبعض المسميات المعاصرة عالمية ولا يوجد لها مقابل باللغة العربية كأسماء بعض الإقامات (إقامة أبولي، لوريون....) وبعض الوكالات السياحية (وكالة ماي ترافل، وكالة انفرتر ترافل، وكالة بلا تنيوم....) ، ولا يوجد ما يقابلها باللغة العربية ولو أنها أسماء علمية تعرب ولا تترجم، لكن كتابتها بالعربية تغيب أمام السائح الأجنبي الذي يأتي لهدف لاكتشاف أو الاطلاع على ثقافة جديدة وهو يعتقد أنه سيكتشف لغة جديدة، فإذا به يجد نفسه في وسط لغوي يطارد، ولا يرغب في إبقاء التواصل به للأسباب المذكورة سلفاً، وسبب هذا الافتقار هو عدم وجود معجم سياح-لغوي خاص ييسر للسائح الذي يأتي لمزاولة تكوين دقيق في مجالات محددة كالتدريس أو عقد ندوات أو الإشراف على مجالات اقتصادية أو صناعية محددة ودقيقة.

- أما المشكلة الأهم هي عدم اهتمام المسؤولين الذين يشرفون على الهيئات الرسمية (مديريات ووكالات سياحية...) باستعمال اللغة العربية الفصحى واكتفائهم في التواصل باللغة العامية والأجنبية أو عند البعض بلغة إعلامية يصطلح عليها صالح بلعيد لغة الإعلام وهي لغة التلفاز والراديو والصحف، وهي التعبير الموضوعي لتلبية غاية الجماهير والتعبير عن سلوكها وميولها واتجاهاتها، وتعد هذه اللغة - لغة التواصل في الإعلام أو ما يصطلح عليها لدى البعض باللغة الثالثة لا هي فصحي بالكل ولا هي عامية هي بين بين، ويعد هذا هو سبب نجاح صاحبها في التواصل بما في مختلف المقامات التخاطبية. XXXvii

- حسب استقائنا للمعلومات الخاصة باللغة فإنه لا توجد نصوص قانونية تلزم الموظفين في الوكالات السياحية استعمال اللغة العربية، ولا المشرفين على عملية الفندق وغيرها، حتى وإن وجد بعض السياح الذين لهم مدة وهم يزاولون مهامهم واكتسبوا اللغة العربية فعند ذهابهم للمناطق الأثرية للتجوال مع بعض الوكالات يتعاملون معهم باللغة الأجنبية للأسباب السالفة وخاصة العقدة التحتية تجاه الآخر.

- ومن الأسباب الأخرى التي يجب ذكرها هي هيمنة أسماء الوجبات التي تقدم للسياح في المطاعم أو الفنادق باللغة الأجنبية (سلاد فاربي، بلا فاربي، شاورما، طاكوس، شيش كباب،)، ولا يوجد ما يقابلها باللغة العربية.

- غياب حوسبة لغوية عربية تراعي متطلبات العصر وتقدم خدمات جلييلة ومفيدة للسائح.
- عدم التعاطي مع انتشار السياحة الإلكترونية التي تتطلب تشغيل قدر عال من المعرفة التكنولوجية مثل الفنادق الذكية، وتطورت السياحة الإلكترونية بالأخص مع ظهور الشبكة العنكبوتية، وتعتمد على الاتصال الإلكتروني فيتم العرض والتسويق والحجز إلكترونيا، ويتطلب هنا رقمنة المعلومات والمعطيات بمختلف الوسائل الإلكترونية، وللأسف ما زالت تدار كل هذه التقنيات بلغة أجنبية أو افتقاد كلي للسياحة الإلكترونية، ذلك أن البيئة التحتية في المجال التكنولوجي مازالت محدودة، وحسب بعض الاحصائيات المتواترة احتلت الجزائر المرتبة 102 من مجموع 176 دولة عالميا في 2017 أي قبل أزمة كوفيد - 19 بسنتين وهذه مرتبة غير مشرفة إطلاقا وينعكس وبشكل أسوأ على الولايات، فولاية سوق اهراس تقع خارج السياحة الإلكترونية بامتياز.

6- سبل النهوض بالفعل اللغو- سياحي الديني بسوق أهراس

تشكيل هيئة يشرف عليها مختصون لها سلطة قانونية تلزم الوكالات السياحية استعمال اللغة العربية والفنادق والمطاعم على الأقل حتى على مستوى التعريب / تعريب الأسماء المكتوبة بالأجنبية.
اعتماد سياسة لغوية سياحية تعتمد تخطيطا لغويا واعيا للنهوض باستعمال اللغة في الهيئات السياحية على مستوى الاستقبال والتواصل مع السياح وأن يردف هذا بقرار رئاسي منصوحا عليه في الجريدة الرسمية.

- فتح معاهد أو كليات في أو قسم تابع لكلية الآداب واللغات بسوق أهراس متخصصا في اللسانيات والسياحة، وفتح المجال للجهات المتخصصة في إنشا معجم إلكتروني سياحي يضم أسماء المأكولات الأصيلة والمشروبات باللغة العربية (شخشوخة، كسكسي، شربة...)، وفي الحلويات (زلابية، مقروض...) لان السياح لديهم رغبة كبيرة في معرفة تراث المنطقة التي يزورونها فمهم ان يعرفوا التسميات بلغتها الأصلية.

- التنسيق مع منظمة السياحة العربية والمجلس الأعلى للغة العربية والجمعيات الفاعلة في القطاع السياحي والوزارة الخاصة بالقطاع السياحي والمشرفين على الوكالات السياحية والإخصائيين من خبراء جامعيين وباحثين في مجال القطاع السياحي للتحسيس بأهمية التواصل باللغة العربية مع السياح.

- تطوير السياحة الإلكترونية من تنمية اللغة العربية ودعمها في الواقع العلمي والتكنولوجي مع دعم المجلس الأعلى للغة العربية للحفاظ على اللغة العربية والعمل على إيجاد المصطلح العلمي الدقيق لمواكبة رقمنة اللغة العربية، والمعالجة الآلية لمصطلحات اللغو- سياحية وطرائق معالجتها من الباحث في النشاطات السياحية اللغوية، وتوعية المرشد السياحي بالتحديات التي تواجهه.

هذا غيظ من فيض ذلك أن مسأله اللغة العربية وتحدياتها المعاصرة من ناحية ومرافقتها في المشهد السياحي في سوق أهراس خاصة والجزائر عامة من ناحية أخرى تتطلب جهودا توعوية كبيرة للنهوض بها.

الخاتمة:

- بعد هذه الجولة المعرفية في استقراء واقع اللغة العربية وتحدياتها وعلاقتها بالاستعمال السياحي في ولاية سوق أهراس نخلص إلى ما يأتي:

- عدم مواكبة اللغة العربية لعصر الرقمنة عدا بعض المحاولات الضئيلة التي تسعى لحوسبة اللغة وإنشاء معاجم الكترونية متخصصة التي لم تستفد منها الوكالات السياحية في القطاع السياح.

- عدم مواكبة اللغة العربية للمصطلحات الحوسبية الجديدة التي تتعامل معها اللغات العالمية الأخرى، وبذلك تجد نفسها متأخرة، أو عدم وجود برامج الكترونية تستوعب خصائصها الكترونية لأن لكل لغة خصائصها.

- افتقار الوكالات السياحية لأهمية التعامل باللغة العربية وتسويقها للسائح الأجنبي، ماديا من خلال المنتجات التي يأخذها معه بعد زيارته أو التواصل معه باللغة العربية.

- عدم اهتمام أقسام اللغة والأدب العربي بأهمية رقمنة اللغة العربية وانفتاحها على قطاعات مرتبطة بالإنتاج الاقتصادي المنفعي وعدم انفتاحها بسوق العمل مثل تخصصات اللسانيات والسياحة الدينية والتنسيق مع وزارة

السياحة وتكوين إطارات يتعاقدون مباشرة مع الوكالات السياحية، وتعميق معرفتهم العلمية لكيفية التعامل باللغة العربية حوسبياً لاختيار وتمثل المصطلحات العلمية للغة العربية وآليات تسويقها وجعلها لغة متداولة في المؤسسات السياحية.

ويبقى القرار السياسي هو الفيصل والذي يجب اتخاذه بشأن انتهاج سياسة لغوية سياحية دينية راشدة ناجعة وتكليف أهل الاختصاص بمتابعتها إدارياً وبيداغوجياً.

الهوامش والإحالات:

¹ - حميد عبد النبي الطائي، 2003، مدخل إلى السياحة والسفر والطيران، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ص 20.

¹ - عبد المجيد حنون، 2012، السياحة واللغة العربية، مجلة اللغة العربية، ع 12، رقم 01، الجزائر، ص 94-95.

¹ - محمد علي بلاسي، 2011، نحو النهوض باللغة العربية، مجلة التربية الإسلامية، سلسلة 8، عدد 10، العراق، ص 259.

¹ - جماعة من المؤلفين، 2014، اللغة الام، دار هومة، الجزائر، ص 12.

¹ - صالح بلعيد، 2002، اللغة العربية واللغة العلمية، دار هومة، الجزائر، ص 12.

الموضوع: "مسجد أولاد يحيى التاريخي بنالوت

ومنارة اللوح المحفوظ للعلوم الشرعية أنموذجا"

د. عيسى سالم البجاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

{إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخشى إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين}{التوبة الآية 18}، صدق الله العظيم.

تمهيد:

في البداية ونحن نتوكل على الله الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يقام أمر في السماء ولا في الأرض، إلا بإذنه وبأمره وبتوفيق من عنده، سبحانه وتعالى الذي نتوكل عليه ونعتمد عليه في هذا وغيره، فسبحانك اللهم بارك لنا فيما أعطيتنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

أما بعد،،،

وبادئ ذي بدء فالواجب يحتم علينا، أن نحي أهل الفضل في هذا المؤتمر العلمي الدولي، حول المساجد التاريخية، المنعقد وبتوفيق من الله في مدينة غدامس التاريخية، لؤلؤة الصحراء الكبرى، وحرورية الجنوب الليبي، الفاتحة في السحر والجمال الجذاب، عبر التاريخ الحضاري والإنساني؛ الذي نزاحم به الأمم والشعوب العريقة والأصيلة، في كل زمان ومكان.

كما نحى ونشكر الجهات الداعمة والراعية؛ لهذا الحدث العلمي الوطني المتميز.

ومن هذا المنطلق وعلى بركة الله سندي بدلونا وعبر هذه المشاركة المتواضعة، الموسومة بـ "مسجد أولاد يحيى التاريخي بنالوت ومنارة اللوح المحفوظ للعلوم الشرعية أنموذجا"، المنتمية والتابعة للنقطة الثالثة من المحور السابع، والنقطة الخامسة من المحور التاسع، والنقطة السابعة من المحور الحادي عشر والنقطة الثالثة من المحور الثاني عشر، المنبثقة جميعها عن المؤتمر العلمي الدولي حول المساجد التاريخية، في دورته الرابعة، ومن خلال المنهج الاستقرائي التكاملي؛ سنطلق ويذن الله تعالى ومسعانا هو المحافظة على الإرث الحضاري والثقافي الإسلامي الأصيل، الذي أراده الله لنا عبر من سبقونا من الأباء والأجداد، منذ أن غادر ذلك الوفد جبل نفوسة، متجها إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك بعد مروره بأرض الكنانة مصر، التي أمر الله سبحانه وتعالى نبيه موسى

عليه السلام ومن معه، بأن ينزلوها(1)، نظرا لخيراتها في ذلك الحين، وليس الآن وخاصة بعد إقامة سد النهضة بأثيوبيا.

إذ مر هذا الوفد النفوسي المتكون من ستة نفر، بعمرو بن العاص رضي الله عنه، وهو في مصر فأرسلهم بدوره للخطاب (1).

إذ كان هذا وحسب المتداول هو أول اتصال، لأهلنا وذوينا بالإسلام الخالد، أي حتى قبل قدوم أول الفاتحين، وهو عمرو بن العاص رضي الله عنه، الذي فتح بركة ومنها سار لطرابلس فصراته، ثم قدم مدينة شروس عاصمة جبل نفوسة التاريخية، كزائر وليس كفاتح، وبقي فيها حتى أن أتاه الأمر بالعودة من قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(2).

مقدمة:

في هذه المقدمة سنحاول إعطاء فكره عن المنطقة، وما دار فيها منذ انبلاج نور الإسلام في هذه الربوع الحبيبة، وحتى أن وصل بنا الحديث للمسجد المذكور والمنارة المشار إليها سلفا.

فنحن نعلم أن قبل الإسلام كانت في المنطقة حضارة قائمة ومدن عريقة، ترجع عراققتها للتاريخ القديم، فالحضارة الجرمنتية التي وجدت ولا زالت أثارها باقية وشاهدة، كالتي في جبال أكاكوس عبر عصور التاريخ، وشواهد منذ العصور الماطرة، كمدينة جرمة التي وُجدت فيها المومية الليبية، التي سبقت وحسب ما أثبتته العلم والتحليل، بأنها أسبق من المومية المصرية التي فيه من يرجعها للحضارة الليبية (3).

-
- (1) - كما في قوله تعالى: {.. اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم ..}[البقرة الآية 61].
(1) - لمن يريد التأكد من هذا فعليه برسالة سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين، للشيخ عبدالله بن يحيى الباروني النفوسي والد الشيخ سليمان باشا الباروني، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1992، ص 61، ومعمر علي يحيى، الأباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى 1964، 3/ 181.
(2) - الأباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، ص 3/ 181.
(3) - ولفظ ليبيا أو الليبية لا تقصد به ليبيا الحالية أو الليبية الحالية، وإنما تقصد الليبوا والريبو وغيرهم ممن سبق هنا منذ آلاف السنين، وما التاريخ الأمازيغي الذي احتفلنا به منذ أيام وهو في عامه "2974"، إلا دليلا على تلك الحضارات، فالوصول للتاريخ وما يسمى أو يعرف بالتقويم في تاريخ الأمم، لا يمكن الوصول إليه، إلا عبر حضارة عريقة وعميقة ومشهود لها بالعطاء وبالبناء، وما ظهور الإله "أمون" بعد هجرتهم نحو نهر النيل إلا شاهد من شواهد تلك الحضارة، التي نجد جبل نفوسة الذي يقع فيه المسجد ومنارة اللوح المحفوظ وجامع ويار ابن جود أبي معروف النفوسي، الذي يعد رمزا لمدينة شروس التاريخية مع مكتبتها الشهيرة الواقعة في موقعها المشهور بالجزيرة والتي لازالت أرفقها المبنية بالحجارة باقية كدليل لما كانت عليه من كثرة الكتب فقد فاقت في مخزونها 33 ألف مصدر، وهو ما أكده أبو العباس أحمد بن أبي عبدالله محمد بن بكر الفرسطاني، صاحب كتاب "أبي مسألة"، إذ قال: ".. هناك من كتب المذهب التي وصلت من المشرق، فإذا هي نحو ثلاثة وثلاثين ألف جزء"، وما سبق ذلك من كنائس وأديرة هنا وهناك، إلا أدلة شاخصة وماثلة على عراققة المنطقة ومن سبق فيها،

وما جاء في أهداف هذا المؤتمر من مناداة مختلفة، كالحفاظ على المساجد التاريخية، والحفاظ على طابعها المعماري الأصيل، وكل مما ذكر في النقطة الثانية من نقاط أهداف هذا المؤتمر، وذلك ما نعرِّج عليه في مباحث الفصل الأول من هذه الورقة، لنقدم أو نؤسس لما هو أت في هذه المشاركة، وذلك قبل تناول المسجد والمنارة اللذان أتخذناهما كنموذج أو كمنشأ أصلا.

الفصل الأول: وهو فيما يخص المساجد والمدارس التاريخية، وما ما ثلها من منشآت (4)، كالمقامات والزوايا والمنارات والمصليات (5) وحتى الأضرحة التي كانت ولا زالت (6)، وما يتبعها من ذكر لبعض المشائخ وعلماء، وخاصة القديم منها.

المبحث الأول، ولنأخذ فيه بعضا من المساجد والمدارس التاريخية وذلك كأمثلة عن التراث الحضاري الإسلامي العريق.

فمثلا نفق على مدرسة عمرو ابن يمكتن القرآنية، وجامع ومدرسة ويّار ابن جواد أبي معروف النفوسي في العاصمة شروس. والجامع الأعلى في نالوت، ومسجد أولاد يحيى الواقع في المدينة القديمة بنالوت، الذي لا يفصل بينه وبين الجامع الأعلى، سوى مبنى قصر نالوت التاريخي، ولا ننسى جامع الإمام أبي منصور إلياس التندميري،

قبل أن يأتوا الرومان ومن سبقهم هنا. الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، 3/ 183، طبقات المشايخ بالمغرب للدرجيني، 2/ 445.

(4) - ولا نستغرب هنا ففي جبل نفوسة نجد الكثير من الأديرة والكنائس التي سبقت الإسلام، ولا ضير في هذا، فالإمام أبي منصور إلياس، حاكم الجبل الذي نزل من تندميرة في 12 ألف مقاتل، ليطرد ابن طولون من طرابلس، ويترك ما أتى به ابن طولون من خزائن والده في مصر، وهو ما يفوق 350 حمل من الذهب، ولم يأخذ منها وكما قال الشيخ علي معمر ولو قطعة واحدة للذكرى، لأن الإباضية في هذا لهم أحكامهم، وهو نفس التصرف والمبدأ الذي أخذ به الإمام أبي الخطاب المعافري، عند الاستجداء به من القيروان، بسبب طغيان ورفجومة الصفرية، فيعد محاصرتهم والانتصاره عليهم في القيروان، وبسبب عدم تعدي جيشه عن أملاك الناس، ظهر ما يعرف بركة، الواقعة شرق القيروان. معجم أعلام الإباضية، 2/ 242.

وبيت القصيد هنا هو وجود المسيحية في الجبل، فعائلة أبي منصور إلياس وحتى عهده، ففيه ومن من عائلته، لا يزال على المسيحية حتى ذلك التاريخ، وكان الجبل كان سابقا فيما عرف أخيرا بالحريات الشخصية. الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، 2/ 121، 3/ 57.

(5) - وتلك المصليات التي كان أصحابها يعملون بما يتعلمون، أمثال أبي يوسف حجاج بن وقتين، الذي أتى أهله، فقالت له زوجته وهو لدى الباب [عندك يا بائع دينه] فوقف في مكانه إلى الصبح، وإحدى رجليه داخل الباب والأخرى خارجه، وهو يميز بين أبي عبيدة وخلف، ثم ثبت عنده أن الحق مع أبي عبيدة فجاءه ثائبا. الباروني سليمان عبدالله، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، الطبعة الثالثة 2002، ص 227.

(6) - فالأضرحة هنا ليست بتلك المقابر المتعارف عليها، وإنما هي عبارة عن أماكن أتخذها أصحابها للتعليم والصلاة، وعندما يتوفوا أصحابها فيدفنون في مواقعهم وتتعت بأصحابها وأسمائهم، كمصلى أبي عاصم السدراتي، الموجود في قبلة نالوت بالقرب من مدينة تغيث التاريخية، والتي يوجد قصرها القائم وحتى اليوم بما عُرف حديثا بأولاد محمود.

ومصلى عاصم السدراتي(1).

فبالنسبة لمدرسة عمرو ابن يمكتن النفوسي، الذي تعلم على السابلة، حيث غادر الجبل إلى منطقة سرت الحالية، وقام هناك، وكل ما مر به أحد أخذ منه شيء من القرآن والسنة، حتى أن أكمله وحفظه كاملا، ثم عاد للجبل وفتح مدرسة في أفاطمان بالرحيبات (2)، تضاهي مدرسة العلامة محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجنائني(3)، الذي يعتبر أول ليبي، طبق ما يعرف حاليا بالبعثات العلمية (4)، إذ غادر من هنا وحتى البصرة وعلى الأقدام، والتحق بمدرسة أبي عبيدة مسلم المشهور بالقفاف، والمنعوت بذي السلاسل.

هذا الرجل الذي أقام بسبب ويلات الحجاج بن يوسف، تلك المدرسة التي كانت تحت الأرض، وهي تشبه أنفاق غزة الحالية، التي حيرت الصهاينة وكلاهم الأمريكان، وما يسمى - بالعرب والمسلمين -، يتفرجون عليهم، وهم يُقتلون بالآلاف وحتى النهاية، ومدرسة أبي عبيدة المشار إليها، لها علينا الكثير من الأفضال، فهي التي خرّجت ما يعرف بحملة العلم الخمسة، فمنهم من أقام الإمامة في 140هـ في طرابلس، كالإمام أبي الخطاب المعافري (5)، ومنهم من أقام دولا كالإمام عبد الرحمن بن رستم، في تيهرت. ومنهم من تولى التدريس والتوجيه كعاصم السدراتي، الذي مقامه لا يزال قائما على طريق غدامس طرابلس بالقرب من قرية تيغيت التاريخية في قبلة نالوت.

فلو أتينا منطقة لالوت التي كانت مقرا للعلم، ومثابة للعلماء، والتفتنا يمنى أو يسرى، لوجدنا الكثير من المعالم

-
- (1) - هذا العالم الإمام الذي يعد من ضمن حملة العلم الخمسة، الذين ذهبوا للبصرة بعد قدوم سلمة بن سعد، في 140 هجري، إذ التحقوا هناك بمدرسة أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة، تلميذ الإمام جابر بن زيد الفراهيدي، وهم: عاصم السدراتي، وعبد الرحمن بن رستم، وإسماعيل بن درار الغدامسي وأبي الخطاب المعافري وأبو داود القبلي. رسالة سلم العامة والمبتدئين، مصدر سابق، ص 12.
 - (2) - ولا نستغرب في انتشار المدارس بالمنطقة، ولعل أنجح المدارس هي مدارس ابن درار الغدامسي، وعاصم السدراتي، وأبي داود القبلي. الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق. 59 / 3.
 - (3) - معجم أعلام الإباضية، جمعية التراث القرارة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 2000، 385 / 2، الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، 28 / 2.
 - (4) - نفس المصدر، ص 27.
 - (5) - المصدر نفسه / 29 / 2.

والأعلام، فأولهم هنا الإمام أبو عبد الله محمد بن جلداسن اللالوتي (6)، وأبو زكرياء يحيى بن سفيان اللالوتي (7)، الذي شهد له العلامة أبو العباس الدرجيني، بقوله: وكان حاكما عادلا، وعالما فضلا (1)، ومن أولئك نجد أبو زكرياء يحيى بن جرناز اللالوتي (2).

أما لو عدنا لبعض المساجد في نالوت، ومنهم ما يسمى بجامع شداد، فهذا المسجد تم تشييده في الثمانينات من القرن الماضي، من قبل أحد المتبرعين، ولخلو وتراجع العلم والعلماء في نالوت أخيرا، حتى أن وقعت في أخطاء قد لا تعتفر.

فهذا المسجد عندما انتهى من تشييده، وفكروا في تسميته، وكان يقابله وعلى أمتار من موقعه ضريح بجانبه، وما أكثر الأضرحة في الجبل، وكان ذلك الضريح مشهور بشداد، ودون التحقق من هو شداد هذا، وربما حتى شداد بني عبس الجاهلي، تمت تسمية ذلك المسجد بمسجد شداد، وأنا شخصيا حاولت التحقق ومعرفة من هو شداد هذا الرجل (3)، وإذا به شداد الذي ينتمي لقصة يوسف وشداد التي كانت في منطقة القيروان المعروفة بـ "حرب الصفوف"، والمشهورة بحرب يوسف وشداد، وانتشرت كحرب أهلية امتدت لمعظم تراب ليبيا الحالية، فكيف يتم تسمية بيت من بيوت الله به، وصاحبه أي صاحب بناء المسجد متبرع بماله لله، وفي النهاية يفوز به هذا الرجل، الذي تسبب في حرب أهلية وليست شرعية، وتسبب في ادخال المنطقة في حرب ضروس، وهو مما يدل على تراجع نالوت عن العلم، وهو مما يوجب أخذ الحيطه والحذر في مثل هذا، ولكن وكما اسلفت فلا حياة

(6) - هذا الرجل الذي فيه من شكك في نجاسة طين الطريق، ولا يجوز الصلاة بما أصابه شيء من ذلك، فقد كان يوما في شروس وبصفته هو حاكم الجبل، وقد نزل مطرا غزيرا، فذهب إلى المسجد، ومشى بخفيه حتى دخل المسجد، وصلى بالناس، ليزيل من أفكار الموسعين المتشددين ما يظنونه نجسا مما يتطاير من ماء المطر في الشوارع. الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، 2 / 177.

(7) - من العلماء الأجلاء، وله موقف في حق الضيافة، إذ في مرة من المرات، زارته مجموعة من الضيوف، فقدم لهم الكثير من اللحم وقليل من الطعام، فأعترض لهم بضيق الحال، وزاروه مرة أخرى فأكثر لهم الطعام وقدم لهم زيتا، ولم يقدم لهم لحما، ولم يعتذر، فقيل له في ذلك، فقال لا تقصير مع الطعام والزيت. الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، 2 / 176.

(1) - الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، 2 / 173.

(2) - فقيه نفوسي من علماء غار أمجماج بجزيرة، وهو أحد مؤلفي موسوعة ديوان الأشياخ في الفقه الإباضي. أبو العباس أحمد بن عبد الواحد الشماخي، كتاب السير، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى، 2009، 3 / 932.

(3) - فكل ما فقتنت في كتب التاريخ والسير الإباضية، لم أعثر فيها على اسم شداد إطلاقا، حتى أن يكون عالما وتسمى بيوت الله باسمه، وإذا في يوم وجنت شداد هذا، ومن خلال ما اثبتته الباحثة عمر بغني وهو من جادو وهو من باحثي مركز الجهاد، إذ كتب عن موضوع حرب الصفوف، التي كانت بين صفيين وقعت بينهما حربا أهلية، امتدت إلى كثير من المناطق في ليبيا الحالية، بعد تركت أثارها السيئة في تونس، وهم أي صف يوف، وصف شداد، وشدادا هذا عندما فشل في الحرب، اختفى وهرب من المنطقة، وأنى لنالوت، وبقي فيها متخفيا حتى أن مات، وأخذ قبره ضريحا، وهو المعنى في هذا المسجد، واثر ذلك خاطبت الأوقاف في نالوت بالخصوص، ولكن فلا حياة لمن تتأدي وبقي المسجد يحمل ذلك الاسم، وسيحمل وزره من كان سببا في تسميته بهذا الاسم، ويمكن العودة لقصة الصفوف بأكملها في مجلة الشهيد، الصادر عن مركز الجهاد، العدد الرابع، 1983م ص 91.

لمن تتادي (4).

الفصل الثاني: وهو فيما يخص جامع أولاد يحيى، ومنارة اللوح المحفوظ وما يتبع ذلك.

المبحث الأول: وهو فيما يخص المعلمان المذكوران، كنموذج في عنوان هذه المداخلة، وربما الأمانة التاريخية تفرض علينا، ذكر أو الإشارة لبعض المعالم الموجودة في نالوت حتى تعم الفائدة، وهي قديمة قدم تاريخ هذه المدينة العريقة (5)، ومنها جامع سيدي خليفة، وجامع العساكرة، وربما نعرّج على ما يسمى بجامع شداد السالف الذكر الذي سبى بسبب تسميته لنالوت وتاريخها، الذي تم تشييده في الثمانينات من القرن الماضي، وتم تسميته بذلك الاسم، ونظرا لما جاء في النقطة الثالثة، من نقاط أهداف هذا المؤتمر، القائلة: "التعريف بأهم الشواهد التي تدل على مسيرة انتشار الإسلام في مدن ومناطق ليبيا"، إذ من الواجب سنعرّج على بعض المعالم أو الأعلام التي في نالوت، والتي هي من بين المنطقة المستهدفة في هذا المؤتمر، مثل الشيخ جلداسن، ويحيى بن جرناز، ويحيى بن سفيان اللالوتي، وربما حتى خليفة الصوي.

وعود على بد فقد نرجع للنقطة الثالثة من نقاط الأهداف الخاصة بالمؤتمر، حيث التعريف بأهم الشواهد التي تدل على مسيرة الإسلام، وهذا يفرض علينا أن نقف على بعض الأعلام كالتيمجاري (1) الذي استطاع بحنكته أن يُدخل الإسلام إلى غانة أي مالي الحالية، وغيرها من المناطق المجاورة (2).

فهذا المسجد وهو مسجد أولاد يحيى بنالوت، يعد من ضمن أقدم ثلاثة مساجد كانت ولا زالت تقاوم وتصارع عاديات الزمن وعواهنه في نالوت.

فالأول في هذه المساجد وهو ما يعرف بجامع "تيندار"، واسمه عبارة عن درجة للاسم الأصلي الأمازيغي: تين

(4) - فرغم ذهابي لما يسمى بالأوقاف بنالوت وإفهامهم، إلا أنهم كانوا دون المستوى.

(5) - ونظرا لقدم هذه المدينة فتذكر بعض المصادر أن الرومان عندما قدموا لنالوت في القرن الثاني الميلادي، وجدوا قصر نالوت التاريخي قائما، فرفعوا عليه رأيتهم، حتى أن أقاموا قلعتهم المعروفة بنالوت، والتي أزالها تركيا حيث أقامت قلعتها التي أزيلت في السبعينيات من القرن الماضي، وهو كما سيتم توضيحه فيما هو قادم من هذه المشاركة، ولا يزال جزءا من سهرنج أو خزان مياه وهو أرضي، لا يزال باقيا من تلك القلعة وهو ملاصق للمقبرة التي في الموقع، أي قبل أن يقيموا الرومان خطهم الدفاعي، الذي يمتد من جنوب قابس بتونس، وحتى منطقة بونجيم بسرت في ليبيا الحالية، المعروف بخط "اليمتس".

(1) — علي بن يخلف بن يخلف الدرجيني التيميغاري أبو الحسن، من أعلام درجين ببلاد الجريد جنوب تونس، جد أبي العباس أحمد الدرجيني، صاحب كتاب "طبقات المشايخ بالمغرب"، كان من كبار التجار إلى بلاد السودان، الغربي، وصل إلى مالي وغانة.

هو السبب في هداية ملك مالي إلى الأسلام سنة 575هـ 1179م نظرا لعلمه وفقهه. معجم أعلام الإباضية، 295 / 2.

(2) — ولطول القصة وما فيها من تفاصيل، فنعتذر عن عرضها، ونحيل القارئ الكريم على المصدرين، وهما رسالة سلم العامة والمبتدئين، وطبقات المشايخ بالمغرب للدرجيني، وهما مصدران سابقان، الأول في ص 30، والثاني في 517 / 2.

أدرار؛ أي جامع أو مسجد الجبل.

وهناك قولان فيما يخص أسبقية وجود نالوت أو لالوت التاريخي، فحسب رأي أو قول الأستاذ الدكتور عبدالله شيبوب وهو من نالوت، وهو من مختصي التاريخ القديم، ونظرا لتخصصه في التاريخ القديم واللغة اللاتينية، ودرجته العلمية والأكاديمية، أن ترأس مصلحة الآثار الليبية، عندما كانت ليبيا تضع الرجل المناسب في المكان المناسب. إذ سبق وأن ذكر أن موقع نالوت الأول، هو الواقع برأس الجبل المنعوت برأس بن عسكر شمال شرق نالوت، وهو يقع مقابل نالوت الحالية؛ أي شمال شرق نالوت الحالية، وعلى مسافة 3 كم جوا، وهو منذ العصر الحجري، والمعروف بقصر الدروج وأثاره لا زالت موجودة وقائمة (3).

(3) — وذلك ربما لبعده أو لصعوبة الوصول إليه، لأن بناء هذه القرية التاريخية، وكما ذكر د. عبدالله شيبوب، أن القرى القديمة لا بد وأن تكون في المرتفعات وقمم الجبال، لسببين:
الأول أن تنجو من الحيوانات الخطيرة، وفلا فهذه القرية لا تبعد أكثر من كليومترين من موقع وجود عظام ديناسور لالوت، الأكل للحوم، الذي اكتشف عظامه، من قبل مسعود المشايخ، في أحد مواضع السليكون "القرّة"، وذلك في الثمانينات من القرن الماضي، وهو لا يبعد سوى عشرات الأمتار عن مقام الشيخ أبو زكرياء يحيى بن سفيان اللالوتي.
وحسب ما سمعت وأنا أكتب في هذا البحث، إذ جاء في إحدى الفتوات، أن قضية الديناصورات لها أكثر 4 ملايين سنة، وهو رقم مذهل ولا يقبل هكذا.

وهو ما جعل هذه القرية تنجو من مخربي تاريخ نالوت، الذين منهم أحمد علي عسكر بصفتة عميدا لبلدية نالوت في السبعينيات من القرن الماضي، وخليفة علي الجربي، بصفتة مساح معه، وللتاريخ فحتى قصر نالوت التاريخي وبقية المدينة القديمة بنالوت، لم تبق حتى هذا اليوم، إلا بسبب عدم حصولهم على آلة الهدم المناسبة، وإلا أصبحت من ذلك اليوم في خبر كان.

فقد مسحوا مباني كثيرة كانت قائمة وفي حالة جيدة وهي تاريخية، وهي من العهد التركي والإيطالي، منها المبنى المعروف في نالوت بمبنى البورج، وحتى إيطاليا عندما أتت لنالوت في 1913، ووجدت هذا المبنى، فلم تقم بإزالته، بل صينته وبقي هو وبقية المباني، حتى أن أتى بن عسكر والجربي وفلا في نالوت، ما فعلته إسرائيل في قطاع غزة في 2023. 2024.
وشتانا بين التاريخين والنتائج، فالثوار في غزة في هذه الحرب ألا متكافئة، نجدهم وفي كل يوم يقدمون ما يدهش الصهاينة، بل ما يجعلهم في وضع خطير لا يمكن التنبؤ به، بسبب خطورة هندسة تلك العمليات الفدائية التي تفوق قوة السلاح الإسرائيلي الأمريكي بل الغربي الصليبي، الذي تاه بين ما يجري في غزة والضفة الغربية، وانتشرت شرارتها إلى اليمن والعراق وسوريا وغيرها من مواقع الشجعان رغم إمكانياتهم الإمبريالية التي أصبحت مذهولة بل أصيبت بالإغماء والغيوبة السياسية المفرطة، وفي هذا اليوم المبارك ونحن في يوم الخميس الثاني عشر من شعبا 1445 هـ الموافق 22. 2. 2024، نجد فيهم الأبطال الذين قاموا بتلك العملية البطولية، في إحدى ضواحي مدينة القدس الجريح، وأنا أعتبر هذا التاريخ وهو 22. 2. 2024، هو بمثابة عملية 7 أكتوبر 2023 جديدة. إذ قُتل جندي صهيوني وجرح ثمانية مجرمين من مجرمي الجيش الإسرائيلي الفاشي، ثلاثة منهم في طريقهم للموت، من قبل الأبطال الثلاثة الذين استشهدوا بعد اتمام مهامهم البطولية والمشرفة، للذين منهم الجواهري وأحمد الوحشي، والغرب والمسلمون يتفجرون من أمام الشاشات وهم كالحریم، بل فيهم ومن في الخفاء، يدعم الصهاينة، والأيام حبال بأخبار المنورطين والخائنين، وأخبر الجميع أن رمضان القادم وبإذن الله تعالى، سيكون ساخنا سخونة جهنم، والقدس تحديدا ستسجل في رمضان القادم، بطولات ستجأ بها التاريخ.

ولا أجد هنا وأنا وفي هذا اليوم الخميس 22. 2. 2024، ما أواسي به بل ما أهني به تلك الأمهات الفلسطينيات الفضليات، اللاتي دخلن التاريخ من أوسع أبوابه، وهو باب الجهاد، وضمن الجنة إن شاء الله تعالى، بسبب انجابهن لهؤلاء الأشاوس الأبطال الشجعان القادمون من بيت لحم لانقاذ قدسهم، وهم عالمون بنهائيتهم النبيلة والشريفة، إلا ما قاله الدكتور المفقود عمرو خليفة النامي وهو أحد علماء نالوت التي نتحدث عنها، والذي إن سمحت الظروف سنعرج عليه، إذ نجده وهو يخاطب كل الأمهات الشريفات المكلمات في أبنائهن ومنذ 1967 قانلا:

أماه لا تجزي عي فالحافظ الله * * * * * وهو الكفيل بما في الغيب أمه

أما القولان فهما:

الأول يقول أن نالوت الأولى هي التي تقع في سفح الجبل، والمجاورة لجامع تيندار المجاور لغابة تالا، والدليل على ذلك وجود شرقي هذا المسجد ومن الناحية الشرقية، ما يعرف باب السلام، أي ما يدل أن سبق الإسلام في هذا الموقع، وفيه قصر الحدادة أو الحدادين، وهو قصر قديم وبقاياه موجودة، بالقرب من معسكر غابة أدبير الذي شيده إيطاليا في العشرينيات من القرن الماضي، وهو لا يزال قائما.

الثاني يقول بأن نالوت الأولى هي التي يقع فيها مبنى قصر نالوت التاريخي.

الذي فيه من يقول قديم قدم التاريخ، ولا يوجد له مثل حسب قول المختصين إلا في اليونان(1).

وفي هذا الموقع نجد المسجدين الباقيين مما ذكرناهم، أن تلك المساجد الثلاثة هي من أقدم المساجد بنالوت، فالأول وهو المسجد المعروف بجامع الأعلى (2)، تميزه عن المسجد السفلي وهو جامع تيندار السالف الذكر.

وقصة تشيّد أو سبب إقامة هذا المسجد، وهو مسجد أولاد يحيى، الذي في واقعه لا يبعد عن الجامع الأعلى، السابق له والواقع شمال قصر نالوت التاريخي، إلا بثمانين مترا تقريبا.

هو أن جد عائلة أولاد يحيى، وهذه العائلة تُعد من أعرق وأقدم سكان، لالوت أو نالوت (3).

أماه لا تجزعي فالحافظ الله * * * * * إنا سلكننا طريقا قد خبرناه

أما السبب الثاني الذي ذكره د. شبيب في سبب اختيار المرتفعات في المدن القديمة، هو الخوف من الأرواح الشريرة أي خوفا من الجن اعتقادا منهم أن الجن لا يسكن المرتفعات بسبب الرياح.

لأن نالوت وقبل السبعينيات كانت مدينة حضارية، لأن تخطيطها وبناءها كان من قبل الطليان، ولأهميتها للقوات الإيطالية بسبب خوفها من فرنسا التي توجد في تونس والجزائر، فاتخذت المقر الثاني بعد طرابلس لموقعها الاستراتيجي، ونجد فيها الكهرباء وشبكة المياه، منذ العشرينيات من القرن الماضي، وذلك كان للطليان وليس لأبناء نالوت وهذا للتاريخ. سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني، عمرو النامي مسيرة عطاء، مكتبة الأنفال مسقط، الطبعة الأولى 2008، ص 282.

(1) — والحديث هنا على أساسات القصر الذي وحسب التحليل الكربوني، يفيد أنه أبعد من 2700 عام، وليس على المبنى القائم حاليا، فهذا يعد من الترميمات المتكررة، كالتالي أجريت أخيرا في 2023، وهو مما يعد تشويها لمعالم نالوت التاريخية، وأنا شخصيا أقتت شكوى في ذلك الترميم ومن قام به عند الجهات المختصة في طرابلس.

(2) - فهذا المسجد وحسب وضعه يجعلني أصدق ما ذهب إليه وما قاله لي الأستاذ علي سعيد قائم، وهو زميل كنا معا في كلية الفنون بجامعة طرابلس، وهو مختص في مجال النحت والتاريخ القديم كذلك، إذ كان من خريجي جامعات إيطاليا القدامى، إذ قال أن هذا المسجد كان في الأصل ونظرا للنقوش التي على جدرانه عبارة عن كنيسة، وما يؤيد هذا الرأي، أنه مربع الشكل ومتجه للشرق وليس للقبلة، كما هو الحال بالنسبة لمساجد نالوت، مع قدمه.

(3) - وقصة لالوت أو نالوت، فنالوت اسمها القديم هو لالوت وليس نالوت بالنون، حتى أن أتى الاستعمار التركي، فكان يصعب عليهم نطق لالوت باعتبار أن فيه لامين، وهو مما يلتبس عليهم في النطق، فأزالوا اللام الأولى وجعلوا في محله النون، فأصبحت منذ ذلك اليوم نالوت وليس لالوت، وهم الحكام كما في أيامنا هذه، فمن في طرابلس الآن لا يتخذ ولا يتحول قيد أنملة،

والدليل على ذلك هي مواقع تواجد البيوتات القديمة، في المدينة القديمة والمجاورة لقصر نالوت التاريخي، والباقية على حالها حتى اليوم، فبداية الإعمار في بداية نالوت، كانت عبارة عن عدد قليل من البيوت التي توجد جنوب شرق القصر، الذين من بينهم بيت عائلة أولاد يحيى، الواقع جنوب مبنى القصر، ونالوت القديمة ومنازلهم معروفة، عائلة عائلة حتى نهاية السور القديم، وآخر من أتى قديما هم عائلة بن عسكر، الذين قدموا من جحيش بككلة، وهم خارج السور التاريخي، وهذا معروف بالنسبة لنالوت وحتى جامع العساكرة، فهو يقع خارج منطقة القصر، أي في الجهة الشمالية الغربية من نالوت التاريخية.

وسبب إنشاء مسجد أولاد يحيى معروف، ففي ذلك الوقت، وبسبب خصام أحد أهل نالوت في ذلك الحين، مع جد تلك العائلة ومن باب المكر، ذهب إلى طريق جد عائلة أولاد يحيى وهو كان بصيرا (1)، المتجه لجامع الأعلى، وكان يمر عبر خندق لا يمكن تجاوزه إلا عبر جسر من قطعة سنور النخيل، فأتى ومن باب المكيدة وقبل صلاة الفجر مباشرة، ونزع ذلك الجسر، وإذا بمجدهم قادما للمسجد وحسب العادة فهو يمر على ذلك الجسر وهو متعود أن هناك سنورة يعبر عليها ذلك النفق، وإذا به يهوي في ذلك النفق، بسبب نزع تلك السنورة فوقع وكُسر، فتحركت عائلته وأنشأت له مسجدا ملاصقا لبيته، وهو المسجد المعروف بمسجد أولاد يحيى، الذي لا يزال قائما جنوب غرب قصر نالوت، وهذا المسجد تمت صيانته من قبل أهله بعد الألفين، وهو قائم وله العديد من الأوقاف التي أوقفت عليه، وهذا هو المسجد الذي اتخذناه في هذه المشاركة كنموذج.

المبحث الثاني: وهو فيما يخص منارة اللوح المحفوظ التي اتخذناها كنموذج مع جامع أولاد يحيى السالف الذكر من هذه الورقة، وهو كاستجابة لما نادى به هذا المؤتمر.

ولفظة المنارات يبذوا أنها غابت عن ذهن اللجنة العلمية، لهذا المؤتمر العلمي المبارك (2)، الذي سيقام في المدينة الخالدة مدينة غدامس التاريخية، والتي أكيد لو سئلت عن تغييب دور المنارات العلمية في هذا الملتقى، لرفعت صوتها ونادت أين المنارات، التي وخاصة في السنين الأخيرة انتشرت ولعبت أدوارا في الألاف من الليبيين،

إلا بالرجوع لتركيما كما كنا في عهد الباب العالي. وحتى عبارة "الموت ولا نالوت" كان سببها تركي، إذ في عهدهم أوتي بشخص تركي يبذوا أنه كان مرفها، وفي فصل الشتاء الذي تصل فيه درجة الحرارة في نالوت، أحيانا تحت الصفر، فهي من المدن الثلاث وهي نالوت وغريان وشحات في الشرق، ويبذوا أنه لم يتخذ احتياطه في ذلك، كاد أن يموت بالبرد فقال الموت ولا نالوت فأصبحت مضربا منداولا شعبيا.

(1) - وللأمانة ونحن نتحدث عن المساجد أي عن الصلاة، فوقع هذه الشيخ الهرم وهو بصير ويعبر تلك الطريق في الليل أي عند صلاة الفجر، فهذا يدل على التزام ذلك الرجل بالصلاة مع الجماعة، وهو ما أكد عليه النبي صلى الله عليه وسلم، إذ سأله أحد الصحابة وكان بصيرا فقال للنبي صلى الله عليه وسلم، يا رسول الله أيجوز لي أن أصلي في البيت، فرد عليه صلى الله عليه وسلم قائلا أسمع النداء فقال نعم، فقال له فعليك بتلبية النداء.

(2) - ورغم هذا فسنعتبره سقط سهوا، فسبحان الله الذي لا يسهى .

الذين حفظوا كتاب الله، وساهموا في العديد من النجاحات والفوز في العديدة من تلك المسابقات القرآنية، التي كانت على مستوى العالم الإسلامي، وذلك من خلال فوزهم بالترتيب الأول، أمام العديد من الدول الإسلامية التي لا تمثل معها شيئاً، من حيث عدد سكان ليبيا؛ مقابل عدد سكان تلك الدول، كإندونيسيا ومصر وتركيا وغيرها.

والحصول على الترتيبات المشرفة لليبيا، خلال تلك المسابقات القرآنية التي عُقدت في كثير من عواصم العالم الإسلامي، رغم أنني لا أحفل بمن يفتخر بأن أكثر من مليون ليبي يحفظ القرآن الكريم، وهو ما نسبته واحد لسبعة بالنسبة لسكان ليبيا، عندما نشاهد تصرفاتنا ومعاملاتنا فيما بيننا وخاصة بعد 2011 (3).

ورغم ذلك فلا ننسى دور تلك المنارات التي ساهمت في نشر ثقافة القرآن وأغنت البلاد بالخطباء والفقهاء، إلى عهد قريب كنا عائلة على إخواننا في تونس ومصر، وهنا لا ننسى إلا أن نشكرهم (4)، وذلك ما جعلنا نعرِّج ونقحم باسم منارة اللوح المحفوظ في هذا الخضم، رغم قلة إمكانياتها وقلة عدد من التحقوا بها عند البداية.

فمنارة اللوح المحفوظ للعلوم الشرعية بنالوت، التي اتخذ اسمها ومن باب التيامن من قوله تعالى: { في لوح محفوظ } [البروج الآية 22]، وذلك تبركا بكتاب الله تعالى.

والتي انشئت في 2003م بقرار صادر من أمين اللجنة الشعبية لشعبية نالوت الصادر في 26. 8. 2003م وتحت رقم (390)، والمخاطب فيه أمين اللجنة الشعبية للتعليم والتكوين المهني بشعبية نالوت، إذ جاء في المادة الأولى منه: يؤذن بفتح ثانوية شرعية تحت اسم (منارة اللوح المحفوظ في العلوم الشرعية).

وفي المادة الثانية منه: تتولى الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية (1)، مهمة التفتيش والإشراف على المناهج والمقررات الدراسية بها.

(3) - رغم أنني لا أحفل بعدد الحفاظ، بقدر ما أراه من تصرفات مشيئة ومهينة للإسلام والمسلمين، وخاصة من قبل ذوي اللحي التي معظمها اتخذت من باب استغلال المظاهر وغش الناس ببعض ما ليس من الدين في شيء، وهي عبارة عن شعارات جوفاء ولا وجود للدين الأصيل في سلوكياتهم ومعاملاتهم، رغم تقصير الكثيرين في سراويلهم وإطالة شعرهم حتى التملة، ونسوا قول النبي صلى الله عليه وسلم القائل: "إن الله لا ينظر إلى أشكالكم وألوانكم وإنما ينظر إلى قلوبكم، ويقول وهو يشير إلى قلبه، قائلًا: ها هو الإيمان ها هنا"، أي في القلب، وقوله: "قصوا الشوارب وحفوا اللحي". وما كان الإسلام يوماً بالشكليات والمظاهر، وحتى حفظ القرآن رغم أنه مطلوب ومأجور عليه، إلا أنه لا معنى له ما لم يقترن بترجمته بالأفعال وحامل القرآن تجاوزه للحق فهو أظلم من الآخرين.

(4) - فالجميع يعلم أن الرعي الأول من علمائنا وفقهائنا، فهم من طلاب جامع الزيتونة والأزهر الشريف، وكما هو الحال حالياً فمعظم علماءنا ومسؤولينا فهم خريجي جامعات العالم ولا ضير في هذا.

(1) - باعتبارها هي الجهة المعنية والمنوطة بها كل ما يخص المنارات في ذلك الوقت وعلى مستوى ليبيا.

وفي المادة الثالثة منه: على الجهات المعنية تنفيذ هذا القرار ويعمل به من تاريخ صدوره. صدر بمدينة نالوت في 26. 8. 2003م.

وذلك بناء على خطاب الموافقة الصادر من أمين اللجنة الإدارية للجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية، بزلتين، الصادر بتاريخ 18. 3. 2003 وتحت رقم إشاري (ح س ع س 380 / ن).

وذلك استجابة للخطاب الوارد من أمين اللجنة الشعبية للمؤتمر الشعبي الأساسي نالوت، بخصوص فتح منارة اللوح المحفوظ للعلوم الشرعية بشعبية نالوت التي تمتد من غدامس وحتى الحراة.

وبناء على الرسالة الصادرة من اللجنة المذكورة والمؤرخة في 19. 2. 2003 وذات الرقم 425-1-2003م بشأن الحاجة إلى ثانوية شرعية بمنارة اللوح المحفوظ بشعبية نالوت (2).

وهذه القرارات وهذه الإجراءات قد سبقتها رحلات مكوكية، ممن تبنى الفكرة وسعى من أجلها وضحى في سبيلها، وذلك خدمة لكتاب الله، وللعلم، وللمنطقة، وهو ما ندعوا الله أن يجعله في ميزان حسناته، هو ومن ساعده في ذلك.

فبعد الحصول على قرار الإنشاء، الذي فيه من سعى لإيقافه، والعمل على تعطيله، وذلك لما يراه أن هذه المنارة ستسعى للقضاء على بعض المذاهب.

وهذه القرارات في واقعها عبارة عن حبر في ورق، لا تسمن ولا تغني من جوع، ما لم تترجم لواقع عملي.

ولكن من تبنى الفكرة وسعى للحصول على المقر، وهو من أصعب الخطوات التي كادت أن تفشلنا وتقضي على آمالنا.

ثم بعد ذلك سعينا في سبيل الحصول على المناهج، والكتب الخاصة بها، والجداول، وبقية الأثاث، وما يتبع ذلك من قرطاسية، وقد ضحى معنا مدير معهد المهن الشاملة بنالوت في ذلك الحين (3)، وخصص لنا قاعتان ومدخل خاص بالمنارة، وتولينا عملية التكيف والتغيير وإيجاد مدخل خاص بالمنارة (4)، واشترطوا علينا مديرا متفرغا رسميا، وعملنا على احضار من يتولى تدريس مادة القرآن الكريم، وهو أساس هذه المنارة ولا يوجد في

(2) - وكل هذه القرارات والمراسلات ستفرق منها صور ضوئية مع نص البحث للتأكيد عما جاء فيها وما مصداقيتها.

(3) - الدكتور محمد عمران.

(4) - وهو مبنى معهد المهن الشاملة المقابل لمبنى البريد في نالوت، وبابه الذي اختلقناه حينذاك، لا يزال قائما وشاهدا وكدليل حتى اليوم.

منطقة الجبل، وسخر الله أن أتينا بأحد الإخوة من مدينة زليتن، ومكانه بسكن هو وعائلته ومرتبته.

وعندما أتينا لمن يقوم بعملية التدريس، ونحن لدينا فصلين في مرحلة الثانوية، إذ نحتاج لأكثر من 12 مدرسا، حسب المواد والجداول المطلوبة(1).

وهنا سخر الله تعالى وبدأنا في الدراسة، قبل رمضان بأسبوع، بحوي 24 طالبا و24 طالبة.

وسخر الله لنا أن نبدأ بالإخوة الآتية أسماء، وهم كمدرسين:

الاسم	المادة
1- د. يوسف أبو اليزيد عبد الحميد	تفسير قرآني
2- د. عيسى امحمد البجاي	السيرة النبوية
3- أ. خالد جمعه برقيق	مصطلح الحديث
4- أ. جمعة مسعود زايد	عقيدة
5- أ. ربيعة يحمّد	الأدب
6- أ. سرور خليفة قانة	العروض
7- أ. أحمد سعيد الأسود	عقيدة
8- أ. مسعود عمرو النامي	أحكام التلاوة
9- أ. ماجدة محمد الجري	القرآن الكريم

ومعظمهم أي طلبتنا كان مستواهم في حفظ كتاب الله، في الربع الأخير من المصحف الكريم(2).

والأهم هنا أننا في العشر الأولى من رمضان الكريم، ونحن لا زلنا في الأسبوعين الأولين من بداية الدراسة في هذه المنارة، أبلغت بأن إدارة المنارات على مستوى ليبيا ومقرها في جامعة زليتن، لها سنويا ملتقى للمنارات ومسابقة قرآنية، تقام في عشرين من رمضان، وذلك في مقر الجامعة الأسمرية، وحضور ومشاركة منارة اللوح المحفوظ إجباري.

(1) — وهنا ومن باب النكتة، فأثبتت شخصيا لعضو التعليم في نالوت في ذلك الحين، وأخبرته أننا في حاجة لعدد من المدرسين، وهو مختص في الرياضة البدنية، فقال لي كم لديك من فصل فقلت له فصل للبنات وفصل للبنين، وكم عدد المواد فقلت له 11 في 2 = 24 حصة، فقال لي أنت في حاجة لعدد أربعة مدرسين، وحاولت اقتاعه بأننا لدينا 12 مادة وفي فصلين أحدهما للبنات والآخر للبنين، فلم يعي ولم يستوعب فقلت له هذا ليس بدوري رياضة يا أستاذ وتركته وذهبت في حالي.

(2) — ويمكن أن نعرض ذلك من ضمن مستندات إنشاء المنارة، وحسب كشوف امتحانات القبول، وفيها الأسماء مقرونة بما كان يحفظه الطالب أو الطالبة فيما هو سابق، ولا ننكر أن فيهم من وصل سورة النور وسورة التوبة.

وهنا ونظرا لأننا بدايتنا كانت جديدة، وإمكانياتنا محدودة، وتجربتنا لا زالت في المهد، إذ حاولت التملص والتوصل من هذه المهمة، الصعبة ومن جميع النواحي (3).

ولكن د. محمد كندي بصفته رئيسا للجامعة الأسمرية وهو صديق وكل التسهيلات كانت بأمره، قال لي وبالخرف الواحد. كل ما طلبته منا وفرناه لك، وعليك بإعداد من يحضر ويشارك (4).

وهنا لا أعرض الصعوبات التي واجهتني في ذلك، ولكن المهم أن تمكنا من الحضور والمشاركة بخمس طالبات وثلاثة طلبة، والمهم أن الطالبة التي قرأت آيات القرآن الكريم في الافتتاح الرسمي؛ وكان الحضور والضيوف حتى من خارج ليبيا، فهي من منارة اللوح المحفوظ بنالوت، وهو من باب التشريف والتشجيع بل والتكريم لهذه المنارة الفتية، واستمرت في مهمتها رغم بعض الصعوبات والمنغصات، إلى أن تم إلغاء هذا النظام في البلاد.

ومنذ ذلك التاريخ، حُلّت مشكلة وعقدة القراءة، والحفاظ، والخطباء في نالوت، وكانت هي الأولى في شعبية نالوت التي كانت تمتد من الحراية وحتى غدامس وليس لنا إلا أن نحمد الله الذي سخرننا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ووفقنا لخدمة كتابه العزيز والعلم، وبدون مقابل ولا رياء ولا مطامع إن شاء الله، سوى ما نطمع فيه من عنده وهو نعم الناعمين ونعم المجزين والفضل لله وحده.

أما لو عدنا لعنوان هذا المؤتمر الذي جاء فيه: "ومدن شمال وغرب إفريقيا" وتوسعنا قليلا أي تجاوزنا منطقة جامع أولاد يحيى ومنارة اللوح المحفوظ، بل قفزنا أبعد من مدينة غدامس التي سينعقد فيها المؤتمر المنشود، وتحديدًا لوادى ميزاب، لوجدنا أهلا ومدارس بل ومعاهد عريقة، قد لعبت أدوارا ونجد لها بصمات مشرقة ومشرقة ولوقفنا على أعلام وعلماء أجلاء فضلاء، لا هم لهم سوى مصلحة الدين والوطن، وتأسيس الأجيال على العلم والخلق الطيب، وهو ما سنعرج عليه في المبحث الثالث والقادم من هذا الفصل.

المبحث الثالث: وهو سيكون بإذن الله تعالى، فيما يُعرف بمعهد الحياة بالقرارة، التي تعد جغرافيا من ضمن محيط

(3) - وتهربت وتعللت بأن هناك منارات عديدة ولها باع، كالتي في مسلاتة وزليتن ومصراتة، وفي الشرق والجنوب وطلابها بالآلاف، ولهم مختصين في التلاوة والتجويد، ونحن في منارة اللوح المحفوظ لا زلنا في بداية الطريق، ولكن ذلك لم يعفينا من هذا الشرف الذي نلناه والحمد لله.

(4) — وهنا ونحن في نالوت ذكرني بموقف حدث لي وله في ذلك الوقت، أكثر من عشرين عاما، وهو أنني كنت مستضيفا لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بأكمله، التابع لكلية التربية بجامعة طرابلس في ذلك الحين أي في 1983، واتممت الإجراءات وفعلا قد تمت الزيارة والاستضافة والحمد لله، ولكن الموقف الذي أقصده هنا، هو أن رئيس القسم في ذلك الحين كان الأستاذ عبدالله الهوني رحمه الله،

فقبل يوم من الرحلة أو الاستضافة تحدثت معه في الحضور والأساتذة، فقلت له وأنت فقال لي يا شيخ عيسى، أنت قمت بالواجب وبارك الله فيك وما دام وأنت استضيفت القسم كأنك استضيفتني، ولكن أنا لا يمكن أن أذهب لنالوت والرجل في السجن، ويقصد صديقه د. عمرو النامي وكان في ذلك الوقت في السجن، وهنا لم أعلق وانسحبت وتمت الرحلة بسلام والحمد لله.

هذا المؤتمر، الذي شمل وحسب أهدافه كل من ليبيا وشمال وغرب إفريقيا.

فهذا المعهد يعد من ضمن الكتابات والمدارس القرآنية، التي نشأت في ربوع هذه المنطقة، المستهدفة في أهداف ومحاور هذا المؤتمر، الذي نسعى من أجله ومن أجل إعطائه حقه العلمي وحتى الديني، فالإسلام حسب مبادئه الخالدة والسامية جعل حقا للجيران، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: [ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثني] حديث مشهور.

ونحن لو قسنا المسافة بين مدينة غدامس التاريخية والجميلة، التي سينعقد فيها هذا المؤتمر، الساعي للحفاظ على المساجد والمدارس والمعاهد والكتاتيب وحتى المنارات العلمية والقرآنية، ومدينة سرت التي ذكرناها عندما عرّجنا فيما سبق على عمرو بن يمكن النفوسي، الذي وكما أسلفنا أنه كان أول من تعلم القرآن من السابلة في سرت، وأول من فتح مدرسة قرآنية في جبل نفوسة. لوجدنا القرارة الواقعة في وادي ميزاب - الواقع غرب غدامس - الذي انشئت فيه في البداية تلك المدرسة أو تلك الكتابات، التي حوّلها الشيخ محمد بن يوسف اطفيش في 1917م إلى مدرسة، والتي طورها الشيخ بيوض منذ أكثر من قرن مضى، أي في 1925م إلى ما أصبح يعرف فيما بعد بـ "معهد الحياة بالقرارة"، هذا المعهد الذي أصبح في عطائه وعلومه وتخصصاته، أجمع بكثير من الجامعات الحديثة، التي يلهث العديد منا للالتحاق بها وبمدراجاتها، والكثير منا لا يعترف إلا بمثل تلك الجامعات، وما تمنحه من شهادت؛ كالصربون، واكسفورد، وجورج واشنطن، وميشغن وغيرها، التي ومع كل أسف، فالكثير من شبابنا الذي التحق بمثل تلك الجامعات، فقد حاد وانحرف، وذلك بسبب الجو الذي فوجئ به، واصطدم به الكثيرون من طلابنا، الذين وفي لحظة وجدوا أنفسهم في جو أو في طقس اجتماعي غريب عنهم، وعن بيئتهم التي ترعرعوا وتربوا فيها(1)، وهو مما لم يروه في السابق، ولم يعايشوه في الماضي، وإذا بهم يجدون أنفسهم، في جو غربي مفرط، بالخلاعة والمجون وما إلى ذلك من الهموم(2)(3).

فالمعهد المقصود والمنشود هنا؛ هو معهد الحياة بالقرارة، هذا المعهد الذي ومن هذا المؤتمر ومن خلال منبركم هذا، أذعوهم للاستعداد لإحياء الذكرى المئوية على إنشائه، أو تحويره وتحديثه هو ومناهجه، إذ أصبح يُعرف

(1) - فكيف يتعامل شباب في مقتبل العمر، كما في تمزقيدة بجامع سيدي خليفة، ليجد في لحظة نفسه في روما وما فيها من

(2) - أتذكر في السبعينيات من القرن الماضي، ولنا زميل دراسة في نالوت، أرسله والده لدراسة الطب في إيطاليا في ذلك الوقت، وفعلا فقد تخرج طبيبا وكان في مستشفى نالوت، وهو يحكي عن مغامراته، إذ يذكر وهو في كلية الطب في روما، التي يدرس فيها، أنك تأتي لسريرك فتجد فتاة لا تتجاوز العشرين من العمر وهي تنتظرك، ونتيجة لذلك فحتى عندما عاد لنالوت، فلا يخجل من أن يأخذ إحدى الأجنبيات اللاتي في المستشفى، ويخرج بها أمام الملأ نحو مزرعتهم، وتلك هي الحضارة وذلك هو العلم، الذي يسعى إليه الغرب ليونشنتنا عليه وعلى أجوانه الهدامة.

(3) - إليه.

فيما بعد بـ "معهد الحياة بالقرارة"، وذلك بحلول 2025م القادم إن شاء الله.

فهذا المعهد لم يناد ولم يسع في انشائه، لا مبعوث المعهد ومدير المدرسة العليا للآداب بالجزائر العاصمة، "روني باسي" الفرنسي الجنسية، والمقيم في القرن الماضي في الجزائر، أي في فترة الاستعمار الفرنسي، وصاحب كتاب أضرحة جبل نفوسة، الذي حققه المتحدث في 2017 خلال إجازته العلمية، بعد حصوله على درجة أستاذ مشارك، إذ حوّر عنوانه وذلك نظرا لمحتواه، إلى "مشاهد جبل نفوسة ومعلمه"، وهو تحت الطبع (4).

ولا الجهات الرسمية في الجزائر، لأن في تلك الفترة لم توجد بعد. وإنما من أنشأوه فهم ثلثة من تلاميذ ما يعرف بـ "نظام العزابة"، الذي لا توجد وصفته إلا عند الأباضية، وتحديدًا من مختصي وادي ميزاب، وتحديدًا ومن أبناء أقدم قراهم السبع، وهي مدينة العطف الزاهرة، رغم أن المخترع والمنشئ لهذه الوصفة أو هذه التركيبة الفاعلة والنادرة، هو أصيل جبل نفوسة، إنه العلامة الإمام الكبير والخبير الفذ أبو عبد الله محمد بن بكر (5) في أواخر القرن الرابع الهجري (6). والاسم العلمي لهذه الوصفة والعلامة التجارية هي "نظام العزابة" (7).

فهذا النظام التربوي الفاعل وهذه النظرية التربوية الناجعة (8)، التي تم اختراعها في أواخر القرن الرابع الهجري، فذلك ما نشأ لنا ثلثة، لم تذهب لا للبتناقون الأمريكية، ولا إلى مراض الشيعوية في موسكو، ولا لكنسية القيامة وما يجري في دهاليزها المظلمة (1)، وإنما وعبر ذلك النظام العزابي التربوي الصارم، الذي يحفظ وبأمان خلق

(4) - يمكن العودة للمصدر المذكور، أي إلى ص 8 منه في النسخة المرقونة.

(5) - وهو المقصود في البيت التالي:

لولا ابن بكر ما تأسس شعبنا * * * * * ميزاب إذ سرنا به بسداد

هذا البيت الذي سطره أبي اليقظان إبراهيم شيخ الصحافة الجزائرية في رسالة، أرسلها للدكتور عمرو النامي، كانت

1964، وهي بعنوان: لولا نفوسة ما كان وادي ميزاب، حيث كان مظهرها:

النيل فاض على الربا والوادي * * * * * فأعجب بواد منعش بالوادي

يا ناميا جددت عهدا صوحت * * * * * أعشابه ففتمت بزهر وداد

عمرو النامي مسيرة عطاء... في درب الخير، مصدر سابق، ص 261.

(6) - الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، 1/107.

(7) - وقد عرفه الشيخ علي معمر في قوله: "العزابة هيئة محدودة العدد، تمثل خيرة أهل البلد علما وصلاحا، وهذه الهيئة تقوم بالإشراف على شؤون المجتمع الإباضي، الشؤون الدينية والشؤون التعليمية، والشؤون الاجتماعية، والشؤون السياسية".

الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، الطبعة الثالثة 2008، ص 79.

(8) - فهذه النظرية التربوية، يجب أن يشاد، بها وتنشر على الملاك كبقية النظريات التي نراها في الغرب، فنظرية فتاغورس أو إكتشفل "اديسون"، أو غيرهما من الاختراعات، فلو لم نأخذ بها لتأخرنا حينًا من الوقت ويتم اللحاق، كما هو عليه الحال الآن في بقية العالم، ولكن لو فقدنا ديننا فيعني ذلك هلاك هويتنا التي تحفظ وحدتنا وخصوصيتنا، كما تحفظ قوة الجذب في الخليقة النووية عناصرها، وغيرها من المؤثرات.

(1) - وأقصد بالدهاليز المظلمة، فكل الكنائس ومن فيها من قساوسة، فهم متهمون باللوادة، بسبب منعهم من الزواج، وهو سنة الله في خلقه.

ودين المسلم الملتزم، بأحكام دينه وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم (2).

ومن هؤلاء الجهادة الذين تم تأسيسهم، وبالتالي أصبحوا جنودا مجهولين، وضحووا بالغالي والرخيص؛ وشعارهم المرفوع، والذي يسري على الجميع وبدون استثناء، هو: "مصلحة الجميع قبل مصلحة الفرد" (3).

ومن ساهموا وضحووا في سبيل تأسيس وبناء هذا المعهد، الذي افتتح وتم تدشينه في يوم الجمعة 21 مايو 1925، إن لم تخني الذاكرة نجد: شيخهم ومعلمهم الأول الشيخ العلامة احمد بن يوسف اطفيش، والشيخ الحاج عمر بن يحيى، والحاج عمر بن الحاج مسعود، والشيخ الحاج موسى بن أحمد، والعلامة الجليل الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض - فهو الذي يعتبر مؤسس هذا المعهد في ثوبه الجديد وحامل لوائه، بعد تحديته هو ومناهجه، إذ كان من تاريخ إنشائه في 1925 وحتى 1954 ينعت بمعهد الشباب، ثم بعد هذا التاريخ أصبح معروفا بـ "معهد الحياة" - والشيخ محمد بن إبراهيم الطرابلسي (4)، والشيخ شريفي عدون (5)، وغيرهم.

وبعد هذا التطوير أصبح يستقبل طلبة من خارج الوطن الجزائري، كتونس وليبيا وعمان، ومن طلبته النجباء، كان التلميذ والمدرس الشيخ علي يحيى معمر، هذا الرجل الذي أصبح علامة وأحد الجهادة الذين يشار إليهم بالبنان، وهو صاحب نظرية "المعرفة والتعارف والاعتراف" (6).

أما لو وقفنا على الجانب المضيء لهذا المعهد وأقصد معهد الحياة، لوجدناه شمساً ساطعه على كل المنطقة، ففي ربوع الجزائر نجده وبخريجه وأساتذته إذ نشر أفضاله في كل حذب وصوب من موظفين وأساتذة وصحفيين

(2) - ويمكن الرجوع لهذا النظام من خلال ما سطره الأستاذ صالح السماوي، في أطروحته الموسومة بـ "العزابة"، الذي نقتبس شيئاً مما قدم له من تولى نظارة معهد الحياة، منذ إنشائه في 1925 وحتى وفاته رحمه الله تعالى في 2004، الشيخ عدون، الذي مما جاء في تقديمه لهذا الكتاب: "فإن موضوع (العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب) طريف لا يوجد مثيله في العالم أبداً.. لذا يصبح مصدراً مهماً لكل متعاطش، ولجميع المؤرخين والباحثين والكتاب والمتطلعين، فينبير دريهم.. فضلاً عن متعاطشي البحث والدراسة من غير المسلمين، ولعلماء الاجتماع المختصين المنصفين وغيرهم.. الموضوع حيوي وحساس يصلح لكل زمان ومكان، لأنه مستمد بطرق منهجية علمية من القرآن والسنة، وما يستنبطه منهما أولوا العلم بتفكير إسلامي صادق ونزيه.. وهما من أهم مستندات نظام العزابة.. منذ نشوئها سنة 409 هـ.. فقد وجد رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوه تبديلاً". المصدر المذكور ص 5.

(3) - هذا المعهد الذي أسس لنا في الأربيعيات من القرن الماضي، الشيخ علي يحيى معمر صاحب القاعدة القائل فيها: "إنما تتحطم المذهبية بـ: المعرفة والتعارف والاعتراف..". المصدر السابق، ص 5، ومعجم أعلام الإباضية، 1/ 12.

(4) - هذا المعهد الذي أسس لنا في الأربيعيات من القرن الماضي، الشيخ علي يحيى معمر صاحب القاعدة القائل فيها: "إنما تتحطم المذهبية بـ: المعرفة والتعارف والاعتراف..". المصدر السابق، ص 5، ومعجم أعلام الإباضية، 1/ 12.

(5) - هذا الرجل الذي يعد من مؤسسي المعهد؛ وأصبح ناظره وحتى وفاته، وقد امتد به العمر رحمه الله، إلى 2004، وشاء القدر أن ألقبه في القرارة في رمضان 1999، ويمكن أن نرجع فيما يخص الشيخ عدون وما قام به في المعهد، إلى كتاب الشيخ عدون بأقلام أصدقائه وأبنائه، للدكتور محمد بن قاسم ناصر بوحجام، جمعية القرارة بغرداية، 2009، ص 46 وما بعدها.

(6) - ويمكن العودة للنظرية بأكملها في كتاب "مشاهد جبل نفوسة ومعالمه"، بقلم روني باسي، تحقيق المتحدث، وهو تحت الطبع، ص 5.

وغيرهم من العلماء المؤصلين، أما في شمال إفريقيا فقد تشبعت مؤسساته بمن نحلوا من معينه، ونجدهم في الشرق حتى عُمان ونجبار وغيرهما، أما رواه وخريجه فقد فاقوا في أعدادهم ومهامهم القرويين والزيتونيين والأزهريين وغيرهم، وذلك يرجع للتضحيات والإخلاص في النيات، والوفاء بالعهود والمهمات، والأخذ بمبادئ الدين الأصيل، ومن يتوكل عليه فلن يخذل ولن يخيب، وذلكم هو معهد الحياة الذي دوى بصرخاته البناء في وادي ميزاب، وبعث فيه الأمل والحياة من جديد، فيا رب اجمعنا بأهله في بني يزجن ومحبيه.

وإلى هنا نكتفي فيما يخص هذا الموضوع، وعلى الله التوفيق الكمال.

المصادر والمراجع:

- .المصحف الشريف.
- .الإباضية في موكب التاريخ، الشيخ علي يحيي معمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى 1964.
- .الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، القسم الثاني، سليمان بن عبدالله الباروني باشا، الطبعة الثالثة، 2002.
- .الشيخ عدون بأقلام أصدقائه وأبنائه، د. محمد بن قاسم بوحجام، نشر جمعية التراث، غرداية، 2009.
- .العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، صالح بن عمر اسماوي، مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر، الطبعة الأولى 2008.
- "، تونس 2013. IMS Pius. تاريخ إباضية تمازغا، د. محمد سعد الشيباني، طبعة "
- . رسالة سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين، الشيخ عبدالله بن يحيي الباروني النفوسي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع مسقط، الطبعة الأولى 1992.
- . عمرو النامي مسيرة عطاء في درب الخير، سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني، مكتبة الأنفال، عُمان، الطبعة الأولى 2000.
- .كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، سليمان عبدالله الباروني النفوسي، دار بوسلامة للطباعة، تونس.

.كتاب السير، أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي، تحقيق د. محمد حسن، دار المدار الإسلامي، 2009.

.كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، الشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، تحقيق د. إبراهيم طلاي.
.مجلة الشهيد، مركز دراسة جهاد الليبيين ..، العدد الرابع 1983.

.مشاهد جبل نفوسة ومعالمه، تأليف روني باسي، تحقيق، د. عيسى امحمد البجاحي، نسخة مرقونة تحت الطبع.

.معجم أعلام الإباضية، قسم الغرب الإسلامي، جمعية التراث، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الطبعة الثانية 2000.

.نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركو، محمد علي دبوز، المطبعة العربية، الجزائر، الطبعة الأولى 1969.

.نسخة من صور المراسلات الرسمية الخاصة بإنشاء المنارة.

الحماية التشريعية والقانونية للآثار والتراث الحضاري في ليبيا

عبدالسميع بلعيد محمد العجرام

قسم الشريعة والقانون، كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية - زليتن/ ليبيا

(العنوان البريدي) *a.alajram@asmarya.edu.ly

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين؛ والصلاة والسلام على أشرف وأكرم خلق الله النبيء الأُمي الصادق الأمين. يعد الآثار والتراث من أهم العناصر الأساسية للحضارة الإنسانية والثقافة الوطنية، ويعرف إنجاز أيّ حضارة من خلال الآثار الدالة عليه، والتي تعبر عن تاريخها وتحكي قصصها وأفعالها. إنّ الآثار والتراث الحضاري على اختلاف أنواعه وأشكاله مبعث فخر للأمم واعتزازها؛ فهو بما يحمله من قيم ومعانٍ دليل على العراقة والأصالة، والمعبر عن الهوية الوطنية، بوصفها صلة بين ماضي الأمم وحاضرها. كما أصبح ينظر إليه كركيزة أساسية في اقتصاد العديد من الدول، إذ أنّه من الموارد المهمة التي تقوم حوله صناعة السياحة، وأهم مورد من موارد المجتمع من خلال عملية التنمية، التي أصبح التراث الثقافي يمثل جزءاً لا يتجزأ منها في أيّ مجتمع يمتلك رصيلاً منه. ولهذا أصبحت كثير من الدول تسعى سعياً حثيثاً لتعظيم العائد من التراث الثقافي في عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية كرافد مهم من روافد الاقتصاد الوطني، وهو ما جعله يقع فريسة لمجرمي الاقتصاد، حيث يعد من اعتدى عليه مرتكباً لجريمة اقتصادية.

لذلك تعد ليبيا من أغنى دول العالم الزاخرة بالآثار والتراث الحضري الذي يعود لمراحل تاريخية مختلفة، حيث تنتشر آثار تعود لعصور ما قبل التاريخ في البلاد في عدة مواقع، ناهيك عن مرور الحضارة الإسلامية التي خلفت آثاراً لاتزال شاهدة على ذلك العصر إلى يومنا هذا.

وعليه فإنّ الآثار والتراث الحضاري يعدان منظومة ثراء متميزة تحدد أسس التجذر التاريخي لهوية الشعوب، وأداة استنطاق لماهية الإنجاز التاريخي الذي دأبت عليه الشعوب من خلال سلوكياتها المادية والمعنوية، معلنة بذلك عن صورتها وطريقة تعايشها مع الركام التاريخي.

إنّ الممتلكات الأثرية الحضريّة التي تعتبر مرآة عاكسة للحضارات السابقة، هي عبارة عن تواصل بين الأجيال، وبالرغم من سوء إدارة هذه الآثار والتراث فقد أضحت ضحية خراب ودمار آيادي عابثة، لذلك أصبحت هذه الممتلكات محل حماية تشريعية وقانونية، لإسهامها في تشكيل الهوية الحضريّة الليبية، مما جعل المشرع الليبي يتدخل

لحمايتها والحفاظة عليها من كل أشكال الاعتداء.
فكان هذا ملخصا لمداخلة المشاركة في هذا المؤتمر.

تعد الآثار والتراث من أهم العناصر الأساسية للحضارة الإنسانية والثقافة الوطنية، ويعرف إنجاز أي حضارة من خلال الآثار الدالة عليها، والتي تعبر عن تاريخها، وتحكي قصصها وأفعالها.
وتمثل الآثار والتراث الرصيد الدائم من التجارب والخبرات والمواقف التي تعطي الإنسان والمجتمع القدرة على أن يواجه الحاضر، ويتصور المستقبل، بوصفها من أهم مكونات الذاكرة البشرية الممتدة إلى أعماق جذور مكوناتها.
موضوع البحث: تعرضت الآثار في ليبيا إلى الكثير من الاعتداءات، من خلال عمليات التنقيب غير المشروع، والتخريب، والسرقة، والتدمير، والتخريب، الأمر الذي يحتم ضرورة دراسة الحماية التي أقرها قانون الآثار الليبي، وتحديد مدى قدرته على حماية الآثار الموجودة، وترميم ما تعرضت له من تخريب، وتفعيل مؤسسة القضاء لملاحقة المتورطين في أعمال التدمير والتخريب والاعتداءات، فكان موضوع البحث؛ (الحماية التشريعية والقانونية للآثار والتراث الحضاري في ليبيا).

أهمية البحث: إنّ للآثار أهمية معنوية كبيرة إلى جانب الأهمية المادية والدينية، فهي تمثل تراثاً للإنسانية قاطبة، لذلك كان السبب الرئيس الذي جعل معظم تشريعات الأمم والدول تنص على حماية الآثار من كل اعتداء.
أهداف البحث: تهدف الدراسة إلى التعرف على الآثار والتراث الحضاري الجدير بالحماية في القانون الليبي، وكيفية مجابهة الانتهاكات والجرائم الواقعة عليها، وكذلك معرفة التشريعات الوطنية الخاصة بحماية الآثار والتراث الحضاري.

إشكالية البحث: تجسيدياً لضمان حماية التشريعات الوطنية للآثار والتراث الحضاري، وذلك من خلال قيام المشرع الليبي بسن قوانين تحمي الآثار والتراث على الأراضي الليبية، غير أنّ هذه الحماية التشريعية أثارت جدلاً في المجال القانوني، فمنهم من يرى أنّها حماية قانونية متكاملة وقادرة على القيام بحفظ الآثار والتراث الليبي، بينما يرى البعض الآخر قصور التشريع الليبي في حماية هذه الآثار والتراث، ويدعو إلى ضرورة تعديل وتفعيل التشريعات القانونية بما يؤدي لتأمين الحماية القانونية، والحفاظة على الموضوع المشمول بالحماية للحفاظ على التاريخ والهوية. وعليه فإنّ إشكالية الدراسة تمثل في التساؤلات التالية:

- ما هي الآثار والتراث الحضاري ؟
- ما مدى كفاءة التشريع الليبي لحماية الآثار والتراث الحضاري ؟
- ما مدى الحماية الجنائية المقررة للآثار والتراث الحضاري ؟

منهجية البحث: يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي في بعض جوانبه.

خطة البحث: شملت خطة البحث مباحث ثلاثة؛ وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: ماهية الآثار والتراث الحضاري.

المبحث الثاني: الحماية التشريعية والمادية للآثار والتراث الحضاري.

المبحث الثالث: الحماية الجنائية للآثار والتراث الحضاري.

المبحث الأول

ماهية الآثار والتراث الحضاري

إنّ التراث الثقافي يعد أحد جسور التواصل بين الأمم والشعوب التي لا يمكن تقدير قيمتها الحقيقية إلا بتوفير قدر ممكن من المعلومات التي تعبر عن أصلها، وتاريخها، وبنيتها التقليدية، وجمع كل المفاهيم التي تحدد نوعيتها وقيمتها الداخلية والدولية.

إذا كان تاريخ الأمة يكتب عبر الآثار، وروحها وفكرها يفهم عبر الأعمال الفنية، فتاريخنا ليس مجرد حروب وغزوات وانتصارات وهزائم، وإنما هو حضارة غنية كانت اللبنة الأولى في بناء الحضارة الإنسانية، ومدننا، وكانت منابر للعلم والثقافة.

ويعد التراث مصدر المادة العلمية التي يستطيع العلماء والأثريون من خلال دراستها الوقوف على مكونات الإنسان في عصوره الخيالية، علمًا، وفكرًا، وأنماط الحياة الاجتماعية والسياسية، وحتى يبقى كتاب التاريخ مفتوحًا تقرأ فيه الأجيال المتعاقبة، كان لزامًا على كل جيل أن يبذل كل ما في وسعه للحفاظ على تراث من سبقه، وأن يحاول إبعاد ما شابه من فعل الزمن والطبيعة والإنسان (xxxviii).

أولاً - التعريف بالآثار والتراث الحضاري:

نصت المادة (1) من القانون رقم (3) لسنة 1424 ميلادية، بشأن حماية الآثار والمتاحف والمدن القديمة والمباني التاريخية على الآتي:

في تطبيق أحكام هذا القانون يقصد بالكلمات والعبارات المبينة فيما بعد المعاني المبينة قرين كل منها ما لم يدل سياق النص على خلاف ذلك.

- الأثر والآثار: كل ما أنشأه الإنسان أو أنتجه مما له علاقة بالتراث الإنساني، ويرجع عهده إلى أكثر من مائة عام.
- الآثار العقارية: هي بقايا المدن، والتلال الأثرية، والقلاع، والحصون، والأسوار، والمساجد، والمدارس، والأبنية الدينية، والمقابر، والكهوف، سواء كانت في باطن الأرض، أو على سطحها، أو تحت المياه الإقليمية، وكذلك

المعالم ذات الطابع المعماري المميز، والمواقع والشواهد التاريخية التي تتصل بجهد الليبيين وكفاحهم وتجاربهم، وترتبط بالتاريخ السياسي والثقافي والاجتماعي للبلاد.

- **الآثار المنقولة:** هي المنقولات الأثرية التي صنعت لتكون بطبيعتها منفصلة عن الآثار العقارية، ويمكن تحويلها من مكانها دون تلف، مثل التماثيل الفسيفساء، وقطع الفخار، والزجاج، والمسكوكات القديمة، والنقوش، وكذلك بعض الصناعات التقليدية. وتعتبر الآثار المنقولة آثارًا عقارية إذا كانت مُخصصة لخدمة أثر عقاري، كأجزاء منه، أو مكملات له، أو زخارف فيه.
- **الحفائر الأثرية:** هي الحفريات المنهجية التي تستهدف العثور على آثار عقارية أو ثابتة، عن طريق حفر الأرض منهجيًا، أو دراسة سطحها دراسة علمية، أو البحث في مجاري المياه والطبقات السفلى من البحيرات والخلجان، وفي أعماق المياه الإقليمية.
- **مجموعات التاريخ الطبيعي:** هي كل ما له علاقة بالسلالات البشرية، والحيوانية، والنباتية، والصخور، والأحجار، والمعادن ذات الصفة الجمالية المتحفية، وكذلك التكوينات الجيولوجية ذات الخصائص الطبيعية والسياحية.
- **المتاحف:** وهي المؤسسات العلمية والثقافية المميزة التي هدفها حفظ وتوثيق وعرض التراث الإنساني والطبيعي والتطور العلمي والفني، ونشر المعرفة والتوعية بين الجماهير.
- **الوثائق:** وهي النصوص المكتوبة والمنقوشة على أية مادة أو عنصر مثل الحجر، والفخار، والجلود، والمعادن، والعظام، وذلك كله مما يرتبط بحضارة الإنسان وتجاربه، وتشمل الأشرطة المغنطة والمصورة، والمخطوطات، والوثائق، والحجج، والمعاهدات، والخرائط، والفرمانات، والقرارات، والمطبوعات، وغيرها من المستندات والأوراق التي مضى عليها خمسون سنة.
- **المدن القديمة والأحياء والمباني التاريخية:** وهي الكيان المعماري المتجانس أو المتمايز المستقل، أو المتكامل ضمن حدود متعارف عليها، أو داخل أسوار تحيط بها، وتشمل المساكن والمدارس، والمساجد، والأسواق، والشوارع، والحدائق، وكافة المعالم، والشواهد، والآثار، داخل الأحياء والمدن القديمة، مما مضى على إنشائها مائة عام فأكثر، أو التي شهدت حدثًا تاريخيًا هامًا، ولو لم تمضي عليها هذه المدة.

ثانياً - أنواع الآثار والتراث الحضاري:

أ. الآثار والتراث الحضاري المادي: تتمثل الآثار والتراث الحضاري المادي في أمثا: ممتلكات غير متجددة وفريدة من نوعها، لها قيمتها الثقافية، والعلمية، والروحية أو الدينية، وتشمل هذه الممتلكات على الأشكال المنقولة وغير المنقولة، والمواقع والهيكل، أو مجموعة الهياكل والسمات والخصائص الطبيعية، أو المناظر الطبيعية، والتكوينات المرئية الجمالية، التي تتسم بقيمتها وطابعها الأثري الحضري، والتاريخي، والمعماري، والديني، والجمالي، وغير ذلك من القيم الثقافية الأخرى^(xxxix).

يشمل التراث الثقافي المادي؛ القطع الأثرية، والمعالم، والمباني، والأعمال، واللوحات الفنية، والزخارف، ويمكن تقسيمه إلى:

1. الممتلكات التراثية الثقافية الثابتة: كالمباني والمواقع الأثرية، وبقايا المدن التاريخية، والعناصر الدينية، والمعالم المعمارية، والنقوش، والرسوم الصخرية، والمتاحف، والمراكز الثقافية التاريخية.

2. الممتلكات التراثية الثقافية المنقولة: كالقطع الأثرية المتحفية، والعملات، والأختام المحفورة، واللوحات، والرسوم، والصور المنحوتة، أو المنقوشة، والأدوات الفخارية والحرفية، والمخطوطات، والطوابع.

وعرفت اللائحة التنفيذية للقانون رقم (3) لسنة 1995م بشأن حماية الآثار والمتاحف والمدن القديمة؛ الآثار المنقولة بأنها: (هي المنقولات التي صنعت لتكون بطبيعتها منفصلة عن الآثار العقارية، ويمكن تحويلها من مكانها دون تلف، مثل التماثيل، وقطع الفسيفساء، وقطع الفخار، والزجاج، والمسكوكات، والنقوش، وكذلك بعض الصناعات التقليدية...) (xl).

بناءً على ذلك؛ الممتلكات الثقافية المادية هي جميع المواد الثقافية الثابتة والمنقولة التي تعبر عن هوية شعب ما، وليس دولة ما؛ لأنّ هناك ممتلكات ثقافية تتجاوز حدود البلد الواحد، كحال مدينة القدس الشريف المحتلة مثلاً. أمّا بالنسبة للتراث المشترك للإنسانية فهو وإن كان يشمل الثقافة بمعناها الواسع فإنّه يشمل بدهة الممتلكات الثقافية المادية كجزء لا يتجزأ عن الثقافة، ولذلك فإنّ الاعتداء على الممتلكات الثقافية المادية لشعب ما لا يشكل اعتداء عليه وحده فقط، بل اعتداء على كل شعوب العالم، وعلى تراث الإنسانية جمعاء، فكل شعب يساهم بنصيبه في الثقافة العالمية (xli).

ب. **التراث الثقافي غير المادي:** ي قصد بالتراث الثقافي غير المادي مجمل الإبداعات الثقافية سواء التقليدية، أو الشعبية المنبثقة عن جماعة والمنقولة عبر التقاليد، وهي على سبيل المثال: اللغات، والموسيقى، والأدب الشفهي، والفنون الشعبية والتعبيرية، مثل الرقص والمهرجانات (xlii).

وقد عرفته اليونسكو بأنه: "الممارسات والتصورات وأشكال التعبير، والمعارف، والمهارات - وما يرتبط بها من آلات، وقطع، ومصنوعات، وأماكن ثقافية - التي تعدها الجماعات والأفراد جزءاً من تراثهم الثقافي" (xliii). ويعرف أيضاً بأنه: "كل ما يتصل بالتنظيمات والممارسات الشعبية غير المكتوبة وغير المقننة، والتي لا تستمد خاصية الجبر والإلزام من قوة القانون والدستور الرسمي للدولة، أو السلطة السياسية وأجهزتها التنفيذية المباشرة، كالعادات، والتقاليد، والأعراف، والمعتقدات الموروثة" (xliv).

وأهمية التراث الثقافي غير المادي لا تكمن في تظهاره الثقافي بحد ذاته، وإنما في المعارف والمهارات الغنية التي تنتقل عبره من جيل إلى آخر، والقيمة الاجتماعية والاقتصادية التي ينطوي عليها هذا النقل للمعارف تم الأقلبات مثلما تم الكتل الاجتماعية الكبيرة، وتم البلدان النامية كما تم البلدان المتقدمة (xlv).

ثالثاً - الطبيعة القانونية للآثار والتراث الحضاري:

نصت المادة الخامسة من القانون رقم (3) لسنة 1995م بشأن حماية الآثار على أنه: (تعتبر مالاَ عاماً جميع الآثار العقارية والمنقولة والوثائق، سواء كانت في باطن الأرض أو على سطحها، أو كانت تحت المياه الإقليمية، باستثناء ما هو مسجل بأسماء الأفراد والهيئات بمقتضى أحكام التشريعات المعمول بها قبل صدور هذا القانون).

فالل العام هو "كل عين أو حق له قيمة مادية في التعامل"، وأموال الدولة وفق ما هو مستقر فقهاً وقضاءً نوعان: أموال عامة (الدومين العام)، وأموال خاصة؛ أو ما يسمى (الدومين الخاص)، وقد تولى المشرع الليبي تحديد مدلول الأموال العامة في المادة (87) من القانون المعدل، بالقانون رقم (138) لسنة 1970م، وهي ذات المادة (87) من القانون المصري، مع تعديل طفيف، حيث عرفها على النحو التالي:

تُعد أموالاً عامة العقارات، والمنقولات، التي للدولة، أو للأشخاص الاعتبارية العامة، والتي تكون مخصصة للمنفعة العامة، أو بمقتضى قانون، أو قرار من مجلس قيادة الثورة، أو من مجلس الوزراء، أو من الوزير المختص. وهذه الأموال لا يجوز التصرف فيها، أو الحجز عليها، أو تملكها بالتقادم.

ويترتب على إضفاء صفة العمومية على مال من أموال الإدارة إخضاعه لنظام قانوني خاص لا نظير له بالنسبة للأموال الخاصة للأفراد، ويتعلق ذلك بطريقة اكتسابه للعمومية وما يترتب عليها من آثار قانونية متمثلة في الحماية المدنية والجنائية لها قانوناً (xlvi).

المبحث الثاني

الحماية التشريعية والمادية للآثار والتراث الحضاري

تعد ليبيا من أغنى دول العالم بالتراث الأثري الذي يعود لمراحل تاريخية مختلفة، حيث تنتشر في ربوع ليبيا آثار تعود لعصور ما قبل التاريخ، كما يشكل التراث الأثري الفينيقي والروماني تنوعاً غاية في الروعة والخصوصية، وأيضاً التراث الإغريقي الذي يتمازج مع التراث الأثري الروماني، ويكوناً معاً نسيجاً غاية في الروعة.

أولاً - الحماية التشريعية للآثار والتراث الحضاري:

تعد الآثار والمباني التاريخية من الأموال العامة التي تحظى بحماية قانونية ذات أهمية في التشريع الليبي، باعتبار أن الدولة تهدف من خلال هذه الحماية إلى صيانتها والاهتمام بها، ويتأكد ذلك فيما انضمت له ليبيا من اتفاقيات دولية لتحقيق هذا الغرض.

1. التطور التشريعي لحماية الآثار في ليبيا:

إن ما صدر من قرارات قبل استقلال ليبيا لتأمين الحماية للمواقع الأثرية الليبية كانت مستمدة من أسباب سياسية، تأتي في نطاق أن ليبيا جزء من إيطاليا، أو أنها مستعمرة للغرب، وبالتالي لم يكن هذا الأمر دوافعه أسباب قانونية تلتزم المحافظة على الإرث الثقافي الليبي، فكانت بدايات إصدار تشريع لحماية الآثار والتراث الليبي عام 1914م، عندما أدركت حكومة الاحتلال الإيطالي الأهمية الكبيرة للتراث والآثار في ليبيا، وحجم المخاطر والتحديات التي قد يتعرض لها، فصدر مرسوم ملكي في 24 سبتمبر 1914م، الذي ينظم جميع الأعمال الأثرية والخدمات ذات الصلة، وسرعان ما تبع ذلك قرار حكومي الذي تم التوقيع عليه من قبل الجنرال في 28 أكتوبر 1915م، والذي أنشأ سلسلة من المناطق الأثرية في برقة، من أجل تحقيق Ameglio اميليو ما تم طلبه في المرسوم الملكي خلال عهد الإدارة البريطانية، فكان هناك اهتمام بما كان يحدث في مواقع التراث الليبي ...

وتلقت القيادة العامة للقوات البريطانية في القاهرة في 19 يناير 1943م، تقريراً يقول أن البوابات الرئيسية لآثار قوريني قد ترك الباب مفتوح، وطلب من المسؤول السياسي في قوريني أن يفعل ما في وسعه لمنع أي شخص من الإقامة في الأماكن المغلقة لغرض الحفاظ على الآثار.

وكانت الخطوة الثانية في عملية حماية التراث في ليبيا أكثر قوة وقيمة مع صدور البلاغ العسكري رقم 24 حول المحافظة على الآثار، في 17 نوفمبر 1943م، تليها البلاغ العسكري رقم 113 في نوفمبر 1945م، والتي كرر الفقرات الرئيسية في الإعلان السابق.

وفي يونيو 1947م، تم تعيين أول ضابط في الآثار مقيم في برقة (النقيب بيرتون براون)، الذي لفت الانتباه إلى ضرورة وجود قانون الآثار الذي لن يضمن احترام الآثار فقط، ولكن أيضاً تعريف الدستور والمسؤوليات لمستقبل الآثار (xlvi).

وتبع ذلك مرحلة جديدة بعد إعلان استقلال ليبيا عام 1951م، مع صدور مرسوم ملكي عام 1953م حول تنظيم وحماية الآثار، ومصالحة الآثار التي ظلت حتى عام 1957م كانت جزء من وزارة الداخلية، ثم ألحقت بوزارة المعارف، مع استثناء مكتب المحفوظات الذي ظل كجزء من وزارة الداخلية في عام 1968م، صدر علاوة على ذلك المرسوم الملكي الخاص لحماية الآثار في ليبيا.

وفي عام 1969م، وصل (معمر القذافي) للسلطة بعد انقلاب عسكري أطاح بالملكية، دخلت ليبيا مرحلة جديدة، حيث ألغيت جميع القوانين المعمول بها سابقاً، وصدر عدد من القوانين فيما يتعلق بالتنظيم الإداري لمؤسسات الدولة، بما في ذلك مصلحة الآثار، ونتيجة لذلك أعقب القرار الذي أصدره مجلس الوزراء في عام 1975م فيما يتعلق بتنظيم العمل في مصلحة الآثار، وفي عام 1977م ومن خلال قرارات وزير التربية والتعليم عن الطابع والهيكلة التنظيمي للمصلحة وفروعها في جميع أنحاء ليبيا.

أما بالنسبة لقانون حماية الآثار الذي صدر في 3 مارس 1983م من قبل مؤتمر الشعب العام - السلطة التشريعية في ليبيا - وقد تم إدخال بعض التعديلات على الرغم من أنها لم تكن في جوهر القانون، وكان التعديل الأخير عام 1994م (xlviii).

وبعد ما شهدته ليبيا من أحداث دامية عام 2011م - ثورة فبراير - لم يرد أي نص يتعلق بالتراث في الإعلان الدستوري الصادر في 3 أغسطس 2011م، وهذا الإعلان في الواقع معني بترتيب العملية السياسية للوصول إلى الدستور الدائم.

وبالمقابل ليس لدى الدولة الليبية تاريخ في جانب حماية التراث دستورياً، ففي دستور إمارة برقة الصادر في 1949م لم ترد فيه أي إشارة لحماية التراث والآثار، ولم يتغير الحال في دستور المملكة الليبية المتحدة الصادر في 7 أكتوبر 1951م، ولم تتضمن التعديلات التي أجريت عليه في 1963م، أي تغيير في هذا الجانب، وعند تعطيل العمل بالدستور سنة 1969م لم يعد لليبيا دستور، وعند انتخاب الهيئة التأسيسية لصياغة مشروع الدستور، وعقد أول اجتماع لها في يوم الإثنين الموافق 21 أبريل 2014م، وتواصل بعض المختصين في التراث والآثار مع الهيئة لضمان تحقيق مطلبهم بدسترة حماية التراث والآثار...

وقد وضحت سجلات الهيئة أنّ ثمة مقترحات في هذا الشأن قد قدمت منذ 2014م، فقد ورد تحت رقم تسلسل 47 أول مقترح لتضمين مواد دستورية ترتبط بالآثار والتراث، ووجوب حمايته؛ بعنوان: "مقترح الآثار

والتراث الليبي في الدستور"، وتحت رقم 57 قدمت مراقبة آثار بنغازي مقترحها في الشأن ذاته، وتحت رقم 177 قدمت الجمعية الليبية للآثار والتراث مقترحها الداعم لذات المساعي (xlix).

2. المقترحات الأولية للجان النوعية لصياغة الدستور:

في 24 مايو 2014م، أعلنت الهيئة التأسيسية لصياغة الدستور الليبي عن توصلها لإنجاز الخارطة الدستورية التي تنص على المبادئ التوجيهية الآتية:

ملكية الشعب الليبي للثروات الطبيعية.

حماية الموروث الحضاري والثقافي واللغوي المتنوع.

وفي يوم الأربعاء 24 ديسمبر 2014م أصدرت الهيئة بياناً صحفياً، ضمن المقترحات الأولية للجان النوعية، ووضّحت أنّها ترحب بالملاحظات والانتقادات فيما يتعلق بهذه المقترحات (1).

جاء في مقترح لجنة الحقوق والحريات والتدابير الانتقالية، الذي اعتمد بالجلسة (43) المنعقدة بتاريخ 9 نوفمبر 2014م، بمقر الهيئة بمدينة البيضاء، وقد جاء فيه - ما يتعلق بالآثار والتراث - الآتي:

التعدد الثقافي؛ ضمن هذا الجزء وردت 7 نقاط، وهي:

حماية اللغات والثقافات المحلية، وضمان تعليمها وازدهارها واستعمالها في وسائل الإعلام.

حماية المعارف التقليدية والآداب.

حماية المناطق التاريخية وتنميتها.

تعليم الفنون ونشر الخدمات الثقافية.

حماية المخطوطات والآثار.

حظر الأفعال الضارة بالموروث الثقافي واللغوي والتاريخي.

دعوى حماية الموروث الثقافي دعوى عامة دون رسوم قضائية.

وبناءً على ذلك فإنّ هذا يعد تطوراً هاماً وكبيراً وغير مسبوق، حيث يعد أول ذكر لحماية الآثار والتراث في نص دستوري عبر تاريخ الدولة الليبية.

وبالنسبة لمسودة الدستور الصادر في 29 يوليو 2017م (li)، جاء في نص المادة (29) تحت عنوان؛ "حماية

الآثار والمخطوطات": (تلتزم الدولة بحماية الآثار والمدن والمناطق التاريخية ورعايتها وإعادة تأهيلها والتنقيب عنها،

ويحظر الاعتداء عليها أو الاتجار بها أو إهداؤها، وتتخذ ما يلزم لاسترداد ما استولي عليه منها، وتكفل الدولة

حماية المخطوطات والوثائق والمسكوكات التاريخية وتعمل على صيانتها والحفاظة عليها، ويحظر الاعتداء عليها

والعبث بها، وفي جميع الأحوال لا تسقط الجرائم المتعلقة بها بالتقادم. وفي حال اعتبار إحدى الممتلكات الخاصة

ذات طبيعة أثرية تخضع علاقة أصحاب الشأن مع الدولة لقانون خاص يضمن حقوقهم المشروعة).

ثانياً - الحماية المادية للآثار والتراث الحضاري:

تتمثل الحماية المادية للآثار في كل أنواع الترميم، والصيانة، والحفظ، والتوثيق، ومراقبتها، وإعداد وتوجيه الدراسات المتعلقة بها، والنشر عنها، وهو ما نصت عليه المادة (4) من قانون الآثار (تتولى الجهة المختصة تحديد ما يعتبر أثراً عقارياً أو أثراً منقولاً أو وثيقة، وتسجل ما ترى تسجيله منها بوصفه ممتلكاً ثقافياً ومالاً عاماً، كما تتولى صيانة الآثار ومراقبتها، وتنظيم وتوجيه دراستها والنشر عنها. وتعتبر الآثار العقارية والآثار المنقولة والوثائق المسجلة بمقتضى قوانين وقرارات سابقة عند العمل بهذا القانون مسجلة وفقاً لأحكامه)(ii).

كذلك يحظر المساس بوحدة ومعالم المدن والأحياء القديمة ونسيجها المعماري أثناء تنفيذ عمليات الصيانة والترميم أو إعادة البناء وفقاً للمادة (39) من القانون (يحظر المساس بوحدة ومعالم المدن والأحياء القديمة ونسيجها المعماري أثناء تنفيذ عمليات الصيانة والترميم أو إعادة البناء. كما يحظر تعريض المبنى التاريخي لتشويه أو طمس مفرداته المعمارية أثناء عملية الصيانة أو الترميم)(iii).

كما ألزمت المادة (9) من القانون مصلحة الآثار بضرورة اتخاذ التدابير اللازمة لحماية الآثار في زمن السلم والحرب، وإعداد المخابئ الضرورية لإنقاذ التراث وخاصة التحف النفيسة، وأجازت الفقرة (ج) منها للمصارف أن تقبل إيداع القطع الأثرية الثمينة بناءً على طلب الجهة المختصة إذا اقتضت الضرورة ذلك. (أ. تتخذ الجهة المختصة التدابير اللازمة لحماية الآثار في زمي السلم والحرب بالاتفاق مع الجهات ذات العلاقة، وإعداد المخابئ الضرورية لإنقاذ التراث وخاصة التحف النفيسة مع مراعاة أحكام الاتفاقيات الدولية التي تكون ليبيا طرفاً فيها. ب. تعتبر المواقع والمدن الأثرية من الأماكن الحيوية الهامة وعلى الجهات المختصة تسهيل تسجيلها دولياً. ج. تقبل المصارف إيداع القطع الأثرية الثمينة بناءً على طلب الجهة المختصة، وكلما اقتضت الضرورة ذلك)(iv).

ومن ضمن الحماية المادية للآثار التي قررها المشرع الليبي ما نصت عليه المادة (7) من القانون من عدم جواز وضع أيّ تخطيط، أو تعديل، لتنظيم المدن والقرى، أو تحميلها، أو إقرار تقسيم أرض للبناء، أو شق طرق جديدة أو إجراءات أيّة تعديلات على القديم منها في الأماكن التي توجد فيها آثار عقارية. كذلك يحظر القيام بأيّة أعمال أو إنشاءات أو مزاولة أيّة أنشطة يكون من شأنها إحداث أضرار بالمدن القديمة والأحياء أو المباني التاريخية بالحرم المحيط بها وفقاً للمادة (37)، ولضمان عدم امتداد التوسع العمراني على حساب المواقع والأماكن الأثرية فرض قانون الآثار الليبي مسافة عازلة بين بعض المنشآت وبين الموقع الأثري، وقد حدد قانون حماية الآثار الليبي منطقة الحماية العازلة وفقاً للمادة (17) منه بـ (500م)، حيث يمنع إقامة المحاجر أو المصانع أو غيرها من المحال أو المنشآت على مسافة تقل عن خمسمائة متر من الآثار العقارية بدون موافقة الجهة المختصة، ووفقاً للشروط التي

تضعها في هذا الشأن، وحظرت المادة (43) مرور الطيران واختراقه لحاجز الصوت فوق الآثار والمتاحف والمدن القديمة والأحياء والمباني التاريخية.

وفي سبيل تحقيق حماية مادية صارمة تضمنت المادة (8) من القانون عددا من المحظورات تتمثل في الآتي (lv):
أ. يحظر إتلاف الآثار العقارية أو المنقولة أو إلحاق الضرر بها أو تشويهها بالكتابة أو الحفر عليها أو تغيير

معالمها أو فصل جزء منها، أو لصق الإعلانات أو وضع اللافتات عليها.

كما يمنع تصويرها لغرض تجاري، أو لغرض النشر عنها إلا بموافقة الجهة المختصة وبمقابل تحدده اللجنة الشعبية العامة النوعية.

ب. يحظر إتلاف الوثائق وتشويهها أو إلحاق الضرر بها أو فصل جزء منها، ويمنع تصديرها أو الإتجار فيها.

ج. يحظر إتلاف الصناعات التقليدية ذات الطابع الأثري ويمنع تصديرها أو صهرها.

وفي إطار تعزيز الحماية المادية للآثار أنشأت بعض الدول أجهزة ضبطية متخصصة في مكافحة جرائم سرقة الآثار وتجهيزها بكافة الوسائل والمعدات التي تساعد في إنجاز مهامها على أكمل وجه، ودعمها بالعناصر البشرية المدربة على التعامل مع الآثار، وإنشاء هيئات قضائية متخصصة لتنفيذ قوانين الآثار، وقد استحدثت ليبيا جهازاً للشرطة السياحية وحماية الآثار، إلا أنه يعاني من صعوبات كبيرة عرقلت عمله، ولم يستطع القيام بالمهام المسندة له (lvi).

المبحث الثالث

الحماية القانونية والجنايئة للآثار والتراث الحضاري

يستهدف قانون حماية الآثار الليبي حماية قطاع من قطاعات الدولة الليبية، وجزء من تراثها الحضاري، واعتمد المشرع في هذا القانون أسلوب التجريم المباشر لحماية الآثار والمتاحف والمدن القديمة والمباني التاريخية والتي اعتبرها من الأموال العامة، وقرر حظر تملكها، أو حيازتها، أو التصرف فيها، ومنع الاتجار بها.

أولاً - الأسس العامة للحماية:

وفقاً لما جاء في ديباجة اتفاقية لاهاي لعام 1954م، وكون هذه الاتفاقية تشكل مصدراً قانونياً دولياً لحماية الممتلكات الثقافية، فقد سارعت أغلب دول العام للانضمام لها، وبالعودة إلى نطاق تطبيق اتفاقية حماية الممتلكات الثقافية لعام 1954م نجد أنها تطبق في الحالات التالية:

1. وقت السلم: تكون الحماية في وقت السلم ملقاة على عاتق الدولة التي توجد الممتلكات الثقافية على أرضها، من خلال اتخاذها مجموعة من التدابير التي تكفل وقاية هذه الممتلكات من الأضرار التي قد تلحق بها في حالة النزاع المسلح، تاركة تقدير هذه التدابير للدولة ذاتها لما تراه مناسباً وكفيلاً بتوفير الحماية لممتلكاتها الثقافية (lvii). وفي ذلك نصت المادة (9/أ) من القانون رقم (3) لسنة 1995م بشأن حماية الآثار على أنه: (تتخذ الجهة المختصة التدابير اللازمة لحماية الآثار في زمني السلم والحرب بالاتفاق مع الجهات ذات العلاقة، وإعداد المخابئ الضرورية لإنقاذ التراث، وخاصة التحف النفيسة، مع مراعاة أحكام الاتفاقيات الدولية التي تكون الجماهيرية العظمى طرفاً فيها).

وقت النزاعات المسلحة: تحضى الآثار والتراث الحضاري بالحماية في فترات الحرب، وقد يقع القتال ما بين الدولة ورعاياها وليس بين دولتين، فيكون النزاع المسلح داخل الدولة ذاتها، أو ما يطلق عليه بالحرب الأهلية، أو النزاع المسلح، وهو ما نجده في العديد من نصوص الاتفاقيات الدولية التي منحت الممتلكات الثقافية مكانة قانونية خاصة (lviii).

أما بالنسبة للحماية الخاصة؛ فهو نظام أتت به اتفاقية لاهاي لعام 1954م من شأنه أن يمنح بعض الممتلكات الثقافية وفقاً لشروط محددة نوعاً من الحماية الخاصة، والممتلكات التي تشملها الحماية الخاصة وفقاً للمادة (8/1) من اتفاقية لاهاي لعام 1954م، تمنح الحماية الخاصة للمخابئ المخصصة لحماية الممتلكات الثقافية المنقولة، ومراكز الأبنية التذكارية، والممتلكات الثقافية الثابتة الأخرى ذات الأهمية الكبرى.

ثانياً - الحماية الإدارية والفنية للآثار والتراث الحضاري:

تتمحور الحماية الإدارية حول طبيعة التنظيم أو الكيان الإداري المعني بشكل رئيس بإدارة التراث الثقافي ما تتضمنه هذه الإدارات من إجراءات والذي يختلف من بلد إلى آخر بحسب الظروف الاجتماعية والاقتصادية والدينية، والمؤثرات الخارجية التي تتعرض لها كل بلد (lix).

أما بالنسبة للحماية الفنية والتقنية؛ فقد أسهمت التقنية الحديثة المتمثلة بالأدوات والآلات وأجهزة التحكم بالحرارة والرطوبة وغيرها في حماية التراث الحضاري، كما أسهمت بنوك المعلومات الإلكترونية في حفظ التراث، وذلك بتسجيله وتوثيقه بالمعلومات والصور، كما عملت أجهزة الإنذار على الحفاظ على المقتنيات من السرقة، والتدمير، والحراق، هذا إلى جانب التقنيات العلمية الحديثة التي تستخدم في الترميم للحفاظ على الأثر واستدامته (Ix).

ثالثاً - الحماية القانونية:

تتمثل الحماية القانونية للمال العام (الآثار والتراث الحضاري) في ثلاثة نقاط رئيسية؛ وهي: عدم جواز التصرف

في الأموال العامة، وعدم جواز الحجز على الأموال العامة، وعدم جواز تملك المال العام بالتقادم (lxi).
عدم جواز التصرف في الأموال العامة: لما كانت الأموال العامة من الوسائل الرئيسية التي تستخدمها الجهات الإدارية في أداء وظائفها وتحقيق الأغراض والأهداف الموكلة لها، فقد أحاطها المشرع بضمانة مدنية خاصة، فقد نصت المادة (87) من التشريع المدني الليبي على أنه (لا يجوز التصرف فيها، أو الحجز عليها، أو تملكها بالتقادم)، وهو ما قرره كذلك قانون التسجيل العقاري الليبي (lxii) في مادته السادسة بنصه (على عدم جواز التصرف في العقارات والمنقولات المملوكة للدولة أو الأشخاص الاعتبارية العامة والتي تكون مخصصة للمنفعة العامة).

فالمشرع الليبي إضافة للعقوبات الواردة في القانون رقم (3) لسنة 1995م بشأن حماية الآثار، وقانون العقوبات الجنائي، فقد أصدر قانون الجرائم الاقتصادية رقم (2) لسنة 1979م لحماية المال العام، حيث نصت المادة (15) منه على عقوبة السجن للموظف العام المكلف بالمال العام إذا قصر في حفظه أو صيانته، أمّا قانون العقوبات الليبي فقد تضمن نصوصاً تجرم صوراً من الاعتداء على المال العام أو إهماله، وجرائم الاختلاس (المواد 230 - 233)، وجرائم تخريب مباني الدولة ومستودعاتها (المادة 198)، وجرائم الحريق (المادة 300)، وجرائم سرقة المنقولات الموجودة بالإدارات أو المنشآت العامة (المادة 446)، وجرائم إتلاف المباني العامة (المادة 458)، وقانون حماية الآثار رقم (3) لسنة 1995م، أورد فصلاً (العقوبات) ونص عليها في المواد (51، 52، 53، 54، 55، 56، 57)، لكل من يخالف أحكام هذا القانون.

وفي إطار الحرص على حماية الأموال العامة بكافة صورها، فقد قررت نصوص قانون الجرائم الاقتصادية بأن ما تضمنته من أحكام لا يخل بأية حماية جنائية أخرى أكثر فاعلية منصوص عليها في القوانين الأخرى، كما أنّها لا تخل بحق الجهات الإدارية في توقيع الجزاءات التأديبية عندما يكون المعتدي على المال العام موظفًا عامًا (المادة 37).

خامسًا - الحماية الأمنية للتراث الثقافي:

ترتكز الحماية الأمنية على ثلاث مستويات؛ دولي، وإقليمي، ومحلي، ولا شك أنّ عمليات التعدي على التراث تحدث كل يوم في جميع أنحاء العالم، ولذلك كان لابد من وجود جهات متخصصة تقوم بالحماية من خلال إصدار أنظمة توضح العقوبات المترتبة على هذه الجرائم (lxiii).

سادسًا - تجريم الاعتداء على الآثار والتراث الحضاري:

لجأ المشرع الليبي إلى طريقتين للحماية الجنائية؛ طريقة التجريم المباشر، وطريقة التجريم غير المباشر.

1. **التجريم المباشر:** لجأ المشرع الليبي إلى حماية الآثار والتراث الحضاري عن طريق تحريم الاعتداء عليها، سواء كان هذا الاعتداء واقعاً على الملكية أو الحياة، من خلال حظر بعض التصرفات أو تقرير بعض الواجبات، والذي يشكل القيام بها أو الامتناع عنها جريمة، وتجريم الاعتداء على الآثار يشمل شقين من الاعتداء الإيجابي والسلبي.

فالإيجابي: يشمل الاتجار أو التهريب. وأمّا السلبي: فهو كل ما يقع على الآثار من امتناع عن إخطار الجهة المختصة عند العثور على أي أثر تاريخي (Lxiv).

وقد تضمنت مواد قانون حماية الآثار الليبي تقرير الحماية الجنائية للآثار من خلال تحديد جرائم الآثار، ووضع العقوبات لها.

التجريم غير المباشر: تتحقق الحماية الجنائية للآثار عن طريق النصوص العقابية، وهذه النصوص يضعها المشرع وتفي بالحماية للآثار، ولكنها بصورة مباشرة، وسواء كانت ضمن قانون العقوبات أو ضمن قوانين عقابية خاصة لا تحمل مباشرة عنوان حماية الآثار، إلا أن الآثار تستفيد من الحماية غير المباشرة المقررة ضمن هذه النصوص (Lxv).

وقد وفر قانون العقوبات الليبي حماية جنائية غير مباشرة للآثار والمتاحف والمدن القديمة والمباني التاريخية من خلال تجريمه لبعض الأفعال التي تمثل اعتداء على المصلحة العامة، وتخریب المال العام وإتلافه، بالإضافة إلى تجريم انتهاك حرمة ملك الغير. حيث يمكن تطبيق هذه النصوص على الجرائم التي تقع على الآثار، وذلك في حالة عدم وجود نصوص خاصة في قانون الآثار أو في حالة تضمنه لعقوبات أشد من تلك الموجودة فيها (Lxvi)، فجرم قانون العقوبات الليبي وفقاً للمادة (455) منه الأفعال التي تقع على العقارات أو المباني المملوكة للغير، سواء تمثلت هذه الأفعال بالهدم أو التخريب أو الإتلاف، وكذلك ما نصت عليه المادة (457) التي حرمت إتلاف أو إفساد الأموال المنقولة وغير المنقولة، أو صيرورتها غير نافعة كلياً أو جزئياً، وأيضاً المواد (444) وما بعدها المتعلقة بجريمة السرقة.

كما أجاز القانون رقم (1972/116 م) بتنظيم التطوير العمراني، نزع ملكية العقارات للمنفعة العامة مقابل تعويض عادل للعقارات، بما فيها الأراضي لتنفيذ مشاريع ذات نفع عام، وتعد المرافق السياحية والمراكز الثقافية ودور العبادة من العمال التي تدخل ضمن المرافق العامة ذات النفع العام.

ونص قانون حماية الآثار الليبي في المادة (48) منه أيضاً على جواز نزع ملكية المباني التاريخية بالمدن القديمة والأحياء على أن يتم النزع وفقاً للأحكام المقررة في القانون رقم (1972/116 م) بتنظيم التطوير العمراني. الخاتمة

والتوصيات:

تحتل الآثار والتراث الحضاري بأهمية كبيرة ومتعددة؛ فهي ذاكرة الأمة والمترحم لهويتها وتنوعها الحضاري، وأحد مؤثرات تواصل الأجيال وقدرتهم على التحاور والتفاعل، وكونها أصلاً من أصول تاريخ الأمم والشعوب، واعتباراً لهذه الأهمية، ونظراً للمخاطر والتهديدات المختلفة والمتزايدة التي تتعرض لها الآثار، كانت الحاجة إلى حمايتها والحفاظ عليها وصونها، وهو ما استدعى ضرورة الاهتمام الدولي والوطني بها.

إنّ موضوع حماية الآثار يعد من أكثر الموضوعات التي استحوذت على اهتمام الجهات المختصة في كافة الدول، وهو أمر يقع على عاتق الأمة بأسرها، ورغم أنّ العبء الأكبر يقع على السلطات الأثرية بإمكاناتها المتواضعة والمحدودة، فإنّ اشراك أجهزة الدولة بهذه المهمة يعد أمراً ضرورياً، فحماية الآثار هي مهمة أجهزة الدولة مجتمعة.

أولاً - النتائج:

إنّ سر نجاح أو فشل سياسة حماية الممتلكات الثقافية العقارية لا يقتصر فقط على وجود ذوي الكفاءة ونظام الحماية القوي والسليم، فلا بد لهذين العنصرين من إرادة جادة ويد نزيهة، ومؤسسات قادرة على الانجاز والتطبيق على أرض الواقع، ليزهر العمل الورقي ولنجاح المنظومة القانونية المتعلقة بالحماية عموماً، وفي جانبها المتعلق بالوقاية من مخاطر التهديدات التي تطال الممتلكات الثقافية العقارية، حيث يكفي نجاح الجانب النظري ما لم يترافق معه نجاح في الجانب العملي.

تعتبر الآثار في ليبيا أموالاً عامة، فجميع الآثار العقارية والمنقولة والوثائق الموجودة فوق سطح الأرض أو في باطنها أو تحت المياه الإقليمية مملوكة للدولة الليبية.

وفق المشرع الليبي إلى حد كبير في تحديده للأشياء التي ينطبق عليها وصف الآثار من خلال تبنيه لمعيار الفترة الزمنية، ومعيار التصنيف الذي يمنح مصلحة الآثار اختصاص تحديد ما يعتبر أثرًا عقاريًا أو أثرًا منقولاً أو وثيقة. بالرغم من توسع المشرع الليبي في تجريم الأعمال المتعلقة بالآثار إلا أنّ العقوبات المقررة في القانون وهي أغلبها غرامات مالية لا تتناسب مع العائد المادي الذي يحصل عليه الجاني من ارتكابه للجريمة الأثرية، وبالتالي لا تعتبر هذه العقوبات رادعاً قوياً يحد من انتشار جريمة سرقة الآثار والاتجار بها.

ثانياً - التوصيات:

الاهتمام بالتسجيل والتوثيق للآثار ووضع قوائم كاملة للآثار، وتحديث تلك القوائم بصفة دورية. ضرورة تطوير التشريعات الوطنية من أجل وضع قواعد أكثر تشدداً لحماية الآثار، وذلك بتكليف فريق عملي متخصص في إدارة اللوائح والقوانين.

1. تشديد العقوبات في حق مرتكبي الجرائم الماسة بالآثار في التشريع الليبي.

2. تشجيع وتوسيع التعاون الدولي عن طريق تبادل الخبرات فيما يخص الصيانة والترميم ونشر المعلومات التي تتضمنها الاتفاقيات الدولية بشأن حماية الممتلكات الثقافية العقارية بين المواطنين وتنمية الوعي لديهم بضرورة حماية تلك الممتلكات والمحافظة عليها.

3. العمل على دراسة وتحديث التشريعات الخاصة بحماية الآثار، وتشديد العقوبات المنصوص عليها في القانون رقم (3/1994 م) المتعلقة بسرقة وتحويل الآثار والاتجار بها، وأعمال التنقيب غير المشروع، والتخريب والتدمير، حتى تتناسب مع جسامه وخطورة الجرائم المرتكبة ضد الآثار والمواقع السياحية.

المراجع

- (¹) فرج حسن محمد الأطرش & عبدالسميع بلعيد محمد العجرم، التنظيم القانوني لحماية التراث الثقافي في ليبيا، ملتقى دولي بعنوان: الاقتصاد والجريمة بين السياسة الاقتصادية وتحديات المكافحة، جامعة الأخوة منتوري - قسنطينة 1 / الجزائر، 2023م، ص 3.
- (¹) مؤسسة التمويل الدولية، المذكرة التوجيهية الثامنة بخصوص التراث الثقافي، الملحق (أ)، البند التوجيهي الثاني (ت 2)، 31 جولية 2007م، ص 191.
- (¹) المادة (1) من الفصل الأول - التعريفات، اللائحة التنفيذية للقانون رقم (3) لسنة 1995م، بشأن حماية الآثار والمتاحف والمدن القديمة والمباني التاريخية.
- (¹) د. سامية بلجراف - أ. حفيظة مسناوي، الحماية المعززة للممتلكات الثقافية في حالات النزاع المسلح، مجلة جيل حقوق الإنسان - العام السابع - العدد 38 - مارس 2020م، ص 75.
- (¹) راجع في ذلك:
- علي حمزة الخفاجي، الحماية الجنائية للآثار والتراث، مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية، مج 6، ع 2، 2014م، ص 22.
- قسيمة كباشي، التجربة السودانية في إدارة التراث الثقافي، المروة للطباعة والنشر - الخرطوم 2008م، ص 24.
- (¹) اليونسكو، اتفاقية بشأن حماية التراث الثقافي غير المادي، الدورة الثانية والثلاثون - باريس 2003م، المادة الأولى.
- (¹) حمودة العوري، التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد العربية: دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمني، الطبعة الثانية 1981م، عالم الكتاب للنشر - صنعاء/ اليمن، ص 88 وما بعدها.
- (¹) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، تقرير عن التراث الثقافي غير المادي، ص 7.
- www.unesco.org/culture/ich/doc/src/01851-ar.pdf
- (¹) د. خليفة صالح احواس، القانون الإداري الليبي الحديث، طبعة ثانية مزيده ومنقحة 2020، مكتبة طرابلس العلمية العالمية - طرابلس/ ليبيا، ص 181.
- (¹) د. أحمد عيسى فرج الحاسي، قراءة في قانون حماية الآثار والتراث، موقع ليبيا المستقبل.
- (¹) د. أحمد عيسى فرج الحاسي، الحماية الدستورية للتراث الأثري في ليبيا، مجلة كلية الآداب، العدد 42، يونيو 2018م، ص 207.
- (¹) د. أحمد عيسى فرج الحاسي، الحماية الدستورية للتراث الأثري في ليبيا، مرجع سابق، ص 207 وما بعدها.
- (¹) أحمد عيسى عبدالكريم، أزمة إدارة الآثار والتراث الليبي، المؤتمر العلمي الأول: إدارة الأزمات الواقع والمأمول، جامعة عمر المختار 2017م.
- (¹) كان التصويت على هذه المسودة في يوم السبت 29 يوليو 2017م بمدينة البيضاء، في الجلسة رقم (74) بأغلبية (43) صوتاً من (44) صوتاً.
- (¹) المادة (4) من القانون رقم (3/1995م) بشأن حماية الآثار والمتاحف والمدن القديمة والمباني التاريخية.
- (¹) المادة (39) من القانون رقم (3/1995م) بشأن حماية الآثار والمتاحف والمدن القديمة والمباني التاريخية.
- (¹) المادة (9) من القانون رقم (3/1995م) بشأن حماية الآثار والمتاحف والمدن القديمة والمباني التاريخية.

- (١) المادة (8) من القانون رقم (3/ 1995م) بشأن حماية الآثار والمتاحف والمدن القديمة والمباني التاريخية.
- (١) د. عمر عبدالله عمر امبارك، التنظيم القانوني للآثار في ليبيا، مجلة العلوم السياسية والقانون، العدد 21، المجلد 04، مارس/ آذار 2020م، المركز الديمقراطي العربي – برلين/ ألمانيا، ص 158 وما بعدها.
- (١) المادة (3) من اتفاقية لاهاي 1954م.
- (١) فرج حسن محمد الأطرش & عبدالسميع بلعيد محمد العجرم، التنظيم القانوني لحماية التراث الثقافي في ليبيا، مرجع سابق، ص 8.
- (١) ياسر هاشم عماد الهياجي، إدارة مواقع الجذب السياحي التراثية – مدينة صنعاء القديمة أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود – الرياض/ المملكة العربية السعودية 2013م، 33.
- (١) خيرية عبدالله إبراهيم الأصقة، إدارة التراث الثقافي في المملكة العربية السعودية – حالة الحرف والمصنوعات التقليدية، رسالة دكتوراه، جامعة الملك سعود – الرياض/ المملكة العربية السعودية 2010م، ص 19.
- (١) فرج حسن محمد الأطرش & عبدالسميع بلعيد محمد العجرم، التنظيم القانوني لحماية التراث الثقافي في ليبيا، مرجع سابق، ص 8.
- (١) القانون رقم (17) لسنة 2010م بشأن التسجيل العقاري وأملاك الدولة.
- (١) د. محمد عبدالله الحراري، أصول القانون الإداري الليبي – الجزء الثاني – وسائل مباشرة الإدارة الشعبية لوظائفها، الطبعة الرابعة 2002م، المركز القومي للبحوث والدراسات العلمية – طرابلس/ ليبيا، ص 132.
- (١) د. خليفة صالح احواس، القانون الإداري الليبي الحديث، مرجع سابق، ص 186.
- (١) القانون رقم (48) لسنة 2012م بشأن التسجيل العقاري وأملاك الدولة.
- (١) ياسر هاشم عماد الهياجي، دور المنظمات الدولية والإقليمية في حماية التراث الثقافي وإدارته وتعزيزه، العدد 34، شعبان 1437هـ – يوليو 2016م، ص 91.
- (١) فرج حسن محمد الأطرش & عبدالسميع بلعيد محمد العجرم، التنظيم القانوني لحماية التراث الثقافي في ليبيا، مرجع سابق، ص 10.
- (١) قسيمة، التجربة السودانية في إدارة التراث الثقافي، مرجع سابق، ص 91.
- (١) د. عمر عبدالله عمر امبارك، التنظيم القانوني للآثار في ليبيا، مرجع سابق، ص 159.
- (١) د. علي حمزة الخفاجي، الحماية الجنائية للآثار والتراث، مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية، العدد 2، المجلد 6، سنة 2014م، ص 32.
- (١) د. عمر عبدالله عمر امبارك، التنظيم القانوني للآثار في ليبيا، مرجع سابق، ص 159.

مفردات العمارة الإسلامية بالمسجد والمباني الدينية

د. رجب بشير محمد عكرة¹ م. عبدالجواد الفيثوري احمد قجام²
1 عضو هيئة تدريس بدرجة أستاذ مساعد - جامعة نالوت - كلية الهندسة - جادو - قسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني .

2 معيد - جامعة الزنتان - كلية الهندسة - قسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني - باحث دراسات عليا بمدرسة العلوم الهندسية - شعبة الهندسة المعمارية .

[*Rajab3kra@gmail.com](mailto:Rajab3kra@gmail.com)

Abduljawad.qajjam@gmail.com

ملخص البحث :

تعتبر الكعبة المشرفة بمكة المكرمة مركز الكون وأول بيت وضعه الله سبحانه وتعالى للناس، وبها أنشأ أول مسجد بعد ظهور الإسلام، قال تعالى: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ} (51)، والمسجد هو النواة والنقطة المميزة والعلامة الدالة بالنسيج العمراني لمخططات المدن والقرى الإسلامية بعامه، ومع انتشار الإسلام انتشرت المساجد والمباني الدينية حول العالم .

لقد تطور الفكر المعماري للعمارة الإسلامية لتخطيط وتصميم المساجد والمباني الدينية عبر التاريخ، مواكبا لتطور مواد البناء ونظم الإنشاء، إلى أن وصل وضعه الحالي، ما أعطى للمسجد والمباني الدينية المفردات المعمارية المميزة، التي سنتناولها في هذه الورقة بالدراسة من حيث تطورها التاريخي وصولا لوضعها الحالي، بهدف المساهمة في وضع معايير تخطيطية وأسس تصميمية "يسترشد بها" بمراحل التخطيط العمراني Urban planning والتصميم المعماري Architectural Design والتصميم العمراني Urban design .

ومن منظور الفكر المعماري الإسلامي لعمارة المسجد والمباني الدينية وبسبب ظهور أنماط معمارية شبه عشوائية فيما يتعلق بأهم المفردات المعمارية "الأساسية والثانوية"، ما كان سبباً في ظهور ما لحق ببعضها من تلوث معماري ، نتيجة لعدم وجود معايير تخطيطية وأسس تصميمية يتم إتباعها بمرحلي التخطيط والتصميم . إن تحديد أهم المفردات المعمارية الإسلامية للمسجد والمباني الدينية، لا يعني الحد من الإبداع المعماري في تخطيطها وتصميمها، بقدر ما يهدف لعدم المساس بها وحماها من التلوث والتشويه المعماري .

إن الهدف الرئيس لهذه الدراسة يتمثل في إلقاء الضوء على مراحل تطور المسجد والمباني الدينية، في ظل المؤثرات المناخية والطابع المعماري المميز، ومواد البناء ونظم الإنشاء المتبعة، من خلال دراسة تطبيقية على

(51)القرآن الكريم ، سورة آل عمران، الآية (96).

مساجد وزوايا مختارة بالمدن والتجمعات العمرانية بامتداد إقليم الجبل الغربي الفرعي للمساهمة في وضع معايير تخطيطية وأسس تصميمية يؤخذ بها كدليل مرجعي لتخطيط وتصميم المسجد والمباني الدينية .
إن انجاز جوانب هذه الدراسة سيكون من خلال هيكلية بحثية اشتملت على الدراسات النظرية وجمع البيانات ودراسة تحليلية وتطبيقية لنماذج مختارة من المساجد والزوايا بامتداد منطقة الدراسة .
الكلمات الدالة : المسجد- الزاوية - المباني الدينية - مفردات العمارة الإسلامية - مواد البناء - نظم الإنشاء- إقليم الجبل الغربي الفرعي .

Research summary:

The Holy Kaaba in Mecca is considered as the center of the universe and the first house that God Almighty placed for people, and it contains the first mosque after the emergence of Islam. The Almighty said :{ The first House established for mankind was the one in Mecca, blessed and a guidance for the worlds}, The mosque is the nucleus, the distinctive point, and the signifying sign in the urban fabric of the plans of Islamic cities and villages in general. With the spread of Islam, mosques and religious buildings spread around the world.

The architectural thought of Islamic architecture for planning and designing mosques and religious buildings has developed throughout history, keeping pace with the development of building materials and construction systems, until it reached its current state, which is what gave the mosque and religious buildings their distinctive architectural vocabulary, which we will discuss in this paper by studying in terms of their historical development up to their current state. With the aim of contributing to the establishment of planning standards and design foundations to guide the stages of urban planning, architectural design and urban design.

From the perspective of Islamic architectural thought regarding the architecture of mosques and religious buildings, and due to the emergence of almost random architectural patterns with regard to the most important “primary and secondary” architectural vocabulary, it resulted in architectural contamination that affected some of them, in the absence of planning standards and design foundations that are followed in the planning and design stages.

Defining the most important Islamic architectural elements for mosques and religious buildings does not mean limiting architectural creativity in their planning and design, as much as it aims to protect them from pollution and architectural distortion.

The main objective of this study is to shed light on the stages of development of

mosques and religious buildings, in light of climatic influences, the distinctive architectural character, building materials and construction systems followed, through an applied study on selected mosques and corners in cities and urban communities along the Western Mountain sub-region to contribute to setting standards. Planning and design principles to be taken as a reference guide for planning and designing the mosque and religious buildings.

The completion of aspects of this study will be through a research structure that included theoretical studies, data collection, and an analytical and applied study of selected models of mosques and corners throughout the study area.

Keywords: mosque – corner – religious buildings – vocabulary of Islamic architecture – building materials – construction systems– western Mountain Sub-Region.

1. المقدمة :

حظيت العمارة الإسلامية "للمسجد والمباني الدينية" بالمدن التاريخية (العربية والإسلامية) باهتمام خاص من قبل الباحث من المسلمين وغيرهم، ومن أهم ما توصلوا إليه وقوع العمارة الإسلامية في منزلق التقليد والمحاكاة والنقل، فيما يتعلق ببعض المفردات المعمارية المكونة للمسجد والمباني الدينية.

ويعد التراث المعماري الإسلامي ثروة حضارية لا بد من العناية بها وحمايتها وتنقيتها من الشوائب التي لحقت بها سواء بقصد أو بولونه، كون أن العمارة هي وعاء الحضارة، وتمثل الهوية الثقافية الإسلامية، ما يستدعي التمسك بأصالتها، والعمل على معالجة ما لحق بها من تلوث شوه بعض المفردات المعمارية الإسلامية للمسجد والمباني الدينية .

وإذا أعنا النظر في تطور العمارة الإسلامية والتحولات الفكرية التي صاحبها تبين أن الغرب بدأ بالتدخل في العالم العربي والإسلامي بنهاية القرن الثامن عشر الميلادي، ما كان سببا في حدوث تغيير في مفردات العمارة الإسلامية للمسجد والمباني الدينية، وافرز عمراننا هجينا غريب الشكل والمبادئ(52).

وتبقى مسألة التحديث في العمارة مرتبطة بالأصالة ولا تعنى التفريط بالهوية الثقافية والإرث المعماري الحضاري، وبخاصة إذا كانت نابعة من قيم دينية سامية، مما يتطلب من المعماريين والمفكرين الإسلاميين التزامهم بمفردات العمارة الإسلامية للمسجد والمباني الدينية، لكي تقدم عمارة منتمة ومتطورة تلي متطلبات العصر.

إن المساجد والمباني الدينية بمفرداتها المعمارية، تجسد فن العمارة الإسلامية، ومرآة تطورها عبر العصور، فالمسجد كان عبارة عن صحن مكشوف أو مسقوف، والصحن المكشوف تحيط به أربعة أجزاء مسقوفة تسمى أروقة، تغطي بسقوف مستوية محمولة على أعمدة تعلوها عقود وأقواس .

والصحن المسقوف أصبح اليوم عبارة عن مساحة كبيرة تعلوها قبة واحدة أو مجموعة قباب، نتجه لإستخدام نظم بناء ومواد إنشاء حديثة أسهمت في إحداث تطور في عمارة المساجد والمباني الدينية، من حيث فراغاتها الداخلية وشكلها المعماري الخارجي.

(52)ركيبي العيد، المسجد بين الأصالة و المعاصرة، مذكرة ماستر، عام 2021،ص2.

هذا البحث يهدف لدراسة المفردات المعمارية الإسلامية للمسجد والمباني الدينية لاستخلاص أهم المعايير التخطيطية والأسس التصميمية، من خلال تناول أمثلة محلية لمساجد وزوايا، كما تم الاعتماد في جمع البيانات على المصادر المختلفة (ورقية و إلكترونية) متمثلة في الكتب والمجلات المتخصصة والأبحاث والرسائل العلمية المنشورة والغير منشورة، بالإضافة إلى أعمال الرفع والتصوير الشمسي الميداني وجمع البيانات وتحليلها ، بنطاق (منطقة الدراسة) .

(أ) - مشكلة الدراسة :

- تكمن في العمل على حماية المفردات المعمارية الإسلامية للمسجد والمباني الدينية وتنقيتها من التلوث المعماري .
- عدم وجود معايير تخطيطية وأسس تصميمية كمرجعية خاصة للمسجد والمباني الدينية ، بحجة ثوابت فكرية يتم إتباعها من قبل المعماريين ، يُؤخذ بها كمفردات معمارية إسلامية، من حيث الوظيفة والدلالة والرمزية، لحماية الموروث الديني والثقافي ، وتحقيق الاستدامة للمسجد وللمباني الدينية من حيث التخطيط والتصميم .

(ب) - فرضيات الدراسة : تم وضع عدد من التساؤلات كفرضيات لهذه الدراسة أهمها :

- عدم وجود دليل مرجعي للمعايير التخطيطية والأسس التصميمية للمفردات المعمارية الإسلامية للمسجد والمباني الدينية يُؤخذ بها كتشريعات لحماية هذه المفردات من التلوث المعماري والعمراني ؟
- كيف يمكن الحفاظ على المفردات المعمارية الإسلامية الخاصة بالمسجد والمباني الدينية ؟
- مدى تأثير المفردات المعمارية الإسلامية للمسجد والمباني الدينية بالأفكار المعمارية الغربية ؟

(ج) - أهداف الدراسة :

- العمل على إيجاد دليل مرجعي للمعايير التخطيطية والأسس التصميمية يُؤخذ بها كتشريعات تحمي المفردات المعمارية الإسلامية للمسجد والمباني الدينية من التلوث المعماري .
- التأكيد على العودة إلى المفردات المعمارية الإسلامية الخاصة بالمسجد والمباني الدينية والعمل على تطويرها بما لا يتعارض والفكر المعماري الإسلامي .
- التعرف على مدى تأثير المفردات المعمارية الإسلامية للمسجد والمباني الدينية بالأفكار المعمارية الغربية ؟

(د) - أهمية الدراسة :

تكمن في محاولة التأكيد على الثوابت المرتبطة بالمفردات المعمارية المكونة للمسجد والمباني الدينية من حيث الوظيفة والدلالة والرمزية ومعالجة ما لحق بها من تشويه جراء النقل والاقتراب من مباني الحضارات السابقة بالأقاليم التي انتشر بها الدين الإسلامي المواكب لفتوحات الإسلامية خلال القرنين السابع والثامن الميلادي .

كما تأثرت المساجد بالعمارة الصينية والهندية المواكبة لانتشار الإسلام في جنوب شرق آسيا ، كل ذلك ساهم في ظهور خصائص جديدة مميزة للعمارة الإسلامية سواء في شكل المباني أو إدخال الزخارف الهندسية والنباتية والخط العربي الإسلامي .

من هنا جاءت أهمية هذه الدراسة، حول مفردات العمارة الإسلامية للمسجد والمباني الدينية بتناولها أمثله محلية لنماذج مختارة من المساجد والزوايا .

(ه) - منهجية الدراسة :

تم إتباع منهج الدراسات النظرية والتحليلية والتطبيقية، مع رفع وتوثيق بعض المعالم المعمارية لمنطقة الدراسة الحقلية بامتداد إقليم الجبل الغربي الفرعي بليبيا .

2. تعريف المسجد :

كل مكان طاهر يسجد فيه المسلم لعبادة الله سبحانه وتعالى لأداء الصلاة يسمى مسجدا، قال صلى الله عليه وسلم: "وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا" (53).

والمسجد مخصص لعبادة الله وقراءة القرآن الكريم ، وتسمى المساجد (بيوت الله) .

وأصل كلمة المسجد من السجود وهو وضع الجبهة على الأرض في الصلاة تضرعا لله تعالى خلال الصلوات الخمس المفروضة ، كون صلاة الجماعة أفضل أجرا من صلاة الفرد بسبعة وعشرين درجة (54).

3. المسجد كنواة للمدينة الإسلامية :

- تخطيط المدينة في الإسلام يبدأ بتحديد موضع المسجد ، حيث يبني أولا ثم تشييد من حوله البيوت والمرافق العمومية .
- في المدن الإسلامية الأولى كان مركز المدينة يضم المسجد وقصر الحكم ودواوين الدولة ، كما هو الحال في مدينة المنصور الدائرية ببغداد. والمسجد قطب جذب يرتاده المسلم خمس مرات في اليوم ، لهذا يرغب الناس أن تكون مساكنهم قريبة منه للسعي إليها سيرا على الأقدام لأداء الصلاة ، ولو ترك الأمر للناس لاختنق المسجد ، لكن ترغيب الرسول صلى الله عليه وسلم في الصلاة في المساجد البعيدة ، خلق توازنا في النسيج العمراني ، روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أْبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَشَى " (55) .

4. دور المسجد والمباني الدينية في المجتمع :

بالإضافة لدورها كمكان للعبادة ، كان المسجد مركز إشعاع للعلم ، فهو المدرسة والجامعة ومجلس القضاء وعقد الندوات والشورى ومصدرا لاتخاذ القرارات المصرية للأمة ، انطلقت منه الفتوحات الإسلامية في فجر الإسلام ، وكان المركز الاقتصادي للمجتمع حيث يتواجد به بيت

(53) الحديث الشريف ، صحيح البخاري، ص 74 رقم الحديث (335) .

(54) أ.التخي ، بلقاسم،مدخل في الأسس العامة لتصميم المساجد،دراسة معمارية،مجلة الدراسات الإسلامية،العدد الثالث ، سبتمبر2013،ص390 .

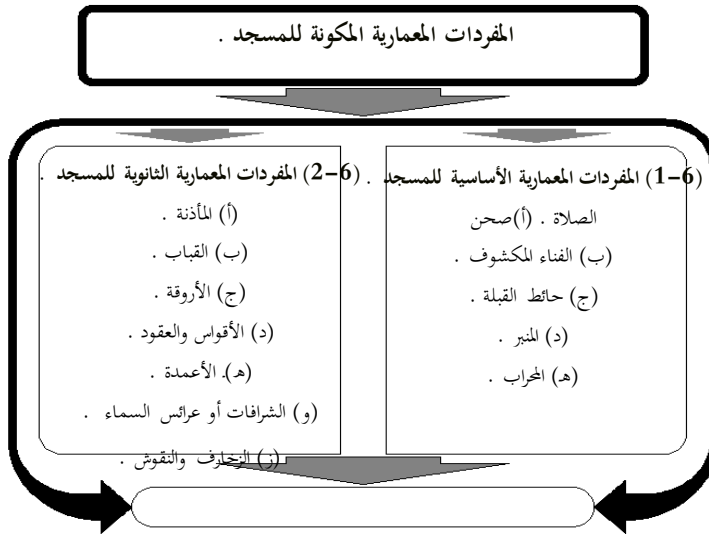
(55) الحديث الشريف ، صحيح مسلم ، رقم الحديث 662 .

تأثير اتجاه القبلة في النسيج العمراني للمدينة الإسلامية :

إن المدن التي تم تخطيطها بصدر الاسلام مركزها المسجد ، ومن ثم تكون القبلة هي العامل الأساسي في توجيه الطرقات ومباني المرافق العامة والمباني السكنية ، ما جعل من المسجد مركزا إشعاعيا لباقي استعمالات الأراضي لمخطط المدينة .

5. المفردات المعمارية المكونة للمسجد :

تميزت العمارة الإسلامية بمفردات معمارية استخدمها المسلمون في إنشاء وتطوير مبانيهم الدينية "كالمساجد والمدارس والأضرحة والزوايا" ، وقد تفرقت المساجد عن بقية دور العبادة بالديانات الاخرى ، بمفردات معمارية أساسية وأخرى ثانوية . انظر الشكل(1) .



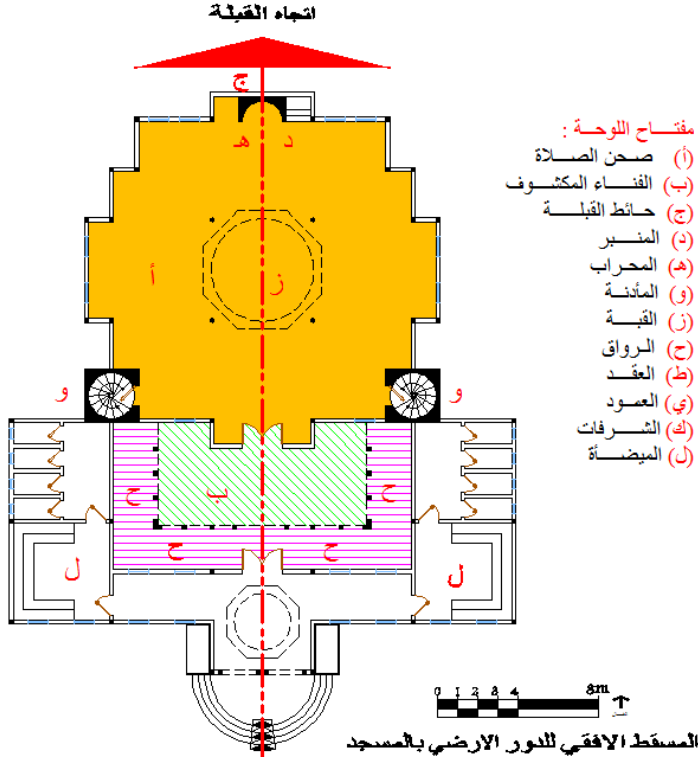
شكل رقم (1) يوضح المفردات المعمارية الإسلامية الأساسية والثانوية المكونة للمسجد .المصدر: رسم تحليلي من عمل الباحثين .

الأساسية للمسجد : (1-6) المفردات المعمارية

(أ) **صحن الصلاة** : يمثل الجزء المسقوف من المسجد، وهو من أهم الفراغات المعمارية المكونة له ، وظهر أول صحن مسقوف بمسجد الرسول عليه وسلم بالمدينة المنورة ، وتطور مع الزمن إلى أن وصل شكله الحالي ، وبه حائط القبلة الذي يضم المحراب والمنبر ، وأخذ المسقط الأفقي الشكل المستطيل أو المربع أو أي شكل آخر حسب حدود وأبعاد قطعة الأرض المخصصة لبنائه ، وكذلك اتجاه القبلة بالموقع ، ويقف المصلون

خلف الامام بصلاة الجماعة في صفوف موازية لحائط القبلة⁽⁵⁶⁾. انظر الشكل(2) .

(ب) الفناء المكشوف : يمثل الجزء المكشوف والملحق بالمسجد والمكمل له ، والذي يتصل بحرم المسجد وأروقته وجدرانه الخارجية ، ويعتبر امتدادا لصحن الصلاة عند زيادة عدد المصلين⁽⁵⁷⁾. انظر الشكل(2) .



شكل رقم (2) يوضح المفردات المعمارية المكونة للمسجد.

المصدر : رسم تحليلي من عمل الباحثين .

(ج) حائط القبلة : هو صدر المسجد ، والحائط المتعامد على اتجاه القبلة نحو الكعبة المشرفة بمكة المكرمة (بيت الله الحرام) ، فالمسلمون في جميع أنحاء العالم يولوا وجوههم شطر المسجد الحرام في كل صلواتهم .

وفي صدر الإسلام صلى المسلمون باتجاه بيت المقدس ، ثم نزلت آيات من القرآن الكريم أمر الله رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بتغيير اتجاه القبلة من

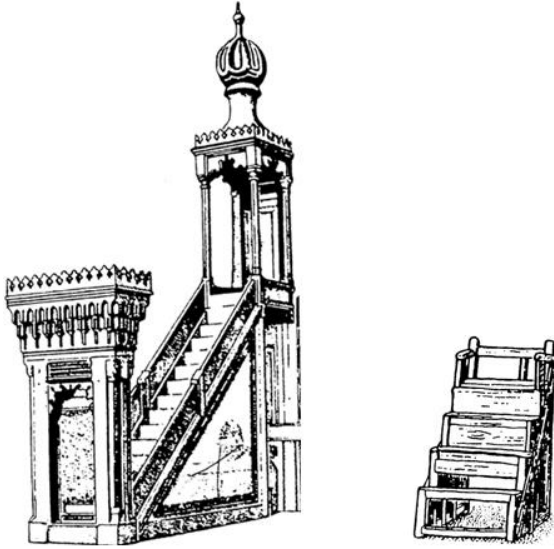
(56) حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، سلسلة كتب ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت،يناير 1981، ص 61 .

(57)حسين مؤنس، مصدر سبق ذكره ، ص 62 .

بيت المقدس إلى المسجد الحرام بمكة المكرمة ، لتصبح قبلة كل المسلمين بمشارك الأرض ومغارها أنفرد بها الإسلام دون الديانات الاخرى ، كاليهودية والنصرانية والبوذية والهندوسية فهم يصلون في أي اتجاه وبينون معابدهم بحسب معارفهم من الهندسة⁽⁵⁸⁾.

(د) المنبر : هو مرقاة ذات درجات يتوسط حائط القبلة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في المسلمين بمسجده الشريف وهو يتكى على جذع نخلة ، ولاحظ المسلمون أن ذلك يشق عليه فاقترحوا عليه أن يتخذ شيئاً يجلس عليه ، فصنع له منبراً من الخشب مكون من ثلاث درجات الأولى والثانية لصعوده والثالثة لجلوسه وارتفاعه ذراعان وثلاثة أصابع، وعرضه ذراعاً واحداً ، كان ذلك في السنة السابعة للهجرة .

تطورت بعد ذلك إقامة المنابر في مختلف ديار المسلمين ومع اتساع مساحة المسجد لزيادة عدد المصلين ، ازدادت عدد درجات المنبر ليتمكن المصلون من رؤية الإمام وسماع الخطبة لعدم وجود لواقط صوت آنذاك ، وبذلك بات " المنبر " أحد المفردات المعمارية الإسلامية الأساسية للمسجد⁽⁵⁹⁾ . انظر الشكل(3) .



شكل رقم (3) يوضح تطور المنابر الخشبية بالمسجد .

المصدر : يحيى وزيري، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية ،ص(29) .

(هـ) المحراب : هو تجويف يسير في جدار القبلة ، والعنصر المرشد بدقة في المسجد لاجتاهها ، ومكان وقوف الإمام ليوم المسلمين في الصلاة ، وورد لفظ المحراب في القرآن الكريم أربع مرات ، قال تعالي : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا

(58) حسين مؤنس، مصدر سبق ذكره ، ص63 .

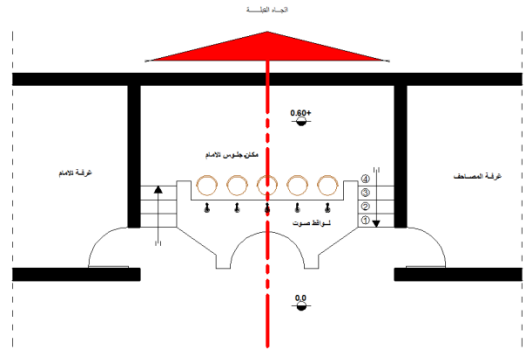
(59) محمود الحلواني، تصميم المساجد، العناصر المعمارية للمسجد، عناصر العمارة الإسلامية ، ص2 .

زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ⁽⁶⁰⁾، وكان من أكثر المفردات المعمارية تعرضاً للنظريات المتعلقة عن أصله ، ونسبه إلى حضارات سابقة وخاصة العمارة المسيحية .

أن أول من عمل المحراب في هيئة حنية كان عمر بن عبد العزيز، عندما أعاد بناء مسجد الرسول ﷺ في المدينة، واستخدم حرفيين أقباطا أرسلهم والي مصر⁽⁶¹⁾ .

وتميز المحراب بالإضافة لدوره الأساسي كمكان لوقوف الإمام ليؤم المصلين ومرشدا لاتجاه القبلة باستعمالات أخرى "كالزهد والخلوة والاعتكاف"⁽⁶²⁾ .

والحاربي اختلفت أشكالها وأحجامها والطرق الهندسية المتبعة في إنشائها، منذ كانت مجرد علامة يسيرة على جدار القبلة في مسجد الرسول ﷺ، إلى أن وصلت لأشكالها الهندسية الرائعة. انظر الشكل(4) .



شكل رقم (4) يوضح المسقط الأفقي والواجهة لمحراب ومنبر مسجد النور بالزنتان .

المصدر : اللجنة المنفذة، تصميم وتنفيذ د. م . رجب بشير عكرة، 2014م .

(2-6) المفردات المعمارية الثانوية للمسجد : ابتكر المعماري المسلم مفردات معمارية ثانوية تجمع بين الوظيفة والدلالة والرمزية

أهمها :

(أ) **المأذنة** : أنشأت ليرفع من فوقها الأذان ، لعدم وجود مكبرات صوت آنذاك، إيدانا بحلول وقت الصلاة ، ومنها اشتق اسمها وميمت "بالمئارة" لوجود فنار بأعلىها يضيء ليلا لتتهدي به السفن إلى الموانئ .

وأطلق اسم منارة على مأذنة المسجد ، حيث ظهرت أول منارة بنيت من الحجر بجامع البصرة في الفترة(645-665م) بعد هدم الجامع الأول .

(60) القرآن الكريم ، سورة آل عمران، الآية 37 .

(61) حسين مؤنس، مصدر سبق ذكره ، ص 69 .

(62) هيمة ، ضياء الرحمان ، الرمزية المعمارية في المحيط العمراني، جامعة بسكرة، عام 2016م، ص 19 .

انظر الشكل(5) .

كما أنشأت أربع صوامع في أركان جامع عمر بن العاص بالفسطاط لغرض الأذان سنة(653-672م)تقوم بوظيفة المأذنة وكانت اقرب للأبراج لضخامة هيئتها . انظر الشكل(5) .

لهذا اتخذ مؤرخوا الفن الإسلامي مأذنة جامع عقبة في القيروان نقطة البداية لتاريخ المآذن وتطورها. انظر الشكل(5) .



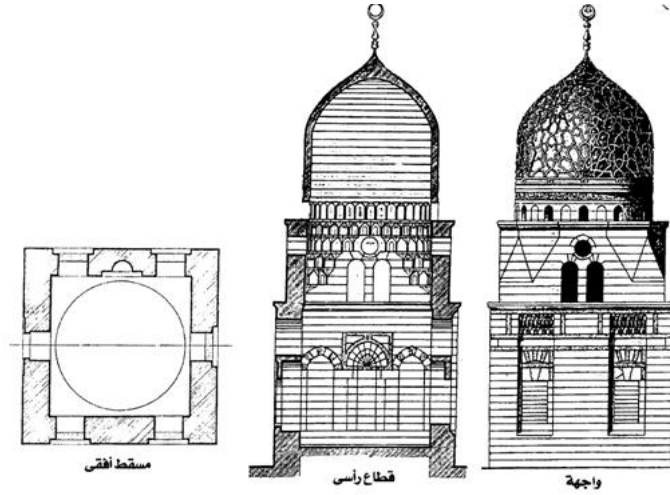
شكل رقم (5) يوضح مأذنة جامع البصرة، وجامع عمر بن العاص بالفسطاط، وجامع عقبة في القيروان .

المصدر : شبكة المعلومات الدولية <https://www.google.com> ،تاريخ الدخول 2024/3/9م.

(ب) القبة : عرفت العمارة الإسلامية القبة من الحضارات السابقة للإسلام ، وقبة الصخرة أول قبة ظهرت في الإسلام سنة(72 هـ/

691م)، لتحديد البقعة المباركة (الصخرة) التي عرج منها الرسول محمد ﷺ إلى السماء . انظر الشكل (6) .

أنشأت القباب على مساقط دائرية أو مربعة ، وفي المسقط الرباعي لجأ المهندسون المسلمون إلى إقامة مثلثات في الأركان في منطقة الانتقال لتحويل المربع إلى مثنى ثم دائرة يرتكز عليها جسم القبة النصف كروي ، وهنا برز عنصر جديد في العمارة الإسلامية سمي (بالمقرونصات) (63).



شكل رقم (6) يوضح قبة جاني بك الأشرفي.

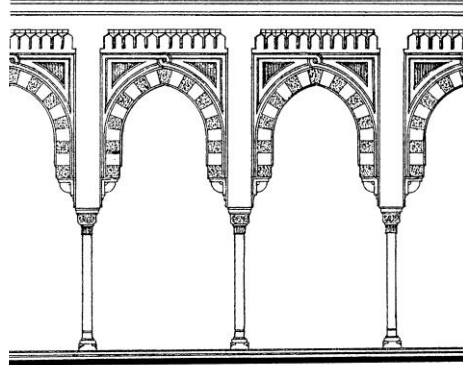
المصدر : يحي وزيري ، مصدر سبق ذكره ، ص (81) .

دورا بالمساجد الأروقة يحيط بالصحن المكشوف الملحق بالمسجد ، كما لعبت مسقوف محمول على أعمدة وعقود عريض (ج) الرواق : يمر (7) الدينية . انظر الشكل العلوم تدريس في كبيرا

بتوسعته ، عند قيامه الشريف النبوي للمسجد أروقة عنه بإضافته الله رضي عفان بن عثمان الخليفة المساجد في الأروقة استحدث من أول إن الأساسي (64) . بالمبنى المساس دون لتوسعتها وسيلة إلى المساجد الأروقة إضافة أصبحت وبذلك

(63) هيمة ، مصدر سبق ذكره ، ص (20) .

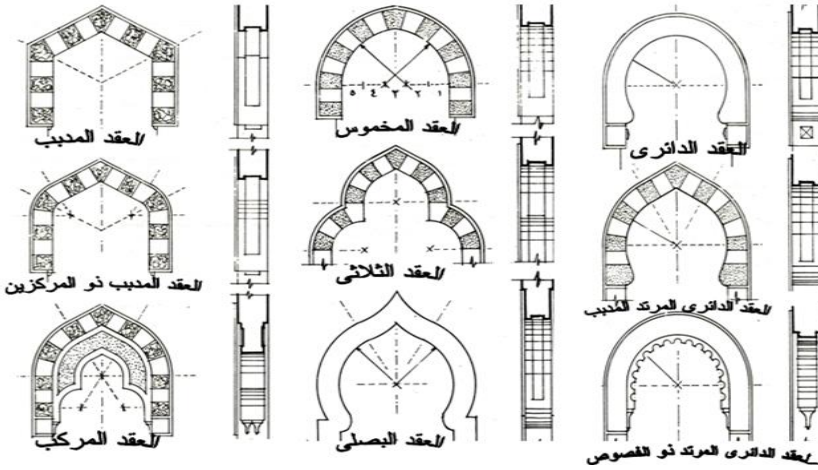
(64) محمود الحلواني ، مصدر سبق ذكره ، ص (5) .



شكل رقم (7) يوضح الرواق يحيط بالصحن المكشوف بالمسجد .

المصدر : يحي وزيري ، مصدر سبق ذكره ،ص(73) .

(د) **العقود:** أصل العقد آسيوي ، وتطور على أيدي الفرس والرومان تطورا واسعا ، ثم جاء المسلمون فساروا بالعقود لمدى أبعد وأكثر تنوعا ، والعقود مختلفة الأشكال ، منها الخموس ونصف الدائري ونصف البيضة وحذوة الحصان والمنفرج والمستقيم والمدبب؛... الخ .انظر الشكل(8)

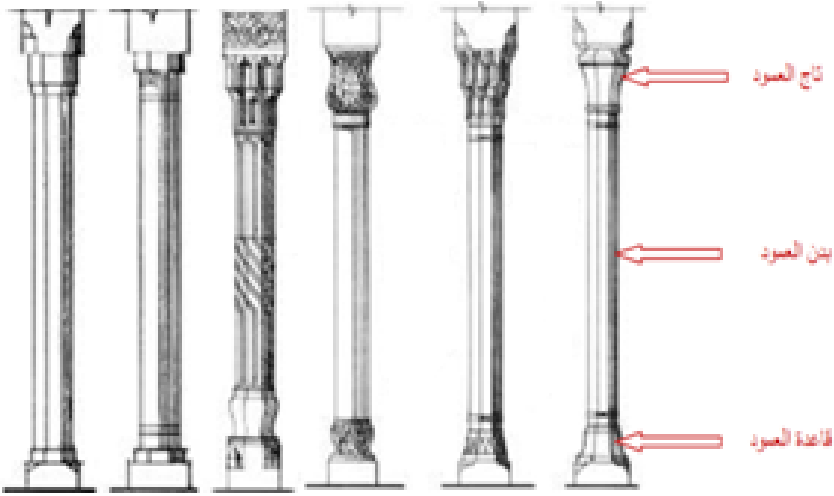


شكل رقم(8) يوضح نماذج مختلفة من العقود الإسلامية .

المصدر : يحي وزيري، مصدر سبق ذكره ،ص(66) .

(هـ) العمود: عنصر معماري وإنشائي، ظهر في الحضارات القديمة (كالفرعونية والبابلية والاشورية)، استعمل في عمارة المساجد، يتكون من ثلاثة أقسام رئيسية هي:

- **قاعدة العمود:** قاعدة متينة من الحجر، يختلف ارتفاعها بحسب ارتفاع العمود وما يراه المهندس من الناحيتين الإنشائية والجمالية.
- **بدن العمود:** العمود يكون من الرخام قطعة واحدة أو مجموعة قطع أسطوانية فوق بعضها، أو من الآجر أو الحجر، ويسمى دعامة، وهي أقوى وأمتن ولكنها أقل جمالا، ويمكن الدمج بين العمود والدعامة.
- **تاج العمود:** بهيئة وسادة توضع على رأس العمود تقوم بحمل العقود والأروقة والأسقف. انظر الشكل(9).

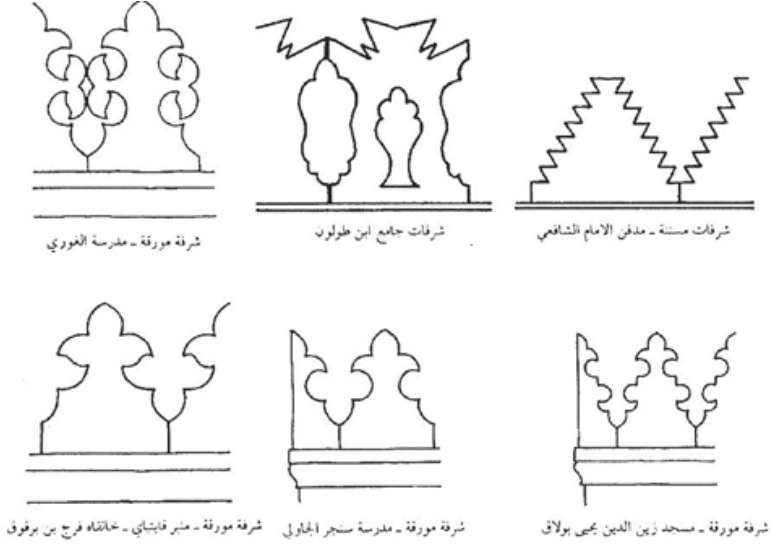


شكل رقم (9) يوضح نماذج مختلفة من الأعمدة العربية الإسلامية والأندلسية.

المصدر: أماني أحمد عبد السيد خضر، الديناميكية الساكنة للعمارة الإسلامية والحديثة بين المفهوم والتطبيق، ص(2).

(و) الشرفات أو عرائس السماء: هي وحدات زخرفية من الطوب أو الحجر أو الأسمنت، توضع على امتداد ذروة المسجد، تفنن المعماريون المسلمون في أشكالها وتطويع استعمالها، لدرجة تسميتها بعرائس السماء، ويكمن وضعها مترابطة ومتوالية على نسق واحد بطول واجهات البناء على ذروة بسيطة أعلا السقف كأنها إطار، تكون على هيئة قطع هرمية صغيرة ومتعددة، أو بهيئة زهرات الليلق أو اللوتس المتجاورة⁽⁶⁵⁾. انظر الشكل(10).

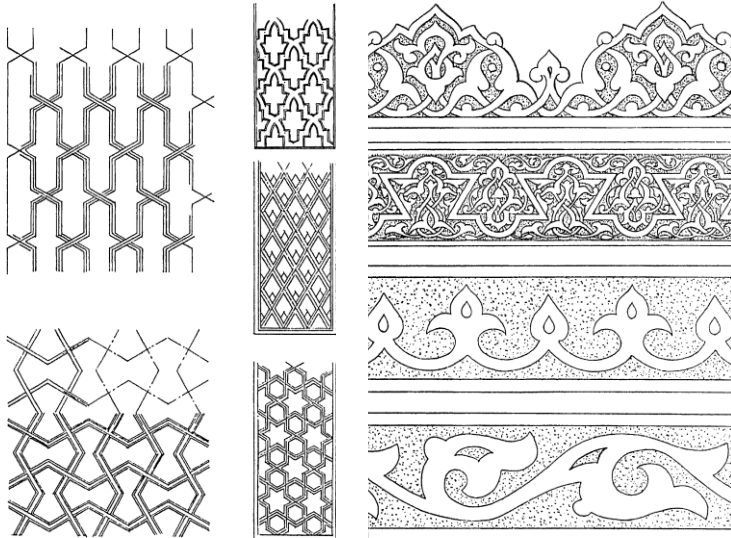
(65) حسنين مؤنس، مصدر سبق ذكره، ص(127).



شكل رقم (10) يوضح الشرفات أو عرائس السماء بالمسجد .

المصدر : يحيى وزيري ، مصدر سبق ذكره ، ص(130) .

(ل) الزخارف : هي كل رسم يعمل على مسطح بقصد ملء الفراغ بهيئة زخارف جميلة متناسقة تستريح إليها العين ، من خطوط هندسية أو نباتية بعيدة عن الهيئات الحيوانية ، وجمالها يعتمد على ذوق صانعها ودرجة سيطرته على المادة التي يستعملها . انظر الشكل(11) .





الملك ة



الشريعة



السنن



ولا تأكلوا أموالكم

شكل رقم (11) يوضح أنواع الزخارف النباتية والهندسية والخطية الإسلامية المختلفة .

المصدر : يحي وزيرى، مصدر سبق ذكره ، صص(58،81،114).

* تلك هي المفردات المعمارية الأساسية والثانوية التي لا بد منها لإكمال التكوين المعماري للمسجد والمباني الدينية .

6. دراسة المعايير التخطيطية والأسس التصميمية للمسجد .

1.7 دراسة المعايير التخطيطية للمسجد: تتكون من شقين ؛ الأول له علاقة باختيار موقع المسجد على المستوى المحلي والثاني لعلاقة الموقع بالمبني .

(أ) المعايير التخطيطية لاختيار موقع المسجد على المستوى المحلي:

- أن يكون الموقع مميز وسهل الوصول إليه ويتصل بشبكة الطرق .
- توفر المساحة الكافية لمتطلبات البرنامج المعماري والمساحي للمسجد (المغطاء والمكشوفة والامتداد المستقبلي) .
- أن تكون مساحة الموقع المختار مناسبة وملائمة لاستيعاب المصلين لسكان القرية أو المجاورة أو المدينة .
- يراعى بعد الموقع عن مصادر التلوث البيئي (البصري - السمعي - الهوائي) .
- يراعى بعد الموقع عن الأماكن النشطة زلزاليا .
- قرب الموقع من الفضاءات العامة (الساحات العمومية - والأسواق - والمناطق الخضراء) .
- يمنع بناء مسجد جديد قرب مسجد قائم إذا قصد بذلك تفريق أهل المسجد واختلاف كلمتهم .
- يراعى بعد موقع المسجد عن المقابر لكي لا يعوق الامتداد المستقبلي المصاحب للنمو السكاني للمسجد والمقبرة معاً.

- ان يكون الموقع بعيدا عن الأودية ومخترات السيول .

(ب) المعايير التخطيطية لعلاقة الموقع بالمبني :

- مراعاة وجود مساحة كافية لمواقف السيارات ومباني المرافق المكملة للمسجد (الميضأة- فصول لتحفيظ القرآن الكريم للجنسين).
- ترك الردود الكافية الأمامية والجانبية والخلفية للمسجد داخل الموقع .
- تحديد المداخل والمخارج للمتريدين من المصلين على المسجد .
- التحديد الدقيق لأتجاه القبلة ، ودراسة الكتلة الملائمة للموقع وتحديد النظام الإنشائي .
- التقيد بالمعيار التخطيطي للموقع والمحدد بـ 60% مساحة مغطاة و 40% مساحة مكشوفة .
- تناسب مساحة الموقع مع مساحة المبني وعدد المترريدين على المسجد.

2.7 الأسس التصميمية للمسجد :

إن المضمون الأساسي لتصميم المسجد هو توفير فراغ ملائم يسمح للمسلم بأداء صلاته في راحة وخشوع ، مع المحافظة على المفردات المعمارية الأساسية والثانوية للمسجد التي أصبحت تجمع بين "الوظيفية والدلالة و الرمزية" .

(أ) تقدير نسبة المصلين بالمسجد : تحسب نسبة المصلين بالمسجد بناء على عدد السكان القائم بسنة الأساس وعدددهم المتوقع بسنة الهدف ومن الشرائح العمرية والنسب المئوية الموضحة بالجدول رقم (1) .

المصلين بالمسجد % . جدول رقم (1) يوضح تقدير نسبة

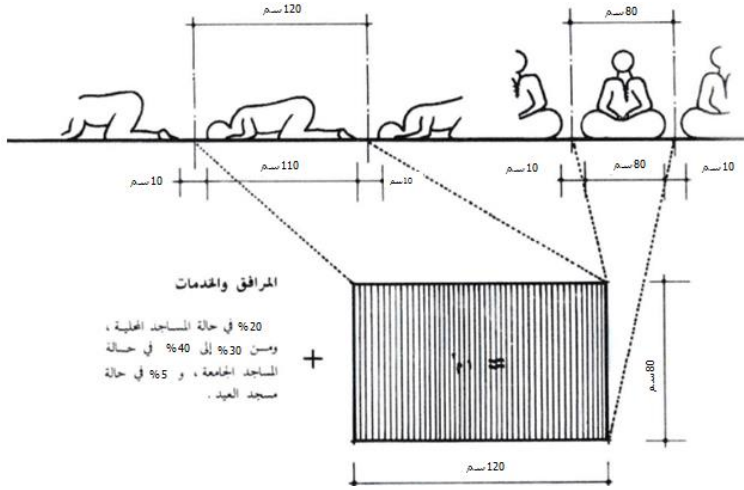
المصدر : حازم محمد إبراهيم، كتاب-المعايير التخطيطية للمساجد ، ص(7) .

البند	أطفال	إناث	ذكور
%	20%	40%	40%
عدد 1000 نسمة	200	400	400

(ب) تقدير سعة المسجد :

- المسجد المحلي : يفضل أن لاتقل سعته عن 200 مصلى، ليخدم مجموعة من السكان يبلغ عددهم 500 نسمة .
- المسجد الجامع : يجب أن لاتقل سعته عن استيعاب كافة المصلين الموجودين داخل نطاق خدمته لأداء صلاة الجمعة .
- مصلى العيد: يجب أن لاتقل سعته عن 40000 مصلى في المدن الكبرى ، أو إجمالي عدد المصلين الذكور في المدن المتوسطة والصغرى

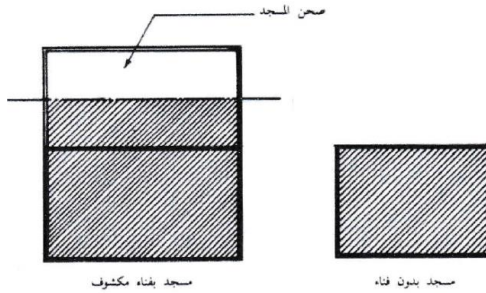
(ج) نصيب الفرد من المساحة المسقوفة بالمسجد : حاجة المصلي الواحد تقدر ب 1م²، بحيفة مستطيل ضلعه الأصغر 80سم والأكبر 120سم وهو يمثل المساحة التي يشغلها الفرد ساجدا ، مع مراعاة أن المصلي إذا قام للصلاة احتاج فقط إلى 60 سم ، الأمر الذي يعطي فرصة لاستيعاب الأعداد الإضافية من المصلين غير المحسوبين لا سيما الأطفال ، الذين يشكلون ما نسبته 1 % من عدد المصلين في المساجد المحلية، و4 % من عدد المصلين في المساجد الجامعة . انظر الشكل رقم (12) .



شكل رقم (12) يوضح المساحة التي يحتاجها المصلي بالمسجد .

المصدر : الحرساني، ربيع محمد، التصميم والإنشاء المعماري للمهندس، ص(9) .

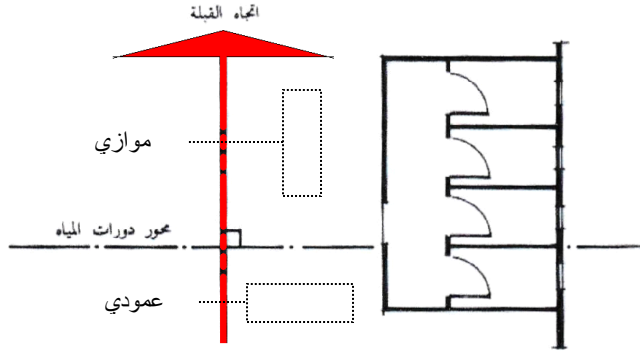
(د) نصيب الفرد من المساحة بالمسجد ذات الصحن المكشوف : تحسب إجمالي المساحة المغطاة مضافا إليها 50% من مساحة الصحن المكشوف، لأن مساحة الصحن المكشوف لن تستخدم دائما . انظر الشكل رقم (13) .



شكل رقم (13) يوضح المساحة الفعالة المستخدمة من المسجد .

المصدر: أحمد بن رشدي ، تقويم المعايير التخطيطية للمساجد، ص(38) .

الميضأة : تعتبر مصدراً للتلوث بالمسجد إذا أسيء استخدامها ، وهي تحتاج دائماً إلى النظافة والصيانة ، ويجب اختيار مكانها بمنتهى العناية ويؤخذ في الاعتبار عند تحديد موضعها اتجاه الرياح والشمس ، مراعاة اتجاه القبلة ، واحتمالات التوسعة المستقبلية للمسجد . انظر الشكل رقم (14).



- توضع دورات المياه في محور عمودي على اتجاه القبلة

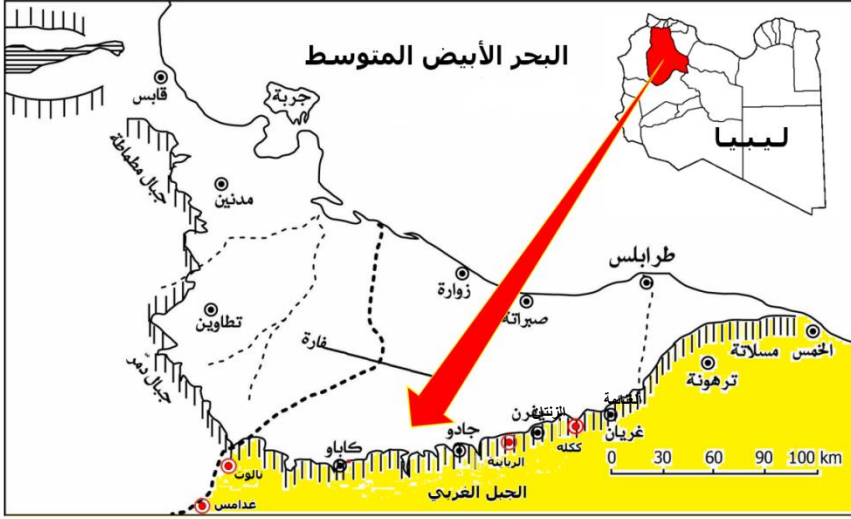
شكل رقم (14) يوضح وضع دورات المياه في محور موازي لاتجاه القبلة .

المصدر : حازم محمد إبراهيم، مصدر سبق ذكره ،ص(23) .

7. الدراسة التحليلية لنماذج مختارة من المساجد والزوايا بنطاق امتداد إقليم الجبل الغربي الفرعي بليبيا :

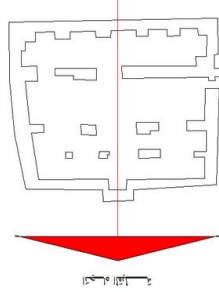





إقليم الجبل الغربي الفرعي هو سلسلة جبال صخرية طولها 190 كم، وارتفاعها الأقصى 968م فوق مستوى سطح البحر ، تمتد بالمنطقة الشمالية الغربية لليبيا ، تبدأ من جنوب شرق تونس ، مروراً ببنالوت وصولاً إلى منطقة غريان وانتهاءً بالخميس شرقاً . انظر الشكل(15).




لقد تم اختيار نماذج لأبنية مساجد وزوايا تاريخية موجودة بالإقليم الفرعي ، روعي في اختيار هذه العينات التنوع الجغرافي ، وسيتم تحليلها وصفياً ، وتحديد المفردات المعمارية لها ، لغرض الاستفادة منها في نتائج وتوصيات الدراسة ، تمثلت عينات المساجد التاريخية المختارة في (المسجد العتيق بغدامس ، المسجد الأعلى بنالوت القديمة ، زاوية أبو ماضي بككلة ، زاوية العالم بالريابنة) ، وقد تم الخروج بجدول تحليلي لهذه العينات . انظر الشكل رقم(16،17،18،19) .



شكل رقم (15) يوضح موقع إقليم الجبل الغربي الفرعي من ليبيا .

المصدر : شبكة المعلومات الدولية <https://www.google.com> ، تاريخ الدخول 2024/4/4م.

<p>تاريخ البناء: يعود إلى القرن الثالث الهجري، الثامن الميلادي .</p> <p>الموقع الجغرافي: تاورت القبية على مسافة تقدر بـ 270 كم تقريبا، إلى الجنوب الغربي من مدينة طرابلس .</p>	<p>شكل (2/14) يوضح المسقط الأفقي</p>  <p>شكل (1/14) يوضح واجهة المسجد</p> 
<p>المسقط الأفقي: عمل تخطيط المسجد الأعلى (العلووي) إلى الشكل المربع ويبلغ طول جدار القبلة حوالي 7.90 م ، بينما يبلغ طول الجدار الجنوبي الغربي 8.80 م ، والمسجد متداخل واحد موجود في الجدار الشمالي بعرض حوالي 80 سم ، وارتفاعه حوالي 1.90 م .</p> <p>المفردات المعمارية المكونة للمسجد .</p>	<p>شكل (3/14) يوضح الخراب</p> 
<p>المنافذة: توجد بعض الأجزاء المتبقية على هيئة أعمدة صغيرة بمثابة المنارة أو المآذنة ، ويعرف هذا العنصر المعماري في الجبل باسم (الصومعة) ، وهي تقطة دائلة على مكان المسجد .</p>	<p>شكل (4/14) يوضح سطح المسجد</p> 
<p>المخواب: مخراب المسجد من البساطة يمكنه، ويخلو من الزخرفة والكتابة ، هذا النمط من الخراب يتابع في مساحد الجبل القبية ، بعرض 85 سم وعمق 90 سم وارتفاع 1.95 متر .</p>	<p>شكل (5/14) يوضح بيت الصلاة</p> 
<p>المنبر: الأيوان لصغر مساحته وقاربها 2.69.5</p> <p>مصحن الصلاة: يحتوي المسجد العلووي على قاعة للصلاة ذات أربعة أروقة ، وهي مغطاة بأقنية برصالية موازية لحائط القبلة.</p>	<p>شكل (6/14) يوضح سطح المسجد</p> 
<p>مواد البناء المستعملة: استعمل في بناء المسجد مواد بناء محلية تمثلت في الأحجار والوثنة الجسية وشمع الأبنجار النجيل والريون .</p> <p>النظام الإنشائي: فقد بنظام الحوائط الحاملة بسلك 70 سم تقريبا ، وارتفاع 3م ، جدارياك من الحجارة والوثنة الجسية ، والسقف من أقنية برصالية موازية لحائط القبلة .</p>	<p>شكل رقم (14) يوضح مسقط أفقي ولقطات وعلوية وداخلية وبيانات مجمعة للمسجد الأعلى (العلوي) تاورت القبية .</p> <p>المصدر: من إعداد وتجميع معدي الورقة .</p>

<p>تاريخ البناء : حتى إلى سنة 44 .</p> <p>الموقع الجغرافي : تقع في شارع من ولاية مدينة فاس القديمة .</p> <p>المسقط الأفقي : يتشكل البناء من أجناع غير منتظم ، شبه منحرف ، يبلغ طول جدار الجدار الجنوبي العميق (القبلة) 27 م ، والجدار الشمالي الغربي 26م ، والجدار الغربي 9,90 م بينما الجدار الشرقي 3,70 م .</p> <p>المميزات المعمارية للزوية .</p>	<p>شكل (3/13) يوضح بيت الصلاة .</p>
<p>بيت الصلاة المنحني : يمتدس بيت الصلاة بواسطة زاوية مكونة من ثلاثة عشر عمودا إلى ارتفاع جدارين جدار القبلة بأحد كل منهما شكل شبه منحرف يبلغ ارتفاع الجدار الغربية 4,70م تقريبا بينما بيت الصلاة إلى ارتفاع جدارين جدارين مع جدار القبلة وارتفاع المسافة بين العمود والآخر من 1,10 م إلى 1,20 م وأخر المساح الجدار من القاعة الغربية 2,10 م ويتركز العمود جميعها على دعائم ذاتها مع طول ضلع 65سم على كل منها وضادة حربية مربعة طول ضلعها 80 سم .</p> <p>بينما الدعائم الأوجهة للمغرب أكبر حجما وطول ضلع كل منها 4م ويوضح ثلاثة أعمدة مترابطة في بدن كل دعامة القاعة .</p> <p>يقدم بيت الصلاة قاعة شبه منحرف طول جداره الجنوبي الغربي 40-26 م وجداره الشمالي الغربي 26 م ، وطول جداره الغربي 60,3 م بينما طول الجدار الشرقي 20,3 م .</p>	<p>شكل (2/13) يوضح المسقط الأفقي للمسجد .</p> <p>شكل (1/13) يوضح مخطط كتلة المسجد .</p>
<p>المغرب : اكتنفان جوانبه ويظهر كل منها وضادة حربية كتلية تضم زوايا زوايا عمودية ، بينما يحيط بقدر الغراب إطار من زوايا هندسية بسيطة عبارة عن خطوط . ويبلغ ارتفاع حافة الجدار 1,20 م وعمق المساح حافة الجدار 1,20 م بينما يبلغ ارتفاعه 2,20 م .</p> <p>المسبح : يوجد على جانبي الجدار حجرة مستطيلة 10,80 × 2,10 م تقسمة للمسبح ويبدو أن حافة هذه الحجرة قد طرأ عليها كثير من التعديلات ، كان عليها حجاب مستقيم مرتفع ، ويحيط الإرتفاع حبل حديد ممتد على الإرتفاع قبل الجدار إلى حجاب مستقيم ومنه الإرتفاع ما فوق هذا الحجاب وفضة العبد .</p>	<p>شكل (6/13) يوضح المحراب .</p> <p>شكل (5/13) يوضح القبلة .</p> <p>شكل (4/13) يوضح المآذن .</p>
<p>المآذن : الصناعات مختلفة الأقاليم والجانب الشمالي للبناء ذات وضادة مربعة عليها مستطيل ينحني من أعلى مكون من ثلاثة طابق تعلوها شرفة تسمى بشكل مربع في كل من أركانها . ارتفاع القبلة الثانية في الجانب الشمالي الغربي للبناء وهي تشبه الأول . ولا يلاحظ في هاتين المآذنين تفرقة بوضوح المآذن الأولى المربعة ذات القاعدة المربعة والبناء - المستطيل ، مع الإحراف في شكل القبلة وعدم وجود قبة عليها ، كما لا يلاحظ على المآذن من أي زوايا معمارية .</p> <p>المساحي والفتحات : يؤدي إلى بيت الصلاة قاعة مربعة أبعاد 1,30 × 0,85 م ، ويتألف ذات حجاب مستقيمة . فتحات بيت قاعة نافذة : ثلاثة منها في الجدار الجنوبي الغربي كلها مستطيلة 1,30 × 0,85 م ، وأما ذات الجدار الشمالي الغربي أبعدها 0,95 × 1,65م ، وأما حافة الجدار الشمالي أبعدها 0,93 × 0,73 م .</p> <p>مواد البناء المستخدمة : أبيض جدران من الحجر الصخر المطحون مونة الجبس (تلاوة) ثم طلائها بطلاء من الجبس ، أما الأعمدة والعمود فهي من الحجر .</p> <p>الطلاء الداخلي : يعطي بيت الصلاة سقف مسطح من جدران الجبل التي تمتد مع قاعدة على جدار القبلة تعلوها طبقة من جريد الخشب الذي يغطيها زخرفية من خطوط متطابقة تشكل أشكال هندسية ، ويغطي ذلك الجبل ثم الحجر .</p>	  

بفداس . شكل رقم (13) يوضح مسقط أفقي ولقطات شمسية مسمورة خارجية وبيانات مجمعة للمسجد العميق المصنوع من إعداد وتجميع معدي الورقة .

<p>تاريخ الضواحة : أسسها عميد القمام ، من أولاد عبدالحي يوسف سنة 1329 - 1330 هجرية ، اجتمعت بطبرستان العلوم المشرفة وتخطيط القرآن الكريم .</p> <p>الموقع الجغرافي : تقع زاوية العالم بناد بين الخلافة والزانية يقال له وادي الباقول ، ومنها انشأ ابنها (زاوية الباقول) .</p> <p>المسقط الأفقي : يتكون من محراب كعرة اسكن عليه العلم وحفظ القرآن تحيط بها أروقة موشحمة ، شكلها شبه مستطيل أبعادها 4.85 × 0.15 م ، يدخل تحت الصلوة من مدخلان واحد في الضلع الشرقي (المدخل الرئيسي) عرض 0.85 م ، وارتفاع 1.95 م ، والأخرى باتجاه القبلة (المحراب) (المدخل الجانبي) ، تعلوها عقود نصف دائرية ، تحيط بكل المدخلين أكتاف حجرية مستطيلة بارزة عن الجدار .</p> <p>المفردات المعمارية للزاوية .</p>	<p>الشارة : لا يوجد .</p> <p>المحراب : تقع داخل العقد الثالث من الناحية الشرقية لجدار القبلة ، يتكون من حنية نصف دائرية ، لها عقد نصف دائري على شكل حجرة القوس ، يتركز هذا العقد من كل جانب بدعامة متباعدة بالحدود ، تحيط بالمحراب من جانبيه دعامة متباعدة بالحدود عرض 1.25 م وعمق 1.10 م وارتفاع يصل إلى 1.95 م .</p> <p>مبنى : لا يوجد لتوفر مساحته وقدرتها 4.44 م²</p> <p>بيت الصلاة للمسجد : عبارة عن مساحة مستطيلة ذات رواقين ، تعلو بيت الصلاة عدد 2 أبنية برتالية موزاة تحاطها القبلة ويتركز على 5 أعمدة ذات عقود نصف دائرية ، بواجهته كل صف وترتكز العقود بدعامة متباعدة بالحدود .</p> <p>الفتحة المكشوفة للزاوية : عبارة عن مساحة مربعة مكشوفة تفتح عليها العقود الدائرية تحاط بأبنية أروقة عمودية على أعمدة تعلوها عقود نصف دائرية ، كل صف بواجهته يكون من دعامة متباعد معها ، تعلو الأبنية برتالية موزاة تحاط القبلة وأخرى عمودية عليها .</p> <p>مواد البناء المستعملة : بيت حدائقها من الحجر الصغير المتجاود بميزة الجبس (الطلاء) ثم طلائها بطلاء من الجبس ، أما الأعمدة والعقد فهي من الحجر . والسقف ذات أبنية برتالية .</p> <p>النظام الإنشائي : نظام الحوائط الخاملة بارتفاع 3.15 م تقريبا والاعتماد السادة للحجارت ، بالحوائط بسماك تقدر بحوالي 40 سم .</p>	
<p>شكل (8/15) يوضح المسقط الأفقي .</p>  <p>شكل (9/15) يوضح المحراب .</p> 	<p>شكل (4/15) يوضح الفناء من الداخل .</p>  <p>شكل (5/15) يوضح المدخل الرئيسي .</p> 	<p>شكل (6/15) يوضح الرواق من الداخل .</p>  <p>شكل (7/15) يوضح كتلة الزاوية .</p> 
<p>شكل (11/15) يوضح صورة جوية للزاوية .</p>  <p>شكل (2/15) يوضح الرواق من الخارج .</p>  <p>شكل (3/15) يوضح السقف من أعلى .</p> 	<p>شكل (10/15) يوضح بيت الصلاة .</p> 	<p>شكل (15) يوضح مسقط أفقي ونقاط شمسية موزونة خارجية وداخلية وبيانات تجمعة لزاوية العالم بالبرتالية .</p> <p>المصدر : من إعداد وتجميع معدي الريقة .</p>

تاريخ العتاقوا : حيث وازية أبي ماضي نسبة إلى جبل أبو ماضي التي تقع بالقرب منه في مدينة سكاك، اكتسبت هذه التسمية من المنحج عبدالله الأضرى وبأناست في القرن التاسع الهجري، عبروا 800 عام تقريبا .است في " القرن الخامس عشر ميلادي"، وأصبحت فيما بعد أحد أهم المزارات العلمية في مجال أوباشا.

الموقع الجغرافي : تقع وازية أوباشي في الجزء الغربي من مدينة سكاكة بالقرب الغربي.

الوصف : الازوية عبارة عن مبنى ضخم ذو طابقين بها العديد من القصور الدارسية وقبة واسع وغرف لإقامة الطلبة والدرسين، وما يمكنه عظيمة وجمال المون وما العديد من المنافع التي يجتازها المدرس والطالب للعلم بها.

المسقط الأفقي : المسقط عبارة عن شكل شبه مستطيل ، يبلغ طول جدار القبلة 11.25م وبالجانب المقابل له 11 م بينما يبلغ طول الجدار الشمال 7.10 والجدار الجنوبي الغربي 7.25م وجدار الجدران حوالي 40 سم . والمسقط داخل واحد ، في الجدار الشمالي ، جرحه حوالي 70 سم بإرتفاعه حوالي 1.9 م يعلني حجر على جهة عند نصف دائري .

المسافة : لا يوجد .

المحراب : تقع المحراب في منتصف جدار القبلة وهو عبارة عن قوسية مسطحة عرض 1.40م يوجد على كل جانب من الجوانب كحف صغير من الحجر بعرض 1.55م ويصل ارتفاعه إلى 1.95م و فوق المحراب يوجد دعائم دائرية.

المنبر : لا يوجد .

القبلة : لا يوجد .

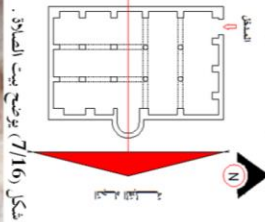
بيت الصلاة : يتخذ مسجد وازية أوباشي على قامة القبلة وتتكون من عدد 2 أروقة موزية خارجة القبلة ويتركز على 4 أعمدة ومن 3 أروقة متتالية خارجة القبلة ويتركز على 6 أعمدة متتالية الأشكال متجمعة من الحجر بجانه الأعمدة تحمل عقودا دائرية تستند عليها الأضيق الأربعة التي تعلني القاعة ويبلغ عددها 5 أيقية .

القناة المكشوفة للروية : عبارة عن مساحة مربعة مكشوفة تفتح عليها القصور الدارسية ،تحتل زاوية رومانية عمارة على أعمدة تعلوها عقود نصف دائرية ، كل حلف بجانبه مكون من دعامة يتبعها معها ،يعطي الأروقة أيقية موزية خارجة القبلة وأضيق متعادلة عليه .

مواد البناء المستخدمة : لقد بنى الازوية والبسند من الأحجار ومونة الجبس ورواح الأضخار .

الطاقم الإقليمي : جوارق القبلة بإرتفاع 3 م تقريبا .بيت جدران هنا المسند بالحجر الصغير والخاروط مع مادة الطين أما الأضيق فقد بنيت من الحجر ولالاحظ أن جدران هنا المسند ذات دعائم داخلية متتالية عملة بالخراب المسوكة .جوارق بسنك حوالي 40 سم .

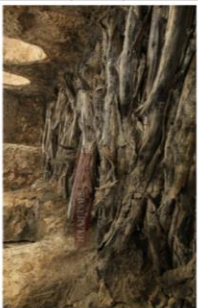
شكل (6/16) يوضح المسقط الأفقي للمسجد.



شكل (7/16) يوضح بيت الصلاة.



شكل (8/16) يوضح السقف من الداخل.



شكل (3/16) يوضح الرواق من الداخل.



شكل (4/16) يوضح المساقف.



شكل (5/16) يوضح القاعة المكشوفة .



شكل (1/16) يوضح حدود جوية للازوية.



شكل (2/16) يوضح الرواق من الخارج.



شكل رقم (16) يوضح مسقط أفقي ولقطات وداخلية وخارجية وبيانات جمجمة ازوية أوباشي بكسكلة .

المصدر : من إعداد وتجميع معلمي الروقة .

8. النتائج والتوصيات :

خلصت هذه الدراسة المتعلقة بالمفردات المعمارية للمسجد والزوايا لأهم النتائج والتوصيات التالية :

1.9 النتائج :

- ظهور تلوت معماري لحق بالمفردات المعمارية الرئيسية والثانوية للمسجد نتيجة لعدم وجود كراسة معمارية مستوفاة يتم التقيد بها من قبل المعمارين والمخططين عند قيامهم بتخطيط وتصميم أي مسجد أو زاوية من الزوايا تكون محمية بموجب قوانين وتشريعات نافذة .
- تنقية المفردات المعمارية للمسجد والزوايا من التشوه المعماري الذي لحق ببعضها نتيجة البناء العشوائي في ظل عدم وجود تشريعات بناء قانونية يتم من خلالها متابعة تنفيذ المباني الدينية .
- من نتائج الدراسة ترك أعمال التصميم والبناء للجان محلية من خلال التنفيذ الذاتي تنقصها الخبرة والتخصص والمتابعة من الجهات المعنية مما حال دون التقيد بالمواصفات المعمارية بمرحلي التصميم والتنفيذ .
- عدم وجود كراسة رسمية تحدد معايير التخطيط وأسس التصميم للمساجد والزوايا مع التقيد بالمفردات المعمارية الأساسية والثانوية .
- ضعف الجانب الرقابي بل عدم وجوده لمتابعة اللجان المتطوعة لتصميم وتنفيذ مباني المساجد والزوايا ما أدى لعدم التقيد بالمواصفات الفنية للتنفيذ والطابع المعماري المميز وكذلك أهم المفردات المعمارية المطلوب إتباعها بمرحلة التصميم والتنفيذ .
- من نتائج الدراسة ظهور زخارف هندسية وأعمال تصميم داخلي بالجبس وفرش أرضية المسجد تشتمل على وحدات زخرفية مكررة للصليب والنجمة السداسية ربما لعدم إمام المصممين والمنفذين بها .
- عدم وجود لجان محكمة من الدولة لتحديد خط تنظيم لاتجاه القبلة للحيلولة دون وجود انحراف كما هو الحال في بعض المساجد بمدن مختلفة .
- عدم التقيد بالمعايير التخطيطية والأسس التصميمية من قبل المعمارين ولجان التنفيذ الذاتي أدى لعدم وجود المساحات الكافية والضرورية للمبني والمساحات اللازمة لباقي الخدمات الأساسية المكتملة (فصول تحفيظ القرآن الكريم - الميضاة - مواقف السيارات - الامتداد المستقبلي؛... الخ) .
- عدم مراعاة سهولة الوصول ووجود شبكات البنية الأساسية الفنية حول الموقع حال دون ربط المباني الدينية بشبكات المرافق العامة (المياه - الكهرباء - الاتصالات؛... الخ) .

- عدم إتباع النظم البنائية البيئية من حيث مواد البناء المحلية المتاحة والتوجيه المدروس لمجابهة المؤثرات المناخية وكذلك توفر الإضاءة الطبيعية والتهوية .

2.9 التوصيات : من أهم التوصيات التي توصلت إليها الورقة مايلي :

- العمل الجاد على بعث لجنة استشارية فنية من ذوي الخبرة والتخصص لإعداد كراسة معمارية خاصة بمعايير التخطيط وأسس التصميم بما في ذلك قوانين وتشريعات حاكمة لعملية تصميم وتنفيذ المباني الدينية والزوايا كمرجع استرشادي ملزم للمعماريين والمنفذين لضمان التقيد بالمفردات المعمارية الإسلامية للمسجد والزوايا .
- الحد من التنفيذ بالجهود الذاتية للمباني الدينية ما كان سببا في سوء تنفيذها وتشوهها المعماري وقصورها الوظيفي لعدم وجود معايير تخطيطية وأسس تصميمية يتم التقيد بموجها عند الشروع في تخطيط وتصميم وتنفيذ أي مبني ديني .
- بعث لجان استشارية وتنفيذية تظم كافة التخصصات ذات العلاقة بأعمال التخطيط والتصميم والتنفيذ للمباني الدينية (الفنية والمالية والقانونية) بالبلديات والمدن الكبرى . يتم من خلال مراجعة التصاميم ومنح الاذن للجهات ذات العلاقة بإصدار التراخيص ومتابعة مراحل التنفيذ وفق القوانين والتشريعات النافذة بالخصوص .
- مساهمة الدولة في تمويل المساجد والزوايا ومتابعتها وعدم تركها للجان العمل التطوعي للحيلولة دون التنفيذ العشوائي المؤدي لظهور مساجد وزوايا لا تخضع للطابع المعماري الإسلامي ولا تتقيد بمعايير التخطيط بمواقعها أو أسس التصميم بمبانيها ، ما كان سببا في انعدام الطابع المعماري الإسلامي لهذه المباني .
- ان عشوائية إدارة وتنفيذ المباني الدينية (مساجد وزوايا ومعاهد ؛... الخ) أنتجت مباني دينية غير ذات طابع تفقده للمواصفات الفنية في مراحل بنائها وتشطيبها .

المراجع

1. القرآن الكريم .
2. الحديث الشريف.
3. أ. التخي بلقاسم،مدخل في الأسس العامة لتصميم المساجد،دراسة معمارية،مجلة الدراسات الإسلامية،العدد الثالث، سبتمبر2013.
4. حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، سلسلة كتب ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت،يناير1981.
5. يحي وزيري،موسوعة عناصر العمارة الإسلامية،(الكتاب الثاني)،الناشر مكتبة مدبولي 1999.

6. يحيى وزيري، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية (الكتاب الرابع)، الناشر مكتبة مدبولي 2000.
7. محمود الحلواني، تصميم المساجد، العناصر المعمارية للمسجد، عناصر العمارة الإسلامية.
8. هيمة ، ضياء الرحمان ، الرمزية المعمارية في المحيط العمراني، جامعة بسكرة، عام 2016م .
9. أماني أحمد عبد السيد خضر، الديناميكية الساكنة للعمارة الإسلامية والحديثة بين المفهوم والتطبيق .
10. حازم محمد إبراهيم، كتاب، المعايير التخطيطية للمساجد .
11. الحريستاني، ربيع محمد، التصميم والإنشاء المعماري للمهندس .
12. أحمد بن رشدي ، تقويم المعايير التخطيطية للمساجد .
13. شبكة المعلومات الدولية [/https://www.google.com](https://www.google.com)

مساجد مدينة غدامس
من خلال منظومة قاعدة
البيانات الجغرافية
GIS

اعداد وتقديم الأستاذ . مختار السنوسي حوده

الأستاذة / ايمان ابوبكر سانو

تنفيذ

جهاز تنمية وتطوير مدينة غدامس
شركة كيدامي للخدمات الفنية والإعلامية

ملخص الورقة البحثية

houda@kidami.com

نعرض من خلال هذه الورقة تجربة من تجارب الرقمنة في حفظ وتوثيق عناصر ومكونات التراث لمدينة غدامس الليبية والذي تم عمله وتنفيذه عن خلال تطبيق منظومة قاعدة البيانات الجغرافية ، حيث نستعرض من خلال هذه الورقة أهمية المنظومة وتطبيقاتها كخطوة من خطوات الحديثة في مجال توثيق التراث الحضاري لمدينة غدامس بواسطة التقنيات العلمية الحديثة وإبراز مدى ضخامة ووفرة المعلومات والبيانات الخاصة بمكونات المدينة وكذلك التفاصيل الدقيقة لهذه المكونات عبر طرح نموذج واستمارة لكل عنصر ومكون .

حيث تم التطرق للأعمال التوثيقية السابقة التي عملت في ذات السياق بالصورة والنمط التقليدي ، ومن ثم نستعرض الخطوات العملية التي تمت في تنفيذ هذا العمل حيث شمل خطوات البحث الميداني لتقصي وجمع المعلومات والاستدلالات عن طريق وسائل وطرق البحث حول المواقع والمكونات ووضعها وادراجها في استمارات خاصة بكل مكون وتقسيماتها وتحويلها الى ملف رقمي في مرحلة لاحقة ، كذلك عملية ربطها مع المنظومة واستعراض لألية عمل المنظومة وربطها بالمكونات والعناصر وعرض لأرقام واحصائيات وبيانات للمواقع

التي تم مسحها وتوثيقها. وقد تضمنت هذه الورق مكونات وعناصر من المعالم الدينية وهي الجوامع والمساجد والزوايا القرآنية .

مدينة غدامس

مدينة غدامس القديمة التاريخية هي صرة التاريخ الليبي والنموذج الذي يمثل الحضارة الليبية مدينة موعلة في القدم . عمر الطبقات الجيولوجية لعين الفرس 16900 سنة .
عمر حوض عين الفرس 4000 سنة .
أستوطنها الإنسان منذ ما يقرب من 12000 سنة .
عمق تاريخي وحضاري يمتد لأكثر من 4000 سنة .
غدامس هي نموذجا من نماذج الحضارة الليبية والتي تؤكد الهوية والتراث والتاريخ الليبي .
السعي إلى إبراز تراث وحضارة غدامس باعتبارها إحدى ثلاثة أقدم مدن مأهولة في العالم

الوصول بمدينة غدامس إلى العالمية وحفظها كإرث إنساني عالمي وحضارة من الحضارة الإنسانية التي كان لها دور في تاريخ البشرية كالحضارة الفرعونية والآشورية والبابلية وغيرها .
استشعار وإبراز أهمية السمات والمفردات والخصوصيات التي تمتاز بها مباني المدينة . القديمة (المفردات المعمارية . منظومة توزيع المياه . المعالجات المناخية وغيرها ...) .
غدامس هي نموذجا من نماذج الحضارة الليبية والتي تؤكد الهوية والتراث والتاريخ الليبي .
السعي إلى إبراز تراث وحضارة غدامس باعتبارها إحدى ثلاثة أقدم مدن مأهولة في العالم .
الوصول بمدينة غدامس إلى العالمية وحفظها كإرث إنساني عالمي وحضارة من الحضارة الإنسانية التي كان لها دور في تاريخ البشرية كالحضارة الفرعونية والآشورية والبابلية وغيرها .
استشعار وإبراز أهمية السمات والمفردات والخصوصيات التي تمتاز بها مباني المدينة القديمة (المفردات المعمارية . منظومة توزيع المياه . المعالجات المناخية وغيرها ...) .

لماذا المنظومة

خطوة أولى لتوثيق التراث الحضاري لمدينة غدامس بواسطة التقنيات العلمية الحديثة .
إبراز مدى ضخامة ووفرة المعلومات والبيانات الخاصة بمكونات المدينة وكذلك التفاصيل الدقيقة وأيضا تفاصيل بشكل أدق في كل مكون من المكونات .

. العمل على تجميع هذه المعلومات والحفاظ عليها لأننا قد فقدنا الكثير منها ، فقد طواها الزمن وعدم وجود البرامج الحقيقية والمدروسة بشكل مهني لتوثيق هذه المعالم .

. هذه المنظومة تشكل القاعدة الرئيسية لمكونات مدينة غدامس القديمة ومرجع تاريخي مهم لنا في الوقت الحاضر وفي المستقبل .

المنظومة تبرز أهمية المدينة وعمقها التاريخي والحضاري .

يعتبر هذا العمل التوثيقي بهذه الصورة هو الأول من نوعه في تاريخ مدينة غدامس .

تم الموافقة على اعتماد التقييم الموجود بالمنظومة من قبل منظمة اليونسكو .

تمت عملية الرفع للخريطة وتحديد المواقع والأماكن بواسطة القمر الصناعي .

إمكانية تطوير المنظومة وإضافة البيانات بشكل مستمر تصل إلى 999 ملف للموقع الواحد ، وإمكانية ادخال البيانات والمستندات الحديثة مثل الرقم الوطني (كود) الأوراق الرسمية للسجل المدني . وثائق ومخطوطات وحفظها في كود خاص بالعائلة مثلا .

ربط المنظومة بشبكة الانترنت وسهولة الإطلاع عليها من الجميع .

أنت جالس في البيت في أي مكان في العالم يمكنك التجول والاطلاع داخل مدينة غدامس القديمة .

أعمال سابقة

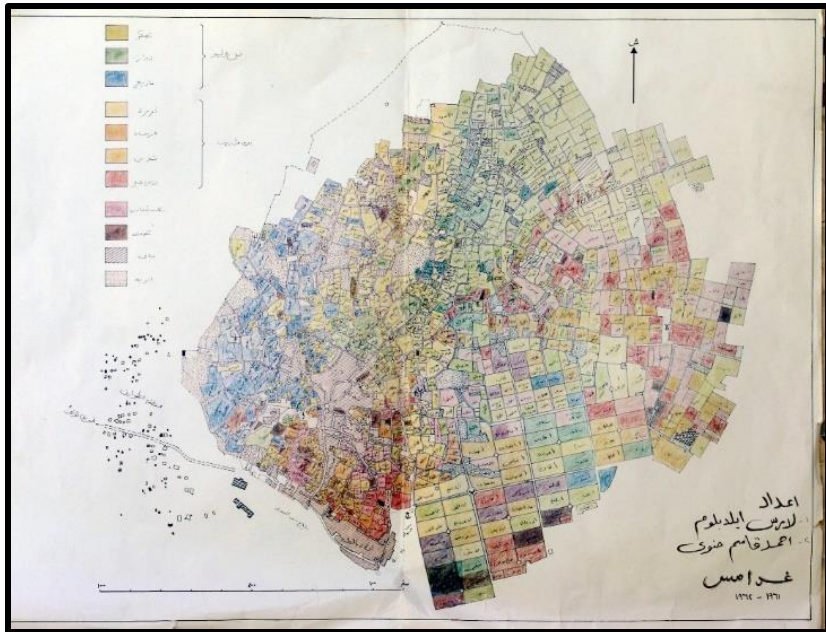
- تقارير حول بعثة غدامس تحت إشراف الحاكم العام للجزائر الميريشال دوك دي مالاكوف سنة 1862 م. مهمة البعثة الفرنسية لغدامس سنة 1863 وكان من ضمن فريق البعثة المهندس فاتون وميرشر الذين قاموا بدراسات ومخططات حول غدامس وقاموا بعمل ورسم خريطة للمدينة ومزارعها ومحيطها .



MISSION DE GHADAMES RAPPORTS OFFICIELS ET DOCUMENTS A L
 APPUI, Avec l'autorisation de son Excellence M.le Marechal Duc de
 Malakoff, Gouverneur General de l'Algerie. ALGERTYPOGRAPHIE

DUCLAUX, RUE DU COMMERCE 1863

قام السويدي لارس ايلدبلوم بإجراء دراسة حول نظام الري وتوزيع المياه لعين الفرس بالاستعانة بالمرحوم احمد ضوي سنة 1961 . 1962 وقد قام بأعمال توثيق وحصر للمزارع وأسماء ملاكها كذلك رسم لخريطة المدينة وشوارعها في خطوة كبيرة تم فيها توثيق جزء من مكونات وعنصر المدينة



قاعدة بيانات مكونات وعناصر المدينة القديمة عبر منظومة GIS.
استهدف 8 مكونات أساسية لمواقع ومباني مدينة غدامس القديمة وهي :

1 . الأيواب والمداخل والبوابات

2 . عين الفرس والسواقى

3 . الشوارع والأزقة والميادين والمجالس والضويات .

4 . المنازل .

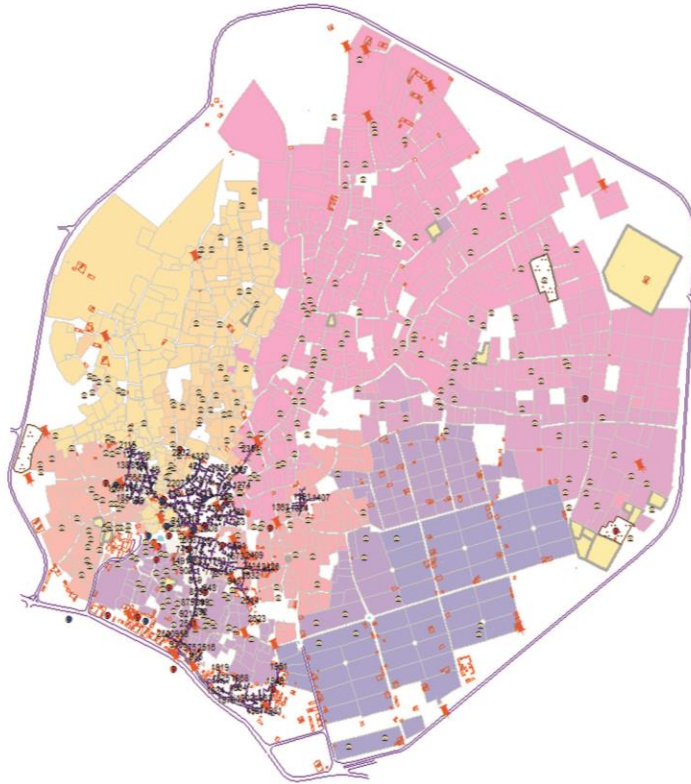
5 . المواقع والمباني الدينية .

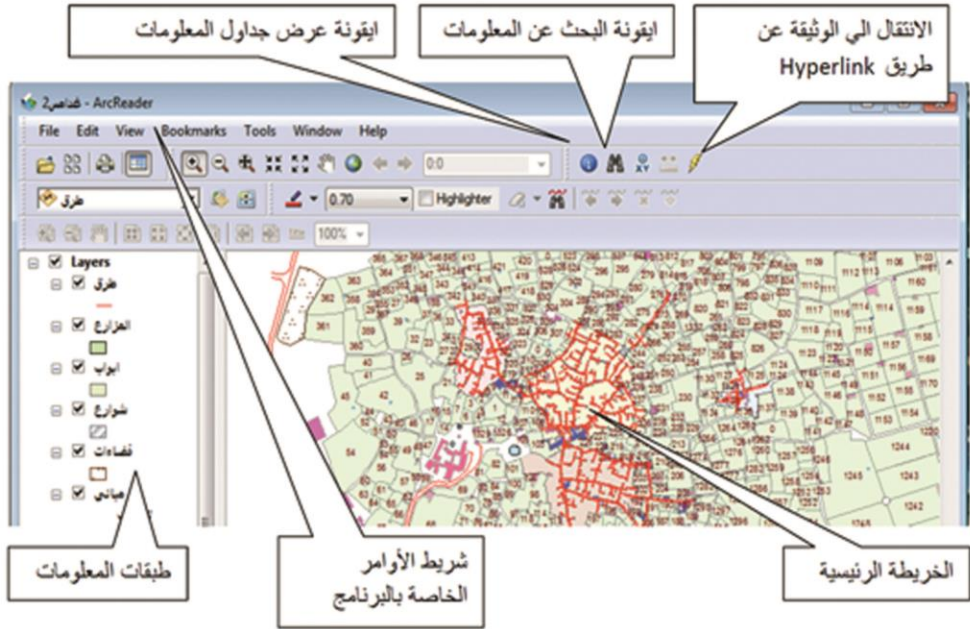
6 . المواقع والمباني والأسواق التجارية .

7 . المواقع الإدارية .

8 .. المزارع

والبساتين





مكون وعنصر المساجد والزوايا القرآنية

الجوامع والمساجد

والمصليات

والزوايا القرآنية

اسم المبنى / جامع يونس

معلومات رئيسية

- المحلة : وازيت
- اسم الشارع : تققرين
- اسم الزقاق أو الشارع : سيلاط وازيت
- المالك أو الجهة التابع لها :
- الرقم : 1484
- الموقع : شارع رئيسي ● شارع ثانوي ○
- بداية شارع ○ ونهاية شارع ●
- وسط شارع ○



اسم معبد الاستشارة /مختار السنوسي حود
تاريخ زيارة الموقع وتعبئة النموذج: 8.3.2012
اسماء أفراد معلومات حزل النموذج: احمد بصرد، هبة

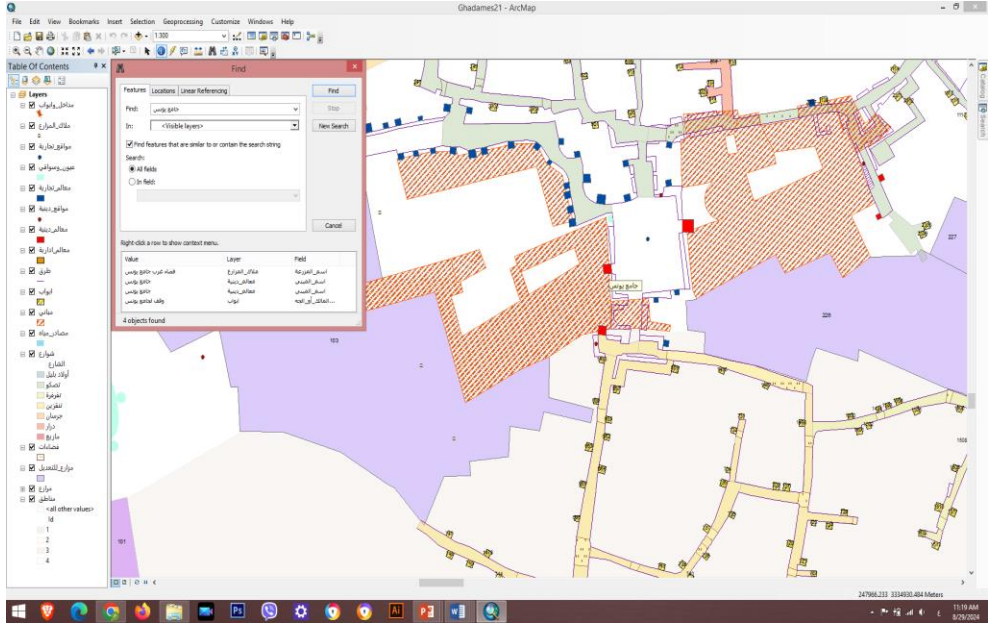
نموذج جامع يونس



الدولة الليبية
جهة تنمية وتطوير
مدينة غدامس

استشارة العالم
الديني راجع
مسجد كتابي / زاوية
صوفية وغيرها
لحديقة فدا صي اللدينية

اسم الموقع / جامع يونس
الرقم : 1484
النوع : شعبي
معمدا ، وكيدسي لإنتاج النبي
والصنم والتورج



معلومات تاريخية

- مميزات المبنى من الناحية التاريخية:

تبرعت امرأة من عائلة يونيس من عائلة فضيالت بالأرض التي أنشئ فيها المسجد ويقال أن أول من ألقى فيها الخطبة أبو بكر بن علي من شارع تفرفرة وفي كتاب اعلام ليبيا ذكر الشيخ الطاهر الزاوي أن الطيب بن ابي بكر المذكور توفي عام 999 تقريبا وبالتالي يمكن تحديد تاريخ انشاء المسجد خلال تلك الفترة واللوحة الموجودة على مدخل الجامع تشير إلى أن بناء الجامع يرجع إلى 800 هـ وقد جدد هذا الجامع في فترة الخمسينيات من القرن الماضي .

- تاريخ البناء : 800 هـ

- آخر صيانة تمك المبنى : 2009 م

- آخر تاريخ تم فيه استعمال المبنى : لا يزال مستعمل إلى الوقت الحاضر

- إذا كان المبنى مستعمل فمن يقوم بالإشراف عليه وما الدور الذي يؤديه : تؤدي فيه الصلوات الخمس والجمعة والاعياد والمناسبات الدينية وتشرف عليه هيئة الاوقاف.

بيانات عامة

- هل المبنى مستعمل في الوقت الحاضر - نعم - لا

- حجم المبنى كبير - متوسط - صغير

- الوضع الإنشائي والمعماري الحالي للمبنى

- جيد

- متصدع

- متهالك

- علاقة المبنى بفتوات المياه :

سلفية جانبية لا توجد

- مصادر المياه بالمبنى :

- ماء منقول بالجرار - بئر - سواقي

- اتصال المبنى بالمزرعة

قرب المزرعة له مدخل إلى المزرعة ملاصق للمزرعة

1- مكونات المبنى:

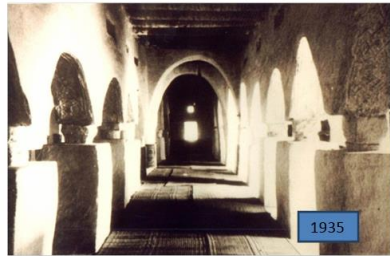
بيت الصلاة - مصنى نساء مواضي قديمة - مواضي حديثة - 2 فناء - السطح - ججرتان - غرفة المنبر المتحرك

2 - عدد الفراغات



ملاحظات ومعلومات عامة

التوصيات







ملاحظات ومعلومات عامة

التوصيات

معلومات تاريخية

- **مميزات المبنى من الناحية التاريخية:** مسجد الباب الأسم الحقيقي حسب الوثائق هو مسجد طمورت وكان موجودا في القرن العاشر الهجري وطمورت هي تمورت حيث تحل التاء محل الطاء مثل طمزين وتمزين وهي تعني البلد أو الارض وعلى مقربة من هذا المسجد مزارع تسمى تمرت مثل تمرت اندو عثمان وتمرت اندو يونس وغيرها وقد استعمل هذا المسجد أيضا لبعض الطرق الصوفية حيث تقام فيه اذكار الطريقة الطبيبة كل ليلة الاثنين .

- **تاريخ البناء :** القرن العاشر الهجري

- **أخر صيانة تمك للمبنى:** 2004 - 2005 م

- **آخر تاريخ تم فيه استعمال المبنى :**

- **إذا كان المبنى مستعمل فمن يقوم بالإشراف عليه وما الدور الذي يؤديه :**

.....
.....



ملاحظات ومعلومات عامة

اسم المبنى / مسجد زجاجة - زاوية امنأ زجاجة - أجاهه

معلومات رئيسية

- المحلة: وليد
- اسم الشارع: تصكو
- اسم الزقاق أو الشارع: تصكو متبضا
- المالك أو الجهة التابع لها:
- الرقم:
- الموقع: شارع رئيسي شارع ثانوي
- بداية شارع نهاية شارع وسط شارع



اسم معد الاستمارة / مختار السنوسي حوده
تاريخ زيارة الموقع وتعبئة النموذج / 8.3.2012
أسماء ادلاء معلومات حول الموقع / محمد مصطفى الثني

التوصيات

معلومات تاريخية

- **مميزات المبنى من الناحية التاريخية:** توجد ركائيب بشارع تصكو متبضا يقال بأنها كانت زاوية قرآنية تسمى الزواية ندا أي السفلية وهي الآن ركائيب مفتوحة على الشارع وفي الأعلى زاوية قرآنية لها درج للصعود إليها بجوار الجامع العتيق وكانت هذه الزاوية على نصفين نصف لتدريس القرآن الكريم بينما النصف الآخر كان مقرا لتخزين الصدقات الخاصة بالمساكين ويصعد إليها من درج كانت موجودة بجوار الساقية التي أنشئ فيها مكان للشرب يسمى سيجان وكان السقف منخفض عن السقف الحالي حيث حصلت عدة تحويرات بعد تعرض المسجد وما جاوره من مرافق دينية للهدم أثناء الغرة الفرنسية الأمريكية على غدامس سنة 1943م وأثناء جولتنا بهذا الموقع ألتقينا بالحاج محمد مصطفى الثني الذي زودنا بهذه المعلومات حول هذا الموقع.

وتعرف هذه الزاوية بزواية الفقهي كاكوشي لأنه قد درس فيها الفقهي رشيد.

تاريخ البناء:

- آخر صيانة تمك للمبنى: 2006

- آخر تاريخ تم فيه استعمال المبنى:

- إذا كان المبنى مستعمل فمن يقوم بالإشراف عليه وما

الدور الذي يؤديه:

بيانات عامة

- هل المبنى مستعمل في الوقت الحاضر - نعم لا
- حجم المبنى كبير متوسط صغير
- الوضع الإنشائي والمعماري الحالي للمبنى جيد
- متصدع
- مهالك
- علاقة المبنى بقنوات المياه: سفلية جانبية لا توجد
- مصادر المياه بالمبنى: ماء منقول بالجرار بئر سواقي
- اتصال المبنى بالمزرعة له مدخل إلى المزرعة ملاصق للمزرعة
- 1- مكونات المبنى:
- 2 - عدد الفراغات



1



الجوامع

- 1 . جامع ورنوغن . الجامع العتيق . المودو مقورن .
- 2 . جامع يونس بن فضالت .
- 3 . جامع تندرین .
- 4 . جامع عمران الفقيه .
- 5 . جامع عون الله .
- 6 . جامع السنوسية .
- 7 . جامع تونين .

المساجد

- 1 . مسجد أبو مسعود عقبة بن عمرو البدری .
- 2 . مسجد تفرفرة .
- 3 . مسجد بوغريرة .
- 4 . مسجد انديخليف .
- 5 . مسجد مولاي الطيب .
- 6 . مسجد ساويل .
- 7 . مسجد الخنيقة .
- 8 . مسجد بليلي .
- 9 . مسجد إسماعيل الدراري .
- 10 . مسجد افرسغو .
- 11 . مسجد إبراهيم (المودو نركا) .
- 12 . مسجد تيملي .
- 13 . مسجد تعدوين .
- 14 . مسجد اندعلاد .
- 15 . مسجد عبد الرحمن .
- 16 . مسجد امانج .
- 17 . مسجد الترك (تيلوان)

- 18 . مسجد تنقرزين .
- 19 . مسجد سيدي يونس القديم .
- 20 . مسجد طمورت (الباب) .
- 21 . مسجد الحشان (الياس بن ابي بكر) .
- 22 . مسجد زنقو .
- 23 . مسجد سديجة (سيدي الحجاز) .
- 24 . مسجد عين الفرس (الحبيب عز الدين) .
- 25 . مسجد الخلوّة .

المصليات

- 1 . مسجد أبو شاته (أبو الشعثاء)
- 2 . مصلى اندرمون (المودو نجانون) .
- 3 . مصلى تغورمت .
- 4 . مصلى نراران .
- 5 . مصلى تنيرس .
- 6 . مصلى عين الفرس .
- 7 . مصلى تنبيشين .
- 8 . مصلى تيسكين عومار .
- 9 . مصلى تيسكين .

الزوايا والكتاتيب القرآنية

- 1 . كتاب زاوية شمر .
- 2 . كتاب زاوية غزر .
- 3 . كتاب زاوية ساباط وازيت الفوقية .
- 4 . كتاب زاوية مسجد تفرفرة .
- 5 . كتاب زاوية جامع عمران الفقيه .
- 6 . كتاب زاوية السنوسية .
- 7 . كتاب زاوية المودو نركا .

- 8 . كتاب زاوية أجار (العالي الحبيب) .
- 9 . كتاب زاوية امنا زجاجة .
- 10 . كتاب زاوية تمقدولت .
- 11 . كتاب زاوية تندرين .
- 12 . كتاب زاوية سديجة .
- 13 . كتاب زاوية مسجد تنقزين .
- 14 . كتاب زاوية مسجد اسقنباعلي (عبد الرحمن) .
- 15 . كتاب زاوية تونين .
- 16 . كتاب زاوية ندا

مجموع الجوامع والمساجد والكتاتيب والروايا القرآنية
57 جامع ومسجد وزاوية قرآنية داخل رقعة المدينة القديمة وضواحيها

التوصيات

- . توظيف وتسخير كافة الإمكانيات التقنية الحديثة في مجال توثيق وارشفة المعالم الاثرية والتاريخية .
- . العمل بمنظومة البيانات الجغرافية واستغلال تقنياتها ونوافذها وخياراتها التي تمكن من الحفظ واصافة المعلومات في أعمال التوثيق والرقمنة لحفظ هذا الإرث التاريخي .

المراجع

- جحيدر ، عمار . (1992) . أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا واقعتها وأفاق العمل حولها . مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية .
- يوشع ، بشير قاسم . (1973) . غدامس ملامح وصور . بيروت ، دار لبنان .
- الروايات الشفوية / أحمد محمود هيبية .

زاوية الجغبوب، تأسيسها وعمارتها 1856م-1895م

إدريس محمد التواقي، خبير قضائي، مكتب خبرة الآثار، مركز الخبرة والقضائية والبحوث، الجغبوب - ليبيا

Email: reserchtop@gmail.com

تمهيد:

إلى أن الجغبوب في العصر الحديث عام 1274هـ (1856م) تحولت من [2-4] يشير أغلب الدارسين والمؤرخين موقعاً لقطاع الطرق إلى منارة للعلم والعمل، عن طريق مؤسسها الأول السيد محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي (1787م-1859م)، والذي يعرف بالسنوسي الكبير، وعلى حسب ما أشارت إليه المصادر التاريخية، أنه كثيراً ما كان يخطط في إنشاء زاوية مركزية، ذات موقع استراتيجي لتكون مركزاً للقيادة، وبعيداً عن الأتراك والفرنسيين ومراكز السلطة، وقد شرع في تنفيذ مراده بأن أرسل بعثة مكونة من عشرون رجلاً، يتأسهم السيد عمران بن بركة الفيتوري إلى موقع الجغبوب، لتفقد ودراسة المكان بمساعدة خبير في الصحراء يدعى السيد عقيلة الزوي، وقد عادت هذه البعثة جالبة معها عينات من التربة والماء والنبات، لعرضه على السيد محمد بن علي السنوسي، وبناءً عليه قد قرر اختيارها لتكون مركزاً للقيادة، لبعدها عن مراكز السلطة، ووقوعها على خط الحج الرئيسي القادم من شمال أفريقيا مروراً بمصر إلى مكة المكرمة، وهو أيضاً يتقاطع مع خط القوافل الساحلي والمتجه إلى السودان عبر الواحات الليبية بالإضافة إلى موقعها الذي يتوسط الزوايا التي أسسها في برقة وطرابلس ومصر والسودان، وحين كان له ذلك شرع أتباعه ببناء الجغبوب، وقد قدم إليها السنوسي الكبير بعد أربعة سنوات من بناءها، وكان تخطيطها الذي وضعه شبيه بالقلاع والحصون، وهو عبارة عن مجموعة معمارية يحيطها سور أو جدار مربع الشكل يتخلله بوابات (شكل 1) ومن جملة ما قاله لأتباعه في الجغبوب، (الطير له عقل أم لا؟ فقالوا: لا عقل له، فقال لهم ومع ذلك لا يضع بيضه إلا فوق جبل شامخ حتى لا يلحقه ذئب ولا ثعلب ولا غيرها، وقال؛ البربوع له عقل؟ فقالوا: لا؛ فقال، ومع ذلك فهو يجعل في جحره طرباقه وهي النافقاء* فإذا دخل عليه الحنش خرج منها، ثم قال تلقونها أحسن المحلات (أي الجغبوب) وقال؛ جعلنا بيننا وبين أعداء الله سبعة أسوار، إشارة منه إلى حسن اختيار الموقع، كقلعة حصينة تتوسط الصحراء وكما يدل حديثه أنه كان يتوقع هجوماً من الأعداء بحكم دعوته [2-4] الإصلاحية التي وصلت إلى مجاهل افريقيا

(شكل 2) (N 29 44.716 - E 024 31.216) المجموعة المعمارية لزاوية الجغبوب

، وفي بادئ الأمر أنشأ المسجد، ويليه من الجهة الشمالية منزل للإخوان السنوسيون [1] مجموعة معمارية محاطة بسور ويليه منزل السيد محمد بن علي السنوسي، ويليهما من جهة الغرب رباط** الطلبة وفرناً لصناعة الخبز ومنازل لإقامة العمال وجزء من السور، ومكتبة أنشأت في الجهة الجنوبية من المسجد، أما باقي الوحدات المعمارية، والتي تتمثل في القبة الضريحية

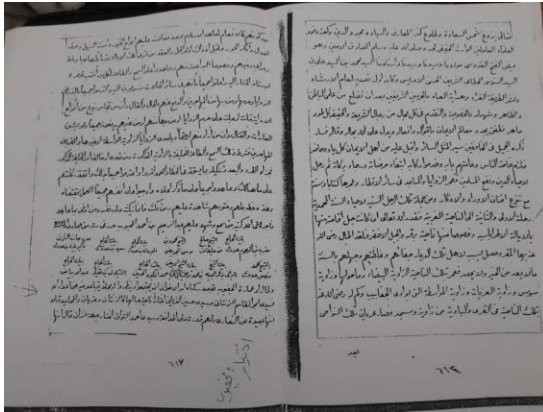
والديوان والأرْبطة والقاعات والطواحين والمعاصر وباقي أسوار المدينة أو الزاوية الذي تتخلله سبعة بوابات، فقد أُنشئت (شكل3): [1] وأنشأت زمن السيد المهدي السنوسي **** (1859م-1895م

التخطيط المعماري للمسجد وملحقاته :

يقع المسجد خلف الرواق الشمالي الغربي للصحن المكشوف "الحرم"، وفي بداية التأسيس كان يشغل مساحة مربعة (Barrel vault-Extrados طول ضلعها 20م، وهذه المساحة تحتوي على خمسة أروقة مقببة برميلية الشكل) بواقع خمس عقود نصف (Abutment) سطحها الخارجي مستوي (سطح المسجد) تركز على دعائم مستطيلة موازية لجدار القبلة وفيما بعد زادت مساحة المسجد في زمن السيد المهدي السنوسي (Semicircular arck) دائرية 24م****؛ ويُدخل X بإضافة رواق أو قوس من ناحية الجدار الغربي لتصبح مساحة المسجد الكلية حوالي 20م للمسجد بواسطة أربعة أبواب الأول يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية، ويقابله باب في الزاوية الشمالية الشرقية، والباب الثالث في نهاية المسجد من الزاوية الجنوبية الغربية، ويقابله باب في الزاوية الشمالية الغربية وهناك بابين متجاورين يتوسطان جداره الجنوبي، يؤديان إلى القبة الضريحية الملاصقة للمسجد (شكل4)؛ للمسجد محراب يتوسط جداره الشرقي بحنية نصف ، ومنبر خشبي من صنع النجار السيد علي بن عبدالمولى الصفاقسي زمن السيد محمد بن علي السنوسي، [1] دائرية وبالنظر إلى الخرائط التي وضعت لكامل المجموعة المعمارية أمكننا تحديد موقع المئذنة، فهي تتوسط الجدار الشمالي للمسجد من الخارج وهي إسطوانية الشكل ويبلغ إرتفاعها حوالي 25.60م، وذات بدن مئمن الأضلاع مكونة من طابقين تتوسطهما شرفة محاطة بسياج خشبي، وتنتهي بطاقية أو قبة مخروطية الشكل (شكل5)، أما القبة الضريحية **** فهي ملاصقة للجدار الجنوبي للمسجد، وهي عبارة عن مساحة مربعة الشكل طول ضلعها 12م تقريباً وتعلوها قبة دائرية (الحنايا الركنية) للإنتقال من (Squinch) إرتفاعها 36.20م، إستخدمت في حناياها تقنية المثلث الكروي **** الشكل المربع إلى الشكل الدائري، ولها شرفة داخلية تلتف حولها من الداخل ومحاطة بدرزين نحاسي ويدخل إليها عن طريق باب صغير من على سطح المسجد، وهذه القبة إستحدثت أثناء تجديدات السيد المهدي السنوسي حوالي عام 1880م [1]، ومن المؤسف أن كل هذه المجموعة المعمارية الفريدة قد أزيلت من قبل نظام معمر القذافي عام 1984م (شكل6).



شكل (1- أ): خريطة توضح النواة الأولى للمباني التي أسسها السيد محمد بن علي السنوسي وقت تأسيس زاوية الجغبوب والمباني التي أضيفت لاحقاً في عهد السيد المهدي السنوسي (عن: أحمد رجائي، مرجع سابق، ص 6)



شكل (1- ب): وثيقة تاريخية بخط السيد عبد الرحيم المحجوب حررت سنة 1272 هـ الموافق 1856 م وهي معاهدة مشايخ قبائل الجبازنة والحراي وغيرهم وخصوصاً البراعصة، بشأن المهاجرين إلى الجغبوب "الواسطة" بأن يلتزموا بأوامر خليفة

الجغوب وعدم مخالفته)) شرط ذلك السمع والطاعة للخليفة بالزاوية المذكورة ومن تعدى أو خالف أمر الخليفة المذكور فجزاءه الطرد والبعد وتنكيله بما يستحقه في الخطأ والعمد اقروا واعترفوا جميعاً بذلك واتفقت كلمتهم على ما هنالك وعاهدوا جميعاً على ما ذكر اعلاه وأوجبوا على أنفسهم جميعاً العمل بمقتضاه وهذه خطوطهم وختومهم شاهدة عليهم ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد فأجره على الله))

(عن: أحمد السنوسي أحمد، مرجع سابق- توضيح الباحث)



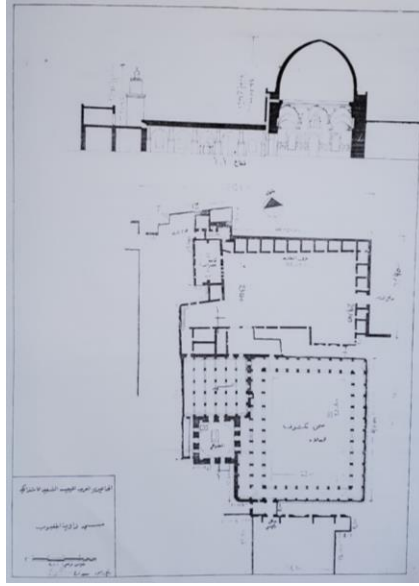
شكل(2): صورة جوية أثناء الإحتلال الإيطالي للجغوب تتضح فيها المجموعة المعمارية لزاوية الجغوب داخل الإطار الأبيض بكامل مرافقها، وبجوارها ومعسكر الحامية الإيطالية الذي يحوي الطواحين الهوائية، وقصر الشني، ومزارع زاوية (عن: toranealibicabalia.altervista.org الجغوب، وبيت معصرة الزيتون(حوش حيده)(عن:



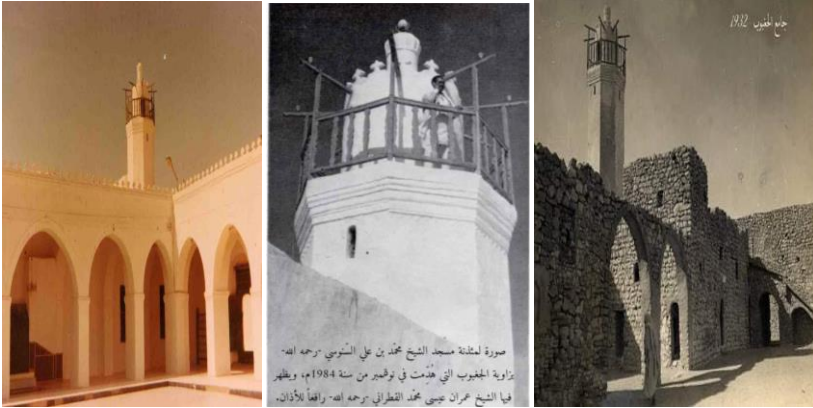
شكل(3): صورة جوية تاريخية موضع عليها المباني التي أسست زمن السيد محمد بن علي السنوسي مؤسس زاوية الجغوب:

1. منزل السيد محمد بن علي السنوسي، 2. الكتاب، 3. منازل كبار العلماء وغرفة اللطيف، 4. المسجد وأضيف له رواق

من جهة الغرب في زمن السيد المهدي السنوسي، 5. سكن الطلبة، 6. منطقة الفرن ومصنع النسيج ومنازل العمال؛ أحمد رجائي، مرجع سابق؛ محمد علي حماد، مرجع سابق؛ (توضيح الباحث) - صورة جوية؛
(toranealibicabalia.altervista.org) عن:

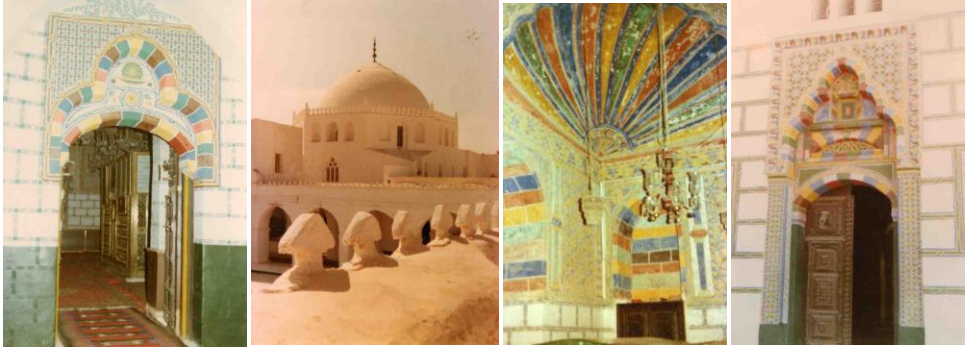


شكل(4): خريطة معمارية 1983م مقياس 1سم: 2م توضح التخطيط المعماري للمسجد والقبة الضريحية والصحن الرئيسي والأروقة الأربعة التي تحيط به ومنزل السيد محمد بن علي السنوسي والكتاب ومنازل كبار العلماء وغرفة اللطيف والمأذنة. (منقول بتصريف عن: المهندس سعيد فرج بوالحسن، مواليد 1942م، مكالمة هاتفية 2019م)



شكل(5): منظر عام للمئذنة يعلوها شكل مخروطي على هيئة تاج

(عن: أحمد السنوسي أحمد، مرجع سابق؛ خميس سالم خميس، مواليد 1958م، مقابلة شخصية 2022م)



شكل (6- أ): صور توضح القبة الضريحية والبالغ ارتفاعها 36.20م، ويظهر من خلالها الباب الخدمي المطل على سطح المسجد والذي يؤدي إلى شرفة محاطة بالدريزين أعلى القبة من الداخل، وكذلك تظهر الصورة نموذج من الحنايا الركنية داخل القبة الضريحية، وصور لأبواب القبة الضريحية المطلة على الصحن تظهر روعة الزخارف الملونة المنفذة أعلى الباب المميز ذي النقوش الرائعة نفذها فنان جاء خصيصاً من مدينة كابول بأفغانستان زمن السيد المهدي السنوسي (عن: أحمد السنوسي أحمد، مرجع سابق؛ أحمد رجائي، مرجع سابق، ص121)



شكل (6- ب): ضريح الإمام محمد بن علي السنوسي مؤسس زاوية الجغبوب ويظهر من خلال الصورة الدريزين النحاسي الذي يحيط بالضريح (صورة ملتقطة عام 1967م، وكذلك تظهر الشرفة التي تعلو الحنايا الركنية في أعلى القبة وهي محاطة بدريزين نحاسي وظيفتها خدمية لأعمال الصيانة بالإضافة إلى مشاهدة الضريح من الأعلى (عن: سليم زبال، مرجع سابق، ص119)

مكتبة زاوية الجغبوب:

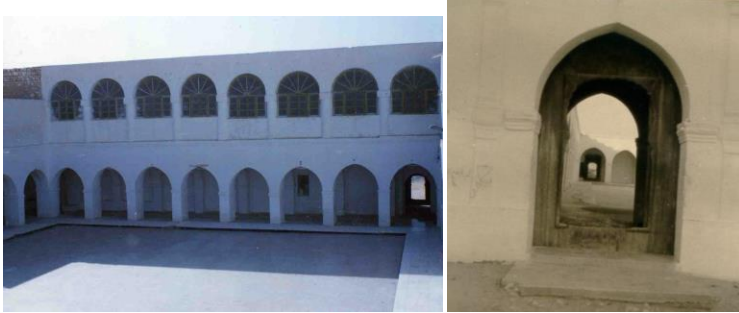
أسسها السيد محمد بن علي السنوسي عام 1856م، وتقع في الطابق العلوي للرواق الجنوبي الغربي لصحن المسجد ملاصقة لديوان السيد المهدي السنوسي من جهة الجنوب، وتخطيطها عبارة عن رواق طويل يعلو رواق (شكل 7)، وكانت هذه المكتبة غنية بمخزائن الكتب الفريدة، فجعل لها [1] صحن المسجد الجنوبي وذات سقف مقبي

نسخاً وقيمين، وأرسل إلى البلدان والأقطار أوثق الناس لجلب الكتب حتى بلغ إجمالي ما فيها على الثمانية آلاف مجلد، منها قسم كبير من المخطوطات النفيسة معظمها تصانيف في الشريعة الإسلامية، وكتب الفقه، وعلوم القرآن وعلم التفسير والتراجم، وعلوم الأحاديث والشعر والفلك والتقويم، والكيمياء، والطب، فلا يطبع كتاب في العالم باللغة العربية إلا ويبحثون عنه ويظفرون به وعلاوة على ذلك أضاف السيد السنوسي العديد من مؤلفاته الشهيرة في شتى الفروع العلمية والتي جاوزت الأربعة وأربعين مؤلفاً*****؛ وكان حولين السنوسي الكبير، الكثير من الرجال الأكفاء الذين ينتفعون بهذه المكتبة الحقة، ويتدارسونها في حلقات العلم في هذه البقعة من أطراف الصحراء، حيث من العسير على طالب العلم بأن يجد في العالم الإسلامي آنذاك؛ عدا القاهرة، حلقة خيراً من هذه من مندرسي العلم، والتي بلغ فيها فن الشعر مستوى عالي من الترقى والكمال والسمو، حتى قيل أن المرء يلقى في الجغبوب "رجال أدب بارزين تكشف منظوماتهم أشعار شعراء العراق . فمن ضمن ما كان في محتوى المكتبة القيم نادرة وأعجوبة العالم الإسلامي قاطبة؛ ألا وهي مخطوطة [2-4] والأندلس" ، فيها كان يسترشد سائر كبار تلامذته ويعتبرون الإهداء بها من ضروريات [1] صحيح البخاري بخط الصدي رحمه الله ، الإشتغال بالحديث ومكتوب عليها هي الأصل الذي يعتمد عليه ويرجع عند الاختلاف إليه، وهذه النسخة جاءت في مجلد واحد، وفي كل ورقة خمسون سطراً من كل جهة، ومكتوبة بالمداد الأسود بخط غير منقوط إلا ما قل وهي مبتدأة بما نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند تمام كل حديث سورة) وبآخرها ما نصه: (آخر الجامع الصحيح الذي صنفه أبو عبد الله البخاري رحمه الله والحمد لله على ما من به، كتبه حسين بن محمد الصدي من نسخة بخط محمد بن علي بن محمود، مقروءة على أبي ذر رحمه الله وعليها خطه، وكان الفراغ من نسخه يوم الجمعة الحادي والعشرين من المحرم عام ثمانية وخمسمائة، والحمد لله كثيرا كما هو أهله وعلى حسب الوصية التي تركها السيد محمد بن [1] وصلواته على محمد نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً علي السنوسي، أمر بأن تقسم مكتبة زاوية الجغبوب "خزائن الكتب" إلى ثلاثة أقسام: فالقسم الأول، أوقفها لنجله السيد محمد المهدي السنوسي، والقسم الثاني أوقفها لنجله السيد محمد الشريف السنوسي، والقسم الثالث أوقفها للعامّة ينتفعوا بها من مطالعة ونسخ بشرط ألا تخرج من الزاوية، وجعل الناظر عليها في ذلك نجله وخليفته من بعده السيد محمد المهدي ، تعرضت المكتبة للإعتداء، وأولها في عام 1931م أثناء الإحتلال الإيطالي لواحدة الكفرة حيث كانت مكتبة [1] السنوسي الجغبوب قد نقلت من الجغبوب إلى الكفرة أثناء هجرة السيد المهدي السنوسي إليها عام 1895م، وقد إستولت عليها القوات الإيطالية فأتلفتها وأضاعتها، وأخذ الجنود يمزقون كتبها ويرمون أرواقها في مهب الرياح، ويوقدون بها النار، وإهداء البعض منها أو بيعها في الأسواق المحلية في بركة، وما تبقى منها جمعته قوات الإحتلال، وجاءت به إلى بنغازي بحمولة تقدر بأربعين سيارة شحن(لوري) كبيرة، وقافلة من الإبل لا تحمل سوى كتباً، فملأت بها عدة غرف بقصر الحكومة في بنغازي، وهناك لعبت بها يد الفساد، فصار الإيطاليون يأخذون ما يروق لهم منها إلى إيطاليا وأسواق أوروبا وظلت الكتب

تتخاطفها الأيدي حتى استطاع الليبيون الإهتمام بها، ولكن في أثناء الحرب العالمية الثانية، أحرق الإيطاليون ثلاثة آلاف كتاب من كتبها أثناء إنسحابهم أمام جيوش الحلفاء، وبعد استقلال ليبيا 1951م إهتمت الحكومة بها، فشرعت في البحث عن كتبها المبعثرة، وقد نقلت في العام 1967م عدد 3508 كتاباً إلى مقرها الأصلي في واحة الجغبوب، وهي كل ما أمكن العثور عليه من مكتبة الجغبوب؛ وثاني إعتداء تعرضت له المكتبة كان أثناء حكم معمر القذافي في العام 1984م حيث تعرضت المكتبة للهدم، وعبث بمحتوياتها من الكتب بالحرق والسرقة والنقل والبيع مما ضيع آلاف المخطوطات النادرة [2-4].



شكل (7-أ): مكتبة الجغبوب ذات السقف المقبلي تقع على يمين المدخل في الطابق العلوي وتطل باتجاه الجنوب وتقع تحديداً خلف مجلس السيد المهدي السنوسي الذي يطل على الصحن الرئيسي للمسجد (منقول بتصرف عن: سعيد فرح بالحسن، مرجع سابق - توضيح الباحث)



شكل (7-ب): ديوان السيد المهدي ومن خلفه مكتبة الجغبوب وتخطيطه المعماري أشبه برواق بالطابق العلوي وتطل هذه المجموعة المعمارية على صحن المسجد من الناحية الغربية، حيث يظهر في الصورة باب في الزاوية الشمالية الغربية للصحن يؤدي إلى خارج المجموعة المعمارية للمسجد (عن: إدريس محمود نصيب، مرجع سابق؛ أحمد السنوسي أحمد، مرجع سابق)



شكل (7-ج): صورة تاريخية تظهر وقت خروج طلبة العلم من الكتاب الملاصق للمسجد من الضلع الشمالي والصورة الأخرى توضح شكل الصحن الرئيسي الذي يظهر فيه صهريج لحفظ ماء الأمطار، وكذلك مجلس السيد المهدي السنوسي ومن خلفه مكتبة الجغبوب التاريخية؛ (توضيح الباحث) (toranealibicabalbia.altervista.org)؛ عن:



شكل (7-د): صورة فضائية من قوقل إيرث تظهر موقع زاوية الجغبوب بعد الهدم

مواد البناء:

أستخدم في بناء المجموعات المعمارية سابقة الذكر؛ مواد محلية مختلفة، تتمثل في الحجارة الجيرية التي تقطع وتجلب من الموائد الصخرية المحيطة بزاوية الجغبوب، ويتم البناء عن طريق التربة الطينية والجير، كما أن بعض الأسقف كانت مكونة من [1] جذوع النخيل وأغصان الأشجار وتجلب كل تلك المواد على ظهور الإبل والحمر

أسلوب البناء:

أستخدم في عملية البناء نظام القوالب الخشبية، لإنشاء العقود والأسقف المقببة والقباب، وهو ما يعرف إصطلاحاً (، وهو الهيكل الخشبي الذي يدعم مؤقت القوس أو العقد أو الأسقف المقببة قبل أن يستكمل Centering بـ)

بناءه بشكل كامل، بحيث يترك في موضعه إلى أن تتماسك هذه التركيبات المعمارية، ومن ثم يزال القالب الذي كانت تقوم ، وهي مونة خرسانية***** (Concrete) عليه، كما أستخدمت طريقة الصب في الأسقف المقبية والقبة بمادة تتكون من مزيج من الجير والماء والحجارة الصغيرة، تصب في قوالب خشبية كي تأخذ الشكل المطلوب؛ وبعد أن تجف وتزال من عليها القوالب تتماسك وتصبح كأنها كتلة واحدة من الحجر، وبعد ذلك تكسى بطبقة من الجص ، وهي طبقة من الجير أحيانا تكون رقيقة ومتقنة، وأحيانا تكون سميكة وملبنة بالحبيبات الرملية، وذلك (Stucco) [1]. لحماية المونة الخرسانية أو لإخفاء خشونة سطوحها

(N 29 44.621 – E 024 31.237): قصر الشني

ينسب تاريخه إلى السيد محمد الثني الغدامسي تاجر القوافل الشهير، وهو من أصل غدامسي مقيم بطرابلس، ضايقته الحكومة التركية والتجار اليهود إثر مضاربة مالية أوقعها بهم، فنصح أحد المقربين منه للذهاب للزاوية السنوسية في الجغبوب، حيث إنَّها خارج سيطرت مراكز السلطة، وحين وصوله زاوية الجغبوب عام 1880م؛ منحه السيد المهدي السنوسي قطعة أرض مجاورة لزاوية الجغبوب، بنى فيها قصراً على غرار الطراز التي أنشأت عليه الزوايا السنوسية، وأذن له ؛ وفي عام 1895م هاجر مع السيد [2] بالإقامة فيها، وربطتهما علاقة مصاهرة بأن تزوج شقيقة زوجة السيد المهدي السنوسي إلى زاوية التاج بالكفرة، وسرعان ما عاد ثانية إلى الجغبوب عام 1896م رفقة السيد محمد الشريف السنوسي شقيق السيد المهدي السنوسي، وبعد مدة قصيرة رحل إلى زاوية قرو بتشاد، والتحق بالمجاهدين في جهادهم ضد الإستعمار الفرنسي في تشاد تحت قيادة السيد المهدي السنوسي، حيث كانت زاوية بير علالي "كانم" في عمق القطر التشادي، وهذا قبيل الإستعمار الإيطالي بستة عشر عاماً، ومن ثم عاد واستقر في زاوية الجغبوب إلى أن وافته المنية ودفن في مقبرة الرحمة في زاوية الجغبوب، وبعد إحتلال الجغبوب في الأول من فبراير من العام 1926م من قبل المستعمر الإيطالي بقوته الغاشمة، أستغل القصر كمركزاً للشرطة المدنية بعد إجراء الترميمات الحديثة عليه، وسجن فيه بعض أعيان زاوية [2-4] الجغبوب بتهمة التمرد وحيازة الأسلحة وتهريبها للمجاهدين

تاريخ البناء :

تاريخ بناء هذا القصر غير وارد في المراجع العلمية، إلا أنه من المرجح أن يكون ما بين العام 1880م وهو تاريخ قدومه إلى الجغبوب، والعام 1890م وهو تاريخ ميلاد الملك إدريس نجل السيد المهدي السنوسي، حيث بُشِّرَ الثني وهو في قصره المجاور للزاوية بولادة السيد محمد إدريس المهدي السنوسي ملك ليبيا، ما يعني أن القصر كان مشيداً ويقطنه مالكه، ولا تملك سوى التاريخ التقديري سالف الذكر والمحصور بين عامي 1880م و 1890م، ويرجح أنه بني على مراحل حتى وصل إلى الشكل الذي عليه الآن.

(شكل8). [2-4]

الوصف المعماري:

القصر مستطيل الشكل يبلغ طوله من الجنوب إلى الشمال 80م (شكل 9)، يتألف من ثلاثة صحنون مكشوفة، وهو ما يميز العمارة الإسلامية في إنشاء الصحنون، لغرض التهوية وتوزيع الغرف بشكل جيد والمبنى بكامله تم تشييده وبنائه (Barrel vault) والتسقيف بالأقبية "قبو برميلي (Semicircular arch) بالطوب المحلي الجيري باستخدام العقود (وأخشاب من جذوع وأعواد وسعف جريد النخيل والأشجار وحصائر نبات الديدس". وتتوزع حوله الغرف (Atrium) الجزء الشمالي منه مقسم إلى جزئين، كل جزء يتوسطه صحن أو فناء بدون أروقة مباشرة وكل جناح ملحق به حجرة حمام بخاري وحجرة مرحاض تقليدي مسقوفان بسقف مقبي من الحجارة الصغيرة والجير؛ الجزء الواقع في أقصى الشمال مكون من طابقين فالطابق العلوي به فناء صغير يطل على باحة القصر الرئيسية، يلاحظ فيه دقة العمل والإتقان متمثلة في الإعتناء ببعض الزخارف، والحرفية في عمل السقف الخشبي المحبوك من جذوع النخيل، وأعواد جريد النخيل المنسوجة بحبال من ألياف وسعف النخيل، ربما يكون هذا الجناح خاص بصاحب القصر والجزء الأوسط من القصر يرجح أنه مخصص للمضافة (شكل 10).

الواجهة الأمامية للقصر، عبارة عن فناء أو ساحة كبيرة مستطيلة الشكل تنحرف وتدور نحو الشمال الغربي، وكانت محاطة بأسوار متوسطة الارتفاع حوالي 2 م، وبها برج صغير ذو شكل نصف دائري، وللقصر مدخل رئيسي واحد بداخله سلم من الطوب الجيري يتجه نحو الأعلى ويؤدي إلى فناء مربع الشكل بمثابة شرفة تطل نحو الخارج، وهذا الجزء تقع أسفل منه غرف ويعتقد أنها مخصصة لمضافة رجال القوافل وتخزين السلع التجارية (شكل 11)، بالإضافة للغرف التي تقع أسفل الجناح الخاص، التي يرجح أنها غرف تخزين خاصة بمالك القصر وسكن القائمين بخدمة هذا الجناح، وللقصر أيضاً مداخل فرعية إحداها يفتح ناحية الشرق على الباحة الخارجية، وهو يؤدي مباشرة نحو الجناح الخاص لمالك القصر، والآخر من الناحية الجنوبية الغربية من القصر يؤدي إلى الإسطبلات والمطبخ.

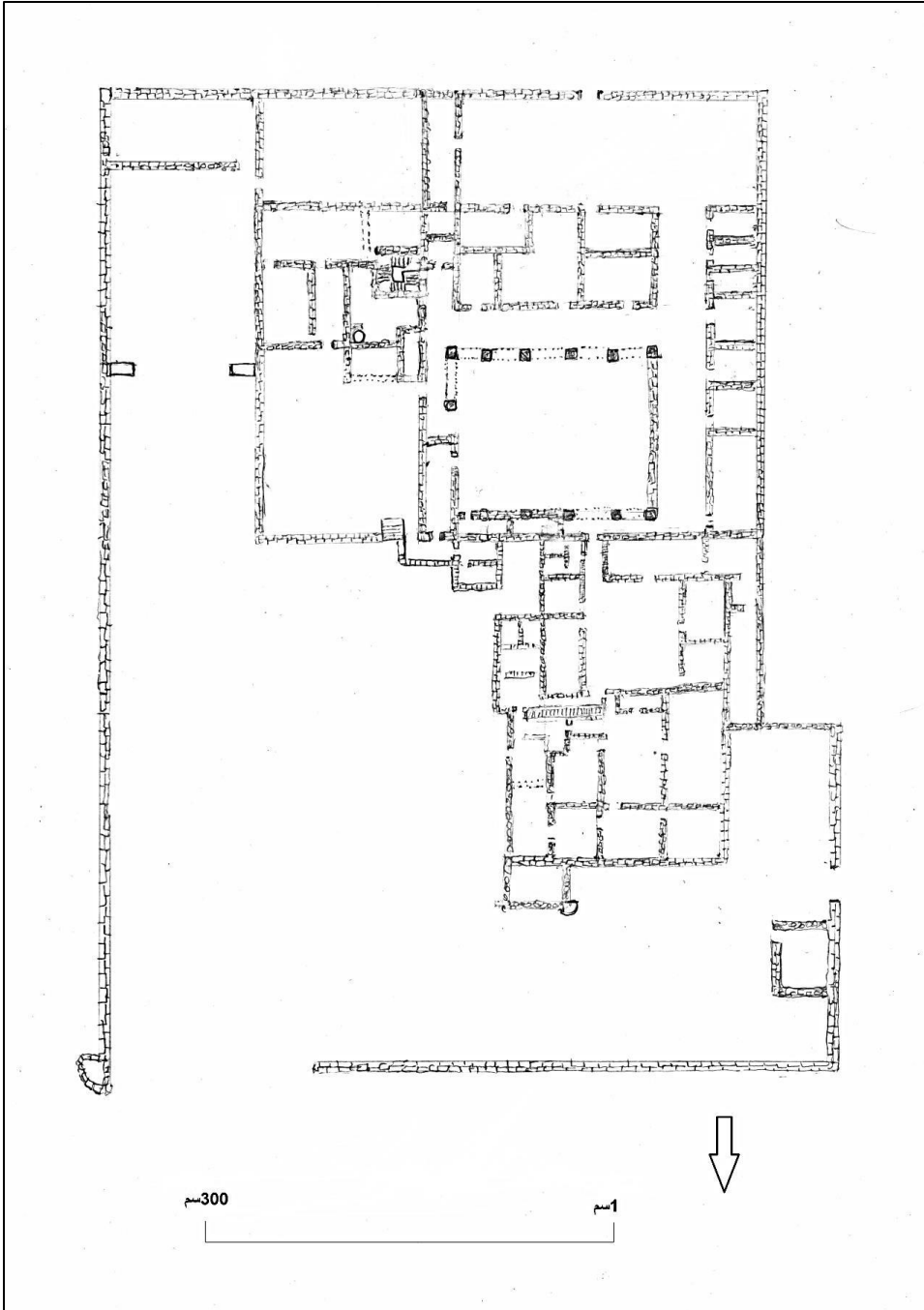
الجزء الجنوبي من القصر، عبارة عن صحن أو فناء تحيطه الأروقة من كل جانب وتتوزع داخلها الغرف ، يرجح الباحث أنها مخصصة لسكن الخدم والقائمين على أعمال القصر، وهناك غرف تقع في (Quadruparticus) ممر يؤدي إلى الباب الجنوبي، وهي مخصصة لأغراض الطبخ ولوازمه من أفران ومواقد النار، وما يميز هذا الجزء، هي تلك العقود والأقواس التي تحيط بالفناء من الاتجاهات الأربعة، مشكلة بذلك صفوف من الأروقة بإستثناء الرواق الرابع الجنوبي، فهو مكون من صفتين أو دورين من العقود تعلو فوقها البعض، مشكلة بذلك حلة معمارية رائعة، كما يوجد في الزاوية الجنوبية الشرقية من الفناء، درج يؤدي إلى سطح القصر (شكل 12).

خارج القصر من الجهة الجنوبية، عبارة عن فناء تطل عليه غرف إضافية، وهي جزء من القصر، غير أن مداخلها تطل على الفناء الخارجي، ويرجح الباحث أنها مخصصة لإسطل للخيل وأخرى كمخزن لحفظ السلع والمواد، كالتمر والشعير

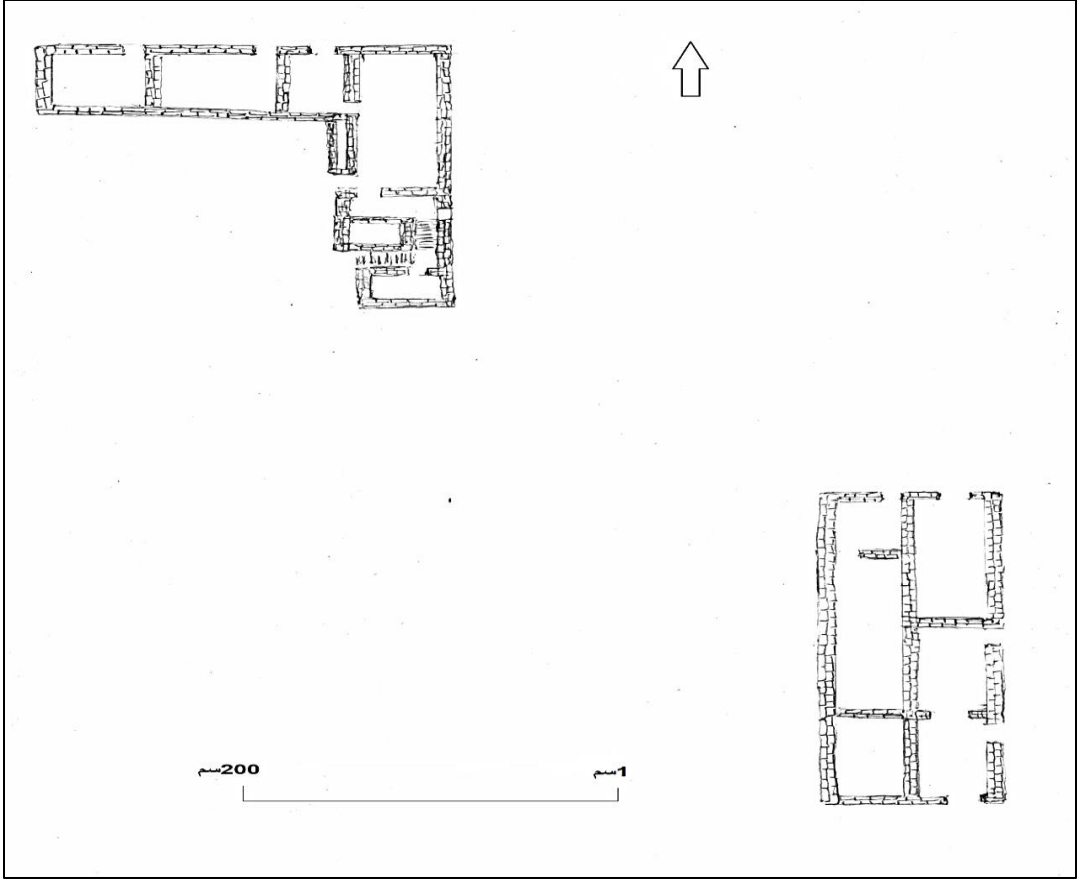
وبعض المواد الأخرى، لقرنها من غرف الطبخ، وقد بلغ إجمالي عدد الغرف في القصر حوالي 42 غرفة.



شكل(8): منظر عام لواجهة قصر الثني - الشاخص 2 متر نحو الجنوب؛ (عمل ميداني - تصوير الباحث)



شكل (9-أ): مخطط قصر الثاني - مقياس رسم من 1 سم: 3 سم؛ (عمل ميداني: د. محمد التواتي بوشاح؛ إدريس التواتي)



شكل (9- ب): مخطط الطابق السفلي لقصر الثني
 مقياس رسم من 1 سم: 3 سم؛ (عمل ميداني: د. محمد التواتي بوشاح؛ إدريس التواتي)





شكل(10- أ): صورة تظهر الإعتناء بالأبواب وكوات الإنارة والتفاصيل الزخرفية الجصية والتماثل المعماري لغرف الجزء الأوسط التي تطل على الصحن- الشاخص 1 متر؛ (عمل ميداني- تصوير الباحث)



شكل(10- ب): حمام بخاري خاص بالجزء الأوسط من قصر النبي مملط بالجير ومزخرف بزخارف بسيطة الشاخص 1 متر؛ (عمل ميداني- تصوير الباحث)



شكل(11): غرفة خارجية تطل على الساحة الرئيسية يرجح أنها مخصصة لمضافة تجار القوافل الشاخص 1 متر نحو الجنوب؛(عمل ميداني- تصوير الباحث)



شكل(12): صورة للصحن الرئيسي لقصر الشني يتضح من خلالها العقود الخمسة المكونة من طابقين الشاخص 1 متر نحو الجنوب؛ (عمل ميداني- تصوير الباحث)

صوامع طحن الغلال ومعصرة الزيتون:

رأى السيد محمد المهدي السنوسي إجراء تنمية واسعة لزواوية الجغبوب، لكي لا يكون هناك أية عائق في إقبال طلبه العلم عليه؛ فشرع في تنفيذ هذه التنمية والمتمثلة في إيجاد ماء صالح للشرب، وماء لري المزارع وتوسّعها، وإنشاء مرافق صناعية وإنتاجية للزواوية، فطلب المساعدة من الخديوي إسماعيل باشا والي مصر في حدود عام 1880م، فأرسل الخديوي في حينها مهندسين، وآلات حفر الآبار؛ لإنشاء طواحين طحن الغلال وعصر الزيتون، فكان إجمالي عددها خمسة طواحين، ثلاثة منها تدار بواسطة الدواب، واثنان تدار بواسطة الرياح، فأقام المهندسين مدة من الزمن، دربوها فيها أهل

. [2] زاوية الجغبوب على كيفية استعمالها وتشغيلها

لقد أنشأت هذه الطواحين لغرض طحن الحبوب من القمح والشعير، الذي يستجلب من زوايا الجبل الأخضر، وعصر الزيتون الذي يستجلب من مزرعة الزيتون الخاصة بالسيد المهدي السنوسي بواحة سيوة، وذلك كله لإكتفاء حاجة زاوية الجغبوب من القوت اليومي؛ أما الطواحين التي تدار بواسطة قوة الرياح استجلبت أحجارها (الرحى) من اليونان، عن طريق البحر إلى الإسكندرية، ومن ثم على ظهور الإبل إلى واحة الجغبوب، حيث تم تجميعها داخل مبنى الصومعة، وأيضاً الجزء الثاني منها أستجلب من محجر بالقرب من جبال عبد المالك، في الجنوب الشرقي من ليبيا القريب من واحة الكفرة، (شكل 13). [2-4] بالقرب من المثلث الحدودي الليبي المصري السوداني



شكل(13- أ): منظر عام لصومعة الطحن الشمالية من جهة الشرق الشاخص 1 متر نحو الغرب



شكل (13- ب): صومعة الطحن الجنوبية - الشاخص 1 متر نحو الغرب؛ (عمل ميداني - تصوير الباحث)



شكل (14- ج): موقع معصرة الزيتون تغطيه الرمال، وهي في منزل يعرف باسم (حوش حيده)*****

الشاخص 2 متر نحو الشرق؛ (عمل ميداني - تصوير الباحث)



شكل(14- د): حجر الجرش أو هرس الزيتون يرجح أنه يخص معصرة الزيتون الموجودة في حوش حيدِه وهو الآن محفوظ

لدى عائلة داوود صالح يونس؛ (عمل ميداني - تصوير الباحث)

الوصف المعماري :

تشتمل منشأة الطحن الهوائية، على اثنان من المباني على هيئة صوامع اسطوانية الشكل، شيدت فوق مرتفع من الأرض الصخرية:

الصومعة الشمالية (N 29 44.877 - E 024 31.064):

يبلغ إرتفاعها 6.95م، وقطرها 5.09م، وهي عبارة عن مبنى إسطواني الشكل، به باب من الجهة الشرقية مستطيل الشكل ارتفاعه 2.06م، وعرضه 0.84م، والصومعة بداخلها سلم حجري لولبي الشكل تبلغ عدد درجاته 17 درجة حجرية، يبلغ متوسط ابعادها حوالي 0.20م سمك، 0.40م عرض، 0.60م طول، فيما بلغ ارتفاع موقع الصومعة عن مستوى سطح البحر حوالي 11م.

المبنى في حالة جيدة، غير أن حجر الطحن مندثر، ربما بسبب استغلال الصومعة كبرج مراقبة إبان الاحتلال الإيطالي للجغبوب عام 1926م، ولربما المسننات الحجرية التي تعلو الصومعة والتي تأخذ الشكل الوظيفي للأبراج، يدل على إعادة توظيف الصومعة كبرج مراقبة، حيث أحيطت الصوامع بسور، وأستحدث داخله بعض المباني للجيش الإيطالي كمبنى الفرن ومبنى للرصد الجوي ومبنى آخر للشرطة العسكرية، وسمي هذا المكان بنقطة الدعم الأولى للجيش الإيطالي في واحة الصومعة من الداخل بما جذوع نخيل معلقة بين الجدران مباشرة أسفل حجر الرحي، وربما أنها كانت [2-4] الجغبوب مسقوفة بمحاصر سعف النخيل، لغرض استقبال واستيعاب مسحوق الحبوب "الدقيق" الهابط من جراء عملية الطحن، أيضاً 0.46م، وأخرى مستطيلة الشكل X بها بعض العناصر الزخرفية البسيطة متمثلة في كوات مثلثة الشكل، أبعادها 0.28م

من جهة الشمال، تعلو بعضها البعض وتطل نحو الخارج وهي لغرض الإضاءة الطبيعية، تبلغ أبعاد العلوية 0.52م عرض داخلي 0.25 عرض خارجي، 0.80م ارتفاع، فيما بلغت أبعاد السفلية 0.80م عرض داخلي، 0.25م عرض خارجي، 0.80م ارتفاع.

كما أن للصومعة غرف تخزين محفورة في الصخر تقع أسفل التبة الحجرية من جهة الجنوب وتفتح جميعها ناحية 2.50م مغطاه بالرمال، أما الغرفة الثانية في المنتصف تبلغ x الجنوب، الغرفة الأولى من جهة الشرق تبلغ أبعادها 3.30م 1.60م ارتفاع، أما الغرفة الثالثة تبلغ x 1.60م ارتفاع، وقياس مدخلها 0.94م x 5.50م أبعادها 3.10م 2.20م ومدخلها منهار (شكل 14) x 3.50م x أبعادها 3.30م



شكل (14- أ): الصومعة الشمالية من الداخل حيث يظهر السلم اللولبي الذي يوصل إلى حجر الطحن الشاخص 1 متر؛ (عمل ميداني - تصوير الباحث)



شكل (14- ب): صورة تظهر استغلال موقع صوامع الطحن كنقطة عسكرية إبان الاحتلال الإيطالي وأيضاً تظهر في الصورة الصومعة الشمالية مستغلة كبرج مراقبة للنقطة العسكرية

الصورة (عن: toranealibicabalia.altervista.org)

2. الصومعة الجنوبية (N 29 44.834 - E 024 31.034):

وهي عبارة عن مبنى إسطواني الشكل إرتفاعه 7.0م، وقطره 6.23م، به باب مملط من الجهة الشرقية يأخذ 0.98م عرض، والصومعة x تبلغ أبعاده 2.06م إرتفاع (Semicircular arch) شكل قوس نصف دائري بداخلها سلم حجري لولبي الشكل تبلغ عدد درجاته 21 درجة حجرية يبلغ متوسط أبعادها حوالي 0.75م

م. المبنى في حالة جيدة ولا يزال حجر 0.308م، كما يبلغ إرتفاع موقع الصومعة عن مستوى سطح البحر حوالي X الرحي معلق في قلب الصومعة، وهو مكون من جزئين الجزء السفلي حجر متحول أبيض دائري الشكل يتألف من قطعتين: القطعة الأولى على شكل إطار حجري رقيق من الخارج والثانية ذات شكل دائري وهي تمثل الجزء الأعظم من الحجر السفلي، أما الجزء العلوي فهو يتألف من ستة قطع حجرية بركانية متحولة سوداء اللون ومثلثة الشكل ومتراصة 0.50م، فيما بلغ قياس X بجانب بعضها البعض مشكلة بذلك شكلاً دائرياً، ويبلغ قياس القطعة الواحدة 0.48م قطر حجر الرحي كاملاً 1.28م، الصومعة مراوحها الشراعية مندثرة، والسبب في اندثارها هو عاصفة تزامنت مع وفاة الصومعة من الداخل بها جذوع نخيل معلقة بين الجدران مباشرة [2] السيد محمد الشريف السنوسي عام 1896م أسفل حجر الرحي، وربما أنها كانت مسقوفة بحصائر سعف النخيل لغرض استقبال واستيعاب مسحوق الحبوب "الدقيق" الهابط من جراء عملية الطحن وتحتوي الصومعة على نافذتان مربعتا الشكل ويبلغ قياس النافذة الشرقية 0.30م، ومن المرجح بأن تكون X 0.35م X 0.30م وقياس النافذة الغربية 0.32م X 0.35م X 0.32م وظيفتهما لغرض دخول المحور الدوار وناقل الحركة الواصل ما بين المراوح الشراعية وحجر الرحي، والصومعة بها بعض X العناصر الزخرفية البسيطة متمثلة في كوات مربعة الشكل: الأولى على يمين النافذة الغربية وتبلغ أبعادها 0.50م X 0.30م، وأخرى على X 0.30م X 0.30م والثانية على يسار النافذة الشرقية وتبلغ أبعادها 0.45م X 0.50م 0.28م وهناك كوة في الناحية الغربية أوجدها السلم X 0.42م X يسار المدخل من الداخل وتبلغ أبعادها 0.45م 1.50م، وهناك أثر لباب مغلق من الجهة الجنوبية على شكل عقد X 0.90م X الحجري وتبلغ أبعادها 0.80م 1م (شكل 15). X 1.70م X نصف دائري تبلغ أبعاده 1م



شكل (15- أ): الصومعة الجنوبية من الداخل حيث يظهر السلم اللولبي الذي يوصل إلى حجر الطحن وتوضح أيضاً

العوارض الخشبية التي كانت تغطيها الحصائر لغرض استيعاب الدقيق الهابط من المطحنة

الشاخص 1 متر؛ (عمل ميداني - تصوير الباحث)



شكل(15- ب): صورة توضح شكل حجر طحن الصومعة الجنوبية
الشاخص 1 متر؛ (عمل ميداني- تصوير الباحث)



شكل(15- ج): صورة تظهر استغلال الصومعة الجنوبية كبرج مراقبة إبان الاحتلال
الإيطالي وموقعاً للرصد الجوي حيث تأسست أول محطة للرصد الجوي في هذا الموقع
الصورة (عن: toranealibicababia.altervista.org)

المقبرة التاريخية(شكل16):

تقع بجوار زاوية الجغبوب من الناحية الشمالية الشرقية، مساحتها حوالي(13000م2) وللزاوية باب خاص بالجناز
يفتح باتجاه هذه المقبرة يسمى باب الرحمة(شكل17)، ويرجع تاريخ المقبرة إلى قدوم السيد السنوسي الكبير إلى زاوية
الجغبوب 1856م، وهي تضم في تربتها نخبة من أعلام ومشائخ زاوية الجغبوب، أمثال سيدي نصير، وسيدي جاد
الصعيدي المتوفى سنة 1304هـ - 1886م، وسيدي عمر الفضيل بوحوي ***** المتوفى في السنة العاشرة من القرن
الرابع عشر الهجري حوالي عام 1893م، ومنهم من ترأس مشيخة الزاوية مابين عامي 1895م إلى 1945م، أمثال،
السيد عمران بن بركة الفيتوري، والسيد علي بن عبد المولى والسيد محمد الثني الغدامسي، والسيد المدني، والسيد الحسين
السوسي، وبالنسبة لشواهد القبور فغالبيتها من الحجارة الطبيعية الخالية من الزخارف، وهناك بعض القبور تم تجديد
شواهدها الحجرية في ستينات القرن الماضي واستبدالها بشواهد رخامية تحمل اسم المتوفى(شكل18) وكان أول من دفن في

بقاع هذه المقبرة هو السيد الطيب بو بالقاسم، وأصله من منطقة الشرقية بمصر، وقد قدم لزيارة السنوسي الكبير في حدود عام 1856م، ووافته المنية أثناء هذه الزيارة وقد أمر السيد السنوسي بدفنه في مقبرة الجغبوب وأردف قائلاً (دخلها الطيب ولا يدخلها إلا الطيب) (شكل 19)، كما كانت تسمى هذه المقبرة بـ"مجلس الإخوان"؛ وتجدر الإشارة إلى قبر السيد راجح الحجازي وأصله من الجزيرة العربية وهو صانع بارود، توفي بسبب احتراق البارود، وكان ذلك قبل تأسيس مقبرة الجغبوب في حدود عام 1855م، وقد دفن في بادئ الأمر في مائدة صخرية "قارة"، كانت تستقطع منها الحجارة المستخدمة في عملية بناء الزاوية، وقد نقل جثمانه إلى مقبرة الجغبوب عام 1984م أثناء الإعتداء الذي حدث لزاوية الجغبوب، من قبل نظام معمر القذافي [2-4].



شكل (16): صورة فضائية توضح شكل مقبرة الجغبوب التاريخية المجاورة للزاوية من الناحية الشرقية



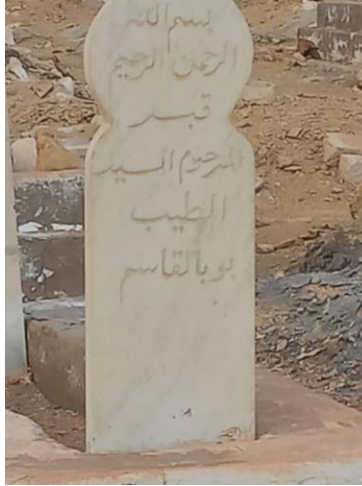
شكل(17): باب الرحمة أحد الأبواب السبعة لزاوية الجغبوب وهو مخصص لخروج الجنائز إلى المقبرة
كتب عليه: (نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)
الصورة (عن: toranealibicabalbia.altervista.org)





شكل(18): صورة عامة تضم مقابر نخبة من علماء ومشائخ زاوية الجغبوب (1856م - 2021م)

(تصوير الباحث)



شكل(19): أول دفين في مقبرة الجغبوب المرحوم السيد الطيب بوبالقاسم حوالي 1856م

(عن: أحمد السنوسي أحمد، مرجع سابق؛ ، تصوير ابوالقاسم عبدالله التواتي، مواليد 1981م، مقابلة شخصية 2022م)

العلامات الشارحة:

*النافقاء: حفرة من حفر "البربوع" الجربوع وهي كالنفق، يحفرها ولا ينفذ مخرجها، فإذا شعر بالخطر ضربها برأسه وخرج منها؛ معجم لسان العرب لابن منظور.

**الرباط: هو عبارة عن مجموعة غرف تستخدم للدراسة وأخرى للسكن وهي تتوزع في أركان زاوية الجغبوب وكل رواق له تسمية أخذها من ساكنيه ومرتاديه، كرباط الطلبة ورباط الكتاب ورباط الوداوية، وهي على غرار أروقة الأزهر من حيث الوظيفة كرواق المغاربة بالأزهر.

***السيد المهدي ابن السيد محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي، الخليفة الأول للحركة الإصلاحية السنوسية والتي ازدهرت في عهده، ولد بزواوية البيضاء في الجبل الأخضر عام 1844م، وانتقل للإقامة بزواوية الجغبوب منذ 1858م وارتحل منها عام 1895م قاصدا زاوية التاج بالكفرة.؛ انظر: السيد محمد المهدي بن

السيد محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي، المولد الشريف النبوي، تحقيق: أحمد محمد جاد الله. 2018م، ص ص 22-27.

**** احتساب مساحة المسجد من خلال عدد البلاطات والأروقة التي تقدر مساحتها بحوالي 4م والتي إستخلصها الباحث من الرفع الهندسي الذي قامت به مراقبة آثار شحات قبل الهدم عن طريق المهندس سعيد فرج بالحسن وما ورد في دراسة سمير عبدالمنعم غير دقيق مقارنة بحجم الصحن والقبة الضريحية التي تحيط بالمسجد والموضحة في الرفع الهندسي سابق الذكر، أما عن توسعة المسجد فذلك يتضح من خلال موقع المفذنة التي تتوسط الجدار الشمالي للمسجد من الخارج وهي توافق دراسة أحمد رجائي بخصوص توسعة المسجد، انظر: (شكل 243-244)؛ أحمد رجائي أحمد بركات مرجع سابق، ص2.

***** القبة الضريحية: بعد وفاة السيد محمد بن علي السنوسي عام 1276هـ - 1859م بنيت عليه قبة ضريحية صغيرة مؤقتة وبعد وقت قصير جددت ووسعت وأحكم بناؤها عام 1865م وجلبوا لها بنائين من مكة المكرمة وفي زخارف من مدينة كابول بأفغانستان ومقصورة نحاسية بديعة الصنع وثيرات من اندونيسيا، كما أهدى الخديوي إسماعيل سلسلة نسبه الشريف كاملة مكتوبة بأحرف ذهبية داخل إطار مذهب لتعلق بمحائط المقصورة النحاسي؛ انظر: أحمد بن محمد الشريف، مرجع سابق، ص384؛ سليم زبال، مرجع سابق، ص121، 118؛ أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص35.

***** المثلث الكروي: يسمى أيضاً عقد الزاوية وهو عقد صغير يبني في الزوايا الداخلية للغرفة المربعة لغرض الانتقال به إلى الشكل الدائري؛ انظر: فؤاد حمدي بن طاهر، مرجع سابق، ص123.

***** من أشهر مؤلفاته: رسالة الفلاح في الفتح والنجاح، إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، بغية المقاصد في خلاصة الراصد، رسالة مقدمة الامام مالك، مختصر بغية الطلاب في علم الأنساب، وله رسالة في علم الرياضيات "ريحانة الحبوب في عمل السطوح والجيوب"، وهو ما يفسر مدى براعته ومعرفته للتخطيط العمراني وضلوعه في شتى العلوم، انظر: أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص 132-133، 137.

Quasi-***** المونة الخرسانية: إبتكار روماني أحدث ثورة في مجال العمارة بدلاً من القطع الحجرية هرمية الشكل ومسحوق الطوب المحروق Pozzolana، والمونة الخرسانية في الأصل مؤلفة من مزيج الغبار البركاني reticulate مع الحجارة الصغيرة، وفي حالات المناطق الخالية من رماد البركان أو غبار البركان فيستعاض به بمادة الجير؛ انظر: فؤاد حمدي بن طاهر، مرجع سابق، ص ص 91، 41.

***** حوض عصير الزيتون وقاعدة جرش الزيتون لا تزال موجودة تحت الرمال، والجدير بالذكر أن الزيتون كان يستجلب من مزرعة الزيتون في واحة سيوة وهي مزرعة مزروعة بأشجار الزيتون ومن أملاك

السيد المهدي السنوسي، وكان المشرف عليها هو الحاج صالح موبى والحاج عمر الفضيل السنوسي والحاج علي قناوي وهم من سكان زاوية الجغبوب آنذاك؛ عبد الرحيم أحمد عبدالله، مواليد 1964م، مقابلة شخصية، أكتوبر 2022م؛ فرج محمد فخار، مرجع سابق؛ أحمد فخري؛ مرجع سابق، ص 172.

***** السيد عمر الفضيل المشهور بـ عمر بوحوى (والد المجاهد الفضيل بو عمر): هو من تلاميذ السيد السنوسي الكبير وقد هاجر معه ولزمه وقد كان شجاعاً مهاباً صاحب عزم وحزم، وقد وجهه السنوسي الكبير ليقود الجيش للجهاد مع سيدي محمد بن عبدالله السماحي في الجزائر، ولما تولى قيادة الجيش ضد الإستعمار الفرنسي في الجزائر حقق الإنتصارات ولما رجع من الجهاد بعد عدة سنين وجهه السيد السنوسي الكبير إلى برقة البيضاء وسرت ونواحيها للإرشاد وبعد ذلك أرسله السنوسي إلى الكفرة لبيبي زاوية الجوف ويهتم بالزراعة وحفر الآبار وتأمين طريق التجارة وقد توفي يوم عرفة بواحة الجغبوب في القرن الرابع الهجري؛ احمد بن محمد بن علي السنوسي الجغبوبي، الفيوضات الربانية في إجازة الطريقة السنوسية الأحمديّة الإدريسية، مخطوط.

المراجع

أحمد رجائي أحمد بركات، الجغبوب بين الجد والحفيد، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي - معهد [2-4] الجغبوب الديني، صفر عام 1389هـ، ص ص 1-3؛ انظر: أحمد بن محمد الشريف بن محمد بن علي السنوسي، الكوكب الزاهر في سماء مجلي الظلام العاكر، مرجع سابق، ص ص 226-229، 357-358، 375-358؛ سليم زبال، مرجع سابق، ص ص 117، 120، 126-117؛ أحمد صدقي الدجاني، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، القاهرة ط 1، 1967، ص ص 101، 30-103، 110-117، 137؛ محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص ص 36-37، 52-55، 58-61.

أحمد رجائي أحمد بركات، نفس المرجع، ص ص 1-3؛ انظر: أحمد بن محمد الشريف بن محمد بن علي [2-4] السنوسي، المرجع السابق، ص ص 226-229، 357-358، 375-358؛ سليم زبال، المرجع السابق، ص ص 117، 120، 126-117؛ أحمد صدقي الدجاني، نفس المرجع، ص ص 101، 30-103، 110-117، 137؛ محمد فؤاد شكري، نفس المرجع، ص ص 36-37، 52-55، 58-61.

سمير عبدالمنعم خضري، عمائر الصوفية في الجماهيرية الليبية (الزوايا والرباطات) من الفتح الإسلامي وحتى [1] نهاية العصر العثماني، مؤسسة الاخلاص للطباعة والنشر، 2008م، ص 247.

أحمد رجائي أحمد بركات، مرجع سابق، ص 4. [1]

سمير عبدالمنعم خضري، مرجع سابق، ص 248. [1]

أحمد السنوسي أحمد، مواليد 1956م، مقابلة شخصية، نوفمبر 2013م. [1]

- إدريس محمود نصيب، مواليد 1947م، الجغوب مقابلة شخصية 2022م. [1]
- محمد بن عثمان الحشائشي، رحلة الحشائشي إلى ليبيا، دار لبنان، بيروت، 1965م، ص ص (151-2)-4
- (152)؛ ايفانز بريتشارد، مرجع سابق، ص ص 36،37؛ أحمد رجائي أحمد بركات، مرجع سابق ص3-4.
- عبد الوهاب التازي، جريدة طرابلس الغرب، عدد الأحد، 18 يناير، 1953، ص ص 18-34. [1]
- السيد عمران بن بركة الفيتوري، تحقيق: أحمد محمد جاد الله السيد، مؤسسة كلام للبحوث والإعلام- [1]
- أبو ظبي، 2018م، ص 152.
- سليم زبال، مرجع سابق، ص ص 130-131؛ محمد نصيب رسلان، مواليد 1934م، مقابلة [2]-4
- شخصية 2011م؛ يوسف عبدالهادي الحبوش، مواليد 1960م، مدونة شخصية على الانترنت، "فيض الفتح القدوسي"، إبريل 2016م، إقتباس 2022م؛ محمد علي حماد، مواليد 1952م، مقابلة شخصية، 2022م؛ أحمد محمد جاد الله، مواليد 1984م، مدونة شخصية على الإنترنت، "توصيات الندوة العلمية المصاحبة لمهرجان الجغوب الثقافي ديسمبر 2019م"، النقطة الرابعة، إقتباس 2022م.
- أحمد رجائي أحمد بركات، مرجع سابق، ص2. [1]
- فؤاد حمدي بن طاهر، نفس المرجع، ص ص 125،41،37. [1]
- جان لوي تريو، السنوسية في مواجهة فرنسا، (ت) خالد جهيمة، دار الفرجاني، طرابلس، 2013، ص [2]-4
- ص ص 164،163،66،56،49،16؛ محمد الطيب الأشهب، مرجع سابق، ص25؛ ايفانز بريتشارد، مرجع سابق، ص ص (45،43،41)؛ سامي حكيم، جغوب الواحة المغتصبة، مركز الدراسات الصحفية، القاهرة، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، 1978م، ص ص 80،68،82؛ يوسف عبدالهادي الحبوش، مرجع سابق، ص ص 275-277؛
- أحمد بن محمد الشريف، مرجع سابق، ص ص 267،288.
- محمد الطيب الأشهب، مرجع سابق، ص25؛ ايفانز بريتشارد، مرجع سابق، ص ص 41،40،38؛ محمد [2]-4
- علي حماد، مرجع سابق، 2007م.
- [1] سامي حكيم، مرجع سابق، ص ص 69،84؛ ايفانز بريتشارد، مرجع سابق، ص 36.
- أحمد رجائي أحمد بركات، مرجع سابق، ص ص 6،8؛ سليم زبال، مرجع سابق، ص ص 118،121؛ أحمد [2]-4
- فخري، واحة سيوة، ت: جاب الله علي جاب الله، هيئة الآثار المصرية، القاهرة 1973م، ص 172.؛ محمد نصيب رسلان، مرجع سابق؛ فرج محمد فخار، مواليد 1957م، مقابلة شخصية، أكتوبر 2022م.
- محمد عبد الحفيظ عبدالله، مواليد 1953م، مقابلة شخصية، 2018م؛ محمد علي حماد، مرجع سابق.؛ [2]-4
- رودولفو غراسياني، برقة الهادئة، (ت): إبراهيم سالم بن عامر، دار الأندلس، بنغازي-ليبيا، 1974، ص 235.
- محمد علي حماد، مرجع سابق، 2007م.؛ أحمد بن محمد الشريف، مرجع سابق، ص 281. [2]

محمد علي حماد، مرجع سابق، 2007م؛ يوسف عبدالهادي الحبوش، مدونة شخصية على الإنترنت، مرجع سابق؛ [2-4] إدريس محمد نصيب، مواليد 1980م، مقابلة شخصية، ديسمبر 2022م؛ أحمد السنوسي أحمد، مواليد 1956م، مقابلة شخصية، ديسمبر 2022م؛ احمد بن محمد بن علي السنوسي الجغبوبي، الفيوضات الريانية في إجازة الطريقة السنوسية الأحمديّة الإدرسية، مخطوط.

دور المساجد في ترسيخ الخطاب الديني وتعزيز الانتماء الهوياتي بالجزائر المستعمرة 1830م-1962م

اد. بوكوشة ريمة

قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر2، ابو القاسم سعد الله، الجزائر

ryma.boukoucha@univ-alger2.dz العنوان البريدي :

الملخص:

حمل الاحتلال الفرنسي للجزائر الأيديولوجية الدينية القائمة على حتمية ارجاع شعوب شمال افريقيا الى الدين المسيحي وتنصيرها، فهذه الأيديولوجية التي لازمت الكثير من الساسة والقادة العسكريين ورجال الدين كرست جميع الاليات والاستراتيجيات اللازمة لتفعيلها ولعل ابرزها القضاء على المعالم الاسلامية وكل المقومات الهوياتية الحاملة لمضامين الدين الاسلامي .

ولما كانت المساجد احدى الحواضر العلمية والدينية والحصن المنيع الذي حافظ على الاسلام ولغته "اللغة العربية"، وربطت الجزائريين بانتمائهم الحضاري والهوياتي من خلال التربية الروحية والخطابات الدينية التي شكلت مادة خصبة لصياغة الشخصية الوطنية المسلمة، عملت فرنسا بتتبع سياسة استعمارية ثنائية الفعل تجاه المؤسسات الدينية وذلك بمحاولة افراغ المجتمع الجزائري من محتواه الديني الاسلامي وتعبئة ذلك الفراغ بمضامين الدين المسيحي، الذي يوحى في حقيقته الى سياسة الدمج والربط لحضارة وثقافة الاخر، وعليه نجد انفسنا على اعتاب الاشكالية التالية:
الى اي مدى واجهت المساجد تحديات السياسة الاستعمارية في الجزائر؟ وكيف ساهمت في الحفاظ على الهوية الوطنية ؟

الكلمات المفتاحية: المساجد- الاستعمار الفرنسي- الجزائر المستعمرة- الهوية - المجتمع .

المقدمة:

شكلت المساجد فترة الاحتلال الفرنسي المشتلة الاولى في تربية النشء وتوجيهه، والمؤسسة الاولى في تعليم ابناء الجزائريين وتنمية شخصيتهم المتشعبة بالقيم الوطنية "الدين واللغة العربية"، ولها الفضل الكبير في الحفاظ على الموروث الثقافي العربي الاسلامي لما تعرض له من تهميش وتغريب نتيجة سياسة الاخر وغزوه الثقافي. لم يقتصر دور المساجد في التعليم والتربية بقدر ما عمل على تثبيت الخطابات الدينية في نفوس الجزائريين، وصنع اجيال المستقبل الحامية لقوميتها وهويتها ومقدساتها الدينية، ورغم مساعي ادارة الاحتلال

المستمرة في الاعتداء على المؤسسات الدينية وعلى رأسها المساجد وقطع كل مصادر تمويلها الا أن المواقف الوطنية كانت حاضرة وصامدة رغم قلة الامكانيات وتردي اوضاع المستعمرة.

ان التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية التي عرفتها الجزائر المستعمرة, جعل المساجد تلعب ادوارا متعددة حسب ما تتطلب اليه الاوضاع وتغيرت فيه السياسة الاستعمارية, ومن خلال هذه الورقة البحثية سنوضح مدى قدرة المساجد في مواجهة السياسة الاستعمارية في الجزائر مع بيان طبيعة مشروعها الاستدماري, ودور المساجد في الحفاظ على الهوية الوطنية بناء على خطاباتها الدينية ونشاطها الاصلاحية.

اهداف البحث: تكمن اهدافنا البحثية لهذا الموضوع في :

- اعطاء دراسة نوعا ما مكثفة لدور المساجد في الجزائر فترة الاحتلال الفرنسي خاصة ان الباحثين يركزون على فترة العهد العثماني او فترة القرن 19, هذا ما انتج قله في الانتاج العلمي في دراسة وضع المساجد وادوارها فترة القرن 20.
- محاولة تتبع وضع المساجد في الجزائر المستعمرة من خلال الادبيات الفرنسية .
- محاولة تقديم مادة مصدرية جديدة وذات نوعية مما سيسهل للباحثين الرجوع اليها في ظل اهتمامهم بالمواضيع الثقافية .

اهمية الموضوع:

- الوقوف في توضيح وضعية المنظومة الاستعمارية الحاملة للأفكار الإيديولوجية الدينية المسيحية وتوضيح حقيقة الاستعمار الفرنسي كونه منظومة فكرية قبل ان تكون استعمارية او عسكرية.
- الوقوف على طبيعة السياسة الاستعمارية تجاه المساجد والدين الاسلامي ولغته .
- بيان دور المساجد في الحفاظ على الهوية الوطنية الثقافية وتوضيح الدور الخفي الذي تلعبه في تقويم الفرد الجزائري.

منهجية البحث:

يتطلب هذا النوع من المواضيع والدراسات البحثية الى الاعتماد على المنهج التحليلي, وذلك بغرض الاجابة على مختلف الاسئلة والاشكاليات المتعلقة بموضوع بحثنا مع الاخذ بعين الاعتبار الاعتماد على المنهج التفسيري, بغرض تفسير كل الظواهر والعوامل التاريخية التي ساهمت في صناعة الحدث التاريخي.

1- الإيديولوجية الدينية لغزو الجزائر:

تمحورت الإيديولوجية الدينية المسيحية على جعل شمال افريقيا ملكا للعالم المسيحي ووفقا لتطلعات الكنيسة التي تؤول الى تنصير شعوب شمال افريقيا, والقضاء على الطابع الاسلامي الذي يمثل بالنسبة لرجال الدين تهديدا لكيانهم وحضارتهم كما تماهت افكارهم على اعتبار المنطقة ملكا لأجدادهم الرومان حيث كان الدين الاسلامي دين اغلبيتهم^[xvii] وفي هذا الصدد يقول الكاتب الفرنسي اوجين بوري: " قد اعيد اكتشاف افريقيا الرومانية ... ان الجزء من افريقيا الذي سقط في ايدينا يمكن بسهولة اعادته الى الثقافة والحضارة الغربية"^[xviii]. وعلى اعتقادهم انه بعد مجيء الاسلام اسقط بالعنف عليهم حقهم من المنطقة وهذا ما جعل المبشرون والسياسة يتفقون على جعل الاسلام العدو الاول للحضارة الغربية والكنيسة, ثم ان تنصير الشعوب الاسلامية يدخل في اطار مصالح السياسة الاوروبية وتطلعات الفكر المسيحي.^[xix]

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر عمل السياسة و العسكريون على تحقيق هذه الإيديولوجية على ارض الجزائر, من خلال رسم الاستراتيجيات والخطط الازمة لتنصير شعبها ونجاح عملياتهم التبشيرية لكن شريطة ان تتوافق هذه الإيديولوجية الدينية الاستعمارية مع الممارسة السياسية في الجزائر كون الاحتلال في مراحله الاولى 1834-10830" كان متردد في البقاء او مواصلة الاحتلال^[xx] ويعبر بوري قائلا: " بعد ان بدأنا في افريقيا في ظروف غير مواتية فوجئنا وتأثرنا بالأحداث والمقاومة الشرسة للعرب قبل ان يتاح لنا الوقت لمعرفة هذا البلد والاشخاص الذين القيت بنا الصدفة بينهم كان كل شيء غير متوقع ولم يكن هناك ما يحدث حولنا ان يكشف لنا طبيعة المشروع والغرض منه"^[xxi]

في المذكرة التي وجهها وزير الحربية الفرنسية دوغليغمون تونير الى حكومة المارشال شارل العاشر في عام 1827 استعدادا لانطلاق الحملة على الجزائر يقول فيها: "... من الناحية الدينية كم هو الشرف للراعي الاول الكنيسة ان يعود بنا الى تلك الحماية المقدسة للمسيحية ولان يرفع راية وعظمة المسيح في الاقاليم التي اشتهرت بها اسقفية الاغسطين واتباع السيريان لتزهر الديانة الكاثوليكية من جديد التي كان لها اشعاعها في الماضي في هذه المنطقة ... وربما مع الزمن سنكون سعداء بتحضير الاهالي وتنصيرهم"^[xxii]. وبعد الاستلاء على مدينة الجزائر العاصمة خاطب الجنرال ديبرمون جنوده قائلا: " لقد جددتم عهد الصليبيين", وفي نفس السياق كتب بوجولا عام 1844 في حديث دار بينه وبين الجنرال بيجو قائلا: " ماذا جئنا لنعمل في افريقيا؟ فأجابه: لكي نواصل العمل الذي بدأ غوفروا ولويس السابع وسان لويس... ان الحرب التي تقوم بها افريقيا انما هي حلقة من حلقات الحروب الصليبية"^[xxiii].

لم تحترم سلطات الاحتلال الفرنسي بنود اتفاقية 5 جويلية 1830 الموقعة بين القائد الاعلى للقوات الفرنسية وحاكم الجزائر الادي حسين, فيما يتعلق بضمان حرية السكان على اختلاف طبقاتهم ودينهم واملاكهم اذ جاء فيها: "... تبقى ممارسة الديانة المحمدية حرة كما انها لن يقع اي اعتداء على حرية السكان من جميع الطبقات ولا على دينهم واملاكهم ...", لكن للأسف فبمجرد وصول الاحتلال الفرنسي الى الاراضي الجزائرية باشر سياسته التعسفية الهادفة الى محاربة الدين الاسلامي ومؤسساته وكل مراكزه الدينية وهذا القرار عرف طريقه للتجسيد على يد دوروفيقيوا الذي وقف ظهيرة 1832/12/18 يخاطب قائلا: " يجب ان نتخذ اجمل المساجد في الجزائر معبدا للإله المسيح ومهاجمة جامع كتشاوة, ويتلو القساوسة اناشيد الغفران على اشلائهم". [xxiv]

ولقد تعددت نداءات رجال الدين وكثرت تأليفهم حول ضرورة نجاح مشروعهم حيث دعى دوش صانعي القرار في دولة المتربول الى الشروع في التأسيس لما يخدم هذه الابدولوجية, ولقيت دعوته استجابة من الحاكم العام فالييه من خلال منحه ترخيصا لممثلين من الاكليروس لمرافقة الجيش الفرنسي للقيام بمهمته العسكرية مما يعكس صورة الثقافة الروحية وتثبيتها في النفوس من خلال الحرص الشديد للاحتلال على ضرورة وجود رجال الدين الى جانب الفرق العسكرية في عمليات غزو المدن الجزائرية [xxv].

كما لجأت سلطات الاحتلال الفرنسي الى الاعتماد على اسلوب تقديم المساعدات والاحسان الى الجزائريين لكسب مشاعرهم وتحسين صورتهم في ذهنية الجزائريين, وذلك بغرض تسهيل اخضاعهم لأوامر الادارة الفرنسية وادماجهم في حضارة الاخر واعتناق الدين المسيحي وذلك من خلال بناء المستشفيات والملاجئ واسعاف المرضى والعجز وتوفير الخدمات الانسانية [xxvi] وهي فكرة امن بها كثيرا الكردينال لافيغيري حيث اعلن في 9 سبتمبر 1867 عن رغبته في انشاء اربعة او خمسة مستشفيات في وسط مدينة القبائل [xxvii] التي كانت مركز اهتمام الفرنسيين بحلول سنة 1844, لتجسيد مشروعهم الاستعماري وافكارهم الإيديولوجية [xxviii]. كما اقدم المبشرون على تعليم الاطفال المسلمين وتوفير لهم كل الظروف لاعتناق الديانة المسيحية في المستقبل [xxix], اراد لافيغيري بعث اسطورة القبائل المسيحية وابرار سكان القبائل ككيان منفصل عن العنصر العربي الجزائري و اعتمد على بعض الدراسات الانثروبولوجية التي قام بها الفرنسيون في الترويج بفكرة ان سكان منطقة القبائل, ذو اصول مسيحية وبقيت هذه الافكار تتخمر مع طبيعة اهداف الإيديولوجية الدينية لتنشأ مع مرور الزمن الاسطورة/ الخرافة القبائلية. [xxx]

وفي اطار التوسع التبشيري تم تأسيس دور العبادة والجمعيات التبشيرية الخيرية لتشجيع نسر الدين المسيحي في اوساط الجزائريين ومن بين هذه الجمعيات نجد جمعية الاخوات سان فانسان دوبول بمقاطعة الجزائر

العاصمة وجمعية الاخوات الثالثو بقسنطينة وجمعية الاخوان سان جوزيف دومون بوهران [lxxxix]

2- السياسة الفرنسية تجاه المساجد:

كانت الجزائر قبل الاحتلال تزخر بالعديد من الزوايا والمساجد التي كان لها الدور البارز في تحفيظ القرآن الكريم وتدریس مبادئ الشريعة الاسلامية وتعليم اللغة العربية لغة الدين الاسلامي, وكانت الحصن المنيع امام تيارات التغريب ومؤسساته لهذا عندما تفتنت الادارة الاستعمارية لدور هذه المساجد في الحفاظ على ثوابت الامة الجزائرية وهويتها الوطنية خاصة بعدما وجدتها مصدر الحركة الجهادية التي عرف بها الجزائريون من بداية الاحتلال, عملت فرنسا جاهدة على القضاء لمصادر قوتها من خلال استراتيجية مزدوجة الفعل تتمثل في استمالة الشيوخ واصحاب المساجد والزوايا واستخدامها كوسيلة للتقرب من الاهالي الجزائريين وتوظيفهم لأغراضها الاستعمارية وفي موضع آخر سعت الى خلق الصراع والفتن بينهم وهمد مؤسساتهم الدينية الحاملة للدين الاسلامي [lxxxix], هذا ما يفسر سياسة المحتل الهادفة الى تجريد الشعب الجزائري من مرجعياته الثقافية والدينية والذي ظل يرفض بإصرار على قرارات السلطة المفروضة عليه عنوة وراح يفاوضها بشتى الطرق. [lxxxiii]

لهذا فان المتتبع لمراحل سياسة المحتل سيستنبط الابعاد الحقيقية التي كانت ترصدها حكومة فرنسا لإنجاح الحملة التي لم تكن عسكرية محضة بل كانت دينية, وثلتمس من خطاب شارل العاشر ذلك بقوله: "ان احتلال الجزائر هو انتصار للصليبية جمعاء" [lxxxiv] كما تذكر بعض الادبيات الفرنسية وعلى رأسها كتابات البرت ديفول الذي اشار انه في عام 1830 كانت الجزائر العاصمة وحدها تحتوي على 13 مسجدا كبيرا و109 مسجدا صغيرا و32 مصلى ومع بدايات 1862 نقص عددها الى 9 مساجد كبيرة و19 صغيرة [lxxxv] ويرجع دي فولكس انه من بين اسباب اختفاء العدد الكبير من المساجد يعود الى سياسة الهدم والحاجة المستمرة الى توسيع الحي الاوروي ونضرب مثالا, عن مسجد سيدي الكتاني وسيدي لخضر الذين حولوا الى كنائس كاثوليكية والسبب الاخر يرجع الى اعادة توجيه الحبوس لمصلحة الادارة الفرنسية والتي كانت معظم فوائدها تعود الى بناء المساجد الصغيرة وتمويل التعليم فيها [lxxxvi]

لجأ ايضا الفرنسيون الى تحويل معظم المساجد الى كنائس كاثوليكية وبعضها حول عن غرضه واعطي الى المصالح العامة والبعض الاخر تم هدمه لخدمة المشاريع الاستعمارية, كفتح الطرق والساحات وتوسيعها وبناء مؤسسات عمومية كبيرة مثل المستشفيات والمدارس والمسارح والكنائس, ورد جورج ايفير ان ما يقارب 65 مسجدا اصبح مخزنا [lxxxvii] والجزء الاخر قدم لبعض التجار الذين حولوا معظمها الى محلات [lxxxviii]

كما واصلت السلطات الاستعمارية عمليات التخلص من المساجد الى غاية القرن العشرين ولم يبق في

الجزائر العاصمة سوى جامعين رئيسيين هما الجامع الكبير والجامع الجديد اللذان ارادت الادارة الاستعمارية التخلص منهما ايضا لتجميل الجزائر العاصمة وبناء فندقين مكان الجامعين وامامهما كنيسة(انظر الشكل (1)

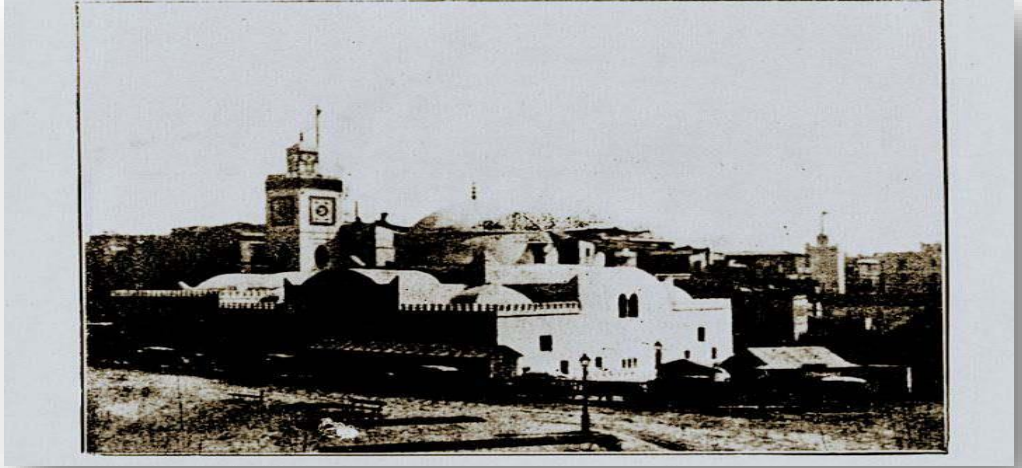


ORAN - L'EGLISE ET LA PLACE ST ANDRE

الشكل رقم(1): كنيسة في عهد دوبوش.

ولولا خوف السلطات من ردود فعل المسلمين ومواقف بعض النواب المسلمين في البلدية خاصة ان القضية تزامنت موضوع التجنيد الاجباري وحركة الهجرة, لعلم الفرنسيون على التخلص منهما كما فعلوا بالجوامع الاخرى حيث سنذكر البعض منهما:

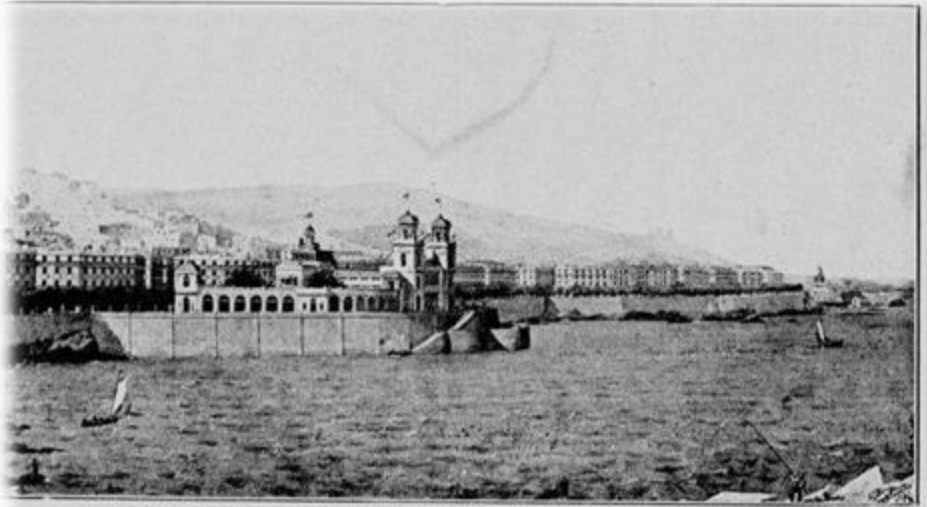
- جامع السيدة : كان من اقدم المساجد الشعبية في ق 16 وهو اول جامع هدم ووضع على يد السلطات العسكرية كمخزن ومحطة رئيسية
- جامع محمد باشا ومسجد سيدي السعدي: حولوا الى مخزن للبارود سنة 1847م ثم الى مصلحة الضرائب سنة 1850م
- مسجد المصلى: تم استعماله كثكنة عسكرية في بدايات الاحتلال وفي سنة 1860م استخدمه نابليون الثالث مقرا للفرسان المرافقين للإمبراطور
- مسجد علي بشين : وهو احد المساجد لأداء الخطبة تم تعطيله تم تحويله الى كنيسة كاثوليكية^[xxxix]



انظر الشكل 2 و3):

شكل رقم (3): مسجد علي بشين

طرح ريدون مشروع (انظر الشكل 1) تجميل مدينة الجزائر العاصمة وتحيثتها وفقا للعمران الاوروبي, جعل قادة دولة المتروبول يوجهون انظارهم الى كل المساجد ذات طراز اسلامي وذات موروث عربي قديم وعلى راسهما الجامع الحنفي والمالكي, لهدمهما لخدمة لمشروعها العمراني^[xc] وهو ما اثار موجة غضب كبيرة لدى المسلمين الجزائريين رغم وعود الادارة الفرنسية على بناء المسجدين في مكان اخر حيث سيكون طريق وصول المسلمين اليهما سهلا^[xci]



LE CASINO MUNICIPAL D'ALGER, COMPLÉMENT DU PROJET DE BELIN

شكل رقم (1): مشروع ريدون بالجزائر العاصمة

كما ركز ممثلي السلطة الفرنسية القضاء على مداخيل هذه المؤسسات الدينية والكتاتيب القرآنية والمساجد من خلال مصادرة الاوقاف^[xcii], واصدار سلسلة من القوانين والمراسيم التي تعمل على خنق وتهميش ما تبقى من دور التعليم التي كانت تحافظ على تلقين تعاليم الدين الاسلامي وبرزها: قرار 8 سبتمبر 1830 الذي ينص على الاستلاء لأملاك الاوقاف الاسلامية باعتبارها مصدر تموين المدارس القرآنية والمساجد ثم جاء قرار 7 ديسمبر 1830, الذي سيمنحها حرية التصرف في الاوقاف الاسلامية ومداخيلها من خلال وضعها تحت مراقبة المدير العام لمصلحة الدومين مما سيحول لها القدرة على القضاء الكلي للمساجد الجزائرية^[xciii], كما جاء مرسوم 6 ديسمبر 1871 الذي يخضع جميع المساجد والزوايا والمدارس القرآنية الى رقابة وتفتيش شديد من طرف السلطات الفرنسية^[xciv], وبتاريخ 16 فيفري 1933 حرر من

قبل الكاتب العام لولاية الجزائر العاصمة فيرنان جول ميشال تقريرا يقضي فيه، على مراقبة اعوان الشيوعية والعلماء وتوجيهه تهديد للعلماء الجزائريين^[xcv] وعلى رأسهم الطيب العقبي ثم دعم هذا القرار بثلاث قرارات اخرى تحرم الشعائر الدينية بمدينة الجزائر من الانتفاع بمساجد الدولة^[xcvi].

اما عن حال اصحاب هذه المساجد والعلماء ورجال الدين والفكر الاصلاحى فقد تعرضوا الى النفي والتهجير والمضايقة المستمرة نتيجة معارضتهم المستمرة لقرارات السلطات الفرنسية، ولقد رأوا فيها تعديا على الدين ومؤسساته ونذكر على رأسهم مصطفى الكبابي^[xcvii]، وابن العنابي الذي تعرض هو الاخر للنفي من قبل الجنرال كلوزيل^[xcviii]. كما باشرت سلطات الاحتلال في اطار تعميم ديانتها المسيحية بانشاء الاسقفيات وتعيين انطوان دوبوش اسقفا في الجزائر سنة 1838 الذي شيد حوالي 60 كنيسة ومعهدا و 16 مؤسسة دينية ونشأ على يده حوالي 91 قسيسا و 140 اطارا من النساء ورجال في الشؤون الدينية المسيحية.^[xcix]

كما تدخلت سلطات الاحتلال الفرنسي حتى في رواتب رجال الدين في المساجد نذكر تقرير رفعه السيد بن خليل مندوب لدى المجلس نواب الجزائريين يسأل فيه الحاكم العام للجزائر قائلا: "في المقاطعات الثلاث ما هي المقدسات والمساجد الدينية الخاصة بالمسلمين خاضعة حاليا للمصادرة الادارية؟ وما هي المقدسات والمساجد الدينية التي خضعت سابقا للمصادرة الادارية والموكلة لإدارة الجمعية الدينية الاسلامية والتي يحكمها قانون 9 ديسمبر 1905 والمرسوم الصادر في 27 سبتمبر بشأن فل الدين عن الدولة؟ وماهي رواتب رجال الدين المسلمين⁹ وهل يساهم موظفوا المسجد في ظل هذه الظروف المشار اليها في المساهمة في الميزانية المالية الجزائرية؟"، فبعد كل هذه التساؤلات المقدمة يجيب الحاكم العام للجزائر مدعيا انه لا يوجد مؤسسات دينية او مساجد خاضعة للحجز الاداري في الجزائر وقدم له جدول مفصل عن الرواتب^[c] (انظر الشكل 3):

ASSEMBLEE ALGERIENNE — SEANCE DU 12 JAN

... (Text of the assembly proceedings) ...

PROPOSITION DE RESOLUTION

— 40 —

PROPOSITION DE RESOLUTION
deposée par M. EL-BACHIR, député à l'Assemblée Algérienne, tendant à la création d'un service de l'enseignement de l'arabe dans les écoles de l'Algérie.

QUESTION ECRITE

— 40 —

QUESTION ECRITE
posée à M. EL-BACHIR, député général de l'Algérie, par M. ALBERT LAMBERT, député de l'Assemblée Algérienne.

	INDICATIONS FONCTIONS	COMPENSATION OUVAIRIE DE L'EXERCICE
I. — MINISTRE DU CULTE		
Maires :		
1. ALGER	60.000	100.000
2. ORAN	40.000	60.000
3. CONSTANTINE	40.000	60.000
4. BOUGIE	40.000	60.000
5. COLON	40.000	60.000
6. BORDJ	40.000	60.000
7. ANNAB	40.000	60.000
8. SÉTIF	40.000	60.000
9. SAÏDA	40.000	60.000
10. MASCARA	40.000	60.000
11. TLEMCEN	40.000	60.000
12. BORDJ	40.000	60.000
13. ALGER	40.000	60.000
14. ORAN	40.000	60.000
15. CONSTANTINE	40.000	60.000
16. BOUGIE	40.000	60.000
17. COLON	40.000	60.000
18. BORDJ	40.000	60.000
19. ANNAB	40.000	60.000
20. SÉTIF	40.000	60.000
21. SAÏDA	40.000	60.000
22. MASCARA	40.000	60.000
23. TLEMCEN	40.000	60.000
24. BORDJ	40.000	60.000
25. ALGER	40.000	60.000
26. ORAN	40.000	60.000
27. CONSTANTINE	40.000	60.000
28. BOUGIE	40.000	60.000
29. COLON	40.000	60.000
30. BORDJ	40.000	60.000
31. ANNAB	40.000	60.000
32. SÉTIF	40.000	60.000
33. SAÏDA	40.000	60.000
34. MASCARA	40.000	60.000
35. TLEMCEN	40.000	60.000
36. BORDJ	40.000	60.000
37. ALGER	40.000	60.000
38. ORAN	40.000	60.000
39. CONSTANTINE	40.000	60.000
40. BOUGIE	40.000	60.000
41. COLON	40.000	60.000
42. BORDJ	40.000	60.000
43. ANNAB	40.000	60.000
44. SÉTIF	40.000	60.000
45. SAÏDA	40.000	60.000
46. MASCARA	40.000	60.000
47. TLEMCEN	40.000	60.000
48. BORDJ	40.000	60.000
49. ALGER	40.000	60.000
50. ORAN	40.000	60.000
51. CONSTANTINE	40.000	60.000
52. BOUGIE	40.000	60.000
53. COLON	40.000	60.000
54. BORDJ	40.000	60.000
55. ANNAB	40.000	60.000
56. SÉTIF	40.000	60.000
57. SAÏDA	40.000	60.000
58. MASCARA	40.000	60.000
59. TLEMCEN	40.000	60.000
60. BORDJ	40.000	60.000
61. ALGER	40.000	60.000
62. ORAN	40.000	60.000
63. CONSTANTINE	40.000	60.000
64. BOUGIE	40.000	60.000
65. COLON	40.000	60.000
66. BORDJ	40.000	60.000
67. ANNAB	40.000	60.000
68. SÉTIF	40.000	60.000
69. SAÏDA	40.000	60.000
70. MASCARA	40.000	60.000
71. TLEMCEN	40.000	60.000
72. BORDJ	40.000	60.000
73. ALGER	40.000	60.000
74. ORAN	40.000	60.000
75. CONSTANTINE	40.000	60.000
76. BOUGIE	40.000	60.000
77. COLON	40.000	60.000
78. BORDJ	40.000	60.000
79. ANNAB	40.000	60.000
80. SÉTIF	40.000	60.000
81. SAÏDA	40.000	60.000
82. MASCARA	40.000	60.000
83. TLEMCEN	40.000	60.000
84. BORDJ	40.000	60.000
85. ALGER	40.000	60.000
86. ORAN	40.000	60.000
87. CONSTANTINE	40.000	60.000
88. BOUGIE	40.000	60.000
89. COLON	40.000	60.000
90. BORDJ	40.000	60.000
91. ANNAB	40.000	60.000
92. SÉTIF	40.000	60.000
93. SAÏDA	40.000	60.000
94. MASCARA	40.000	60.000
95. TLEMCEN	40.000	60.000
96. BORDJ	40.000	60.000
97. ALGER	40.000	60.000
98. ORAN	40.000	60.000
99. CONSTANTINE	40.000	60.000
100. BOUGIE	40.000	60.000

شكل رقم (3): تقرير الحاكم العام حول رواتب ائمة المساجد

3- دور المساجد في ترسيخ الخطاب الديني والحفاظ على الهوية الوطنية:

كانت المساجد قبل وبعد الاحتلال من اهم الوسائل والفضاءات العلمية والدينية لإصلاح الفرد الجزائري وتهذيب نفسه وتنقيف عقله, وارشاد المجتمع والحفاظ على مقوماته الشخصية الهوياتية كالدين واللغة والانتماء وحب الوطن من الزوال والانذار, وكان الهدف الاسمى للمساجد هو تخريج فرد سوي للمجتمع يتحلى بالأخلاق الفاضلة والقيم الحضارية والدفاع عن ارضه ودينه, وفي هذا الموضوع كانت المساجد تعتمد على الحلقات العلمية والدينية (انظر الشكل 4) لأداء واستمرار الشعائر الدينية الاسلامية وتثبيتها في نفوس الجزائريين مما سيشكل جيل متشبع بالقيم الحضارية وناشئ, ويخلق نوعا من المرجعية الروحية في ذهنيتهم اساسها المواعظ الدينية القائمة على تعليم الشريعة الاسلامية واللغة العربية وعلومها والدين الاسلامي اصوله. فكانت هذه المساجد تواصل عملها التربوي والديني, رغم ما تتعرض له من مضايقات كما كان الجزائريون يرفعون العرائض والمطالب للاحتجاج والدفاع عن دينهم ومؤسستهم ومساجدهم^[ci], خاصة المساجد الكبيرة التي لها صيت في اوساط المجتمع الجزائري وعلى رأسها المسجد المالكي والحنفي^[cii] والمسجد الجديد والجامع الكبير التي يعتبر الاقدم في الجزائر العاصمة ومسجد السيدة ومسجد سيدي بومدين تلمسان (انظر الشكل 5) وسيدي الكتاني بقسنطينة ومسجد سيدي عقبة بسكرة (انظر الشكل 6) ومسجد سيدي عبد الرحمان

بالقرب من مقبرة سيدي عبد الرحمان بالجزائر العاصمة [ciii] (انظر الشكل 7) ومسجد وهران (انظر الشكل 8) ومن بين هذه العرائض العريضة التي رفعها حمدان خوجة و ابراهيم مصطفى باشا الى معالي رئيس الوزراء وزير الحرب المارشال سولت جاء فيها ما يخص المساجد والمؤسسات الدينية ما يلي:

- الظلم الذي تم من جراء توقيف القاضي والمفتي ونفيهما للاستلاء على املاك مكة والمدينة
- تدمير ممتلكاتنا وممتلكات الخواص والمؤسسات الدينية والخيرية
- لقد تم تدمير مسجد يسمى جامع السيدة وتم الاستلاء على بوابته وعلى اعمدته الجميلة واجره الخزي تم تدمير ثلاثة او اربعة مساجد اخرى لتشكيل ساحة
- لقد تم الاستلاء على جامع كتشاوة لتحويل الى كنيسة
- اخذت السلطات من المساجد الثمينة ليزينوا صالوناتهم [civ]



شكل رقم (4): حلقات العلم بإحدى المساجد الصغيرة البسيطة

EDIFICES RELIGIEUX



A. — PORTAIL DE LA GRANDE MOSQUÉE. CORDOUE.
Photo Séhan y Gonzalez.



B. — PORTAIL DE LA MOSQUÉE SIDI BOU MEDINE. TLEMCEN.
Photo Lévy et Nourdin réunis.



C. — PORTAIL DE LA MOSQUÉE SIDI TAKOUF. TLEMCEN.
Photo Lévy et Nourdin réunis.

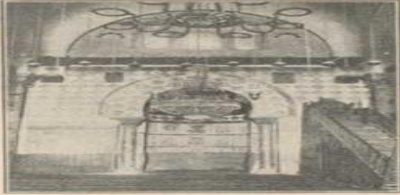


D. — PORTAIL D'UNE ANCIENNE ZAOUÏA. SALÉ.
Photo Cousin et C^{ie}.

194

PLANCHE VI.

شكل رقم (5): مسجد سيدي بومدين بتلمسان



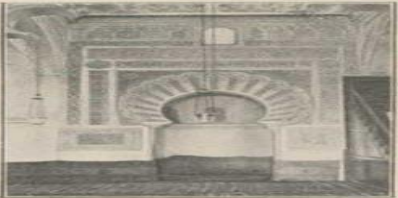
A. — SIDI OKBA. KAIROUAN. IX^e siècle.
Photo Soler.



B. — MOSQUÉE DE CORDOUE. X^e siècle.
Photo Séhan y Gonzalez.

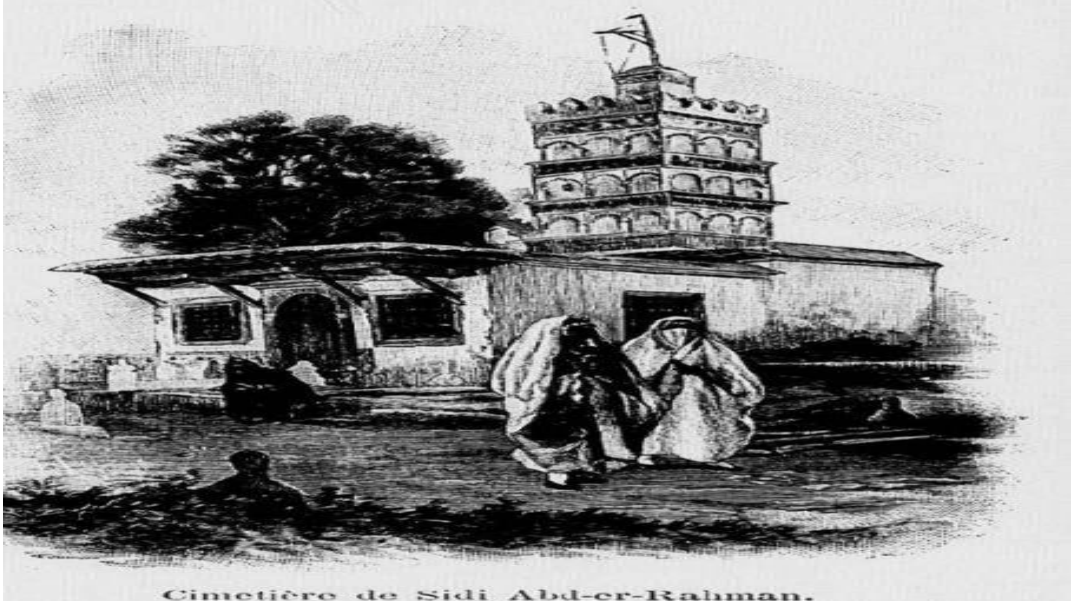


C. — MOSQUÉE DE SIDI OKBA. PRÈS DE BISKRA. Époque indéterminée.



D. — GRANDE MOSQUÉE : TLEMCEN, XII^e siècle.
Photo Lévy et Nourdin réunis.

شكل رقم (6): مسجد سيدي عقبة بيسكرة.



Cimetière de Sidi Abd-er-Rahman.

شكل رقم (7): مقبرة سيدي عبد الرمان وبالقرب منها مسجد سيدي عبد الرحمن بالجزائر العاصمة.

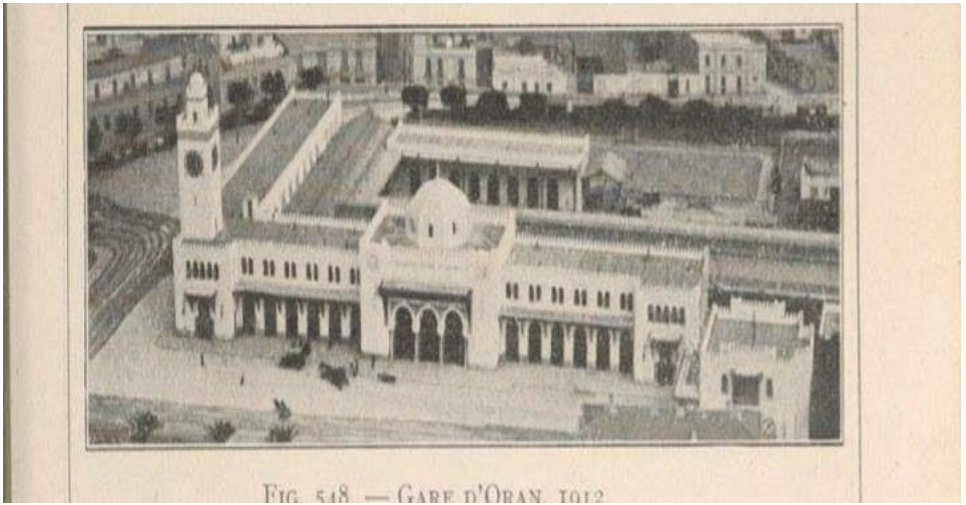


FIG. 548. — GARE D'ORAN. 1912

شكل رقم (8): مسجد وهران

ساهمت المساجد في الحفاظ على الحياة الفكرية و الدينية والثقافية وكانت رسالتها لا تقتصر فقط على العبادة واداء الصلوات بل منبرا لإثراء الآداب العامة والتعليم وغرس الافكار الجهادية^[cv], واهمية التلاحم بين الافراد في الحفاظ على وطنيتهم ومصالحهم المشتركة وقوميتهم فالرجوع الى المقاومات الشعبية وعلى رأسها انتفاضة المقراني والشيخ الحداد سنة 1871, نجدها تتميز بالشمولية والوطنية حيث تجاوزت كل قبيلة حدود اوطانها استجابة لنداء القومية باسم الدفاع عن الارض ودار الاسلام, واعتبار الاخر عدوا كافرا وكانت المساجد والزوايا معقلا رئيسا لهذه الانتفاضة من حيث توجيه الجيوش العسكرية واستمالة شيوخ القبائل للتعاون في اخراج قوات المستعمر الفرنسي فالبعد الروحي والديني الذي كانت تحمله المساجد بفضل نشاط مشايخها وقادة الطرق الروحية وخطابتهم الدينية جعلها مصدر خطر كبير على الفرنسيين, فهي لم تعد مكانا لتعليم والتعلم وتحفيظ القرآن بقدر ما كانت مراكز لثورات الشعبية والدعوات الجهادية وتنظيم وحدة الصفوف^[cvi].

ان المسجد كان ولا يزال يمثل الموجه الاول في بناء المجتمع كونه يعمل على ترجمة التعاليم الاسلامية الى سلوك عملي وهو منبر لإحياء العقيدة الاسلامية التي شكلت مكونا رئيسيا للهوية الوطنية الجزائرية^[cvii], ولما كانت الجزائر تعاني من ويلات التغريب الثقافي في القرن 20 نتيجة الغزو الثقافي للحضارة الاخر كان لا بد من اعادة اصلاح اجتماعي وثقافي وديني للفرد الجزائري لهذا مع بداية تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1831, ركزت الجمعية في نشاطها على اعادة تأسيس المؤسسات الدينية وتشديد المساجد لبعث رسالتها الاصلاحية القائمة على الدين واللغة والحضارة العربية الاسلامية^[cviii], كما كانت تحمي جميع المعلمين سواء في المدارس او المساجد وتهتم بكل قضاياهم اذ جاء لها مقال في جريدة البصائر بعنوان: "للدفاع عن الاسلام والقرآن ولغتهما" ورد فيها: "... ندعوا كل معلم مكتب قرآني ومدرسة طلب رخصة من الادارة ولم تجب وكل معلم قرآني او مدرسة منع من التعليم وكل معلم نزعته رخصته ان يكاتبنا بما وقع له من ذلك ويعرفنا بتفصيله وجميع ما يتعلق به لنسعى في ازالته للسعي المشروع كما ندعوا من تعدي كل من معلمي الديانة في المساجد ان يكاتبنا لنتتبع بطريقة القانون كل من انتهك حرمة الدين والمسجد من رجال السلطة كائنا من كان"^[cix]

لقد كانت المساجد التي تسير من قبل الجمعية تعرف اقبالا كبيرا على الرغم من قلة عددها في البداية او صغر حجمها^[cx] كما كانت تستخدم الجمعية هذه المساجد في تعليم اللغة العربية والقران والقانون والتاريخ, لأبناء الجزائريين وبشكل مجاني ويطلق على هذا النوع من التعليم بالتعليم الاسلامي المسجدي وكان الطيب العقبي يقدم مجموعة من المحاضرات الخطابية الدينية لمستوى التعليم العالي في مختلف مساجد الجزائر العاصمة وكان يساعده كل من الهادي السنوسي والبشير الابراهيمي في مساجد تلمسان^[cxi], واستطاعت الجمعية بهذه

الاعمال رغم ما تعرضت له مطاردات وتضييق وتغريم تمكنت في حدود سنة 1952 من تأسيس ما يقارب من 150 مدرسة قرآنية وتعليمية يرتادها خمسون الف تلميذ متشبعين بقيمهم الحضارية ومعتزين بشخصيتهم القومية. [cxii]

وفي موقف اخر لرجال المساجد في كيفية تعبئة الجماهير الشعبية نجد نشاط البشير الابراهيمي الذي كان يثير الهمم في نفوس الجزائريين ويهيئهم للثورة ويعبئهم للجهاد في سبيل الله في المساجد فيقول في احد خطاباته القاها في تلمسان سنة 1950: "... لا تفرحوا بجاتكم هذه فانكم اشقياء بها، وان العاقل لا يرضي بهذا النوع من الحياة التي لا سعادة فيها ولا شرف وان سكوتنا واطمئنانا اليها يعد قدحا في تعقلنا ولو كنا عقلاء حقا لما بكينا على ميت فارق هذه الحياة ولا فرحنا بمولود يستقبل الحياة"، لهذا قد اختار الشيخ الابراهيمي تمثيل اعلى درجة من الوعي والمحافظة على مقومات الامة الجزائرية ومواجهة كل المخططات الفرنسية الاستدمارية من خلال استحداث عمل المساجد والمدارس القرآنية، والتركيز على التعليم العربي واسترجاع العقيدة الإسلامية الصحيحة بعدما اصابها من تزييف وتخريب. [cxiii]

كما كان ايضا ابن باديس مؤسس جمعية العلماء المسلمين يعمل هو الآخر في المحافظة على التراث العربي الاسلامي وتربية النشء تربية اخلاقية صحيحة ففي منظوره الشخص الذي لا يستطيع ان يواجه سلوكه بنفسه لا يمكن ان يؤتمن على مصالح الامة وفي هذا الصدد يقول البشير الابراهيمي: "كان الطريق الذي اتفقنا به انا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة عان 1913 هي تربية النشء هي ان لا نتوسع له في العلم وانما تربية فكره تربية صحيحة ولو مع علم قليل فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي اعدناه من تلامذتنا" [cxiv] وفي نفس السياق ورد مقالا لابن باديس في جريدة البصائر بعنوان "التعليم - التعليم" يقول فيه: "... ان جمعية العلماء المسلمين قد ادركت ذلك المغزى التشريعي الاسلامي في الابتداء بالتعليم و عرفت الثمرة الطيبة في هناء الانسانية وسعادة المسلمين فاهتمت بالتعليم وشرعت لأول عهدتها تلقي العضات البالغة والحكم النافعة في المساجد لإصلاح من يؤمن بها من المسلمين...." [cxv]. لهذا كانت المساجد احد مراكز تجسيد خطط الجمعية كونه تتميز بثلاث خصائص رئيسية :

- تربية متوازنة: كونها تمشي على النهج الاسلامي وتهتم بتربية شخصية الانسان وتقدم له حاجته الروحية والعقلية والجسدية
- تربية مستمرة: كونها تبدأ من الصغر الى مدى الحياة

● تربية علمية وعملية: كونها تغذي العقل بالمعارف والعلوم الجديدة وتشجع على تنمية القيم العلمية لدى الافراد ورفع مكانة العلماء وهي ليست دراسة نظرية بقدر ما هي دراسة عملية^[cxvi]

لهذا كانت الرسالة التربوية للمسجد تركز على خطابات الائمة التي تعمل على بناء الشخصية الفردية والجماعية ذات مرجعية روحية تستند على تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية وعلى اللغة العربية, التي كانت هي الاخرى احد اهداف السياسة الاستعمارية وحرارتها طيل الفترة الاستعمارية. وبفضل هذه المساجد تكونت فئة نُخبوية ذات مرجعية عربية اسلامية^[cxvii]

لقد كانت المساجد فترة الثورة الجزائرية المركز الذي استخدمته جبهة التحرير الوطني للتعبيئة الجهادية^[cxviii], خاصة تلك المساجد المتواجدة في القرى والارياف والمدامر البعيدة وهي ايضا مراكز للقاءات التي يتجمع رجال الثورة بعامة الشعب الجزائري لتبليغهم بتعليمات واوامر القيادة العليا للثورة الجزائرية, ومن بين تلك الاجتماعات التي جمعت المجاهدين في المساجد ذلك الاجتماع التاريخي الذي جمع 500 مجاهد في مدينة شمورا بمنطقة الاوراس وحضره ابرز قادة الثورة الجزائرية وعلى رأسهم رايح بيطاط والاخضر بن طوبال ومصطفى بن لعيد وكان دور المسجد اهم اداة لنداء الجزائريين من الالتحاق بالثورة الجزائرية^[cxix]

كما اكد الباحثون والمهتمين بتاريخ الجزائر وعلى رأسهم محمد صغير بوعلام ان كل المقاومات الشعبية والثورات التي قادها الجزائريون عبر التاريخ كان اشعاعها المساجد بداية من الغزو الاسباني الى غاية حرب التحرير التي اتمت الاحتلال الفرنسي بالجزائر, فالرجوع الى دور المساجد وأئمتها فترة الثورة الجزائرية, فلقد كانوا يعملون جاهدين من خلال خطاباتهم الدينية ومواعظهم الارشادية في توجيه الجزائريين وحتى تعليمهم اعمال الادارة ونذكر هنا جهود المجاهد الراحل محمد الطاهر عدجت^[cxx], اهتم علماء الاصلاح في المساجد ابان الثورة بالتربية الروحية للمجاهدين وعامة الشعب حيث كانوا على اتصال دائم بقيادة الثورة وحاملي السلاح من المجاهدين ويربونهم التربية المسجدية ويعلمونهم حقوق الله وحقوق العبادات ويلهمونهم الخير والصواب وعلى رأسهم الشيخ العربي التبسي الذي كان يتتبع سير الثورة ويتصل بالكثير من قادتها في الجبال والمدن وعلى رأسهم القائد عميروش, وكان بعض ائمة المساجد كإمام مسجد عمروسة وفر بعض الكميات من السلاح اثر تحصلهم عليهم ايام دخول الجنود الامريكيين الى الجزائر وهنا يتضح امامنا الدور الذي قدمه المسجد ايام الثورة التحريرية^[cxxi]

الخاتمة:

وفي ختام موضوع بحثنا نحيب عن اشكالية بحثنا بالقول ان, الاحتلال الفرنسي يعتبر منظومة استعمارية فكرية قبل ان تكون منظومة عسكرية كما حمل معه إيديولوجية قائمة على ارجاع شمال افريقيا الى

حظيرة الدين المسيحي علما ان هذه الأيدولوجية لم تكن وليدة الاحتلال بل كانت نتيجة الصراع الذي كان قائما منذ العصور الوسطى بين العالم الغربي المسيحي وبين العالم العربي الاسلامي . عملت سلطات الاحتلال الفرنسي منذ دخولها الى الجزائر على نشر ديانتها وحضارتها التغريبية, والقضاء على كل مقومات المجتمع الجزائري وابعاده عن كل ما قد يربطه بماضيه او يعرفه على حضارته العربية الاسلامية, كما كانت تسعى جاهدة الى التحريض والتسييس ونشر الاثنية العرقية بين افراد المجتمع الجزائري وكل ذلك لخدمة مشاريعها التغريبية, كما قاوم الجزائريين الغزو الفكري الاستعماري والثقافي بكل الطرق والوسائل وكانت المساجد احدى القلاع الرئيسية لنشر الافكار الحضارية للامة الجزائرية القائمة على الدين الاسلامي واللغة العربية . بقيت المساجد صامدة بفضل عزم الجزائريين وأتمتها في الحفاظ عليها وانتشارها والتصدي لسياسة الاستعمارية, التي كانت تسعى الى هدم وتحويل المساجد الجزائرية لأغراض غير اغراضها والعمل على القضاء عليها كليا في فترات الاحتلال الفرنسي. كما سعت جاهدة الى البحث عن مصادر تموينها ولما وجدت الاوقاف والحبوس اساس تنميتها قامت بضمها لمصلحة الدولة الفرنسية , كما قامت بنفي كل العلماء والائمة الذي كانوا ينشطون على مستواها .

صحيح ان الاحتلال مارس سياسته التسلطية طيلة القرن 19. لكن مع بدايات القرن العشرين مع تطور الفكر القومي وتبلور الساحة السياسية للجزائر التي شهدت ظهور ما يعرف بالحركة الوطنية الجزائرية وعلى رأسها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م سعت هذه الاخيرة بفضل نشاطها, اعادة احياء الدين الاسلامي من خلال بناء الكثير من المساجد واقامة حلقات الوعظ فيها والقاء الخطابات الدينية لفائدة الطلبة الجزائريين وكانت محاضراتهم تصب كلها في اعلام الجزائريين بتاريخ امتهم ومقوماتهم الهوياتية وبضرورة الاعتزاز بها. كما لعبت هذه المساجد دورا رياديا في قيادة الثورات الشعبية في القرن 19 والثورة الجزائرية منذ انطلاق اول رصاصة في جبال الاوراس في 1 نومبر 1954.

تمثل دور المساجد في ترسيخ الخطاب الديني وتعزيز الانتماء الهوياتي من تلك الدروس التوعوية الارشادية الاصلاحية الحاملة في طياتها لكل معاني الوطنية والقومية ومقومات الهوية الدينية كون دروسها تقوم على الشريعة الاسلامية والدين الاسلامي وتعلم باللغة العربية لغة القرآن الكريم, وتقوم الفرد من خلال الحفاظ على دوره في المجتمع وصيانة حقوقه وحقوق مجتمعه ورفع هم المصالح المشتركة للحفاظ على وحدة التراب الوطني وهذا فعلا ما تجسد في المفاوضات الفرنسية فيما يتعلق بقضية فصل الصحراء الجزائرية .

توصيات البحث:

- للمهتمين بتاريخ الجزائر خاصة الثقافي هناك مجموعة من المواضيع التي لم تأخذ حقها من الدراسة وموضوع المساجد احدى هذه المواضيع.
- الدعوة الى ضرورة تكثيف الابحاث العلمية بين الباحثين والجامعات العربية بالمواضيع التي تمس الاحتلال بشتى انواعه وفي كل اقطار العربية خاصة الابحاث الثقافية التي تحتاج نوعا من العناية الكاملة والبحث المستمر وملكة النقد والتحليل لان مواضيعها تتعلق بالأشخاص والاشخاص افكار وأيديولوجيات فلا بد من توخي الحذر والحيطه في معالجة مثل هذه المواضيع
- توجيه بعض الباحثين في دراسة موضوع المساجد في شمال افريقيا لما يحتويه من اهمية كبيرة.

الاحالات:

- [1]-عبد الجليل التميمي, "حركة التبشر في تونس", الاصالة, ع 29-30, فيفري1976, ص50
- [1]- Eugène Buret, Question D'Afrique, paris,1842,p13.
- [1]- حاجي فريد السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر 1837-1937 المنطلق - السيرة- المال، دار الخلدونية، الجزائر، 2013, ص43.
- [1]- ابو القاسم سعد الله الحركة الوطنية 1900-1930, ج2, ط4, دار الغرب الاسلامي, لبنان, 1992, ص19
- [1]- P.Lucas et J.C.Vatin,L'Algérie des Anthropologies, paris,1975,p 15.
- [1]- حاجي فريد, المرجع السابق, ص42.
- [1]- مصطفى اشرف, الجزائر الامة والمجتمع, تر: حنفي عيسى, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر, 1983, ص51.
- [1]- حمدان بن عثمان خوجة, المرأة, تق: محمد العربي زبيري, تص: عبد العزيز بوتفليقة, منشورات ANEP, الجزائرية, 2005,ص172.
- [1]- حاجي فريد, المرجع السابق, ص45.
- [1]- عبد الجليل التميمي, المرجع السابق, ص51.
- [1]-Georges Goyau, Un Grand Missionnaire Le Cardinal Lavignerie, paris, 1975,page,83.
- [1]- بتريشيا لورسن, هويات استعمارية الصورة النمطية والتحيز والاعراق في الجزائر المستعمرة, دار الامير, فرنسا, 2022,ص93
- [1]- عبد الجليل التميمي, المرجع السابق, ص51.
- [1]- حاجي فريد, المرجع السابق, ص 47

- [1]- مجيد مسعودي, مسألة الهوية في برامج الحركة الوطنية الجزائرية 1954/1926, اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية, الجزائر, 2018/2017, ص93.
- [1]- احمد مريوش, الهوية وقضايا الثقافة في الجزائر بين تحديات الامس وتوجهات اليوم, كنوز الحكمة, الجزائر, 2016, ص81.
- [1]- غي بريفيلي, الطلبة الجزائريون في الجامعة الفرنسية 1962/1887, تر: م. حاج مسعود-أ. بكلي- ع. بلعربي, دار القصة لنشر والتوزيع, الجزائر, 2007, ص13.
- [1]- احمد مريوش, انطباعات ومواقف حول قضايا الجزائر والوطن العربي, كنوز الحكمة, الجزائر, 2013, ص97.
- [1]- Albert Devoux, Edifices Religieux de l'ancien Alger, Alger, 1870,p3.
- [1]- Revue Africaine, comment les un écrivent l'histoire de l'Afriques et comment d'autre la lisent, N68,Marce1868, p p 121-125.
- [1]- ابو القاسم سعد الله , تاريخ الجزائر الثقافي1954/1830, ج5, دار الغرب الاسلامي, لبنان, 1998, ص ص 75-76.
- [1]- حمدان خوجة, المصدر السابق, ص 230.
- [1]- ابو القاسم سعد الله, تاريخ الجزائر الثقافي1954/1830, ج5, المرجع السابق, ص ص 13-14-15.
- [1]- AKHBAR,journal de l'Algérie, N1337, Dimanche 27 mars1904, France, p 2.
- [1]- La Kabylie ; journal politique commercial et agricole 3201, dimanche 27 Novembre 1910, France,p1.
- [1]- ابو القاسم سعد الله, المرجع السابق, ص 207.
- [1]- Moniteur Algérienne, Journal officiel de la colonie, N 262 , 7 décembre1836, France,p3.
- [1]- احمد مريوش, الهوية وقضايا..., المرجع السابق, ص 82.
- [1]- A 'avenir de Bel-Abbès, journal de l'arrondissement de sisi- bel-abbes, N s67, jeudi 19 November1891,France, p4.
- [1]- شارل اندري جوليان, شمال افريقيا الشمالية تسير القوميات الاسلامية والسيادة الفرنسية , الدار التونسية للنشر, تر: المنجي سليم الطيب العقبي واخرون, تونس, 1997/1996, ص137
- [1]-عبد القادر خليفني , محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة 1962/1830, ديوان المطبوعات الجامعة, الجزائر, 2010, ص207
- [1]- ابو القاسم سعد الله, محمد العنابي رائد التجديد الاسلامي, ط2, دار الغرب الاسلامي, لبنان, 1990, ص40.
- [1]- يحي بوعزيز, سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية (1830-1954), ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, 2007, ص67.
- [1] - Journal officiel de l'Algérie, Débat de l'assemblée Algérienne, N 1,18 janvier 1949, p 5.
- [1]- جمال قنان, قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر, منشورات المتحف الوطني للمجاهد, الجزائر, 1994, ص117.
- [1]- Bulletin Municipal Officiel de La Ville d'Alger, 20 Décembre1910, p p345.
- [1]- L.Piesse, Alger et es environ, paris, 1895,p23-24.

- [1] - محفوظ قداش, جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1954/1830, منشورات ANEP, الجزائر, 2008, ص42.
- [1] - احمد مريوش , الهوية والقضايا... المرجع السابق, ص 66 .
- [1] - بسام العسلي, محمد المقراني وثورة 1871 الجزائرية, دار النفائس, لبنان, ص7.
- [1] - المفتي صديقة مالكي حنان, " دور المؤسسة الدينية الرسمية في المحافظة على الهوية الثقافية العربي " مؤسسة المسجد امودج", *مجلة انثروبولوجية الاديان*, ع 2, الجزائر, 2022, ص830
- [1] - ابو القاسم سعد الله, الحركة الوطنية الجزائرية 1954/1830, ط4, ج3, دار الغرب الاسلامي, لبنان, 1992, ص83.
- [1] - البصائر, للدفاع عن الاسلام والقرآن ولغتهما, ع90, 10 ديسمبر 1938, الجزائر, ص144.
- [1] - لعرج جبران, "دور جمعية العلماء المسلمين في الحفاظ على ثوابت الامة الجزائرية من خلال التعليم العربي", *المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية*, ع2, الجزائر, 2022, ص134.
- [1] - LK DAM, La France puissance musulmane ? Dououreux évènement d'Alger, N23, l'undi 5 Mail 933, p3.
- [1] - بشير فايد, دراسات في تاريخ الجزائر زمن الاحتلال الفرنسي 1962/1830, الدار الجزائرية , الجزائر, 2019, ص151.
- [1] - مرزوق بوبك, "الولي خالد بوعبد الله, اسهامات البشير الابراهيمي في النهوض باللغة العربية ابان الاحتلال الفرنسي مقالات البصائر أمودجا", *مجلة لغة-كلام*, ع2, الجزائر, 2022, ص42.
- [1] - بشير فايد, المرجع السابق, ص 149.
- [1] - البصائر, المصدر السابق, ص 2.
- [1] - بلال مريم, "الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي (المساجد و الكنائس)", *الناصريّة للدراسات الاجتماعية والتاريخية*, ع2, 2012, ص159.
- [1] - حمادوش نوال, السلوك اللغوي والهوياتي في المجتمعات المغاربية, دار الايام, الاردن, 2020, ص168.
- [1] - محمد الصغير بوعلام, " السلك الديني في الجزائر خلال العشر سنوات واجبات وحقوق", *الاصالة*, ع8, ماي 1972, ص243.
- [1] - نور الدين طوابة, " الدور التربوي والدعوي للمسجد ايام الثورة كمظهر من مظاهر البعد الديني والاسلامي لثورة نوفمبر المظفرة", *المعيار*, ع4, الجزائر, 2003, ص54.
- [1] - ALG2RIE PRESSE SERVICE, L'imam durant la gerre de libération en avant, Mercredi 13 spetember 2023, Alger, p1.
- [1] - نور الدين طوابة, المرجع السابق, ص 55.

المنهج التعليمي القديم في مساجد وزوايا حي الجديد بسبها

إعداد: د/ كلثوم عثمان حسن الحضيري

قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة سبها

kulthumothman@gmail.com الإيميل :

الملخص

تعد منطقة الجديد من البلدان الأثرية في سبها، بُني فيها أقدم مسجد عُرف بالمسجد العتيق المعروف حالياً بالمسجد الكبير، أنشأ في داخل هذا المسجد مدرسة ومنازة لتعليم الناس شتى العلوم، فأصبحت مدرسة لتعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وعلوم الدين والفقه الإسلامي، وعلم الفلك وعلم الحساب، وغيرها من العلوم، ومنها اشتهر فيها العلم وكثر فيها رجال الدين، بالإضافة إلى ذلك فتحت أول زاوية أسسها (الشيخ حامد الحضيري) وسميت باسمه، حيث استوعبت أعداد كبيرة من الطلاب الذين يوفدون إليها من الأماكن البعيدة للدراسة والبقاء في خلوتها، ومنها كثر حلقات العلم وزخرت بحلقات تحفيظ القرآن الكريم إلى يومنا هذا، وعمّ نور العلم أرض الجديد ومسار التعليم فيها مصحوباً بإرث تاريخي واجتماعي يحفظ لأبناء المنطقة عز آبائهم يقودهم إلى الإبداع والعطاء في حاضرهم ومستقبلهم .

الكلمات الافتتاحية : (منهج ، تعليم، مساجد، زوايا، الجديد)

Summary

The New area is considered one of the archaeological sites in Sebha. The oldest mosque known as the Old Mosque, now known as the Grand Mosque, was built there. A school and a beacon were established inside this mosque to teach people various sciences. It was a school for teaching reading, writing, memorizing the Holy Qur'an, religious sciences, Islamic jurisprudence, and astronomy. And arithmetic, and other sciences, including which the science was famous and where clerics abounded. In addition to that, the first corner founded by (Sheikh Hamid Al-Hudayri) was opened and named after him, as it accommodated large numbers of students who came to it from distant places to study and stay in its solitude, including There have been many

circles of knowledge and abounding with circles of memorization of the Holy Qur'an to this day, and the light of knowledge has spread throughout the new land and the path of education in it, accompanied by a historical and social legacy that preserves the honor of their fathers for the people of the region and leads them to creativity and giving in their present and future.

Opening words: (curriculum, education, mosques, corners, new)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .
تتناول هذه الدراسة المنهج التعليمي القديم في حي الجديد بسبها والذي يعد من الأحياء الأثرية في المدينة،
وتسعى الدراسة إلى تسليط الضوء على أهم المراكز التعليمية وطرق التدريس فيها، حيث بُني فيها أقدم مسجد
عُرف بالمسجد العتيق، كما أنشأ في داخل هذا المسجد مدرسة ومنازل لتعليم الناس شتى العلوم، فكانت مدرسة
لتعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وعلوم الدين والفقه الإسلامي، وعلم الفلك، وعلم الحساب، وغيرها
من العلوم، ومنها اشتهر فيها العلم وكثر فيها رجال الدين، بالإضافة إلى ذلك فتحت أول زاوية أسسها (الشيخ
حامد الحضيبي)، حيث استوعبت أعداد كبيرة من الطلاب الذين يوفدون إليها من الأماكن البعيدة للدراسة
والبقاء في خلوتها، ومنها كثر حلقات العلم وزخرت بحلقات تحفيظ القرآن الكريم إلى يومنا هذا، وقد مثلت هذه
المراكز إشكالية أساسية في هذه الدراسة التي سعت لمعرفة المنهجية المتبعة في التعليم، وإشكالية هذا البحث تطرح
تساؤلات نحاول الإجابة عليها من خلال هذه الدراسة والوقوف عليها للوصول إلى نتيجة، وفيما يتعلق بموضوع
البحث نقترح مجموعة من الأسئلة تساعدنا على حل الإشكالية، وهذه التساؤلات :

ما هي العوامل والظروف التي جعلت حي الجديد القديم من أهم الأحياء التي ازدهر فيها العلم؟ وما المنهجية
المتبعة في التعليم فيها؟ وما أهم العلوم التي كانت تُدرس؟ وهل لا زال المنهج التعليمي القديم موجوداً في وقتنا
الحاضر أم انتهى بانتهاء الزمن الذي ازدهر فيه؟ وما دور المساجد والزوايا في ترسيخ المنهج التعليمي؟
وللإجابة على هذه التساؤلات نبدأ من افتراض رئيسي وهو : أن المنهج هو الطريق الذي يؤدي بنا إلى
المعرفة، والذي نصل من خلاله إلى ربط الأفكار والمعلومات لنصل إلى نتيجة تفيدنا في العملية التعليمية.

أهمية الدراسة :

أهميتها تكمن في إعطاء صورة واضحة عن التعليم في الجديد بسبها ومعرفة السبل التي اتخذوها لذلك، والتي تعتبر

انعكاس للواقع التعليمي في تلك الفترة .

هدف الدراسة :

استهدفت هذه الدراسة تحديد المنهج التعليمي للمساجد والزوايا والتي لعبت دوراً كبيراً في تعليم و تثقيف أهل المنطقة، من خلال نشر العلوم الدينية وتدريبها للناس مما كان له الأثر الكبير في توعيتهم دينياً وثقافياً .
ولبلوغ الهدف من هذه الدراسة، فقد اتبعت منهجاً تاريخياً وصفيّاً اتخذت فيه نسقاً معيناً يحتوي على خطة تتكون من مقدمة ومباحث وخاتمة وهي على النحو التالي:

المبحث الأول : تحديد المفاهيم .

المبحث الثاني : عوامل ازدهار العلم في حي الحديد .

المبحث الثالث : أهم مراكز التعليم في بلدة الجديد .

المبحث الرابع : نماذج من المنهج التعليمي لعلماء الجديد.

المبحث الأول / تحديد المفاهيم

قبل البدء في موضوع البحث وإشكاليته التي يطرحها كان لا بد لنا من تحديد المفاهيم الأساسية للموضوع، وذلك لإزالة أي لبس أو غموض ينتج عنه خلط وعدم فهم لهذه المفاهيم .

المطلب الأول : التعريف بالمنهج

يمكن تعريف المنهج لغة من (نُهج)، والنهج هي الطريق، ونُحج لي الأمر : أي أوضحه، وفلان نُحج سبيل فلان: أي سلك مسلكه، وجمع نُحج مناهج، ويكون بذلك المنهج في اللغة الطريق المستقيم، أو الخطة الواضحة للسير عليها، ويراد بالمنهج لغةً الطريق الواضح المؤدي إلى تحقيق نتائج واضحة، وأشار القرآن الكريم للمنهج في موضع واحد، في قوله تعالى (لكلّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجا) المائدة : (الآية .)48 ، شرعة ومنهاجا : أي سبيلاً وسنة، فالمنهاج : السبيل أو الطريق الواضح(1) [حلمي عبد المنعم صابر : مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، ص11].

أما في السياق الاصطلاحي فقد كان المنهج موضع اهتمام الفلاسفة والمفكرين منذ القدم، فمفهومه (التي تعني البحث أو النظر، أو المعرفة، كما استعملها (Method)الاصطلاحي يعود إلى الكلمة اليونانية أفلاطون وكذلك عند أرسطو، والمعنى الاشتقاقي الأصلي لها يدل على الطريق، أو المنهج المؤدي إلى الغرض المطلوب، أو هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة عن طريق مجموعة من القواعد تحدد عمليات العقل الفكرية حتى يصل إلى نتيجة معلومة.

عليه يمكن تعريف المنهج على أنه «مجموعة الإجراءات التي ينبغي اتخاذها بترتيب معين، وتتوقف طبيعة الإجراءات على الغاية منها، وتتعدد بتنوع العلوم، وتختلف في العلم الواحد من عالم إلى عالم، ومن عصر إلى عصر» (2) [عبد المنعم حنفي: موسوعة الفلسفة والفلسفة، ج 2، 1380]

في سياق آخر عرّفه عبد الرحمن بدوي بأنه « فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو البرهنة عليها للأخرين حين نكون بها عارفين» (3) [عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، ص 4]

تلزم الإشارة إلى أن كلمة المنهج بمعناه الاصطلاحي لم تعرف إلا في عصر النهضة، حين صاغ (بيكون) قواعد المنهج التجريبي في كتابه (الأورجانون الجديد)، فهو أول من صاغ منظومة منهجية لها قواعد يعتمد عليها باحث المعرفة، ومنها توالت المعرفة المنهجية طريقها للكشف عن الحقيقة المعرفية، والتي بدأت باكتشاف (ديكارت) قواعد المنهج الاستنباطي، وذلك في كتابه (مقال عن المنهج)، ويليه (كانط) في تأسيسه لقواعد المنهج النقدي، وبالتالي يمكننا القول أن القرن السادس عشر هو القرن الذي اشتهرت فيه المناهج، فمعظم فلاسفة هذا القرن كانوا مهتمين بدراسة مشاكل المنهج من أجل اكتشاف أفضل طريقة عقلية توصل إلى الحقيقة، ومن هنا كان للمنهج أهمية بالغة بالنسبة لهم .

نخلص ممّا سبق أن المنهج هو المتابعة ومجهود بلوغ غاية، ونعرفه أيضاً بأنه طريق نصل من خلالها إلى نتيجة معينة، أو هو برنامج ينظم سلسلة عمليات ينبغي اكتمالها لبلوغ نتيجة معينة .

المطلب الثاني : التعريف بالزوايا والمساجد :

في السياق اللغوي جاء على لسان ابن منظور مفهوم الزاوية بأنه اسم مشتق من (زوى)، وزوى الشيء يزويه زواً وزوايا، و (زواه) بمعنى جمعه وقبضه، ف(انزوى): أي تنحى وانعزل (4) [ابن منظور : لسان العرب، ج 8، ص 339] وفي سياق لغوي آخر الزاوية جمعها زوايا، والزوايا هي ركن البناء، فكانت هي والمسجد واحد، حيث كانت تعني في بادئ الأمر المسجد الصغير، أو المصلّى، وأصبحت تعني المكان الذي يضم مسجداً ومدرسة لتحفيظ القرآن، وداراً للضيافة تتبعه أملاك وأوقاف، ويُطلق علي الزاوية كذلك بـ(زوي)، بمعنى جمع، لأنها تجمع العلم والضيوف (5) [مبارك جعفري، ص 2]

نفهم من السياق اللغوي للزاوية أنها مركزاً تعليمي أو مدرسة دينية لتعليم العلوم الشرعية .

أمّا السياق الاصطلاحي : فالزاوية تعني مراكز تحفيظ القرآن، وتعليم أصول الشريعة الإسلامية، أو هي ناحية في المسجد يجلس عندها أحد العلماء عند إلقاء دروسه على الناس، وكان لكل عالم مكان خاص به في

المسجد يداوم عليه ويلتف حول مرطديه أو طلابه في المسجد، وأطلق على هذا المكان اسم زاوية، أي جانب أو ركن محدد في المسجد، فمثلاً: عُرفَ مكان درس الإمام الشافعي بزوايه الشافعي، لأنه المكان الذي يدرس فيه الفقه⁽⁶⁾ [طه الولي: المسجد في الإسلام، ص 91]

غير أن مسار الزاوية انحدر إلى مسار آخر، فبعد أن كانت مكان للعلم أصبحت الزاوية المكان الذي تتخذة الطرق الصوفية ليجتمع فيه شيخ الطريقة مع مُرطديه، فتحوّلت مهمة الزاوية من المهنة التعليمية إلى مركز للطرق الصوفية لإقامة فيها أصول هذه الطرق لا علاقة لها بالتعليم والتعلم .

المطلب الثالث : التعريف بمدينة سبها وحي الجديد :

لا يمكن معرفة حي الجديد بمعزل عن مدينة سبها، فهو جزء لا يتجزأ منها، فمنذ القدم كانت سبها تُعرف بهذا الاسم، حيث كان (الجرامنت) يعرفونها بهذا الاسم، وترسم (سبهي) أو (سبها)، وتقع بالوادي الشرقي من وادي الآجال المعروف حالياً بوادي الحياة⁽⁷⁾ [محمد مصطفى بازمة : صفحات من تاريخ فزان، ص 57].

وقيل أنها كانت تطلق بحرف الشين (سبها)، وهذا يناقض ما ذكره بعض المؤرخون أن أصل التسمية تعود إلى سكان سبأ الذين رحلوا إلى هذه المنطقة بعد سقوط دولتهم، ويعد بطليموس الجغرافي من أهم الكتاب الذين تكلموا عن البلاد الواقعة في الصحراء الكبرى الليبية ومن ضمنها فزان، فقد ذكر في كتابه الجغرافيا بقوله : « في دواخل ليبيا فيما وراء منابع سينفيس (وادي كعام)، توجد المدن التالية: فانياس، سابا(سبها)، بدير، جاراما المدينة الرئيسية»⁽⁸⁾ [محمد سليمان أيوب: جرمة من تاريخ الحضرة الإسلامية، ص 45-46]

كانت تُعرف سبها أيضاً بالسباهي لكونها تضم مجموعة من البلدان، (حجارة، والقرضة والجديد، وغدوة وبلدان البوانيس) وكانت في الماضي تحتوي على عدة مدن قديمة وقلاع وحصوص التي كانت قائمة ومأهولة بالسكان، ثم هجرها سكانها لسبب من الأسباب، وبعضها لا زال قائماً فأصبح من الآثار القديمة⁽⁹⁾ [أبو بكر

عثمان الحضيري: فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، ص 72]

بالرغم من أن مدينة سبها لم تكن عاصمة لفزان إلا في عهد متأخر وقريب، فإنها كانت مع هذا مركزاً هاماً بشمال الإقليم منذ أوائل الألف الثانية للميلاد تقريباً، فوصفها البكري في كتابه المسالك والممالك، بأنها مدينة كبيرة وبها جامع وأسواق، وكانت تشطر مرزق حاضرة الجنوب ومقر حكم وسلاطين أولاد محمد⁽¹⁰⁾ [محمد مصطفى بازمة : صفحات من تاريخ فزان، ص 57].

بعد تحديد مدينة سبها تنتقل لتحديد أحد أحيائها التي كانت عامرة بالعلوم والمعرفة هو حي الجديد والتي لا زالت تعتبر حالياً من أحياء سبها في الجنوب الليبي، وسميت بالجديد لتمييز بينها وبين البلدة القريبة منها والتي كانت تعرف انذاك بالجديد القديم أو كما يُطلق عليها أهلها انذاك بالجديد الشارف، وتأسست في الربع الأخير

من القرن التاسع الهجري، والخامس عشر الميلادي، وكان مؤسسها الأول (محمد بن عبد الله بن إبراهيم الناعمي)، الجد الثاني (لقبيلة الحضيري)، وسكانها ينحدرون من عدة قبائل وعائلات كبيرة، وبالرغم من اختلافها إلا أن لهم عادات وطقوس اجتماعية واحدة، فهم متعاونون ومتحابون كالأُسرة الواحدة، فأول مبني قد تأسس فيها هو المسجد العتيق المعروف حالياً (بالجامع الكبير) الذي كان مكاناً للعبادة والتعليم، فقد ألحق به مدرسة لتعليم القرآن الكريم(11) [أبو بكر عثمان الحضيري: فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، ص 98].

المبحث الثاني / عوامل ازدهار العلم في حي الحديد

يعود الفضل إلى بناء العلم وازدهاره إلى عدة عوامل ساهمت في تقوية القيمة التاريخية والعلمية في حي

الجديد، تلزم الإشارة إليها :

المطلب الأول: الواقع التعليمي

إن مكونات أي مجتمع تكمن في تاريخه والحياة التي عاشها أهلها، وهذه المكونات ينقلها السلف للخلف عن طريق توارث عاداته وقيمه النبيلة، فيثوارثها الأبناء عن الآباء، فقد أشار أبو حيان التوحيدي في كتابه البصائر والذخائر، أنه سُئل أحد الفلاسفة: أي الأشياء ينبغي أن يُعلّم الصبيان؟ فقال: ينبغي تعليم الأولاد الأشياء التي إذا صاروا رجالاً استعملوها(12) [أبو حيان التوحيدي. البصائر والذخائر، ص 2] هذه المقولة اختزلت أبعاد فكرية لمكونات أي مجتمع. وبهذه المكونات أصبح الأبناء يتعلمون الأشياء التي فعلها آباؤهم، ممّا أنتج جيلاً ناشئاً على الآداب والأخلاق، والعلم(13) [أحمد مصباح اسحيم، ص 335]

يشير الواقع التعليمي في فزان إلى معطيات بدأ فيها التعليم، والتي شكلت خصوصيته ومنهجه، ومن أهمها: الرحلات التي تأتي من المغرب التي كان لها دوراً كبيراً في انتشار التعليم، حيث كانت فزان معبراً للوصول إلى بيت الله الحرام، فيتلقون الحجاج كرم الضيافة وحسن الاستقبال في كل مدن فزان، ويكون من بين الحجاج علماء في العلوم الدينية يُلقون دروس دينية لأهل المنطقة التي يمكنون فيها، ومن بين الحجاج كما - ذكرنا سابقاً - (عبدالله الناعمي) جد أولاد حضيري، الذي قَدِمَ من المغرب الأقصى (الساقية الحمراء) في بداية القرن التاسع الهجري إلى بلدة الجديد القديمة بسببها حين كان في طريقه لأداء فريضة الحج، ومعه أخويه (يوسف وعلي)، ولكنة علوم (عبدالله) وفقهه طلب منه أهل الجديد الشارف (القديم) أن يبقى معهم ليبرهم في العلوم الدينية إلا أنه فضّل مواصلة رحلته قاصداً بيت الله الحرام، بعد أن وعدهم أن يبقى معهم في حال عودته سالماً فذهب إلى مقصده، ثم عاد، وطاب له المقام مع أهل البلاد، فأصبح معلماً وفقهياً ومرشداً لهم(14) [كلثوم الحضيري. علي بن أبي بكر

الحضيري، ص 14]

بعد أن قرر (عبد الله) البقاء تزوج من أهل الجديد وأنجب منها ولداً سمي (محمد الحضيري)، وهو الجد

الأول الذي يلتقي فيه أولاد حضيري ويتفرعون منه، تربي وتعلم في بيت علم ودين، فأصبح رجلاً صالحاً ومُبحراً في العلوم، وبعدها وضع الحجر الأساس لبناء بلدة الجديد الحالية، فأول ما أنشأ بها (الجامع العتيق) ثم بنى مسكنه بجواره وذلك في حوالي منتصف التاسع الهجري، ومنها تأسست منطقة الجديد في سبها التي كانت محصنة بسيج حصين، ولها بوابات تفتح وتغلق في أي وقت، فاشتهر فيها العلم والفقه وكثر فيها رجال الدين⁽¹⁵⁾ [أبو بكر عثمان الحضيري. فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، ص98]

إضافة إلى رحلات الحج هناك عوامل أخرى أدت إلى ازدهار العلم والمعرفة الثقافية في فزان عامة وسبها خاصة، من حيث أنها كانت مركزاً اقتصادياً ومعبراً تجارياً هاماً بين شمال وجنوب قارة أفريقيا، وعلى ضوء ذلك كانت القوافل التجارية تحمل معها علماء يقومون بإعطاء الدروس وتوعية الناس من خلال الندوات الثقافية التي يعقدونها أثناء وجودهم، فكانت هذه نقطة البداية وانطلاق العلم ونشره في كل البلدان .

ومن عوامل ازدهار العلم أيضاً الرحلات العلمية التي كان يقوم بها الطلاب لإتمام الدراسة في المراكز العلمية خارج البلد، فقد كان كثير من ميسوري الحال يشدون الرحال إلى الجامع الأزهر بمصر أو الزيتونة بتونس لأزدياد العلم، وبعد عودتهم، يعملون في مجال التدريس، فينقلون كل العلوم التي تعلموها للأجيال تتوارثها(16). [الطيب الشريف. ومحمد مولود، ص34]

المطلب الثاني : المنهج التعليمي

تعد بلدة الجديد كغيرها من البلدان في فزان كان لها منهج لا يختلف عن غيرها من المناهج، وكانت الوسائل التعليمية فيها المعتمدة في منهجها التعليمي : (اللوح المصنوع من الخشب، والمخبرة أو المداد المصنوعة من الطين، والقلم المصنوع من الخشب)، أما عن المكان الذي كان يتعلم منه الطالب إما في زوايا المساجد، أو في الزوايا المخصصة لتعليم العلم وتخفيض القرآن الكريم .

كان النظام التعليمي يجري وفق المساجد والزوايا، والزوايا هي مكان مُعد للعبادة يأوي فيه طلاب العلم، ويجتمع فيه مريدين معينين يشتركون في اتباع طرق صوفية ما، تكون مقصورة عليهم يتسمون باسمها، فالشيخ في الزاوية مُعلم وشيخ تربية، ومؤسس فضائل فكان يقبل الكتّاب صغاراً وكباراً في المساجد والزوايا، وبما يتعلق بمنهج التعليم فأول ما كان يُدرّس هو الحروف الهجائية، وتبدأ للمتعلم من السن الخامسة، واعتمد في ذلك طريقة الحفظ، حيث أول ما يتعلمه هو حفظ هذه الحروف وترتيبها، وطريقة الحفظ كانت عن طريق التلقين، فيجمع الأستاذ - أو ما كان يعرف في ذلك الوقت بالفقيه - الطُّلاب الذين هم في مستوى واحد في إحدى جوانب المسجد أو الزاوية ليشكلوا حلقة دائرية، فيبدأ بتعليمهم حروف اللغة العربية فيحفظها أولاً ثم ينتقل للمرحلة الثانية (ألف لا شيء عليه، والباء نقطة من تحت) وهكذا إلى : فيبدأ بتعلم النقاط التي توضع على الحروف، مثل قول آخر الحروف، ثم ينتقل للمرحلة الثالثة فيحفظ الحركات التي تُوضع على الحروف، مثل: (ألف بالخفضة، (1)

بالنصبة، (أ) بالرفعة) وهكذا حتى يستطيع الطالب فهم الحركات معرفة جيدة، ويضبط قواعد اللغة العربية⁽¹⁷⁾ [أبو

بكر عثمان الحضيري: فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، ص 171-172]

ينتقل بعدها الطالب بتعلم كتابة الحروف، وتكون الكتابة على لوح صغير، حيث يخصص لكل طالب لوح خاص به، وبعدها يبدأ الشيخ بتعليمهم قُصَّار السور حتى يحفظوا القرآن كاملاً بالكتابة في الألواح، وتسمى: (النظر)، وإما بالتلقين وتسمى: (الظاهر)، فإذا تعلم الصبي الكتابة صار يكتب من القرآن كل يوم في لوحة مقداراً مناسباً لقدرته ويكتبون في الألواح بالمداد، فإذا حفظ التلميذ ما كتبه في اللوح كتب فيه جزءاً آخر، إلى أن يجمع القرآن ويحفظه كاملاً⁽¹⁸⁾ [محمد الطاهر ابن عاشور، ص 48].

كل ما يكتب الطالب ويحفظه يقوم بعرضه على الفقيه ويسترجع كل ما حفظه على رأسه هو وبقية الزملاء الذين في مستواه، وتسمى هذه الطريقة بـ(العرض)، أو كما يُقال لها (التسميع)، إلا أن طريقة الكتابة على الألواح قد اختفت الآن ولم يعد استخدام الوسائل القديمة إلا ما نذر، بل أصبح التعليم في الوقت الحالي عن طريق المصحف والكتابة في الدفتر، وطريقة العرض لا زالت موجودة، ومع ذلك كلا الطريقتين سواء الكتابة على اللوح أو الدفتر تقومون بنفس الهدف وهي الحفظ والكتابة .

بعد انتهاء الطالب من حفظ القرآن ينتقل بعد ذلك إلى حفظ المتون، والتي تحوي معاني وقواعد في العلم

الذي اقتصت به، ليسهل على الطالب حفظها، وهذه المتون إما إن تكون نثراً أو نظماً، وهذا ليس بالأمر الإلجباري، بل لمن أراد مواصلة تعلم العلوم الدينية، واعتمد تعلم المتون كذلك طريقة الكتابة على اللوح، وكانت هذه المتون متنوعة في كل علم، فأولها كان الطالب يقوم بحفظ متن الشيخ الأخضر في علم المنطق، ومتن ابن عاشر في الفقه، ومتن الأجرومية في اللغة، ومتن الرُحبية في علم الميراث، ويتدرج الطالب حتى يصل إلى مرحلة لا بأس بها في التعليم الديني⁽¹⁹⁾ [أبو بكر عثمان الحضيري: فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، ص 172]

إضافة للعلوم الدينية كان هناك تعليم علم الفلك الذي يعتبر من العلوم الأساسية والمهمة لا يقل تعلمه عن العلوم الشرعية، فكان هذا العلم يُدرس في الزوايا، وبرع فيه عدد كبير من العلماء ممن امتهنوا مهنة تدريس القرآن والفقه، واعتبروه مكملاً للعلوم الأساسية في هذه الزوايا، مما جعلهم يهتمون بحروف الفلك لفك الأرقام التي كانت تأتي في هذا العلم على شكل حروف ترمز لأرقام حسابية⁽²⁰⁾ [أبو بكر عثمان الحضيري. فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، ص 174] وقد تركوا العلماء عدد من المؤلفات في علم الفلك ما بين شعر ونثر .



شكل (1) (المنهج القديم في تعليم القرآن الكريم والعلوم الدينية باللوح والقصبة والمحبرة)

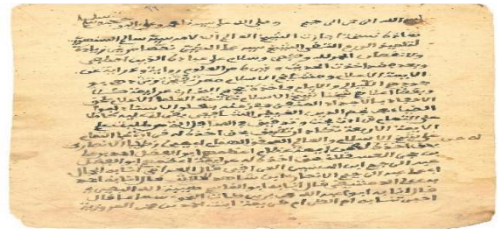
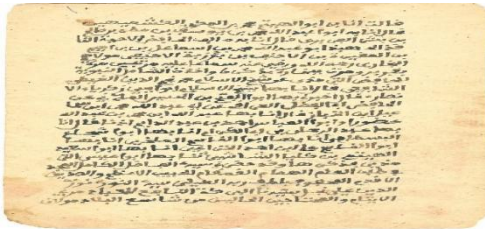
المطلب الثالث الإجازة :

لو وقفنا على السياق اللغوي للإجازة لوجدنا أنها تشير إلى (الإنفاذ)، ومصدرها (أجازة) ووزنها فعالة ، يُقال أجاز الشيء : إذا أنفذه(21) [عربية أحمد قاسم، ص302] وتعني (الإعطاء)، أي الإذن بتدريس العلوم، وفي السياق الاصطلاحي تشير الإجازة إلى الإذن في التدريس أو الرواية لفظاً أو كتاباً يفيد الإخبار الإجمالي عرفاً(22) [السيوطي، ص22-23]، ويقصد به الإذن من المعلم إلى الطالب في نقل العلوم وتدريسها . عليه، يمكن القول أن الإجازة مصطلح علمي ابتكره علماء الإسلام في بداية عصور الرواية، فكان يهدف إلى توثيق العلوم المتمثلة في ذلك الوقت بالقرآن الكريم والسنة النبوية، ويحصل المتعلم من خلالها الحق في الرواية، والمشاركة في الساحة العلمية، ومن نالها في أي علم فقد دخل صرح العلوم الشرعية، ونال الإذن في نقل العلم ونشره بين الناس(23) [فضل ربي مشفق وصدیق الله کریمی، ص142]

تمثل الإجازة العلمية أحد دعائم التعليم القديم، فهي بمثابة الشهادة العلمية التي يمنحها المعلم للطالب لمنحه المصدقية لنقل العلوم من جيل إلى آخر، عن طريق الرواية عنه، وهي من الإجازات العلمية المعبرة عن الآليات الدقيقة لنقل العلم في المركز التعليمي، وقد تكتب بشكل منفصل، أو تكتب على ظهر كتاب ألفه الطالب، وقد تكون الإجازة عن طريق سماع أو قراءة أو مناولة، فالإجازة تعتبر أحد الوثائق الموجودة في التاريخ، والمعتمدة في نقل العلوم ونشرها(24) [فضل ربي مشفق، صدیق الله کریمی، ص142]، ومن شروط المجيز أن يكون عالماً بما يجيزه، ثقة في دينه وروايته، معروفاً بالعلم ومتسماً به .

اعتمد علماء الجديد طريقة الإجازة لطالب العالم لمنحه الإذن بإعطاء العلم، والمخطوطات الموجودة حالياً

تثبت صحة ذلك، فقد ذكر الاستاذ أبو بكر عثمان القاضي في تحقيقه لمخطوطة المسك والريحان عدة إجازات منحت من قبل العلماء لمن قرأوا عليهم، وأنها كانت إجازة من الشيخ سالم السنهوري للشيخ علي الحضيري وأخويه حامد وعبدالله، ومنها تولت الإجازات في الجديد وأصبحت معتمدة من قبل علمائها .
 تأصيلاً على ما سبق نلخص إلى أن نظام الحلقات كان هو الطريقة المتبعة في التعليم، حيث يجلس الطلاب حلقات يتعلمون فيها شتى العلوم الدينية والأدبية، فشكّلت الزوايا والمساجد دوراً كبيراً في التعليم، من حيث الدراسة الدينية والأدبية واللغة العربية .



شكل (2) (جزء من إجازة الشيخ سالم السنهوري للشيخ علي الحضيري والشيخ حامد الحضيري)

هذه نسخة من نص الإجازة التي منحها
 العالم الجليل العلامة، الشيخ محمد نفس الدين به القاه أجد الطنيري
 بتاريخ تونس سنة 1229هـ (1813م)
 لتلميذه الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد البخاري الخنثي به موسى القماسي
 بتاريخ 1228هـ (1813م)
 وهذا نصها
 - حمد الله غنا من النوال، ومحمد بحسام فخر دينه هامة وقي
 الجبل والضلال، وصلاة وسلاماً على قطب دائرة الوجود، ونور
 المجال، وعلى عثرته، والصعب والأذل، ما ضاء على الأكناف هلال،
 وبعد فبأنه الأذخ في الله، والمحب منه أجله، فخر الزمان، ونير
 اللباني، ومنه ضعف لآرائه فحول الرجال كل ما نقلت بأذياله
 محامد الخصال، تزيد من سيادته القرب والوصول - بل من بهت براءته
 فصاحته بليغ القام والمقال، وقص سيف شجاعته منطقة أجهته
 من يربد الظهارة إلى قصبة سبوا الكمال ذلك أبو عبد الله محمد البخاري
 بئس الله ترى حماه بوان شهده الزلال، وأسنه بعد طوبى من غرق
 الحبناء الدروج العوال، وجمع شمله بالأحبة والعشيرة والعيال،
 قد طلب مني أن أجزه في تدريس العلوم، وما سعه عنى من منظوم
 ومفهوم كما جرت به العادة بينه ذوي المعرفة والنوال فاجتته
 ودم كنت غير أصل لذلك رجاء ثواب ذي الأكرام والمجال، وأجزته

شكل (3) (نموذج من الاجازات)

المبحث الثالث : دور زوايا ومساجد الجديد في المنهج التعليمي

المطلب الأول : المراكز العلمية :

يعد التعليم أحد الوظائف الأساسية للزوايا والمساجد مُنتهجاً في ذلك منهجاً تعليمياً في التدريس مستمداً من القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد أنشأ في داخل حي الجديد عدد من المساجد والزوايا التي خصصت للعبادة والتعليم، ونذكر هذه المراكز وهي كالتالي:

- **زاوية عبد الله بن إبراهيم الناعمي** : (عبد الله الناعمي) هو جد أبناء الحضيري- كما قلنا

سابقاً- أسس مدرسة في بلدة الجديد بسبها سُميت بإسمه، وذلك خلال القرن التاسع الهجري، وقد تولى التدريس فيها بنفسه، وظلت عامره تقوم بتحفيظ القرآن الكريم، إلى جانب العلوم الدينية واللغة العربية وغيرها من العلوم(25)[أحمد الدبير الحضيري، ص28]

- **المسجد العتيق** : بعد وفاة (عبد الله الناعمي) انتقلت الدراسة إلى المدرسة التي أسسها ابنه (محمد

الحضيري)، والتي ألحقها بالمسجد العتيق الذي بناه في الربع الأخير من القرن التاسع الهجري في بلدة الجديد، فأصبح في داخل هذا المسجد العتيق مدرسة ومنازة لتعليم الناس شتى العلوم، فكانت مدرسة لتعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وعلوم الدين والفقه الإسلامي، وعلم الفلك، وعلم الحساب، واللغة العربية، والعلوم الإنسانية، ومنها تأسست أول منارة علم في سبها، والتي اشتهر فيها العلم والفقه وكثر فيها رجال الدين(26)[أبو بكر عثمان الحضيري: فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، ص98] وقد تخرج منها عدد كبير من العلماء الأجلاء، أمثال الشيخ أبو بكر الحضيري والشيخ أحمد بن إبراهيم بم محمد الحضيري، والشيخ علي بن أبي بكر الحضيري وغيرهم الكثير .



شكل (4) (المسجد العتيق (المسجد الكبير))

- زاوية الشيخ حامد الحضيري

أسسها الشيخ (حامد بن حامد الحضيري) قي بلدة الجديد سبها، وذلك في أوائل القرن الحادي عشر الهجري، وسميت بزاوية حامد بن حامد الحضيري وهي امتداد لمدرسة جده (عبد الله الناعمي) وحلت محلها، غير أن هذه المدرسة أكثر تطوراً وتوسعاً، حيث استوعبت أعداد كبيرة من الطلاب الذين يوفدون إليها من الأماكن البعيدة للدراسة، والبقاء في خلوتها، وكانت لها أوفاف كثيرة يصرف ريعها على طلبتها ومشايخها (27) [أبو بكر

عثمان الحضيري: فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، ص178]

- زاوية الشيخ عثمان العالم الحضيري

ظلت زاوية حامد الحضيري منارة للعلم إلى أن جاءت زاوية (عثمان العالم) التي قام بتأسيسها، وعُرفت فيما بعد باسمه، وذلك خلال القرن الحادي عشر الهجري، وتعتبر هذه الزاوية امتداد لزاوية (حامد الحضيري) التي انتهت مهمتها بعد ما تغير مسارها إلى الطرق الصوفية.

يعتبر (عثمان العالم) من مشايخ هذه الزاوية والذي أنشأها بعد ما أُجيز علمياً من مشايخ زاوية مرزق في عام 1282 هجري والإذن له بتدريس العلوم، وكانت هذه الزاوية تقوم بتدريس القرآن والعلوم الدينية، إلى جانب ذلك كانت تقوم بالوعظ والإرشاد الديني في الكثير من البلدان، ولشيخها علاقة بزاوية الجغبوب والزنتان ومرزق، وله عدة مراسلات بين مشايخ هذه البلدان تتعلق بالفتوى والوعظ وتبادل الآراء (28). [أبو بكر عثمان الحضيري،

فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور

من أهم الأعمال التي قام بها الشيخ عثمان العالم أنه ألحق في زاويته مكتبة احتوت على عدد كبير من المخطوطات والمؤلفات، وأوقف كتبها لكل الدارسين والباحثين من طلبة العلم، فكان البُحاث يتوافدون عليها من أماكن بعيدة وبصفة مستمرة، ولقيمة ما فيها من مراجع استطاعت من خلالها أن تساهم مساهمة فعالة في الحياة العلمية في فزان في ذلك الوقت، ومن ذلك الوقت شقت طريق شديداً عليها واستفاد منها طلاب العلم لأنهم وجدوها غنية بالمخطوطات الدينية التي يحتاجونها، بالإضافة إلى أن للأعمال التي قام بها (الشيخ عثمان العالم) أنه أسس زاوية في منطقة القطرون (29) [أبو بكر عثمان الحضيري: فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور] وإن دل على شيء يدل على المكانة العلمية التي حظى بها الشيخ عثمان العالم في فزان، واهتمامه بالعلم والباحثين عن العلم.

المطلب الثاني : نماذج من المنهج التعليمي لعلماء الجديد

من المساجد والزوايا التي كثرت فيها حلقات العلم ونخرت بملقات تحفيظ القرآن الكريم، عمّ نور العلم أرض

الجديد وسار التعليم فيها مصحوباً بإرث تاريخي واجتماعي يحفظ لأبناء هذه المنطقة عز آبائهم، ويقودهم إلى الابداع والعطاء في حاضرهم ومستقبلهم، فقد تخرج منها عدد كبير من العلماء الذين تركوا أثراً كبيراً في المنطقة، أولهم كان الشيخ (علي بن أبي بكر الحضيري) الذي تخرج من زاوية أخيه (حامد الحضيري)، إلى جانب دراسته في الأزهر الشريف وأجيز منه لإعطاء العلوم، حيث كَوَّن ثقافة عالية في العلوم الدينية والأدبية والفلسفية أيضاً، فكان علماً من الأعلام المشهود لهم بالكفاءة والمقدرة، وكانت ملكته الفقهية هي البارزة مما ساعدته في مجال التأليف الفقهي، فكَوَّن عددًا من المؤلفات المتكونة من دراسات وأبحاث في الفقه والمدح والأذكار(30)[علي

الحضيري . الفتح والتيسير ، ص15]

كان الشيخ (علي الحضيري) يعقد حلقات الدرس بالمسجد لعامة الناس، فتعلَّم على يديه الكثير من طُلاب العلم، ولكنه كان يتعهد أناساً بالتربية والنصح والإرشاد ممن يتوسم فيهم الذكاء ويرى فيهم عمق الفكرة والميل إلى البحث، حتى يُسَلِّم رسالة العلم التي وقف نفسه فيها إلى جيل من بعده يقوم بالمهمة، حيث فذكر ابنه عثمان في ترجمته لوالده: «وقد كان كثير الجود محسناً لطلبة العلم والقرآن، وكان الشيخ علي بن أبي بكر كثير النُصح

والإرشاد لهم»(31)[مخطوط لترجمة عثمان بن علي]

من بين تلاميذ الشيخ (علي الحضيري) تلميذه وابن أخيه الشيخ (محمد الصالح بن حامد بن حامد الحضيري)، فبعد ما نبغ في العلوم تبناه شيخه وأجازته في العلم، فكان كغيره من المشايخ الذين سبقوه كان يلقى الدروس في الجامع العتيق، فذكر الشيخ أحمد الدردير في تراجمه : أن عالماً من فقهاء زويلة سمع عن الشيخ علي الحضيري فجاء للبلدة الجديد ليراه، فدخل المسجد العتيق فوجد الشيخ (محمد الصالح) يُدرِّس وحوله الناس مجتمعون، فجلس معهم، فسأل الحاضرين أهذا الشيخ علي؟ فقليل له: لا، هذا تلميذه الشيخ محمد، وأشار له للشيخ علي وكان متكئاً على حائط بعيد، فتعجب هذا العالم من تلميذ يُدرِّس العلوم وشيخه قريب منه(32)[أحمد الدردير الحضيري، ص126]، وإن دل على شيء دل على حب العلم، والاجتهاد في طلبه .

انتقل السلم التعليمي إلى تلميذ الشيخ محمد الصالح وابن عمه (عثمان ابن علي الحضيري) الذي تتلمذ على الشيخ محمد الصالح وتأثر به، إلى جانب أنه شيخه وابن عمه، فقد كان الشيخ (عثمان بن علي الحضيري) عالماً، وفقهياً بارعاً، متكلماً أصولياً، نحوياً لغوياً، أديباً وشاعراً، له عدة أعمال تدل على مكانته العلمية.

وكعادة أجداده كان (الشيخ عثمان الحضيري) مُدرِّساً وإماماً وواعظاً، وكان منهجه في التدريس أن يكون متفلاً وكثير الترحال للإرشاد والوعظ، وإعطاء الدروس وتعليم العبادة من أجل نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية وتوطيدها بين الأقطار التي يرحل إليها، حيث سافر إلى المغرب ومصر والسودان، وأقذز (النيجر)، التي كان فيها مدرِّساً وإماماً وواعظاً في مسجدها، وذلك عام (1079هـ - 1668)، تلقى عليه كثيرون، من بينهم ابن

أخيه (الظاهر بن الحسن بن علي الحضيري)، وابن عمه (الشريف الحسن بن فايز) (33) [أبو بكر عثمان

الحضيري: نشأة التصوف ودخول الطرق الصوفية في فزان، ص 276]

لم تتوقف الحركة العلمية في الجديد بل تركت إرثاً كبيراً يثوارث من جيل إلى جيل، فقد كثرت حلقات العلم، وازداد العلماء في المنطقة، وكثرت فيها التأليف والشروح، فانتقلت الحاسة العلمية والاهتمام بالعلوم الدينية في بلدة الجديد من جيل إلى جيل، فبعده الصرح العلمي والتعليمي الذي وضع ركائزه السلف وما تركوه من علوم ومؤلفات، سار المنهج التعليمي عند الخلف على نهج الآباء والأجداد المؤسسين، فلا يسعنا المجال أن نذكر هؤلاء السلف جميعهم بل اكتفينا ببعض النماذج الدالة على أثرهم، وسنقوم مع الخلف بأخذ نماذج ممن ذاع صيته وقدم منهجاً تعليمياً له أثر لا يزال يتجلى في المنطقة إلى وقتنا الحاضر، فنذكر على سبيل المثال الشيخ (أبو زيد عبد الرحمن الفراوي)، وتلميذه الشيخ (قاسم بن محمد قاسم الزين الأوجلي) الذي اشتغل بتدريس القرآن الكريم، ورُتب إماماً في المسجد الصغير، وكذلك الشيخ والعالم المريني (محمد تاج الدين الحضيري) الذي تولى الإمامة والتدريس في الجامع العتيق، فكان منهجه في التدريس تعليم الناس العلوم الشرعية واللغوية والفلكية والقرآن الكريم، والنصح والإرشاد ويعظهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يكتفي بالتدريس في الجامع العتيق في منطقته، بل كان ينتقل بين القرى فزان والجيل الغربي وطرابلس، وأثناء إقامته بزواوية ميزران بطرابلس نظم لطلابها وغيرهم من طلبة القرآن والعلم رموز الشاطبية في القراءات السبع، التي أسماها (مفتاح حرز الأمان في القراءات) (34) [محمد تاج الدين الحضيري، ص 14-15] فيعد الشيخ (محمد تاج الدين) عالماً علامة، وجرأً في جميع العلوم، منتهلاً من زوايا ومساجد منطقته وعلمائها.

ونذكر ممن سار على نهج الأولين هو الشيخ (عبد الرحمن محمد البركولي الحضيري)، الذي كان منهجه

العلمي تعليم العلوم الشرعية والقرآن الكريم في الجامع العتيق بالجديد، فتولى تدريس الفقه وأحكام الشريعة، إلى جانب ذلك كانت طريقته هي التنقل والترحال للإفادة من علمه ووعظه، حيث تولى الإمامة والخطابة والتدريس والوعظ في جامع القرضة بالشاطبيء لفترة طويلة (35) [أبو بكر عثمان الحضيري: نشأة التصوف ودخول الطرق

الصوفية في فزان، ص 270]

استمر عقد العلماء في منطقة الجديد، وكان المسجد العتيق أهم المراكز التعليمية للتدريس، إلى جانب المسجد الصغير الموجود في المدينة القديمة الذي يعد من ضمن مراكز التدريس، حيث تولى فيه الشيخ (عبد السلام الأسمر الحضيري) تدريس القرآن الكريم، وبعده جاء الشيخ (سالم عبد الرحمن الحضيري) الذي أصبح شيخاً للزواوية القادرية، بالإضافة إلى تطوعه بإعطاء دروس في الفقه واللغة العربية والميراث والفلك في الجامع العتيق، وكان منهجه العلمي في هذه الدروس متخصصة في كل يوم من أيام الأسبوع بعلم من العلوم، ولم يكتف بإلقاء الدروس

مشاهدة بل كان يمنحها لدارسيه مكتوبة فكان مرجعاً يعتمد عليه في الأحكام الشرعية التي كان كثيراً ما كان القضاة أنفسهم يرجعون إليه فيها، وخصوصاً الميراث(36)[كلثوم الحضيري، الجوهر الثمين، ص15-16] مما سبق يتضح أن الجهود المكثفة نتابعت من العلماء من خلال المنهج التعليمي للدروس الفقهية واللغوية في المساجد والزوايا إلى جانب اتخاذ منهج آخر لهم ألا وهو التنقل والترحال بين الشمال والغرب ومناطق الجنوب في ليبيا من أجل نشر دروس العلم لتوعية الناس وتثقيفهم وتعليمهم أمور الدين فكان لهم الفضل في تثبيت العقيدة الصحيحة التي لم يستطع الاستعمار اختراقها، وظلت النهضة العلمية في الجديد مزدهرة رغم الاستعمار والظروف القاسية التي سببها للناس.

النتائج والتوصيات

نستخلص من هذه الدراسة عدة نتائج :

- 1- الواقع التعليمي في حي الجديد بسببها كان مُهدأً رغم ظروف الحياة البسيطة والمعيشة الصعبة، وكانت فزان تُعنى بالعلم وتحصيله من أي مكان، من خلال الرحلات العلمية التي يقوم بها طلاب العلم إلى الأزهر والزيتونة، بالإضافة إلى رحلات الحج والتجارة التي ساعدت على ذلك .
- 2- الزوايا والمساجد هي المكان للتحصيل العلمي، فهما بمثابة المدارس التي يجتمع فيه المعلمين مع طلابهم لإيصال العلوم من السلف للخلف، ولا زالت المساجد تقوم بهذه المهمة حتى الآن، إلا أن الزاوية لم تعد اليوم كما كانت بالأمس، بل اتخذت منحى مختلف بعيد عن دورها الحقيقي، فبعد أن كانت مكان للعلم أصبحت الزاوية المكان الذي تتخذ الطرق الصوفية ليجتمع فيه شيخ الطريقة مع مريديه، فتحولت مهمة الزاوية من المهنة التعليمية إلى مركز للطرق الصوفية فيها يقومون بممارسة طقوسهم الصوفية لا علاقة لها بالتعليم والتعلم .
- 3- يعتبر الجامع العتيق أقدم جامع في حي الجديد، وكان هو المركز التعليمي الذي تجلت فيه نفحات العلم من قبل العلماء الأجلاء اللذين ألقوا وتلقوا فيه علومهم، فما من عالماً لم يضع بصماته العلمية في هذا المسجد، ابتداءً من مؤسس هذا المسجد (محمد الحضيري) إلى وقتنا الحاضر، ولا زال هذا المسجد قائماً رغم تعدد المساجد في المنطقة وكثرتها.

- 4- يعد المنهج التعليمي في الجديد نقطة انطلاق التحصيل العلمي ونشره في جميع البلدان، بالرغم من أن كانت وسائله بسيطة تحتاج لمجهود إلا أنها حققت نتائج كبيرة في التعليم، وكانت هذه الوسائل كانت ميسرة لكل طالب علم من السهل عليه الحصول عليها .
- 5- مع تطور الحياة ومناهج التعليم ووسائله إلا أن الإرث لا زال معتمداً في تحصيل العلم وخاصة القرآن الكريم على الألواح، حيث أن بعض من المعلمين لا زالوا يستخدمون طريقة الألواح في تعليم القرآن الكريم رغم تطور الوسائل التعليمية المختلفة، غير أن هذا النوع من الوسائل التعليمية لا يستخدم بشكل واسع في الجديد بل افترس المعلمين على استخدام الكتابة والحفظ من المصحف والكتابة في الدفتر لتعليم الطلاب.
- 6- لم تتوقف الإجازة العلمية في منح الإذن بالتدريس، فلا زالت تمنح للمتعلمين من أجل نشر العلوم الشرعية، ولا زالت معتمدة حتى في وقتنا الحاضر، وكثير من حفظ القرآن وتعلم العلوم أجزى من قبل العلماء، سواء من داخل الوطن أو خارجه، وخاصة ممن لازموا الأزهر الشريف، وإن دل على شيء يدل على التمسك بالإرث التاريخي والتخوف من ضياعه .
- 7- كثرة المؤلفات التي تركها علماء الجديد تدل دلالة واضحة على طريقة وسهولة التأليف في عصرهم، ويدل أيضا على إلمامهم بجميع العلوم وقدرتهم على الشرح والتأليف بألفاظ سهلة وواضحة وبسيطة.
- 8- توارث العلم عبر الأجيال وحرص التابعين على متابعة الأوائل، من حيث التواصل معهم عن طريق مخطوطاتهم، مما جعل الخلف يقتدوا بهم، وجعلوهم المثل الأعلى، وذلك من حيث الأعداد الكثيرة في التأليف والنظم من المهتمين بالمخطوطات والوثائق التاريخية، فلا زال هناك مجُاث مهمتهم دراسة وتحقيق مخطوطات الأجداد التي منها قد تحقق والآخر لا زال طور التحقيق.
- 9- قراءة التراث قراءة نقدية منتجة تتيح لنا التعامل مع تراثنا، والانخراط به في عالمنا المعاصر بما يتماشى مع التطور العلمي .
- 10- الحفاظ على توثيق التراث لمنع أي مساس بالثوابت من المفاهيم والأفكار التي هدفها إلغاء الهوية وتراثنا المقدس.

المصادر والمراجع

أولاً/ المخطوطات

(1) مخطوط لترجمة عثمان بن علي لوالده علي بن أبي بكر الحضيري .

ثانياً/ الكتب

- (1) أبو بكر عثمان الحضيري. فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، دار المحيط العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1989م.
- (2) أبو بكر عثمان الحضيري. نشأة التصوف ودخول الطرق الصوفية في فزان، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط1، 2006.
- (3) أبو حيان التوحيدي. البصائر والذخائر، تحقيق وداد القاضي، دار صادر، بيروت، 1999م.
- (4) أحمد الدردير الحضيري. المسك والريحان، فيما احتواه من أعلام فزان، تحقيق، أبو بكر عثمان الحضيري، الشركة العامة للورق، طرابلس، ط1، 1990
- (5) السيوطي . تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، تحقيق عزت عطية وموسى محمد علي ، القاهرة، دار الكتب الحديثة ، 1980، ج1.
- (6) الطيب الشريف. ومحمد مولود: ملامح ثقافية، دار شموع العلم، الزاوية، ليبيا، ط1، 2006.
- (7) حلمي عبد المنعم صابر. مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط2، 2014، ص11.
- (8) طه الولي. المسجد في الإسلام، دار العلم للملايين، 1988.
- (9) عبد الرحمن بدوي. مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات للنشر، الكويت، ط3، 1977.
- (10) علي الحضيري. الفتح والتيسير، تحقيق :حسن عبدالرحمن البركولي الحضيري، دار النهضة، القاهرة، ط1، 1990.
- (11) كلثوم عثمان الحضيري. الجواهر الثمين في منظومات العلامة سالم الحضيري في اللغة والدين، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط1،
- (12) كلثوم عثمان الحضيري. علي بن أبي بكر الحضيري ودوره العلمي والسياسي في فزان، مكتبة الإيمان، ط1، 2018.
- (13) محمد الطاهر ابن عاشور. أليس الصبح بقريب، الطبعة التونسية .

- (14) محمد تاج الدين الحضيرى. عقيدة النساء في علم التوحيد، تحقيق حسن عبد الرحمن البركولى الحضيرى، دار النهضة، القاهرة، ط1، 1997.
- (15) محمد سليمان أيوب. جرمة من تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المصراى، ليبيا، 1969.
- (16) محمد مصطفى بازمة . صفحات من تاريخ فزان، الهيئة العامة للثقافة، ليبيا، ط1، 2018، ص57.

ثالثاً /الموسوعات :

- (1) ابن منظور. لسان العرب، ج8، ، تحقيق: عامر أحمد حسن، دار النهضة العربية، القاهرة .
- (2) عبد المنعم حنفي. موسوعة الفلسفة والفلسفة، ج2، مكتبة مدبولي، ط3، 2010، ص1380.

رابعاً/المجلات العلمية :

- (1) أحمد مصباح اسحيم. حياة الكتاتيب وأدبيات التعليم الدينى فى ليبيا، قراءة تاريخية للدرس الدينى فى بنغازي، ونبذة عن أعلامه فى القرن العشرين، مجلة أصول الدين .
- (2) عربية أحمد قاسم . الإجازات العلمية وأثرها فى نشر العلوم (دراسة تاريخية)، ج3، العدد 32، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية .
- (3) فضل ربي مشفق، صديق الله كريمي . الإجازة وأثرها فى رواية الحديث، المجلة العلمية للأبحاث والنشر العلمي (الإصدار الخامس والعشرون)، 2021.
- (4) مبارك جعفري. الزوايا والطرق الصوفية فى الجزائر ودورها فى ترسيخ الوحدة الوطنية، الملتقى الدولى: الحواضر القرآنية فى أفريقيا، ديسمبر، 2018.

المساجد التاريخية في منطقة الخمس

مسجد الباشا / دراسة حالة

أ- منصور علي الحرير

mamsoralhre1977@gmail.com

جامعة الزيتونة - كلية الآداب - قسم الآثار والسياحة

المستخلص

إن منطقة الخمس كغيرها من المناطق في ليبيا تزخر بالعديد من المساجد التاريخية والتي تعكس تاريخ وماضي المدينة ويعد مسجد الباشا موروث تاريخي وإرث حضاري للمدينة ويهدف البحث الى معرفة وضع الفترات الزمنية والمكونات المعمارية للمساجد في مدينة الخمس ومعرفة طابعها المحلي لاسيما في العهد العثماني وكذلك وضع خطط واضحة للحفاظ على المساجد التاريخية وفق أسس ومعايير تضمن اندماجها مع حاجيات العصر دون المساس بالقيمة التاريخية التراثية دراسة على مسجد الباشا بمنطقة الخمس .
الكلمات الرئيسية :- المساجد التاريخية - مسجد الباشا - الحفاظ ترميم - صيانة .

Abstract

The Al-Khoms region, like other regions in Libya, is full of many historical mosques that reflect the history and past of the city. The Pasha Mosque is considered a historical and cultural legacy of the city. The research aims to establish and know the time periods and architectural components of the mosques in the city of Al-Khoms and to know its local character, especially in the Ottoman era, as well as developing clear plans to preserve it. Historical mosques are based on principles and standards that ensure their integration with the needs of the era without compromising the historical heritage value. A study on the Pasha Mosque in the Al-Khoms area.

المقدمة:

يعد مسجد الباشا بمدينة الخمس من أهم معالم العمارة التاريخية التي بنيت أبان العهد العثماني وقد جاءت هذه الدراسة للتعرف على هذا المعلم التاريخي الهام وما يحمله من بصمات تاريخية قديمة وكذلك معرفة أهم التغيرات التي حصلت عليه وكذلك معرفة آلية الحفاظ على هذا الموروث الحضاري من الطمس والاندثار بسبب تعرضه إلى

عوامل التلف الطبيعية والبشرية والتي أدت الى اختفاء أجزاء من عناصره المعمارية .

● أهداف وأهمية الدراسة :

- 1- تهدف الدراسة إلى معرفة عمارة المساجد في منطقة الخمس إبان الحكم العثماني.
- 2- الحفاظ على المعالم الدينية التاريخية في منطقة الخمس.
- 3- كما تهدف الدراسة إلى التعرف على بعض المتغيرات التي حدثت على المساجد في منطقة الخمس .
- 4- معرفة أهم الأساليب وطرق حماية الموروث الثقافي وأهم لاعتبارات الواجب مراعاتها عند عمليات الترميم في المباني الدينية .

● تساؤلات الدراسة :

- 5- أعمد هذا البحث الإجابة على عدد من الأسئلة أهمها :-
- 6- ماهي الأجزاء المعمارية للمساجد التاريخية في منطقة الخمس؟
- 7- ماهي التغيرات التي طرأت على مسجد الباشا منذ تأسيسه في العهد العثماني ؟
- 8- ماهي الأساليب التي يجب أن تتبع للمحافظة على المساجد التاريخية ؟
- 9- ماهي القواعد والمحددات العملية لإعادة البناء المستخدمة في المساجد التاريخية القديمة بحيث تتأقلم مع التطورات الموجودة فيه ؟

● منهجية الدراسة :

- 1 - استخدمت في هذه البحث واعتمدت على منهجين أساسين المنهج التاريخي السردى والمنهج الأثري الوصفي إلى جانب الزيارات الميدانية .

● الدراسات السابقة :

- 2 المورث الثقافي في منطقة الخمس وسبل حمايته والمحافظة عليه
- 3 (أ) محمد مصطفى الخازمي (أ) ماجد عبدالله أبوخطوة أبوروى
- 4 (أ) مصطفى المرخية - المؤتمر الاقتصادي الاول للاستثمار والتنمية السياحية في مدينة الخمس 2017 م.

5 إلا أن هذه الدراسة لم تتعرض الى مسجد الباشا بشئ من التفصيل ولكن جات بحصر

للموروث الثقافي في مدينة الخمس بشكل عام .

● المساجد التاريخية في منطقة الخمس .

1 - مسجد الباشا وأهم عناصره المعمارية .

2 - المتغيرات الانشائية التي حدثت على مسجد الباشا .

3 - آلية الحفاظ على مسجد الباشا ، وإعادته للمحافظة على الموروث الثقافي.

4 المساجد التاريخية: -

5 وهي تلك المباني الدينية التي تحمل قيمة تاريخية (رمزية - معمارية) وتتصف وتميز

بقبول المجتمع وتعبر عن ظاهرة معنوية في فترة زمنية معينة وتتصف بالصمود والاستمرار

، أو هي تلك المعالم التي تكشف حدث تاريخي معين والتي تكسب أهمية ثقافية مع

مرور الزمن(1).

● أهم المساجد التاريخية في منطقة الخمس:-

1 مسجد وجامع علي الفرجاني:-

2 يقع في منطقته كعام شرق مدينة الخمس يرجع تاريخ انشائه إلى أوائل القرن الثاني الهجري

- الثامن عشر ميلادي ونسب المسجد الى الشيخ علي مفتاح الفرجاني.

3 مسجد جامع الصوادق:-

4 يقع في منطقته كعام بشارع سيدي عون ونسب الجامع إلى الشيخ علي بن عبد الصادق

العبادي الجبالي(2).

5 الذي اشتهر في تلك المنطقة بتحفيظ القرآن الكريم و تدريس الفقه المالكي والافتاء وقد تم

تأسيس المسجد في نهاية القرن الثامن عشر.

6 مسجد قليصة:-

يقع في مدينة الخمس ويرجع زمن تأسيسه الى 1759 ميلادي وقد تم ازالة المبنى القديم بداية الثمانينيات بالكامل وأقيم على انقاضه المسجد القائم حالياً و كان المسجد من أقدم المساجد حيث كان سقفه مقبب بثماني قبب.

1. جامع أو مسجد بن جحا:-

1 يرجع تاريخ المسجد الى 1150 هجري 1737 ميلادي نسب هذا المسجد الى الشيخ أحمد بن محمد بن حمودة بن جحا تمت ازالة هذا المبنى لغرض البناء الحديث سنة 2012.

2 مسجد الباشا :-

3 يقع في مدينة الخمس ويرجع تسميته (بالباشا) نسبةً إلى الوالي محمد باشا. أو الوالي رجب باشا الذي حكم ولاية طرابلس عام 1322 هجري إلى 1326 هجري.

مسجد الباشا:-

الموقع الجغرافي:

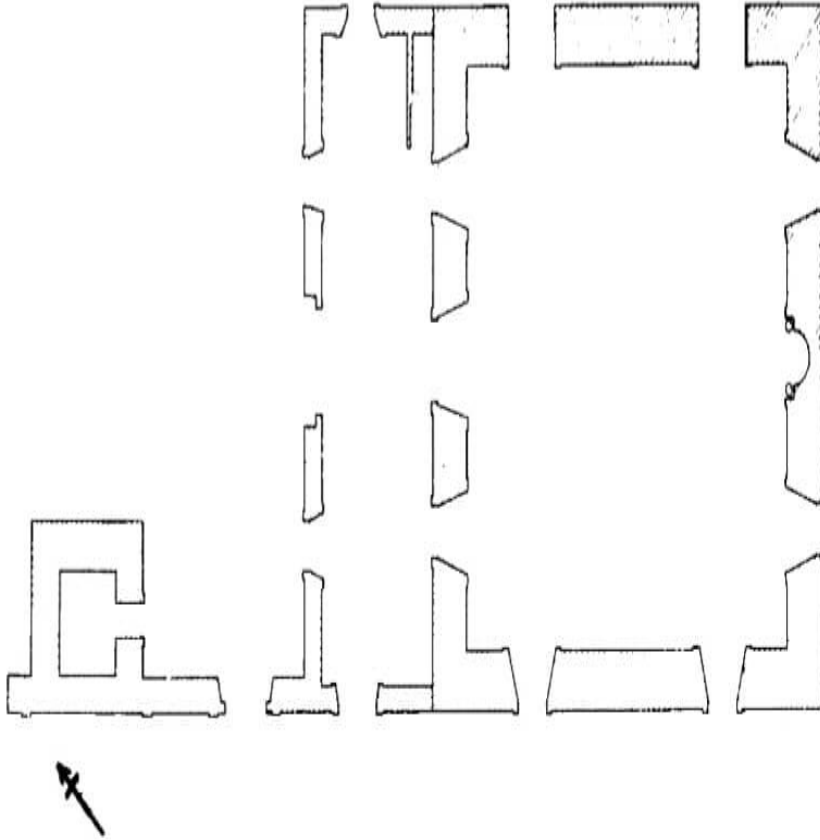
يقع مسجد الباشا في وسط مدينة الخمس بجوار مبنى البريد وعلى الشارع الممتد من وسط المدينة إلى مدينة لبدّة
E014O-16.114 N32O-39.046 الأثرية بإحداثيات

التأسيس وأصل التسميه.

أسس هذا المسجد في العهد العثماني سنة 1241 هـ 1825م اشتهر المسجد بإسم مسجد أو جامع الباشا نسبة إلى الوالي محمد الباشا وذلك حسب روايات أهل المدينة وهناك من يقول أنه يرجع إلى الوالي رجب باشا والذي حكم ولاية طرابلس من سنة 1322هـ إلى 1326هـ و الذي ازدهرت الولاية في فترة حكمه(3). إلى جانب ذلك عرف المسجد باسم جامع الحميدية نسبة إلى عبد الحميد الثاني 1293 هـ الى 1327 هـ ، 1876 - 1909 م (4) .

تخطيط المسجد وأهم عناصره المعمارية

تم تخطيط مسجد الباشا كغيره من المساجد التي انتشرت ابان العهد العثماني حيث اتبع المسجد تخطيط عبارة عن مساحة غير منتظمة على شكل مربع تقريباً.



شكل (1) نقلا عن مسعود رمضان شقفلوف وآخرون موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا
ص 212

الوصف المعماري الخارجي :-

للمسجد ثلاث واجهات والجهة الرابعة ملاصقة لمبنى البريد ومن الواجهة الجنوبية يوجد المدخل الرئيسي للمسجد.

أ. الواجهة الجنوبية :-

هي الواجهة الرئيسية للمسجد والتي تفتح على الشارع الرئيسي ويوجد بهذه الواجهة المدخل الرئيسي والذي يعلوه

عقد مزخرف بتجويف غائر ومرتكز على اتجاه مستطيل وتوجد في أعلاه هلال ونجمة إلى جانب ذلك توجد

لهذه الواجهة خمسة نوافذ ثلاثة منها في المستويات السفلية واثنين منها في المســــــــــــتويات العلوية

الصورة رقم (2) .

كما موضح في



الصورة (2) توضح زخارف المدخل والنوافذ
تصوير الباحث بتاريخ 2024/04/15م

ب. الواجهة الشرقية:-

وهي الواجهة المطلة على شارع البريد والمقابل لمبنى الحارة القديمة ويوجد بها نافذتين في المستوى السفلي وتعلوهما عقد نصف دائري.

ج. الواجهة الغربية.

وهذه الواجهة ملاصقة لدورات المياه والمحلات التجارية المرفقة بالمسجد..

" الصحن " الفناء المكشوف "

وهو عبارة عن فناء صغير يأخذ شكل شبه مستطيل ويوجد به باب المئذنة من الناحية الغربية ويوجد به باب الملحق في الركن الشمالي الغربي ويوجد به مدخل يؤدي إلى الرواق بالضلع الشمالي الغربي.

المئذنة

تقع المئذنة في هذا المسجد في الجهة الغربية بالركن الغربي وتتكون من عدة أجزاء متصلة ، الجزء الأول متصل بقاعدة مربعة ويوجد بها مدخل المئذنة في الضلع الجنوب الشرقي واعلى هذا المدخل يوجد نص كتابي يفيد بتاريخ البناء المؤرخ بـ 16 شعبان 1325 هـ وهذه الكتابة داخل إطار مربع بارز كما موضح في الصورة رقم (3) .



الصورة (3)

تصوير الباحث بتاريخ 2024/04/15م

أما الجزء الثاني فهو بدن المئذنة والذي هو على شكل مئذنة يوجد به فتحات للإضاءة وينتهي بشرفة المئذنة وقد زخرفت هذه الشرفة بصفتين من الدلايات الصغيره أربع منها بالصف السفلي و خمسة منها بالصف العلوي و هذان الصفان موجودان في كل واجهة من واجهات الشرفة المئذنة .
 أما الجزء الثالث للمئذنة يقع أعلي الشرفة و هو على شكل مئذنة أصغر من الجزء السفلي ينتهي بصف من الدلايات توجد زخرفه في أربع واجهات علي شكل كمشية و يوجد في هذا الجزء من المئذنة باب يؤدي الي الشرفة تنتهي قمتها بشكل مخروطي(5) أعلاها يوجد هلال كما موضح في الصورة رقم (4).



**الصورة (4) الشكل يوضح مئذنة مسجد الباشا
 نقلا عن قوئل ارشيف الخمس**

الميضأة :-

تقع بالجهة الغربية من المسجد و هي خارجة عن صحن المسجد من الداخل و يوجد بها مدخل علي الشارع الرئيسي .

السقيفة :-

تتقدم بيت الصلاة و يوجد بها درج يؤدي إلي مصلى علوى تمت إزالته سنة 2020 م ، و يوجد بها أربع نوافذ مستطيلة الشكل تنتهي بعقود نصف دائرية و لها إطار بارز و يوجد بالطابق العلوي نافدتين أخريين تشبه النوافذ السابقة كما موضح في الصورة رقم (5) .



**الصورة (5) يوضح سقيفة المسجد
نقلا عن قوئل ارشيف الخمس**

و أرضية هذه السقيفة مرتفعة علي بيت الصلاة و سقف هذه السقيفة من الخشب و بها شرفة مطلة علي بيت الصلاة من الأعلى كما في الصورة رقم (6) و استخدمت هذه السقيفة كمصلي خارجي و إلقاء الدروس و قد كانت في السابق مكاناً لتحفيظ القرآن الكريم .



**الصورة رقم (6) شرفة مطلة علي بيت الصلاة من الأعلى
تصوير الباحث بتاريخ 2024/04/15**

الوصف المعماري الداخلي :-

- المداخل

يحتوي المسجد علي مدخلين في المدخل الرئيسي الأول يؤدي إلى السقيفة وهو مستطيل الشكل و مقابل لمدخل بيت الصلاة من الجهة الشمالية الغربية و هو بعقد مائل.

أما الثاني في الرواق أمامه مباشرة و يؤدي إلي بيت الصلاة و هو أيضا بعقد مائل كما في الصورة رقم (7)



الصورة رقم (7) مدخل بيت الصلاة
تصوير الباحث بتاريخ 2024/04/15م

بيت الصلاة :-

وهو عبارة عن مساحة مربعة تقريباً تبلغ أبعادها 11.75م*11.50م و يوجد بها تسع نوافذ منها ست نوافذ في المستوى السفلي و هذه النوافذ عميقة وكبيره وهي مستطيلة الشكل يعلوها عقد نصف دائري وهي مفتوحة بميل الجدران اثنان منها يجدار القبة حول المحراب واثنان أخريان في الجدار الغربي حول مدخل الصلاة والأخيرتان موجودتان في الجدار الجنوبي وجميع هذه النوافذ زينت من الخارج بإطار بارز و تأخذ شكلاً نصف دائري أما النوافذ العلوية فهي ثلاثة وهي أصغر من النوافذ السفلية ، أما الجهة الشمالية من بيت الصلاة فيوجد بها مدخلان كبيران فتحا حديثا ويفتحان على الملحق لبيت الصلاة وقد كانا في السابق نافذتين.

المنبر :

يوجد على يمين المحراب وهو من الخشب و يتكون من ثلاثة درجات وهو خالي من الزخارف.

المحراب:

وهو يتوسط جدار القبلة، وهو حنية نصف دائرية بعقد فردي يرتكز هذا العقد على عمودين حجريين ذو تيجان إطاره الخارجي توجد به بلاطات من القشاني الملونة وأعلاه زخرفة بشكل هلال ونجمه خماسية، ويبلغ تجويف المحراب يبلغ 40 سنتيمتر وعرضه 1 متر وارتفاعه 2 متر تقريبا كما هو موضح في الصورة رقم (8)



الصورة رقم (8) يوضح المحراب مسجد الباشا
تصوير الباحث بتاريخ 2024/04/15م

سقف بيت الصلاة:-

وهو عبارة عن قبة مركزية امتاز بها الطراز العثماني ترتكز على جدران المسجد وتعتبر من أكبر القباب ويوجد بها أربع حنايا وكنية وكذلك يوجد بها ثماني فتحات للإضاءة والتهوية وتأخذ القبة شكل نصف بياضوي كما هو موضح في الصورة رقم (9) .



الصورة رقم (9) يوضح القبة المركزية من الخارج ومن الداخل
تصوير الباحث بتاريخ 2024/04/15م

ثالثا الزخارف الكتابات :-

يعتبر مسجد الباشا من المساجد الغنية بالزخارف، والتي تركزت في أسفل شرفة المئذنة، والتي تتمثل في صفيين من الدلايات الصغيرة.

الى جانب ذلك فإن النوافذ من الخارج تأخذ إطاراً زخرفياً بارزا يعلوها عقد نصف دائري مرتكز على دعامتين ، وكذلك المدخل فهو على شكل اطار مستطيل الشكل يعلوه عقد مزخرف بتجويف غائر وهو مرتكز على تيجان مستطيلة حول عقد دائري توجد به هلال ونجمه ، أما المحراب فتوجد به أربع زخارف منها كتابية تتمثل في حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا ﴿البسملة "بسم الله الرحمن الرحيم" والآية 238 من سورة البقرة بالإضافة الى كتابة دعائية هي "ما شاء الله" ، وأما الزخرفة الهندسية فتوجد خطوط اشعاعية في ﴿الله قانتين تجويف المحراب وأيضاً زخارف نباتية تتمثل في ثلاث وريادات في الإطار الخارجي للمحراب الذي تعلوه نجمة وهلال ، وأما زخرفة بلاطات القشاني الملونة فهي تتمثل في الجزء الخارجي والتي تحتوي على أطباق نجمية ، بالإضافة إلى كتابة أخرى موجودة أعلى مدخل المئذنة من خط الطغراء تتمثل في طغراء السلطان عبد الحميد وتاريخ 16 شعبان 1325 وهو تاريخ انشاء المئذنة وهي في عهد ولاية رجب باشا.

مواد بناء المسجد.

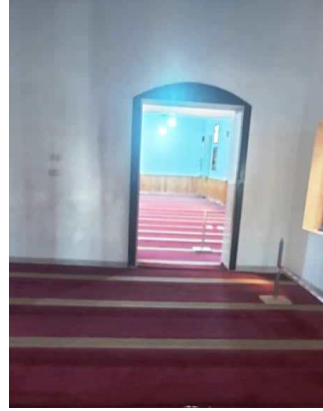
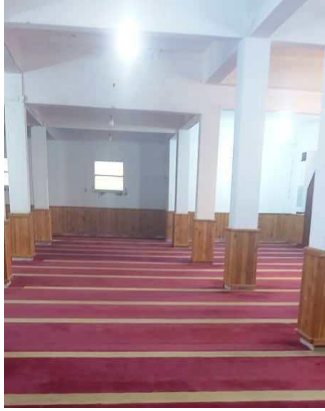
بني المسجد من الحجارة الصغيرة المخلوطة بالملاط وكذلك القبة ، فنلاحظ سماكة الجدران في بيت الصلاة والتي بلغت 80 سم تقريباً والتي تحمل عليها القبة أما المئذنة فبُنيت من الحجر وجميع جدران المسجد مطلية بطبقة من الملاط أما بالنسبة للرواق في الجهة الشمالية الشرقية لبيت الصلاة فقد بني حديثاً وهو من الاسمنت المسلح.

المتغيرات الانشائية التي حدثت على مسجد الباشا

لقد مرت على مسجد الباشا العديد من المتغيرات والإضافات وهذه المتغيرات والإضافات على المسجد تسببت في فقدان القيمة التاريخية الخاصة به والتي تنقص من أصالة عناصره المعمارية بالإضافة إلى وجود بعض التدخلات الخارجية والتي سببت تشويهاً بصرياً في المبنى(6).

أسباب المتغيرات بمسجد الباشا :

الانتشار والتوسع السكاني والذي أدى إلى خلق مساحات إضافية "توسعة" والتي جاءت نتيجة لضيق المسجد وكانت هذه الإضافة في الجهتين الشمالية والغربية والتي كان لها الأثر الواضح في استيعاب أعداد كبيرة من المصلين ، وقد تمت إضافة ملحقات الصلاة بدون الرجوع الى الهوية المعمارية أو الجمالية للمسجد كما هو موضح في الصورة رقم (10) وكذلك تم تغيير الميضأة التي كانت موجودة بجوار المئذنة وحيث أزيلت وأقيمت من الناحية الغربية للمسجد وأصبحت منفصلة عن المسجد وذات مدخل لوحدها وبنيت بمواد بناء حديثة غير المنشأ عليها المسجد



الصورة رقم (10) توضح التوسعة التي حدثت في بيت الصلاة تصوير الباحث بتاريخ 2024/04/15

(1) التطرف الديني والذي تعرض له التراث الثقافي. والذي لم يسلم منه مسجد الباشا وخاصة بعد انتشار السلاح والفوضى عقب اندلاع ثورة 17 فبراير والذي زاد فيه من وتيرة الاعتداءات على المباني والمساجد التاريخية حيث تعرض منبر المسجد إلى التهديم والإزالة واستبدل بمنبر خشبي تحت ذرائع دينية أو نتيجة لفكر متطرف فقد كان المنبر من أبرز المنابر التي اشتهرت بها العمارة العثمانية وهو عبارة عن منبر حجري ذو ثمان درجات وبسطة وبطن المنبر ثلاث فتحات تتدرج بالارتفاع كل فتحة تنتهي بعقد نصف دائري بوسط هذا العقد زخرفة نباتية يتركز على تيجان

مستطيلة وبمدخل هذه المنبر عقد مائل من الحجر يرتكز على عمودين حجريين وأعلى هذا العقد كتابة نصها ((لا إله الا الله محمد رسول الله)) ، وطبق نجمي وزخرفة نباتية وحول المنبر إطارين مستطيلين ، أما قبة المنبر فترتكز على أربعة أعمدة حجرية صغيرة تيجانها مستطيلة بكل ضلع من أضلاعها عقد مائل كما في الصورة رقم (11) .



**صورة (11) توضح صورة المنبر القديم
نقلا عن قوئل ارشيف الخمس**

(2) تحسين حالة المبنى من عوامل التلف الفيزيائية والتي حدثت دون دراية فتجد أنه ارتكبت العديد من الأخطاء عند إجراء تعديلات وصيانة للمسجد دون الرجوع الى القيم التاريخية والتراثية وطرق وأساليب الترميم العلمية الصحيحة والذي أدى الى تشويه المبنى التاريخي ، فنجد أن المسجد قد تمت عملية صيانه أكثر من مرة ومن السكان المحليين دون دراية بمبادئ صيانة وترميم المباني التاريخية فتجد أنه تم استخدام مادة الجرافيت في الجزء الخارجي للمسجد والذي أثر سلباً على الناحية البصرية والتاريخية للمسجد وكذلك استخدام مادة الاسمنت في أجزاء كثيرة منه وخاصة في أعمال اللياسة والذي سيؤثر سلباً على جدران المسجد حيث أن مادة بنائه من الحصى والحجارة الصغيرة .

(3) الترميم الخاطيء و المتعمد:- تمت على مسجد الباشا العديد من أعمال الصيانة و ذلك من فترات قديمة جداً فأقدم هذه الاعمال من الحرب الايطالية على ليبيا والتي أدت إلى تضرر مفئذنة (صومعة) الجامع حيث أطرت السلطات الايطالية إلى ترميم المفئذنة سنة 1913م وهذه ما أشارت إليه صحيفة *Domenica delcorriere* على غلافها والذي رسم الاحتفال بالمولد النبوي وباكتمال أعمال الترميم للمفئذنة كما في الصورة رقم (12) إلا أن هذه الأعمال لم تمس الناحية التاريخية للمسجد ولا الناحية البصرية إلا أن ما حدث من اعمال الترميم الخاطئة والمتعمدة مثل إزالة المدخل الذي يرفع إلى الأعلى إلى الخلوة و الموجودة في سقيفة المسجد وإزالته بالكامل وكذلك تلبيس كامل النوافذ بالرخام والأرضيات وإزالة البلاط الزخرفي القديم دون الرجوع إلى الهوية المعمارية ، كذلك تم إزالة النوافذ والأبواب الخشبية للمسجد والتي لم يبق منها الا باب خشبي واحد حيث استبدلت بأبواب ونوافذ من الألمنيوم والبي في سي والحديد لأن عملية الترميم عملية عالية التخصص تهدف الى الحفاظ والكشف للقيمة الجمالية والتاريخية مع احترام المادة الحقيقية الأصلية للمبنى.



الصورة رقم (12) توضح اكتمال عملية ترميم المفئذنة في مسجد الباشا
نقلا عن قوقل ارشيف الخمس

المتغيرات الانشائية على مسجد الباشا

ت	الحالة الجديدة	الحالة التي كان عليها	مكانه	سبب المتغير
1	توسعه بمسافة 12 متر في 8م في الجهة الشمالية المحاذية للمسجد مباشرة وتوسعة في الجهة الغربية بمسافة 14 × 12 م .	بيت الصلاة كان بمسافة مربعة	توسعة المصلى	الانتشار والتوسع السكاني
2	منبر من الخشب بتلات درجات بدون زخارف وبسيط.	كان المنبر من أفضل أنواع المنابر في العمارة الإسلامية العثمانية	المنبر	التطرف الديني
3	استخدام الاسمنت - استخدام مادة الفطران.	ملاط الجيري والحجارة	بيت الصلاة - النوافذ - الأبواب	تحسين حالة المبنى من العوامل الفيزيائية
4	استخدام الجرافيت و الاسمنت وإزالة بعض الأجزاء من المسجد مثل الدرج المؤدى إلى الخلوة الموجوده بسقيفة المسجد وكذلك استخدام البلاط الرخامي المصري استخدام أبواب ونوافذ من الألمنيوم والبي في سي	طبقة جيرية بيضاء من الملاط الجيري - أرضيات خزفية - نوافذ خشبية وأبواب	بيت الصلاة - السقيفة	الترميم الخاطئ

آلية الحفاظ على مسجد الباشا

ان عملية الحفاظ على المباني التاريخية الهدف منها الابقاء على الوضع الأصلي للمسجد التاريخي باتخاذ تدابير وقائية مع اجراء بعض الاصلاحات

الضرورية والمستعجلة لمنع المزيد من التدهور بأنواعه البيئية والبشرية

إن الحفاظ على المساجد التاريخية هي اصلاحها وفق معايير وأساليب علمية هدفها إطالة عمر المبنى التاريخي والحفاظ على الثقافة والخصائص الخاصة بالفترة الزمنية التي بنيت فيها.

مسجد الباشا: أنواع ومستويات الحفاظ التي يجب أن تستخدم في 1- الوقاية: -

وهي حماية المبنى التاريخي بالتحكم من منع عوامل التلف عن طريق مراقبة عوامل التلف والصيانة الدورية المستمرة والتحكم في درجات الحرارة والرطوبة والإضاءة داخل المسجد والتقليل من تأثير الملوثات الجوية والاهتزازات الناتجة عن حركة المركبات وخاصة ذات الاطنان الكبيرة، وكذلك التحكم في إتخاذ التدابير الوقائية في مراقبة المياه تحت

منه. المبنى بالرطوبة والذي حدثت في أجزاء كبيرة سطحية حتى لا يصاب

2- الحفاظ.

هو المحافظة على حالة المبنى وإجراء الإصلاحات والصيانة الدورية للمبنى باتخاذ التدابير اللازمة.

ويجب ان تهدف عمليات الحفاظ في مسجد الباشا على الآتي:

أن لا تؤثر عملية الحفاظ على مظهر المسجد وأصالته التاريخية.

حماية وصيانة المسجد نفس مواد البناء المستخدمة وتنفيذ طبقات من الملاط

حامية لعوامل التلف الفيزيائية.

تقوية مواد البناء وخاصة الهشة وإجراء تدخلات للحفاظ عليها وجميع هذه التدخلات يجب ان تكون موثقة

ومناسبة مع مواد وعناصر البناء الأصلية بصرياً وفيزيائياً بحيث يمكن التعرف عليها وتمييزها.

استكمال العناصر التالفة في المسجد و المهالكة بما تتلائم مع القديم وخاصة في النوافذ والأبواب والزخرفة التي

انتهت بالكامل وغيرت جميع زخرفتها.

3- التقوية :-

وهي الأعمال التي تتم بالمواد المقوية وذلك بحقنها وإدخالها في مادة الأثر مثل السيليكات التي تستخدم في امتصاص

الرطوبة وكذلك استخدام اللواصق والتي هي تدعمه لزيادة ديمومة المبنى التاريخي حيث استخدمت في سقف

المسجد من قبل شركة دوتش كولر سنة 2019 – 2020 عندما أقفلت المساجد أثناء وباء كورونا.

4- الترميم

ان عمليات الترميم التي قامت على مسجد الباشا كثيرة جداً و يجب أثناء عملية الترميم احترام المادة الأصلية (7)

والتي تهدف إلى الحفاظ والكشف عن القيم الجمالية والتاريخية وهو عمليه إظهار وإعادة شكل المبنى أو أحد

أجزائه إلى حالته السابقة وإعادة تجميع بعض الأجزاء دون استخدام مواد دخيلة على المبنى إلا أنه و حدث في

مسجد الباشا قد غير في الناحية الجمالية للمسجد والبصرية ولم يراعى فيها المادة رقم ((6)) من ميثاق البندقية

م(8) والذي تم فيه هدم المنبر والتوسعة: 1964

لم تراعى استخدام المواد الأصلية إلى جانب ذلك فأن عمليات الترميم التي تمت

• الاعتبارات الواجب مراعاتها أثناء عملية الترميم في مسجد الباشا:

الوقت المناسب. مراقبة المبنى بشكل دوري ليتم ترميمه في

توفير الدراسات العلمية الكافية التي من شأنها معرفة المبنى وتحديد عصره وكذلك مواد البناء المستخدمة.

التاريخي. التحديد الدقيق لأسباب التلف في المبنى
. توفير العناصر الفنية القادرة على التعامل مع أي عملية ترميم والصيانة بطرق صحيحة
ونشر الوعي ، بين الناس بأهمية مثل هذه - إلى هذه المباني وضع قوانين وعقوبات شديدة بحق من يتعرض
المساجد التاريخية.

المادة رقم (6)

أن صيانة مبنى تاريخي معين يتضمن الحفاظ على أي تركيب داخل المخطط وحيث ما وجد موضع تقليدي
فيجب الاحتفاظ به ويجب عدم السماح بإقامة بناء جديد أو هدم أو تحويل من شأنه ان يغير علاقات الكتلة
واللون .

الخاتمة

النتائج

- 1) ان منطقة الخمس تزخر بالعديد من المساجد التاريخية والتي تعبر عن إراث الثقافي و العصر الذى
أنشئت فيه.
- 2) أن أعمال الترميم التي تتم على المساجد التاريخية يجب أن تكون ذات خبرة وتأهيل نتيجة إلى
المشاكل التي تحدث نتيجة للافتقار ذلك.
- 3) إجراء الدراسات العلمية لمعرفة عمر المبنى التاريخي والعصر الذي ينتمي له حتى نتمكن من الحفاظ
على الأصالة والتاريخ.
- 4) عدم إشراف مصلحة الآثار وجهاز المدن التاريخية على أعمال الترميم التي تمت على مسجد
الباشا وما سببه من طمس للهوية التاريخية للمسجد.
- 5) جميع الإضافات التي تمت على المسجد وخاصة ملاحق الصلاة لم تأخذ في الاعتبار لهوية المسجد
وعناصره الجمالية.

التوصيات:-

- 1- إعادة النظر في استخدام المواد التي استعملت.
- 2- عدم استخدام المواد الدخيلة وخاصة في أعمال الליاسة وكذلك استخدام الجرافيت في الجزء الخارجي
واستخدام مواد تتماشى مع الناحية الجمالية والفنية للمسجد.

- 3- توثيق جميع أعمال الصيانة التي تتم على المسجد و معرفة حالاتها السابقة حتى تبقى مرجع للأعمال الصيانة القادمة.
- 4- معالجة التشوهات البصرية والمتمثلة في الأسلاك الكهربائية الممتدة في الجهة الجنوبية من المسجد والإضاءة.
- 5- عدم إجراء أي أعمال صيانة للمسجد بدون الرجوع إلى مصلحة الآثار أو جهاز حماية المدن والمباني التاريخية.
- 6- نشر الوعي بأهمية المحافظة على المباني التاريخية الدينية واستدامتها.

المراجع

- 1- حنان الطاهر الجرنازي - عمارة المساجد العثمانية وترميمها في مدينة طرابلس - ليبيا ، دراسة جمالية تاريخية - جامعة ملايا كوالالمبور ص ص 65-66
- 2- أبو عبد الله محمد بن خليل بن غليون الطرابلسي كتاب التذكار قيماً ملك طرابلس وماكان بها من الأخبار - تحقيق الشيخ طاهر الزاوي دار المدار الإسلامي ط1- بيروت لبنان 2004ص271.
- 3- مسعود رمضان شقلوف وآخرون موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا الدار العربية للكتاب،ج،1 - 1980 ص195
- 4- ماجد عبد الله أبو خطوة قباب العمارة الإسلامية في ليبيا - رسالة ماجستير غير منشورة جامعة المرقب، كلية الآثار والسياحة، ليبيا،ص165.
- 5- عبد السلام كمال ، مظاهر حضارية من الثقافة العثمانية ، BURUJBOOKS ، 2017، ص 264 .
- 6- عبد القادر ريحاوي (المباني التاريخية ، حمايتها وطرق صيانتها المديرية العامة للآثار والمتاحف دمشق سوريا 1978 ص8
- 7- سلمان أحمد المحاري - حفظ المباني التاريخية المركز الدولي للدراسة وصون وترميم الممتلكات الثقافية 2017- Iccrom الإمارات العربية المتحدة ص 149-150.
- 8- أحمد إبراهيم عطية - عبد الحميد الكافي حماية وصيانة التراث الأثري - دار الفجر للنشر والتوزيع 2003، ص66.

أساليب وتقنيات البناء والتجديد لجوامع مدينة غدامس القديمة

(دراسة مقارنة)

* حسن محمد عبدالحفيظ حمود¹، عبدالعليم يونس عبدالرحمن يونس²

¹ مراقبة آثار غدامس، غدامس، ليبيا

² قسم التقنيات الهندسية، المعهد العالي للعلوم والتقنية، غدامس، ليبيا

*hassan.ham1977@gmail.com

abdyay2018@gmail.com

ملخص البحث

تعتبر الجوامع والزوايا القرآنية من المعالم المهمة التي تزخر بها مدينة غدامس القديمة، حيث يوجد بها عدد خمسة جوامع رئيسية وعشرات المساجد والمصليات وكتاتيب تحفيظ القرآن، ويدل وجود هذا العدد الكبير لأماكن العبادة في هذه المدينة على الحيز الكبير الذي يشغله الوازع الديني لسكانها.

الجوامع القديمة التي تحتضنها المدينة أنشئت على فترات تاريخية مختلفة، فعند دخول الإسلام الى المدينة سنة (42هـ) على يد عقبة بن نافع الفهري، بنى أول جامع في المدينة وهو جامع وضريح عقبة ولم يتبقى من معالم هذا الجامع سوى المحراب وبعض الأعمدة الحجرية، بعد ذلك بعامين بنى جامع ورنوغن (الجامع العتيق) الذي يعد أكبر جامع في المدينة، كما توجد جوامع أخرى كجامع يونس وجامع عمران.

جميع هذه الجوامع بنيت بمواد بناء محلية خالصة تتمثل في أنواع مختلفة من التراب والصخور والأخشاب، واستخدمت فيها تقنيات غاية في البراعة والدقة ما جعلها قائمة وشامخة الى يومنا هذا، ولكن نظرا لعدم ديمومة هذه المواد مقارنة بمواد البناء الحديثة كالخرسانة وغيرها ونتيجة للظروف والعوامل المختلفة كالزمن والعوامل البشرية، فإن هذه المساجد تحتاج لصيانات بسيطة ودورية في بعض الأحيان، وفي ظروف خاصة كانت هذه الصيانات رئيسية أدت الى تغير بعض معالمها في بعض الحالات.

يقوم هذا البحث بعرض مواد واساليب البناء التي استخدمت في بناء هذه المساجد، كما تطرق الى عمليات التجديد التي أجريت لهذه المساجد خلال فترات زمنية متفاوتة وإجراء مقارنة بعد عمليات التجديد، وتحديد العيوب والمميزات لكل منها.

9. المقدمة

تقع مدينة غدامس القديمة في قلب الصحراء ويرجع عمرها لألاف السنين، وهي تحفة هندسية ومعمارية فريدة ومتميزة وتبلغ مساحتها (38) هكتار [1]، وتحتوي جميع المنشآت التي تتطلبها المجمعات الحضرية المنازل والأسواق والجوامع وغيرها، وهي مسقوفة بالكامل ومحاطة بسور خارجي وبوابات للحماية.

يوجد في المدينة ما لا يقل عن (28) من الجوامع والمساجد [1]، وعدد كبير من المصليات والزوايا القرآنية، وبنيت هذه المنشآت في فترات زمنية متفاوتة، وبالطراز المعماري الذي تتميز به المدينة، وقد أجريت لهذه الجوامع عمليات صيانة لعدة أسباب مثل تضررها بسبب الحروب التي شهدتها المدينة أو نتيجة لتلف اجزائها بسبب عامل الزمن، وتهدف هذه الدراسة لحصر المواد التي استخدمت في البناء وتوضيح أساليب البناء، إضافة لبيان الفرق في عمليات الصيانة والترميم بين مجموعة مختارة من الجوامع ومدى التغيير في المعالم الاصلية لها.

تركز البحث بشكل كبير على الجانب الهندسي، فبعد استعراض خبرة الباحثين، تم التطرق الى مواد البناء التي استخدمت في بناء الجوامع مع شرح مبسط لطرق الإعداد والتجهيز مع بيان استخداماتها، ولغرض إتمام البحث استهدفت ثلاثة جوامع أجريت لها عمليات صيانة وتطوير بطرق مختلفة كما تمت الإشارة بشكل سريع لطرق وأساليب البناء الصيانة التي استخدمت في هذه الجوامع، وأجريت عملية مقارنة للصيانات المنجزة في العصر الحديث، وأخيرا خلصت الدراسة الى بعض التوصيات بالخصوص.

2. الجانب العملي والمنهجية

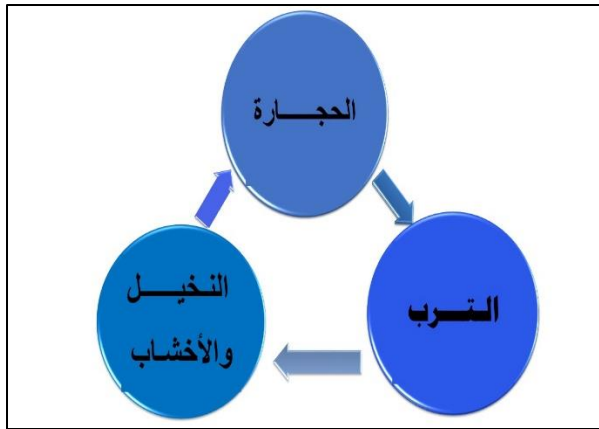
لم يحظ التراث الهندسي لمدينة غدامس القديمة بدرجة وافية من الدراسات والبحوث التي يمكن الاعتماد عليها في توثيقه حيث يلاحظ أن الدراسات المتعلقة بمواد وطرق البناء والجوانب المعمارية شحيحة جدا و لا تلي الطلب المتزايد لدى الطلبة و الباحثين في هذا المجال، لذا يحاول هذا البحث الاعتماد بشكل كبير على الجانب العملي من خلال الخبرات المتراكمة للباحثين في هذا المجال، مع الاستعانة بالدراسات السابقة، بالإضافة الى إجراء لقاءات مع بعض الفنيين ذوي الخبرة و الذين عاصروا بعض الصيانات التي أجريت، و يمكن تلخيص خبرة الباحثين في النقاط التالية:

1. العمل ضمن الكوادر الهندسية لمشروع إعادة تأهيل مدينة غدامس القديمة تحت إشراف منظمة اليونيسكو والذي تم من خلاله إعادة بناء العديد من المعالم المنهارة وإجراء صيانات رئيسية للعديد من المواقع المهمة إضافة للإشراف على إعداد كوادر محلية متخصصة في اعمال البناء والصيانة.

2. العمل كمستشار في جهاز تنمية وتطوير مدينة غدامس وجهاز المدن التاريخية بهدف إنشاء الية لضبط جودة مواد البناء المستخدمة في اعمال البناء والترميم في مدينة غدامس القديمة.
 3. الإشراف على العديد من مشاريع التخرج في المعهد العالي للعلوم والتقنية بغدامس والمتعلقة بطرق ومواد البناء في مدينة غدامس القديمة.
 4. نشر بعض الدراسات الأثرية والتقارير المتعلقة بالتراث الهندسي والمعماري لمدينة غدامس القديمة.
 5. العمل ضمن فريق متخصص لحصر وإعداد دراسات وتقييم المساجد القديمة في المواقع الأثرية لجبل نفوسة.
 6. المشاركة في اعمال الصيانة التي أجريت على بعض مساجد مدينة غدامس القديمة ضمن مشروع إعادة تأهيل مدينة غدامس القديمة تحت إشراف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP).
- ويشمل الجانب العملي من هذه الدراسة تحديد وتصنيف مواد البناء التي استخدمت في بناء الجوامع الموجودة في مدينة غدامس القديمة وكيفية إعدادها وتجهيزها، بعد ذلك تطرق البحث الى الأساليب الهندسية التي استخدمت في عمليات البناء، ثم إجراء مقارنة بين هذه الجوامع بعد عمليات الصيانة والترميم التي اجريت لها خلال فترات زمنية مختلفة، ويمكن بيان ذلك في النقاط التالية:

1.2 مواد البناء المستخدمة في بناء الجوامع

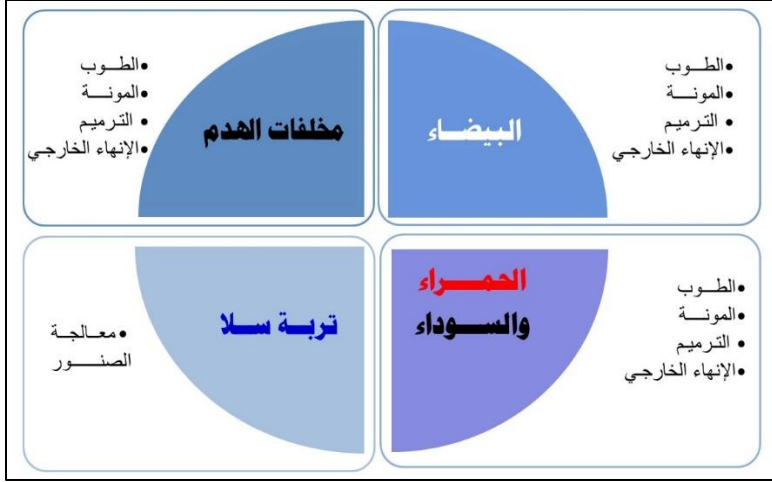
بنيت مدينة غدامس القديمة بكامل مرافقها من مواد بناء محلية تم استغلالها بطرق مثالية من حيث الاختيار والتجهيز والخلط والمعالجات، ويمكن تصنيفها الى ثلاث مجموعات رئيسية كما في الشكل (1)[2].



شكل رقم (1): تصنيف مواد البناء المستخدمة في بناء المساجد

1.1.2 التربة

تزرع مدينة غدامس بأنواع مختلفة من التربة لكل منها خصائصها من حيث اللون ودرجة التماسك وحجم الحبيبات وغيرها من الخواص الهندسية، وبناء على هذه الخواص حدد البنائون استخدام كلا من هذه التربة في البناء، ويبين الشكل (2) أنواع التربة التي استخدمت في بناء جوامع مدينة غدامس القديمة واستخدام كلا منها [2].



شكل رقم (2): أنواع التربة واستخداماتها في بناء المساجد

فالتربة البيضاء سميت بذلك لأنها ناصعة البياض، وتستخرج من أعماق بسيطة من سطح الأرض وهي أقرب للتربة الطينية لشدة تماسك حبيباتها، ولا تستخدم بشكل منفرد في أعمال البناء بل يتم خلطها بنسب معينة مع أنواع أخرى من التربة.

من ضمن التربة التي تتوفر في الواحة الترتين الحمراء والسوداء نسبة إلى الواحها، وتستخدمان عادة في أعمال الانتهاء الخارجي للأسوار الخارجية، انظر الشكل (3).



شكل رقم (3): انواع التراب (السوداء والحمراء والبيضاء)

من أكثر المواد استخداما في بناء الجوامع خليط التربة والذي يتكون من التربة البيضاء مع إضافة التربة الحمراء او السوداء وبنسب محددة (1 بيضاء: 2 حمراء) أو (1 بيضاء: 2 سوداء)، وتخلط هذه التراب مع بعضها جيدا، وتجمع على هيئة كومة وتشبع بالماء لأطول فترة زمنية ممكنة، ومن هذا المزيج يتم صناعة وحدات الطوب، وهي مادة البناء الأساسية التي بنيت بها جدران الجوامع، كما يستفاد من هذا المزيج كمونة (مادة رابطة) تقوم بربط وحدات الطوب عند البناء وفي اعمال الصيانة والترميم.

من ضمن مظاهر الاستدامة التي تنفرد بها مدينة غدامس القديمة هي إعادة استخدام نفس مواد البناء للمباني المنهارة في اعمال البناء الجديدة وفي اعمال الصيانة والترميم، حيث تفصل الشوائب كقطع الصنور والجبس والحجارة عن الهدم ويعاد استخدام التراب المكونة للجدران والاسقف من جديد في اعمال البناء. تتوفر في منطقة تونين القريبة تربة فريدة من نوعها تسمى تربة سلا، لونها أقرب للاصفرار وحببياتها دقيقة ومبعثرة وتشبه في قوامها مادة الدقيق، وتمزج هذه التربة مع مسحوق الفلفل ومنقوع التمر والملح وتطلى بها وحدات الصنور مباشرة قبل استخدامها في بناء الاسقف.

2.1.2 حجارة البناء

تعتبر الحجارة من اهم مواد البناء المستخدمة على مر العصور، ويرجع ذلك لصلابتها وتحملها للأحمال والظروف المناخية المختلفة، ويظهر ذلك جليا في الحضارات القديمة كالحضارة الفرعونية وغيرها. يوجد في نطاق مدينة غدامس أنواع مختلفة من حجارة والتي استخدمت في بناء المرافق المختلفة بما فيها الجوامع، ولكل منها صفات ولون وخصائص تختلف عن الأخرى، ويبين الشكل (4) أنواع الحجارة المستخدمة في بناء [2] جوامع مدينة غدامس القديمة.

الحجارة المنقوشة	الميلوس	أكروشو (أمرماج)	الجبس	الحمراء والصفراء
تيجان للأعمدة	الطلاء	الأقواس الدمس الترميم الطلاء السلالم	الأقواس الدمس البياض الترميم المشرفات السلالم	الأساسات الأعمدة الجدران الأرضيات

شكل رقم (4): أنواع الحجارة واستخداماتها في بناء المساجد

من أهم أنواع الحجارة التي استخدمت في بناء الجوامع هي الحجارة الحمراء والصفراء، وهي حجارة رسوبية شديدة الصلابة ولا تتأثر بالرطوبة وغيرها من العوامل المختلفة، انظر الشكل (5).



شكل رقم (5): الحجارة الحمراء والصفراء

تستخدم هذه الحجارة بشكل اساسي في بناء اساسات الجوامع والتي تكون عادة على أعماق صغيرة تحت سطح الارض في حال أن الجدران ذات ارتفاع بسيط، وفي حالة الجدران العالية فإن الأساس الحجري قد يرتفع مسافة لا تقل عن (1 متر) فوق سطح الأرض وفي حالات خاصة يكون الأساس بارتفاع الدور الأول، كما استخدمت هذه الحجارة في بناء الاعمدة الحجرية الموجودة داخل باحات الجوامع والتي تستند عليها الاقواس والدمس (القباب) التي تشكل السقف يضاف الى ذلك استخدام القطع الحجرية المصقولة في رصف ممرات الجوامع كما هو مبين في

الشكل (6).



شكل رقم (6): ممرات جامع يونس من الحجارة المصقولة

من ضمن مواد البناء الأساسية التي استخدمت في بناء الجوامع ودور العبادة في مدينة غدامس القديمة حجارة الجبس وتستخرج هذه الحجارة من موقعين محددين حول المدينة هما بئر بخاري جنوبي المدينة وموقع تيمشام الذي يوجد شمالي المدينة.

يستخرج الجبس الخام على هيئة كتل وتحرق بطريقة معينة لمدة لا تقل عن ثلاثة أيام ثم يطحن للحصول على مادة الجبس المستخدمة في عمليات البناء.

للجبس العديد من الاستخدامات المهمة في بناء الجوامع فالجبس هو المادة الأساسية المستخدمة في عمليات بياض (اللياسة) الجدران، ويستخدم كذلك في بناء الأقواس والدمس (القباب) الموجودة في مداخل وصحون الجوامع، كما يستخدم كمادة لاحمة في بناء الأعمدة الحجرية التي تستند عليها هذه الأقواس، يضاف إلى ذلك استعماله في بناء الشرفات العلوية التي تزين الأسطح العلوية لهذه الجوامع.

كما توجد في مدينة غدامس حجارة فريدة تسمى أمرماج (أكرشو)، وهي حجارة جيرية مسامية مليئة بالفراغات ، انظر الشكل (7). [3] وتشبه الاسفنج وخفيفة الوزن



شكل رقم (7): حجر الأمرماج (أكرشو)

يستخرج هذا النوع من الحجارة من مواقع محددة في المدينة وتوجد على أعماق بسيطة من سطح الأرض، ونظرا لخنفة وزنها فإنها تستخدم بشكل أساسي في بناء الأقواس والدمس الموجودة في الجوامع ويتم الربط بينها بمونة الجبس.

عند حرق هذه الحجارة على درجات حرارة عالية تتحول الى اللون الأبيض (مادة الجير) والتي تمزج بالماء لتطلى به الجدران الداخلية والخارجية للجوامع والذي يعطيها اللون الأبيض التي تنفرد به. وتستخدم كذلك حجارة الميلوس المبينة في الشكل (8) في تبييض الجدران وذلك بعد حرقها وطحنها ومزجها بالماء ولكن لا يفضل استخدامها لأنه غير ثابتة وسريعة التناثر ويلتصق بالملابس.



شكل رقم (8): حجر الميلوس الخام

عند الدخول الى بعض جوامع مدينة غدامس القديمة مثل جامع يونس، ستلاحظ الحجارة المستخدمة كتيجان للأعمدة الموجودة داخل الجوامع، وهي تحوي نقوش مميزة، انظر الشكل (9).



شكل رقم (9): الحجارة المنقوشة

هذه النقوش فريدة وتتميز بمستوى عال من المهارة الحرفية في التشكيل والجودة، ويعتقد ان مصدرها بقايا القلاع ، فسكان المدينة لم يعرف عنهم الاشتغال بحرفة [3] والمعابد مثل كنيسة مقدول والتي يرجح انها آثار رومانية النحت.

3.1.2 مشتقات النخيل والاشخاب

تقع مدينة غدامس في واحة خضراء تحيطها صحراء قاحلة، وهي ذات غطاء نباتي محدود ويتكون أساسا من أشجار النخيل إضافة لبعض الأنواع الأخرى كالزيتون والرمان والمشمش. ولا يخفى على أحد أن النخلة شجرة مباركة ذكرت في القران الكريم في عدة مواضع، وعرفت أهميتها في الحضارات القديمة في الشرق الأوسط وشمال افريقيا من خلال الشواهد القديمة. فالنخلة بكامل اجزائها كالجذع (الصنور)، والجريد والسعف والثمار وغيرها تدخل في جميع مناحي الحياة اليومية لسكان المدينة، كالبناء والصيانات والصناعات اليدوية وكغذاء ووقود، وفي هذه البحث سيتم التركيز على استخدام النخلة واجزائها في عمليات البناء المختلفة وخصوصا الجوامع، ويبين الشكل (10) استخدامات مشتقات النخيل والاشخاب والمواد العضوية في عمليات بناء الجوامع.



شكل رقم (10): استخدامات مشتقات النخيل والاخشاب والمواد العضوية

إن جذع النخلة (الصنور) هو الجزء الأهم من النخلة والذي يستخدم بشكل أساسي في بناء أسقف الجوامع، ويستخدم لذلك أصناف معينة تتميز بصلابة عالية جدا مثل (التمودي والتيسويين والمدغوية)، ويتم تجهيز وحدات الصنور حسب التسلسل التالي:

1. قطع النخلة المستهدفة وإزالة الجزء العلوي منها وقطعها الى الأطوال المطلوبة.
2. شق جذع النخلة الى نصفين متساويين فنحصل على صنورتين لكل جذع.
3. إزالة اللحاء الخارجي.
4. تترك قطع الصنور لتجف لفترة زمنية (6 - 12) شهرا، ويبين الشكل (11) قطع الصنور في وضعية التجفيف.



شكل رقم (11): صنورات في وضعية التجفيف

للصنور استخدامات أخرى في بناء الجوامع ويتمثل ذلك في صناعة الأبواب وكأعتاب للأبواب والنوافذ وترميم الشقوق وصناعة السلام، ويستفاد من الأنواع الأقل جودة منها كوقود في عملية حرق وإنتاج الجبس. من ضمن أجزاء النخلة المستخدمة في البناء وحدات الجريد والتي ترتب فوق وحدات الصنور وبشكل متعامد عليها وترتبط ببعضها بحبال رفيقة مصنوعة من ليف النخيل. بعد الانتهاء من وضع وحدات الجريد تفرش فوقها طبقة سعف النخيل الجاف لزيادة ملء الفراغات وللمحافظة على مونة السقف اثناء عملية الصب.

تستخدم الاخشاب المتوفرة في الواحة بشكل أساسي كدعامات في صناعة ابواب الجوامع وفي صناعة اقفال الأبواب الخاصة بها.

تشير بعض المصادر الى استخدام السماد العضوي (روث الحيوانات) كمادة مضافة لخليط التربة المستخدمة في انتاج وحدات الطوب وكمونة في البناء حيث يزيد من قابلية التشغيل ويقلل من عملية امتصاص الماء.

2.2 الجوامع المستهدفة

تزخر مدينة غدامس القديمة بالعديد من الجوامع والمساجد والمصليات والزوايا القرآنية والتي تنتشر في كامل أجزاء المدينة وقد أنشئت هذه المرافق في فترات زمنية مختلفة تتراوح من آلاف الى مئات السنين، وبنيت أساسا من مواد البناء المحلية المشار إليها في الفقرة السابقة من هذا البحث، إلا انها قد أجريت لها عمليات صيانة رئيسية ادت في بعض الأحيان الى تغيير كبير في المعالم الرئيسية لها، وسيختصر هذا البحث على ثلاث جوامع هي كالتالي:

1.2.2 جامع ورنوغن (الجامع العتيق)

ويعد أكبر وأقدم جامع في المدينة ويقع في شارع وليد، وبنى سنة (44 هـ)، ويسمى جامع ورنوغن نسبة الى [4] الشخص الذي بناه ويسمى ورنوغن بن واجليلد بن معطوس

بنى هذا الجامع بالطراز المعماري للمدينة، وفي العصر الحديث أجريت له صيانة كبيرة سنة (1943 م)، بعد تدمره في الغارة الجوية الامريكية الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية، تم تكررت عمليات الصيانة سنة (1970م).

يتكون هذا الجامع من عدة عناصر كبيت الصلاة والفناء ومصلى النساء والمطاهر، ويتميز بوجود مفذنتين [4] وثلاثة مداخل

2.2.2 جامع يونس

وهو من الجوامع الكبيرة في المدينة ويقع في شارع تنقرين، وتشير اللوحة الموجودة عند مدخله انه بنى سنة (800هـ) وتشير المصادر التاريخية المتوارثة الى أن سبب التسمية يرجع للشخص الذي تبرع بقطعة الأرض التي بنى . [5] عليها الجامع ويرجع الى عائلة يونس

بنى هذا الجامع بالطراز الهندسي الغدامسي، وتشير الكتابات الموجودة في سقف بيت الصلاة الى تاريخ عمليات الصيانة التي أجريت له سنة (1953م)، وهو يحوي العديد من المرافق كبيت الصلاة والمطاهر والفناء ومصلى . [4] النساء والزواوية القرآنية، ومئذنته مشاهمة لمئذنة جامع ورنوغن بشكل كبير وله مدخلان

3.2.2 جامع عمران

، [4] ويعرف بجامع جرسان نظرا لوجوده في الشارع الذي يحمل نفس الاسم، وبنى هذا الجامع سنة (346 هـ) وسمى جامع عمران بهذا الاسم نسبة الى عمران الفقيه وابنه اللذان قاما ببنائه، وجدد هذا الجامع بشكل كامل في نهاية الستينيات ويتكون من بيت الصلاة والفناء ومصلى النساء ومئذنته ذات طراز معماري حديث وله بابان.

3.2 تسلسل عمليات البناء

عند بناء الجوامع في مدينة غدامس القديمة يتبع نفس التسلسل المستخدم في وقتنا الحالي في البناء، و يشرف على ذلك عادة بناؤون مشهود لهم بالخبرة والكفاءة، و يقوم هذا المشرف و الذي يستحق لقب (مهندس) بتعيين مساعدين رئيسين من اختياره، و يقوم هذا المشرف بداية بتحديد بنود الاعمال ثم يقوم بالبحث عن مواد البناء المطلوبة والتأكد من جودتها و كمياتها، و عندما تكون كميات الاعمال صغيرة مثل بناء قوس، يقوم بما المشرف مع مساعديه فقط، و في حالة الاعمال الكبيرة مثل بناء الاسقف أو الجدران العالية تتم الاستعانة بالأهالي ضمن إطار العمل الجماعي التعاوني، و يمكن اختصار تسلسل عمليات البناء في النقاط التالية:

1.3.2 بناء الاساسات والأعمدة

تعتبر الاساسات من الأعضاء الانشائية المهمة في المباني، فيجب ان تبني من مواد ذات جودة عالية وصلبة ومتينة ومعمرة، بحيث تقوم بنقل احمال المبنى الى الأرض الطبيعية دون حدوث مشاكل مستقبلا كالهبوط، إن اساسات الجوامع في مدينة غدامس القديمة بنيت من الحجارة المذكورة في الفقرات السابقة في هذا البحث، و تبدأ عملية البناء بحفر موقع الأساس الى أعماق صغيرة ثم يتم وضع الحجارة بترتيب معين بحيث تكون متداخلة ومعشقة بشكل جيد لمنعها من الانزلاق، وفي حال بناء الجدران فإن الأساس يكون على كامل طول الجدار و هو

ما يسمى هندسيا بالأساس الشريطي مع ضرورة ان يكون الأساس مرتفع عن سطح الأرض عدة سنتمترات لمنع انتقال الرطوبة الى الأجزاء العلوية للجدران الطوبية كما هو مبين في الشكل (12).



شكل رقم (12): أساس شريطي مرتفع عن سطح الأرض

عندما يكون المبنى مرتفع لأكثر من دور فإن الأساس في هذه الحالة قد يكون بارتفاع متر أو أكثر فوق سطح الأرض أو أحيانا يكون بارتفاع الدور الأول للمبنى لزيادة تحمله. في حالة الأعمدة الموجودة في داخل بيوت الصلاة فإنها تبنى على قواعد منفصلة أي لكل عمود قاعدة خاصة به ويرتفع العمود من قاعدته باستخدام نفس الحجارة، مع ملاحظة استخدام مادة لاحمة كالجبس لزيادة قوة الترابط بين وحداتها ولتقوم بتحمل وزن السقف المستند عليها بالشكل الأمثل.

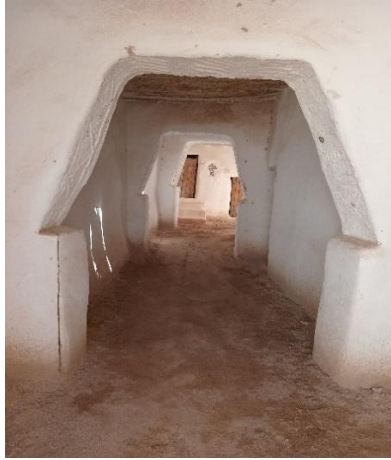
2.3.2 بناء الجدران

تبنى عادة جدران الجوامع من وحدات الطوب المستخدمة في أعمال البناء في مدينة غدامس القديمة و التي عادة ما تكون بأبعاد (40 * 30 * 10 سم)، مع استخدام مونة من نفس الخليط الذي صنعت منه وحدات الطوب، عند البناء يراعى أن يكون عرض جدران الأدوار السفلية للجوامع ذات سمك كبير و يكون عادة بعرض طوبة أو أكثر، و كلما ارتفع الجدار قل سمكه الى ان نتحصل على جدران رقيقة في اسطح الجوامع، إن عملية البناء بالطوب لها معايير و متطلبات خاصة خلص اليها سكان المدينة نتيجة الخبرات المتراكمة من آلاف السنين، فمثلا لا يتم بناء أكثر من خمس صفوف في اليوم الواحد، كما تترك لتجف لأطول فترة زمنية قبل المباشرة في بناء

الطبقات الجديدة للتقليل من عملية الانكماش الحجمي كما أنه يفضل ان يتم البناء في فصل الشتاء بدلا من الصيف فالجدران المبنية في الشتاء أكثر صلابة و تماسكا لأن المونة تجف في هذه الحالة بشكل بطيء جدا مما يقلل من الاجهادات الداخلية التي تتسبب في ظهور التشققات والانفصال ومن ضمن الملاحظات المهمة في المدينة وقف عمليات بناء المباني الطوبوية في فصل الخريف بسبب تعرضها للتآكل والتفتت بسبب الرطوبة.

3.3.2 بناء الأقواس والدمس (القباب)

يمكن تعريف القوس بأنه عنصر هيكلي منحنى يتركز على دعامتين، وللأقواس أشكال وأبعاد وتصاميم عديدة، والقوس الغدامسي فريد من نوعه ويتميز بأنه مسطح أي أفقي من الأعلى، انظر الشكل (13).



شكل رقم (13): القوس الغدامسي

ومن ضمن العناصر الإنشائية التي تتميز بها العمارة الغدامسية ما يعرف محليا بالدمس (القباب)، وهي من ضمن أنواع الاسقف المستخدمة في بناء الجوامع والمساجد في المدينة مثل جامع يونس، انظر الشكل (14).



شكل رقم (14): سقف من الدمس في جامع يونس

يتم بناء الاقواس والدمس بنفس المواد والتقنيات، وهي تبنى أساسا من مادتي الجبس وحجارة الأرمماج (أكرشو) الخفيفة الوزن للتقليل من الوزن الذاتي لها، ويمكن إنجاز عملية بناء القوس في النقاط التالية:

- 1- بعد بناء العمودين اللذين يرتكز عليه القوس يتم تصميم القالب الابتدائي للقوس وتشكيله حسب المطلوب وتثبيتته بين العمودين.
- 2- يتم إنهاء القالب وعمل شكله النهائي بمونة البناء، ويتم تزيينه ببعض الزخارف المحلية وكتابة البيانات التي تتمثل عادة في اسم الأشخاص الذين قاموا ببنائه وتاريخ البناء، ثم ترش طبقة من الرمل الناعم على المونة لمنع التصاق الجبس بها.
- 3- يتم مزج الجبس مع الماء وصبه فوق كامل القالب بطريقة سريعة وبدون توقف لتكوين طبقة الفرش الأولى ثم يتم البدء في وضع قطع حجر الأرمماج بداية من جانبي القوس انتهاء الى قمته، للحصول على جسم القوس مع استخدام مونة الجبس كمادة رابطة.
- 4- بعد الانتهاء من عملية البناء يتم نزع القالب السفلي مباشرة فنتحصل على القوس المطلوب.
- 5- إن طريقة بناء الدمس مشابهة تماما لعملية بناء القوس، ويكمن الفرق في المساحة الكبيرة التي يغطيها الدمس كما أنه يحتاج لكميات كبيرة من الجبس وحجارة الأرمماج، إضافة لعدد أكبر من الأيدي العاملة للمساهمة في خلط وفرش مادة الجبس السريعة التصلب.

4.3.2 بناء الأسقف

إن أغلب أسقف المباني في مدينة غدامس القديمة بما فيها الجوامع والمساجد والمباني والشوارع بنيت بوحدات

السنور ومونة البناء، ويمكن تلخيص عملية بناء هذا النوع من الاسقف في النقاط التالية:

- 1- بعد تحديد موقع العمل يتم تجهيز وحدات السنور المطلوبة بناء على عدة معايير كنوع النخلة ودرجة الجفاف والطول المطلوب، ويتم وضع وحدات السنور في الاتجاه القصير للسقف مع مراعاة ألا يقل طول السنورة الواحدة على طول الفضاء المحدد مضافا اليه ما لا يقل عن (30) سم من الجهتين لتثبيتته في الحائط.
- 2- يتم تثبيت وحدات السنور على السقف بحيث تتراوح المسافة بين سنورتين (60- 90) سم. وملئ الفراغات في الجدران بينها لمستوى وحدات السنور لتسهيل عملية تثبيت قطع الجريد، انظر الشكل (15).



شكل رقم (15): تثبيت سنورات السقف

- 3- في بعض الحالات ولزيادة الناحية الجمالية للسقف يتم عمل مربعات من الجريد على كامل السقف، كما هو مبين في الشكل (16)، بعدها يتم عمل فرشاة من قطع الجريد وبطريقة معينة بحيث تغطي كامل السقف، انظر الشكل (17).



شكل رقم (17): تثبيت جريد السقف



شكل رقم (16): عمل مربعات السقف

4- بعد الانتهاء من ترتيب قطع الجريد يتم عمل فرشة من سعف النخيل على كامل السقف للتقليل من تسرب مياه المونة اثناء الصب، بعدها يتم صب المونة المتمثلة في نفس مونة البناء على كامل السقف ولسمك لا يقل عن (30) سم للحصول على سقف ثابت ومتمين، واثناء الصب يتم دمك المونة باستخدام الكرناف وهي نهايات الجريد العريضة للتقليل من الفراغات ولزيادة كثافة السقف ليصبح مقاوما لتسرب المياه، انظر الشكلين (18) و (19).



شكل رقم (19): السقف المصبوب من الأسفل



شكل رقم (18): صب مونة السقف

5- بعد جفاف السقف يتم تجهيز مونة الجبس وعمل ميول لتصريف مياه الامطار.

5.3.2 بناء الأسطح والشرفات

كما ذكرنا سابقا فإن سمك الجدران المبنية من الطوب تكون بعرض أكبر في الأدوار السفلية للمباني لزيادة تحملها، ويقل كلما ارتفعنا في البناء للتقليل من الوزن الذاتي للمبنى، فالجدران الموجودة في أسطح الجوامع تكون بعرض طوبة وفي النهاية العلوية للجدران يتم تثبيت الطوب بشكل طولي، وبنفس الوضعية يتم بناء الشرفات الفريدة المثلثة الشكل الموجودة في زوايا الجوامع، مع ملاحظة استخدام مونة الجبس كمادة رابطة.

3. النتائج

بنيت الجوامع في مدينة غدامس القديمة بنفس المواد والأساليب المتبعة في مدينة غدامس القديمة، وتعرضت جميعها لعمليات صيانة وترميم في فترات زمنية مختلفة ولأسباب متنوعة، ويمكن تقسيم عمليات الصيانة الى نوعين أساسيين هما:

- 1- الصيانات البسيطة: ويتم إجراؤها بشكل دوري ومتواصل وهي أعمال بسيطة لا تتطلب كميات كبيرة من مواد البناء ولا تحتاج لخبرات فنية كبيرة ولا تؤثر على المعالم الرئيسية للجامع، ويرجع السبب الرئيسي لهذه الصيانات لعدم الديمومة العالية للمواد المستخدمة في البناء وتأثرها بالعوامل المختلفة كالرطوبة والعوامل المناخية، ومن هذه الصيانات ترميم الشقوق واعمال البياض وتغيير وحدات الصنور التالفة.
- 2- الصيانات الرئيسية: وهي صيانات تجرى على فترات زمنية طويلة، وتحتاج لكميات كبيرة من مواد البناء، ويشرف عليها البناؤون ذوي الخبرات العالية، وقد تؤدي عادة الى حدوث تغيرات في المعالم الرئيسية، وتجري هذه الصيانات لأسباب مختلفة كتعرض الجامع للهدم كما في حالة جامع ورنوغن، أو لغرض التوسعة والتطوير كما في جامع عمران.

عمليات الصيانة في جامع ورنوغن حافظت على الشكل الأصلي للجامع بدون إجراء أي تغييرات رئيسية ما عدا بناء خزان الماء من الخرسانة في فناء الجامع، بينما البعض من اعمال الصيانات أدت الى تغييرات واضحة في بعض المعالم الرئيسية، ففي جامع يونس تم تغير نوع السقف بالكامل من سقف مبني من الصنور الى سقف من الدمس، كما تم تغيير موقع وشكل المئذنة وإضافة حمامات من الخرسانة المسلحة، لقد أدت عمليات الصيانة والتطوير في جامع عمران أدت الى تغيير معالم الجامع بشكل كامل، فقد تم هدم الجامع الأصلي، ولغرض توسعته تم ضم الشارع الملاصق للجامع ومسجد سايبير القريب منه، وشملت عملية التطوير إعادة بناء بيت الصلاة بمواد بناء حديثة من الطوب الاسمنتي والخرسانة المسلحة كما اعيد بناء المئذنة بنمط معماري حديث مخالف للنسق المعماري الخاص بمدينة غدامس القديمة.

من أكثر الصعوبات المتعلقة بهذا البحث عدم وجود قاعدة بيانات دقيقة وموثقة لتواريخ الصيانات والترميمات للجوامع المستهدفة في هذا البحث، عليه في هذه المرحلة من البحث تم الاعتماد على البيانات المتحصل عليها من كبار السن الذين عاصروا هذه الاعمال، ونود الإشارة لشخصية مهمة كان لها الأثر الكبير في عمليات البناء والصيانة الرئيسية في منتصف القرن الماضي خصوصا جامع ورنوغن وجامع يونس، وهو السيد أحمد السنوسي البوصيري، الذي كان مثالا على العبقرية الهندسية التي يتمتع بها سكان المدينة، فقد اشرف بشكل مباشر على آخر اعمال الصيانات الرئيسية لهذين الجامعين، ويبين الجدول التالي بعض نقاط المقارنة لعمليات الصيانة والترميم للجوامع المستهدفة في هذا البحث.

جدول رقم (1): مقارنة لعمليات الصيانة والتطوير لعدد من الجوامع

ت	وجه المقارنة	الجامع ورنوغن	جامع يونس	جامع عمران
1	تاريخ البناء [4](ميلادية)	662	1397	957
2	[4]العمر الحالي	1350	627	1067
3	الموقع (الشارع)	تصكو	تنقزين	جرسان
4	مساحة بيت الصلاة [4](متر مربع)	202.8	178.5	131
5	تواريخ الصيانة الحديثة.	1943 م	1943 م	خمسينيات القرن الماضي.
			1952م	ستينيات القرن الماضي.
6	اسباب الصيانة.	الغارة الامريكية في الحرب العالمية الثانية.	1. التاثر بالغارة الامريكية. 2. التطوير والتوسعة.	1. توسعة. 2. تطوير.
7	الصيانات التي أجريت.	1. إعادة بناء معظم بيت الصلاة. 2. بناء خزان الماء الاسمنتي.	1- تغيير بيت الصلاة بالكامل. 2- تغيير موقع المئذنة. 3- تغيير نوع السقف. 4- بناء الحمامات.	1. توسعة. 2. بناء بيت الصلاة من الخرسانة. 3. إعادة بناء المئذنة.
8	المواد المستخدمة في الصيانة.	1. مواد البناء التقليدية 2. استخدام الاسمنت في بناء خزان الماء.	1. مواد البناء التقليدية. 2. استخدام الاسمنت في بناء الحمامات.	1. استخدام الاسمنت في بناء بيت الصلاة وملحقات الجامع.

9	نسبة التغير في معالم بيت الصلاة.	0.00%	50%	100%
10	نسبة استخدام مواد البناء الحديثة في بناء الجامع.	8%	23%	100%

4. الخاتمة والتوصيات

إن جميع الجوامع الموجودة في مدينة غدامس القديمة تعتبر في حالة جيدة وهي قيد الاستخدام، بفضل الجهود التي بذلت والتي تبذلها الجهات ذات العلاقة، ونود أن نورد في هذه المرحلة من البحث بعض النقاط التي من شأنها المساهمة في الحفاظ على هذا التراث الإنساني بطريقة مثالية ولضمان ديمومته، ومنها يلي:

1. إلزام الجهات التي تقوم بعمليات الصيانة للجوامع في مدينة غدامس القديمة بعدم استخدام مواد البناء الحديثة فمواد البناء التقليدية اثبتت جدارتها وكفاءتها.
2. التركيز على الصيانات البسيطة وبشكل دوري، فهي تقلل من الأضرار الجسيمة التي تؤدي الى صيانات عالية الكلفة.
3. إنشاء قاعدة بيانات تاريخية وفنية لجوامع ومساجد المدينة بشكل خاص ولجميع مباني المدينة بشكل عام ليسهل على الباحثين الحصول على بيانات أكثر دقة وموضوعية.
4. عمل تحاليل إنشائية معمقة لجوامع المدينة القديمة وتحديد حجم الاحمال وأنواعها وطريقة انتقالها بين الأعضاء الإنشائية ومقارنة ذلك بالمباني الحديثة.
5. العمل على تدريب وتأهيل كوادر محلية على أساليب البناء من خلال دورات متخصصة، لغرض نقل التقنيات من جيل الى جيل.

المراجع

- [1] إحصائية برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مكتب مدينة غدامس القديمة. [1]
- [2] عبدالعليم يونس عبدالرحمن يونس، توظيف المواد المحلية في بناء مجمعات حضرية متكاملة (مدينة غدامس نموذجاً) ، المؤتمر العلمي الدولي حول تراث غدامس، العمارة الصحراوية في مدن شمال و غرب افريقيا، غدامس، ليبيا، 2023م، الصفحات (4-7-6-8).
- [3] Romain Anger, Laetitia Fontaine, BULDING MATERIALS & PRACITIES IDENTIFICTION, OLD TOWN OF GHADAMES, LIBYA, CRATerre-ENSAG, pages(85-27).
- [4] علي مسعود البلوشي، سعيد علي حامد، صالح ونيس، أشرف محمود، و آخرون. موسوعة الآثار الإسلامية [4] في ليبيا. الجزء الثاني. منشورات مصلحة الآثار وجمعية الدعوة الإسلامية، الصفحات (77-84-85-87-95-112).
- [5] عبدالباسط الطاهر يدر، بحث بعنوان جوامع المدينة القديمة بـغدامس، مراقبة آثار غدامس، الصفحة (9).

مساجد تاريخية تم الحفاظ عليها بنجاح

جامع يدر الغوط مصراته أنموذجاً- دراسة حالة

د.إكرام البشير الجمل

أستاذ مساعد/ قسم السياحة والآثار كلية الآداب جامعة مصراته

e.aljamal@art.misuratau.edu.ly

الملخص:

يعد الحفاظ على التراث الحضاري جزءاً لا يتجزأ من عملية الحفاظ على الهوية الإنسانية وتعد عملية الحفاظ على المباني التاريخية عملية متكاملة العناصر يجب أن تطبق بجميع جوانبها، فمن غير المنطقي ان نعتبر الترميم وحده كافياً للحفاظ على المباني ، ولكن ما يوفر الحماية الحقيقية للمبنى هو إعادة توظيفها بعد ترميمها بوظيفة التي أنشئ من اجلها أو في وظيفة جديدة تتوافق مع التصميم الداخلي للمكان ومساحته، وكذلك موقعه وطابعه الحضاري، مع عدم المساس بقيمته وخصوصيته.

حيث يعتبر المباني التاريخية إرث حضاري يجب الحفاظ عليها للأجيال القادمة لأنها تربط المجتمعات

بتاريخها، ويوفر الحفاظ على المباني التاريخية فوائد اقتصادية وثقافية واجتماعية كبيرة،

وفي هذا البحث نتناول بالحديث أحد المساجد التاريخية بمدينة مصراته والذي أسس خلال القرن السابع عشر

الميلادي فترة الحكم العثماني لليبييا، وهذا المسجد من المساجد المعروفة والقديمة بالمدينة وتمت به العديد من

التوسعات والاضافات، يضم زاوية تعليمية لاتزال تؤدي دورها حتى الان.

ستتناول الدراسة أهمية المباني التاريخية بصفة عامة والمساجد بصفة خاصة، مؤسس المسجد والظروف التي مرت

بها خلال الفترات التاريخية المختلفة، مراحل ترميم وتوسعة المسجد، دور الأهالي في الحفاظ عليه، المواد التي

استخدمت في ترميمه وصيانته، شكل البناء وهل وجدت اختلافات بين شكل المسجد قبل وبعد الترميم

والصيانة، لماذا أنشئ هذا المسجد ومن كان مؤسسه، ولماذا سمي بالقوط؟ والدور الذي قام به المسجد، وهل كان

دوره تعليمي ديني فقط ام انه اضطلع بأدوار أخرى.

الغرض من هذه الورقة هو تحديد كيفية مساهمة ترميم وصيانة المباني التراثية (المساجد) في مدينة مصراته في

تنمية المجتمع المحلي وفرصة زيادة الوعي بالإرث الحضاري للمدينة، وكيف ساهمت هذه المساجد والمسجد موضوع

الدراسة فالرقي بالعملية التعليمية وما اداه من أدوار في مختلف مراحلها.

إشكالية الدراسة:

تكمن إشكالية الدراسة في الإجابة على السؤال التالي: هل ساهمة عمليات الترميم والصيانة لجامع يدر الغوط في حفاظه على معالمه ودوره خلال العقود المختلفة؟ وهل لا يزال يتمتع بنفس المكانة التي كانت له، وكيف يمكننا من خلال الترميم والصيانة الحفاظ على ارثنا الحضاري

المنهج المتبع:

أتبع الباحث المنهج التاريخي السردى لسرد الاحداث والوصفي في وصف المبنى وتحليل المعلومات المتوفرة بالخصوص.

الكلمات المفتاحية:

يدر، الغوط، مسجد، ولي، ترميم

مقدمة:

مدينة مصراته كانت خلال العصور الإسلامية الأولى جزء من ولاية طرابلس الغرب، وقد مرت بفترات من الازدهار منذ أوائل العصر العباسي أثناء حكم الاغالبية للمغرب الأدنى، واستمر التوسع العمراني حتى القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، ونستف ذلك مما ذكره الرحالة بوصفهم لمينائها (ميناء قصر أحمد) وانه كان حلقة الوصل بين افريقية وسواحل أوروبا وغيرها(66).

خلال العصر العثماني الثاني أصبحت مصراته ثاني المراكز التجارية والعمرانية في ولاية طرابلس الغرب(67). تبقى لنا في مدينة مصراته من العمائر الدينية للعصور الإسلامية مالا يتجاوز عشرين مؤسسة منها جامع يدر الغوط (موضوع الدراسة)

ورد ذكر المسجد في القرآن الكريم في العديد من المواضع بلفظ مسجد وبيت ومساجد تصل ل 28 مرة، كما جاء مصطلح مسجد في بعض الأحاديث النبوية، حيث يُشكّل المسجد وجه المجتمع الإسلامي وقلبه وهو وجهه بقببه العالية ومآذنه المرتفعة يضيف جواً خاصاً في المجتمع ويظهر هوية هذا المجتمع، ومن المشكلات

(66) نجم: أحمد يوسف و إحسان عباس، ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات(بنغازي،1968م)ص 82.
(67) نكر الحشائشي في معرض حديثه عن مصراته(هذا البلد العظيم من أعمال طرابلس يقال له مسراته بينه وبين البحر اثني عشر كيلومتر، وهواءه جيد للغاية ومأوه جيد وأرضه خصبة...) ينظر الحشائشي: محمد بن عثمان، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تقديم علي مصطفى المصراطي(بيروت، 1965م) ص184.

الأساسية في المجتمعات الإسلامية مشكلة ضياع الهوية وإنكار الذات وتقليد الغير فهذه المآذن والقباب بمجرد وجودها تعطي هوية المجتمع (68) .

فقد كانت المساجد مراكز اتصال بين أفراد الجماعة الإسلامية، بالإضافة لكون الجامع أو المسجد ملتقى للمسلمين يلتقون ويجتمعون به ويتعرف بعضهم على بعض بالإضافة لكونها مراكز لنشر الدعوة الإسلامية(69). ومن أهم السمات التي تميز العمائر الإسلامية الليبية التي ترجع إلى ما قبل العهد العثماني الأول وخلالها (1551- 1711م) افتقارها إلى الشراء الزخرفي، ومع مجيء العثمانيين أختلف الأمر إلى حد كبير حيث أخذ الاهتمام بالجانب الزخرفي يزداد حتى بلغ أوج ازدهاره خلال العصر القرمانلي 1711-1835م(70).
حث الإسلام على بناء المساجد لأهميتها، كذلك بقدر أهمية بناء المساجد تأتي أهمية الترميم والصيانة، وعلى اعتبار أن هذه المباني عند تشييدها تحتاج إلى دقة وفن في البناء والنحت والنقش، فإنها تحتاج كذلك إلى دقة وخبرة عالية وخلفية ثقافية في الترميم والصيانة حتى لا تتشوه ولا تتغير معالمها وهويتها الأصلية.
لذلك يتناول هذا البحث أحد المساجد التاريخية بمدينة مصراته ومراحل ترميمه وصيانته وكيف لازال محافظ على معالمه الأساسية حتى يومنا هذا.

الاسم والموقع:

يسمى باسم جامع يدر الغوط(71) نسبة للمنطقة التي يقع بها ، وأيضاً يسمى بجامع لاغا نسبة لمؤسسه من عائلة لاغا.(72).

(68) شبكة المعارف الإسلامية، المسجد أهميته ودوره في الإسلام، مركز نون للتأليف والترجمة (د.م)، 2003م) ص11.

(69) مؤنس: حسين، المساجد، عالم المعرفة (الكويت، 1981م) ص37.

(70) البهنسي: أحمد، التصاميم الزخرفية في العمائر الإسلامية الليبية، مجلة الحياة التشكيلية، العدد60، 59 (د.م، 1995م) ص154.

يدر كلمة أمازيغية تعني يحيى أو حياة ، أما الغوط منخفض واسع من الأرض أي سمي بيدر (71)
الغوط لوقوعه في منخفض ضمن نطاق منطقة يدر . ينظر

(72) مؤسس الجامع رمضان لاغا

الموقع:

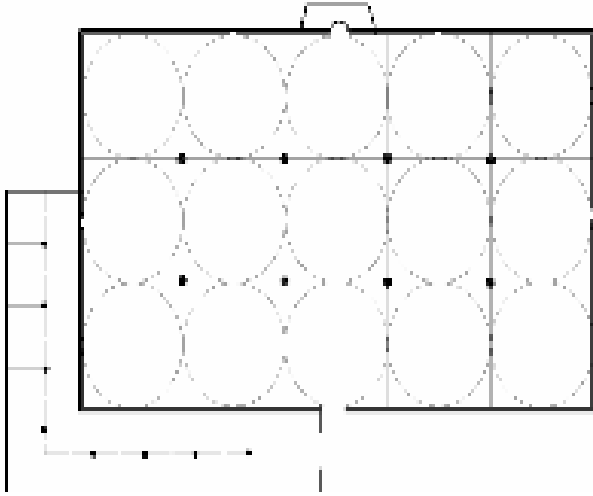
يقع بمدينة مصراته وسط منطقة يدر شرق مركز المدينة ويبعد عنه حوالي 2.5 كيلومتر (73)

احداثيات الأثر

32 ° 38.718N .

015 ° 11.293E.

الجنوب الشرقي



الشمال الشرقي

الشمال الغربي المسقط الأفقي لمسجد لاغا (74)

التأسيس ومراحل التجديد

(73) جهان، علي محمد، الحياة الثقافية بمنطقة مصراته أثناء الحكم العثماني الثاني (1835-1911م)

رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر (مصراته، 2004م) ص 135

(74) الصغير: أيوب احمد ومحمد سالم الكميتي، توثيق عمارة المساجد خلال العصر العثماني الثاني

بمدينة مصراته (1251-1330هـ/1835-1911م) مشروع تخرج بقسم السياحة والآثار (مصراته، 2020م)

تأسس المسجد منتصف القرن الثامن عشر سنة 1175هـ / 1761م. تحديداً خلال حكم الاسرة القرمانية لليبييا (75) تحديداً خلال فترة علي باشا القرماني (1754-1793م) (76) شكل بنائه وتصميمه مقارب لأسلوب البناء بمسجد بن غلبون (77) الذي أنشئ بنفس الفترة تمت صيانتة وترميمه وتوسعته على اربع مراحل هي:

المرحلة الأولى سنة 1241هـ/ 1826م حيث تم تجديده وتوسعته.

المرحلة الثانية سنة 1384هـ/ 1964م.

المرحلة الثالثة سنة 1402هـ / 1982م

المرحلة الرابعة سنة 1443هـ/ 2022م حيث تمت توسعته وصيانتة (78).

الشكل العام:

تميز جامع يدر الغوط بنظام تخطيطي يتكون من مساحة مستطيلة تتكون من صحن مكشوف وبيت للصلاة مقسم إلى بلاطات موازية وأخرى عموية على القبلة في آن واحد، حيث عرف هذا النظام في بلاد المغرب الإسلامي منذ القرن 2هـ/ 8م79.

يتكون المسجد من كتلة معمارية تتمثل في بيت الصلاة فقط، وعدد أربع خلوات تم إزالتها بالإضافة إلى قاعتين يستعملان في تحفيظ القرآن الكريم وتدرسي علوم الدين، كذلك يوجد ميضأة ، تقع هذه المرافق سابقاً ضمن الواجهة في الجهة الشمالية الغربية لبيت الصلاة تحيط بمساحة مكشوفة.

(75) فيرو: شارل، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، تعريب عبدالكريم الوافي، دار الفرجاني (طرابلس، د.ت) ص 443.

(76) ميكاكي، دود لفو: طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرماني، تعريب طه فوزي، معهد الدراسات العربية العالمية، (القاهرة، 1961م) ص 240.

(77) مسجد بن غلبون يقع بمنطقة قصر أحمد وهو أحد المساجد القديمة بمدينة مصراته يبعد عن مركز المدينة بحوالي 10 كيلومتر وينسب هذا المسجد للشيخ محمد بن خليل بن غلبون. ينظر جهان، المرجع السابق، ص 122.

(78) مطوية المسجد، اعداد اللجنة المشرفة على جامع يدر.

(79) خيرالله: جمال عبدالعاطي، المنشآت الدينية الإسلامية بمدينة مصراته (دراسة اثرية معمارية في ضوء منشآت الزروق والمحجوب) كتاب المؤتمر الثالث عشر للاتحاد العام للآثاريين العرب (طرابلس- ليبيا، 2010م) ص 1063.

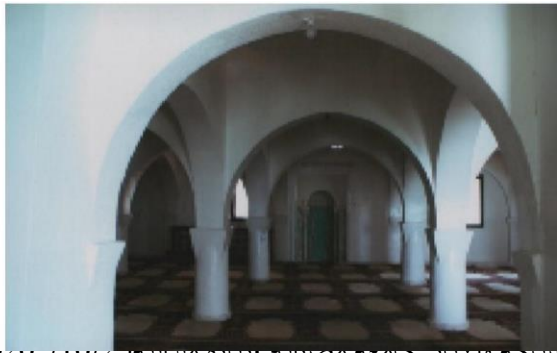
جانب المسجد وملاصقاً له غرفة حوت اضرحة ثلاثة من فقهاء المسجد الذين قاموا بتعليم القرآن الكريم وتعليم علوم الدين لمريدي المسجد وهم من عائلة العربي الشريف بمنطقة يدر (الشيخ الجليل الحسن العربي الشريف المغربي وابنيه)، وقد تم إزالة هذه الاضرحة الثلاثة خلال التوسعة الأخيرة للمسجد لتضاف الغرفة الي مساحة بيت الصلاة.



من صفحة الجامع على الفيس بوك

بيت الصلاة:

بيت الصلاة مستطيل الشكل طول جدرانه من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي 18 متراً، ومن الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي 9 متر (80)، يتكون من 3 أروقة مسقوفة بقباب نص كروية ترتكز على 24 دعامة منها 8 عرصات داخل البيت (81).



تصوير طلاب قسم السِّيَاحَةِ وَالآثَارِ بِجَامِعَةِ مِصْرَاتِهِ (بِقَارَةِ مِيدَانِيَةِ 20/10/2020م)

(80) دراسة ميدانية لطلاب بقسم السياحة والآثار مصراته 2020/10/25م.

(81) جهان، المرجع السابق، ص136.



تصوير طلاب قسم السياحة والآثار جامعة مصراته (زيارة ميدانية 25/10/2020م)



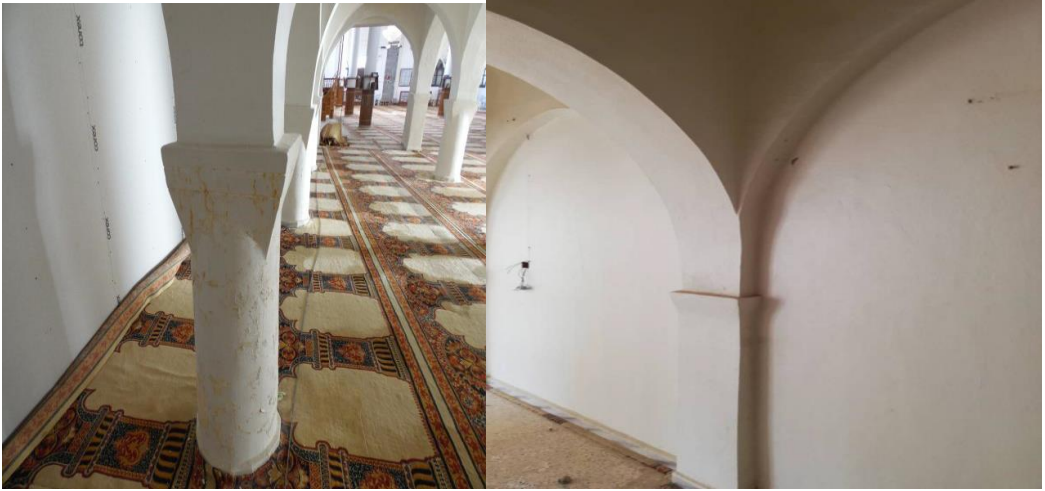
تصوير طلاب قسم السياحة والآثار جامعة مصراته (زيارة ميدانية 25/10/2020م)

الاعمدة والدعائم:

كانت الاعمدة عنصراً أساسياً من عناصر الإنشاء في المنشأة الدينية بمصراته، وذلك لان معظمها يخضع لنظام تخطيط المساجد الجامعة ذات البلاطات الفاصلة بينها بائكات وهي عبارة عن صفوف من العقود المرتكزة على

الاعمدة كعناصر حاملة، ايضاً استخدمت كبديل عن الاكتاف الجدارية ، كذلك على جانبي حنية المحراب لكي تحمل عقده(82).

استخدمت الاعمدة من المباني القديمة وتم مراعاة الاطوال اثناء البناء، احتوي جامع يدر 8 أعمدة و2 للمحراب، وكانت أعمدة رخامية(83)
جرس أو ناقوس مقلوب، يبلغ ارتفاع الاعمدة 1.20 متر
الدعائم تأخذ شكلاً مستطيلاً يبلغ ارتفاعها 1.20 متر، وعرضها 0.40 متر، وعمقها 0.15 وهي معشقه بالجدار وعددها 16 دعامة (84).



تصوير طلاب قسم السياحة والآثار جامعة مصراته (زيارة ميدانية 25/10/2020م)

العقود:

تعتبر العقود بمختلف اشكالها من أهم عناصر العمارة الإسلامية، وتقوم العقود على حركة الرفس الناتجة من الكتل المكونة للعقد(الصنج) بحيث تكون خاصرته والعقود أكثر طواعية من الاعتبار المستقيمة من ناحية قابليتها لتغيير ارتفاعها واتساع فتحاتها بالإضافة لنقلها للأثقال إلى الاكتاف الجانبية(85)
استخدمت عدة أنواع من العقود في المباني الإسلامية، منها العقد النصف الدائري والذي استخدم في إحدى

(82) جمال خير الله، المرجع السابق، ص1069.

(83) المرجع نفسه، ص1070.

(84) الصغير ، المرجع السابق، ص91.

(85) جمال خير الله، المرجع السابق، ص 1071.

خلوات جامع يدر، أما العقود المستخدمة في بيت الصلاة بالجامع فكانت عقود مذببة وقدر كان أكثر شيوعاً بمنشأة مصراته بسبب قابليته للتغيير بالإضافة لكونه النوع الذي ساد العمارة المغربية فالمساجد بحيث استخدمت هذه العقود في أروقة بيت الصلاة، حيث أنها تتميز بكونها أكثر تحملاً وقوة من العقود النصف المستديرة لتخفيف الثقل على الأعمدة مع السقف المنخفض (86)

- تتخذ شكل نصف دائري تركز على الأعمدة حُملت عليها القباب وعددها 38 عقداً يبلغ ارتفاع كلا منها 2.70 متر (87)



تصوير طلاب قسم السياحة والآثار جامعة مصراته (زيارة ميدانية 25/10/2020م)

القباب:

للقباب مميزات إنشائية هامة حيث تساعد على تخفيف القوى الضاغطة على الأساسات والجدران التي تركز عليها، كذلك فإن السقوف المقببة أكثر تماسكاً من السقوف المستوية، وقد انتشر بليبيا أسلوب التغطية

(86) عبدالستار: محمد عثمان، نظرية الوظيفة في العمائر الدينية المملوكية بمدينة القاهرة، دار الوفاء لنشر والطباعة (الإسكندرية، 2000م) ص 450.

(87) دراسة ميدانية لطلاب بقسم السياحة والآثار مصراته 25/10/2020م.

بالقباب المتعددة والمتساوية منذ أواخر القرن 10هـ/16م، حيث ميز هذا الأسلوب العمائر الدينية الليبية عن غيرها(88)

وقد ذُكرت العديد من الأسباب وراء استخدام هذا الأسلوب في التغطية منها انه أسلوب أُتخذ من العمارة المرابطية في عمارة الاضرحة ، وارجعه اخرون للبيئة واعتبره آخرون أسلوب محلي استخدم لتغطية المساحات وعدم ترك فراغات كثيرة في سقف البناء(89).

سُقف مسجد يدر بواسطة قباب تأخذ شكل نصف كروي وعددها 15قبة يصل قطر كل منها إلى 2.50 متر، تأخذ شكل مئمن كم الداخل، أقيمت القباب على حنايا ركنية مقعرة الشكل يبلغ ارتفاع القباب من الداخل حوالي 5.20 متر(90) .

من العناصر المستخدمة في عمارة الجامع (المقرنصات) أو كما تسمى الحنايا الركنية تميزت بكونها ذات هدف أنشائي لتغطية مناطق الانتقال من المربع إلى القبة ويرجح أن الأصل في استخدامها هو الحنية المفردة التي تساعد على تحويل حجرة مربعة إلى عنق ثماني الاضلاع(91) وقد استخدمت بجامع يدر في مناطق الانتقال للقباب المتعددة المتساوية(92)

(88) البلوشي: علي مسعود، تاريخ معمار المساجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرماني 1551-

1911م، جمعية الدعوة الإسلامية(طرابلس، 2009م) ص312.

(89) جمال خير الله، المرجع السابق، ص1075.

(90) دراسة ميدانية لطلاب بقسم السياحة والآثار مصراته 2020/10/25م.

(91) محمد عبدالستار، المرجع السابق، ص451.

(92) جمال خير الله، المرجع السابق، ص1077.



تصوير طلاب قسم السياحة والآثار جامعة مصراته (زيارة ميدانية 25/10/2020م)



تصوير طلاب قسم السياحة والآثار جامعة مصراته (زيارة ميدانية 25/10/2020م)

هنا يمكننا القول بأن نظام الجوامع ذات القباب أو كما يعرف بنظام التغطية بالقباب المتعددة هو أسلوب شاع استخدامه في العمائر الدينية بليبيا خلال العصر القرمانلي ووجد بمدينة مصراته ثلاث مساجد بنفس النظام

هي جامع يدر(موضوع الدراسة) وجامع بن غلبون، وجامع خازندار. ولايزال جامع يدر الغوط بنفس شكل القباب والتغطية بعد مروره بعدة مراحل من الترميم والصيانة والتوسعة.



صورة للقباب بعد التوسعة الأخير مأخوذة من صفحة الجامع على الفيس بوك.

المحراب والخلوي.

المحراب: وهو من العناصر المهمة في عمارة المساجد، فهو يحدد اتجاه القبلة وهو مكان وقوف الامام. يتوسط المحراب جدار القبلة وهو مجوف داخل كتلة من البناء تبرز إلى داخل بيت الصلاة، وهو ليس بعميق بداخلها ويقوم عقده على كتفين صغيرين على عمودين مذبيين رخاميين ملتصقين بالبناء. كذلك تتنوع اشكال الأعمدة والاكثاف التي تقوم عليها هذه العقود ففي جامع يدر الغوط عمودية رقيقة لهما تاجان مربعة وكسى بالرخام حديث ملون.



صورة المحراب قبل التوسعة الأخيرة مأخوذة من صفحة الجامع على الفيس بوك.

الخلوة: حوى الجامع اربع خلاوي وقاعة كبيرة تقارب مساحتها بيت الصلاة كانت تستخدم في تحفيظ القرآن الكريم وقاعة أخرى أصغر منها يذكر البعض أنها كانت تستخدم في تدريس الطلبة علوم السنة، كذلك كان يوجد حجرة كبيرة للمنافع والميضاة، كل هذه المرافق كانت تقع مع الواجهة الشمالية الغربية لبيت الصلاة تحيط بساحة مربعة مكشوفة بتوسطها صهريج للمياه ويحيط بهذا الصحن رواق مسقوف(93)



صورة لباب إحدى الخلوات قبل هدمها وازادتها لبيت الصلاة مأخوذة من صفحة الجامع على الفيس بوك.
الميضاة: أنشئت الميضاة كوحدة معمارية ملحقة بالمنشأة الدينية لغرض الوضوء وخضع موقعها من الجامع وتخطيطها للأحكام الفقهية المتعلقة بالطهارة، فهي تكون خارج مساحة المسجد ويكون حجمها متناسب مع مساحة المسجد، تم إزالة الميضاة في التوسعة الثالثة لجامع يدر.

(93) جهان، المرجع السابق، ص136.

المنبر: وهو من عناصر المنفعة في العمارة الدينية وهو من العناصر الهامة والضرورية به، منبر جامع يدر مصنوع من الخشب كغيره من العماثر الأخرى يرتقى اليه بدرجات عددها 6 درجات .
يتكون المنبر في العموم من قاعدة تحمل أجزاءه وبالمقدمة فتحة للمنبر لل صعود والنزول دون باب ، تؤدي إلى درج ينتهي بجلسة للخطيب.



صورة للمنبر بعد التوسعة الأخير مأخوذة من صفحة الجامع على الفيس بوك.

المئذنة: تعتبر المئذنة من العناصر المعمارية الهامة في المنشأة الدينية وتستخدم للأذان والاعلام بموعد الصلاة، اتخذت مئذنة جامع يدر الشكل الاسطواني المتطور والشرفتين والقمة المدببة.
الضريح: الحق الضريح بالعديد من العماثر الدينية ، في مدينة مصراته الحق الضريح بأغلب العماثر الدينية وذلك لكون المؤسسين أو القائمين على هذه المنشأة كانوا أئمة وعلماء بها قبل وفاتهم(94) ومنهم الجامع موضوع الدراسة، حيث الحق الضريح بالجامع ، حيث كان بحجرة منفصلة ملاصقة لزاوية الجامع ثلاث اضرحة لعلماء كانوا قائمين على تعليم الطلاب و تنظيم حلقات العلم بها، وتقع الاضرحة في الجدار الشمالي الغربي، تمت إزالتها في التوسع الأخيرة للجامع سنة 2021م.

(94) محمد عبدالستار ، المرجع السابق،ص349.

كذلك استغل المعمار مساحة الصحن في إقامة زوايا ملحقة على حسابه، لتكون مكاناً لتعليم وحلقات العلوم المختلفة(95).

زاوية يدر (الاغا) واشهر اعلامها

كان يدرس بالزاوية مجموعة مشايخ اسهموا في تطور التعليم الديني داخل مدينة مصراته وخارجها أبرزهم: الشيخ العلامة الحسن بن العربي الشريف الفيلاي المغربي، كان مسؤولاً على الزاوية و قائماً باعمالها، (توفي منتصف القرن الثالث عشر الهجري/ القرن التاسع عشر الميلادي)(96)

الشيخ القاضي أحمد بن حسن الشريف المغربي اليدري، كان عالماً أدبياً شاعراً لغوياً بليغاً، ولد بمدينة مصراته أواسط القرن الثالث عشر وعاش حتى أوائل القرن الرابع عشر إلى سنة 1308هـ(97). تولى التدريس بالزاوية بعد رجوعه من طلب العلم بطرابلس الغرب(98)،

قرأ على الشيخ محمد السعداوي(99)، ثم رحل إلى طرابلس حيث تلقى فنوناً شتى خصوصاً في الحديث والتفسير وأصول الفقه، والمنطق والبلاغة واللغة، ثم عاد إلى مصراته ليتولى الإمامة والتدريس بزاوية الأغا أو كما تعرف بزاوية يدر، فتلقى العلم عنه طلبة كثر منهم الشيخ محمد بن محمود بادي(100)، والشيخ مصطفى

(95) جمال خير الله، المرجع السابق، ص1079.

(96) مطوية جامع يدر .

(97) القبي: شعبان علي، مصراته معالم وملاحم، مطابع الفاتح(مصراته،2001م)ص102.

(98) الكمي: على عمران، دور علماء الزوايا في الحفاظ على الهوية (دراسة للموضوع من خلال تحقيق فتوى ذات صلة به) مجلة أصول الدين الجامعة الاسمرية، العدد الأول (زليتن،2023م) ص456.

(99) الشيخ محمد بن أحمد بن إبراهيم السعداوي الزموري ولد في مصراته ونشأ بها أواخر القرن الثاني عشر الهجري، توفي توفي أوائل العهد العثماني الثاني .ينظر قريو:مفتاح محمد، تراجم أعيان العلماء من أبناء مصراته القداماء، مطبعة النهضة(القاهرة،1970م) ص105.

(100) الشيخ محمد بن محمود بن مصطفى بادي، ولد بمصراته ونشأ فيها ، كان ميالاً لتصوف ، له شرح منظومة عمه الشيخ عثمان بادي توفي سنة 1312هـ ودفن بمصراته. ينظر القبي، المرجع السابق،

ص138.

الختال (101)، والحاج حسن عبدالمملك (، ومن زليتن الشيخ عبدالسلام بن كريم (102) والشيخ رمضان أبو تركية (103)، والشيخ خليفة الهيشي، والشيخ أحمد بن عبدالمهادي الفيتوري وغيرهم كثيرون، تولى الإفتاء في مصراته إبان حكم الحاج أحمد باشا آغا ثم انتقل إلى الخمس وعُين مفتياً بها إضافة إلى التدريس في زاوية سيدي أبو حجر، وقد تخرج على يديه طلاب كثيرون، له مؤلفات منها: شرح على الأجرومية في النحو، و شرح على الجوهرة في التوحيد كما له تأليف في البيان والبديع، و له العديد من المناظرات، توفي في مدينة مصراته ودفن بجانب زاوية يدر (104).

الشيخ القاضي العربي بن أحمد بن حسن الشريف.

تولى الامامة والتدريس بالزاوية خليفة لجدده ووالده ، توفي سنة 1355هـ (105).

خلاصة القول

من خلال دراسة جامع يدر الغوط يتضح ان عمليات الصيانة والترميم التي تمت للجامع بمختلف مراحلها ساهمت في الحفاظ على الجامع مع اندثار بعض المرافق التابعة له والتي أضيفت لبنت الصلاة خلال توسعته، ومع ذلك فإن جامع يدر الغوط يعتبر نموذجاً حياً للمساجد التاريخية التي تم الحفاظ عليها بنجاح.

الخاتمة والتوصيات:

من خلال دراسة موضوع الحفاظ على المساجد التاريخية توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج منها: بقدر أهمية بناء المساجد تأتي أهمية الترميم والصيانة، حيث أن هذه المباني عند تشييدها تحتاج إلى دقة وفن في البناء والنحت والنقش، فإنها تحتاج كذلك إلى دقة وفنية عالية وخبرة وخلفية ثقافية في الترميم والصيانة حتى لا تتشوه ولا تتغير معالمها ولا هويتها الاصلية.

(101) الشيخ مصطفى الختال البدري تميز بتقننه في العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية، ولد بمصراته ونشأ بها أوائل القرن الرابع عشر الهجري، تتلمذ على يديه الكثير من طلاب العلم، انتقل بعد ذلك لبنغازي وتوفي بها سنة 1350م. ينظر المرجع نفسه، ص141.

(102) قريو، المرجع السابق، ص114-115.

(103) الشيخ رمضان أحمد أبو تركية، ولد في مدينة مصراته سنة 1266هـ ونشأ بها، درس بزواية الاغا على يدين الشيخ أحمد بن حسن العربي الشريف والشيخ بادي والختال العلوم الشرعية واللغة العربية والحساب والمنطق، درس بزواية الزروق مدة 50 عاماً وقف امام الطليان ولم يكن يخاف فالله لومة لائم، توفي سنة 1365هـ. ينظر القبي، المرجع السابق، ص111.

(104) القبي، المرجع السابق، ص103.

(105) مطوية جامع يدر.

ساعد الاهتمام بمسجد يدر الغوط و توسعته والاهتمام به من قبل أهلي المنطقة في بقاءه صامدا طيلة الفترة الماضية والحالية، حيث ساعد على بقاءه شاهداً على مراحل تاريخية تتعدى القرنين والنصف من الزمن . لا يزال هذا المسجد يؤدي وظائفه التي أسس من أجلها بكونه مسجد جامع، بالإضافة الي انعقاد حلقات لتحفيظ القرآن الكريم به، وكذلك دروس الوعظ والإرشاد بالإضافة لدوره الاجتماعي حتى وقتنا الحاضر . المحافظة على المعالم التاريخية والتي تعد معالم سياحية وأثرية ونشر الثقافة بين الأجيال هو جزء مهم من الحفاظ على التراث الثقافي والتاريخي لأي منطقة ويتحقق ذلك من خلال الترميم والصيانة، التثقيف والتوعية، الاستخدام السليم، واخيراً الترويج الثقافي . حدثت بعض التغيرات في شكل البناء لجامع يدر الغوط تمثل في إزالة الخلاوي بالإضافة لإزالة الاضرحة المقامة بغرفة مستقلة خارج المسجد و ملاصقة له.

التوصيات:

نظراً لما للمباني التاريخية عموماً من أهمية وكونها شاهداً على تاريخ وحضارة المدن التي أنشأت بها وما لهذه المباني من قيمة وخصوصاً المساجد نأمل من الجهات المختصة الاهتمام بترميم القديم منها ومحاولة الحفاظ عليه بالشكل الصحيح دون تغيير معالنه أو العبث بها ومن اهم العناصر المساهمة في الحفاظ على هذا الإرث الحضاري هو تقديمه لوظيفته التي انشاء لأجلها والتعريف بمثل هذه المساجد ومكانتها، وشيوخها والعلماء الذين درسو ودرسوا بها .

قائمة المصادر والمراجع.

أولاً: المصادر

الحشائشي: محمد بن عثمان.

- جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تقديم علي مصطفى المصراطي(بيروت، 1965م)

ثانياً: المراجع العربية.

البلوشي: علي مسعود.

- تاريخ معمار المساجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرماني 1551-1911م، جمعية الدعوة

الإسلامية (طرابلس، 2009م)

البهنسي: أحمد.

- التصاميم الزخرفية في العمائر الإسلامية الليبية، مجلة الحياة التشكيلية، العدد 59، 60، (د.م،

1995م)

خيرالله: جمال عبدالعاطي.

- المنشآت الدينية الإسلامية بمدينة مصراته (دراسة أثرية معمارية في ضوء منشآت الزروق والمحجوب) كتاب المؤتمر الثالث عشر للاتحاد العام للآثارين العرب (طرابلس - ليبيا، 2010م)
- شبكة المعارف الإسلامية.
- المسجد أهميته ودوره في الإسلام، مركز نون للتأليف والترجمة (د.م، 2003م)
- عبدالستار: محمد عثمان.
- نظرية الوظيفة في العمائر الدينية المملوكية بمدينة القاهرة، دار الوفاء لنشر والطباعة (الإسكندرية، 2000م)
- القبي: شعبان علي.
- مصراته معالم وملاحم، مطابع الفاتح (مصراته، 2001م)
- قريو:مفتاح محمد.
- تراجم أعيان العلماء من أبناء مصراته القديما، مطبعة النهضة (القاهرة، 1970م)
- الكميتي: على عمران.
- دور علماء الزوايا في الحفاظ على الهوية (دراسة للموضوع من خلال تحقيق فتوى ذات صلة به) مجلة أصول الدين الجامعة الاسمية، العدد الأول (زليتن، 2023م)
- نجم: أحمد يوسف و إحسان عباس.
- ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات (بنغازي، 1968م)
- مؤنس: حسين.
- المساجد، عالم المعرفة (الكويت، 1981م)
- ثالثاً: المراجع العربية.**
- فيرو: شارل.
- الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، تعريب عبدالكريم الوافي، دار الفرجاني (طرابلس، بدون تاريخ)
- ميكاكي: دود لفو.
- طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانيلى، تعريب طه فوزي، معهد الدراسات العربية العالمية، (القاهرة، 1961م)
- رابعاً الدراسات العلمية والدراسات الميدانية.**
- الصغير: أيوب امحمد ومحمد سالم الكميتي.

-توثيق عمارة المساجد خلال العصر العثماني الثاني بمدينة مصراته(1251-1330

هـ/1835-1911م) مشروع تخرج بقسم السياحة والآثار(مصراته،2020م)

جهان: علي محمد.

- الحياة الثقافية بمنطقة مصراته أثناء الحكم العثماني الثاني (1835-1911م) رسالة ماجستير في التاريخ

الحديث والمعاصر(مصراته، 2004م)

- دراسة ميدانية لطلاب بقسم السياحة والآثار مصراته 2020/10/25م.

- مطوية المسجد، اعداد اللجنة المشرفة على جامع يدر.

الوصول الشامل للمساجد القديمة في مدينة بنغازي

حالة دراسية: المسجد العتيق

سالمة مفتاح الفلاح¹، المبروك عياد الفيتوري²، عبد المنعم مصطفى الفاخري³
salma@miu.edu.ly¹ - قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة البحر المتوسط الدولية، بنغازي، ليبيا.
Oyaengoffice@gmail.com² - الهيئة الليبية للبحث العلمي، بنغازي، ليبيا.
menem_fakri_2010@hotmail.com³ - الهيئة الليبية للبحث العلمي، بنغازي، ليبيا.

الملخص

تعد المساجد من أظهر بقاع الأرض، ويمثل تواجدها في حياة الإنسان المسلم أهمية كبيرة جداً، فهي تعتبر أماكن لأداء العبادة ونشر العلوم والمعارف والثقافة الإسلامية. كما تساهم بشكل كبير في تقوية روابط المجتمع، حيث يلتقي الناس فيها خمس مرات في اليوم، ولا يخلو هذا اللقاء من التعارف والتواصل. وبالرغم من أهمية المساجد وضرورة ارتياد كافة أفراد المجتمع إليها، إلا أن العديد منها تعتبر غير مهيأة لوصول كافة المصلين خصوصاً من كبار السن وذوي الإعاقات الجسدية، الذين يواجهون صعوبات وعوائق تجعلهم يترددون في الذهاب إلى المساجد بسبب افتقارها لمعايير الوصول الشامل. ويحاول هذا البحث دراسة إمكانية سهولة الوصول للمساجد خاصة في مدينة بنغازي، وسينطلق البحث إلى أهمية معرفة مفهوم الوصول الشامل للمساجد القديمة والتاريخية، حيث سيتم دراسة المسجد العتيق الذي يقع في وسط المدينة القديمة، بهدف تقييم الوضع الحالي له والتعرف على أهم مشكلات الوصول الشامل به، ومن ثم تقديم جملة من النتائج والتوصيات التي يمكن أن تساهم في تحويل المساجد القائمة في مدينة بنغازي إلى مساجد ذات بيئة صديقة للجميع. الكلمات الدالة: مفهوم إمكانية الوصول - معايير الوصول الشامل - المساجد القديمة - المسجد العتيق.

Abstract:

Mosques are among the purest places on earth, and their presence in the life of a Muslim person represents very great importance, as they are considered places for performing worship and disseminating Islamic sciences, knowledge, and culture. It also contributes greatly to strengthening community ties, as people meet five times a day, and this meeting is not devoid of acquaintance and communication. Despite the importance of mosques and the necessity for all members of society to go to them, many of them are considered ill-equipped for access by all worshipers, especially the elderly and those with physical disabilities, who face difficulties and obstacles that make them hesitant to go to mosques due to their lack of comprehensive accessibility standards. This research attempts to study the possibility of easy access to mosques, especially in the city of Benghazi, and the research will address the importance of knowing the concept of comprehensive access to ancient and historical mosques, as the Al-Atiq mosque, which is

located in the center of the old city, will be studied, with the aim of assessing its current situation and identifying the most important problems of comprehensive access to it. Then, we present a number of findings and recommendations that can contribute to transforming the existing mosques in the city of Benghazi into mosques with a friendly environment for everyone.

Keywords: The concept of accessibility - universal accessibility standards - ancient mosques - Al-Atiq Mosque.

المقدمة:

حظي مفهوم الوصول الشامل على اهتمام كبير من قبل العديد من المنظمات المهنية والباحثين على مختلف تخصصاتهم العلمية، والذين أكدوا على ضرورة أن تصمم البيئات الحضرية لتمكين كافة الأشخاص بما في ذلك الأشخاص ذوي الإعاقة من استخدامها بشكل مستقل إلى أقصى حد ممكن. وتشير التقديرات لمنظمة الصحة العالمية لعام 2010 إلى أنه بحلول عام 2050م من المتوقع أن يعيش 6.25 مليار شخص إي ما يعادل 66% من سكان العالم في المراكز الحضرية، وهذا يعني أن حوالي مليار شخص إي ما يعادل 15% من سكان هذه المراكز هم من الأشخاص ذوي الإعاقة، وهذه النسبة تعتبر أعلى من التقديرات السابقة لنفس المنظمة في السبعينات والتي كانت تشير إلى حوالي 10%. وفي عام 2022 ظهر تقرير جديد لمنظمة الصحة العالمية يشير إلى أن عدد الأشخاص ذوي الإعاقة في جميع أنحاء العالم قد ارتفع إلى (1.3 مليار) شخص (علام، 2022). وهذا يعني أن نسبة الأشخاص ذوي الإعاقة في تزايد مستمر، وأن تخطيط المدن والمراكز الحضرية سيؤثر على حياة وبالتالي (Habitat III, 2016). السكان بشكل عام وعلى حياة الأشخاص ذوي الإعاقة بشكل خاص زيادة الطلب على توفير كافة البيئات لتلبي احتياجات هؤلاء الأشخاص، حيث ستواجه كافة دول العالم ومتخذي القرار تحدي كبير لتوفير مدن صديقة وسهلة الوصول للجميع من خلال تبني مفهوم الوصول الشامل والذي يشير إلى تصميم البيئة وتكوينها. بحيث يمكن الوصول إليها وفهمها واستخدامها إلى أقصى حد ممكن من قبل جميع (NDA, 2020) الأشخاص، بغض النظر عن أعمارهم أو أحجامهم أو قدراتهم أو إعاقاتهم (المعوقات والتحديات التي تواجه الأشخاص ذوي الإعاقة عند ارتياد المرافق والمؤسسات العامة، ولا يستثنى من هذا التحدي مباني دور العبادة والمساجد التي تعتبر من المرافق العامة المهمة في حياة الإنسان المسلم. والمتنشرة بأعداد كبيرة في مدينة بنغازي، إلا أن هذه المساجد سواء القديمة ذات الطابع التاريخي أو المساجد ذات البناء الحديث لم تأخذ جميعها في الاعتبار مفهوم الوصول الشامل، حيث يمكن ملاحظة النقص الكبير لهذا المفهوم في كافة المساجد. وفي إطار التوجه العالمي نحو تحقيق أهداف التنمية المستدامة والمتعلقة في جعل المدن والمستوطنات

البشرية شاملة وآمنة ومرنة ومستدامة، فإن هذه الورقة البحثية سوف تقوم بدراسة حول أحد مساجد مدينة بنغازي والمتمثلة في المسجد العتيق، وإمكانية الوصول اليه بسهولة ويسر.

مشكلة الدراسة:

يواجه الأشخاص ذوي الإعاقة العديد من الحواجز والعوائق بصورة ملحوظة في البيئة العمرانية الليبية، مما ترتب عليه صعوبة الوصول إلى هذه البيئات ومنها بيئة المباني والمرافق العامة. وتبلور مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس التالي:

ما مدى توفر سهولة الوصول للمساجد في مدينة بنغازي؟، وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:
ما هو مفهوم الوصول الشامل؟ وما هي اهم معاييره الدولية؟
ما الواقع التصميمي والتخطيطي للمساجد في مدينة بنغازي؟
ماهي أهم العوائق والتحديات التي تواجه الأشخاص ذوي الإعاقة في المسجد العتيق؟
ماهي التوصيات لجعل مساجد مدينة بنغازي مساجد ذات بيئة عمرانية صديقة للجميع؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في تناول مفهوم الوصول الشامل للمساجد في مدينة بنغازي، ومحاولة نشر هذا المفهوم وتطبيقه في كافة المرافق والمؤسسات العامة بالمدينة، لضمان مشاركة الأشخاص ذوي الإعاقة في كافة مجالات الحياة، حيث أن قضية الأشخاص ذوي الإعاقة وسهولة وصولهم لكافة المرافق العامة هي قضية مجتمعة بأكملها.

مببرات اختيار الموضوع:

10. تسليط الضوء على العوائق والحواجز الموجودة بالمساجد، والتي تعيق من ارتياد الأشخاص ذوي الإعاقة إليها.

11. تغطية فجوة في المعرفة العلمية، تتمثل في مفهوم الوصول الشامل لكافة المرافق والمؤسسات العامة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة بصفة رئيسية إلى تقييم المساجد في مدينة بنغازي من خلال مفهوم الوصول الشامل، وحتى يمكن تحقيق هذا الهدف فإن الدراسة تتناول الأهداف الفرعية التالية:

1. التعرف على مفهوم الوصول الشامل، وما هي اهم معاييره الدولية.
2. معرفة الواقع التخطيطي والتصميمي للمساجد في مدينة بنغازي.
3. التعرف على أهم العوائق والتحديات التي تواجه الأشخاص ذوي الإعاقة للوصول إلى المساجد.

4. تقديم جملة من التوصيات التي من شأنها المساعدة في تهيئة البيئة العمرانية للمساجد، لتصبح بيئة مستدامة وصديقة للجميع.

منهجية الدراسة.

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي بأسلوب دراسة حالة، وذلك من خلال تناول الجانب النظري للمساجد من جهة، والملاحظة والمشاهدة بالخرائط والصور الفوتوغرافية، بالإضافة إلى استخدام قائمة التدقيق الخاصة بالوصول الشامل لتقييم الوضع الراهن (للمسجد العتيق) في مدينة بنغازي من جهة أخرى.

حدود الدراسة.

تم اختيار المسجد العتيق والذي يعتبر من أقدم مساجد مدينة بنغازي، ويقع في وسط المدينة القديمة (منطقة وسط البلاد) في ميدان البلدية.

محتوى الدراسة:

1. مفهوم إمكانية الوصول الشامل: ارتبط مفهوم الوصول الشامل ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الإعاقة والشمول. وكان سبب هذا الارتباط هو فشل البيئة العمرانية في تلبية احتياجات الأشخاص ذوي الإعاقة للوصول إليها بسهولة، نتيجة أن المخططين والمهتمين بالبيئة لديهم القليل من الفهم لتنوع الحالة البشرية لهؤلاء الأشخاص. لذلك قامت القوانين الجديدة بالضغط على المخططين والمعماريين والمهتمين بالبيئة حتى يقوموا بإنشاء بيئات عمرانية يسهل الوصول إليها وقابلة للاستخدام من قبل الجميع (Mace et al., 1991). ولتصور البيئات العمرانية بطريقة شاملة وسهلة الوصول والاستخدام، بدأت حركة حقوق تحدي الإعاقة (Americans with Disabilities Act, ADA) في أواخر سنة 1960م، بإبراز مفهوم التصميم الشامل "Universal Design" والذي عرفه ماك وآخرون (Mace et al. 1991) بأنه: "تصميم المنتجات والبيئات والبرامج والخدمات لكي يستعملها جميع الناس، وبأكبر قدر ممكن من دون حاجة إلى تكيف أو تصميم متخصص". فالتصميم الشامل يخلق حلول تصميمية شاملة ويعزز إمكانية الوصول وسهولة الاستخدام.

ومن هنا أصبح مفهوم الوصول الشامل سريع التطور ويركز على ضمان عدم وجود حواجز أو عوائق أمام (Mourichon, 2020) كما يشير الوصول الشامل إلى تصميم خدمة شخص ما في البيئة العمرانية (البيئة وتكوينها، بحيث يمكن الوصول إليها وفهمها واستخدامها إلى أقصى حد ممكن من قبل جميع الأشخاص، بغض النظر عن أعمارهم أو أحجامهم أو قدراتهم أو إعاقاتهم، كما أن هذا الأمر يتضمن تصميم

تقنية ومعلومات وبيئة تواصل إضافة للبرامج والخدمات (هامي، 2010). وغالباً ما يستخدم مصطلح إمكانية الوصول " لوصف المرافق أو وسائل الراحة لمساعدة الأشخاص الذين لديهم إعاقة حركية، من خلال توفير مرافق مثل المنحدرات للكراسي المتحركة، إلا أن تعريف المصطلح يتسع ليشمل أنواعاً أخرى من الإعاقة، لذلك فإن تسهيلات الوصول تمتد إلى مجالات مثل: لغة برايل ولغة الإشارة، المصاعد، إشارات الصوت في معابر المشاة"، وبعبارة أخرى فإمكانية الوصول تعني جعل الأمور في متناول جميع الناس سواء كان لديهم إعاقة أم لا (وزارة تنمية المجتمع، 2016: 24). ويتمثل المبدأ الأساسي لسهولة الوصول الشامل في مفهوم التصميم الشامل والذي بدورها يشمل سبع مبادئ أساسية.

- مبادئ التصميم الشامل:

للتصميم الشامل مبادئ تم تطويرها في عام 1997م، من قبل مجموعة من المهندسين والمعماريين ومصممي المنتجات وباحثي التصميم البيئي، والغرض من هذه المبادئ هو توجيه تصميم البيئات لتصبح أكثر قابلية للاستخدام، حيث اشتملت هذه المبادئ على سبعة خصائص رئيسية (الفلاح، 2022). موضحة في الشكل التالي:



الشكل (1.1): مبادئ التصميم الشامل، المصدر: جرجس 2021

2. معايير الوصول الشامل: ظهرت الكثير من المعايير العالمية والعربية، وبالرغم من اختلاف هذه المعايير من دولة لأخرى تبعاً لأنظمة التقييم التي تقوم بها كل دولة، إلا إن جميع هذه المعايير مهمتختلفت فإنها تجتمع في كثير من المواصفات والمقاييس التي تستند إلى مركزات أساسية تهتم بمفهوم الوصول الشامل (نوري، 2020). ويعتبر المعيار الدولي القياسي **ISO 21542, 2011 (International Standard)**، والذي يصدر من قبل المنظمة الدولية غير الحكومية للتوحيد القياسي من أبرز وأهم هذه المعايير حالياً (ISO, 2011)، ويحتوي هذا المعيار على جملة من المتطلبات تتعلق بالقدرات البشرية الأساسية المختلفة والتي ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار عند تصميم البيئة العمرانية، حيث من المتوقع أن تكون هذه المعايير مفيدة لجميع الناس بما في ذلك: الأشخاص الذين يعانون من ضعف السمع، الأشخاص ذوو الإعاقة البصرية، الأشخاص الذين يعانون من إعاقات حركية، الأشخاص الذين يعانون من إعاقات معرفية، الأشخاص الذين يعانون من ضعف خفي (مثل القوة والقدرة على التحمل والحساسية)، الأشخاص ذوو التنوع في العمر والمكانة (كبار السن والأشخاص الضعفاء).

3. المساجد القديمة في مدينة بنغازي: تعتبر المساجد القديمة من أهم المعالم في النسيج العمراني لأي مدينة إسلامية. وينتشر العديد منها في كافة دول العالم الإسلامي، وتشترك المساجد القديمة بالفخر والحنين إلى الماضي، فتعكس الفن الإسلامي من خلال ما تتميز به من تصاميم هندسية فريدة (قمر، 2021). ومدينة بنغازي كغيرها من المدن العربية الإسلامية تحتوي على عدد كبير من المساجد القديمة، والتي تذكرنا بالمساجد الإسلامية في فترتها الأولى من حيث أسلوب وطرق البناء، إضافة إلى استخدامها لأغراض أخرى عدا الصلاة، كأن يصبح المسجد مركز ثقافي أو مدرسة لتعليم القراءة والكتابة. ويوجد في مدينة بنغازي حتى الأربعينات من القرن العشرين حوالي 28 مسجد قديم، بعضها ظلت محافظة على شكلها وطرزها بدون أي تغييرات، ويمكن حصر المساجد المحفوظة على تخطيطها الأول بسبعة مساجد وهي: المسجد العتيق - المسجد هدية - مسجد المسطاري - مسجد الشويحات - مسجد الزاوية المدنية - مسجد الجهاني، بينما بقية المساجد طالتها التجديد الكلي أو الجزئي مما غير في معالمها وصبغها بطابع الحداثة (الدراجي، 2017). معظم المساجد القديمة في مدينة بنغازي مبنية من قبل السكان المحليين، لذلك كانت عمارتها ذات طابع محلي يغلب عليها البساطة في التخطيط والبناء، سواء في الواجهات أو المساقط، حيث تخلو من الزخارف وتعتبر صغيرة المساحات مقارنة بالمساجد الإسلامية في الدول الأخرى.



www.google.com الشكل (2.1): بعض المساجد القديمة في مدينة بنغازي، المصدر:

4. المسجد العتيق: لا يعرف تاريخ تأسيس هذا المسجد على وجه الدقة والمرجح انه شيد خلال العصر العثماني الأول (1551-1711)(الدراجي، 2017). ويعد المسجد العتيق من أقدم مساجد المدينة، ويعرف بالمسجد الكبير نظراً لكبر مساحته مقارنة بالمساجد القديمة الموجودة في ذلك الوقت، بالإضافة إلى فخامة مئذنته والتي تعتبر أول مئذنة في مدينة بنغازي.



www.google.com الشكل (3.1): المسجد العتيق، المصدر:

- الموقع العام للمسجد: يقع المسجد في ميدان البلدية في وسط المدينة القديمة، ويحده من الغرب ميدان البلدية، ومن الشمال شارع سيدي سالم، ومن الشرق والجنوب سوق الظلام.

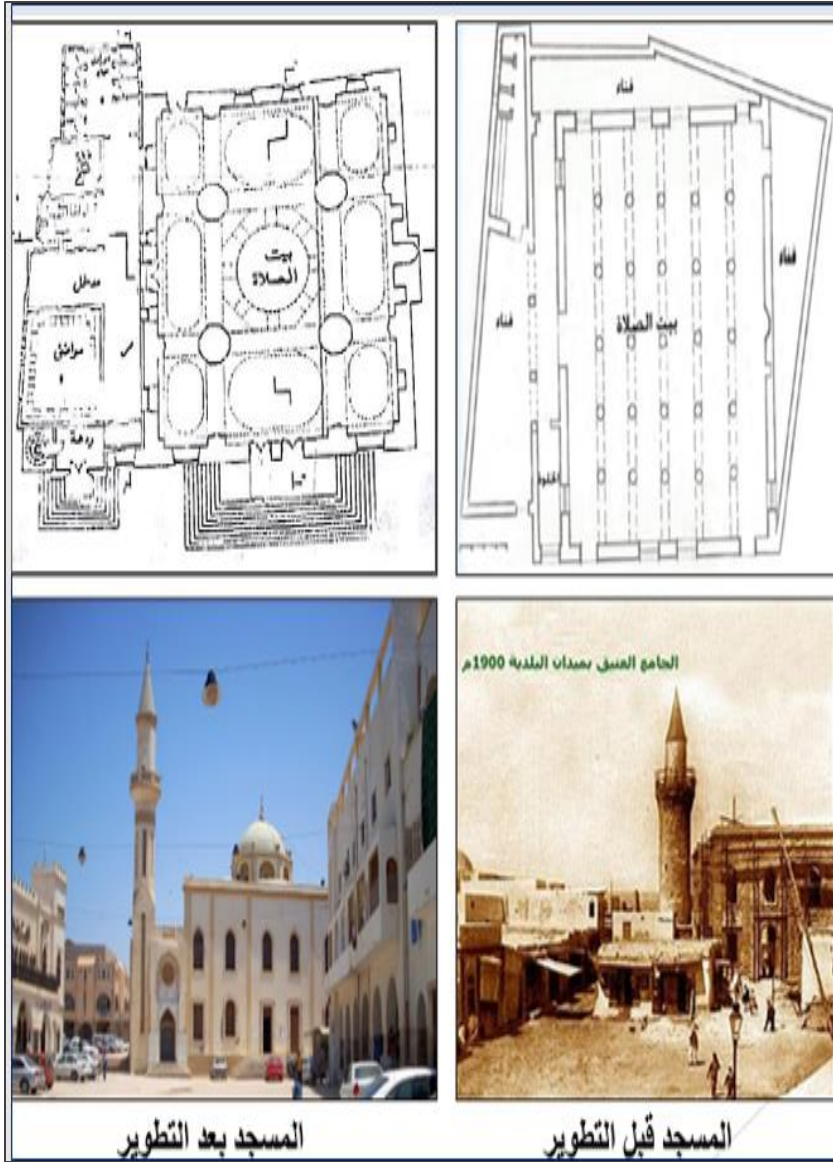


الشكل (4.1): الموقع العام للمسجد العتيق، المصدر:

google earth pro. 2024

تم تشييد وبناء المسجد وفق الطراز المحلي على أرض مربعة الشكل تبلغ مساحتها حوالي 540 م² يشغل فيها بيت الصلاة مساحة مستطيلة (19.55×16.25) م²، مقسمة إلى ثلاث بلاطات بواسطة أربع أكتاف مربعة وقد رتبت البلاطات بحيث تكون الوسطى أكبرها، وينطلق من فوق الأكتاف اثنا عشر عقداً، ستة منها موازية لجدار القبلة وستة أخرى عمودية عليه، ونتج من هذا التقاطع تسعة فراغات، خمسة منها مربعة والبقية مستطيلة. وفي نهاية القرن التاسع عشر طرأ تغيير على بيت الصلاة والذي شمل تغيير الأعمدة حيث أصبحت أربعة أعمدة كبيرة فالوسط، وبالسقف توجد قبة مركزية وعدد ثمان قباب صغيرة (أربعة نصف كروية، وأربعة بيضاوية)، وكان هذا التغيير يمثل أسلوب البناء التركي.

كان المسجد العتيق قد دمج بين العمارة المحلية وأسلوب البناء التركي، وتمثل الجزء المحلي في منتصف الواجهة السفلي والمئذنة بدنها الضخم، والفناء، وبساطة الواجهات، وحوائط بيت الصلاة الخالية من الزخارف والنقوش (العربي، 2020).



الشكل (5.1): المسجد العتيق قبل وبعد التطوير، المصدر: تجميع الباحث، 2023

- العناصر التخطيطية والتصميمية للمسجد العتيق: تم تحليل العناصر التخطيطية والتصميمية في المسجد العتيق بناءً على الاعتبارات والاشتراطات الخاصة بالوصول الشامل، وهي اشتراطات خارجية خاصة بالبيئة الخارجية للموقع، واشتراطات داخلية خاصة بالمبنى من الداخل. وكان التحليل وفق لأداتين بحثيتين هما الملاحظة والمشاهدة، ولائحة التدقيق الخاصة بالوصول الشامل.

أولاً: الملاحظة والمشاهدة: وهي تحليل للواقع الحالي لفرغات ومساحات المسجد، والتي يمكن تلخيصها في الجدول التالي:

الجدول رقم (1): الاشتراطات والاعتبارات التخطيطية والتصميمية للمسجد العتيق

الجدول رقم (1): الاشتراطات والاعتبارات التخطيطية والتصميمية للمسجد العتيق

الشكل التوضيحي لمشاكل المسجد العتيق	الاعتبار التخطيطي والتصميمي
الاعتبارات والاشتراطات الخارجية	
	<p>مواقف السيارات: تتوفر مساحة مخصصة لمواقف السيارات بالقرب من المدخل الشمالي الغربي، إلا أن هذه المساحة غير كافية وغير مخططة، مما يضطر بعض المصلين للقيام بإيقاف سياراتهم فوق الأرصفة المحيطة بالمسجد وداخل الميدان، كما إنه لا يوجد مواقف خاصة بالأشخاص ذوي الإعاقة، وبالتالي تعتبر غير مطابقة مع ما تنص عليه المعايير الدولية الخاصة بالوصول الشامل، الشكل (6.1) يوضح مشاكل مواقف السيارات فالموقف.</p>
	<p>ممرات المشاة والأرصفة: تعتبر ممرات المشاة والأرصفة من أهم العناصر التخطيطية والتصميمية، حيث تعمل على ضمان سلامة أي شخص يستخدمها. و نجد أن ممرات المشاة والأرصفة متوفرة في موقع المسجد وبعرض مناسبة، ولكنها متهالكة وصعبة الاستخدام من قبل الجميع، الشكل (7.1) يوضح ممرات المشاة المتهالكة وغير المصممة بالشكل الصحيح.</p>
	<p>المنحدرات: لا تتوفر بالموقع أي منحدرات سواء المنحدرات الخاصة بالأرصفة، أو المنحدرات التي من الواجب توفرها أمام مداخل المبنى للولوج إلي داخل المسجد بسهولة، بالرغم من وجود مناسيب مختلفة وعالية موجودة أمام مداخل هذا المسجد، الشكل (8.1) يوضح عدم توفر المنحدرات في الموقع.</p>

		<p>الدرج الخارجي: من خلال تحليل الصور الخاصة بالمسجد يمكن ملاحظة أن المبني يرتفع بمناسبة تتراوح ما بين 6 إلى 8 درجات (90- 120) سم، مع عدم توفر درابزين أو منحدر خاص، وهذا لا يتطابق مع المعايير الدولية الخاصة بالوصول الشامل لتصميم السليم للدرج. الشكل (9.1) يوضح مناسيب المداخل.</p>
		<p>الأبواب من حيث الشكل الأبواب والمداخل: تختلف والحجم والتصميم، وجميعها مصنوعة من الخشب وتفتح بشكل يدوي، والمقابض مختلفة ومصنوعة من الحديد وتوجد على ارتفاعات تزيد عن 90 سم وبالتالي من الصعب استخدامها من قبل جميع الأشخاص، الشكل (10.1) يوضح أنواع الأبواب وارتفاعات المقابض بها.</p>
		<p>المساحات المفتوحة: يقع المسجد وسط ميدان البلدية، وتتوفر فيه المساحات المفتوحة في كل من الجهة الشمالية الشرقية، والجهة الجنوبية الغربية. ولكن تخطيط هذه المساحات لا تتوفر فيه المعايير والاشتراطات الواجب توافرها للوصول الشامل. لا تتوفر مسطحات خضراء ولا تحتوي على أي تجهيزات خارجية. الشكل (11.1) يوضح أماكن المساحات المفتوحة المجاورة للمسجد.</p>
		<p>التجهيزات الخارجية: تشمل كل ما له علاقة بالبيئة الخارجية، مثل اللافتات واللوحات الإرشادية، الخطوط التحذيرية البصرية، والتي يمكن ملاحظة غيابها التام في موقع المسجد، كذلك لا تتوفر أعمدة الإنارة والمقاعد والأشجار وأحواض المزروعات وصناديق القمامة وغيرها أثاث الشارع. الشكل (12.1) يوضح بافتقار الموقع للتجهيزات الخارجية وأثاث الشارع.</p>
<p>الاعتبارات والاشتراطات الداخلية للمسجد العتيق</p>		





دورات المياه: يوضح الشكل (15.1) دورات المياه والمتوضأ (المواضئ) الموجودة داخل المسجد، حيث يمكن ملاحظة المشاكل الموجودة نتيجة الغياب التام لمفهوم التصميم الشامل في التوزيع غير الصحيح لأثاث الحمام وعدم توفر مساحة خالية بقطر 1.5م لمستخدمي الكرسي المتحرك وأيضاً عدم وجود المساند المساعدة. وبالتالي تعتبر دورات المياه غير مطابقة كلياً للمعايير الدولية للوصول الشامل.

المصدر: الباحث 2024

ثانياً: قائمة التدقيق: الهدف الرئيسي من هذه القائمة معرفة مدى مستوى سهولة الوصول إلى المسجد العتيق. وقد تم استعراض بعض النقاط المهمة لهذه القائمة، كما موضح في الجدول (2).

جدول (2): قائمة التدقيق للوصول الشامل الخاصة بالمسجد العتيق

العنصر	وصف متطلبات التصميم	نعم	لا	ملاحظات
البيئة الخارجية للمسجد العتيق				
مواقف السيارات	قريبة من مدخل المبنى ولا تزيد المسافة بينهما عن 25 م	√		
	تتوفر مواقف خاصة بالأشخاص ذوي الإعاقة		×	
	وجود ممر ومنطقة نقل آمنة بجانب الموقف بعرض لا يقل عن 1.2م		×	
	عرض الموقف لا يقل عن 2.4 م وطوله لا يقل عن 5م		×	
	وجود منحدر الرصيف بين أماكن وقوف السيارات.		×	
	وجود موقف لمركبات نقل الأشخاص ذوي الإعاقة بعرض 2.4م وطول 7.1 م		×	
	وجود علامة الرمز الدولي للإعاقة وسط أرضية الموقف وبلون متباين عن لون الأرضية		×	
	وجود لافتة عمودية أمام كل موقف لذوي الإعاقة بارتفاع 1.5م أو 2.1 م		×	
	وجود حواجز لمنع التعدي على هذه المواقف		×	
	سطح أرضية الموقف مستوية وثابتة ومقاومة للانزلاق		×	

لا تتوفر في الموقع	×	ميول المنحدر لا يزيد عن 1:10	المنحدرات
	×	يوجد منحدر للرصيف عند منطقة وقوف السيارات	
	×	يوجد منحدر عند تقاطعات الطرق	
	×	عرض المنحدر الخالي من العوائق 1م	
	×	عرض الرصيف المقابل للمنحدر 1.2م	
	×	يوجد شريط تحذيري لمسي بداية منحدر الرصيف بطول 60 سم.	
	×	سطح المنحدر مستقر وثابت ومقاوم للانزلاق	
لا تتوفر في الموقع	×	ميل المنحدر لا يزيد عن 1:12	منحدر المداخل
	×	عرض المنحدر 1.2م، وعرض المنحدر الخالي من العوائق لا يقل عن 0.90م	
	×	طول المنحدر المناسب لا يقل عن 9 م	
	×	وجود منطقة وقوف خالية من العوائق بداية ونهاية المنحدر بمساحة (1.2 × 1.5م).	
	×	توفر منطقة وقوف وسطية لمنحدر بطول 6م وأكثر	
	×	الدرابزين على طول جانبي المنحدر وبارتفاع لا يزيد عن 0.90م	
	×	وجود حماية على جانبي المنحدر وبارتفاع 0.10م	
	×	توفر شريط تحذيري بداية ونهاية المنحدر	
×	سطح المنحدر مستقر وثابت ومقاوم للانزلاق		
×	أمنة وسهلة الاستخدام من قبل الجميع.	الأرصفة وممرات المشاة	
√	عرض كافي أكثر من 2م، والعرض الصافي للرصيف بدون عوائق لا يقل عن 1.2م.		
√	ارتفاع الرصيف من 10 – 15 سم.		
√	عدم وجود أشياء بارزة في مسار حركة المشاة.		
×	توجد حماية لممرات المشاة بارتفاع 10 سم.		
√	ارتفاع صافي خالي من العوائق < 2 م		
√	لا توجد شبكات لتصريف المياه في مسار حركة المشاة على الرصيف.		
×	أرضية الرصيف متواصلة وبدون فواصل.		
×	أرضية الرصيف مستقرة وثابتة ومقاومة للانزلاق		
√	أرضية الرصيف غير متوهجة وغير مزخرفة.		
√	درجة النائم طويلة بما يكفي وبمسافة 30 سم.	الدرج الخارجي	
√	القائم بارتفاع ثابت لكل الدرج ويساوي 15 سم.		
√	القائم والنائم بألوان متباينة ومتضادة.		
×	درجة النائم غير بارزة وغير حادة		
√	وجود أنفة في درجة النائم بمسافة لا تزيد عن 2.5 سم		
×	التحذيرات البصرية اللمسية في أعلى وأسفل الدرج		
×	شريط تحذيري مقاوم للانزلاق في درجة النائم ويعرض 5سم.		
×	الدرج الذي يزيد عرضه عن 2.2م يحتوي على درابزين وسطي.		
×	الدرابزين مناسب وعلى كامل الدرج.		
×	الإضاءة كافية وفي موضع جيد.		
×	أرضية الدرج الخارجي مستوية ومقاومة للانزلاق.	المداخل	
√	يسهل العثور عليها وأمنة ومريحة للاستخدام.		
√	فتحة الباب باتساع كافي لجميع المستخدمين ولا يقل عرضها عن 80 سم.		
×	يمكن للأشخاص رؤية بعضهم من كلا جانبي الباب.		
×	العتبة تحت الباب مشطوفة وبارتفاع 2 سم.		
×	تتوفر حصيرة تنظيف الأرضية تحت المدخل.		

	×	تتوفر مسافة كافية للمناورة بجانب حافة الباب وبمسافة 60 سم.	
	×	مسافة المناورة جانب الباب في حالة السحب لا تقل عن 1.5م × 1.5م.	
	×	مسافة المناورة جانب الباب في حالة الدفع لا تقل عن 1.2م × 1.5م.	
	×	مقبض الباب على ارتفاع مناسب وسهل التناول والقبض.	
	×	وجود معلومات لمسية وبصرية.	
لا تتوفر في الموقع	×	مثبتة في أماكن لا تعيق حركة المشاة	اللافتات واللوحات الإرشادية
	×	سهلة التحديد ويمكن رؤيتها بوضوح.	
	×	تحتوي على أرقام واحرف واضحة وبارزة. تحتوي على لغة برايل	
	×	مظهرها غير لامع.	
	×	تتوفر بها حاستين على الأقل (المرئية والمسموعة).	
لا تتوفر في الموقع	×	يتوفر بالموقع أعمدة إنارة ومزروعات وصناديق بريد وصناديق قمامة ومقاعد وغيرها	التجهيزات الخارجية
	×	توجد خارج مسار حركة المشاة ولا تسبب عوائق للرصيف.	
	×	توجد أرضيات تحذيرية ملموسة.	
	×	مناطق جلوس خارج مسار المشاة	
	×	توجد مساحة جانبية بجانب المقاعد لمستخدمي الكرسي المتحرك بمساحة 0.90 × 1.4م.	
	×	للمقاعد مساند للذراع والظهر، وبلون متناقض مع المحيط	
البيئة الداخلية للمسجد			
	√	التخطيط العام لموقع المسجد واضح بدرجة معقولة	إيجاد الطريق
×		يمكن التعرف على المبنى بشكل سهل	
	×	تتوفر معلومات ملموسة ومرئية ولوحات إرشادية توضح موقع المسجد	المصلى
×		مدخل المصلى واضح وسهل الوصول ولا توجد به عوائق	
	√	السجاد مناسب وذو ألوان متباينة وخالي من الزخارف والنقوش	
×		أرضية المصلى مستوية وخالية من المناسيب	
×		تتوفر أرضيات بارزة لإرشاد الأشخاص ذوي الإعاقة البصرية	
×		تتوفر أماكن مخصصة للأشخاص ذوي الإعاقة الحركية	
×		توجد لوحات إرشادية ومعلومات بصرية ولمسية	
	√	يمكن تمييزها عن محيطها بسهولة	الأبواب والنوافذ
×		يمكن للأشخاص من كلا جانبي الباب الواقفين أو الجالسين رؤية بعضهم البعض	
×		مساحة كافة بجانب الحافة الأمامية لمستخدمي الكرسي المتحركة	
×		مقابض الأبواب على ارتفاع مناسب لكل من المستخدمين الواقفين والجالسين	
	√	النوافذ على ارتفاع مناسب لكل من المستخدمين الواقفين والجالسين	دورات المياه
×		الأبواب والنوافذ من النوع الخفيف والذي يفتح بسهولة	
×		يمكن الوصول إليها بسهولة	
×		توجد علامة الرمز الدولي الخاصة بالأشخاص ذوي الإعاقة	
×		خالية من العوائق وتلبي الحد الأدنى من متطلبات معايير الوصول الشامل	
×		تحتوي على مساند مساعدة للأشخاص ذوي الإعاقة الحركية	
	×	تتوفر مساحة دوران مناسبة للكرسي المتحرك	الممرات
إلى حد ما	√	تتوفر بعروض مناسبة ومن السهل الحركة من خلالها	
	√	مواد التشطيب مناسبة وغير قابلة للانزلاق	
	×	تحتوي على لافتات إرشادية ومعلومات مرئية وسمعية	الداخلية

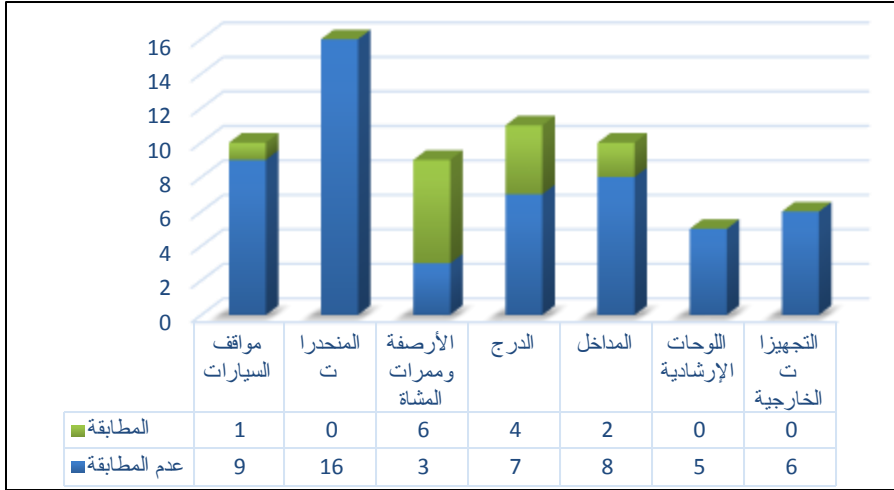
المصدر: الباحثة، 2023.

مناقشة النتائج:

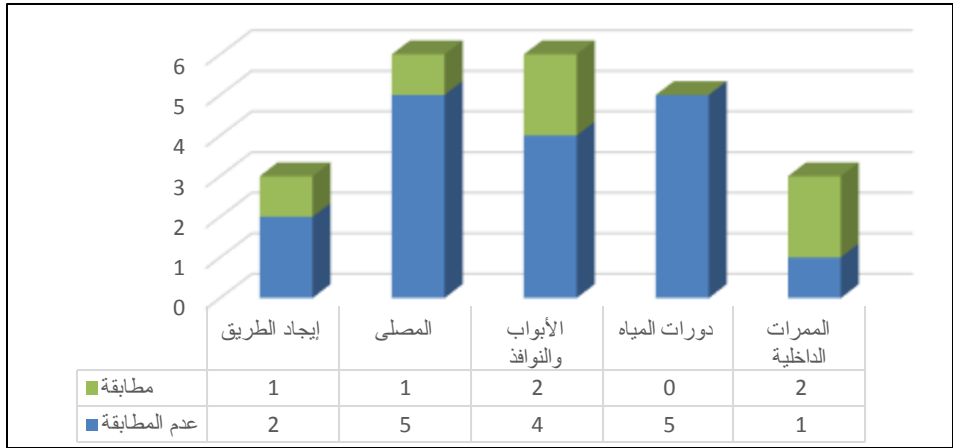
تتضمن هذه المناقشة عرض للنتائج التي تم التوصل إليها من خلال أدوات الدراسة سابقة الذكر، وهي كالتالي:

- النتائج المتعلقة بالمشاهدة والملاحظة والصور الفوتوغرافية: أظهرت النتائج بأن كل من البيئة الخارجية والداخلية للمسجد العتيق، تعاني من العديد من العوائق والعقبات والتي جعلت من الصعب الوصول للمسجد بسهولة ويسر.
 - النتائج المتعلقة بقائمة التدقيق: بحسب قائمة التدقيق أظهرت النتائج أن مستوى سهولة الوصول للمسجد العتيق تعتبر ضعيفة في كافة الاشتراطات والاعتبارات الواجب توافرها سواء في البيئة الداخلية للمسجد أو الخارجية المحيطة به. كما انه من خلال استخدام مفهوم المتوسط الحسابي لمقارنة مدى مطابقة المعايير الدولية للوصول الشامل في المسجد، يتضح أنه لا يوجد تطابق مع واقع الحال لهذا المسجد. الشكل (أ.16.1) يوضح نسبة مطابقة المعايير من عدم مطابقتها بناءً على قائمة التدقيق في البيئة الخارجية للمسجد، والشكل (ب.16.1) يوضح نسبة مطابقة المعايير من عدم مطابقتها في البيئة الداخلية للمسجد العتيق.
- من خلال النتائج السابقة يمكن القول بأنه:

- من المهم أن تكون البيئة العمرانية للمسجد العتيق بصورة خاصة ومساجد بنغازي بصورة عامة خالية من العوائق، وأن يتم تطويرها حتى يمكن لجميع الناس استخدامها بشكل ميسر وعلى قدم المساواة.
- لتطبيق معايير الوصول الشامل في مساجد مدينة بنغازي، لا بد أن تعي الجهات الحكومية والخاصة الوضع العام لصعوبة الوصول الشامل في هذه المساجد، والعمل على تهيئتها وجعلها بيئات عمرانية صديقة للجميع.



الشكل (أ.16.1): نسبة مطابقة المعايير من عدم مطابقتها في البيئة الخارجية للمسجد العتيق، المصدر: الباحث 2024



الشكل (ب.16.1): نسبة مطابقة المعايير من عدم مطابقتها في البيئة الداخلية للمسجد العتيق، المصدر: الباحث

2024

الخلاصة

بالرغم من الأهمية الكبرى لوجود المساجد في حياة الإنسان المسلم، إلا أن معظم هذه المساجد تعتبر غير مهيأة، حيث يواجه المصلون خاصة كبار السن والأشخاص ذوي الإعاقة صعوبات وعوائق تجعلهم يترددون في الذهاب إليها.

أوضحت هذه الدراسة من خلال التقييم الشامل لكافة البيئات الخارجية والداخلية للمسجد عن مدى صعوبة الوصول إلى هذه البيئات بسهولة ويسر، وخلصت الدراسة إلى الحاجة الماسة لتطبيق معايير الوصول الشامل في المسجد العتيق وكافة مساجد بنغازي وتطويرها لتصبح بيئات صديقة للجميع.

التوصيات

- 1 . ضرورة إجراء تحديث للمعايير التخطيطية والتصميمية لتطوير وتهيئة المساجد بما يتناسب مع سهولة الوصول الشامل إليها.
 - 2 . عمل حملات توعوية تبرز الوضع العام لصعوبة الوصول الشامل في كافة المساجد.
 - 3 إعادة تأهيل للمسجد العتيق ليصبح بيئة عمرانية صديقة للجميع من خلال:
 - توفير مواقف مخصصة للأشخاص ذوي الإعاقة بمساحة مناسبة ويتم تمييزها عن بقية المواقف بالعلامات والرموز الدولية للإعاقة، ويجب أن تكون قريبة من مداخل المسجد.
 - توفير منحدر للرصيف ومنحدرات خاصة بالوصول إلى المسجد، أو توفير مصاعد أو توماتيكية جنب الدرج.
- توفير درابزين على جانبي الدرج، بالإضافة إلى توفير درابزين وسطي لدرج المدخل الرئيسي للمسجد. استخدام أسطح المشي التحذيرية المقاومة للانزلاق على كافة الأرصفة وممرات المشاة وعند نقاط عبور المشاة، وتوفير كافة المعلومات المرئية والمسموعة واللمسية.
- توفير كافة التجهيزات الخارجية من مقاعد جلوس، وسلات للقمامة، وأعمدة الإنارة، واللافتات الإرشادية وغيرها من التجهيزات.

- استخدام سجادات في الأرضيات تمتاز بالخشونة أو بروزات بسيطة يعرف من خلالها الأشخاص ذوي الإعاقة البصرية صفوف المصلين.
- توفير مساند اليد لمساعدة المستخدمين على الجلوس والوقوف على المواضع، أو استخدام المتوضأ الحديث.
- توفير دورة مياه خاصة بالأشخاص ذوي الإعاقة مصممة وفقاً للمعايير الدولية للوصول الشامل.
- توفير شاشات تلفاز لترجمة خطبة الجمعة والدروس الدينية للأشخاص ذوي الإعاقة السمعية.
- توفير لافتات ولوحات إرشادية داخل المسجد بما نصوص ورموز وإرشادات مرئية ومعلومات يمكن قراءتها بلغة برايل.
- 4 إدخال مفاهيم الوصول الشامل في المناهج التعليمية العليا " المعاهد والجامعات " وتطبيق أنشطة بهذا الخصوص، والتركيز على التخصصات العلمية مثل الهندسة المعمارية والمدنية والكهربائية وغيرها من التخصصات ذات الصلة.
- 5 القيام ببنوات وورش عمل للجميع حول مفهوم الوصول الشامل، واعتماده كنهج لتصميم المرافق العامة التي تختم الجميع.

المراجع

- 1 جرجس، أريني رأفت، وآخرون (2021)، نحو تصميم عالمي شامل للمدارس الحكومية بمدينة أسوان "مجمع العروبة كدراسة حالة"، مجلة التصميم العالمية، المجلد 11، العدد 2.
- 2 الدراجي، سعد إبراهيم (2017)، المساجد التراثية في مدينة بنغازي: دراسة عمارية، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد 8، العدد 1.
- 3 العربي، فتحية (2020)، منهج العمارة المحلية، قسم العمارة وتخطيط المدن، كلية الهندسة، جامعة بنغازي.
- 4 علام، أمل (2022)، اليوم العالمي للأشخاص ذوي الإعاقة، صحيفة اليوم السابع، متاحة على الموقع: <https://www.youm7.com>
- 5 الفلاح، سالمة مفتاح (2022)، إمكانية تطبيق الوصول الشامل في مدينة بنغازي (الحالة الدراسية: منطقة حي السلام)، الأكاديمية الليبية، بنغازي.
- 6 قمر، ريم (2021)، اكتشف عظمة الإسلام في أقدم 10 مساجد في العالم، مجلة النهر العربي الإلكترونية، متاحة على الموقع: <https://www.annaharar.com>

- 7 نوري، سعيد غني (2020)، **الجودة ونظام الأيزو 9001**، جامعة ميسان، العراق.
- 8 همامي، إسماعيل (2010)، **برنامج الوصول الشامل.. تأسيس بيئة ملائمة لذوي الاحتياجات الخاصة**، صحيفة الاقتصاد السعودية، متاحة على الموقع: <https://www.aleqt.com/>
- 9 وزارة تنمية المجتمع (2016)، **معايير جودة خدمات أصحاب الهمم في المؤسسات الحكومية والخاصة، الإمارات العربية المتحدة.**
- 10 Habitat III (2016), **Conference on Housing and Sustainable Urban Development**, the United Nations, Quito, Ecuador, from 17 – 20 October>
- 11 INTERNATIONAL STANDARD (ISO 21542,2011), **Building construction – Accessibility and usability of the built environment**, ISO copyright office, Published in Switzerland, Geneva.
- 12 Mace. Ronald L., Graeme J. Hardie, and Jaine P. Place (1996), **Accessible Environments: Toward Universal Design**, W.E. Preiser, JC. Vischer, E.T. White (Eds), Van Nostrand Reinhold, New York, 32 pages, Reprinted by permission from Van Nostrand Reinhold
- 13 Mourichon. A (2020), **What are the differences between universal design, accessibility, and inclusive design?**, Accessibility Statement.
- NDA (2020), **Building for Everyone: A Universal Design Approach, Planning and policy 9**, Centre for Excellence in Universal Design.
- 14 www.google.com.

جهود المؤسسات الدينية في الحفاظ

على ثوابت الهوية الجزائرية وبلورة الوعي الوطني خلال الحقبة الاستعمارية 1830-

1962م "الزوايا أمودجا".

*بودحام خيرة¹

¹قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر العاصمة، الجزائر

[*kheira.boudahame@univ-alger2.dz](mailto:kheira.boudahame@univ-alger2.dz)

ملخص البحث

يعتبر الاستعمار الفرنسي أخطر ما تعرضت له الجزائر سنة 1830م، سبقتة تحضيرات ومخططات كثيرة تسعى لإنجاح مشروع القضاء على الهوية الوطنية الجزائرية الاصيلية، وعلى الرغم من أنه أمضى معاهدة واضحة المعالم تعهد فيها بعدم المساس بالمؤسسات الدينية التعليمية والتي تعتبر أحد رموز الهوية الحضارية للبلاد، إلا أن الواقع أثبت غير ذلك فبمجرد غزو البلاد عملت حكومة الميتروبول للقضاء على كل مايربط النشئ بماضيه ومقوماته الهوياتية، والاعتداء على المراكز الدينية بمختلف الطرق قصد تحويلها لغير هدفها، ومنعها من تأدية واجبها الوطني الحضاري، وبالتالي فإننا نهدف من خلال هذا البحث الى ابراز المعالم الكبرى لدور الزاوية كمؤسسة دينية تعليمية في الحفاظ على مقومات الهوية الوطنية الجزائرية خلال الحقبة الاستعمارية، سيما وان مؤرخي الاستعمار اعترفوا بمدى قوة هذه المؤسسة وصلابتها في مواجهة الخطر الأجنبي من جهة، ثم اعترفوا بجهودهم المتواصلة في محاربتها، فيقول في هذا الشأن المؤرخ الفرنسي (الكسي دو طوكفيل) "لقد وضعنا أيدينا في كل مكان على هذه الأملاك ثم وجهناها لغير غرضها... وبعثرنا الحلقات الدراسية فقد انطفأت الانوار وهذا يعني أننا جعلنا المجتمع الإسلامي أكثر جهلا مما كان عليه"، لتجد هذه المؤسسات الدينية وسيما الزوايا نفسها محجرة على الدفاع عن ثوابت هذه الامة والتصدي للمتغيرات التي يسعى الاستعمار الفرنسي الى تحقيقها، وهو ما دفعنا الى اعتماد المنهج التحليلي التاريخي في هذه الدراسة انطلاقا من مادة تاريخية اختلفت بين المصادر والمراجع الأساسية للموضوع.

الكلمات المفتاحية: الزوايا، الاستعمار الفرنسي، الهوية الوطنية، المقاومة.

مقدمة:

إن الاحتلال الفرنسي للجزائر لم يكن قائما السيطرة العسكرية فقط، بل إضافة إلى ذلك حمل ضمن

أهدافه الاستعمارية أبعادا ثقافية حاول من خلالها مسح قيم الثقافة العربية الإسلامية للجزائريين والتي تشكل لهم أرضية الانتماء الحضاري القائمة على اللغة العربية، الدين والانتماء الوطني، وترسيخ محلها الثقافة الغربية الفرنسية، ويظهر ذلك جليا طيلة حقبة الاستعمار الفرنسي (1830-1962م) بعد تأكيد رجاله وجنرالاته على إلزامية اقتتان الغزو الثقافي بالعمل العسكري لضمان سيرورة البرامج الثقافية الاستعمارية وقطع الروافد التي كانت تغذي الثقافة الوطنية للشخصية الجزائرية.

غير أن المؤسسات الثقافية الدينية نخص بالذكر -الزوايا- شكلت قاعدة أساسية في الحفاظ على الهوية الثقافية الاصلية، ومراكزا للتعبيئة الوطنية ضد أي مساس بمقومات الشخصية الجزائرية، حيث تجسد دورها في مكافحة الاستلاب الثقافي الذي مارسه السياسة الاستعمارية اتجاه مبادئ الهوية الحضارية والثقافية للمجتمع الجزائري بغاية استئصال معالمها واحتوائها ضمن الثقافة الفرنسية، عن طريق ربطها بالماضي البيزنطي والروماني، وبهذا تهدف هذه الدراسة الى الحديث عن الثوابت الأساسية للهوية الجزائرية وإظهار العلاقة المتبادلة بين الفئات السوسيولوجية والمؤسسات الدينية خلال الفترة الاستعمارية، ومدى قدرة الزوايا على احتواء المشهد الثقافي في الجزائر، ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية التالية: ما مدى مساهمة الزوايا في مواجهة أساليب السياسة الاستعمارية ضد مقومات الهوية الوطنية الجزائرية؟

1. مقومات الهوية الوطنية الجزائرية وموقف الاستعمار الفرنسي منها:

على مر السنين ارتبطت الهوية الوطنية للمجتمع الجزائري بالتطورات الحاصلة من مرحلة إلى أخرى وبالأحداث التاريخية القديمة والحديثة التي شهدتها، هذه الاحداث من شأنها أن ساهمت بقوة في نسج خيوط هوية انتمائية مركبة من الامازيغية والإسلام والعروبة، وبالتالي فإن الحديث عن موضوع الهوية الوطنية كمفهوم حضاري فإنها تعني الانتماء الى الامة العربية بمختلف خصائصها وفروقاتها¹⁰⁶، وقد جدد مولود قاسم نايت بلقاسم عناصرها في مؤلفه "إنية وأصالة"، سيما بعد أن سعى الاستعمار الفرنسي منذ احتلاله للبلاد إلى تحقيق المسخ الكلي لمقومات الهوية الوطنية الجزائرية بهدف تحقيق أهداف مشروعه الاستعماري الرامية للتمسيح الأوروبي، فاتبع سياسة واضحة ضد هذه المقومات، والتي برزت في:

[106] - حسن بن تيشة، مقومات الهوية الوطنية في موانئ الثورة الجزائرية، مجلة قيس للدراسات الإنسانية

1.1. اللغة: تعتبر اللغة العربية من بين أهم الروافد التي تجسد عناصر الهوية الجزائرية ومستودعا لتراث الامة في مختلف عهودها ومصدرا للوحدة، حيث اعتبرت سلطات الاستعمار الفرنسي حاجزا أمامها لا بد من التصدي لها بمختلف السياسات، باعتبارها الوعاء الحضاري للمجتمع الجزائري تربطه بانتمائه للامة العربية، وهذا ما أشار إليه (الشيخ عبد الحميد بن باديس) حينما قال: "...هي الرابط الذي يربط بين ماضي الجزائر المجيد وحاضرها الأغر ومستقبلها السعيد، وهي لغة الدين والجنسية والقومية ولغة الوطنية المغروسة"¹⁰⁷.

فقد نادى قادة الاحتلال بضرورة القضاء على اللغة العربية كلغة أم وحل محلها اللغة الفرنسية بالتهريب والترغيب خدمة للثقافة الفرنسية وصبغ البلاد بصبغة فرنسية محض، بهدف تقطيع جل الروابط التي تربط الجزائر ماضيا وحاضرا ومستقبلا بثقافتها العربية الإسلامية لتصبح الجزائر قابلة للاندماج¹⁰⁸، وتطبيقا لذلك تم تضييق الخناق على التعليم للحد من انتشار اللغة العربية وفرض قرار إنشاء التعليم المزدوج يتم فيه تدريس اللغة العربية، ولكن شرط أن تكون فيه اللغة الفرنسية ومختلف علومها هي اللغة السيدة بداية من منتصف القرن 19م مصممة على أن اللغة العربية تعد خطرا على مشروعها الثقافي¹⁰⁹.

ولا بد من التذكير إلى أنه قد ورد في أحد التعليمات الصادرة خلال الأيام الأولى من الاحتلال الفرنسي على الجزائر بأن احكام السيطرة على الجزائر لن يتم دون القضاء على اللغة العربية: "إن ايةالجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا لغة قومية، والعمل الجبار الذي يترتب علينا إنجازه هو السعي وراء

[107] - جمال مخلوفي، السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر خلال الفترة 1900-1954م، أطروحة

دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد بن بلة، الجزائر، (2018)، ص17.

[108] - مجيب مسعودي، سياسة فرنسا الممنهجة في القضاء على مقومات الهوية الوطنية في الجزائر،

مجلة بحوث ودراسات، مج02، ع05، الجزائر، (2017)، ص19.

[109] - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ج03،

(1998)، ص29.

نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي بالتدريج، إلى أن تقوم مقام اللغة العربية¹¹⁰.

وبما أن المساس بلغة وطن يعني المساس بثوابت مجتمع رفض الجزائريين قطعاً سياسة فرنسا ضد لغتهم بحكم تشبثهم بهويتهم الوطنية وقيمهم الحضارية الإسلامية¹¹¹، كما لجأ الاستعمار الفرنسي إلى سياسة هدم وتخريب عديد المؤسسات التعليمية التي تدرس ليس بهدف ضرب التعليم فقط بل من أجل تحطيم بنية التعليم القائمة على مناهج تدرس باللغة العربية، وتم إقرار الحصول على رخصة من قبل سلطات الإدارة الفرنسية من أجل السماح لبعض هذه المراكز التعليمية بمزاولة نشاطها العلمي¹¹².

1.2. الدين: يعد الدين اللبنة الأساسية في تكوين هوية أي مجتمع من المجتمعات، وفرنسا كانت سباقة في إدراك مدى أهمية هذا العنصر في ترابط المجتمع الجزائري وتلاحمه وفعالية تأثيره في فكر وأخلاق وطبائع الانساق الاجتماعية في مستعمراتها، فالتحذت على عاتقها مسؤولية إنهاء وجود هذا الدين واجتثاثه من نفوس الجزائريين بكل الطرائق، معتمدة على أسلوب الإبادة الروحية من خلال الدعوة إلى التنصير فتوضحت بذلك الأبعاد الدينية في احتلال الجزائر¹¹³، بدليل محاولات أول أسقف فرنسي في الجزائر (أنطوان دو بوش) إعادة أمجاد الكنيسة الإفريقية فتم إنشاء كاتدرائية الجزائر في جامع كنشاوة سميت بكنيسة (سان فيليب)، بالإضافة إلى تحويل العديد من المؤسسات الدينية إلى غير غرضها سواء كان إلى كنائس أو كاتدرائيات أو مستشفيات...¹¹⁴، حيث كتب

^[10] - عماد لبيد، المحاولات الفرنسية لطمس مقومات الهوية الجزائرية إبان الاحتلال 1830-1962،

مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج03، ع05، الجزائر، ص03.

^[11] - سفيان لوصيف، المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في الجزائر المظاهر والانعكاس، المجلة

التاريخية الجزائرية، ع03، الجزائر، (2017)، ص ص 151-152.

^[12] - سعاد سطحي، وسائل المشروع الثقافي الاستعماري في القضاء على الهوية الوطنية، مجلة المعيار،

ع10، الجزائر، (2005)، ص45.

^[13] - عماد لبيد، المرجع السابق، ص05.

^[14] - مجيب مسعودي، المرجع السابق، ص ص 16-17.

أبو القاسم سعد الله في هذا الشأن: "إن سقوط الجزائر يعني سقوط قلعة إسلامية وعودة المسيحية إلى ديارها..."¹¹⁵.

ولا بد من الإشارة إلى أن فرنسا قد تعهدت فيما مضى ضمن توقيعها لمعاهدة الاستسلام على التزامها باحترام مقدسات المسلمين وحرمتها، غير أن الواقع كان شيئاً آخر، حيث تمت مصادرة أوقاف المسلمين الممون الرئيسي للمساجد والزوايا والمدارس وغيرها، بغاية إفراغ نفوس الجزائريين من وازعها الديني الذي يمثل رمزية هويتها، وهو ما يسمح في الأخير حسب اعتقاد فرنسا بغرس قابلية الاندماج لدى الجزائريين دون أي ردة فعل شرسة¹¹⁶، وهنا كان للجزائريين رأي آخر إذ امتنعوا عن إرسال أبنائهم إلى مدارس الإدارة الفرنسية خوفاً على أبنائهم من السير وراء أهداف فرنسا الدينية¹¹⁷، ومن مظاهر الممارسات الفرنسية التعسفية ضد الدين الإسلامي في الجزائر قيامها بالاحتفال المموي تخليداً لذكرى إنشاء الأسقفية الكاثوليكية في الجزائر سنة 1938م، حضره العديد من الأساقفة وكان في شكل مؤتمراً أكدوا فيه على أن الكاثوليكية في الجزائر ستُظهر مساعيهم قريباً في اثبات مدى ارتباط وامتداد الشمال الأفريقي بفرنسا¹¹⁸.

1.3. حب الوطن: تحدث مولود قاسم عن مسألة الهوية في إطار المقومات الحضارية لها، فنجد أنه اعتبر على غير اللغة والدين - حب الوطن عنصراً أساسياً في تشكيل مظاهر الهوية الجزائرية وبالتالي تكون هذه المقومات الثلاث "الإنية" أي "الشخصية" تعمل بشكل متداخل فيما بينها كمثلث أضلاعه متساوية لا يكتمل شكله دون

^[115] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، دار الغرب الإسلامي، لبنان،

ج01، (1992)، ص79.

^[116] - سعيد فرج، مقومات الحفاظ على هوية المجتمع الجزائري أثناء فترة الاحتلال الفرنسي في أدبيات

فكر عبد الحميد بن باديس، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج14، ع02، الجزائر،

(2022)، ص143.

^[117] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج06، دار الغرب الإسلامي، لبنان،

(1998)، ص139.

^[118] - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص137.

أحد الاضلاع، ولذلك قال: "إن الجزائر التي ساهمت بقسطها في إقامة حضارة من أخصب الحضارات وأغناها، هي الحضارة العربية الإسلامية... ثم تعرضت لغزو استعماري، قاومته عشرات وعشرات السنين، عانت أثناءه جميع محاولات المسخ، والإذابة والإدماج، قد قررت بعد استرجاع سيادتها واستقلالها أن تستكملها باستعادة جميع مقومات شخصيتها وعناصر ذاتيتها"¹¹⁹.

فقد عمل الاستعمار الفرنسي على القضاء على فكرة الوطنية الراسخة في نفوس الجزائريين من خلال المساس بأهم الثوابت التي تشكل مفهوم الوطن في حد ذاته، فتمت السيطرة في البداية على الأرض كرقعة جغرافية من أجل إيهام الجزائريين بفكرة "المقاطعة الجزائرية الفرنسية" وأن الجزائر مثلها مثل بقية الولايات الفرنسية، واعتمدت في ذلك على سياسة فرق تسد خاصة بين العرب والامازيغ محاولين اقناع الامازيغ أنهم من سلالات أوروبية لا بد أن يتشبثوا باللغة البربرية فتم منعهم من تعلم اللغة العربية¹²⁰.
ثم إن فرنسا رأت في ضرب الوحدة الوطنية مكسبا لها لسلخ فكرة الوطنية في حد ذاتها من ادبيات الفكر الجزائري، وأن ذلك لن يكون بمعزل عن زرع الفتنة بين العرب والامازيغ، وبالتالي اهتمت بعزل البربر ومنحهم مساحتهم وخصوصيتهم بل وفرض نظام قضائي خاص بهم خاضع للقانون الفرنسي بعيدا كل البعد عن الانتماء الحضاري الاسلامي¹²¹.

[119] - احمد بوزبوجة، إشكالية الهوية في مفهوم فكر مولود قاسم نايت بلقاسم، مجلة متون، ع04،

الجزائر، (2017)، ص226

[120] - سعيد فرج، المرجع السابق، ص 152

[121] - هامل بديس، الاحتلال الفرنسي واساليبه لهدم الهوية الجزائرية الجذور والاثار، مجلة الاحياء،

مج20، ع24، الجزائر، (2020)، ص536.

1. نظرة السلطات الاستعمارية للزوايا في بداية الاحتلال الفرنسي: إذا كانت

الزوايا تعتبر مدارس دينية ودار مجانية للضيافة¹²²، ومؤسسة تربوية اجتماعية دينية¹²³، فإن الكتاتيب هي مؤسسة ملحقة بها وهي حجرة أو حجرتين في المدن كما في الأرياف يكون اثاثها حصر يجلس عليه الطلبة والواح خشبية واقلام من القصب وكمية من الصلصال والصبغ المصنوع من صوف الغنم...¹²⁴، تبنى من قبل المحسنين احتسابا لله وقد تكون هذه الحجرة مجاورة للمسجد أو حتى غرفة في منزل¹²⁵. وقد ادركت فرنسا من الوهلة الأولى لاحتلالها الجزائر مدى أهمية هذه المؤسسات الدينية التعليمية في الحفاظ على سمات الشخصية الوطنية الجزائرية فطلت تنظر إليها بعين الحيطة والحذر لما تشكله من خطورة على مخططاتها الثقافية بالجزائر، واتجهت مباشرة الى مراقبة هذه المؤسسات من ناحية البرامج المقدمة والخطب الملقنة، بل وحددت العدد المسموح به للزوايا في كل منطقة تسيطر عليها، هذا ناهيك عن تضيق الخناق على نشاط الائمة ورجال دين والتجسس عليهم، كما تمكنت من تكوين طبقة رسمية من رجال الدين الإسلامي أوكلت لهم مهمة إدارة ومراقبة الزوايا الحرة، واجبارهم على التواصل المستمر والتعاون مع قوات الامن الفرنسية ضد المجتمع الجزائري، مما سيتسبب لا محال في زوال هيبة رجال الدين وهو ما ارادته فرنسا الاستعمارية¹²⁶.

[22] - بزواوية مختار، مكانة الزوايا ودورها الرائد في الحفاظ على مبادئ الهوية الوطنية-زواوية سيدي محمد بن عمر بندرومة انموذجا، مجلة البحوث والدراسات، مج19، ع02، الجزائر، (2022)، ص15.

[23] - طيب جاب الله، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة معارف، ع14، الجزائر، (2013)، ص135.

[24] - فطيمة براهيم، دور الكتاتيب القرآنية في ترسيخ ثوابت الامة وهويتها، مجلة التعليمية، مج10، ع02، الجزائر، (2020)، ص51.

[25] - عبد الرحمان بن احمد التجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 الى 1977، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (1983)، ص17.

[26] - يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص41.

وكما أشرنا سابقا فان فرنسا منذ البداية كانت تعلم بأن سقوط ايالة الجزائر انما هو عودة المسيحية الى ذكره (أبو القاسم سعد الله) بأن سلطات الاحتلال الفرنسي بعد دخولها البلاد الشمال الافريقي ككل، بدليل ما تم إقامة احتفالا دينيا ضخما في الساحة الرئيسية للقنصلية حضره الجنرالات والضباط والجنود يتقدمهم (دو بومون)، وروى أحد الفرنسيين المعاصرين مشاعره حول ذلك فيقول: "ان الاحتفال الديني جرى بالقنصلية التي (عليه السلام)"¹²⁷. بناها (أبناء محمد صلى الله عليه وسلم) لمواجهة أبناء عيسى ولم تنحصر سياسة فرنسا ضد الزوايا في المراقبة والتخريب فقط، بل حتى التمسيح وتحويلها الى كنائس 128، وعديدة هي الزوايا التي استهدفها الاستعمار الفرنسي كزاوية القشاش التي تم هدمها رفقة المدرسة الملحقة بها وقد كان أشار اليها المؤرخ (بوراس الناصر)، وزاوية سيدي الجودي التي تم بيعها لاحد الأوروبيين وزاوية الشبارلية سلمت للدرك الفرنسي سنة 1830م، وزاوية شختون حولت الى ثكنة عسكرية ثم الى مستشفى عسكري خاص بالضباط والجنود الفرنسيين¹²⁹.

في حدود سنة 1837م وحسب الإحصاءات التاريخية فان مدينة الجزائر لم يتبقى فيها من المراكز الدينية من زوايا وكتاتيب سوى 04 من أصل 160، وازدادت سياسة فرنسا ضد الزوايا تطورا الى حد انما أصبحت ترسم للائمة ورجال الدين من العلماء والفقهاء الاتجاه العام للخطب¹³⁰، خوفا مما قد تحدته نشاطات هذه المؤسسات، لذلك حذر الجنرال (لويس رين) في كتابه المرابطون والاخوان -دراسة عن الإسلام في الجزائر- من خطرهما على مشاريع الاحتلال،¹³¹ لأنها أصبحت تشكل لفرنسا نقطة انبعاث لليقظة لدى

[127]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج01، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (1992)، ص79.

[128] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص82.

[129] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص85.

[130] - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص67.

[131] - فريد حاجي، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر 1837-1937م المنطلق السيرورة المأل، دار

الخلدونية، الجزائر، (2013)، ص137.

إلى آثار الشعب الجزائري لا بد أن تزول فاجتهدت في تفريق صفوفها وتمزيق وحدتها^[132]، وأشار (سعد الله) هذه الممارسات على المجتمع الجزائري مؤكداً أنه ما بين سنوات 1830-1851م انقرض جيل بكامله مكون من العلماء والطلبة والوكلاء¹³³.

2. مساعي الزوايا في مواجهة المسخ الفرنسي للهوية الوطنية (1830-1962م):

1.3. المرحلة الأولى 1830-1900م:

شكلت الزوايا جبهة دفاع قوية ضد المحتل الفرنسي، حيث تمكنت من التصدي لسياسته الاستعمارية ضد الهوية الوطنية ومبادئها الإسلامية، إذ نجدها استثمرت مجالها التعليمي في سبيل ذلك، من خلال نشر التعليم هذا الجانب الذي رأت فيه الزوايا مفتاحاً لنشر تعاليم الدين الإسلامي والمحافظة على الروح الوطنية بين أبناء المجتمع الجزائري، خاصة وأن فرنسا كانت مستمرة في حربها ضد التعليم بحذ ذاته معتبرة إياه وسيلة الزوايا والمدارس القرآنية التي من خلالها يتم تمرير الرسالة التوعوية.

ركزت الزوايا على تعليم اللغة العربية والعمل على الحفاظ عليها في إطار مقومات الهوية الوطنية والدين الإسلامي ككل، بالإضافة إلى أنها كانت تحمل خزائن ثرية بالكتب القيمة ومخطوطات هامة ساهمت هي الأخرى في نشر الوعي بضرورة عدم الانسلاخ من الفكر الهوياتي الجزائري الإسلامي، وما يضاف للزوايا أنها تمكنت من الجمع بين مختلف الأطوار والمراحل التعليمية فقد اعتبرت مدارس ابتدائية وقرآنية وثانوية ومعاهد علمية في نفس الوقت خلال العقود الأولى من الاحتلال الفرنسي للبلاد، وبالتالي تمكنت من حفظ الإسلام في الجزائر في الجزائر في وقت عملت فيه حكومة المتروبول على نشر الجهل والظلام¹³⁴، فقد بلغ عدد الزوايا حسب إحصاء سنة

[132] - العربي غانم، سياسة الإصلاحات الفرنسية في الجزائر وردود الفعل الوطنية، رسالة ماجستير في

التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة 08 ماي 1945، الجزائر، (2012)، ص 22.

[133] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج3، المرجع السابق، ص58

[134] - بلحاج صديقي، المكتبات الجزائرية في القطاع الوهراني خلال الفترة 1830-1954م رسالة

ماجستير، جامعة أحمد بن بلة، الجزائر، (2012)، ص60.

1851م ب 593 زاوية موزعة على الأرياف الجزائرية، يتعلم فيها 8347 تلميذ¹³⁵، وثلاث مدارس دينية اسلامية¹³⁶، في حين كانت تلمسان تحتوي على 40 زاوية سنة 1871م من مجموع 2000 زاوية وكتاب موزعة على كامل اقطر الجزائري، تعلم فيها حوالي 28000 تلميذ¹³⁷.

لقد ساهمت الزوايا بشكل واضح وبتعاليمها القرآنية لصالح الهوية الوطنية من المحافظة على شخصية المجتمع الجزائري، اذ كانت بمثابة خزان احتوى مختلف القيم الخاصة بهذا المجتمع العريق في جذوره، واستمرت في نشرها وتبليغها طيلة التواجد الاستعماري عن طريق اعتمادها على التعليم العربي الإسلامي كوسيلة لذلك ولا سيما خلال السنوات الأولى من الاحتلال والتي شهدت محاولات نافذة في سلخ الأفكار الوطنية من فكر المجتمع الجزائري، فاذا كانت فرنسا قد تمكنت من احكام سيطرتها العسكرية التامة على البلاد خلال القرن 19م، فان الزوايا تمكنت من مقاومتها روحيا والعمل على الحفاظ على قيم الهوية الجزائرية، الامر الذي اعتبرته فرنسا بمثابة تحدي صعب يواجهها وشوكة تعرقل مخططاتها الرامية لتحقيق مشروعها الثقافي الأجنبي بالجزائر¹³⁸. وهذا ما ورد في أحد التقارير التي تحمل اعترافات الفرنسيين أنفسهم بالدور القيم للزوايا في الحفاظ على الهوية الوطنية: "تسعى الزوايا التي يديرها مقدمون من مختلف المذاهب إلى افساد عقول الأجيال المقبلة، وذلك ببث عدم التسامح الديني في قلوب الشباب وحملهم على كراهية الكافر، وإن مشايخ الزوايا يختارون في تدريبهم للفقراء نصوصا من القرآن معادية لنا تحطم فيهم بسرعة الشعور الذي سعينا لتطويره فيهم من طرف مؤسساتنا"¹³⁹، وتذكر (إيفون تورين) أن الزوايا كان لها دور أساسي في مواجهة المعركة ضد الاستعمار من خلال احتوائها للجزائريين وحشدتهم حولها، مع توضيح نوايا الإدارة الفرنسية ضد ثقافتهم العربية وقيمهم

[135] - عبد الحميد عومري، الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 1880-1914، أطروحة دكتوراه في تاريخ

الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، جامعة الجبالي ليايس، الجزائر، (2017)، ص38.

[136] - مجيب مسعودي، المرجع السابق، ص19.

[137] - عبد الحميد عومري، المرجع السابق، ص40.

[138] - جمال مخلوفي، المرجع السابق، ص ص 209-210.

[139] - المرجع نفسه، ص211.

2.3. المرحلة الثانية 1900-1954م:

شهدت هذه المرحلة بزوغ نهضة فكرية وثقافية في المشرق العربي كان لها تأثيرها وتداعياتها على الوضع الداخلي بالجزائر المستعمرة، حيث زاد نشاط المؤسسات الدينية في نشر الوعي واليقظة بين المجتمع الجزائري ردا على تعسفات فرنسا ضد الهوية الوطنية، والوقوف في وجهها كجبل تصدى لمشروعها الثقافي، وعلى سبيل المثال كانت زاوية العثمانية من بين اهم الزوايا المساهمة في الحفاظ على مقومات الهوية الوطنية باعتبارها أحد اهم قلاع الحضارة الإسلامية، وبرز ذلك في مساهمتها في ثورة الاوراس 1916م 141.

إن الزوايا اهتمت خلال هذه الفترة على وجه الخصوص بالحفاظ على اللغة العربية من العبث الذي حاولت الإدارة الاستعمارية القيام به للقضاء عليها، خاصة وأنها كانت الرابط الذي يقود الى تعلم وتعليم القران الكريم، والعمل على تحفيظه لمختلف الفئات العمرية من الجزائريين كبارا وصغارا 142.

وعلى الرغم من المحاولات الفرنسية المتكررة في مجابهة جهود الزوايا الهادفة للحفاظ على مقومات الهوية الوطنية من خلال تقنين نشاطها وتضييق الخناق عليها بإصدار قوانين ومراسيم تحد من عملها، حيث تم اصدار قرار 16 فيفري 1933م القاضي بمنع الوعظ والإرشاد في المؤسسات الدينية لغير رجال الدين المعينين من قبل الإدارة الفرنسية 143، إلا أنها استمرت في احتضان الثقافة العربية الإسلامية، والمساهمة على قدر امكانياتها في نشر التعليم وتعليم اكبر قدر من أبناء الجزائريين، لإعداد جيل قادر على مواجهة فرنسا التي تعمل بكل ما لديها

[40] - سفيان لوصيف، المرجع السابق، صص 152-153.

[41] - عباس كحول، دور الزوايا في الثورة التحريرية، مقاربة علمية في توثيق الشهادات الشفوية والارشيف الزاوية العثمانية بطولقة نموذجاً، مجلة علوم الانسان والمجتمع، مج08، ع02، الجزائر، (2019)، ص168.

[42] - يحي بوعزيز، المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرن التاسع عشر والعشرين، مجلة اللغة العربية، ع16، الجزائر، (2013)، ص106.

[43] - عباس كحول، المرجع السابق، ص168.

لإفراغ الجزائر من روحها الإسلامية وانجاح مشروع التنصير¹⁴⁴.

وتذكر جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء لمسلمين في مقال تفصيلي حول وضع الكتابات كحلقة خاصة بالزوايا في مدينة مستغانم في ظل السياسة الفرنسية المنتهجة وردا على جهودها في الحفاظ على الهوية الوطنية، أنه تم غلقها وحظر مزاولة الدراسة بها، واعتقال مسؤوليها ومسيريها بالإضافة الى تهديدهم بالسجن وتغريمهم بغرامة قدرت بـ 25 فرنك¹⁴⁵.

ثم ان الزوايا لم يقتصر دورها في مواجهة الاحتلال الفرنسي فقط، بل حتى في نشر مبادئ الاخلاق الكريمة أواسط المجتمع والحث على الانضباط بالعودة دائما الى نصوص الشريعة الإسلامية، وسعت الى تمدين سكان الأرياف بتلقيهم مبادئ الاخلاق الاجتماعية للحفاظ على الأصول العريقة، وركزت هنا على مبدأ الاحترام والمساواة، والتخفيف من معاناة الافراد¹⁴⁶، فقد تخرج من الزوايا مثقفون كثيرون كان لهم هم الاخرين دور هام في الاهتمام بقضايا الهوية الوطنية من بينهم مولود قاسم نايت بلقاسم، والدكتور محمد الشريف قاهر ومحمد طاهر ايت علجت خريجي زاوية سيدي يحيى العديلي ببجاية التي تم هدمها في بداية الاحتلال وفي سنة 1871م، ليعاد بناؤها واستئناف نشاطها بداية من سنة 1937م¹⁴⁷.

3.3. المرحلة الثالثة 1954-1962م:

[144] - يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه 1912-1948م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.س.ن)، ص11.

[145] - جريدة البصائر، "حول التعليم ومضايقته"، ع145، ديسمبر 1938، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (2005)، ص22.

[146] - علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925-1940 بحث في التاريخ الديني والاجتماعي، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، (2007)، ص76.

[147] - رياض بودلاعة، موقف الطرق الصوفية وزوايا المرابطين من الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962م، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة عبد الحميد مهري، الجزائر، (2017)، ص228.

أجرى المختصين الفرنسيين وأمر من حكومتهم بحثاً معمقة حول أهمية ومكانة الزوايا والمدارس القرآنية في المجتمع الجزائري، وحدود مساهماتها في الصحة الثقافية والنضالية للشعب الجزائري، خاصة وأن أغلب زعماء المقاومة الوطنية خرجي هذه المؤسسات الدينية التقليدية، إذ ذكر (مارسيل سيميان) بأن هذه المؤسسات غالباً ما تتحول إلى معقل للثورة وملجأ للثوار ضد الاستعمار، وبالتالي شكلت منطلقاً أساسياً للجهاد تحطُّ في أركان عتمتها المخططات الاستراتيجية للثورة 148، وهذا ما أشار إليه المؤرخ الفرنسي (كلود فاتان) حينما قال: "إن الزوايا في الجزائر كانت تشكل أقطاباً للمقاومة وخلايا للرفض ومواطن للانتفاضة المسلحة"¹⁴⁹، وبهذا يكون الفرنسيين قد تمكنوا من استيعاب مدى التفاف والتحام الشعب الجزائري بدينه واعتزازه بانتمائه نتيجة مساعي الزوايا في ذلك، سيما وأن زعماء المقاومة والجهاد اجتهدوا في كفاحهم على ضرورة الحفاظ على الوحدة الوطنية، مما يعكس جهود الزوايا في تكوينهم لهذا الهدف 150.

ومن بين الزوايا التي كان لها دور بارز خلال هذه الفترة زاوية الهامل الرحمانية والتي مثلت قاعدة تكوينية هامة لبعض القادة الثوريين منذ انطلاق الثورة بناحية بوسعادة، ومستودعا للصحة الحضارية، ومنطلقاً لترسيخ ثوابت الهوية الوطنية 151، فنجدها أمدت الثورة بنخب عديدة من طلبتها منذ العام الثاني للثورة، استشهد الكثير منهم خلال السنوات الأولى من الكفاح المسلح وأولهم كان الشهيد (نور الدين القاسمي الحسني) بمدينة طاقين

[48] - الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا ابان المقاومة والثورة التحريرية، منشورات وزارة

المجاهدين، الجزائر، (25-26 ماي 2005)، ص 154.

[49] - ميلود بن تيزي، دور الزوايا والنوادي والجمعيات في مواجهة المستعمر الفرنسي في الغرب الجزائري 1900-1954، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج 10، ع 02، الجزائر، (2019)، ص 279.

[50] - سعاد الحداد، دور الزوايا في مقاومة الاحتلال الفرنسي، مجلة المصادر، مج 14، ع 26، الجزائر، (2012)، ص 279.

[51] - محمد نسيب، زوايا العلم والقران بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، (د.س.ن)، ص 159.

"تيارت" سنة 1956م 152، وزاوية تيمليلين الرحمانية التي عرفت بملجأ المجاهدين، حيث أعدت مرديها واتباعها وطلبتها للجهاد، ونشطت في مجال نشر دعوة الجهاد وتوضيح أسباب وأهداف وأبعاد الثورة التحريرية للمسلمين 153.

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة القائمة على التعرض للجهود التي قامت بها الزوايا لترسيخ القيم الثقافية في المجتمع الجزائري حفاظا على هويته الوطنية، يتوضح أن فرنسا كانت مصممة على هدف استراتيجي قائم على اختراق جدار الهوية الوطنية من أجل الوصول الى استلاب ثقافي محض تحل من خلاله ثقافتها الدخيلة على المجتمع الجزائري، غير أن الزوايا كان لها رأي آخر، إذ لم تسمح بالمساس بمقومات الهوية الوطنية، وسعت جاهدة إلى نشر مكارم الاخلاق، ومبادئ الشريعة الإسلامية.

ليس هذا فقط بل كان لها دورا بارزا في الحث على مدى أهمية الحفاظ على الروح الوطنية لدى الفرد الجزائري في إطار المساهمة في المحافظة على مقومات الهوية الجزائرية التي عمل الاستعمار الفرنسي طيلة قرن واثنتان وثلاثون سنة من الزمن على محاولة طمسها، لتكون بذلك هذه المؤسسات بمثابة حصن منيع ضد أي تدخل اجنبي على الثقافة والهوية الحضارية للجزائر وهو ما جعل الجزائر تحافظ على اصالتها الى يومنا هذا. وبالتالي شكلت هذه المؤسسات الدينية وعاء ثقافي تخرج منه الطلبة المشبعين بالثقافة الإسلامية العربية وترسيخ لغة الانتماء الحضاري عندهم، وآخر ديني جهادي تجسدت مظاهره في الحث على الجهاد ضد الكفار، ثم وعاء سياسي جمعت بين المثقفين والعلماء والنخب التي اشتهرت فيما بعد بنشاطها السياسي مطلع القرن العشرين في اطار الكفاح والدفاع عن الشخصية الوطنية.

المصادر والمراجع:

المصادر:

[52] - رياض بودلاعة، المرجع السابق، ص 225.

[53] - محمد نسيب، المرجع السابق، ص 125.

[1] جريدة البصائر، "حول التعليم ومضايقته"، ع145، ديسمبر 1938، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (2005).

المراجع:

[1] سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م، ج03، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (1998)،

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج06، دار الغرب الاسلامي، لبنان، (1998)،

[3] عبد الرحمان بن احمد التجاني، الكتابيب القرآنية بندرومة من 1900 الى 1977، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (1983).

[4] يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

[5] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج01، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (1992).

[6] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج01، دار الغرب الإسلامي، لبنان.
[7] فريد حاجي، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر 1837-1937م المنطلق السيرورة المأل، دار الخلونوية، الجزائر، (2013).

[8] علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925-1940 بحث في التاريخ الديني والاجتماعي، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، (2007).

[9] محمد نسيب، زوايا العلم والقران بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، (د.س.ن).

[10] يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه 1912-1948م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

المقالات العلمية:

- [1] حسن بن تيشة، مقومات الهوية الوطنية في موثيق الثورة الجزائرية، *مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية*، مج01، ع02، الجزائر، (2017).
- [2] مجيب مسعودي، سياسة فرنسا الممنهجة في القضاء على مقومات الهوية الوطنية في الجزائر، *مجلة بحوث ودراسات*، مج02، ع05، الجزائر، (2017).
- [3] عباس كحول، دور الزوايا في الثورة التحريرية، مقارنة علمية في توثيق الشهادات الشفوية والارشيف الزاوية العثمانية بطولقة نموذجاً، *مجلة علوم الانسان والمجتمع*، مج08، ع02، الجزائر، (2019).
- [4] يحي بوعزيز، المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرن التاسع عشر والعشرين، *مجلة اللغة العربية*، ع16، الجزائر، (2013).
- [5] ميلود بن تيزي، دور الزوايا والنوادي والجمعيات في مواجهة المستعمر الفرنسي في الغرب الجزائري 1900-1954، *المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية*، مج10، ع02، الجزائر، (2019).
- [6] سعاد الحداد، دور الزوايا في مقاومة الاحتلال الفرنسي، *مجلة المصادر*، مج14، ع26، الجزائر، (2012).
- [7] عماد لبيد، المحاولات الفرنسية لطمس مقومات الهوية الجزائرية إبان الاحتلال 1830-1962، .
- [8] سفيان لوصيف، المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في الجزائر المظاهر والانعكاس، *المجلة التاريخية الجزائرية*، ع03، الجزائر، (2017).
- [9] سعاد سطحي، وسائل المشروع الثقافي الاستعماري في القضاء على الهوية الوطنية، *مجلة المعيار*، ع10، الجزائر، (2005).
- [10] سعيد فرج، مقومات الحفاظ على هوية المجتمع الجزائري اثناء فترة الاحتلال الفرنسي في أدبيات فكر عبد الحميد بن باديس، *المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية*، مج14، ع02، الجزائر، (2022).
- [11] احمد بوزبوجة، إشكالية الهوية في مفهوم فكر مولود قاسم نايت بلقاسم، *مجلة متون*، ع04، الجزائر، (2017).
- [12] هامل بديس، الاحتلال الفرنسي واساليبه لهدم الهوية الجزائرية الجذور والاثار، *مجلة الاحياء*، مج20، ع24، الجزائر، (2020).

[13] بزواوية مختار، مكانة الزوايا ودورها الرائد في الحفاظ على مبادئ الهوية الوطنية-زواوية سيدي محمد بن عمر بندرومة انموذجا، *مجلة البحوث والدراسات*، مج19، ع02، الجزائر، (2022).

[14] طيب جاب الله، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، *مجلة معارف*، ع14، الجزائر، (2013).

[15] فطيمة براهيم، دور الكتابات القرآنية في ترسيخ ثوابت الامة وهويتها، *مجلة التعليمية*، مج10، ع02، الجزائر، (2020).
الملتقيات العلمية:

[1] الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا غبان المقاومة والثورة التحريرية، *منشورات وزارة المجاهدين*، الجزائر، (25-26 ماي 2005).

الرسائل الجامعية:

[1] رياض بودلاعة، موقف الطرق الصوفية وزوايا المرابطين من الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962م، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة عبد الحميد مهري، الجزائر، (2017).
[2] بلحاج صديقي، المكتبات الجزائرية في القطاع الوهراني خلال الفترة 1830-1954م رسالة ماجستير، جامعة احمد بن بلة، الجزائر، (2012).

[3] عبد الحميد عومري، الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 1880-1914، أطروحة دكتوراه في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، جامعة الجبلاي ليايس، الجزائر، (2017).

[4] العربي غانم، سياسة الإصلاحات الفرنسية في الجزائر وردود الفعل الوطنية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة 8 ماي 1945، الجزائر، (2012).

تصنيف المساجد وفق المعايير التصميمية وكيفية حل مشاكلها

للمحافظة على الأثر الثقافي في ليبيا

الدكتورة نورا صالح محمد الفايد

عميد كلية الهندسة جامعة البحر المتوسط الدولية - بنغازي

ملخص

في ليبيا، يمكن تصنيف المساجد بناءً على معايير مختلفة مثل الطراز المعماري، والأهمية التاريخية، والحجم، والموقع، وتتنوع الأنماط المعمارية للمساجد في ليبيا، فمنها التصاميم العثمانية التقليدية والمغربية والإسلامية الحديثة، ويوفر هذا التصنيف نظرة ثاقبة لتنوع التأثيرات المعمارية والجماليات الموجودة في المباني الدينية في البلاد. غالبًا ما تواجه المساجد ذات الأهمية التاريخية في ليبيا تحديات في الحفاظ عليها وصيانتها، وقد تكون بعض المساجد التاريخية في حالة سيئة بسبب الإهمال أو نقص التمويل أو الكوارث الطبيعية، وتعتبر جهود الحفاظ ضرورية لحماية هذه القطع الأثرية الثقافية الهامة وضمان بقائها على المدى الطويل، ويتراوح حجم المساجد في ليبيا من مساجد الأحياء الصغيرة إلى المساجد الكبرى الكبيرة التي تتسع لعدد كبير من المصلين، وقد تواجه المساجد الكبيرة مشكلات تتعلق بإدارة الحشود والصيانة والمشاركة المجتمعية.

أما جغرافيًا، قد تواجه المساجد الحضرية في مدن مثل طرابلس وبنغازي تحديات مثل المساحة المحدودة للتوسع أو التجديد، وزيادة التحضر، والعوامل البيئية. أيضا قد تواجه المساجد الريفية في المناطق النائية صعوبة في الوصول إليها، والبنية التحتية، وقيود التمويل. وتشمل المشاكل الشائعة الأخرى التي تواجهها المساجد في ليبيا الافتقار إلى البنية التحتية المناسبة، وعدم كفاية المرافق للنساء والأطفال، وعدم كفاية الموارد للتعليم وبرامج التوعية المجتمعية. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يؤثر عدم الاستقرار السياسي والمخاوف الأمنية في البلاد على عمليات المساجد وسلامتها. تتطلب معالجة هذه التحديات جهودًا منسقة من السلطات الحكومية والمؤسسات الدينية والمنظمات المجتمعية ومجموعات المجتمع المدني لضمان الحفاظ على المساجد في ليبيا وإمكانية الوصول إليها واستدامتها للأجيال القادمة. ومن خلال فهم هذه القضايا ومعالجتها، يمكن لأصحاب المصلحة العمل على تعزيز التراث الثقافي والديني للمساجد في الدولة.

الكلمات الرئيسية: المساجد، تصنيفها، الطراز المعماري، الأهمية التاريخية، الجماليات، التراث الثقافي، المعايير.

1. مقدمة

وفي ليبيا، تتمتع المساجد بأهمية ثقافية ومعمارية كبيرة، مما يعكس التراث الإسلامي الغني للبلاد والتأثيرات المتنوعة. يساعد تصنيف المساجد حسب معايير التصميم في ليبيا على التعرف على الأنماط والعناصر المعمارية المختلفة السائدة في البلاد وتقديرها. إحدى الطرق الشائعة لتصنيف المساجد في ليبيا تعتمد على طرازها المعماري. غالبًا ما تظهر المساجد في ليبيا تأثيرات من الأساليب المعمارية العثمانية والمغربية والحديثة. وتتميز المساجد ذات الطراز العثماني بمعالم مثل القباب والمآذن، مما يعكس تأثير العمارة العثمانية في المنطقة. من ناحية أخرى، قد تتميز المساجد المغربية بأنماط هندسية معقدة، وأقواس، وزخارف مزخرفة، تعرض تأثير التصميم المغربي. هناك طريقة أخرى لتصنيف المساجد في ليبيا وهي تعتمد على حجمها. تتراوح أحجام المساجد من مساجد الأحياء الصغيرة إلى المساجد المركزية الكبيرة التي تعمل كنقاط محورية للمجتمع. يمكن أن يشير حجم المسجد في كثير من الأحيان إلى أهميته ودوره داخل المجتمع المحلي. بالإضافة إلى ذلك، يمكن تصنيف المساجد في ليبيا بناءً على وجود عناصر معمارية محددة. تشمل العناصر المشتركة الموجودة في المساجد الفناء والمنبر والمحراب والمذئبة. يمكن أن يختلف وجود هذه العناصر حسب الطراز المعماري والسياق التاريخي للمسجد. بشكل عام، يوفر تصنيف المساجد وفقًا لمعايير التصميم في ليبيا رؤى قيمة حول التنوع المعماري والتأثيرات الثقافية الموجودة في التراث الإسلامي للبلاد. ومن خلال دراسة وفهم هذه التصنيفات، يمكننا الحصول على تقدير أعمق للجمال المعماري الفريد للمساجد في ليبيا [2].

2. تصنيف المساجد وفق المعايير التصميمية في ليبيا

في ليبيا يمكن تصنيف المساجد وفق معايير تصميمية بناءً على عدة معايير منها الطراز المعماري والحجم ووجود عناصر محددة. تشمل بعض الطرق الشائعة لتصنيف المساجد في ليبيا ما يلي:

1.2 الطراز المعماري: يمكن تصنيف المساجد في ليبيا حسب طرازها المعماري، مثل العثماني، أو المغربي، أو الحديث. غالبًا ما تتميز المساجد ذات الطراز العثماني بالقباب والمآذن، بينما قد تحتوي المساجد المغربية على أنماط وأقواس هندسية معقدة. ويمكن تصنيف المساجد حسب طرازها المعماري الذي يعكس في كثير من الأحيان التأثيرات الثقافية والفترات التاريخية التي شكلت العمارة الإسلامية في البلاد. بعض الأنماط المعمارية الشائعة للمساجد في ليبيا تشمل:

- **الطرز العثماني:** غالبًا ما تتميز المساجد ذات الطراز العثماني في ليبيا بعناصر معمارية مميزة مثل القباب الكبيرة والمآذن الشاهقة والأنماط الهندسية المعقدة. تُظهر هذه المساجد تأثير الإمبراطورية العثمانية على العمارة الليبية، خاصة في المناطق التي كانت تحت الحكم العثماني.

- **الطرز المغربي:** تتميز المساجد ذات الطراز المغربي في ليبيا بخصائص مثل الأقواس على شكل حدوة الحصان، وأعمال البلاط المزخرفة، والمنحوتات الجصية المتقنة. تعكس هذه المساجد تأثير التصميم المغربي البارز في فن العمارة في شمال إفريقيا والأندلس.

- **الطرز الحديث:** تتميز المساجد الحديثة في ليبيا بالسمات المعمارية المعاصرة وعناصر التصميم. قد تشتمل هذه المساجد على مواد حديثة وتصميمات بسيطة وتقنيات مبتكرة مع الالتزام بالمبادئ المعمارية الإسلامية التقليدية.

- **الطرز الليبي التقليدي:** تم بناء بعض المساجد في ليبيا على الطراز المعماري الليبي التقليدي الذي تنفرد به المنطقة. قد تحتوي هذه المساجد على مواد بناء محلية، وعناصر تصميم أصلية، وتنوعات في التخطيط المعماري بناءً على المجتمعات التي تخدمها.

ومن خلال تصنيف المساجد في ليبيا حسب طرازها المعماري، يمكن للباحثين وعشاق الهندسة المعمارية الحصول على فهم أعمق للتأثيرات الثقافية والسياقات التاريخية التي ساهمت في تنوع العمارة الإسلامية في البلاد. كما يساعد هذا التصنيف في الحفاظ على التراث المعماري الفريد للمساجد في ليبيا وتعزيزه للأجيال القادمة [1].

2.2 الحجم: يمكن أيضاً تصنيف المساجد في ليبيا بناءً على حجمها، بدءاً من مساجد الأحياء الصغيرة إلى المساجد المركزية الكبيرة التي تخدم المجتمع بأكمله، ويمكن أيضاً أن يختلف بشكل كبير اعتماداً على الموقع وحجم المجتمع والأهمية التاريخية للمسجد. تتضمن بعض التصنيفات الشائعة بناءً على الحجم ما يلي:

- **مساجد الأحياء:** مساجد الأحياء في ليبيا هي مساجد صغيرة تقع عادة داخل المناطق السكنية لخدمة المجتمع المحلي. هذه المساجد متواضعة في الحجم والسعة، وغالباً ما تستوعب عددًا صغيراً من المصلين لأداء الصلاة اليومية.

- **المساجد الإقليمية:** المساجد الإقليمية في ليبيا أكبر من مساجد الأحياء وتعمل كنقاط محورية لأحياء أو مجتمعات متعددة داخل منطقة معينة. قد تحتوي هذه المساجد على قاعات صلاة وساحات ومرافق أكبر لاستيعاب جماعة أكبر أثناء صلاة الجمعة والمناسبات الدينية.

- **المساجد المركزية:** المساجد المركزية في ليبيا هي أكبر وأبرز المساجد في المدينة أو البلدة، وهي بمثابة معالم دينية وثقافية رئيسية. غالباً ما تتميز هذه المساجد بتصميمات معمارية كبيرة، وقاعات صلاة واسعة، ومآذن متعددة، ومرافق للأنشطة التعليمية والمجتمعية.

- **المساجد التاريخية:** المساجد التاريخية في ليبيا هي مساجد قديمة لها أهمية دينية ومعمارية وثقافية كبيرة. وقد تختلف هذه المساجد في الحجم والتصميم حسب الفترة التاريخية التي بنيت فيها، ويمكن تصنيفها حسب أهميتها التاريخية.

من خلال تصنيف المساجد في ليبيا على أساس حجمها، يمكن للباحثين والمؤرخين الحصول على نظرة ثاقبة للتطور المعماري والوظائف الاجتماعية للمساجد في مناطق مختلفة من البلاد. ويساعد هذا التصنيف أيضاً على فهم دور المساجد كمراكز للعبادة وتجمع المجتمع وتراث ثقافي في المجتمع الليبي [2].

3.2 وجود عناصر محددة: يمكن تصنيف بعض المساجد في ليبيا بناءً على وجود عناصر معمارية محددة وتتميز بها العمارة الإسلامية، مثل الساحات أو القباب أو المئذنة أو الخط والزخرفة. وفيما يلي بعض الأمثلة على المساجد في ليبيا مصنفة حسب معالمها المعمارية:

- القباب:

جامع طرابلس الكبير: يتميز هذا المسجد بقبة مركزية كبيرة تحيط بها قباب أصغر حجماً، مما يعكس مزيجاً من التأثيرات المعمارية العثمانية والمغربية.

المسجد الكبير في بنغازي: يحتوي هذا المسجد على قبة مركزية بارزة ذات قباب ومآذن أصغر، وهي نموذجية للمساجد ذات الطراز العثماني في ليبيا.

- المآذن:

مسجد قرجي في طرابلس: يشتهر هذا المسجد بمئذنته الطويلة المزخرفة ذات الأنماط الهندسية المعقدة والخط العربي، والتي تمثل الطراز المعماري الليبي التقليدي.

مسجد مولاي أحمد في مصراتة: يحتوي هذا المسجد على مآذن متعددة ذات أشكال مثمانية أو مربعة، تعرض مزيجاً من عناصر التصميم العثماني والمغربي.

- الساحات:

مسجد القلعة الحمراء في طرابلس: يضم هذا المسجد فناءً واسعاً بأرضيات رخامية، وتحيط به أروقة وقاعات للصلاة، مما يعكس تأثير العمارة المغربية في ليبيا.

مسجد سيف النصر في بنغازي: يتميز هذا المسجد بفناء كبير مفتوح مع نافورة مركزية وحدائق مورقة، مما يوفر مساحة هادئة للمصلين والمناسبات المجتمعية [3].

- الخط والزخرفة:

مسجد الأشرف في زليتن: هذا المسجد مزين بالخط المعقد وأعمال البلاط الملون، مما يعرض الفن والحرفية الإسلامية التقليدية.

مسجد المرسي في درنة: يتميز هذا المسجد بأبواب خشبية منحوتة بشكل متقن، وأعمال جصية زخرفية، وخط مزخرف، يجسد جمال الزخرفة المعمارية الإسلامية في ليبيا.

ومن خلال تصنيف المساجد في ليبيا على أساس وجود عناصر معمارية محددة، يمكن للمتحمسين تقدير تنوع الأساليب والتأثيرات المعمارية الإسلامية التي شكلت المساجد في البلاد. كما يسלט هذا التصنيف الضوء على الأهمية الثقافية والحرفية الفنية للمساجد باعتبارها معالم دينية ومعمارية مهمة في المجتمع الليبي. وبشكل عام، فإن تصنيف المساجد في ليبيا وفقاً لمعايير التصميم يمكن أن يساعد في فهم أفضل للتنوع المعماري والتأثيرات الثقافية الموجودة في التراث الإسلامي للبلاد [5].

3. المشاكل التي تواجهها المساجد الليبية ومدى تأثيرها على الأثر الثقافي

تواجه المساجد الليبية، مثل العديد من المواقع التاريخية والثقافية حول العالم، تحديات مختلفة تهدد الحفاظ عليها وتراثها الثقافي، ومن المشاكل التي تواجهها المساجد الليبية وتأثيرها على التراث الثقافي ما يلي:

1.3 الصراع وعدم الاستقرار: كان للاضطرابات السياسية والصراع المستمر في ليبيا تأثير شديد على الحفاظ على المساجد والمواقع التاريخية الأخرى. تشكل الأضرار الناجمة عن النزاع المسلح والنهب والإهمال تهديداً كبيراً للسلامة الهيكلية لهذه المساجد وأهميتها الثقافية.

2.3 نقص الصيانة والصيانة: تعاني العديد من المساجد في ليبيا من نقص جهود الصيانة والحفظ والتزيم. وبدون أنشطة الصيانة والحفظ المنتظمة، فإن هذه المباني التاريخية معرضة لخطر التدهور والأضرار الهيكلية وفقدان القيمة الثقافية [7]

3.3 التطوير الحضري والتحديث: غالباً ما يتجاهل التحضر السريع ومشاريع التنمية الحديثة في ليبيا الأهمية التاريخية والثقافية للمساجد والأحياء القديمة. إن التعدي على المباني والطرق والبنية التحتية الجديدة يمكن أن يؤدي إلى تعطيل السلامة المعمارية والثقافية لهذه المساجد.

4.3 العوامل البيئية: يمكن أن تشكل الكوارث الطبيعية، مثل الفيضانات والزلازل والتعرية، تهديداً للاستقرار المادي والحفاظ على المساجد في ليبيا. وتؤدي تأثيرات تغير المناخ، مثل ارتفاع منسوب سطح البحر والظواهر الجوية

المتطرفة، إلى تفاقم خطر إلحاق الضرر بهذه المواقع التاريخية.

5.3 نقص الوعي والتمويل: يعد الوعي العام المحدود حول أهمية الحفاظ على التراث الثقافي وعدم كفاية

التمويل لمشاريع الحفظ والترميم من التحديات الإضافية التي تواجه المساجد الليبية. وبدون الدعم والموارد المناسبة،

يظل الحفاظ على هذه المواقع التاريخية على المدى الطويل غير مؤكد [3]

إن تأثير هذه المشاكل على المساجد الليبية والتراث الثقافي كبير، إن فقدان هذه المواقع التاريخية أو تدهورها لا يؤدي

إلى تآكل التراث المعماري والفني للحضارة الإسلامية فحسب، بل يقلل أيضاً من الهوية الثقافية والذاكرة للشعب

الليبي. يعد الحفاظ على المساجد وحمايتها في ليبيا أمراً ضرورياً للحفاظ على التراث الغني للبلاد وتعزيز الاستمرارية

الثقافية للأجيال القادمة. تعتبر الجهود المبذولة لمواجهة هذه التحديات من خلال حملات التوعية ومبادرات الحفظ

والتعاون الدولي أمراً بالغ الأهمية في حماية التراث الثقافي للمساجد الليبية والحفاظ عليه [8].

4. كيفية حل مشاكل تصنيف المساجد وفق المعايير التصميمية للمحافظة على الأثر

الثقافي

يتطلب حل مشاكل تصنيف المساجد وفقاً لمعايير التصميم للحفاظ على التراث الثقافي في ليبيا نهجاً متعدد الأوجه

يتضمن التعاون بين السلطات الحكومية ومنظمات الحفاظ على التراث والمخططين الحضريين والمهندسين المعماريين

والمؤرخين والمجتمعات المحلية. فيما يلي بعض الاستراتيجيات لمواجهة هذه التحديات:

1.4 وضع معايير تصنيف واضحة: وضع معايير تصنيف موحدة تعتمد على العناصر المعمارية والأهمية

التاريخية والقيمة الثقافية واحتياجات الحفاظ على المساجد في ليبيا. ويجب أن تأخذ هذه المعايير في الاعتبار الأنماط

المعمارية المتنوعة والاختلافات الإقليمية والتأثيرات الثقافية الموجودة في المساجد الليبية.

2.4 إجراء مسوحات وتوثيق شامل: إجراء مسوحات وتوثيق شامل للمساجد في جميع أنحاء ليبيا لتقييم

سماحتها المعمارية وسياقها التاريخي وحالتها ومتطلبات الحفاظ عليها. ستكون هذه المعلومات بمثابة مورد قيم لجهود

التصنيف والحفظ.

3.4 إشراك أصحاب المصلحة والمجتمعات: قم بإشراك المجتمعات المحلية والزعماء الدينين وعشاق

التراث في عملية التصنيف لضمان مشاركتهم ومدخلاتهم ودعمهم. رفع مستوى الوعي حول الأهمية الثقافية

للمساجد وأهمية الحفاظ على التراث المعماري للأجيال القادمة.

4.4 تنفيذ إجراءات الحفظ والترميم: وضع خطط الحفظ والترميم للمساجد المصنفة بناءً على معايير

تصميمها وأهميتها التاريخية واحتياجات الحفاظ عليها. التأكد من أن هذه التدابير تلتزم بمبادئ وإرشادات الحفظ

الدولية لحماية التراث الثقافي للمساجد الليبية.

5.4 توفير التدريب وبناء القدرات: تقديم برامج تدريبية ومبادرات وبناء القدرات للمهنيين المشاركين في الحفاظ على التراث والحفاظ على الهندسة المعمارية والتخطيط الحضري. تعزيز مهاراتهم ومعارفهم في الحفاظ على التراث الثقافي وتنفيذ معايير التصميم للمساجد المصنفة في ليبيا.

6.4 تعزيز الشراكات والتعاون: إقامة شراكات بين الوكالات الحكومية ومنظمات الحفاظ على التراث والمؤسسات الأكاديمية وأصحاب المصلحة الدوليين لتنسيق الجهود في تصنيف المساجد والحفاظ عليها وفقاً لمعايير التصميم. تشجيع التعاون وتبادل أفضل الممارسات في مجال الحفاظ على التراث والحفاظ على التراث الثقافي.

7.4 إنفاذ الحماية القانونية واللوائح: سن وإنفاذ القوانين واللوائح والسياسات التي تحمي المساجد المصنفة والمناطق التراثية المحيطة بها من التغيير غير المصرح به، أو الهدم، أو التطوير غير المناسب. تأكد من الالتزام بمعايير التصميم وإرشادات الحفاظ في أي مشاريع تجديد أو ترميم.

ومن خلال تنفيذ هذه الاستراتيجيات، يمكن لليبيا أن تعالج بفعالية تحديات تصنيف المساجد وفقاً لمعايير التصميم للحفاظ على التراث الثقافي. سيساعد هذا النهج الشامل في الحفاظ على التراث المعماري والأهمية التاريخية والقيمة الثقافية للمساجد في البلاد، مما يساهم في الحفاظ على التراث الثقافي الليبي وتعزيزه على المدى الطويل [6].

5. الخاتمة والتوصيات

ولمواجهة تحديات تصنيف المساجد وفقاً لمعايير التصميم للحفاظ على التراث الثقافي في ليبيا، تعتبر التوصيات التالية حاسمة:

1- إنشاء نظام تصنيف منهجي وشامل للمساجد في ليبيا على أساس الأنماط المعمارية والأهمية التاريخية والقيمة الثقافية واحتياجات الحفاظ عليها. ويجب أن يأخذ هذا النظام في الاعتبار الخصائص الفريدة والاختلافات الإقليمية للمساجد في أجزاء مختلفة من البلاد.

2- إجراء مسوحات وتوثيق شامل للمساجد لتقييم خصائصها المعمارية وحالتها وسياقها التاريخي. وستشكل هذه المعلومات الأساس لتخطيط التصنيف والحفاظ عليه، مما يساعد على تحديد أولويات المساجد التي تحتاج إلى اهتمام فوري.

3- إشراك المجتمعات المحلية والزعماء الدينيين وخبراء التراث والوكالات الحكومية ذات الصلة في عملية التصنيف. اطلب المدخلات والتعليقات من أصحاب المصلحة لضمان أن يكون نظام التصنيف شاملاً وشفافاً وحساساً ثقافياً.

- 4- وضع إرشادات ومعايير واضحة للحفاظ على المساجد المصنفة في ليبيا والمحافظة عليها. ويجب أن تتناول هذه المعايير مبادئ التصميم والسلامة الهيكلية والحفاظ على المواد والاستدامة، مما يضمن امتثال جهود الحفظ لأفضل الممارسات الدولية.
- 5- تقديم برامج تدريبية ومبادرات بناء القدرات للمهنيين المشاركين في الحفاظ على التراث، والتخطيط الحضري، والهندسة المعمارية، والسياحة الثقافية. تعزيز معارفهم ومهاراتهم في الحفاظ على التراث، ومعايير التصميم، وممارسات الحفاظ الخاصة بالمساجد.
- 6- رفع الوعي العام حول الأهمية الثقافية للمساجد وأهمية الحفاظ على التراث المعماري في ليبيا. إجراء حملات تثقيفية وورش عمل ومعارض لإشراك الجمهور في الحفاظ على التراث وبناء شعور بالملكية والفخر بالتراث الثقافي.
- 7- تعزيز التعاون بين الوكالات الحكومية والمنظمات التراثية والمؤسسات الأكاديمية والشركاء الدوليين لتنسيق الجهود في تصنيف المساجد والحفاظ عليها. إقامة شراكات لتبادل الموارد والخبرات وأفضل الممارسات في الحفاظ على التراث.
- 8- تنفيذ وإنفاذ تدابير الحماية القانونية واللوائح والسياسات لحماية المساجد المصنفة من التغيير غير المصرح به، أو الهدم، أو التطوير غير المناسب. تأكد من أن جهود الحفظ تلتزم بمعايير التصميم وإرشادات الحفظ

[4]

ومن خلال تنفيذ هذه التوصيات، يمكن لليبيا أن تعالج بفعالية تحديات تصنيف المساجد وفقاً لمعايير التصميم للحفاظ على التراث الثقافي. سيساعد هذا النهج الشامل على ضمان الحفاظ على التراث المعماري والأهمية الثقافية للمساجد في البلاد على المدى الطويل وتعزيزه وتقديره.

المراجع

- [1] Anna Leone, 2020, "An Integrated Methodology for The Documentation and Protection of Cultural Heritage in The MENA Region: A Case Study from Libya and Tunisia.", Libyan studies Pp 1-24.
- [2] "International Expert Meeting on the Safeguard of Libyan Cultural Heritage", 2016, Organized by UNESCO and ICCROM with the support of the Embassy of the United States of America to Libya,
- [3] Jazeel M.I.M., 2018, "Mosque Engagement in the Community Organizing: An

Empirical Study in Sri Lanka”, KALAM – International Research Journal Faculty of Arts and Culture, South Eastern University of Sri Lanka. XI (1&II).

[4] Leone A. & Wootton W., 2020, “An Integrated Methodology for The Documentation and Protection of Cultural Heritage in The MENA Region: A Case Study from Libya and Tunisia”, Published online by Cambridge University, Libyan Studies, Volume 51, Pp. 141 – 168.

[5] Michael G. Schaeffer, Maroua Lassoued & Zied Ouelhazi, 2019, “Proceedings of The Libya Local Government Forum”, Revised for Publication: January 2021,

[6] Oussouby S., 2021, “The Involvement of Local Communities in The Conservation Process of Earthen Architecture in The Sahel–Sahara Region – The Case of Djenné, Mali”, Built Heritage 5(1), DOI:10.1186/s43238-021-00040-y, LicenseCC BY 4.0.

[7] Suud Sarim Karimullah, 2023, “The Role of Mosques as Centers for Education and Social Engagement in Islamic Communities”, Submitted: 05-10-2023 Reviewed: 19-11-2023 Published: 24-12-2023, Gümüşhane University, Türkiye.

[8] Technical Tools for Heritage Conservation and Management, 2012, “Guidelines on Cultural Heritage”.

مسجد الباشا بمدينة الخمس / ليبيا

2. عادل المبروك الفار

أستاذ مشارك. الاكاديمية الليبية

adelalfar70@gmail.com

1. باسم سعيد كامل

جامعة المرقب

basmadlyl.2020@gmail.com

المخلص

كانت عمارة المساجد أهم ما بناه المسلمون من الأبنية، والمسجد أهم مكان تتمثل فيه العمارة الإسلامية والفن الإسلامي معا، يعتبر المسجد القلب النابض لأي مجتمع إسلامي في العالم، فهو المكان الذي يجتمع فيه المسلمون لأداء سننهم سواء كانت اليومية، الأسبوعية أو السنوية. ولمساعدة الناس على أداء صلواتهم وسننهم في راحة وخشوع.

يعد مسجد الباشا بمدينة الخمس من أبرز الاثار الإسلامية في ليبيا، الذي يقع وسط المدينة، تم بناءه في أواخر العهد العثماني، سُمي باسم الباشا لأن المسجد يعود نسبه إلى الوالي "محمد باشا" وذلك حسب روايات بعض أهالي المدينة، وهناك من يقول بأن سبب تسميته يرجع إلى الوالي "رجب باشا" الذي كان حاكما لولاية طرابلس في الفترة (1322-1326).

تناول البحث انشاء المسجد، والأجزاء المعمارية له، أظهر البحث ما بداخل المسجد من بيت للصلاة

والمحراب والمنبر والمئذنة والميضأة وهو غني بالزخارف البديعة التي تنم عن حس فني راق للحضارة العربية الإسلامية.

يهدف البحث لتعريف بالمسجد والسعي لإبرازه كافة مراحل التاريخة واعمال الصيانة التي أجريت عليه .

الكلمات المفتاحية: مسجد، العثماني، الصحن، الزخرفة، العقود، المنبر.

Abstract

Mosque architecture was the most important building built by Muslims, and the mosque is the most important place in which Islamic architecture and Islamic art are represented together. The mosque is considered the beating heart of any Islamic society in the world, as it is the place where Muslims gather to perform their Sunnahs, whether daily, weekly or annual. To help people perform their prayers and Sunnahs in comfort and reverence.

The Pasha Mosque in the city of Al-Khoms is considered one of the most prominent Islamic monuments in Libya. It is located in the center of the city. It was built in the late Ottoman era. It was named after the Pasha because the mosque traces its lineage to the governor, "Muhammad Pasha," according to the accounts of some of the city's people. There are those who say that the reason for its name is It dates back to the governor, Rajab Pasha, who was governor of the Tripoli state in the period.(1326-1322)

The research dealt with the construction of the mosque and its architectural parts. The research showed what was inside the mosque, including the prayer house, the mihrab, the pulpit, the minaret, and the watering place. It is rich in exquisite decorations that reflect a refined artistic sense of the Arab-Islamic civilization.

The research aims to introduce the mosque and seek to highlight all its historical stages and the maintenance work carried out on it.

Keywords: mosque, Ottoman, courtyard, decoration, arches, pulpit.

المقدمة

تعتبر المباني الاثرية أحد الجوانب المهمة للتراث الحضاري، فالعمارة تأتي في مقدمة المعالم الثقافية والمادية والمعبرة عن الواقع الثقافي. منها مدينة الخمس التي تمتلك من الآثار ما يكفي لجعلها من أهم المناطق السياحية في ليبيا، ومن هذه المباني المساجد الاثرية بالمدينة.

تحتل مدينة الخمس بموقع استراتيجي حيث إنها تطل على البحر المتوسط، وهي من المدن السياحية الهامة، ففيها عدة مواقع أثرية مهمة بسبب الحضارات العديدة التي مرت بها على مر التاريخ، من ضمنها الحضارة الإسلامية التي يعتبر المسجد من أهم معالم الاثرية الإسلامية بالمدينة فهي تحوي عدد من المساجد الأثرية ومن ضمنها مسجد الباشا(الحميدية) موضوع البحث .

يُعدُّ المسجد قلب التجمعات البشرية في المجتمعات الإسلامية، سواء أكانت قرية أم حياً أم مدينة. ومنذ بزوغ نور الإسلام وبدأت مراحل تكوين المجتمع المسلم، فقد كان المسجد أول مؤسسه دينية تربوية اجتماعية يتبلور كيانها، فما إن حط المصطفى صلي الله عليه وسلم رحاله بطيبة الطيبة حتى أمر ببناء المسجد ليكون مشعلاً للنور و الهداية والصلاح فلم يقصر الإسلام رسالة المسجد علي أداء الصلوات الخمس فحسب، بل أراد رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يكون للمسجد دور إيجابي وأهداف سامية تخدم المجتمع الإسلامي ككل، فبجانب أداء الصلوات الخمس هو موطن تلاوة وتدبر ومعهد علم وتهذيب، ومجلس صلح وقضاء، وملتقى تعاون وتكامل .ومكان رأي ومشورة.

للمسجد في المجتمع المسلم عدة وظائف، أهمها الوظيفة الدينية، ثم الوظيفة التربوية، ثم الوظيفة الاجتماعية. وقد كان المسجد يؤدي كل تلك الوظائف في ألوية الجهاد، والجانب القضائي حيث يتم فيه الفصل بين المتخاصمين.

إشكالية البحث: تتمثل الإشكالية البحثية في السؤال الآتي: هل من الممكن وضع برنامج لتعريف والمحافظة على المسجد واصلته التراثية؟

فرضية البحث: 1. ضعف الوعي الثقافي بأهمية المباني الأثرية (المساجد الاثرية بمدينة الخمس) أدى إلى إهمالها مقارنة بباقي المدن.

2. ضعف دور المؤسسات في الترويج والدعاية لأهمية الاثار الاسلامية بالمدينة الأثرية والتركيز فقط على الاثار الرومانية.

أهداف البحث: يهدف البحث للتعرف على المسجد داخل المدينة لدراسة موقعه، وتاريخه، وتطوره،

والتعديلات التي أجريت عليه، وأجزائه المعمارية، ودوره داخل المدينة.

منهجية البحث: أعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي وتشمل الدراسة على جانبين نظري وعملي.

صعوبات البحث: تتمثل في قلة المراجع الخاصة بمسجد الباشا حيث لا يوجد ماعد كتاب موسوعة الاثار الإسلامية،

البحث يتناول المسجد ودراسته من الناحية التاريخية والمعمارية. كما يشتمل البحث على خاتمة توضح أهم النتائج التي توصلت إليها.

مسجد الباشا بمدينة الخمس

يعد مسجد الباشا في مدينة الخمس من المساجد العريقة، تم بناءه في أواخر العهد العثماني، وهو من المعالم التاريخية المهمة في هذه المدينة بشكل خاص وليبيا بشكل عام الشكل رقم (1).



الشكل رقم (1) منظر عام لمسجد الباشا بمدينة الخمس

موقعه:

ويقع هذا المسجد بوسط مدينة الخمس بجوار بريد الخمس المركزي الشكل رقم (2).



الشكل رقم (2) يوضح موقع المسجد

تاريخ تأسيسه:

أسس المسجد حوالي 268 هـ وقام ببنائه السلطان عبد الحميد باشا الذي كان واليا على مدينة الخمس، بني في أواخر العهد العثماني ويشير نقش أسفل المئذنة أنها شيدت سنة 1325 للهجرة لكن المسجد [154].

التسميه:

اشتهر المسجد باسم مسجد الحميدية، وسمي باسم الباشا لأن المسجد يعون نسبه إلى الوالي "محمد باشا" وذلك حسب روايات بعض أهالي المدينة، وهناك من يقول بأن سبب تسميته يرجع إلى الوالي "رجب باشا" الذي كان حاكما لولاية طرابلس في الفترة (1322-1326)، ووجد في مدخل المئذنة نص باسم "رجب باشا"، وتاريخه يرجع للسادس عشر من شعبان سنة 1325 هـ الموافق 1906/6/22 م تقريبا. اما بالنسبة لبيت الصلاة فيعتقد أنه بني قبل المئذنة، حيث تظهر العناصر المعمارية التركية بشكل واضح في طراز القبة الضخمة [155].

[154] مسعود رمضان شقلوف، ومحمود الصديق ابوحامد، وصالح ونيس عبد النبي، ومحمود عبد العزيز النمى، وأحمد سعيد عبد الرحمن، اشتيوي محمد مصطفى، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، ج1، طرابلس، منشورات الدار العربية للكتاب، 1980 ، ص 210.

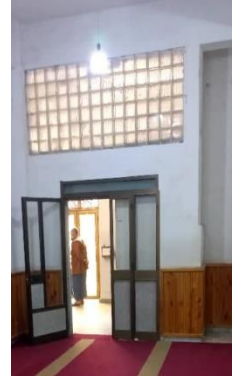
[1] مسعود رمضان شقلوف واخرون ، مرجع سابق ، ص 210.

الوصف المعماري للمسجد:

يعتبر مسجد الباشا من المساجد القديمة في مدينة الخمس، والمسجد صحن كبير يغطي كل مساحته الأولى أختزل منها مساحة مترين سنة 1993 م، وتتوسطه سلسلة فكانت تستعمل للإنارة التي تعلق بها المصابيح ولازالت هذه السلسلة حتى الان وبجوار هذا الصحن ملحق من الناحية الشمالية مطع خشبي للمصلي النساء وحجرة خشبية للإمام وأرضيتها المزخرفة [156].

• المداخل:

يدخل الي المسجد من مدخل رئيسي يقع في منتصف الضلع الجنوبي الغربي من المسجد والمطل على الشارع الرئيسي وهو مستطيل يعلوه عقد نصف دائري مزخرف ابعاده 1.53×3.20 م وهو يرتكز على تيجان مستطيلة حول العقد النصف الدائري توجد صورة هلال ونجمة، بالإضافة إلى مدخل آخر مستطيل يؤدي إلى الرواق المقابل لبيت الصلاة وهو بعقد مائل أما في الجهة الشمالية الشرقية من بيت الصلاة فيوجد مدخلان صغيران فتحتان يؤديان إلى رواق حديث في الجهة الشمالية الشرقية من بيت الصلاة [157] الشكل رقم (3).



الشكل رقم (3) يوضح مداخل المسجد

[156] مقابلة شخصية مع الشيخ ونيس عقيل

[157] زيارة ميدانية، بتاريخ 2024-03-22 م

● بيت الصلاة:

مكون من بناء ضخم مربع اعلاه قبة مركزية وتبلغ ابعاده 11.75×11.5 م ، أما بالنسبة لجدار بيت الصلاة فيوجد بكل ضلع من أضلاعه نافدتان عميقتان كبيرتان ذات عقود نصف دائرية ، باتساع هذه النوافذ يوجد تذييب للخارج وبأسفل كل نافذة توجه مصطبة مرتفعة عريضة ، ولكن النافذتين الموجودتين في الضلع الشمالي الشرقي قد فتحتا بابين يؤديان إلى رواق اخر للصلاة مجاور للقبة ، كما أضيفت لبيت الصلاة إضافات عديدة منها الرواق في الشمال الغربي لبيت الصلاة الذي يعبر منه إلى القبة الكبيرة هو إيوان مستطيل مواز لجدار القبلة بأرضيته ارتفاع قليل وبنهايته الشرقية يوجد درج يصعد منه إلى طابق آخر . كتوسعة إضافية والذي به الشرقي لبيت الصلاة عن طريق المدخلين اللذين كانا كنافذتين بالجدار المربع للقبة وهو حديث [58] الشكل رقم (4).



الشكل رقم (4) يوضح بيت الصلاة

● المنبر:

يقع المنبر على يمين المحراب، وهو مصنوع من حجر الصوان وبه تسع درجات وفي آخر درجة يوجد بسطه جلوس الخطيب وهو المنبر الوحيد من تأسيس المسجد وعرضه 90 سم تقريبا وارتفاع كل درجة 20 سم، كما تعلو المنبر قبة يزينها الهلال والنجمة بلون ابيض على الطراز العثماني الشكل رقم (5). تم ازلته ووضعت مكانه منبر خشبي الشكل رقم (6).

يحتوى المنبر ثلاث فتحات تتدرج في حجمها من الأكبر إلى الأصغر، كل فتحة تنتهي بعقد نصف دائري

[1] زيارة ميدانية ، بتاريخ 22-03-2024 م

بوسط هذا العقد زخرفة - نباتية يتركز على عمودين حجريين مستديرين وهذا العقد المائل بأعلاه كتابة نصها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) استعملت دواليب للمصاحف والكتب.
 وكان قديما من أبرز أئمة المسجد محمد اليسيير الذي اجري له امتحان من قبل لجنة من اوقاف تركيا واصدر فرمان يقرر تعيينه امام للمسجد عليه أن يكون على مذهب أبي حنيفة النعمان وكان ذلك بداية عهد المسجد ، وكان الشيخ حافظ لكتاب الله ملما بأحكام العبادات على المذاهب الاربعة [159] .



الشكل رقم (6) يوضح المنبر الخشبي

الشكل رقم (5) يوضح المنبر الحجري

● **المحراب:**

يتوسط محراب هذا المسجد جدار القبلة، وهو حنية نصف دائرية بعقد مزرر ابعاده تقريبا 1.20x2.56 م

[159] مسعود رمضان شقوف واخرون ، مرجع سابق ، ص 214.

يرتكز هذا العقد على عمودين حجريين ذو تيجان بها زخرفة نباتية للعقد يوجد ثلاثة صور زخرفية مشعة واعلى هذا الإطار زخرفة هلال ونجمة خماسية.

وكتبت بحنية المحراب من الداخل اية قرآنية واعلاه توجد زخارف مشعة بالطرف الاعلى للمحراب، كما أن هذا المحراب محاط بالإطار مستطيل بارز داخل إطار آخر وحول عقد المحراب بلاطات من القاشاني [160] الشكل رقم (7).



الشكل رقم (7) يوضح محراب المسجد

• المئذنة:

تقع المئذنة في الجهة الجنوبية الغربية، وتتكون من عدة اجزاء متصلة الجزء الأول بقاعدة مربعة مدخل المئذنة تقع في الضلع الجنوبي الشرقي واعلى المدخل به نص كتابي يفيد بتاريخ البناء وهو 16 شعبان 1325 هذه الكتابة داخل إطار مربع بارز [161].

[160] عبدالسلام عمر سنان، محمد عمر بن طالب ، الخمس تواصل الحضارات ، اللجنة الشعبية الخمس المدينة ، 2003 ، ص 312.

[161] مسعود رمضان شقوف، وآخرون ، مرجع سابق ، ص 214.
503

الجزء الثاني هو بدن المئذنة مئمن الشكل به فتحات للإضاءة ينتهي بشرفة المئذنة وقدر زخرفت هذه الشرفة بصفتين من الدلايات الصغيرة أربع دلايات بالصف الأسفل ثم خمس بالصف الأعلى. تضررت مئذنة المسجد أثناء الحملة الإيطالية على ليبيا ثم أعيد ترميمها سنة 1913م وتظهر في الصور أعمال الترميم وكذلك رسم الإيطالية [162] الشكل رقم Domenica del Corriere لاحتفال اكتمال اعمال الترميم على غلاف صحيفة (8) (9).



الشكل رقم (8) ترميم المئذنة سنة 1913م من الأضرر بالمئذنة بالحملة الإيطالية على ليبيا



الشكل رقم (9) يوضح منارة المسجد حاليا

[162] <https://www.facebook.com/Libyanhistory>

● النوافذ:

يوجد في بيت الصلاة ست نوافذ مستطيلة يعلوها عقد نصف دائري والباب الرئيسي الأول ارتفاعه 1.06 م والباب الداخلي الأول يبلغ ارتفاعه 1.53 م والباب الداخلي الثاني ارتفاعه 1.53 م . وهي مفتوحة بميل بالجدران ، وامام هذه النوافذ مصاطب عريضة هي سميكة الجدران ، أثنان بجدار القبلة حول المحراب ، واخران بالجدار الشمالي الغربي حول مدخل بيت الصلاة ، والاخيرتان موجودتان بالجدار الجنوبي الغربي ، وهذه النوافذ زينت من الخارج بإطار بارز كما يوجد بالجدار الإنتقالي للقبه ثلاث نوافذ بعقود نصف دائرية [163] الشكل رقم (10).



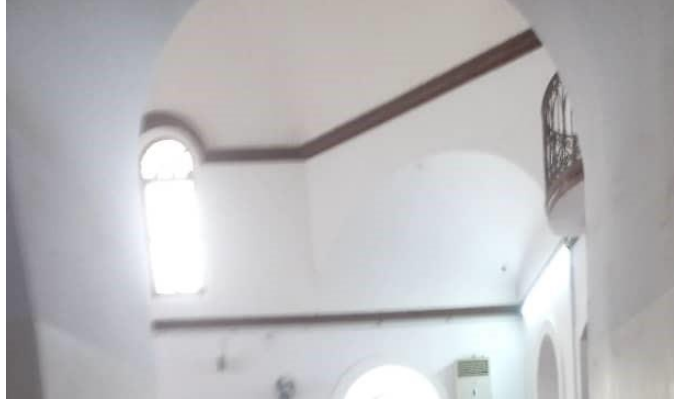
الشكل رقم (10) يوضح نماذج من نوافذ المسجد

● العقود :

استخدم العقود في جامع الباشا في الجدران بيت الصلاة وفي رواق المدخل الرئيسي وجدران الصحن المكشوف وفي المدخل الأول لبيت الصلاة ويوجد ستة عقود داخل بيت الصلاة وتجد اربعة عقود خارج

[163] زيارة ميدانية ، بتاريخ 2024-03-29م

بيت الصلاة وهي عبارة عن أقواس نصف دائرية من أكثر أنواع العقود الشكل رقم (11).



الشكل رقم (11) يوضح نموذج من العقود

● القبة:

هي قبة مركزية كبيرة تبلغ ابعاده 11.5 م × 11.75 م وترتكز على جدار انتقالي مثنى يرتكز هذا الجدار بدوره على البناء المربع حيث يوجد بزوايا الجدار الانتقالي أربع حنايا ركنية مستديرة عميقة بين كل حنيتين من هذه الحنايا نافذة مستطيلة يعلوها عقد نصف دائري له إطار مرتفع عن إطار الجدار الانتقالي المثنى، أما في الصلح الشمالي الغربي فإنه يوجد بين الحنيتين مدخل عريض ذو عقد عريض سمكه بسمك الجدران وأمامه شرفه خلفها



يوجد طابق إضافي للصلاة كما يوجد أيضا بالقبة فتحات للتهوية والإضاءة [164].

^[164] زيارة ميدانية ، بتاريخ 4-04-2024 م



الشكل رقم (12) يوضح قبة المسجد من الداخل والخارج



- **الميضأة:** كانت موجودة بجوار المئذنة ولكنها الآن ازيلت في مكان آخر بالناحية الغربية بالتوسعة التي استحدثت بالمسجد [165] الشكل رقم (13).

- الشكل رقم (13) يوضح الميضأة

[165] عبدالسلام عمر سنان واخروان ، مرجع سابق ، ص 312.

● مواد البناء المستعملة:

بنية هذا المسجد من الحجر الصغير المخلوط بالملاط وكذلك الجص وكذلك القبة ويبدأ ذلك واضحا في سماكة جدران بيت الصلاة حيث بلغت حوالي 80 سم، أما بالنسبة للرواق في الجهة الشمالية لبيت الصلاة فبني حديث بالإسمنت المسلح ، كما أجريت توسعات للمسجد من جهته الشمالية الغربية حيث أنشاء صحن واسع واروقة وميضأة، وكما استخدام الخشب في الأبواب والفتحات وسقف الأروقة وكما استخدام أيضا الحديد للحماية في الفتحات الشباييك [166].

● العناصر الزخرفية:

من السمات المميزة للمسجد في مدينة الخمس خلال الفترة القرمانلية يعتبر مسجد باشا غني بالزخارف البديعة.

● من أهم العناصر الزخرفية الجامع الباشا :

اولا: العناصر الزخرفية الكتابية:

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ ﴿وجدت الكتابات في وسط المحراب وهي اية قرآنية نصها وهي عبارة دعائية (ما شاء الله) بالإضافة إلى كتابة أخر موجودة أعلى مدخل المغذنة من خط الطغراء ﴿قَانِتِينَ تمثل ظغراء السلطان عبدالحميد وتاريخ 16 شعبان 1325 هـ وهو بتاريخ إنشاء المئذنة ، وهي من عهد ولاية رجب باشا [167] .

ثانيا: الزخارف النباتية:

يوجد في جامع باشا العديد من الزخارف النباتية تركزت هذه الزخارف بالمحراب حيث زين بأشكال الزهور والصور المشعة ن بالإضافة إلى تاجي العمودين ذو الزخارف النباتية حول المحراب ، وزخرفة نباتية محورة حول المنبر من جانبيه إطارين مستطيلين ، كما أن بحافة المنبر زخارف خشبية مبسطة .

ثالثا: الزخارف الهندسية :

هي التي ظهرت على شكل نجمة وهلال الموجودة في عقد المحراب وهي على هيئة اطباق وهي مرسومة على

[166] لظفي على سنان، الاستعمالات الوظيفية وأثرها على الهوية المعمارية لمباني المساجد التراثية ، مدونة التراث ،

2014 .

[167] مسعود رمضان شقلوف واخرون ، مرجع سابق ، ص ص 214-215.

البلاطات الزخرفية التي تغطي المحراب وتوجد طبق نجمة على المنبر.

• أهم التغييرات التي إجراءات على المسجد:

إلغاء دورات المياه القديمة واستبدالها بالحديث الشكل رقم (14) وكذلك مصدر المياه الذي كان يغذى المسجد بئر وكذلك صهريج المياه الذي كان يعتمد عليه في الوضوء واستبداله بالحنفيات الحديثة ، وكان مدخل مبلط ببلاط من مدينة لبة استبدل ببلاط حديث ، وعند صيانة القبة اختزل مترين من ارتفاعها وكذلك الاستغناء عن حديقة المسجد التي كانت تضم عددا من الاشجار واستغلالها مصلي عند توسعة المسجد ، كذلك الاستغناء عن المساكن التي كانت ملاحقة للمسجد وإضافتها للمصلي الخلفي للتوسعة .



الشكل رقم (14) يوضح دورات المياه الحديثة

- وأضيف للمصلي الجديد وبنية المصلي أعمدة حديثة ، إلغاء الحجرة الخشبية التي كانت تحت السلم المخصص التي تحفظ فرش المسجد والاستغناء عن نطلع الدور الثاني (السلم) الخشبي واستبداله بسلم حجري مبلط الشكل رقم (15).



الشكل رقم (15) يوضح السلم الحجري بالمسجد الذي اضيف له

- وكما كان بالمسجد القديم بئر يغذي الحمامات وخزان مياه مستطيل الشكل ويبلغ ارتفاع متر ونصف وعرضه متر وبمسافة عشرة امتار وبالأسفل مواسير للوضوء، وكان بالمسجد حديقة بها اشجار ونخيل تين وورمان وورد ، وكما أن المصلي الخلفي الآن ، كما للمسجد عدد ثلاث منازل وست محلات وحديقة خلفية من ناحية الغرب ، وحديقة امامية من ناحية الشرق سلمها دائري عدد درجاته 84 درجة .

- **أهمية المسجد بالنسبة للمدينة:** يعتبر مسجد الباشا ثاني مسجد بالمدينة بعد مسجد بن جحا وبسبب المسجد ثم تغير سوق المدينة الشعبي من يوم الخميس الى يوم الجمعة. يعتبر المسجد من المساجد القديمة التي اسست في هذه المدينة وأنه مازال يؤدي رسالته في تعليم القرآن الكريم وتحفيظه الشكل رقم (16).



الشكل رقم (16) يوضح المكان المخصص
لتحفيظ القرآن الكريم بالمسجد

الخاتمة

- من خلال دراسة المسجد خلص البحث إلى عدد من النتائج يمكن ايضاحها على النحو التالي:
1. ان مسجد الباشا يمثل قمة الفن المعماري.
 2. للمحافظة على الآثار لا بد من العمل على تقوية الوعي الثقافي في المجتمع.
 3. أن المسجد بالمدينة وما تحويه من أجزاء معمارية وفنية تعتبر أحد أهم روافد السياحة وتسلسل حضاري مميز.
 4. يحتاج الى اهتمام أكثر من المؤلفين بالمدينة .

التوصيات

يلخص البحث مجموعة من التوصيات يمكن إيضاح على النحو التالي:

5. الاهتمام أكثر بالمساجد الاثرية بالمدينة.
6. عمل صيانة دورية للمسجد.
7. التنسيق بين وزارة الأوقاف والسياحة من اجل التعريف بالآثار الإسلامية.
8. نشر البحوث والدراسات التي تقام على المساجد الإسلامية بمدينة الخمس في كتب لان هناك افتقار كبير لهذه المراجع.
9. إقامة ندوات وورش عمل لتعريف بتاريخ المسجد وتطوره .
10. اعداد دليل مفصل عن أجزاء المسجد وتسلسل التاريخي له

المراجع

1. عبدالسلام عمر سنان، محمد عمر بن طالب ، الخمس تواصل الحضارات ، اللجنة الشعبية الخمس المدينة ، 2003.
2. لطفي على سنان، الاستعمالات الوظيفة وأثرها على الهوية المعمارية لمباني المساجد التراثية ، مدونة التراث ، 2014 .
3. مسعود رمضان شقلوف، ومحمود الصديق ابوحامد، وصالح ونيس عبد النبي، ومحمود عبد العزيز النمى، وأحمد سعيد عبد الرحمن، اشتيوي محمد مصطفى، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، ج1، طرابلس، منشورات الدار العربية للكتاب، 1980. <https://www.facebook.com/Libyanhistory>.

المساجد التاريخية ودورها في تنشيط السياحة الثقافية لمدينة قسنطينة، الجزائر

*عادل سخري¹، عبد الحليم عساسي²، مصطفى مدوكي^{1,2}

جامعة بسكرة، الجزائر. مخبر السكن والبيئة،¹ قسم الهندسة المعمارية، مخبر التصميم المعماري ومماثلة الأشكال وأجواء الأحيز،
جامعة سطيف 1، الجزائر.

مخبر التصميم.² معهد الهندسة المعمارية وال عمران، جامعة باتنة 1، الجزائر. مخبر السكن والبيئة، جامعة سطيف 1، الجزائر
المعماري ومماثلة الأشكال وأجواء الأحيز، جامعة بسكرة، الجزائر.

جامعة بسكرة، الجزائر.^{1,2} قسم الهندسة المعمارية، مخبر التصميم المعماري ومماثلة الأشكال وأجواء الأحيز،

*a.sekhri@univ-biskra.dz

ملخص البحث

يعتبر تتمين التراث الثقافي بالجزائر من أحد أهداف المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية لدولة الجزائر، لذلك وقع اختيارنا على موضوع: المساجد التاريخية ودورها في تنشيط السياحة الثقافية لمدينة قسنطينة، الجزائر. حيث تشكل مواقع المساجد الأربعة المختارة للدراسة الوجهة السياحية المفضلة لكثير من السياح الأجانب الراغبين في التعرف عن قرب على التراث المساجدي القسنطيني وتاريخها. لذلك يجب العمل على استقطاب وجلب المزيد من السياح، لتوفير العديد من المداخليل لتنمية الاقتصاد الوطني.

تهدف هذه الورقة العلمية إلى إبراز الإرث الحضاري في مجال التراث المساجدي لتنشيط السياحة الثقافية في مدينة قسنطينة، وتوجيه تفكير المسؤولين إلى الاهتمام بالسياحة الثقافية لتطوير القطاع السياحي، وذلك من أجل المساهمة في تنمية اقتصاد البلاد، وعليه فإن الإشكالية التي تتميز بها هذه الورقة البحثية هو محاولة الإجابة على عدد من التساؤلات المتعلقة بالسياحة الثقافية وعلاقتها بالمساجد التاريخية بمدينة قسنطينة وهي: كيف يمكن للسياحة الثقافية أن تساهم في إعادة إحياء المساجد التاريخية خدمة لهاته المدينة والاقتصاد الوطني؟، وما مدى صلة المساجد التاريخية بالمدينة القديمة لقسنطينة وقدرتها على خلق آليات وميكانزمات لإحياء سياحة ثقافية فاعلة؟. ولدراسة هذا الموضوع تم إتباع الطرق والمناهج التالية: جرد جميع المساجد التاريخية المتواجدة في المدينة القديمة لقسنطينة، وذلك من أجل إعداد بطاقات تقنية لها، باستخدام تقنية الرفع المعماري، ثم اتباع المنهج الوصفي التحليلي اعتمادا على "المقاربة التيومرفولوجية"، حيث سيتم وضع إطارا للدراسة التحليلية المرفولوجية تتضمن تحليل أنماط جميع المساجد التاريخية المدروسة، لاستخدامها كدليل عملي ومرجعي لمختلف أنواع مسارات السياحة الثقافية. وأظهرت النتائج

أن إعادة إحياء وتهيئة المسارات السياحية في المدينة يسمح لنا بوضع استراتيجية جديدة للمحافظة على التراث المساجدي. بالإضافة إلى أن ملامح وهوية التراث المساجدي في المدينة لها دور كبير في الأنظمة التخطيطية العمرانية التقليدية، كما أن لها دور كبير في جلب السياح لهاته المناطق. في الختام يجب التنبيه أن أهم توصيات البحث تتمثل في ترميم هذه المساجد التاريخية لأنها تمثل الهوية المحلية للمدينة، وتفعيلها في المجال الاقتصادي عبر الاستغلال الراشد لمواردها في إطار تنشيط الجانب السياحي لمدينة قسنطينة.

كلمات مفتاحية: السياحة الثقافية، التراث، المسجد، الاقتصاد المحلي، قسنطينة.

10. المقدمة

انطلاقاً من توجه وزارة السياحة والصناعة التقليدية إلى ترميم التراث التاريخي والثقافي والديني بالجزائر، والذي يعتبر من أحد أهداف المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية للوزارة، حرصنا على إنجاز هذه الورقة البحثية، ووضعه في متناول المختصين في مختلف مجالات ترميم هذا التراث الأثري المساجدي في الجزائر.

وقد عرف تشييد المساجد الأثرية بمدينة قسنطينة نشاطاً كبيراً منذ عهد الزيريين والحمايين كجامع الكبير عام 1136 ميلادي، وقد أصبحت مدينة قسنطينة مركزاً علمياً في عهد الحفصيين. كما لعبت دوراً كبيراً في العهد العثماني، إذ اهتم العثمانيون بتأسيس المساجد، ونذكر من هذه المساجد: مسجد سيدي الكتاني 1776 ميلادي، ومسجد حسن باي (سوق الغزل) 1721 ميلادي ومسجد سيدي الأخضر 1737 ميلادي. وهذه المساجد الأثرية التي أنشأت في المدينة القديمة، من شأنها أن تصبح قطبا سياحياً دينياً بامتياز.

ومن الملفت للانتباه أن جميع هذه المساجد الأثرية موجودة ونشأت داخل المدينة القديمة لمدينة قسنطينة، والتي من شأنها أن تساهم في الدمج بين السياحة والسياحة الثقافية لتحقيق الترابط وإعادة إحيائه قصد تحقيق مستوى معين من التطور والإدماج في الاقتصاد الوطني وجلب السياح بعدد كبير من الدول.

11. مشكلة الدراسة وأهميتها

يعتبر استعمال التراث الأثري المساجدي مادة أولية لتنشيط السياحة الدينية قصد تحقيق مستوى معين من التطور والإدماج في الاقتصاد الوطني، وبناء استراتيجية للتنمية المستدامة تعتمد على الموارد المتاحة مما يشجع على اقتراح برامج للتهيئة السياحية وخلق مسارات سياحية دينية في منطقة قسنطينة، وذلك من أجل المحافظة على تراث المعالم التاريخية للمساجد، لإعادة إدماج المساجد الأثرية كأداة العمران الحديث. لذا يجب التفكير في وضع مقاربات

متوافقة من السياحة تخدم الموارد المتوفرة محليا وتأخذ بعين الاعتبار مشاركة الجماعات المحلية والحركات الاجتماعية لمنطقة قسنطينة.

وعليه فإن الإشكالية التي تتميز بها هذه الورقة البحثية هو محاولة الإجابة على عدد من التساؤلات المتعلقة بالسياحة الثقافية وعلاقتها بالمعالم الأثرية المساجدية بمنطقة قسنطينة.

- كيف يمكن للسياحة الدينية أن تساهم في إعادة إحياء المساجد الأثرية خدمة لهاته المدينة والاقتصاد الوطني؟،
- ما مدى صلة المساجد الأثرية بالمدينة القديمة لقسنطينة وقدرتها على خلق آليات وميكانزمات لإحياء سياحة دينية فاعلة؟

12. فرضيات الدراسة

إن الالتزام بالمنهج العلمي في البحث يقتضي وضع الفرضيات العلمية ابتداءً، لأن الفرضيات العلمية هي التفسيرات المبدئية للظاهرة المدروسة في البحث، بحيث تعتبر الإجابة العلمية عنها بمثابة النتائج المطلوبة من البحث، وهذه الفرضيات هي:

- إعادة إحياء وتهيئة المسارات السياحية في المدينة القديمة بقسنطينة، يسمح لنا بوضع استراتيجية جديدة للمحافظة على التراث الأثري المساجدي.
- ملامح وهوية التراث الأثري المساجدي في المدينة القديمة لقسنطينة، لها دور كبير في الأنظمة التخطيطية العمرانية التقليدية، كما أن لها دور كبير في جلب السياح لهاته المناطق.

13. أهداف الدراسة

وتتمثل أهداف الدراسة في:

- محاولة إبراز الإرث الحضاري في مجال التراث الأثري المساجدي لتنشيط السياحة الثقافية في المدينة القديمة بقسنطينة.
- تفعيل التراث الأثري الديني في المجال الاقتصادي عبر الاستغلال الراشد لمواردها في إطار تنشيط الجانب السياحي الديني لمدينة قسنطينة.
- محاولة التعرف على أهم الآليات التي تساهم في تنشيط السياحة الثقافية في مدينة قسنطينة.
- تقيم تراث المساجد التاريخية في مدينة قسنطينة.

- تحسين صورة الجزائر بصفة دائمة خاصة بالتركيز على السياحة الثقافية.
- توجيه تفكير المسؤولين إلى الاهتمام بالسياحة الثقافية لتطوير القطاع السياحي، وذلك من أجل المساهمة في تنمية اقتصاد البلاد، باعتباره كبديل عن قطاع المحروقات.
- محاولة نشر توصيات نتائج الأبحاث المتوصل إليها، للنهوض بمجال السياحة الثقافية في الجزائر.
- إنجاز دليل عملي ومرجعي لوزارة السياحة والصناعة التقليدية يخص عمارة المساجد الأثرية التاريخية بمدينة قسنطينة.

14. منهجية الدراسة

- من أجل دراسة التراث الأثري المساجدي ودوره في تنشيط مسارات السياحة الثقافية للمساهمة في تنمية الاقتصاد المحلي لمدينة قسنطينة، سيتم إتباع الطرق والمناهج التالية:

1.5. جرد المساجد التراثية المتواجد في المدينة القديمة بقسنطينة

وذلك من أجل إعداد بطاقات تقنية لها، حيث ستكون التقنية المستعملة في دراسة هذه المعالم هي تقنية الرفع المعماري باتباع الخطوات التالية :

1.1.5. الاستكشاف (استكشاف حدود الأرضية)

وهو التعرف على أرضية المساجد الأثرية المراد رفعها لتكوين فكرة عامة عنها.

2.1.5. الرسم الأولي للمخطط

وهو القيام برسم يمثل الطبيعة بالتقريب مع ملاحظة الجهات الأصلية أثناء الرسم، وكما يجب أن يكون الرسم الأولي بقلم الرصاص الخفيف ليسهل عمل التغييرات، مع الحرص أن يكون كبيرا بدرجة تسمح ببيان التفاصيل.

3.1.5. اختيار النقاط المعلمية

مراعاة في النقاط المعلمية أن تشمل جميع قطعة الأرض وأن تكون قريبة من حدود المركبات الحجمية.

4.1.5. تطبيق عملية التثليث في قياس الأبعاد

وهي عملية تعتمد على تحديد أبعاد المبنى سواء أفقياً أو عمودياً (مخطط أفقي، واجهة) انطلاقاً من نقاط مرجعية لتطبيق عملية التثليث.

2.5. المنهج الوصفي التحليلي

المنهج المتبع في الدراسة هي "المقاربة التيبومرفولوجية"، التي تجمع بين "المرفولوجية العمرانية" و"النمطية المعمارية"، حيث سيتم وضع إطاراً للدراسة التحليلية المرفولوجية تتضمن تحليل أنماط جميع المساجد الأثرية في المدينة القديمة بقسنطينة، وتم اختيار هذا المنهج، لأنه يهدف إلى وصف وتحليل لشكل المباني الأثرية المبنى على التصنيف الدقيق للبنىات حسب النمط، والتي سيتم استخدامها كدليل عملي ومرجعي لمختلف أنواع مسارات السياحة الثقافية.

15. تعريفات خاصة بالدراسة

1.6. المسجد

المسجد لفض مأخوذ من الفعل "سجد"، ومعناها اللغوي هو مكان الخضوع والتذلل لله. ولقد كان فعل السجود معهوداً عند الأمم القديمة أمام عظمائهم وعلمائهم... [1]، وأقرت الشريعة الإسلامية هذا السجود ولكن جعلته حقاً لله وحده لا غير [2]. والمسجد هو المكان الذي يجتمع فيه المسلمون لأداء صلاتهم من جهة [3]، ولتعلم كل ما بشأنه أن ينظم ويسير حياتهم [4].

ويطلق على المسجد اسم "جامع" أو "مسجد جامع" [5]، لأنه يشمل على صلاة الجمعة زيادة على الصلوات الخمس [6]، واكتفى بعض الفقهاء بتسميته منبراً، لأن وجود المنبر بالمسجد يعني خطبة الجمعة، وهاته الأخيرة لا تقام إلا في مسجد جامع [7].

وقد استقر العرف على إطلاق كلمة "المسجد" على كل مكان لتعبد المسلمين مهما كانت مساحته [8]، وإطلاق تعبير "الجامع" أو "المسجد الجامع" على المساجد الكبيرة التي تستوعب المصلين أيام الجمعة، وعلى هذا فإن كل جامع هو مسجد، ولكن ليس كل مسجد جامعاً.

2.6. السياحة الثقافية

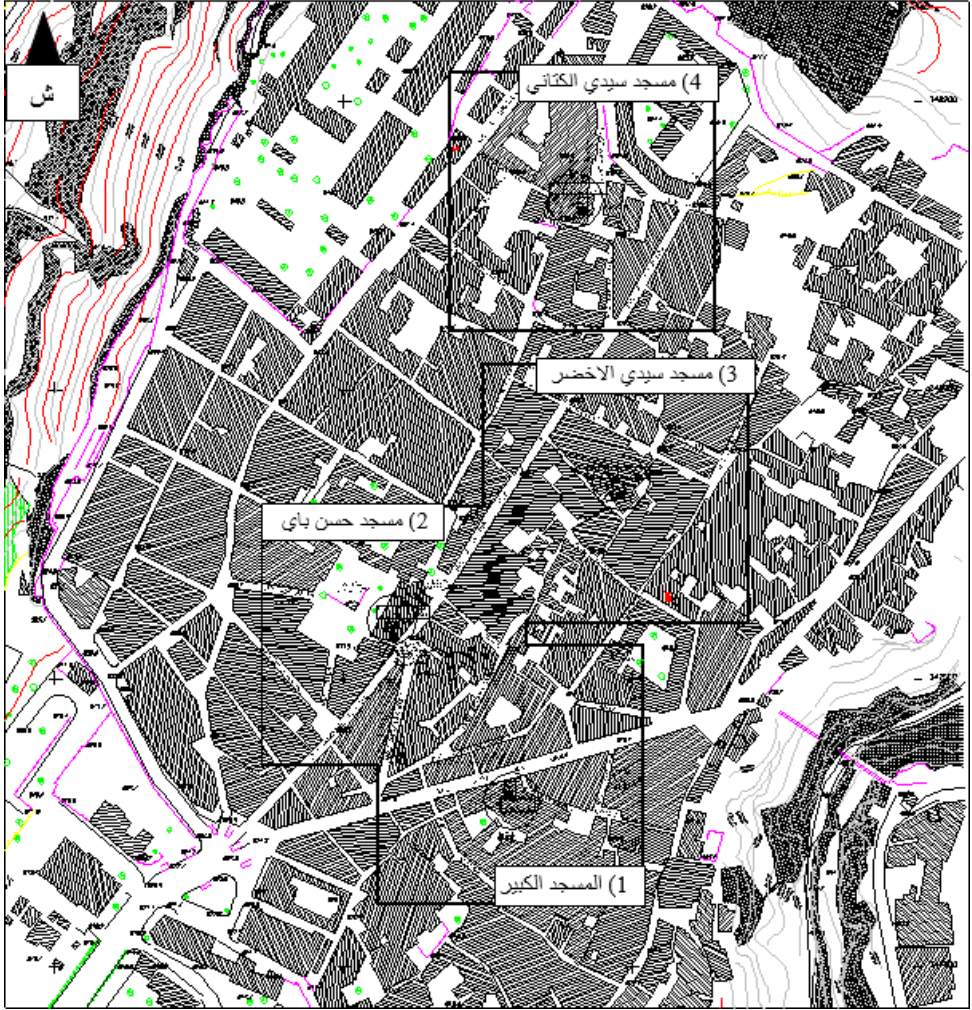
تعرف السياحة عامة بأنها تنشأ من تنقل الأفراد والجماعات من منطقة إلى أخرى، لأغراض ثقافية وحضارية وترفيهية واجتماعية وبيئية، وذلك من خلال الإقامة في تلك المناطق بصفة مؤقتة [9]. بينما عرفت منظمة السياحة العالمية

(WTO) السياحة: "بأنها كل ما يقوم به الفرد من فعاليات عند تنقله أو بقاءه في مكان خارج مكان اقامته المعتادة لمدة لا تزيد على سنة للمتعة أو للعمل أو لأغراض أخرى" [10].
أما السياحة الثقافية المتعلقة بالمباني الدينية فتعرف على أنها التنقل من دولة إلى أخرى أو الانتقال داخل حدود الدولة الواحدة لزيارة الأماكن المقدسة، وهي سياحة تهتم بالجانب الروحي للإنسان، فهي مزيج من التأمل الديني والثقافي أو السفر من أجل القيام بأعمال خيرية [11].

16. دراسة المساجد الأثرية في المدينة القديمة بقسنطينة

لقد تم اختيار أربع مساجد أثرية ذات قيمة تاريخية استثنائية "شكل رقم (1)"، شيدت بالمدينة القديمة بقسنطينة كنموذج للدراسة الميدانية في هذه الدراسة، وهي: الجامع الكبير الذي شيد في العهد الحمادي، وثلاث مساجد أثرية أخرى شيدت في العهد العثماني، مثل: مسجد حسن باي وجامع سيدي الأخضر ومسجد سيدي الكتاني [12].

ومن أجل إعداد بطاقات تقنية لهاته المساجد، تم جرد جميع هذه المساجد الأثرية المتواجدة في المدينة القديمة بقسنطينة، وتم استخدام تقنية الرفع المعماري فكانت الدراسة الخاصة بكل مسجد كما يلي:



شكل رقم (1): موقع المساجد الأثرية المدروسة في المدينة القديمة - قسنطينة. المصدر: سخري، 2005

1.7. الدراسة الخاصة بالمسجد الكبير

شيد الأمير الحمادي الأخير "يحيى بن العزيز" المسجد الكبير سنة 1136 م بمدينة قسنطينة، وتدل على ذلك الكتابة [12] التي تزين محراب الجامع [13]، وقبل اكتشاف هذه الكتابة كان الباحثون يعتقدون بأن الجامع يعود تأسيسه إلى القرن 13 الميلادي. ويعتبر هذا المسجد من أهم المنشآت الدينية التي أسسها أهل قسنطينة في الفترة الحمادية [14].

يقع المسجد الكبير في المدينة القديمة، ويوجد ببطحاء السويقة، بشارع بن مهدي رقم 20 "شكل رقم (2)". يتألف المسجد الكبير من طابقين "شكل رقم (4) و(5)"، ويحتوي على قاعتين الأولى بيت الصلاة مخصصة للرجال، وقاعة صلاة للنساء مخصصة لهن أيام الجمعة، ويحتوي المسجد أيضا على صحن "شكل رقم (4)"، ومن مميزات المسجد الكبير ما يلي:

9 السدة (الرجال)

- قاعة الصلاة التي تتخذ شكل شبه منحرف قائم الزاوية، يبلغ طول قاعدته الحبرى من الداخل 2 م ووضوح قاعدته الصغرى 10,22 م، تمتد 06 بلاطات عمودية على جدار المحراب (القبلة)، تقطعها 08 أسايب "شكل رقم (4) و(6)"، ويطل جدار قاعة الصلاة على الصحن مثل ما هو موجود بجامع قلعة بني حماد، وفتح في هذا الجدار أربعة أبواب.

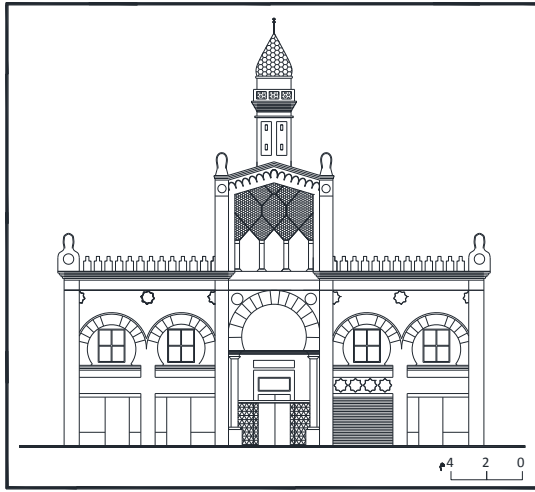
- محراب المسجد الكبير ذو مشكاة على شكل قوس مشعرة، ويعلو هذه المشكاة نصف قبيبة صدفية الشكل، وتقوم الكتابة التذكارية الزخرفية التي تزين المحراب تحت القبيبة النصفية، أما قوس فتحة المحراب فهو قوس ذو فصوص مشبكة موضوعة بعضها فوق بعض، أما القسم العلوي لإطار المحراب مشغول بثلاث أقواس مشعرة متحدة المركز تشكل حنيتين ونافذة على شكل نصف دائرة. أما صحن المسجد فقد جرت عليه عدة تعديلات إلى درجة يصعب معرفة ما كان عليه في الأصل، وهذا الصحن يفصله جدار فتحت فيه أربعة أبواب عن الحرم "شكل رقم (4)".

- أما واجهة المسجد "شكل رقم (3) و(7)" فقد أعيد بناؤها من طرف المستعمر الفرنسي وجددوا مئذنة وميضأة الجامع بتمامهما، كما جددوا مقدمة الجامع من جهة باب المدخل الكبير المؤدي إلى شارع بن مهدي [12]. - لقد تغير شكل مئذنة المسجد الكبير تغيرا كبيرا، حيث لم تحتفظ إلا بشئ قليل يرجع إلى العهد الحمادي، بسبب تجديد المستعمر الفرنسي لهذه المئذنة بتمامها. وقد قام ببناء المئذنة مع المسجد الكبير الأمير الحمادي الأخير "يحيى بن العزيز" سنة 1136 ميلادي.

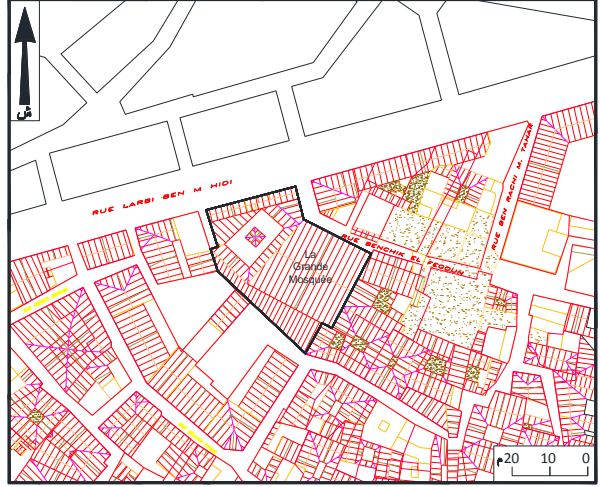
2.7. الدراسة الخاصة بمسجد حسن باي

أمر ببنائه الباي حسن الكيلاني وتم بناؤه عام 1721 م (العهد العثماني)، حولته القيادة العسكرية الفرنسية إلى كنيسة كاتدرائية عام 1838 م [14]، وظل كذلك إلى أن رده السلطة الثورية بعد الاستقلال إلى أصله الإسلامي في عام 1963 م. ويقع المسجد في المدينة القديمة بنهج بودشيش بلقاسم "شكل رقم (8)".

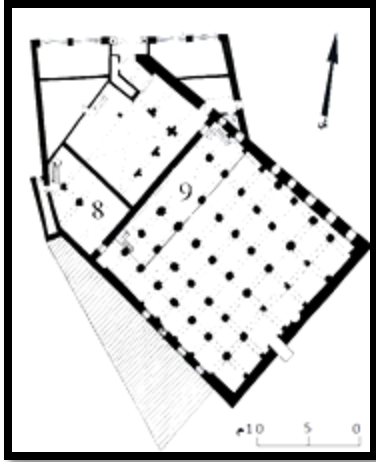
ويتألف مسجد حسن باي من بيت الصلاة: والتي ندخل إليها من مدخلين وهو على شكل مستطيل، يبلغ طوله من الداخل 33,80 م وعرضه 19,30 م، ينتهي بقاعة على شكل مضلع سداسي يبلغ جوفها 10,50 م "شكل رقم (10)"، وتعلوها قبة كبيرة. وتمتد بالقاعة المستطيلة خمس أسايب موازية لجدار المحراب، تقطعها سبع



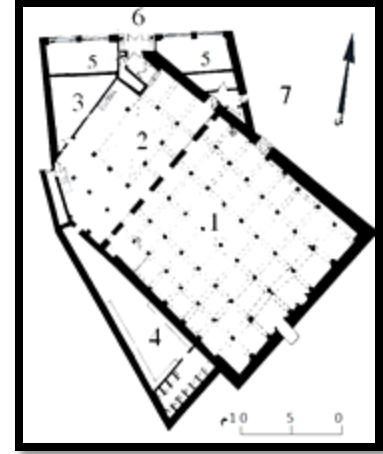
شكل رقم (3): الواجهة الرئيسية للمسجد الكبير -
قسنطينة. المصدر: سخري، 2005



شكل رقم (2): مخطط الكتلة للمسجد الكبير - قسنطينة.
المصدر: سخري، 2018



5 محل
7-6 المدخل الرئيسي والجانبى

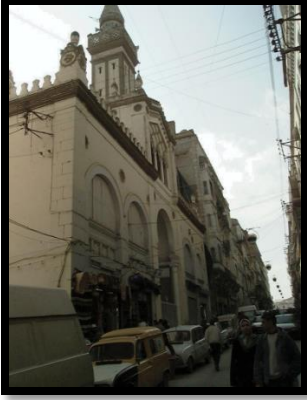


1 قاعة الصلاة
2 الصحن
3 غرفة الامام
4 الميضاة

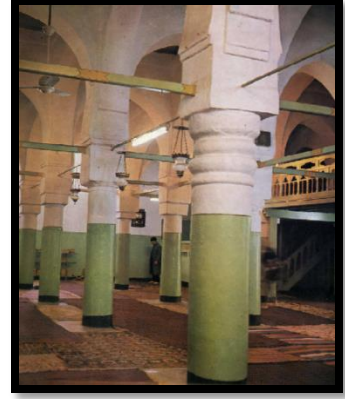
شكل رقم (5): مخطط الطابق الأول
للمسجد الكبير - قسنطينة. المصدر: الباحثون

شكل رقم (4): مخطط الطابق الأرضي للمسجد الكبير -
قسنطينة. المصدر: الباحثون

بلاطات عمودية على جدار المحراب، تشكلها أعمدة أسطوانية تعلوها تيجان ذات سلة ملساء ترتكز عليها أقواس مستقيمة منحنية "شكل رقم (10)".



شكل رقم (7): مشهد عام
للوَاجهة الرئيسية
للمسجد الكبير.

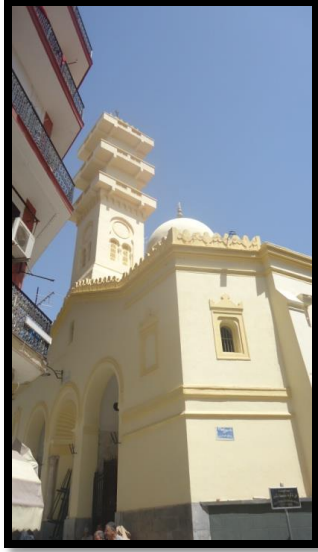


شكل رقم (6): مشهد عام لحرَم المسجد الكبير
المصدر: الباحثون

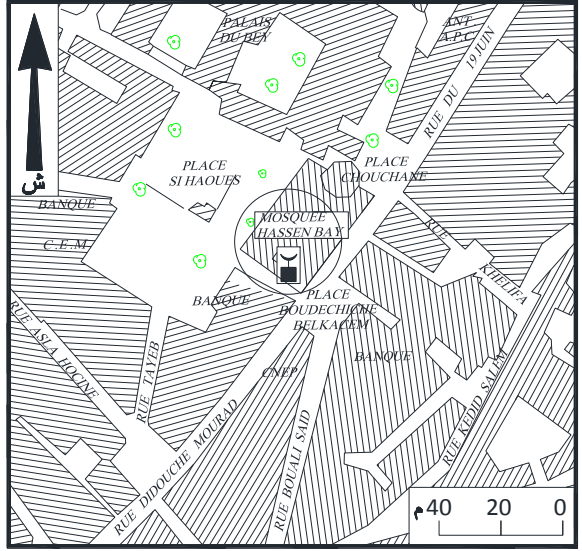
ومحراب المسجد موجه نحو الجنوب الشرقي، وله مشكاة مجوفة مضلعة المسقط، يبلغ عرضها 1,45 م وجوفها 1,30 م، قسمها العلوي على شكل نصف قبية من الجص المنقوش والمزين بمشبيكات ومضلعات، أما أعمدة المحراب فهي أربعة ترتكز على مصطبتين "شكل رقم (11)". ومنبر مسجد حسن باي مصنوع من الخشب، صدره ورواقه وجانباه مزين بزخارف منقوشة، يبلغ طوله 3,43 م وعرضه 0,96 م وارتفاعه 2,78 م، ويحتوي على درج من 11 درجة.

ويبلغ عدد القباب الموجودة بالمسجد 18 قبة، وأهم قبابه تلك القبة التي تعلو القاعة المضلعة، التي لها قاعدة على شكل مشور سداسي القاعدة، أما القبة الموجودة أمام المحراب لها قاعدة مربعة، والتحول إلى المستوى الثماني الأضلاع يقع بفضل عقود زوايا مزينة بخنايا متحدة المركز.

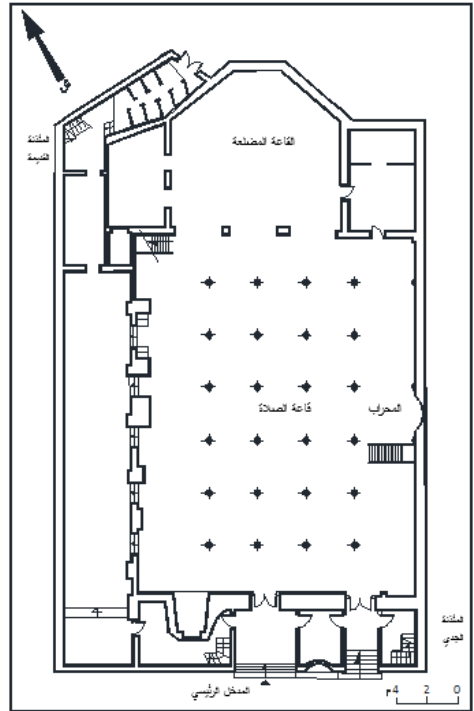
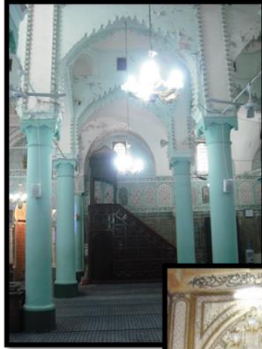
ويتميز مسجد حسن باي بمئذنتين إحداهما من الآثار العثمانية الباقية حتى اليوم، أما الأخرى فتعتبر من آثار الاستعمار الفرنسي "شكل رقم (9)"، حيث جددت المئذنة القديمة في عهد الاستعمار، ثم جددت مرة أخرى على الطراز الإسلامي في عهد ما بعد الاستقلال. أما المئذنة الجديدة فشيّدت في عهد الاستعمار الفرنسي على يد المهندس المعماري مورس عام 1838 م [15]، حيث شيّدت لتكون برجاً للكنيسة الكاثدرائية أيام تحويل المسجد إلى كنيسة، ثم جددت على الطراز الإسلامي في عهد ما بعد الاستقلال لتصبح مئذنة ثانية للجامع.



شكل رقم (9): مشهد عام لمسجد حسن باي.
المصدر: الباحثون



شكل رقم (8): مخطط موقع مسجد حسن باي داخل النسيج الحضري -
قسنطينة. المصدر: سخري، 2018



شكل رقم (10): مخطط الطابق الأرضي لمسجد
حسن باي - قسنطينة. المصدر: الباحثون

شكل رقم (11): مشهد عام لقاعة صلاة ومحراب
مسجد حسن باي. المصدر: الباحثون

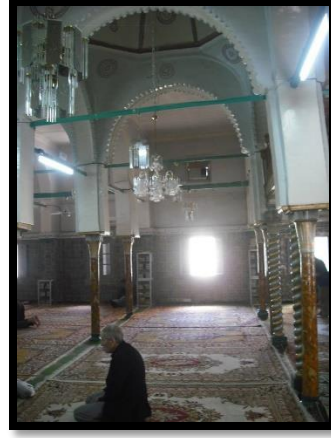
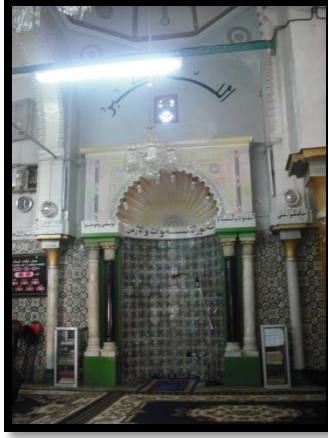
3.7. الدراسة الخاصة بمسجد سيدي الأخضر

أمر ببناء المسجد الباي حسن بن حسين الملقب أبو حنك (العهد العثماني) في عام 1743 م، كما يدل عليه النقش الكتابي المثبت والموضوع في جدار الحرم المقابل للمحراب [16]. ويقع المسجد في المدينة القديمة، ويوجد بنهج قديد صالح رقم 175 "شكل رقم (12)".

ويتألف مسجد سيدي الأخضر من بيت الصلاة الذي يتخذ شكلا مستطيلا "شكل رقم (13)"، يبلغ عرضه 12,60 م وجوفه 15,30 م، تمتد به 5 أساكيب عمودية لجدار المحراب و 5 بلاطات موازية لجدار المحراب، عرض كل واحدة منها 3 م بالتساوي، وتقع هذه القاعة في الطابق الأول "شكل رقم (14)". أما الأقواس المتوازية لجدار المحراب فهي أقواس مكسورة مشعرة أو أقواس ذات فصوص مستقيمة منحنية، أما العمودية منها فهي أقواس حلوية الشكل ما عدا الأقواس التي تسند القبة فهي أقواس مفصصة.

ولمحراب المسجد مشكاة على شكل قوس منخفضة يساوي عرضها 1,38 م وجوفها 42 سم، أما أعمدة المحراب فهي أربعة من الرخام تمتاز بأبدان رخامية بيضاء وسوداء، وضعت متناوبة على الجانبين، وترتكز كل هذه الأعمدة التي تمتاز بقصر أبعادها، على مصطبتين شديدة الارتفاع "شكل رقم (15)"، أما المشكاة فهي مكلفة بقبة نصفية على شكل صدفة داخل المحراب، أما قوس فتحة المحراب فهي قوس نصف دائرية مفصصة بارزة بالنسبة إلى إطاره. القبة التي تتوضع أمام المحراب هي قبة ذات ثماني شقات، التحول فيها من المستوى المربع إلى المستوى الثماني الأضلاع يجري بواسطة مثلثات. ومنبر المسجد هو منبر خشبي يبلغ طوله 2,80 م وعرضه 0,82 م وارتفاعه 2,52 م، يحتوي على درج مكون من 10 درجات، وله فتحة المدخل التي اتخذت شكل العقد المتجاوز بفصوص صغيرة.

ولمسجد سيدي الأخضر معذنة مثمثة الشكل "شكل رقم (16)"، وتحتوي هذه المعذنة على قاعدة مربعة الشكل يبلغ ارتفاعها 3 م، وتتكون من: البرج الرئيسي والبريج (ذو قاعدة ثمانية الأضلاع) ويعلو البريج هرم ثماني القاعدة يكمله جامور مكون من كرة كبيرة من النحاس وسفود ينتهي بهلال.



شكل رقم (14): مشهد عام لقاعة صلاة مسجد سيدي الأخضر. المصدر: الباحثون شكل رقم (15): مشهد عام لمحراب مسجد سيدي الأخضر. المصدر: الباحثون شكل رقم (16): مشهد عام لمنئذنة مسجد سيدي الأخضر. المصدر: الباحثون

4.7. الدراسة الخاصة بمسجد سيدي الكتاني

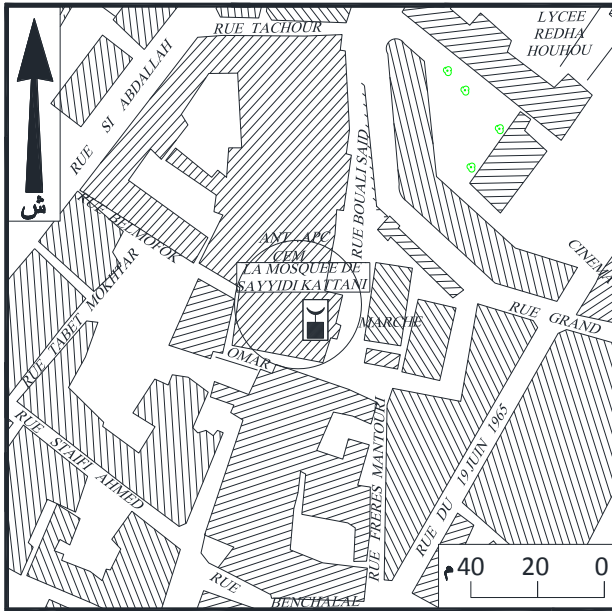
أمر الباي صالح باي بن مصطفى ببناء هذا المسجد (العهد العثماني) في عام 1776 م [17]. وفي عام 1864 م أمر نابليون الثالث بإدخال إصلاحات على الجامع بالدائرة العليا فوق الباب الخارجي الشرقي [14]. ويقع المسجد في المدينة القديمة، في نهاية شارع كرامان بساحة "سوق العصر" حالياً، والذي سميت بعد الاستقلال ساحة بوهايي السعيد رقم 5 "شكل رقم (17)".

يتألف مسجد سيدي الكتاني من قاعة كبيرة الحجم هي قاعة الصلاة، ومن عدة محلات، وتقع قاعة صلاة للمسجد في الطابق الأول "شكل رقم (18)"، ويتخذ شكلاً مستطيلاً، يبلغ طوله من الداخل 18,60 م وجوفه 15,30 م، تمتد به خمسة أساكيب موازية لجدار المحراب، وخمس بلاطات "شكل رقم (19)"، وندخل إلى هذه القاعة من خمسة أبواب من الخشب المنقوش مفتوحة في الجدار المقابل للمحراب، وأما الأعمدة التي تسند أقواس القاعة فهي مصنوعة من الرخام الأبيض، أما أقواس القاعة فهي أقواس مشعرة تتركز على التيجان بواسطة كتف صليبي الشكل. لمحراب المسجد مشكاة سباعية الأضلاع يبلغ عرض تجويفه 1,70 م وعمقه 0,93 م، وقسمه العلوي على شكل نصف قبيبة مزينة، وقسمه السفلي مزين بالبلاطات الخزفية، أما أعمدة المحراب فهي أربعة من الرخام تمتاز بأبدان رخامية سوداء، تكتنفه من الجانبين وترتكزان على قاعدة عالية لتيجانها. وللمسجد ثلاث قباب تعلو البلاطات الثلاث الأولى للأسكوب العمودي على جدار المحراب، القبة الموضوعية أمام المحراب هي قبة ثمانية الشقق محاطة

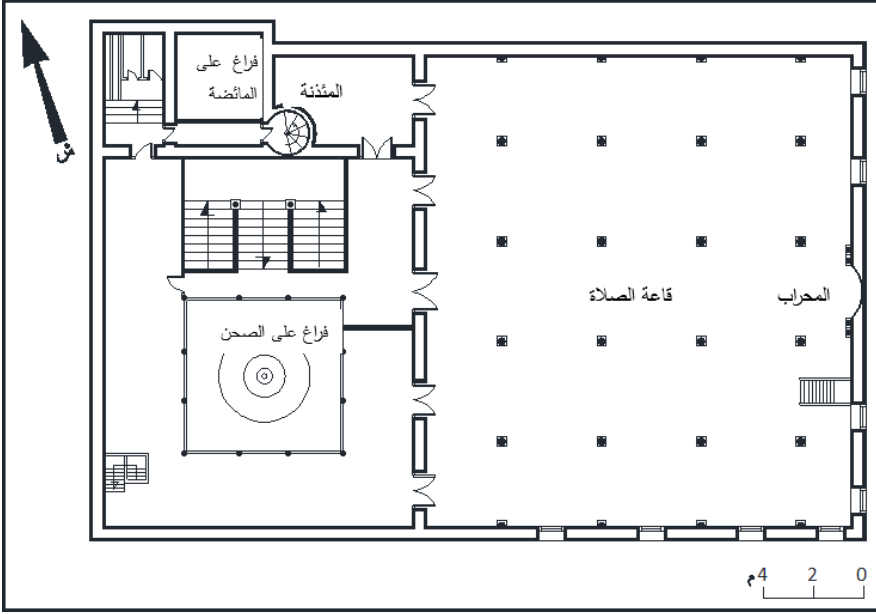
بمعينات، يجري التحول من القاعدة المربعة إلى الثمانية الأضلاع بواسطة عقود صدفية الشكل، أما القبستان الوسطى والثالثة فتشبهان إلى حد كبير القبة السابقة.

وأما منبر المسجد فهو مصنوع من الرخام، فقد جلبه صالح باي من مدينة ليفورن بإيطاليا، يتكون من درج بتسع درجات ويأخذ باب هذا المنبر شكل قوس حدوية الشكل وتزينه الكتابة التذكارية المزخرفة، أما وجهها المنبر الجانبين فهما على شكل خماسي الأضلاع. ويتواجد صحن المسجد بالطابق الأرضي، ونرى فيه حوضا بنافورة محاطا بأروقة، ومحرابا ثانويا موجهها نحو الجنوب الشرقي يسمح للناس بالصلاة في الهواء الطلق. ويتميز المسجد بمئذنة ذات شكل أسطواني تحتوي على برجين: البرج الرئيسي والبرج (أسطواني الشكل)، ويكفل البرج جذع مخروط صغير ينتهي بعنصر زخرفي على شكل بصلة ممطولة.

ولمسجد سيدي الكتاني واجهتان، الواجهة الرئيسية تطل على الساحة، بها مدخلا بارزا ذا ثلاثة وجوه مزخرفة، على يمين ويسار المدخل نرى في القسم العلوي للوجه نافذتين تضيئان بيت الصلاة، والطنف وإفريزا من الزهيرات ثلاثية الفصوص، وفي الزاوية نشاهد قبببة بصلية الشكل ممطولة مكللة بجامور ينتهي بهلال. أما الواجهة الثانية لمسجد سيدي الكتاني، فهي عمودية على الواجهة السابقة، وتتنظم زخرفته حول باب، مسدود اليوم.



شكل رقم (17): مخطط موقع مسجد سيدي الكتاني داخل النسيج الحضري - قسنطينة. المصدر: سخري، 2018



شكل رقم (18): مخطط الطابق الأول لمسجد سيدي الكتاني - قسنطينة. المصدر: الباحثون



شكل رقم (19): مشهد عام لقاعة صلاة (اليمين) وصحن (اليسار) مسجد سيدي الكتاني. المصدر: الباحثون

17. التحليل والمناقشة لدراسة المساجد الأثرية بالمدينة القديمة بقسنطينة

في محاولة للإجابة عن تساؤلات الدراسة ومناقشة الفرضيات، تم التطرق إلى التحليل والمناقشة للمساجد التراثية بالمدينة القديمة بقسنطينة، حيث تم إتباع الطرق والمناهج التالية: إعداد بطاقات تقنية للمساجد الأثرية الأربعة

المتواجد في المدينة القديمة بقسنطينة، باستخدام تقنية الرفع المعماري، ثم اتباع المنهج الوصفي التحليلي اعتمادا على "المقاربة التيبومرفولوجية"، حيث تم في دراسة هذه المساجد وضع إطارا للدراسة التحليلية المرفولوجية تتضمن تحليل أنماط جميع المساجد الأثرية المدروسة، لاستخدامها كدليل عملي ومرجعي لمختلف أنواع مسارات السياحة الثقافية.

الأثري المساجدي في تنوع وجلب وجهات سياحية هامة 1.8. دور التراث

بالإضافة إلى الهندسة المعمارية للتراث المساجدي المدروس التي تعد فريدة من نوعها في المنطقة القديمة بقسنطينة، وغناها بالتفاصيل والعناصر المعمارية التي تجسد براعة وإتقان حرفة البناء والتصميم، كما تضاف إلى سجل المساجد القيم الفنية التي تميز هذه المساجد عن سائر مساجد مدينة قسنطينة الحديثة، وخاصة المنارات الفريدة من نوعها من ناحية الطراز والأعمدة الحجرية التي تمثل البساطة والجمال، ولا تزال المساجد التراثية تحافظ على طرازها القديم رغم التدخلات عليها، مما عزز من اندماجها في محيطها العمراني، ويرجع ذلك لدقة الصانع وبراعة التقنية واستعمال مواد بناء مستدامة.

فهذه المساجد التراثية لها دور كبير في جلب وجهات سياحية هامة لمدينة قسنطينة، نظرا لأن السياحة الثقافية [9] تعد بديل هام لإنعاش القطاع السياحي خاصة في دولتنا، ونظرا لتموضع هذه المساجد في المدينة القديمة لقسنطينة، فهي التي توزع الطرقات المهيكلة للمدينة القديمة. بالإضافة إلى وجودها في مراكز نشاطات اقتصادية كالسوق، يجعل هذه المسارات السياحية للتراثين مهمة للتعريف بهذا التراث المساجدي.

وكما أن السياحة الثقافية تعتبر من أهم الحلول الممكنة والمتوفرة لذلك، ولا تحتاج البلاد إلا إلى مخطط وطني سياحي، لتحول الجزائر إلى وجهة سياحية مهمة في منطقة شمال إفريقيا، خاصة أن الاستراتيجية الوطنية لتنمية القطاع الذي وضعته وزارة السياحة يجب أن يدمج هذا النمط في فروع السياحة المطلوب تطويرها.

2.8. اقتراح إعادة ترميم المساجد التراثية بالمدينة القديمة لأجل تفعيل السياحة الثقافية

بقسنطينة

يأتي التركيز المتزايد على إبراز ملامح وهوية العمارة المحلية للمساجد العتيقة، للوصول إلى مفهوم واضح حول البيئة العمرانية وما يرتبط بها ولكي لا تغفل هذه الأفكار والأنماط المعمارية وحتى لا نبتعد عن التعبير المحلي والإنساني، نقترح إعادة ترميم المساجد التراثية بالمدينة القديمة لأجل تفعيل السياحة الثقافية بمدينة قسنطينة، من خلال الحفاظ في إطار قطاع محفوظ يشمل المواقع الأثرية للمساجد التراثية، لإعادة احياء هذه المساجد التراثية معماريا وذلك من خلال:

إعادة الاعتبار وترميم المساجد التراثية داخل محيطها.
إعادة احياء العناصر المعمارية المفقودة في هذه المساجد التراثية.
تحديد مجال حماية المساجد التراثية في الموقع.
إرجاع المساجد التراثية إلى حالتها الأولية القديمة بعد تجريدتها من الإضافات غير المقننة.
الترميم بالمادة الأولية والأصلية وبنفس التقنية الأولى لضمان الطابع التراثي لهذه المساجد.
العناية والحفاظ والتممين للتشكيلة التراثية النادرة للمساجد التراثية.

3.8. المتطلبات لترقية السياحة الثقافية داخل مواقع التراث المساجدي بالمدينة القديمة بقسنطينة

لترقية السياحة الدينية داخل مواقع التراث المساجدي بالمدينة القديمة بقسنطينة، يجب على السلطات المخولة توفير مجموعة من المتطلبات أهمها:
تأهيل وتممين هذه المساجد وصيانتها من خلال رصد الميزانيات الكافية بذلك.
العمل على تصنيف هذه المساجد التراثية كتراث ثقافي وطني.
الاهتمام بتسويق هذه المساجد التراثية بالمدينة القديمة بقسنطينة لاستقطاب السياح من داخل الوطن قبل الأجانب.
تنمية ثقافة الحفاظ على هذه المساجد التراثية لدى السكان المحليين والسياح.
إشراك جميع القطاعات لتطوير قطاع السياحة الثقافية الداخلية وخاصة وكالات السياحة والمجتمع المحلي.
إشراك القطاع الخاص لتممين هذه المساجد التراثية، وخاصة في مجال الاستثمار السياحي المجاور لهذه المساجد، مثل الفنادق والاطعام ومراكز الراحة ...

18. الخلاصة

تعد السياحة الثقافية عنصرا هاما في الخريطة الاقتصادية السياحية، لما لها من مردود اقتصادي ساهم في نمو الدخل الوطني للدول، وذلك من خلال تدفق العملات الأجنبية وجلب الاستثمارات المحلية والأجنبية. فاستعمال التراث الأثري الديني كمادة أولية لتنشيط السياحة الثقافية قصد بناء استراتيجية للتنمية المستدامة للتشجيع على اقتراح برامج للتهيئة السياحية وخلق مسارات سياحية دينية في المدينة القديمة بقسنطينة لتحقيق التنمية في الاقتصاد الوطني، عن طريق المحافظة على التراث الأثري المساجدي في مدينة قسنطينة، لما لهذه المساجد التراثية من دور كبير في

الأنظمة التخطيطية العمرانية التقليدية بالمدينة، لذا يجب التفكير في وضع مقاربات متوافقة من السياحة وتأخذ بعين الاعتبار مشاركة الجماعات المحلية والحركات الاجتماعية لمدينة قسنطينة.

لذلك فإن الحفاظ على التراث الأثري المساجدي بمدينة قسنطينة أصبح ضرورة ملحة بصفته محددًا للانتماء والهوية من جهة، وباعتبار هذا التراث الأثري المساجدي قيمة اقتصادية واجتماعية يجب تفعيلها خدمة للتنمية الاقتصادية والسياحية والاجتماعية من جهة أخرى، دون إغفال ضرورة استغلاله استغلالًا عقلانيًا بما يضمن الحفاظ على حقوق الأجيال القادمة وحققها في التعرف على تراثها المساجدي والاستفادة منه أيضًا.

ويمكن القول بأن التراث الأثري المساجدي الذي تزخر به مدينة قسنطينة يحتاج إلى الاهتمام الأكبر والرعاية الخاصة من الجهات الوصية والمختصين، من أجل ترقية الاستفادة منه في اقتصاد المدينة على المستوى المحلي والوطني في ظل توجهات الدولة نحو إيجاد بدائل جادة وحقيقية للربيع البترولي الذي يتعرض للأزمات بصفة دورية، وعلى رأس هذه البدائل السياحة الثقافية وجلب السياح الأجانب والمحليين نحو هذه المدينة المميزة ثقافيًا وحضاريًا.

وأخيرًا يجب التنويه إلى أن أهم توصيات الدراسة تتمثل في ترميم هذا الموروث المعماري لأنه يمثل الهوية المحلية لمدينة قسنطينة، ولأنه يساهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع وفي تنشيط السياحة الثقافية، وذلك من خلال فتح مجال بحث يهدف إلى دراسة المساجد التراثية في المدينة القديمة بقسنطينة، لاستغلال ما أبدع فيه المعماريون المسلمون من عمارة هذه المساجد التراثية.

المراجع

- [1] سخري ع.، وبلال ط. عمارة المساجد في عصر العولمة بين الهوية والأصالة والمعاصرة - دراسة حالة مسجد الأمير عبد القادر بمدينة قسنطينة والجامع الأعظم بمدينة الجزائر - مجلة العمارة والتخطيط، م30-1 (2018)، ص ص. 25-53.
- [2] Mebarki, A. The impact of natural ventilation on thermal comfort in mosques in hot dry Climate. Doctoral Thesis of Architecture, University of Constantine, Constanatine, Algeria, 2019.
- [3] Mebarki, A.; Bouchahm, Y. Investigation of air velocity effect on thermal comfort in mosques-hot-dry climate. *Nature & Technology Journal*, 2019, 11(1), 3-11.
- [4] Ridwan, R. Pattani central mosque in Southern Thailand as sanctuary from violence. *Indonesian Journal of Islam and Muslim Societies IJIMS*, 2014, 4(2), 213-232. <https://doi.org/10.18326/ijims.v4i2.213-232>

- [5] سخري ع. مظاهر تأثير العولمة على هوية عمارة "جامع الجزائر". مجلة جماليات، م05-1 (2019)، ص ص. 177-207.
- [6] الولي، ط. المسجد في الإسلام. بيروت: دار العلم للملايين، لبنان (1988).
- [7] Abdel-Hady, Z. M. The Masjid, Yesterday and Today. Center for International and Regional Studies. Doha: Georgetown University School of Foreign Service, 2010.
- [8] Sekhri, A.; Assassi, A.; Mebarki, A. The Contemporary Identity of the Architectural Design in the Great Mosque of Algeria. *Dirasat: Human and Social Sciences*, 2023, 50(2), 16–28. <https://doi.org/10.35516/hum.v50i2.4917>
- [9] بشطة ب.، بورمان ع. السياحة الدينية كخيار لتنوع القطاع السياحي في الجزائر. مجلة الأبحاث الاقتصادية، م15-1 (2020)، ص ص. 71-91.
- [10] القزويني ح. السياحة الدينية وسبل تنظيمها بمنظور استراتيجي: دراسة حالة محافظة كربلاء. جامعة القادسية، العراق (2017).
- [11] شلايل م. (2014) السياحة الدينية في الضفة الغربية وقطاع غزة. الجامعة الإسلامية، فلسطين.
- [12] Bourouiba, R. L'Art Religieux Musulman En Algérie". Ed S.N.E.D, Alger, Algérie, 1983.
- [13] فيلاي عبد العزيز، لعروق محمد الهادي، مدينة قسنطينة - دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر (1984).
- [14] سخري ع. دراسة العوامل المؤثرة في تشكيل المآذن - حالة مساجد مدينة قسنطينة. مذكرة ماجستير، جامعة سطيف، الجزائر (2005).
- [15] سخري ع. عمارة المساجد في عصر العولمة بين الهوية، الأصالة والعصرنة "حالة مساجد مدينتي قسنطينة والجزائر العاصمة". أطروحة دكتوراه في الهندسة المعمارية، جامعة سطيف، الجزائر (2018).
- [16] بورويبة ر. قسنطينة. سلسلة الفن والثقافة - وزارة الاعلام والثقافة، الجزائر (1978).
- [17] Redjem, M. L'évolution des éléments architecturaux et architectoniques de la mosquée en vue d'un cadre référentiel de conception: Cas des mosquées historiques de Constantine. Mémoire de magister, Département d'Architecture, Université Badji Mokhtar – Annaba, 2014.

العناصر المعمارية والسمات المحلية للجامع العتيق بمدينة غدامس

*محمود عبد الكريم قريو¹

¹ قسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني، كلية الهندسة، جامعة مصراتة، مصراتة، ليبيا
(m.girrieow@eng.misuratau.edu.ly*العنوان البريدي)

ملخص البحث

تناول الباحث في هذه الورقة دراسة الفراغات والعناصر المعمارية، وكذلك السمات المحلية للجامع العتيق بمدينة غدامس، وهو ما يعرف بجامع ورنوغن، لما لهذا الجامع من أهمية تاريخية في ليبيا عامةً ومدينة غدامس خاصةً، لا سيما بعد أن أعيد ترميمه وصيانته عقب تعرضه للتصدع والهدم جراء الغارة الفرنسية على غدامس سنة 1943م، فهو يعتبر من أكبر مساجد مدينة غدامس القديمة، ومن أقدم مساجدها التراثية، حيث يرجع تأسيسه إلى عام 44 هجرية الموافق 664 ميلادية، في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، وهو أحد المعالم المعمارية بالمدينة التي تعبر عن الطابع المعماري المحلي أو الطراز الإسلامي في إحدى واحات الصحراء الليبية، والتي تم إدراجها ضمن قائمة اليونسكو للتراث العالمي عام 1986 م، كجزء من تراث مدينة غدامس القديمة، حيث لعب الجامع العتيق دوراً كبيراً في الحياة الدينية والاجتماعية والتعليمية والثقافية، ويمكن إيجاز إشكالية البحث في عدم الاعتناء بالعناصر المعمارية للجامع العتيق، وقلة الوعي البيئي بالسمات المحلية وتفصيلها، التي يتصف بها هذا الجامع. كما أن هذه الورقة تهدف إلى تسليط الضوء على العناصر والفراغات المعمارية المكونة لهذا الجامع، وكذلك التعرف على سماته المحلية، بالإضافة إلى توثيق الطابع المعماري المحلي أو الطراز الإسلامي لهذا الجامع، إلى جانب إبراز الإرث التاريخي له.

وقد تمثلت أهمية الدراسة في رفع الوعي الثقافي بأهمية العناصر المعمارية لهذا الصرح وأثر هذه السمات المحلية في تحقيق أهداف البحث. وقد اعتمد الباحث في دراسة بحثه على المنهج الوصفي والتحليلي، حيث أن المنهج الوصفي لوصف عناصر ومفردات الإطار النظري، والتحليلي لتحليل الإطار العملي للبحث، وذلك لغرض الاستفادة منها في استخلاص العبر. وفي ختام هذه الورقة خلص الباحث إلى جملة من التوصيات الهامة التي ستكون منهاجاً للدارسين والباحثين في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: العناصر المعمارية، السمات المحلية، الجامع العتيق، الإرث التاريخي، غدامس.

• مقدمة:

يعتبر المسجد العتيق أحد أهم المعالم المعمارية والتاريخية بالمدينة القديمة، حيث يعود تاريخه إلى زمن الفتوحات الإسلامية لدول شمال أفريقيا، وهو ما يعرف بجامعة ورنوغن، أعيد ترميم المسجد وصيانته أثناء تعرضه للتصدع والهدم بعد الغارة الفرنسية الأمريكية على مدينة غدامس سنة 1943م، وهو يعتبر من أكبر مساجد مدينة غدامس القديمة، حيث يرجع تأسيس المسجد العتيق إلى عام 44 هجرية الموافق 664 ميلادية، في فترة الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، وهو يعد أحد أقدم المعالم المعمارية والتراثية بالمدينة التي تعبر عن الطابع المعماري المحلي أو الطراز الإسلامي في إحدى واحات الصحراء الليبية، والتي تم إدراجها ضمن قائمة اليونسكو للتراث العالمي عام 1986 م، كجزء من تراث مدينة غدامس القديمة، حيث لعب الجامع العتيق دوراً كبيراً في الحياة الدينية والاجتماعية والتعليمية والثقافية.

إشكالية البحث:

تعتبر المساجد العتيقة من أهم المعالم المعمارية والتاريخية في المدن العربية والإسلامية، ويعد الجامع العتيق لمدينة غدامس أحد هذه المعالم، لما له من دور بارز في الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية بالمدينة، ومن خلال زيارتي الميدانية للمدينة القديمة أتضح لي بأن إشكالية البحث في عدم الاهتمام بالعناصر المعمارية للجامع العتيق، وكذلك لم تحظ سماته المحلية المتعلقة بالتراث والمعمار المحلي بالدراسة الكافية من قبل الباحثين والمهتمين بهذا المجال، بالإضافة إلى عدم الوعي الثقافي بالمعمار البيئي الذي يتصف به هذا الجامع.

• أهداف البحث:

- تسليط الضوء على الفراغات والعناصر المعمارية المكونة للجامع العتيق.
- التعرف على أثر السمات المحلية على الجامع العتيق.
- توثيق الطابع المعماري والطراز الإسلامي لهذا الجامع.
- إبراز الموروث الثقافي والإرث التاريخي للجامع العتيق.

• أهمية البحث:

تتمثل أهمية الدراسة في إبراز القيم التاريخية للجامع العتيق، وعناصره المعمارية، وسماته المحلية والوصول من خلالها

إلى توصيات تسهم في تحقيق أهداف البحث.

• منهج البحث:

لتحقيق أهداف البحث تمت الاستعانة بمنهجين من مناهج البحث العلمي وهما المنهج الوصفي لوصف عناصر ومفردات الإطار النظري، بالإضافة إلى المنهج التحليلي لتحليل الإطار العملي للبحث لغرض استخلاص العبر والاستفادة منها في الدراسات اللاحقة.

• أطر البحث:

- الإطار الموضوعي: العناصر المعمارية والسماط المحلية للجامع العتيق بمدينة غدامس.
- الإطار الزماني: الوقت الحالي.
- الإطار المكاني: مدينة غدامس القديمة.

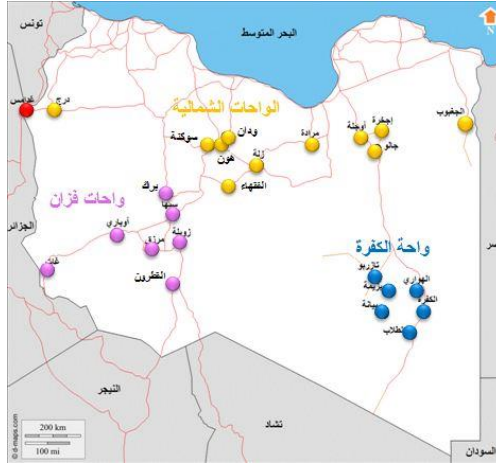
• منطقة الدراسة:

تقع غدامس بالقرب من المثلث الحدودي ليبيا وتونس والجزائر، شكل رقم (1). عند التقاء خط عرض 08 - 30 شمالاً وخط طول 30 - 09 شرقاً، يجدها من الشرق مدينة درج بمسافة (90) كم، بينما من الغرب تحدها الحدود الجزائرية التي تمتد عندها نقطة الدبداب وتبعد عنها (09) كم، ويجدها من الشمال الحدود التونسية الجزائرية وتبعد عن نقطة خرسانة (13) كم في حين يجدها من الجنوب مدينة غات على بعد (800) كم. في حين تبعد (620) كم جنوب غرب طرابلس شكل رقم (2).

تبلغ مساحتها (160) هكتار، وترتفع حوالي (360) متراً فوق مستوى سطح البحر [1]. تعتبر من أقدم مراكز الحضارة في الصحراء الكبرى [2]. ترتفع حوالي (300) م فوق مستوى سطح البحر مما يجعلها في مأمن من سيول الأودية، وهي محاطة من الشمال والغرب بمضبة من الكثبان الرملية تمتد ما بين (7 - 8) كم على هيئة هلال. مما يوفر لها الدفء في الشتاء بسبب الحرارة المنبعثة من الكثبان الرملية، أما في الصيف فيكون الجو حاراً في الصباح حيث تصل الحرارة في بعض الأحيان إلى (50) م.

إلا أنها تنخفض تدريجياً خلال الليل. وتعد جوهرة الصحراء غدامس من الواحات السياحية القديمة قدم التاريخ ولها طابع مميز سواء من الناحية العمرانية أو الاجتماعية، حيث يعتبر تصميمها الهندسي آية من آيات الطراز المعماري الملائم لبيئة المناخ الحار.

كانت تسمى قديماً بمدينة القوافل وحالياً صنفتها منظمة اليونسكو على أساس أنها محمية تاريخية حيث تضم العديد من القلاع العثمانية والشواهد الأثرية كالمدينة القديمة والسور الخارجي وواحة النحيل وعين الفرس والجامع العتيق [3].



شكل رقم (1) يوضح موقع غدامس من ليبيا



شكل رقم (2) يوضح مخطط المدينة القديمة بغمادس، [4]

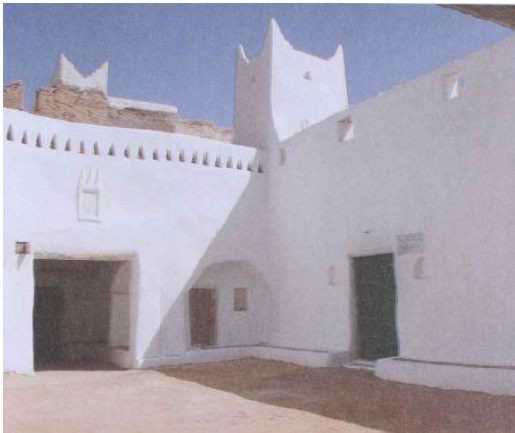
• الجامع العتيق:

يقع الجامع العتيق أو ما يعرف بجامع ورنوغن الثالث في شارع بن وليد بمدينة غدامس، وهو يتوسط محلي وليد

وبنو وازيت. ونظراً لأهميته التاريخية في فقد لعب هذا الجامع دوراً مميزاً في الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية بالمدينة، ويعتبر الجامع العتيق من أكبر مساجد المدينة وأقدمها، حيث يرجع تأسيسه إلى عام 44 هجرية الموافق 664 ميلادية، شكل رقم (3). إبان فترة الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، كما أنه يعتبر أحد المعالم المعمارية التي تعبر عن جزء لا يتجزأ من المعمار الإسلامي أو الطراز المحلي بالمدينة، التي تم إدراجها في قائمة اليونسكو للتراث العالمي عام 1986 م، شكل رقم (4).



شكل رقم (3) يوضح لوحة تأسيس الجامع العتيق، كاميرا الباحث، 2023



شكل رقم (4) يوضح منظور خارجي للجامع العتيق، [2]

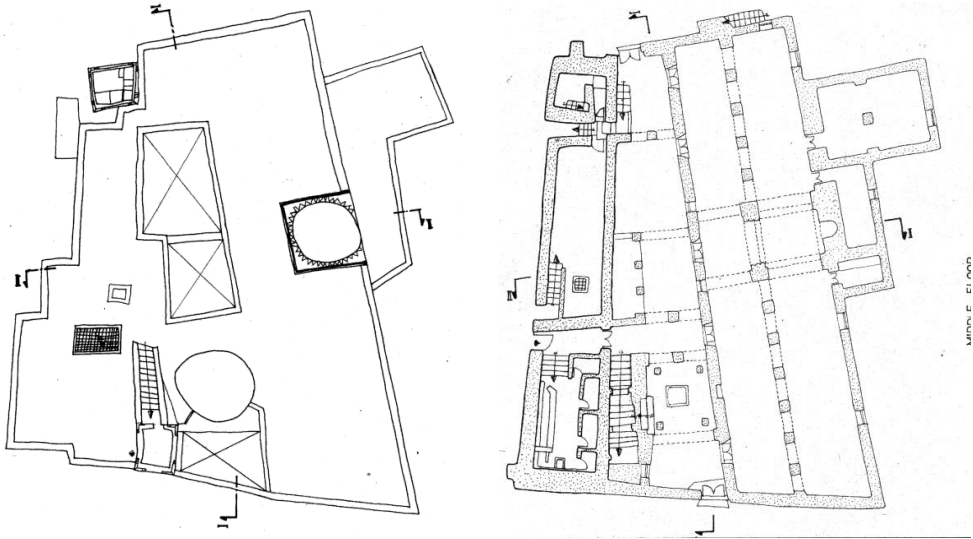
أولاً: الفراغات والعناصر المعمارية للمسجد العتيق

- **بيت الصلاة:** هو عبارة عن شكل شبه منحرف، يبلغ طول الجدار الجنوبي الشرقي (27.00) م، والجدار الشمالي الغربي (26.00) م، أما الجدار الغربي (9.90) م، بينما الجدار الشرقي (5.70) م، وهو مقسم إلى

رواقين موازيين لجدار القبلة، بواسطة بائكة تتكون من (13) عقد، علماً بأن المسافة بين الأعمدة تتراوح من (1.10 – 1.20) م، باستثناء العمودين المقابلين للمحراب فإن المسافة بينهما هي (2.10) م، حيث ترتكز هذه العقود على دعائم مربعة الشكل طول ضلعها (65) سم، تعلوها دكة حجرية مربعة طول ضلعها (80) سم، باستثناء الدعائم المقابلتان للمحراب فإن طول ضلع كلاً منها هو (1.00) م، حيث توضع ثلاث أعمدة متلاصقة في بدن كل دعامة [5]، شكل رقم (5،6).

– **الفناء (الصحن المكشوف):** هو عبارة عن شكل هندسي على شكل شبه منحرف أطوال جدرانه كالتالي: الجنوبي الغربي (26.40) متر، وجداره الشمالي الغربي (26) متر، وجداره الغربي (5.60) متر، بينما طول جداره الشرقي (3.20) متر، وقد تم تسقيف الجزء الشرقي من الفناء ليكون سقيفة مطلة على الفناء بواسطة عقدتين يرتكزان على دعامة وسطية [5]، شكل رقم (7،8).

– **الإيوان:** وهو الجزء الجنوبي الشرقي من الجامع، ترتفع أرضيته قليلاً عن أرضية الفناء، ويطل على الفناء بثلاثة عقود على هيئة حدوة الفرس، وهذه العقود مرتكزة على ثلاث دعائم، شكل رقم (9،10).



شكل رقم (5،6) يوضحان مخططات الجامع العتيق، [4]

– **مصلى النساء:** هو عبارة عن جزء مستطيل الشكل يعلو الحمامات، ويصعد إليه من السلم الموجودة في الجزء الشمالي الشرقي أو الشمال الغربي من الجامع.

– **المخزن:** هو عبارة عن فراغ معماري على هيئة غرفة مستطيلة أبعادها (6.00 * 4.80) متر، مغطاة بقبة

برميلي يتوسطه جدر نخله للتقوية.

– **الحمامات:** هي عبارة عن فراغات صغيرة وضيقة تفصل فيما بينها سواتر حجرية، تزينها من الخارج أبدان لأعمدة رومانية الشكل وهي مقسمة إلى ثلاث فراغات أحدها للرجال والثاني للنساء والثالث للشباب، وتمر أسفلها مجاري من المياه النظيفة التي تصل إليها من ساقية تصكو.



شكل رقم (7،8) يوضحان عقود الجامع العتيق، كاميرا الباحث، 2023



شكل رقم (9،10) يوضحان أعمدة الجامع العتيق، كاميرا الباحث، 2023

– **المحراب:** هو عبارة عن عقد مجوف يتوسط الجدار الجنوبي الغربي بزواوية (135) درجة، وبعرض (1.00) متر، وعمق تجويفه (1.20) متر، وبارتفاع (2.20) متر، وهو على هيئة حدوه فرس، يرتكز على عمودان يكتنفان جوانبه، تعلو كلاهما وسادة حجرية مكعبة بما زخارف نباتية محورة [5]، شكل رقم (11).

- المنبر: منبر الجامع متحرك وخصصت له غرفة مستطيلة الشكل على يمين المحراب أبعادها (1.80*2.10) متراً في غير أوقات الجمع، شكل رقم (12).



شكل رقم (11) يوضح محراب الجامع العتيق، كاميرا الباحث، 2023،



شكل رقم (12) يوضح منبر الجامع العتيق، [6]

- المئذنة: للجامع العتيق مئذنتان الأولى في الشمال وهي ذات قاعدة مربعة الشكل يعلوها مستطيل وهي مكونة من ثلاث طوابق تعلوها شرفة مدرجة في أركانها. علما بأن قاعدة المئذنة أصلية وقديمة، بينما الشرفة فقد أعيد استخدامها بعد أن تدمرت في الحرب العالمية الثانية. أما المئذنة الثانية تقع في الشمال الغربي وهي تشبه

الأولى من حيث القاعدة المربعة والبدن المستطيل الذي يضيق في الأعلى، أما شرفة المئذنة فهي تنتهي بشكل مدرج في الأركان، وهي حديثة ولا تحتفظ بأي شيء من معالمها السابقة، شكل رقم (13).

– **الأبواب:** للجامع العتيق ثلاث أبواب الأول في جهة الشمال والثاني في الشرق، أما الباب الثالث يوجد في جهة الغرب، وجميعها بعرض 1.20 متر، وبأعتاب مستطيلة [5].

– **النوافذ:** يحتوي الجامع العتيق من ستة نوافذ، الثلاثة الأولى منها مستطيلة الشكل وتقع جميعها في جهة الجنوب الغربي، وأبعادها (1.30 * 0.85) متر، بينما الرابعة والخامسة تقعان في الشمال الغربي، الأولى بأبعاد (0.95 * 0.65) متر، والثانية بأبعاد (0.55 * 0.45) متر، أما النافذة السادسة توجد في جهة الشرق وهي بأبعاد (0.93 * 0.73) متر [5].



شكل رقم (13) يوضح مأذن الجامع العتيق، [6]

– **الأسقف:** بيت الصلاة مغطى بجذوع النخل يشكل متعامد على جدار القبلة، يليها طبقة أخرى من جريد النخيل بأشكال هندسية، يليها طبقة من مادة الطين ثم الجبس. بينما سقف المحراب من الأعلى بواسطة قبة نصف كروية مرتفعة، وقد تم تحويل مربع المحراب إلى دائري عن طريق حنايا ركنية مقوسة وفتحت في رقية القبة الدائرية (8) مستطيلات منها (4) صماء وهي التي تعلو أركان المربع، شكل رقم (14).

– **الزخارف:** بيت الصلاة وكذلك وسائد الأعمدة التي تتركز عليها عقد المحراب زينت بزخارف نباتية محورة. بينما المحراب زين بواسطة إطار بسيط يحيط بعقد المحراب بواسطة زخارف هندسية على هيئة خطوط بسيطة الآثار. أما الأعمدة فقد خلت أبدانها من الزخرفة بينما زينت التيجان بزخارف هندسية، شكل رقم (15).



شكل رقم (14) يوضح سقف بيت الصلاة، كاميرا الباحث، 2023



شكل رقم (15) يوضح زخارف مدخل الجامع، [6]

ثانياً: السمات المحلية للمسجد العتيق

وهي القيم أو المزايا التي أنفرد بها الجامع العتيق عن غيره من المباني في المدينة، والتي أكسبته أهمية تاريخية على صعيد المعمار المحلي، ويمكن إيجاز السمات المحلية كالتالي:

- **السمات التاريخية:** يعود تاريخ غدامس إلى العصر الروماني، حيث وجدت نقوش حجرية تدل على وجود حياة في هذه المنطقة منذ 10 آلاف سنة، وقد أحتلها القرطاجيون عام 795 ق.م، ثم الرومان عام 19 ق.م، وأخيراً فتحها العرب بقيادة عقبة بن نافع عام 42 هـ [7]. أما الجامع العتيق فهو أبرز المعالم التاريخية

بالمدينة حيث يرجع تأسيسه إلى ما بعد الفتوحات الإسلامية إلى سنة 44 هـ الموافق 664 م، في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، شكل رقم (16).

- **السمات التراثية:** عندما تعرضت مدينة غدامس القديمة إلى غارة جوية فرنسية في الحرب العالمية الثانية عام 1942 م. تعرض الجامع العتيق كغيره من مباني المدينة إلى الدمار والخراب، ثم أعيد بناؤه وترميمه من جديد بنفس الطراز المعماري الذي كان عليه، وأدرج ضمن قائمة اليونسكو للتراث العالمي لسنة 1986م، كجزء من تراث مدينة غدامس القديمة. كما أن مدينة غدامس فازت بالترتيب الأول في مسابقة التراث العربي عام 2016م، من خلال الاستفتاء الإلكتروني الذي أجرى وشاركت فيه العديد من المدن العربية آنذاك، شكل رقم (17).



شكل رقم (17) يوضح إحاطة مباني المدينة بأشجار النخيل، [6]

- **السمات البيئية:** أحيطت مساجد ومباني مدينة غدامس بواحة أو حزام من أشجار النخيل التي تعمل كسور دفاعي عن المباني، شكل رقم (18)، كم أنها تعمل على تلطيف درجات الحرارة صيفاً إلى جانب وظيفتها كمصدات للرياح ومرشح رملي، وتوفيرها للرطوبة الكافية لمجابهة الطقس الحار، وحماية المدينة من العواصف الرملية، بالإضافة إلى الجامع من ضمن البيئة المبنية التي تمتاز بالشوارع المنحنية والممرات الضيقة، والمباني المظلة على بعضها البعض [8].
- **السمات المستدامة:** يعتبر الجامع العتيق أحد طرز المعمار المستدام من حيث مواد البناء الطبيعية المستخدمة فيه والمتمثلة في الحجر والطوب والطين بالإضافة إلى اللبن والجبس والخشب المستخدم في فتحات الأبواب

والنوافذ [9]. كما يتميز الجامع العتيق بنظام مائي مميز حيث تتدفق مياه عين الفرس العذبة باستمرار داخل مجرى مائي يمر أسفل الميضاة، شكل رقم (19)، يوفر الماء للوضوء والتطهر باستمرار، والتي تعتبر سبب نشوء ومصدر الحياة واستمرارها بالمدينة.



شكل رقم (19) يوضح تدفق مياه العين أسفل ميضاة الجامع، [6]



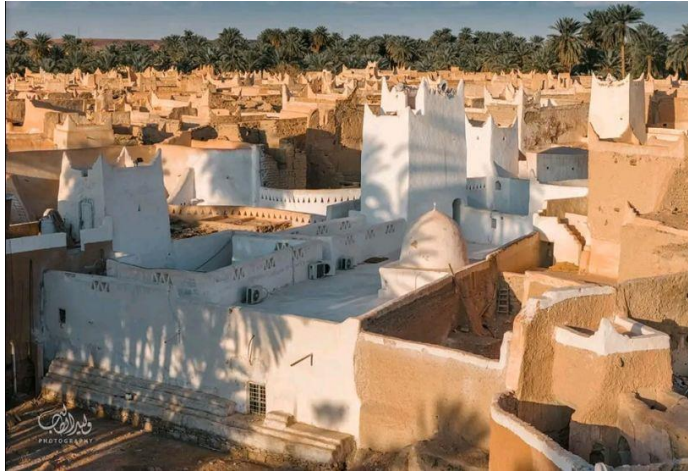
شكل رقم (18) يوضح المدينة وحزام الأشجار، [6]

- **السمات الصحراوية:** يعتبر الجامع العتيق أحد أهم مباني العمارة الصحراوية من خلال مقاومته للظروف المناخية القاسية. وهذا يظهر جلياً في مواد البناء المستخدمة وصغر الفتحات، واستخدام الألوان الفاتحة والترابية [8]، شكل رقم (20).

- **السمات الخارجية:** الجامع العتيق استخدمت في تبييض جدرانه الخارجية مادة الجير، حيث أن خاصيتها تعكس الإشعاع الشمسي الساقط على المباني وتقليل الأحمال الحرارية الخارجية، مما يؤدي إلى تحسين المناخ وتلطيف درجات الحرارة والشعور بالراحة الحرارية في الداخل [9]، شكل رقم (21).

- **السمات الإنشائية:** معظم مباني غدامس كانت تبنى من مواد بناء محلية ومتوفرة بالبيئة، شكل (22). لما لها من أهمية كبيرة في العزل الحراري والصوتي [11]، كالأحجار المستخدمة في القواعد والجدران بارتفاع

1.5 م، والطوب الطيني المستخدم في بناء الجدران والتقسيمات والسلام والأقبية، بينما استخدم الجبس في الأرضيات، والجدران وبناء قباب المساجد، بينما جذوع النخيل استخدمت في السقف، شكل رقم (23). وفتحات الأبواب والنوافذ، أما بالنسبة لجريد النخيل فلقد استخدم في الأرضيات، أما سعف النخيل فقد استخدم لمنع تسرب الجبس للطابق السفلي.



شكل رقم (20) يوضح المعمار الصحراوي، [10]



شكل رقم (21) يوضح السنة الخارجية للجامع، كاميرا الباحث، 2023،

- السمات الزخرفية [12]: زخرف الجامع العتيق وعناصره وفراغاته المعمارية بزخارف هندسية بسيطة أكسبته طابعاً جمالياً، حيث زخرف بيت الصلاة ووسائد الأعمدة بزخارف نباتية محورة، بينما المحراب زين بواسطة زخارف هندسية على هيئة خطوط بسيطة، أما تيجان الأعمدة فقد زينت بزخارف هندسية.



شكل رقم (23) يوضح مواد البناء المستخدمة،[6]



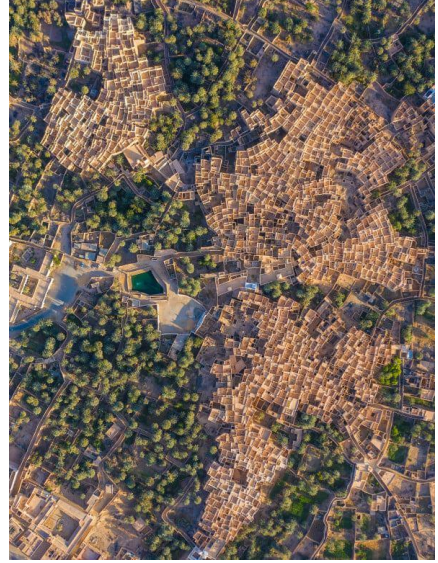
شكل رقم (22) يوضح استخدام جنوع النخيل في السقف،[6]

- **السمات العمرانية:** يعتبر الجامع العتيق أحد أنسجة النسيج العمراني المتضام الذي يمتاز به تخطيط مدينة غدامس [13]. حيث أن هذا الأسلوب يعمل على حماية المباني من الرياح المحملة بالأتربة والرمال وتقليل كمية الإشعاع الشمسي المباشر الساقط على الحوائط الخارجية للمباني، بحيث تكون المباني متلاصقة ومظلة على بعض الأمر الذي يسمح للسكان بالتنزه وقضاء حوائجهم اليومية مشياً على الأقدام. وأنفرد هذا النسيج تحت تأثير العامل الجغرافي المتمثل في وجود عين الفرس، والعامل الاجتماعي المتمثل في الأحياء السكنية بالمدينة، شكل رقم (24).

- **السمات المعمارية:** يعتبر الجامع العتيق أحد أهم المعالم المعمارية بالمدينة القديمة الذي هو انعكاس للمعمار المحلي في ليبيا. من حيث مواد البناء وفتحات الأبواب والنوافذ والإنهاءات، شكل رقم (25).



شكل (25) يوضح معمار الجامع العتيق، [6]



شكل (24) يوضح النسيج العمراني المتضام، [4]

- **السمات الاجتماعية:** لعب الجامع العتيق في غدامس دوراً مهماً وبارزاً في تعليم القرآن الكريم، وإقامة المناسبات الاجتماعية المختلفة بالإضافة إلى دوره الرئيسي في إقامة الشعائر الدينية والعبادات.
- **السمات السياحية:** بما أن غدامس تعتبر من المدن السياحية القديمة التي يزورها آلاف السواح المحليين والأجانب سنوياً، فإن الجامع العتيق يعتبر من أهم مقومات هذه المدينة وشواهد السياحة. لذلك كان يقصده السواح للصلاة فيه، أو أخذ الصور التذكارية له.
- **السمات التخطيطية [14]:** تخطيط الجامع العتيق من بيت للصلاة مستطيل الشكل يتكون من رواقين ومئذنتين مربعتين ومنبر متحرك.



شكل (27) يوضح الدور السياحي للجامع، [4]



شكل (26) يوضح الدور التعليمي والاجتماعي للجامع، [4]

ثالثاً: الخاتمة والنتائج والتوصيات

- يتضح لنا مما سبق ذكره في مثن البحث أن المساجد دورها ثقافي وتعليمي [15]. بالإضافة إلى دورها الأساسي وهو العبادة، لذلك فإن المسجد العتيق بدماس لعب دوراً بارزاً في غدامس باعتباره نقطة جذب تمثل المعمار المحلي، والسياحة الدينية في المدينة، وفي ختام هذه الدراسة توصل الباحث إلى النتائج التالية:
- يعتبر الجامع العتيق من أكبر مساجد المدينة وأقدمها، حيث يرجع تأسيسه إلى عام 44 هـ الموافق 664 م، إبان فترة الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان.
 - يعد المسجد العتيق من أهم وأبرز المعالم والشواهد التاريخية بمدينة غدامس القديمة.
 - يمتاز الجامع العتيق عن غيره من مباني المدينة بعدة سمات أكسبته أهمية كبيرة فعلى سبيل المثال لا الحصر السمات التاريخية والتراثية والبيئية وغيرها من السمات.
 - دور الجامع العتيق لم يكن مقتصرًا على العبادة فقط وإنما امتد ليشمل الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياحية.
 - تعد جوهرة الصحراء غدامس وجامعها العتيق من الواحات السياحية القديمة قدم التاريخ ولها طابع مميز سواء من الناحية العمرانية أو الاجتماعية.
 - يعد التصميم الهندسي والفريد لمدينة غدامس وجامعها العتيق آية من آيات الطراز المعماري الملائم للبيئة

الحارة.

- بما أن غدامس قديماً كانت تسمى بمدينة القوافل فإنها حديثاً صنفها منظمة اليونسكو عام 1986 م على أساس أنها محمية تاريخية تضم العديد من القلاع العثمانية والشواهد الأثرية كالمدينة القديمة والصور الخارجي وواحة النحيل وعين الفرس والجامع العتيق.

• التوصيات:

الحفاظ على الجامع العتيق باعتباره أحد الكنوز المعمارية والتاريخية بالمدينة القديمة. الاهتمام بترميم المسجد العتيق والحفاظ على المباني العتيقة لضمان استمرارية بقائها واستدامتها. العمل على توثيق المساجد العتيقة والتراث المعماري للجامع العتيق. زيادة الوعي الثقافي بأهمية التراث المحلي وإبراز الجوانب المعمارية للجامع العتيق. ضرورة الدعم المادي للمباني التاريخية والتراثية من قبل الجهات ذات العلاقة. الاستفادة من الدراسات والخبرات السابقة في هذا المجال. تحفيز وتشجيع المؤسسات الأكاديمية بإجراء المزيد من البحوث والمساهمة في المؤتمرات العلمية ذات العلاقة بالمباني التاريخية والتراثية.

• المراجع:

- طريح شرف، عبد العزيز، (1971). جغرافية ليبيا، الطبعة الثانية، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1971 م، [1] ص: 78.
- يوشع، بشير قاسم، (2001). مدينة غدامس عبر العصور، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، [2] دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، الطبعة الأولى، 2001، ص: 15، 96.
- جغرافية ليبيا، لجنة متخصصة بتكليف من مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية، ص: 53. [3]
- مركز عيون غدامس. [4]
- البوشي، علي مسعود، وآخرون، (1989). موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا الجزء الثاني، مصلحة الآثار، [5] منشورات الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1989 م، ص: 77-78، 82، 80.
- شبكة المعلومات الدولية، 2024. [6]
- عبد الرزاق عبد الشبلاوي، سلمى، مدينة غدامس النشأة والتطور العمراني (دراسة في جغرافية المدن)، قسم [7] الجغرافية التطبيقية، كلية التربية للعلوم الإنسانية.

- يوسف الفلاح، مبروكة، (2023). دراسة تحليلية للخصائص المشتركة بين مدينتي غدامس في ليبيا والقصر [8] العتيق بورقلة في الجزائر من الناحية التخطيطية والعمرائية وتحديد أوجه التشابه بينهما، قسم العمارة، كلية الفنون والعمارة، جامعة درنة، المؤتمر العلمي الدولي حول تراث غدامس، الدورة الثالثة، 2023، ص: 197، 199.
- يدر، ربيعة الطاهر، حمود، حسن محمد، (2023). التهوية والراحة الحرارية في عمارة غدامس القديمة، [9] المؤتمر العلمي الدولي حول تراث غدامس، الدورة الثالثة، غدامس، 2023، ص: 45، 54.
- جهاز تنمية وتطوير مدينة غدامس. [10]
- فريوان، وليد عبد السلام، (2019). المؤتمر الثاني للعلوم الهندسية والتقنية، تطوير الطوب الطيني بمدينة [11] غدامس بليبيا، نحو الاستدامة بالمدن، 29-31 أكتوبر، 2019، صبراتة، ليبيا، ص: 1.
- ذنون، أحمد عبد الواحد، (2015). السمات المحلية في العمارة الإسلامية، قسم الهندسة المعمارية، جامعة [12] الموصل، العراق، 13.05.2015، ص: 7.
- الخازمي، حمزة، عقيل، فوزي، (2019). الاستدامة في العمارة الصحراوية دراسة وتحليل المعالجات المعمارية [13] المستخدمة لتقليل الكسب الحراري في المناطق الصحراوية- دراسة حالة مدينة غدامس، المؤتمر الهندسي الثاني لنقابة المهن الهندسية بالزواوية 2019م، ص: 448.
- حسن أحمد عجلان، عامر، (2022). السمات المعمارية للمساجد بالمغربين الأدنى والأوسط في العصر [14] العثماني "دراسة مقارنة"، مجلة الإتحاد العام للأثريين العرب، المجلد 23، العدد 1، 2022، ص: 581.
- حلاوة حنان، زينب، (2021). المساجد العتيقة في مدينة تمبكتو خلال القرن 15 م (دراسة أثرية تاريخية)، [15] رسالة ماجستير، الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية إدرار، 2021-2022، ص: 49.

زاوية البيضاء السنوسية قديماً وحديثاً

أ.صدام حسين عبدالرازق

الملخص

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

مما لا شك فيه وجود الزوايا والأربطة في كل البقاع، والبلاد الإسلامية مغرباً ومشرقاً، وتحتل البلاد الليبية، موقعاً متوسطاً، بين البلاد العربية، والإسلامية قاطبة؛ انتشرت بها الزوايا في أوقات مبكرة، وعملت الزوايا على نشر الدين الإسلامي، والتعليم الفقهي بالإضافة إلى دورها الاجتماعي (الصلح، والأقضية) والمشاركة في الجهاد ضد الحملات الاستعمارية المتعددة على البلاد الليبية؛ وصولاً إلى الاستعمار الإيطالي، وبعد استقلال البلاد الليبية، وإنشاء المملكة الليبية المتحدة، عملت المملكة وحكومتها المتتبعه على تطوير الدور العلمي، لهذه الزوايا، وقفزت بها خطوات إلى الأمام مما أدى ذلك إلى ظهور المعاهد الدينية، وتطويرها وتوحيد إدارتها حيث كان لها نتاج علمي كبير جداً خلال تلك الحقبة، أدى إلى ظهور الجامعة الإسلامية (السيد محمد بن علي السنوسي) التي أدت دورها على أكمل وجه، بالإضافة إلى عدم إغفال دور الزاوية العلمي والاجتماعي؛ خلال فترات تطورت فيه الزوايا ونشأت منها المعاهد الدينية والجامعات، ونحن بصدد دراسة إحدى هذه الزوايا. الكلمات المفتاحية: أم الزوايا، الدور العلمي والاجتماعي، التطوير.

Summary

Praise be to God who guided us to this, and we would not have been guided had it not been for God's guidance, and the prayers and peace be upon our master Muhammad and his family and companions all, and after

Undoubtedly, there are nooks and crannies in all Islamic regions and countries, West and East, and the Libyan country occupies a middle position between all Arab and Islamic countries. The angles spread in early times, and the angles worked to spread the Islamic religion and jurisprudential education in addition to their social role (reconciliation, districts) and participation in jihad against multiple colonial campaigns on the Libyan country. Up to the Italian colonization, and after

the independence of the Libyan country, and the establishment of the United Kingdom of Libya, the Kingdom and its follow-up government worked to develop the scientific role of these corners and took steps forward, which led to the emergence of institutes Religious education, and its development and unification of its management, which had a very large scientific output during that era, led to the emergence of the Islamic University (Muhammad bin Ali Al-Senussi), which played its role to the fullest, in addition to not neglecting the role of the scientific and social angle; During periods when angles developed and religious institutes and universities emerged, we are in the process of studying one of these angles.

Keywords: mother of angles, scientific and social role, development.

المقدمة

عرفت البلاد الإسلامية منذ عصور متقدمة المساجد، وكان لها دور علمي واجتماعي ، وسياسي أيضا، والبلاد الليبية هي امتداد إسلامي خالص، لسلف الأمة الإسلامية-رضوان الله عليهم- قد تطورت المساجد، وألحقت بها الزوايا، وخصص المسجد للعبادة، والزوايا ملحقات للتعليم، والشورى، والأقضية . لقد وجدت بالبلاد الليبية منذ قرون زوايا تقوم بهذه الأدوار، وتعرضت بسبب ذلك إلى الهدم أحيانا والإغلاق أحيانا أخرى، على أيادي الغزاة والعابثين، وكان ذلك قبل العهد الملكي، وبعد استقلال البلاد، وقيام المملكة الليبية المتحدة، وإعادة تفعيل دور الزوايا، والعمل على تطويرها . يتناول هذا البحث الدور العلمي، والاجتماعي، والتطوير الطارئ على الزاوية السنوسية، والتي تعرف باسم (أم الزوايا)، وكانت في نظر المؤسسين مكاناً للقسم العالي لولا تضيق السلطات التركية عليهم واختيارهم للجغبوب مكاناً للمعهد العالي ومقراً للحركة، وبعد استقلال البلاد أنشئ بها معهد الإمام محمد بن علي السنوسي الديني الذي ضم تحته كل المعاهد الدينية في البلاد، وتطورت إلى جامعة كبرى ضمت تحته كل الزوايا، والمعاهد، والكليات التابعة لها؛ ونظراً لأهمية الزاوية قد وضعت صورة الزاوية شعار على شهادة المعهد لتكون شعاراً ، وكان للزوايا عامة وهذه الزاوية خاصة دور في التقدم العلمي .

حدود البحث

يتكلم البحث عن أم الزوايا السنوسية (زوايا البيضاء) منذ تأسيسها، على أيادي المؤسسين وحضورها منذ نشأتها إلى الآن وما كان لها من أثر في تكوين المعهد الديني المعروف سابقاً وصولاً إلى جامعة إسلامية كبرى والتطور العمراني الطارئ عليها، ودورها الحالي في تحفيظ القرآن الكريم وتدرّيس وعلومه والفقه المالكي

إشكالية وأهداف البحث:

تكمن إشكالية البحث وأهدافه في إمطة اللثام حول زوايا البيضاء السنوسية، وهل كان لها أدوار فاعلة في مناحي الحياة أو لا؟

أسباب اختيار الموضوع:

أولاً- قلة الدراسات حول الزوايا السنوسية عموماً، وزاوية البيضاء خصوصاً.
ثانياً- إعطاء تصور حول فترة مهمة من تاريخ التعليم الشرعي .
ثالثاً: بيان ما كان يدرس من المناهج، والانفتاح على جامعات إسلامية كبرى، ودور الزاوية والمعهد الديني في ترسيخ المذهب المالكي.

المناهج المتبعة:

أولاً- المنهج التاريخي.
ثانياً- المنهج الاستقرائي.

الدراسات السابقة:

لم يصل الباحث إلى دراسة شمولية، ومخصصة حول زاوية البيضاء وتطويرها، وما كتب حولها من أبحاث تركز حول الجامعة، أو مذكرات تتسم بسرد الذكريات الخاصة.

المبحث التمهيدي

أولاً: نشأة الزاوية

أنشئت زاوية البيضاء في قلب الجبل الأخضر في عام (1258هـ/1842م) على يد الإمام محمد بن

علي السنوسي(168)، ثم سافر من برقة إلى الحجاز في أواخر عام (1258هـ/1842م) اختار البيضاء دون البلاد والمدن الليبية لنشر دعوته الإصلاحية، وبقي إلى أواخر عام (1262هـ/1846م) متنقلاً بين برقة وطرابلس، فأسس فيها الزوايا لتحفيظ القرآن الكريم، وتلقي مبادئ العلوم الدينية والعربية، وبث دعوته الإصلاحية بين سكان البادية(169).

كما قديم مع الإمام ابن السنوسي أتباعه من داخل وخارج البلاد الليبية وقام أهالي الجبل الأخضر وخصوصاً زعماء ومشايخ القبائل منهم:-

أبو بكر حدوث(170)، وابن عمه وعضده عمر جلغاف(171) (داهية البادية) بدور كبير في تأسيس الزاوية البيضاء، عند قدوم ابن السنوسي لمدينة البيضاء نزل بمغارة رومانية بمكان يدعى دنقرة حيث الزاوية الآن بقرب ضريح الصحابي الجليل رويغ بن ثابت الأنصاري، وبعد استقراره جاء إليه شيخ مشايخ قبيلة البراعصة أبو بكر حدوث، وابن عمه المقرب جداً له الشيخ عمر جلغاف فقال لهم ابن السنوسي ((أني أريد بناية مسجد وزاوية تكون أم الزوايا ببرقة والجبل الأخضر ونريد أن يخصص لها هذا المحل، وكانت البقعة بحوزة قبيلة البراعصة فخذ طامية عائلة مقرب التي ينتمي إليها الشيخان وبعد مشاورة الشيخان تقرر إعطاء الأرض ففرح ابن السنوسي بذلك(5)))

أمر ابن السنوسي الاخوان بجمع الأحجار وشق الحوائط (السيسان) ووضع حجر الأساس بيده، وقد سخر له الشيخان كل القبائل القريبة وقسموا أيام الأسبوع بينها تقوم كل قبيلة بعملها المخصص لها من جمع

168. محمد بن علي السنوسي الخطابي الإدريسي الحسيني، الشهير الذكر، الرفيع القدر اتباعه يعدون بعشرات الملايين منتشرون باليمن، والحجاز والشام والسودان، له مؤلفات منها (شفاء الصدر في آراء المسائل العشر، إيقاظ الوسنان في العمل بالسنة والقرآن، المنهل الرائق في أصول العلوم والطرائق، الكواكب الدرية في أوائل الكتب الأثرية(ت1276هـ/1859م)، ودفن بالجغبوب، ونش قبره عام (1404هـ/1984م)، (شجرة النور الزكية في طبقات الملكية، محمد مخلوف، 571/1، ط1، 1424هـ، محمد علي بيضون؛ الجواهر الإكليلية في أعيان ليبيا من الملكية، ناصر الدين الشريف، (277-283)، ط1، 1420هـ، دار البيارق.

169. الجواهر الإكليلية، المرجع السابق، 280.

170. أبو بكر حدوث مقرب سليمان جليل موسى يونس مسعود برعاص بن محمود بن عبد السلام بن مشيش(ت1870،1264م)، (سكان برقة، هنريكودي أوغسطيني، دار برينتشي، ط2، 2019م، 571/1)

171. عمر جلغاف مقرب سليمان جليل موسى يونس مسعود برعاص بن محمود بن عبد السلام بن مشيش، سكان برقة، المرجع

السابق، 289/1.

الاحجار وتأتي بالماء والذبائح والطعام حتى تم بناء المسجد.

قامت زاوية البيضاء بوظائف عدة منها ما يأتي:-

مسجد للصلاة، ومدرسة للتعليم، ومكان لإقامة شيخ الزاوية وعائلته، بيت ضيافة للمسافرين والقوافل التجارية.

وتسند إدارة الزاوية إلى أحد الإخوان السنوسيين، يعرف بشيخ الزاوية ويساعده وكيل مكلف بالأعمال الإدارية والاقتصادية(172).

ولزاوية البيضاء أهمية كبيرة فهي تعتبر ولا شك أم الزوايا بعد زاوية أبي قبيس بمكة، وهي المكان الذي انبثق منه نور الطريقة المحمدية والدعوة السنوسية(173)، وازدهار الزاوية ازدهر القطر كله وصارت مأوى الحجاج ومصدر الإصلاح ومهبط وينبوع الهدى، ومنها انبثقت أنوار العلم وانفجرت المعارف وخفقت ألوية العدل ودُرست العلوم تحت أغصان الشجر وبين عرصات المسجد وداخل الكهوف(174).

وبعد سقوط المدينة(البيضاء) في أيادي الغزاة الإيطاليين عام(1332هـ / 1913م)(175) عاثوا في الزاوية فساداً وربطوا خيولهم داخل المسجد وقد قصد الغزاة زرع الخوف وإهانة المقدسات وإساءة إلى رمزية الزاوية عند قبيلة البراعة، أهالي الجبل الأخضر ، ويعلل إبقاء الغزاة على المبنى دون هدمه إسوةً بباقي الزوايا السنوسية باستغلالهم للمبنى كمخزن للحبوب، وقد قام الغزاة الإيطاليون بهدم الكثير من الزوايا السنوسية كزاوية مسوس(176) وزاوية النبان(177).

ثانياً نشاطها العلمي والاجتماعي:

تمثل النشاط العلمي في تحفيظ القرآن الكريم وتدرسي علومه، وتدرسي الفقه المالكي، بالإضافة إلى المسجد الذي تقام فيه الصلوات الخمس، فغلب على الزوايا السنوسية أنها تتكون في العادة من مسجد للصلوات، ومكان للقاء الإخوان السنوسيين والسكان.

¹⁷². الجواهر الإكليلية، المرجع السابق، 283.

¹⁷³. السنوسية دين ودولة، محمد فؤاد شكري، مركز الدراسات الليبية-أكسفورد، ط1، 1426هـ، 57.

¹⁷⁴. برقة العربية، المرجع السابق، 160.

¹⁷⁵. سكان برقة، المرجع السابق، 298/1.

¹⁷⁶. تبعد عن مدينة بنغازي جنوباً بحوالي 160 كيلومتر، ويوجد فيديو يوضح الهدم على الانترنت.

¹⁷⁷. زيارة ميدانية لمواقع الزاوية الواقعة 90 كيلو متر جنوب البيضاء.

وتسند حسب النظام المتبع في الزوايا السنوسية إمامة المسجد لمن يعلم الأطفال القرآن الكريم، والشيخ الرئيس هو من يقوم بتعيين المعلم، كما يقوم بإمامة صلاة الجمعة، ويعين أيضًا كل القائمين على الزاوية، ويجلس لإعطاء الدروس، والوعظ، والإرشاد(178).

وكان التعليم يعتمد على التعليم الديني أساساً، والقرآن الكريم يُقرأ برواية ورش عن نافع من بعد صلاة الفجر إلى صلاة العصر، وبعد صلاة العصر يبدأ التعليم الفقهي المتمثل في الفقه المالكي، وتدرس (رسالة ابن زيد القيرواني)(179) ويردد متنها بشكل جماعي(180)، وبعد إتمام التعليم في الزاوية البيضاء يرحل الطلاب إلى المعهد العالي في الجغبوب، حيث يتلقى الطالب تعليمًا عاليًا يتمثل في دروس اللغة العربية والشريعة، وأصول الدين، والرياضيات، وتدريبات عسكرية(181)، وقد تم إنشاء معهد جغبوب في حياة الإمام ابن السنوسي عام(1273هـ/1856م)، أما الدور الاجتماعي فقد تمثل في حل المنازعات، والطريقة المتبعة في ذلك تكون بأن يتخذ رئيس الزاوية مجلسًا من الشيوخ، والأعيان فيدرسون القضية من كل وجوهها فما كان يفض بطريقة شرعية يصدر رئيس الزاوية الذي يتولى أيضًا منصب القاضي الحكم الشرعي لها، وما كان يفض بطريقة العادات، والتقاليد فيحسم بذلك أيضًا، والمشاكل العويصة بين القبائل يتعاون رئيس الزاوية مع مشايخ القبائل ورؤساء الزوايا المتاخمة لزاويته(182).

ثالثًا مشايخها وأعلامها:

تولى مشيخة زاوية البيضاء الشيخ عمران بن بركة الفيتوري، الذي اتصل بالإمام ابن السنوسي في عام(1257هـ/1841م)(183).

وكانت فترة رئاسته في حياة الإمام ابن السنوسي، وتولى بعده الشيخ محمد الغماري الذي التحق بالإمام محمد بن علي السنوسي هو وإخوته الأربعة، ولم يتصلوا بالإمام دفعة واحدة؛ فمنهم من اتصل به في مكة

178. برقة العربية، المرجع السابق، 196.

179. مختصر في الفقه المالكي يدرس للمبتدئين، مطبوع ومتداول وعليه شروح كثيرة.

180. رواية شفوية، الشيخ العلمي.

181. الجواهر الإكليلية، المرجع السابق، 281.

182. برقة العربية، المرجع السابق، 198.

183. عمران بن بركة الزليطني الفيتوري أبو موسى، من قبيلة الفواتير، اجتمع بالإمام ابن السنوسي حينما مر بطرابلس في عام(1238هـ/1238م) (ت1310هـ/1892م)، (الجواهر الإكليلية، المرجع السابق، 307).

ومنهم من اتصل به في البيضاء(184).

بعد وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم(ت1315هـ/1896م) تولى بعده ابنه الشيخ العلمي محمد بن إبراهيم الغماري(ت1351هـ/1933م)وبعده تولاها ابنه الشيخ احميدة العلمي محمد بن إبراهيم في عام (1383هـ/1964م)، ثم تولى بعده مشيخة الزاوية الشيخ الدكتور العلمي احميدة العلمي من عام(1383هـ/1964م)(185) -أطال الله عمره- .

ومن ابرز أعلام الزاوية العلامة أبو سيف بن مقرب(186)، تلقى فيها السيد محمد المهدي ابن محمد بن علي السنوسي⁽¹⁸⁷⁾ تربيته الأولية ومبادئ العلم⁽¹⁸⁸⁾.



أرشيف إمام المسجد (الشيخ الغالي المصراتي)

¹⁸⁴. برقة العربية، المرجع السابق، 145.

¹⁸⁵. رواية شفوية، الشيخ العلمي.

¹⁸⁶ أبي سيف مقرب حدوث بن مقرب سليمان جليل بن موسى بن يونس بن عبد بن مسعود بن برعاص بن محمود بن عبد السلام بن مشيش، ابن أخ الشيخ أبوبكر حدوث، (الجواهر الإكليلية، المرجع السابق، 312؛ سكان برقة، المرجع السابق، 1/289)، من مؤلفاته رسالة في البسمة، وديوان شعر كلاهما مطبوع(ت1314هـ/1896م) دفن بزواية الكفرة(الجوف)، برقة العربية، المرجع السابق، 164.

¹⁸⁷ محمد المهدي بن محمد علي السنوسي، الابن الأكبر لابن السنوسي، ولد بماسة بالجبل الأخضر في عام (1260هـ/1844م)، (ت 1320هـ/1902م) من مؤلفاته المولد الشريف النبوي، (السنوسية دين ودولة، المرجع السابق، 99-101).

¹⁸⁸ المرجع السابق، 99-101.



أرشيف إمام المسجد (الشيخ الغالي المصري)
توضح المبني توضح الزاوية بعد إفتتاحة قبل الإيطاليين

المبحث الأول تكوين المعهد ونواته

أولاً: الزاوية نواة المعهد

في عهد حكومة الاحتلال الإيطالي عثوا في الزاوية فساداً بعد احتلالهم لها في عام (1331هـ/1913م) (189)، -قد سبق التعرّيج على ذلك- وبعد افتتاح الزاوية عادت إلى نشاطها المعتاد في عهد الحكومة الإيطالية (الاحتلال)، وبعد جلاء الإيطاليين عام (1361هـ/1943م) استمرت الزاوية في نشاطها العلمي، والاجتماعي على الوجه المبين سابقاً (190).

وبعد أن انتزعت البلاد استقلالها اتجه عاهل المملكة الليبية إدرّيس الأول إلى رعاية آثار جده الإمام ابن السنوسي -رحمه الله- فجعل من الزاوية نواة لجامعة إسلامية كبرى، وفي يوم الأحد الثاني عشر من ربيع الأول في

¹⁸⁹. سكان برقة، المرجع السابق، 298/1،

¹⁹⁰. رواية شفوية، الشيخ العلمي.

عام 1372هـ الموافق 30 نوفمبر 1952م قام الملك إدريس -رحمه الله- بافتتاح المعهد، وأطلق عليه اسم الإمام محمد بن علي السنوسي تخليداً لذكوره (191).

وقد تكونت أول دفعة من ثلاثين طالباً، واستغل الملك -رحمه الله- قدوم علماء ومشايخ من جامعة الأزهر، تقوم إدارتهم بإرسالهم للبلدان المجاورة خاصة، والإسلامية عامة بهدف الوعظ والإرشاد فقام الملك -رحمه الله- (192) بتعيينهم معلمين بالمعهد، ومنهم الشيخ أحمد مسلم -رحمه الله-، ولا يظن أحد خلو البلاد الليبية من العلماء؛ لأن الاستعمار قد ارتكب جرائم قتل وتشريد للعلماء كمنذجة علماء زاوية الكفرة عند احتلالها (193). كانت إدارة المعهد تابعةً لنظارة المعارف منذ افتتاحها وحتى عام (1375هـ / 1955م)، حيث صدر مرسوم ملكي بمقتضاه أصبح المعهد مستقلاً في إدارته وميزانيته وتحت إشراف مجلسه الأعلى برئاسة شيخ المعهد (194).

وقد استقبل المعهد أول دفعة في عام (1372هـ/1952م) بعدد ثلاثين طالباً، وكان الطلاب من المنطقة الشرقية منهم الشيخ نصيب رسلان، إبراهيم الشريف -رحمهما الله- والطالب الوحيد من المنطقة الغربية الشيخ حامد بادي -رحمه الله-؛ كذلك من طلاب المنطقة الشرقية الذي وفد إلى مدينة البيضاء من جالو عام (1372هـ/1952م) من أجل الدراسة بالمعهد الشيخ محمد يوسف الهجين -حفظه الله- (195). ونظراً لظروف البلاد الاقتصادية في تلك الحقبة، وصعوبة التنقل بين ربوعها؛ إلا أن هذا العدد من الطلاب يعد خطوة إلى الأمام في مجال التعليم عامة، والتعليم الشرعي خاصة.

وقد كانت إدارة المعهد تتسم بطابع البساطة؛ نظراً لضيق المكان، وقلة عدد الطلاب، وتواضع النفقات فلم تكن الإدارة أكثر من شيخ المعهد، وكاتب يحرر الرسائل ومشرف على شؤون الطلبة وطباخ ومباشران (196)، بالإضافة إلى متعهد التموين، ويدعى عبدالله شرمذ -رحمه الله- وهو أحد الوافدين إلى مدينة

¹⁹¹. جامعة السيد محمد بن علي السنوسي ماضيها وحاضرها، مصطفى التريكي، مكتبة الكون، ومجمع ليبيا للدراسات، ط1، 1442هـ.

¹⁹². رواية شفهية، مقابلة مع الشيخ محمد يوسف الهجين بمنزله بتاريخ 2022/12/5م، 11:00ص، وهو من مواليد 1932م وأحد طلاب الدفعة الأولى بالمعهد عام 1952م، ولم يكمل دراسته به.

¹⁹³. الطريق إلى مكة، ليو بولد، الجمل، ط1، 2010م، 500.

194. جامعة السيد، المرجع السابق، 60.

195. رواية شفهية، الشيخ محمد الهجين.

¹⁹⁶. نشأة مدينة البيضاء والحركة الثقافية فيها، إدريس فضيل، مطبعة الأزهر، ط1، 2012م، 27.

البيضاء من مدينة
مصراته(197).

وقد قام الملك إدريس -رحمه الله- بمزيد من الرعاية، فجدد المعهد الديني وأشاده على النظم الهندسية الحديثة، وألحق به قسمًا داخليًا ودورًا للمعلمين، واستأنف المعهد نشاطه في المرحلة الأولى - كما سبق - بثلاثين طالبًا، وشهد إقبالًا للطلبة حتى أصبح عددهم في عام (1376هـ/1956م) 285 طالبًا(198)، وبعد عامين من افتتاح المعهد في عام (1374هـ/1954م) وفد عليه الكثير من الطلاب من المنطقة الغربية والجنوبية(199). وفي عام (1381هـ/1961م) تخرج منه أول فوج وتحصلوا على شهادة إتمام المرحلة الثانوية، والتحقوا بكليات جامعة الإمام ابن السنوسي.

ونظرًا لانضمام المعهد الأسمرى(200) إلى جامعة ابن السنوسي ومقره بزيلتن، وكذلك معهد أحمد باشا الديني بطرابلس في عام (1376هـ/1959م)، وافتتاح معهد غريان الديني في عام (1380هـ/1961م) ومعهد سبها الديني في عام (1371هـ/1960م)، وافتتاح معهد درنة الديني عام (1381هـ/1961م) ومعهد الزاوية في عام (1381هـ/1961م)؛ فقد انخفض عدد الطلاب بالمعهد الديني بزاوية البيضاء(201)، ولا يمكن

فصل الزاوية عن المعهد في أي دور تقوم به الزاوية، وذلك

للتدخل والمكاني والدور المشترك، وتوضح صور الموقع مدى هذا التداخل؛ بالإضافة إلى دور الزاوية العلمي والاجتماعي الذي لم يطرأ عليه أي تغيير في هذه الحقبة.

عدسة الباحث عند التأسيس والقصور الدراسيةأرشفيف

إمام المسجد يظهر في الصورة المسجد والإدارة قبل تطويرها



197. رواية شفوية ، الشيخ محمد الهجين.

198. جامعة السيد، المرجع السابق، 60.

199. رواية شفوية، الشيخ محمد الهجين.

200. أسسها الشيخ عبد السلام الأسمر خلال القرن التاسع الهجري، وقد تطور تدريجيًا إلى أن تم انضمامها إلى جامعة ابن السنوسي الإسلامية، النشاط العقدي بالمغرب الإسلامي خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجري، جمعة مصطفى، المدار الإسلامي، ط1، 2002م، 42؛ وثيقة رقم (1) بالملحق.

201. جامعة السيد، المرجع السابق، 70.



صورة من سطح المسجد
ويظهر فيه مكان إقامة الطلاب

وظل المعهد الديني والزاوية يؤديان رسالتهما العلمية والاجتماعية، ليس على مستوى مدينة البيضاء فقط بل على مستوى البلاد الليبية بأسرها، إلى أن حصل الانقلاب في سبتمبر عام (1389هـ/1969م) وتم إلغاء المعهد الديني والعبث بكل محتوياته، وتم إغلاقه رسمياً في عام (1394هـ/1974م) (202)، واستبدله بمعهد الإمام مالك-رحمه الله- وتم إلغاؤه لاحقاً، وتم تحويله إلى مدرسة ابتدائية موجودة إلى الآن بمدينة البيضاء تحت اسم مدرسة خالد بن الوليد الابتدائية (203).

ثانياً - المنهاج والنظام الدراسي:

كما سبق التعرّيج حول الزاوية، وما كان يدرس فيها (القرآن الكريم، ورسالة ابن زيد القيرواني) (204) ومن المعلوم أن القرآن الكريم، ومختصرات الفقه هي أوليات ما يدرس للطلاب، ونظراً لابتعاد مؤسس الحركة السنوسية عن أنظار الحكومة التركية، واختيار الجعوب فقط رحل ومعه المشايخ والعلماء وجعلوا من الجعوب مركزاً للحركة ومنازة علمية يوفد إليها الطلاب من الزوايا الأخرى، وتدرس فيها العلوم بشكل أوسع وأعمق (205). أما المعهد الملاصق للزاوية البيضاء فكان نظام الدراسة تسع سنوات (ثلاثة ابتدائية، وثلاثة متوسطة، وثلاثة ثانوية)، وأتم كل هذه المراحل من الدفعة الأولى الشيخ محمد نصيب-رحمه الله- وانتقل إلى كلية الشريعة، بجامعة الإمام محمد بن علي السنوسي (206).

202. رواية شفوية، الشيخ العلمي.

203. زيارة ميدانية للموقع بمدينة البيضاء.

204. سبق التعريف به.

205. برقة العربية، المرجع السابق، ص 196، بتصرف.

206. رواية شفوية، الشيخ العلمي.

وكانت المواد باقية مختارة بعناية، فالمواد الشرعية منها: (الفقه، والأصول، والتوحيد، والتفسير، والحديث، والتجويد، والسيرة، والتاريخ الإسلامي، وتاريخ أوروبا) أما اللغة العربية (النحو، والصرف، وعلم العروض، والبلاغة)، بالإضافة إلى الرياضيات، والهندسة، واللغة الإنجليزية، وهذه المواد الأخيرة تدرس في المرحلة الابتدائية(207).

ووجود تغيير واضح في المناهج في البلاد الليبية ابتداء من تأسيس معهد محمد بن علي السنوسي من حيث زيادة بعض العلوم المهمة، ومن حيث تخصيص كتب معدة خصيصاً للتدريس في بعض العلوم تناسب قدرات الطلاب(208)، وكانت تدرس في المرحلة الابتدائية(رسالة ابن زيد القيرواني)(209) في الفقه المالكي بالإضافة إلى الرياضيات واللغة الإنجليزية والمطالعة والإنشاء(210)، وأما اللغة العربية فيدرس في هذه المرحلة(كتاب قطر الندى وأبل الصدى)(211).

أما في المرحلة المتوسطة فتدرس بشكل أوسع الرياضيات، والهندسة، واللغة الإنجليزية، واللغة العربية يدرس كتاب (التحفة السنوية بشرح المقدمة الأخرومية)(212)، أما الفقه المالكي فيدرس (حاشية الصفتي)(213) وهذا محمل المناهج في هذه المرحلة(214).

وبعد اجتياز المرحلة المتوسطة ينتقل الطالب إلى المرحلة الثانوية، ويدرس الفقه المالكي، والتوحيد، والنحو، والصرف، والبلاغة، والإنشاء، والأدب، والنصوص، والمطالعة، والمنطق، والكيمياء، التاريخ، المجتمع الليبي، التربية، الرياضة، اللغة الإنجليزية(215).

207. نشأة مدينة البيضاء، المرجع السابق، 70.

208. المناهج الدراسية في بعض المدارس الدينية في ليبيا في القرن العشرين، رحمة حسين، مجلة أصول الدين، نسخة الإلكترونية، 503.

209. سبق الحديث عنه، 3.

210. نشأة مدينة البيضاء، المرجع السابق، 70.

211. درس المتن وشرحه، وهو كتاب لابن هشام الأنصاري، مطبوع ومتداول.

212. تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبوع ومتداول ودرس في المعاهد الأزهرية قديماً، ويبدو لنا أنه يدرس في المرحلة الابتدائية، وقطر الندى يدرس في المرحلة المتوسطة لسهولة الأول.

213. تأليف: يوسف بن سعيد الصفتي، ويدرس أيضاً بالمعاهد الدينية الأزهرية.

214. رواية شفوية، الشيخ محمد الهجين.

215. جامعة السيد، المرجع السابق، 57.

والكتب المعتمدة في الفقه المالكي والعقيدة هي (هداية المرید لعقيدة أهل التوحيد) (216)، (الشرح الصغير) (217)، وبعد هذه المرحلة، وهي الأخيرة ثم ينتقل الطالب إلى الجامعة (218).

ثالثاً: مشيخة المعهد ودعم الدولة

سار المعهد متخذاً سبيله نحو التطور بخطى واسعة تتسم بالجرأة، والتقدم؛ حيث أنه تم افتتاح عدد كبير من المعاهد في أنحاء المملكة الليبية بجانب المدارس القرآنية، وقد بلغ عدد الطلاب 4500 طالب في المدارس القرآنية (219)، ومن دعم الدولة صدر مرسوم ملكي بمقتضاه أصبح المعهد مستقلاً في إدارته وميزانيته، وتحت إشراف مجلسه الأعلى برئاسة شيخ المعهد، وبذلك حقق المعهد تقدماً ملحوظاً في نشاطه التعليمي في مراحل المختلفة، وارتقى به إلى مصاف المعاهد الكبرى (الدينية) ذات الصبغة الجامعية (220).

أما مشيخة المعهد كما سبق استغل الملك الراحل إدريس السنوسي -رحمه الله- قدوم مشايخ وعلماء الأزهر لأجل الوعظ، والإرشاد، فقام بتوظيفهم معلمين، ومشايخ للمعهد، من هؤلاء الشيخ أحمد مسلم (221) -رحمه الله- وهو أول شيخ ورئيس للمعهد لفترة رئاسته من عام (1371هـ/1952م)، وكان يدرس مادة المطالعة، والإنشاء، وتولى بعده الشيخ منصور الزنتاني (222) الأزهري ولكنه لم يلبث إلا قليلاً (223)، ثم تولى الإدارة والمشيخة الشيخ محمد أحمد الزنتاني إلى في عام (1380هـ/1960م) (224)، وتولى بعده الشيخ سعد

216. تأليف: محمد عليش، مطبوع في الجامعة الإسلامية- البيضاء، (1388هـ/1968م).

217. الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أبي البركات أحمد الدردير، وبهامشه حاشية الشيخ (أحمد الصاوي)، مطبوع ومتداول إلى الآن.

218. رواية شفهية، الشيخ محمد يوسف الهجين.

219. جامعة السيد، المرجع السابق، 50.

220. جامعة السيد، السابق، 50.

221. امتد به العمر إلى بداية التسعينات من القرن الماضي وكان يرأس لجنة الفتوى بالأزهر حتى آخر عمره، (نشأة مدينة البيضاء، المرجع السابق، 27)

222. لم نقف له على ترجمة.

223. نشأة مدينة البيضاء، المرجع السابق، 27.

224. رواية شفهية، الشيخ العلمي احمدية، ولم نقف على ترجمة للشيخ محمد إلا ما ذكره لنا الشيخ العلمي: "أنه من الأزهريين القدامى وكان رفيق الملك الراحل إدريس السنوسي -رحمه الله- وكان يدرس الفقه المالكي

مع الملك الراحل في الديار المصرية، واعتذر عن المشيخة والإدارة لتقدمه في العمر"

بوفارس(225) وبقي فترة قصيرة شيخًا للمعهد(226).

وتولى بعده الشيخ منصور المحجوب(227)، بأمر ملكي من الملك الراحل إدريس السنوسي(228)-رحمه الله-، وكان أكثر المشايخ تأثيرًا في الإدارة وأكثرهم نفوذًا، ثم خلفه الشيخ إبراهيم العربي الغماري، وقد كان رجلًا عاقلًا ومنتقمًا وإداريًا متميزًا(229)، وتولى بعده مشيخة المعهد الشيخ عمر الهمامي(230)، بالإضافة إلى منصب وكيل شيخ المعهد الذي يشغله الشيخ حسين



الحلافي(231) وذلك من عام (1375هـ/1954م) إلى

(1379هـ/1960م) ثم رقي إلى منصب شيخ القسم العالي

في عام (1381هـ/1962م). ومن دعم الدولة للمعهد نظام

الإعاشة الذي يتكون من ثلاث وجبات، بالإضافة إلى

الرحلات الترفيهية، والملابس حسب فصول السنة(232) والزي

الخاص بالمعهد ذو الطابع الأزهري، ويبدو لنا أن الزي الأزهري

225. لم نقف له على ترجمة.

226. نشأة مدينة البيضاء، المرجع السابق، 28.

227. منصور احميدة مصطفى المحجوب، عالم دين ليبي، مؤسس الجامعة السنوسية، ولد في عام(1334هـ/1923م)، قوئل، ar.m.wikipedia.

228. رواية شفوية، الشيخ العلمي احميدة.

229. نشأة مدينة البيضاء، المرجع السابق، 29.

230. عمر مهذب الهمامي، حاصل على إجازة تدريس خاصة في اللغة العربية، ولد في عام (1336 هـ / 1919م)، الفيس بوك، الرعيل الأول بمدينة البيضاء.

231. حسين محمد حسين أحمد آل شاوي الحلافي، جده من أسس زاوية الحنية، ولد في عام

(1322هـ/1905م) ودرس بالأزهري عام (1353هـ/1934م) والتحق بجيش التحرير السنوسي عام

(1358هـ/1940م) وعاد برفقة قوات التحرير إلى أرض الوطن(ت 1394هـ/1974م) بمدينة البيضاء ودفن

بها، هذه الترجمة نقلًا عن ديوان حسين الحلافي، تحقيق: يوسف فنوش؛ شعيب الهمامي، مجلس الإبداعي

الثقافي، ط1، 2004م، (لكن في ترجمته بعض التحفظ والأخطاء وهذا طابع عام لكل المنشورات التي تتكلم

عن كل ما له علاقة بالحركة السنوسية أثناء فترة النظام السابق).

232. رواية شفوية، الشيخ محمد الهجين.

قد جاء متأخراً عن افتتاح المعهد بعد سنوات عدة (233)، بالإضافة إلى الزبي اللببي الحاضر بقوة.



أرشيف (أديس فضيل) وتظهر خلف الطلاب
الإدارة نقلاً عن كتاب جامعة السيد، المرجع
السابق، الملاحق

رابعاً - دوره في ترسيخ الوحدة الوطنية:

كما سبق يتضح لنا دور الزاوية السنوسية

(البضاء) في ترسيخ الوحدة الوطنية، حيث أن أول من تولى مشيخة الزاوية الشيخ عمران بن بركة الفيتوري الزيتي، ومن قام بمفاوضة حكومة الاحتلال الإيطالي هو أحد أبناء الزاوية، يدعى محمد الزاقر الوداني وكذلك ممن شهد بناء الزاوية الشيخ مصطفى الدردني المصراقي (234) أما بالنسبة للمعهد فكان الشيخ منصور الزنتاني، والشيخ محمد أحمد الزنتاني والشيخ منصور المحجوب المصراقي، بالإضافة إلى الطلاب الذين كانوا باقة من كل المدن الليبية (235).

المبحث الثاني

المعهد والجامعة

أولاً - تطوير المعهد:

تطور المعهد تطوراً ملحوظاً حيث انبثقت لجان عدة منها ما يأتي:

- 1- اللجنة الثقافية: تنظم المحاضرات والندوات والمناظرات بين الطلاب.
- 2- اللجنة الفنية: تقوم بتنسيق التمثيليات وإخراجها.
- 3- اللجنة الاجتماعية: تقوم بتنظيم الرحلات إلى الأماكن الأثرية والزيارات التعريفية.

233. استنتاج من خلال الصور التي عثرنا عليها.

234. برقة العربية، المرجع السابق، 48.

235. ينظر ما تقدم من البحث، والوثيقة رقم (2) بالملاحق.

4- اللجنة الرياضية.

كما ينظم المعهد احتفالات بالمناسبات الدينية والأعياد.

إلى جانب الزيادة في عدد الفصول الدراسية والمساحة، الإجمالية للمعهد؛ ولما أرادت الحكومة تطوير المعهد استخدموا مجموعة من العمال بذلوا، جهودًا مضنية لهدم القلعة، والأبراج القديمة المجاورة للمعهد (يبدو أنها إيطالية) وسوروا المكان وبنوا عنابر كسكن للطلاب(236).

واستمرارًا للمهمة الأصلية التي أنشئت من أجلها الزوايا السنوسية، وهي تحفيظ القرآن الكريم ومعرفة علومه، اتجهت إدارة المعاهد الدينية إلى تأسيس معهد القراءات ليحمي ثغرة إسلامية مهمة، واختيار موقعه بجوار أم الزوايا (الزاوية البيضاء)(237) في عام (1379هـ/1959م).

بالإضافة إلى معهد البعوث الذي تم افتتاحه في تاريخ مقارب لافتتاح معهد القراءات(238)، وكان نظام الدراسة فيه على مرحلتين، المرحلة الأولى: - مدتها ثلاث سنوات، يمنح بعدها الطلاب الشهادة التوجيهية لمعهد البعوث، المرحلة الثانية: مدتها ثلاث سنوات، يمنح بعدها الطلاب الشهادة العالية لمعهد البعوث، ويشمل الأقسام الآتية:

1. شعبة الوعظ والإرشاد.

2. شعبة القضاء.

3. شعبة التدريس(239).

ثانيًا - المعهد نواة للجامعة:

في عام (1381هـ/1961م) صدر مرسوم ملكي تضمن إعادة تنظيم المعاهد الدينية تحت لواء جامعة إسلامية يكون نواتها معهد السيد محمد بن علي السنوسي الديني، وقدم المعاهد الفرعية والمدارس القرآنية، والأقسام التابعة لهذا المعهد إلى الجامعة الجديدة واعتبار موظفوها منقولون إلى الجامعة بحالتهم؛ وتكون لهم

236. نشأة مدينة البيضاء، المرجع السابق، 69.

237. جامعة السيد، المرجع السابق، 87.

238. رواية شفوية، الشيخ العلمي.

239. جامعة السيد، المرجع السابق، 76.

شخصية اعتبارية مستقلة ومقرها مدينة البيضاء(240).

إن صاحب فكرة إنشاء الجامعة هو الشيخ منصور المحجوب(241)-رحمه الله-، أما الجامعة فهي تتكون من ثلاث: كليات كلية الشريعة، وعميدها محمد اجون الزليتي، وكلية أصول الدين، وعميدها مصطفى التريكي- رحمه الله-، وكلية اللغة العربية وعميدها إبراهيم ارفيدة المصراقي-رحمه الله-(242).

ثالثاً- شخصيات محلية ودولية تزور المعهد:

في الصور الآتية يظهر الملك الراحل إدريس السنوسي، ورئيس وزرائه محمود المنتصر، والسيد حسين يوسف مازق -رحمهم الله - في عام 1952م، والشيخ أحمد مسلم-رحمه الله- بالزي الأزهري.



نقلاً عن أستاذ (فرج عبدالهادي)

و للملك -رحمه الله - صورة مشهورة مع نفس الدفعة بعده حصولهم على الماجستير(1387هـ/ 1968م).

كما زار المعهد الشيخ الطاهر بن عاشور مفتي الجمهورية التونسية الأسبق، والمؤرخ التونسي عثمان كعاك.

240. المرجع نفسه، 37.

241. سبق العريف به.

242. رواية شفوية، الشيخ العلمي.



أرشيف الدكتور (إدريس فضيل) ويظهر فيها المفتي مع مشائخ المعهد
كما زار المعهد الشيخ محمد بن علي بن مفتاح الصفراي (243) مفتي برقة- رحمه الله-.

رابعاً: الإقامة

أما عن الإقامة بالزاوية فقد كانت في الحجرات التي خلف المسجد التي تظهر في الصورة الآتية.
أما في المعهد فقد خصص قسم داخلي له مازال موجوداً إلى الآن، كذلك الجامعة (244)، وتوضح
ذلك الصورة الآتية، وقد خصص قسم خاص بإقامة الأساتذة لا يزال موجوداً إلى الآن (245). بزاوية البيضاء



عدسة الباحث

243. كُتِبَ عنه بحث من إعداد عائشة أحمد الرطب، حنان عاشور، المؤتمر العلمي الأول لقسم التاريخ-
الجامعة الأسمرية، 2022م.

244 نشأة مدينة البيضاء، المرجع السابق، 202.

245 زيارة ميدانية للموقع.

الخاتمة

أولاً- النتائج:

1. قامت الزوايا والمعاهد في تلك الفترة بكل الأدوار المرجوة منها.
2. المنهج الذي اتبعه المؤسسون في التطوير ساهم مساهمة كبيرة في النهوض بالمجتمع.
3. المناهج التي درست في المعاهد الدينية كان لها أثر بالغ في إعداد الفقهاء والوعاظ في مدينة البيضاء.

ثانياً: التوصيات:

1. بصورة العودة لمثل هذا التعليم يعطينا مجتمعاً بعيداً عن التطرف,
2. دراسة شمولية حول المعاهد والزوايا السنوسية في كل البلاد.

الملاحق


الجامعة السوسية
 جامعة السوسة
 ادارة التخطيط والتنسيق والمعلومات

التاريخ ١٩٩٩/٣/٢٤ شيك رقم ٦٨٦٦ قيد بحسب دفتر الاعياد تحت رقم ٤٤
 حوسبة الصرف الاواره العامه الميزان
 اليد القرمحسون المظلم

٢- جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلاميه
 السيد / عبد السلام سليم التليطيني

رقم منه دفع	تاريخ شهادة الدفع	بيانات حسب المبلغ المدفوع	التوقيع
		- ارجوع ضمان صيغة انشاء عاير يوم وموظفات بالمعهد الاسعوى بنسبة ٤١% من العمل الفظ حيث اشهدت التمهيد الشهوره اللسان وذلك بط* عن وسائله المعتمد يوم ١/٦٥/٩٤ اطلاق ١/٢٤/٩٩ بالارده من مكتب الشكون الهندسه بالجامعه	
٧٩٢٤	٣٧٢	المبلغ بالحروف فقط خمسة الاف وثمانمائه واربعه ومشترون خصمها و ٣٧٢ طمنا التوقيع بالمبلغ الموسوم الملكتسي الصادر في ٦٨/٤/٩١ ١- اقر بان المبلغ اذلاه صحيح وقد صرف وفقا للوائح والنظام الماليه . التوقيع عاب المرام التليطيني اعتمد هذا المستند ووافق على .	

التوقيع : مدير الادارة التخطيط
 ٢- اقر تحت توقيع بانك استلمت المبلغ اذلاه يوم
 ٣- اقر بانك دفعت المبلغ اذلاه الى مستحقيه
 التوقيع

التوقيع :
 اقر بانك
 اعطاء المستند

أرشفيف الجامعة السنوسية وثيقة رقم (1)

الاعتراف
 اذلاه من طرف السيد المساعد

السيد فاضل بن علي التليطيني	السيد فاضل بن علي التليطيني
-----------------------------------	-----------------------------------

التوقيع :

التوقيع :

التوقيع :

التوقيع :

التوقيع :

أرشفيف الجامعة السنوسية وثيقة رقم (2)



شهادة المعهد الابتدائية بعد ضمه للجامعة أرسيف الجامعة السنوسية وثيقة رقم (3)



الباحث مع الشيخ العلمي إحميدة



الباحث مع الشيخ يوسف الهجين

المصادر والمراجع

أولاً- الروايات الشفوية:

1. مقابلة مع الشيخ العلمي احميده لغماري بمنزله، صفته شيخ الزاوية السنوسية وطالب بالمعهد الديني 1964م.
2. مقابلة مع الشيخ محمد يوسف الهجين بمنزله، صفته طالب بالمعهد الديني عام 1952 م.

ثانياً- قائمة المصادر:

1. الجامعة الإسلامية ماضيها وحاضرها. مصطفى عبدالسلام التريكي. دارالكون، ط1 2021م.
2. الجواهر الإكليلية في أعيان ليبيا من المالكية. ناصرالدين الشريف. دار البيارق. ط1.
3. برقة العربية بين الأمس واليوم. محمد الطيب الأشهب. ط محمد ملموم باشا. 1949م
4. السنوسية دين ودولة. محمد فؤاد شكري. مراجعة: يوسف المجريسي. مركز الدراسات الليبية أكسفورد، ط1، 2005م.
5. سكان ليبيا، هنريكودي أوغسطيني. ترجمة: إبراهيم المهدي. داربرنتشي. ط2. عام 2019م.
6. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. محمد مخلوف. دار الكتب العالمية. ط1. عام 2002م.
7. الطريق إلى مكة. ليوبولد فايس. ترجمة: رفعت السيد. دار الجمل. ط1. عام 2010م.
8. النشاط العقدي بالغرب الإسلامي خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجري. جمعة الفيتوري. دار المدار الإسلامي. ط1. عام 2002م.
9. ديوان محمد حسين الحلاني. تحقيق: يوسف فنوش والهمامي الحضري. مجلس التنمية والإبداع. ط1. عام 2004م.
10. نشأة مدينة البيضاء، إدريس فضيل، ط1، دار الأزهرية عام 2012م،

ثالثاً- البحوث والمقالات:

11. المناهج الدراسية في بعض المدارس الدينية في ليبيا في القرن العشرين، رحومة حسين ، مجلة أصول الدين، الجامعة الأسمرية نسخة إلكترونية.

دراسة تاريخية معمارية للمساجد والزوايا الاثرية بمدينة زيتن

(مسجد الجمعة، ومسجد العرصة، وزاوية البازة، وزاوية الفواتير السبعة)

* د. عبدالله مفتاح بن محمود¹، د. محمد عمر بشينة²، د. اشرف حسين الفرادي³

¹ قسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني، كلية الهندسة، جامعة المرقب، الخمس، ليبيا

² قسم التاريخ - كلية الآداب، الجامعة الاسمية الاسلامية، زيتن، ليبيا

³ قسم التاريخ - كلية الآداب، الجامعة الاسمية الاسلامية، زيتن، ليبيا

*a_benmahmod@yahoo.com

الملخص:

يتناول البحث دراسة تاريخية ومعمارية للمساجد والزوايا الاثرية التاريخية بمدينة زيتن باعتبارها من اهم المعالم والرموز المعمارية التي ساهمت وبشكل كبير في عمارة المدينة وبناء هويتها العمرانية، بالاضافة الى ارتباطها الوثيق بالهوية الثقافية والدينية لسكان المدينة، نظرا للدور الكبير الذي يلعبه كل من المسجد والزاوية في تجسيد وتحقيق الصلة بين الانسان المسلم وبين الله عز وجل، كونهما مكاناً للعبادة والتأمل، ومنارات لدراسة العلوم الدينية وتحفيظ القرآن الكريم، وممارسة الفعاليات والانشطة الاجتماعية الخيرية التي تساهم في خدمة افراد المجتمع، ومنابع ومراكز اشعاع علمي وحضاري.

ويهدف البحث الى توثيق دراسة تاريخية ومعمارية لبعض المساجد والزوايا التاريخية بمدينة زيتن، وذلك عن طريق اتباع المنهج التاريخي والتحليلي الوصفي في دراسة هذه المعالم الاثرية من حيث الموقع الجغرافي، وتاريخ واصل التسمية، وتاريخ التأسيس والانشاء، ودراسة الخصائص والمواصفات والانماط والطرز المعمارية لكل منها، والعناصر المكونة لها وتطورها، وذلك عن طريق المسح الميداني لهذه المساجد والزوايا، وتجميع المعلومات من المصادر والوثائق التي تناولت العمارة الدينية لها، ويخلص البحث الى وضع المقترحات والتوصيات التي من شأنها الحفاظ على هذه المعالم الحضارية كآثار تاريخي يساهم في بناء الهوية العمرانية للمدينة، والهوية الثقافية والدينية للمجتمع، ويحقق التنمية الحضارية المستدامة.

كلمات مفتاحية: المساجد التاريخية، الزوايا الاثرية، المعالم المعمارية، المسجد الجامع، مدينة زيتن.

Abstract;

The study aims to examine the historical and architectural features of mosques and historical sites in Zliten city as one of the most important architectural landmarks and symbols that have significantly contributed to the city's architecture and the construction of its urban identity. Additionally, it explores their close connection with the cultural and religious identity of the city's inhabitants, given the significant role played by both mosques and zawiyas (religious schools) in embodying and achieving the connection between Muslim individuals and Allah Almighty. They serve as places for worship and contemplation, beacons for the study of religious sciences and Quran memorization, and venues for engaging in charitable social activities that serve the community members. They are also sources and centres of scientific and cultural radiance. The research aims to document a historical and architectural study of some mosques and historical zawiyas in Zliten city. It employs a historical and descriptive analytical approach to investigate these historical landmarks, focusing on their geographical location, the origin of their names, establishment history, architectural characteristics, styles, and patterns. The study also aims to examine the constituent elements and evolution of these landmarks. Field surveys of these mosques and Zawiyas were carried out to gather information from sources and documents that have addressed their religious architecture. The study concludes by proposing recommendations aiming at preserving these cultural landmarks as historical treasures that contribute to shape the urban identity of the city and the cultural and religious identity of the

community. These recommendations are intended to achieve sustainable urban development.

Keywords: *Historical mosques, Historical Zawiyas, Architectural landmarks, Grand Mosque, Zliten city.*

مقدمة:

تمثل المباني الاثرية التاريخية اهم المعالم والرموز المعمارية في معظم مدن العالم، والتي تسعى جميع الدول والحكومات والمنظمات للاهتمام بها والمحافظة عليها وصيانتها، واعادة احيائها وظيفياً، باعتبارها كنز من الكنوز الوطنية، وذلك لما لها من قيمة تاريخية وحضارية وعلمية واجتماعية واقتصادية وفنية جمالية، وللدور الكبير التي تلعبه هذه المباني في تحقيق عملية التنمية الحضرية المستدامة لهذه المدن.

وتعتبر المباني الدينية في ليبيا من اهم وابرز المباني الاثرية التاريخية والتي تزخر بها معظم المدن الليبية ومن بينها مدينة زليتن، وتشمل هذه المباني المساجد والزوايا والكتاتيب والاضرحة القديمة، والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالموورث الثقافي والديني للمجتمع الليبي، والعادات والتقاليد العربية والاسلامية لافراد هذا المجتمع، وذلك لما لها من دور كبير في نشر الدين الاسلامي وتحفيظ القرآن كتاب الله العزيز وتدریس علومه، ولقد كانت المساجد والزوايا هي الاماكن الرئيسية للعبادة وممارسة الشعائر الدينية والفعاليات والانشطة المجتمعية الخيرية منذ الفتح الاسلامي لليبية، ولا تزال هذه المباني الى يومنا هذا تقوم بدورها الديني والتعليمي والثقافي، وتعتبر من اهم عناصر معالم عمارة وعمران المدينة الليبية التي يجب الحفاظ عليها باعتبارها حق من حقوق الاجيال القادمة، واهم ركائز تحقيق الاستدامة العمرانية.

ويهدف البحث الى توثيق دراسة تاريخية ومعمارية لبعض المساجد والزوايا التاريخية الاثرية بمدينة زليتن، وهي مسجد الجمعة، ومسجد العرصة، وزاوية احمد البازة، وزاوية الفواتير السبعة، وذلك عن طريق اتباع المنهج التاريخي والتحليلي الوصفي في دراسة هذه المعالم الاثرية من حيث الموقع الجغرافي، وتاريخ واصل التسمية، وتاريخ التأسيس والانشاء، ودراسة الخصائص والمواصفات والانماط والطرز المعمارية لكل منها، والعناصر المكونة لها وتطورها، وذلك عن طريق المسح الميداني لهذه المساجد والزوايا، وتجميع المعلومات من المصادر والوثائق التي تناولت العمارة الدينية لها، حيث تتمثل مشكلة الدراسة في وجود قصور في الاهتمام بالموورث الحضاري بشكل عام، ومن ضمنه المباني الدينية التي تتمثل في المساجد والزوايا الاثرية، والقيام بازالتها او التغيير في نمطها المعماري الاثري دون مراعاة

الاصول الفنية الهندسية اللازمة لصيانة مثل هذه المباني، ويخلص البحث الى وضع المقترحات والتوصيات التي من شأنها الحفاظ على هذه المعالم الحضارية كآثر تاريخي يساهم في بناء الهوية العمرانية للمدينة، والهوية الثقافية والدينية للمجتمع.

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة في وجود قصور في الاهتمام بالموورث الحضاري بشكل عام، ومن ضمنه المباني الدينية التي تتمثل في المساجد والزوايا الاثرية، والقيام بازالتها او التغيير في نغمتها المعماري الاثري الذي يعتبر من ضمن مقومات الاستدامة الحضرية للمدينة، ومن اهم ركائز الموروث الحضاري والثقافي للمجتمع.

اهداف الدراسة:

1. الاهتمام بالموورث الحضاري الديني بالدراسة والتوثيق تاريخيا ومعماريا.
2. ابراز دور الموروث التاريخي الحضاري في اثناء الثقافة المحلية وتاكيد وبناء الهوية العمرانية للمدينة الليبية، وحفظ حق الاجيال القادمة من الموروث التاريخي والحضاري، وتحقيق اهداف التنمية الحضرية المستدامة.

اهمية الدراسة:

تتمثل اهمية الدراسة في معرفة تاريخ وهوية المجتمع الليبي، عن طريق دراسة الشواهد الحضرية التاريخية المتمثلة في الموروث الاثري التاريخي ومنها المباني الدينية التي تشمل المساجد والزوايا والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع العربي الليبي من الناحية الدينية والثقافية والاجتماعية، والربط بين الماضي والحاضر والمستقبل وذلك بالتحليل والتدقيق لعمران حضارات العصور السابقة بالمدن الليبية، وتسجيل تاريخ المجتمع الاثري حتى لا يضيع بفعل العوامل الطبيعية والبشرية المختلفة، واستخلاص الاسس والقيم من هذا الموروث التاريخي الحضاري، والاسترشاد به في بناء عمارة وعمران حديث يساهم في تجسيد الهوية المحلية، وتحقيق التنمية الحضارية في الحاضر والمستقبل.

الموقع الجغرافي لمدينة زيتن:

تقع مدينة زيتن في الجزء الشمالي الغربي من ليبيا على ساحل البحر الابيض المتوسط شرق مدينة طرابلس العاصمة بمسافة 150 كلم، بين ميني الخمس ومصراتة الساحليتين، شرق مدينة الخمس بمسافة 40 كيلومترا، وغرب مدينة مصراته بمسافة 60 كيلومترا، كما هو موضح بالشكل رقم (1)، ويحدها من الشمال البحر الابيض المتوسط، ومن الجنوب منطقة بني وليد، ومن الشرق منطقة مصراتة، ومن الغرب منطقة الخمس ومسلاته وترهونة،

وذلك وفق الأحداثيات الجغرافية الآتية:

خط عرض - " 28 " 32 شمالاً.

خط طول - " 34 " 14 شرقاً.

وتمتد منطقة زيتن بين دائرتي عرض 31.55 - 32.30 شمالاً، وبين خطي طول 14.26 - 14.47 شرقاً.



شكل رقم (1): الموقع الجغرافي لمدينة زيتن (موقع الدراسة)، ليبيا.
المصدر: الناخنة، 2024

تسمية مدينة زيتن:

مدينة زيتن هي إحدى المدن الليبية الواقعة في الغرب الليبي على ساحل البحر الأبيض المتوسط، شرق مدينة طرابلس عاصمة دولة ليبيا، بمسافة 150 كم، وغرب مدينة مصراتة الساحلية بمسافة 60 كم، وذلك على سهل مسطح تحيط بها أراض زراعية تغطيها العديد من أشجار النخيل التي تميز مدينة زيتن عن باقي المدن الساحلية [1].

وقد جاء اسم مدينة زيتن وفق ما ذكره ابن خلدون وابن حزم الأندلسي والشيخ الطاهر الزاوي من اللفظة البربرية **يَصْلِيَتِن** أو **يَصْلِيَتِين** والتي كانت اسم يطلق على قبيلة من قبائل هواره التي كانت تسكن هذه الناحية من شمال أفريقيا، وهي قبيلة أمازيغية من فروع قبيلة مغراوة وهم عند نسابة زناتة بنو يفرن بن يصليتن بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الدير بن جانا، وإخوته مغراوة وبنو يرنيان وبنو واسين، والكل بنو يصليتن أو يزلتِن، وقد كان اسم أبو هذه القبيلة يصليتن بن مسرا بن زاكيا، ورأى ابن خلدون في هذه الزاوية أن تكتب صاداً في وسطها نقطة،



شكل رقم (2): المبنى القديم لمسجد وضريح النبي
عبدالسلام الاسمر بزليتن، ليبيا.

وتوجد مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم
(10956 ح) بخط الشيخ عبد الواحد الفطيسي يعود
تاريخها إلى ما قبل أربعة قرون، وهو من أعيان مدينة
زليتن كتبت فيها كلمة زليتن أكثر من عشرين مرة
هكذا (بزليتن)، وقد تناسى السكان كلمة يصلتن
البربرية لثقلها، وصاروا ينطقونها ويكتبونها زليطن او
زليتن وذلك لخفتها في النطق [1، 2، 3، 4].

التراث المعماري بمدينة زليتن:

يعود وجود مدينة زليتن إلى العهد الروماني القديم الذي سيطر على الكثير من مناطق شمال أفريقيا، وقد ذكر
الرحالة الإيطالي "باولودي لاشيلا" ان هذه المنطقة كانت تعرف قديما بمدينة أورير الرومانية التي تميزت بوجود معالم
معمارية رومانية من اهمها اثار "دار بوك عميرة" القريبة من شاطئ البحر، والتي لم يبق منها سوى بعض أجزاء
الجدران وبعض الأرصفة المزينة بالفسيفساء مما يدل على أنها كانت مدينة منسقة، ويبدو أن موقع بقايا آثار هذه
المدينة يتفق تمامًا مع ما ذكره "بطليموس" في أن مدينة زليتن أسست على أنقاض مدينة (سيسترون او سيسترنائي
(الرومانية التي يقول عنها أنها تقع بين رأس مصراتة وبين برك أو مستنقعات وادي عين كعام **sisternae**)
[5].

وتعتبر مدينة زليتن من اهم المدن الليبية ذات النسيج العمراني التلقائي المتكامل منذ العهد العثماني القرهمانلي،
وخلال الاحتلال الايطالي وفترة المملكة الليبية، حيث كانت مدينة متوسطة جميلة تقع داخل مساحات شاسعة
من اشجار النخيل والزيتون، ويحيط بالمدينة سياج (كردون) بطول ثلاثة كيلومترات و وبارتفاع اربعة امتار وسمك
ثمانون سنتيمترا، يضم العديد من المباني السكنية والاسواق التجارية المتنوعة والفنادق والمباني الادارية والدينية
والخدمية، الى ان تم هدم المدينة القديمة في سبعينيات القرن العشرين لتحل محلها مدينة حديثة تعاني من العديد
من المشاكل العمرانية والمعمارية، ولم يبق من مباني ومعالم المدينة القديمة الا القليل من المباني اهمها مبنى البلدية
القديم وفندق الغزالات، ومبنى القشلة والسراي، وقصر بن قدارة، وبعض المنازل القديمة المتهاكلة بمركز المدينة
[1].

ولعل اهم ما يميز عمارة ومعمار مدينة زليتن المعالم المعمارية الاسلامية، والتي تتمثل في العديد من المساجد والزوايا (الكتاتيب) التي تنتشر في مختلف منطقة زليتن سواء داخل مخطط المدينة او في ضواحي المدينة في منطقة الجمعة ومنطقة سوق الثلاثاء الفواتير وفي منطقة ماجر، والتي تم بناؤها منذ الفتوحات الاسلامية، حيث كانت مراكز لاداء الشعائر الاسلامية وتحفيظ ودراسة القرآن الكريم، ثم اصبحت منارات ومعاهد لدراسة علوم الدين وكانت مراكز اشعاع علمي وحضاري، بالاضافة الى دورها الفعال في تقديم افضل الخدمات للمجتمع الليبي في الجوانب الاجتماعية والسياسية والثقافية، والتي من اهمها مسجد وزاوية الشيخ عبدالسلام الاسمر شكل رقم (2)، ومسجد وزاوية السبعة بالفواتير، ومسجد وزاوية احمد البازة، ومسجد وزاوية الفطيسي، ثم كان التتويج لمسيرة زاوية الشيخ عبدالسلام الاسمر خلال خمسة قرون في دراسة وتدریس القرآن الكريم والعلوم الاسلامية بانشاء الجامعة الاسمرية الاسلامية سنة (1415 هـ - 1996م) والتي تعتبر من اهم الصروح العلمية بمدينة زليتن وفي ليبيا بشكل عام [1].

تعريف المسجد:

يعرف المسجد "بالكسر" لغةً بأنه مكان أو بيت الصلاة والسجود، وكل موضع يمكن أن يعبد الله فيه، ويسجد له، والمسجد "بالفتح" جهة الرجل حيث يصيبه السجود، والمسجد شرعاً هو كل موضع من الأرض يسجد فيه لله لقوله صلى الله عليه وسلم: "جعلت لي الأرض مسجداً" وهذا من خصائص هذه الأمة، وقد قال القاضي عياض: ان من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته، ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته، وقال القرطبي: هذا ما خص الله به نبيه، وكانت الأنبياء قبله إنما أبيحت لهم الصلوات في مواضع مخصوصة كالبيع والكنائس [6، 7].

والمسجد من الناحية المعمارية هو المبنى الذي يقام على مساحة من الارض لغرض اقامة واداء الصلاة، يعين فيه اتجاه القبلة وهو الاتجاه الذي يشير الى اتجاه الكعبة المشرفة "بيت الله الحرام"، وذلك عن طريق المحراب الذي يعتبر احد العناصر المعمارية للمسجد، ويشمل مبنى المسجد العديد من الفراغات والعناصر التي تقوم باداء وظائف مختلفة تتكامل في مجملها ليكتمل معها اداء الوظيفة الاساسية للمسجد، ومن هذه العناصر بيت الصلاة، و صحن المسجد، والاروقة، والمئذنة، والقبة الرئيسية التي تكون من ضمن سقف بيت الصلاة، والميضة ودورات المياه، وقد تضاف اليه حجرات او زوايا او مقصورات لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم، وحجرة خاصة بامام المسجد.

والمساجد نوعان احدهما يسمى مسجد اوقات، وتقتصر وظيفته الاساسية على اداء صلوات الاوقات الخمسة

اليومية المفروضة، وغالبا ما تكون مساحته صغيرة الى حد ما، ولا توجد به فراغات كثيرة، حيث يعتمد اساسا على وجود بيت للصلاة وخدمات مرافق تشمل الميضة ودورات المياه، والآخر يسمى المسجد الجامع او الجامع الكبير والذي تقام فيه جميع الصلوات بما فيها الصلوات الخمسة اليومية وصلاة الجمعة والعيدين، وقد تضاف اليه حجرة الامام وحجرات لتحفيظ القرآن الكريم والحديث الشريف وتعليم العلوم الدينية [1].

تعريف الزاوية:

الزاوية لغة مشتقة من فعل زوى ومصدرها (الزَيِّ) وتعني الركن، ومنها ركن الغرفة او ركن البيت، وجمعها زوايا، وفي مفهوم العمارة الاسلامية فان الزاوية تعني الخلوة او الحجرة او المقصورة المضافة للمسجد، والتي تستخدم لغرض العبادة الخلوية، او لغرض التدريس والتعليم الديني وتحفيظ القرآن الكريم، والتي تحولت فيما بعد الى مباني ومؤسسات مستقلة بداتها محافظة على نفس الاسم والغرض الوظيفي لتضم فصول دراسية وفراغات خدمية وادارية، وقد عرفت ايضا بالمنارات اشارة الى دورها التنويري وخاصة في العلوم الدينية [1].

كما ان لاسم الزاوية العديد من المرادفات والتي تشير في مجملها الى الوظيفة التي تؤديها هذه الفراغات، ومنها الكتاب، والخلوة، والرباط، والتكية، والخانقاه، والرواق، والتي تتشابه جميعها في الوظائف الدينية كداء الصلاة والتعليم الديني، وتحفيظ القرآن الكريم، وممارسة بعض الشعائر الدينية الخاصة بالمتصوفة، وايواء ومساعدة الفقراء والمساكين [1].

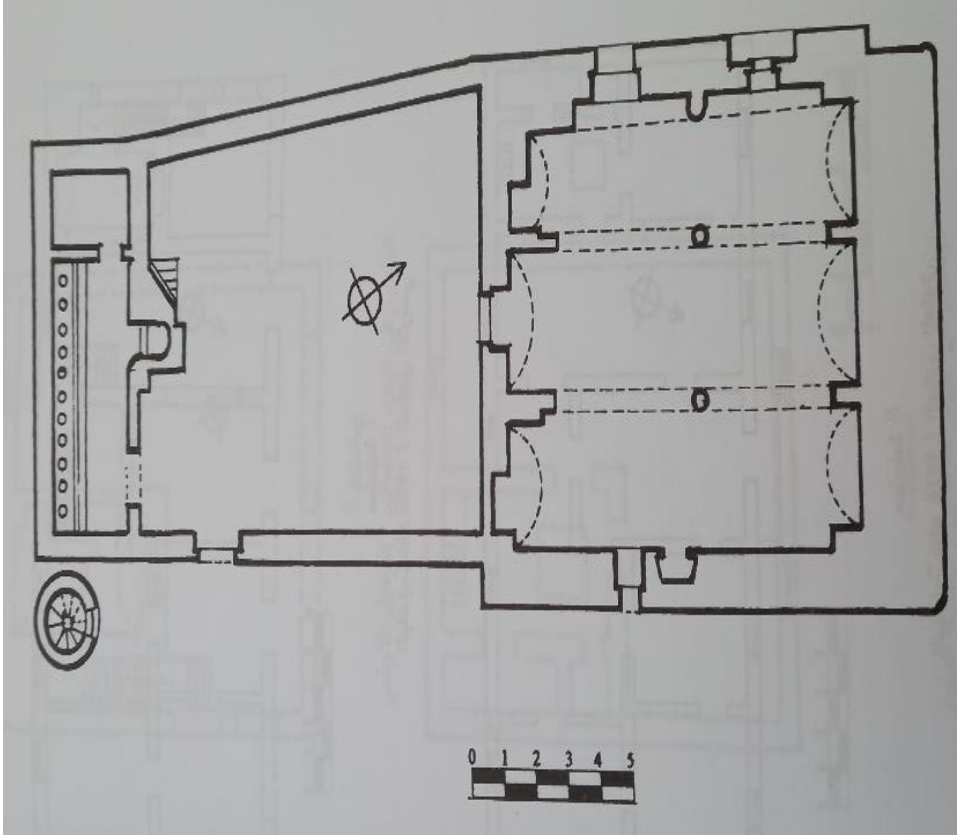
مسجد الجمعة بزليتن:

يقع هذا المسجد على الطريق المؤدية إلى الفواتير على الجهة الغربية منها على بعد 200 متر الى الشمال الشرقي من مسجد وزاوية الفواتير السبعة، ويعود تاريخ بناء هذا المسجد وفق العديد من روايات اهالي المنطقة إلى الفترة ما بين سنة 430 – 450 للهجرة تقريبا، وذلك من قبل عائلة العوامر بزليتن، ويذكر أن بناؤه قد تم على نفقة الاهالي قبل بناء زاوية ومسجد الفواتير السبعة، ووفق ما ذكره الدكتور سعدي الدراجي في كتابه "زليتن دراسة في العمارة الاسلامية" ان المسجد تم تجديده في بداية القرن التاسع عشر [7].

وصف المسجد:

مخطط المسجد بسيط وتقليدي يشبه تصميمه معظم المساجد التي تم تنفيذها في تلك الفترة، وهو عبارة عن كتلة بنائية مستطيلة الشكل قياس ابعادها من الجهتين الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية (26.80 متر) ومن الجهة الشمالية الشرقية (11.90 متر) اما من الجهة الجنوبية الغربية (9.30 مترا)، وتشتمل كتلة

المسجد على بيت للصلاة وصحن وميضأة ومئذنة على الطراز العثماني تم بنائها في اواسط القرن العشرين الميلادي كما هو موضح بالشكل رقم (3)، ويقع مدخل المسجد القديم الرئيسي في الجهة الجنوبية من الجانب الجنوبي الشرقي.



شكل رقم (3): المسقط الافقي لمد الجمعة بزلتين.
المصدر: الدراجي، 2003



شكل رقم (4): بيت الصلاة القديم بجامع الجمعة بزلينتن.

العقود على ثلاثة أعمدة بالوسط أحداها ملتصق في الجدار الشمالي الغربي وعلى دعائم مستطيلة ملاصقة للجدران بالجانبين، أما الرواق الأول تجاه القبلة فقد ارتكز من جهة القبلة على الجدار مباشرة، كما هو موضح بالشكل رقم (4).

والأعمدة في هذا المسجد قصيرة حيث يبلغ ارتفاعها مترا واحدا تقريبا، وذلك بسبب عملية الردم التي تعرض إليها المسجد في العقود الأخيرة، كما أنها غير متناسقة بوصفها جلبت من مبانٍ قديمة.



شكل رقم (5): المحراب الموجود ببيت الصلاة القديم بجامع الجمعة بزلينتن.
المصدر: الباحثون، 2024

مكونات المسجد: أولا/ بيت الصلاة: وهو عبارة عن فراغ مربع الشكل تقريبا قياسي أبعاده (9.50 مترا) لكل من الجهتين الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية، و(9.00 امتار) لكل من الجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية، ويتم الدخول الى بيت الصلاة من الصحن المكشوف من المدخل الموجود في جداره الجنوبي الغربي، ويتكون بيت الصلاة من ثلاثة أروقة موازية لجهة القبلة، غطيت بثلاثة أقبية نصف برميلية موازية لجدار القبلة محمولة على ثلاثة صفوف من العقود النصف دائرية، وذلك بعدد عقدان بكل صف، وترتكز هذه

ثانيا/ المحراب: ويعتبر العنصر المعماري الرئيسي داخل بيت الصلاة والذي يشير الى اتجاه القبلة، وهو محراب مجوف مسقطه مستطيل يوجد في منتصف جدار القبلة سقفه عقد على شكل حذوة الفرس مزين بكتفين بارزين مستطيلا الشكل، وعلى يمين المحراب نافذة صغيرة وجدت على الأرجح لإدخال الضوء والهواء إلى الخطيب الذي يعتلي على المنبر في الجمعة والعيد، وتعتمد إنارة بيت الصلاة على نافذتين مفتوحتين في الجدار الشمالي الغربي المواجه لجدار القبلة كما في شكل رقم (5).



شكل رقم (6): مئذنة جامع الجمعة
بزليتن، وقد بنيت على الطراز
العثماني
المصدر: الباحثون، 2024

ثالثا/ الصحن: يقع صحن هذا المسجد في الجهة الجنوبية الغربية من بيت الصلاة، ويتم الدخول اليه من المدخل الرئيسي من الجهة الجنوبية الشرقية (جهة القبلة)، وشكل الصحن غير منتظم قياسا ببعاده (10.60 مترا) من الجهتين الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية، و(9.10 مترا) من الجهة الشمالية الشرقية و(8.00 مترا) من الجهة الجنوبية الغربية، ويوجد في الجهة الجنوبية الغربية للصحن الميضاة وسلم يصعد لأعلى استعمل قديما بمثابة المئذنة.

رابع/ الميضاة: توجد الميضاة بالجهة الجنوبية الغربية للصحن المكشوف ويفتح عليها بمدخل مستطيل واسع، وتتكون من حجرة مستطيلة قياسا ببعادها (6.00 امتار) من الجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية، و(2.50 مترا) لكل من الجهتين الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية، توجد بها مجموعة من الأطباق للوضوء عددها إحدى عشرة طبقاً، ويوجد في جدارها الشمالي الشرقي البئر لإمداد الميضاة بالمياه اللازمة للوضوء والطهارة، وفي نهاية هذه الميضاة مدخل يؤدي إلى حجرة صغيرة استخدمت كمطهرة، وقد غطيت جميعها بسقف مسطح من الألواح الخشبية وسعف النخيل.

خامسا/ المئذنة: لا زال يوجد بهذا المسجد سلم كان يصعد منه لسطح المسجد للمناداة للصلاة، ويقع في الجهة الجنوبية الغربية ويتكون من إحدى عشرة درجة، وقد تم بناء مئذنة بالمسجد سنة 1967م خارج المسجد من الجهة الجنوبية، وهي مئذنة على الطراز العثماني، يبلغ ارتفاعها (17 مترا)، إسطوانية الشكل ذات رأس مدبب، يتم الدخول إليها من جهتها الشمالية الشرقية، بها حلقة زخرفية بمنتصفها، كما أنها مزودة بشرفة واحدة يفتح عليها بمدخل صغير ويليهما جزء آخر إسطواني، ثم تنتهي المئذنة بجوسق قلبي الشكل مدبب كما في الشكل (6).

مسجد العرصة بزليتن:

يقع هذا المسجد بقرية الحجاج العتيقة والتي تعرف بالحجاجة السفلى بمدينة زليتن جنوبي الطريق الساحلي الى الغرب من جسر المدينة الدائري بمسافة 500 متر تقريبا.

أما بالنسبة إلى اسباب تسميته بمسجد بالعرصة فهي غير معروفة لذا سكان المنطقة والعائلة، وهي تسمية قديمة

جداً للمسجد منذ بناءه، وذلك وفق ما تم ذكره في العديد من الوثائق التي مازالت موجودة مع أحد أحفاد المشائخ الذين قاموا ببناء وتعمير المسجد، وربما يكون المسجد قد اخذ اسمه من عمود (عرصة) كانت له وظيفة رئيسية في العملية الانشائية للمسجد او احد عناصره المعمارية، سواء كانت تم تنفيذها بالمسجد او تم جلب هذه العرصة من مكان آخر [8، 9].

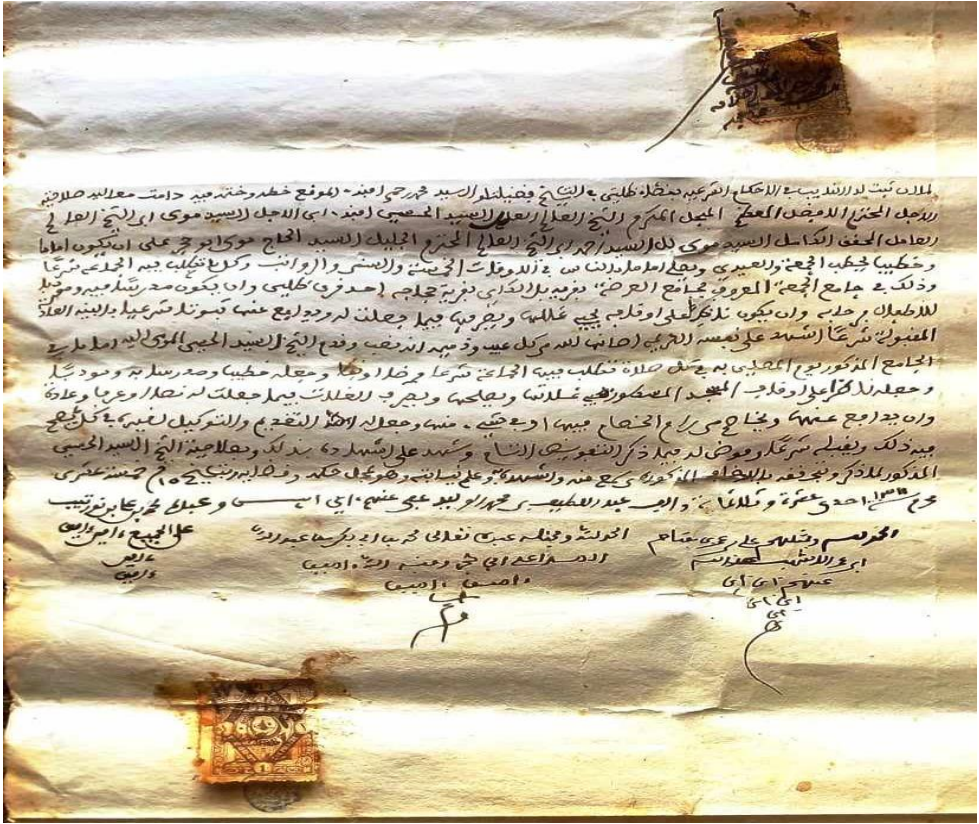
والمسجد من المساجد العتيقة بمدينة زليتن ولكن تاريخ بنائه غير معروف، ولا توجد أي وثيقة تتحدث عن زمن وتاريخ البناء الأول، وأما آخر بناء وتحديث للمسجد يرجع إلى أواخر العصر العثماني الثاني، حيث قام ببناءه الأخوان الشيخ العلامة الحسين بن موسى بن أحمد بن موسى أبو حجر وأخوه الشيخ العلامة عبد الله بن موسى بن أحمد بن موسى أبو حجر، وهما من عائلة ابو حجر من اهالي مدينة زليتن [1].

ويقول الدراجي في كتابه "زليتن دراسة في العمارة الاسلامية" أن إدارة الجامع اقتصرت على عائلة واحدة منذ تأسيسه وحتى يومنا هذا، حيث انه مازال الجامع يؤدي رسالته الى يومنا هذا إذ تقام فيه صلاة الجماعة في جميع الأوقات، وتودى فيه صلاة الجمعة والعيدين [1].

وقد تحصل الباحثون على عدة وثائق من أحد أحفاد المشائخ الأوائل تفيد بصحة قول الدراجي وتشير الى اسم المسجد واسم القرية، ومنها وثيقة شهادة بثبوت صلاحية الشيخ الحسين بن موسى بن أحمد بن موسى أبو حجر بأن يكون إمام أوقات وخطيب الجمعة في جامع المعروف بجامع العرصة الكائن بقرية حجاجة إحدى قرى زليتن وأن يكون مدرساً ومؤدباً للأطفال وناضراً على أوقاف المسجد المذكور والمؤرخة في 5 محرم 1311هـ، كما في الشكل (7)، ووثيقة أخرى تعود الى سنة 1313 هـ تفيد بشهادة الشهود بصلاحية الشيخ الحسين بن موسى أبو حجر كإمام الجامع العرصة بثبوت شرعي كما أنه جعله ناظراً على الأوقاف ويقوم بجميع شؤون الجامع المذكور [9].

وهناك وثيقة أيضاً يعود تاريخها الى سنة 1948م تفيد بتجديد رتبة الأمامية للشيخ الفقيه إبراهيم بن سالم بن الشيخ الحسين بن موسى من قبل الحاكم الشرعي بقضاء ظليتن محمد البكوش، وذلك بجامع العرصة الكائن بقرية حجاجة السفلى بقضاء ظليتن ليكون إماماً للصلاة وخطابة الجمعة والأعياد وصلاة القيام بشهر رمضان اعتبار من 1 إبريل 1948م براتب شهري قدره 100 فرنك.

وصف المسجد:

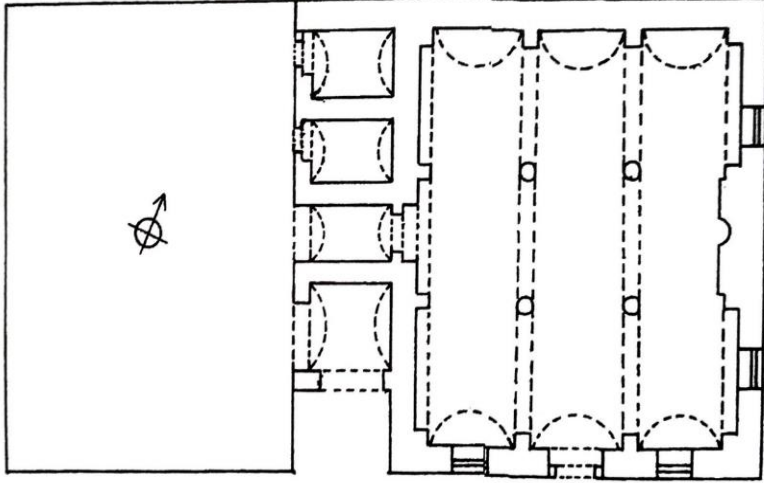


شكل رقم (7): وثيقة غير مصنفة، وهي شهادة بثبوت صلاحية الشيخ الحسين بن موسى أبو حجر في جامع العرصة بقرية حجابة بزليتن.

كما في العديد من المساجد بالمنطقة تم تخطيط الجامع وعمارته بشكل بسيط وتقليدي، ويتكون المسجد من العناصر الآتية [9]:

أولاً/ بيت الصلاة: فراغ مستطيل الشكل قياس ابعاده (10.30 * 8.70 مترا)، يتكون من ثلاثة اروقة (أساكيب) مسقفة بأقبية بارزة من الخارج، جعلت موازية لجدار القبلة، وترتكز هذه الأقبية عقود نصف دائرية مدجة مع الجدران (مجوفة) من جهة الحوائط، بينما ترتكز هذه العقود في المنطقة الوسطى على صفيين من الأعمدة الدائرية في كل صف عمودان، كما هو موضح بالشكل رقم (8).

وكما هو الأمر في الأبنية الأخرى موضوع البحث فإن الجدران التي تحمل الأقبية في هذا المسجد معززة بدعامات ترتفع فوقها عقود مندوجة من أجل المساعدة في رفع السقوف، ويقيناً أن وجودها يزيد في عامل الأمان الذي اعتاد المصمم المعماري أي يضعه بالحسبان في كل بناء لمقاومة الزمن ومتغيرات الطبيعة.



شكل رقم (8): مخطط المسقط الافقي لجامع العرصة بزلتين
المصدر: الدراجي، 2003م ، ص 292.



شكل رقم (9): المحراب القديم
بجامع العرصة بزلتين
المصدر: الباحثون، 2024

وتعتمد إنارة بيت الصلاة على أربع نوافذ، اثنتان مفتوحتان في جدار القبلة على يمين ويسار المحراب، والآخران في الجدار الشمالي على يمين ويسار مدخل بيت الصلاة، وهذه النوافذ مستطيلة الشكل، أبعاد كل منها (0.90 * 1.30 م) يعلوها من الداخل عقد منبسط، وهي من الخارج مؤطرة بالحجارة المنحوتة، وقد شغلت كل من النوافذ الأربع بإطار خشب عليه مصرعان يحكمان غلقها، ورتب لحمايتها من الأمام مشبك مصنوع من قضبان الحديد موزعة بشكل هندسي جميل، وقد ألحق ببيت الصلاة من الجهة الخلفية (الغربية) خلتان تفتحان على صحن المسجد.

ثانياً/ المحراب: للجامع محراب ينصف ضلعه الشرقي (الجدار القبلي)، وهو محراب مجوف مسقطه الافقي نصف دائري، متوج بنصف قبة، يتقدمها عقد مخموس على شكل ذوة الفرس، يرتكز

على عمودين دائريين من الحجارة المنحوتة مدمجان مع الحائط ولكل منهما تاج مربع، والجزء المحيط بالمحراب محدد بإطار خارجي بارز من الجص، ومقسم إلى مربعات محددة بواسطة اطر بارزة من الجص أيضاً. كما في الشكل (9).

ثالثاً/ صحن المسجد: وهو عبارة عن فراغ مستطيل الشكل يوجد في الجهة الغربية، محاط برواق حديث البناء، ويرتبط ببيت الصلاة عن طريق فراغان "خلتان"، وتوجد به مiazza.

وقد تم بناء المسجد في موضع مرتفع نسبياً عن المنطقة المحيطة به، وتم ردم أرضيته في نهاية السبعينيات من القرن العشرين بارتفاع 60 سم تقريباً، وكسيت بطبقة من الإسمنت في محاولة للتخلص من الرطوبة، علماً أن أرضية في الوقت الحاضر منخفضة بمقدار 40 سم تقريباً عن مستوى المنطقة المحيطة به، ولمقاومة الرطوبة كسيت جدرانها عام 1989م من الخارج والداخل بطبقة من الإسمنت وتم طلاؤها بالدهان المقاوم للرطوبة.

ومن الجدير بالذكر أن جامع العرصة ليس به قبة ولا مئذنة، ويعود ذلك إلى اسلوب وطابع البناء المتبع في ذلك الوقت، وبساطته، وايضا الى تكلفة هذه العناصر وعدم ملائمتها للوضع الاقتصادي لمن بناه في تلك الفترة.

زاوية احمد البازة:



شكل رقم (10): زاوية احمد البازة بزليتن، ليبيا، ويظهر فيها ضريح الشيخ احمد البازة مؤسس الزاوية.
المصدر: الباحثون، 2024

زاوية البازة من زوايا زليتن المشهورة وهي منسوبة إلى الشيخ أحمد الباز، شكل (10)، وهو أحد رجالات زليتن المشهورين بالعلم والتقوي ولقب بالباز، والذي هو الصقر (أحد الطيور الجارحة) لأنه ذو انف اشم يشبه الباز، وتعرف الزاوية بين الناس باسم زاوية البازة، وقد اشتهرت الزاوية بتعليم العلوم الدينية وتحفيظ القرآن، وقد بنيت فيها حُرُج لسكن الطلبة الغريباء، ولها اوقاف يصرف منها على ما تحتاج إليه من إصلاح وترميم، ويساعد منها بعض الطلبة المحتاجين، ويذكر الظاهر الزاوي أنه زارها فوجد فيها الشيخ الفاضل أحمد الصاري الذي كان مدرساً بها [4].

وتقع الزاوية في الجهة الشمالية الغربية من مدينة زليتن في محلة البازة، والتي تنسب إلى الشيخ احمد الباز الذي عاش في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ولا يعرف بالتحديد سنة وفاة الشيخ أحمد الباز المدفون تحت القبة الملحقة بالزاوية، وإلى جانبه قبر الشيخ سالم بن محمد بن قنونو [1، 11].

ويذكر ابن غلبون أن الشيخ سالم بن أحمد قنونو قد تفقه في أيامه وأرتحل لطلب العلم إلى حضرة مصر، ولقي

بها الأفاضل، وأخذ العلم وآب إلى بلده، فعمر بها مدرسته بإزاء منزله، وبالغ أمير المؤمنين في إكرامه ومرعاته حتي انتفع به العديد من الناس [12].

التكوين المعماري لمبنى الزاوية:

أولاً/ المسجد (بيت الصلاة): ويعتبر من أقدم

الوحدات البنائية في هذه الزاوية والذي مازال بحالة جيدة الى الآن، كما في شكل (11)، ويعود تاريخ بنائه إلى أول العهد القرمانلي وبالتحديد أثناء ولاية

أحمد باشا (1711- 1745م)، إذ ليس من

المستبعد أن يكون المسجد وحجرة الضريح الملاحقة



شكل رقم (11): بيت الصلاة بزواوية احمد البازة بزليتن، ليبيا.
المصدر: الباحثون، 2024.

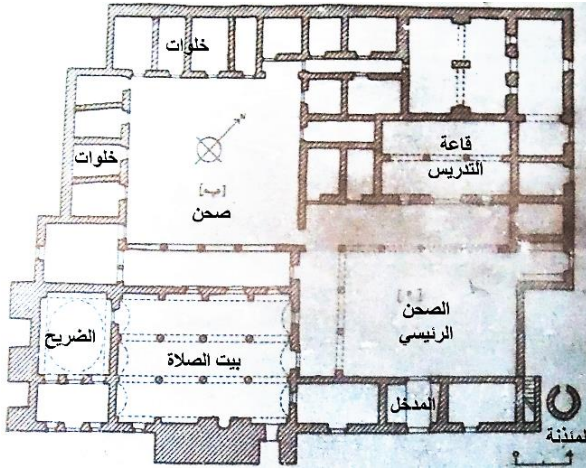
له جزءاً من المدرسة التي عمّرها الشيخ سالم بن فنونو والذي كان له احترام كبير عند الوالي أحمد باشا القرمائلي آنذاك.

ويعتبر النمط التخطيطي لمبنى المسجد نمطاً تقليدياً بسيطاً يشبه في تخطيطه المعماري أغلب المساجد المشيدة في المنطقة خلال العهد القرمائلي (1711 - 1835 م) ومنها على سبيل المثال لا الحصر جامع الجمعة، والمسجد الملحق بضريح مفتاح الصفرائي، والمسجد الملحق بضريح إبراهيم بن ناصر، بيد أن بعض عناصر البناء تؤكد أن المسجد والضريح مجددان في بادية القرن العشرين ومن أهمها المداخل المتأثرة بمدخل بناية السراي، والنوافذ وتيجان الأعمدة والبلاطات الخزفية [1].

والمسجد أو بيت الصلاة عبارة عن فراغ مستطيل الشكل قياس ابعاده (12.40 * 8.60 م)، ذو واجهة معمارية جميلة ومنسقة، وله مدخلان مميزان أحدهما في الجدار الشمالي والآخر في الجدار الغربي، ويتوج كل من المدخلين عقد نصف دائري يستند إلى كتفين مندمجين من الحجارة الرملية المنحوتة يعلوها تيجان مربعة الشكل تحمل فوقها كتل حجرية بارزة توفر الظل للمدخل وتحميه من مياه الأمطار، وقد تم تزيين مفتاح كل عقد منهما بحلال ونجمة ذواتا الرمزية والدلالة الدينية [1].

ويتكون فراغ المسجد "بيت الصلاة" من ثلاثة أروقة موازية لجدار القبلة، مسقوفة بأقبية نصف برميلية، ومقسمة بواسطة صفتين من الأعمدة، بعدد ثلاثة أعمدة بكل صف مقامة على قواعد مربعة المسقط، وفي أعلى الأعمدة تيجان منشورية مزينة بأفاريز ذات زخارف هندسية جميلة قوامها معينات غائرة "محفورة"، كما تم تزيين التيجان من الأسفل بكتل ذات أشكال منشورية مسننة، وتحمل هذه الأعمدة عقود نصف دائرية تستند من الجهتين الشمالية والجنوبية على اكتاف متداخلة مع الجدران، كما أن جدار القبلة والجدار المقابل له معززان بعقود نصف دائرية مدموجة مع الحوائط لتساعد على حمل السقف المقبب.

ويوجد في الجدار القبلي لبيت الصلاة محراب يشير إلى اتجاه القبلة، وهو من النوع المجوف مسقطه نصف دائري سقفه على شكل نصف قبة، يتقدمه عقد على شكل حدوة الفرس، محمول على عمودين مندمجين بالحائط يعلو كل منهما تاج مربع، وقد تم احاطة المحراب باطار بارز ذو قطاع مستطيل، كما تم تزيين المحراب أعلى العقد ببلاط خزفي، كما تم ملاحظة أن أرضية المسجد لم يتم ردمها ولا تزال على نفس المنسوب الأصلي عند البناء.



شكل رقم (12): المسقط الافقي لمبنى الزاوية والفراغات المكونة لها.
المصدر: البلوشي وآخرون، 1989.



شكل رقم (13): الصحن المكشوف وقاعة التدريس بمبنى زاوية البازة بزلتين
المصدر: الباحثون، 2024.

ثانياً/ مبنى الزاوية: تشتمل الزاوية على العديد من الفراغات التي تؤدي وظائف عدة، من أهمها قاعات خصصت للدراسة، وخلاوي، وأروقة، ومخازن لحفظ اللوازم والغلال، كما في شكل (12)، كما انها مزودة ببناء يضم الميضية والحمامات، وجميع هذه المشتملات مسقوفة بألواح خشب تستند على جوائز من الحديد أو من الخشب، وللزاوية باب رئيسي مفتوح في الضلع الشرقي يقود إلى صحن مكشوف عبر مجاز فيه مكسلتين (دكتين) والصحن محاط من الجهتين الجنوبية والغربية برواق ذو عقود نصف دائرية محمولة على اكتاف مربعة حديثة البناء، شكل (13)، وخلف الرواق قاعة المدرس قياس ابعادها (5.40 × 9.40م) تتكون من أسكوبين وبجانبها بعض الخلاوي، كما ان الرواق يوصل الى بيت الصلاة والى صحن آخر مربع الشكل قياس ابعاده (12 × 12.50م) تحيط به من ثلاث جهات معظم خلاوي الزاوية، ومن الجهة القبليّة بيت الصلاة [1].

ثالثاً/ مبنى الضريح: مبنى الضريح هو فراغ

يحتوي قبر الشيخ احمد البازة، وهو عبارة عن

حجرة شكلها اقرب الى المربع قياس ابعادها (5.15* 5.80 م)، كما في شكل (12)، وتوجد ملاصقة لبيت الصلاة من الجهة الجنوبية، ذات جدران سميكّة بما عقود نصف دائرية محمولة على اكتاف شغلت الزوايا الاربعة للحجرة، وسقف الضريح عبارة عن قبة ذات شكل شبه بيضوي تم تجديدها عام 1916م، كما يتقدم حجرة

الضريح مجاز عل شكل حجرة صغيرة مسقوفة بالخشب ولها باب رئيسي على جانبيه نافذتين، ويربطها بحجرة الضريح باب على نفس محور الباب الرئيسي، وهو على هيئة حدوة الفرس وبجانبه ايضا نافذتين، كما توجد نافذة عبارة عن فتحة صغير تطل من بيت الصلاة على وسط حجرة الضريح.

رابعاً/ المئذنة: مئذنة زاوية البازة تم تنقيدها حديثا في منتصف القرن العشرين على الطراز العثماني، كما في شكل (10)، وهي مئذنة دائرية الشكل تشبه قلم الرصاص، بها شرفة واحدة يعلوها راس هرمي مدبب، كما ان هناك بجانب المئذنة سلم يتكون من تسع درجات يتم بواسطته الصعود الى السطح العلوي لمبنى الزاوية.

زاوية الفواتير السبعة:

تعتبر زاوية الفواتير السبعة من اشهر واقدم الزوايا في مدينة زليتن، التي كان لها دور كبير في تعليم ونشر العلوم الدينية الاسلامية، وقد أسسها الشيخ عثمان بن محمد بن بركة حوالي سنة (1270هـ/1853م) وأوقف عليها هو وأخوه محمد بن بركة أوقافاً كثيرة، وفيها حجر كثيرة أعدت لسكن طلاب العلم وطلبة القرآن، شكل (14)، ومن اوقاف الزاوية المتعددة يتم الصرف على ما تحتاج إليه من إصلاح وترميم، وتقديم إعانات لطلبة العلم والقرآن الذين جاءوا إليها من عدة بلدان بعيدة ولازالت الزاوية تقوم بمهمتها التعليمية إلى يومنا هذا [4].



شكل رقم (14): مبنى زاوية الفواتير السبعة (القديمة) بزليتن - ليبيا.
المصدر: الباحثون، 2024.

وتوجد الزاوية في منطقة السبعة والتي اخذت اسمها من اسم الزاوية، جنوب شرق مدينة زليتن بنحو (7 كم) وغرب بلدة الفواتير بزليتن بنحو (5 كم)، وقد سميت الزاوية بهذا الاسم نسبة إلى أولاد سليمان السبعة المدفونين في مشهدها، وهم جدود الفواتير الذين ينتسب إليهم الشيخ عبدالسلام الأسمر الفيتوري الممتوفي سنة 981هـ وضريحه بالقرب من الزاوية الاسمرية بزليتن، ويقول سعدي الدراجي: أن سليمان مات في معركة وقعت مع الإفرنج في طرابلس، ودفن بجوار الشيخ عبدالله الشعاب قرابة الساحل في مدينة طرابلس عاصمة ليبيا [1].

وقد مدحها شاعر ليبيا الشيخ المرحوم أحمد الشارف بقصيدة منها:

للّٰه زاوية بأسفل ماجر ذات الفتوح ومهبط الأجداد
اللّٰه شرفها بأكرم منزل يا حبذا المغني وذلك الوادي [4].

التكوين المعماري لمبنى الزاوية:

تم بناء زاوية السبعة القديمة على سفح منطقة جبلية تُعرف برأس الفوقة بزليتن، وقد كانت قبل اعمال الازالة والترميم تضم أربعة زوايا، وكل زاوية بما عدّة غرف (خلاوي) وصهريج ماء (ماجن)، وقد تم ازالة معظمها واقيمت مكانها مرافق

اخرى، وموضوع بحثنا هو الزاوية القديمة التي لازالت تحافظ على تفاصيلها وعناصرها المعمارية وتعتبر من الكنوز الاثرية القيمة بمدينة زليتن، والتي تحتوي المخل الرئيسي وبيت الصلاة والصحن المكشوف المحاط باروقة تحي بها عدة غرف(خلاوي).

ويأخذ مبنى الزاوية القديمة الشكل الاقرب الى المربع منه الى المستطيل فياس ابعاده (22 * 19.50) ذو حوائط سميكّة يقارب سمكها المتر، محاطة من الخارج بحوائط سائدة تم بنائها من الحجارة والجص، وتتكون مبنى الزاوية من العناصر الآتية:



شكل رقم (15): مجاز المدخل الرئيسي بمبنى زاوية الفواتير السبعة (القديمة)

اولا/ المدخل الرئيسي: ويتم الدخول اليه من الجهة الجنوبية الشرقية (جهة القبلة) عبر باب بارتفاع 2 متر وعرض مترا واحدا، يعلوه عقد خموس، يؤدي الى بهو (مجاز) على شكل ممر مستطيل طوله (9.85 م) وعرضه (1.65 م) مسقوف بقبو نصف برميلي محمول من الجانبين على اربعة عقود نصف دائرية تتركز على اكتاف ضخمة متداخلة مع الجدران، كما في شكل (15)، وتوجد على يمين الممر مكان الميضأة القديمة " غير مستعملة" فراغها مسقوف بقبو نصف دائري وكانت تحتوي على دكة جلوس طويلة تقابلها دكة بما عدة صحن خزفية تستعمل للوضوء ينساب اليها الماء من بئر قريبة ويتم تصريف المياه عن طريق مجرى بين الدكتين، وفي نهاية الممر يوجد حمام صغير "غير مستعمل" سقفه منخفض من الخشب كانت فوقه

حجرة (خلوة) يتم الوصول اليها عن طريق سلم ملاصق للحمام، ويتم منه ايضا الصعود الى سطح الزاوية، كما يوجد بممر المدخل على الجهة اليسرى دكة للجلوس، وايضا مدخل لبيت الصلاة يعلوها عقدان نصف دائريان

مدججان مع الجدار.

ثانياً/ بيت الصلاة: ويتم الدخول اليه من المخل الرئيسي من باب يوجد على يسار الداخل، كما هو موضح في شكل (16)، وهو عبارة عن فراغ مستطيل الشكل قياس ابعاده (10.90 * 6.30 م)، مقسم الى ثمانية



شكل رقم (16): بيت الصلاة بمبنى زاوية الفواتير السبعة (القديمة) بزلتين.
المصدر: الباحثون، 2024.

فراغات كل منها مسقوف بقبة لا توجد بها نوافذ ولا زخرفة مرتكزة كل منها على اربعة عقود نصف دائرية، تصل في مجملها الى اثنان وعشرون عقدا تحملها عدد خمسة عشر عمودا من الطراز الروماني، منها ثلاثة اعمدة دائرية في منتصف بيت الصلاة، والاخرى ذات مقطع مربع متداخلة مع الجدران، وتعلو هذه الاعمدة تيجان مربعة الشكل، ماعدا العمود الاوسط الذي يزينه تاج من النوع الكورنثي، ويوجد ببيت الصلاة محراب بسيط خالي من الزخرفة والنقوش، يشير الى اتجاه القبلة ويحتل مكان احد

العقود المتداخلة مع جدار القبلة، وهو محراب مجوف مسقطه نصف دائري غائر داخل كتلة تبرز حوالي ثلاثون سنتيمترا عن جدار القبلة، تتوجه نصف قبة يتقدمها عقد محموس يرتكز على عمودين من الحجارة المنحوتة، يزين كل منهما تاج مربع الشكل، كما توجد ببيت الصلاة نافذتين على جانبي المحراب في جدار القبلة قياس ابعاد كل



شكل رقم (17): الصحن بمبنى زاوية الفواتير السبعة (القديمة) بزلتين، ويظهر الرواق المحيط بالصحن، ومداخل الخلوات.

منهما (50 * 60 سم) تستخدمان لادخال لاضاءة والتهوية الطبيعية لبيت الصلاة.

ثالثاً/ الصحن: ويوجد في الجهة الشمالية الغربية من مبنى الزاوية ويتم الدخول اليه من ممر المدخل الرئيسي، شكل (17)، وهو عبارة عن صحن مكشوف مستطيل الشكل قياس ابعاده (5.90 * 9.20 م) وتحت ارضيته خزان مياه الشرب "ماجن" ويحيط بالصحن من الجهات الاربعة رواق سقفه من الخشب وتفصله عن الصحن عشرة عقود نصف دائرية ترتكز على عشرة

اعمدة دائرية قصيرة بارتفاع (1.50 متر) تعلوها تيجان مربعة، كما تزين الرواق عدد ثمانية عقود اخرى نصف دائرية عقدان في كل زاوية من زوايا الرواق الاربعة، كما توجد بجانب الرواق من الجهة الشمالية والغربية والجنوبية عدد احدى عشر غرفة صغيرة (خلوة) مساحة كل منها ستة امتار مربعة وقياس ابعادها (3 * 2 م) تنخفض ارضيتها على ارضية الرواق بمقدار (20 سم) نتيجة لاعمال ردم بارضية الصحن والاروقة، وتفتح الخلوات كل منها على الرواق بمدخل صغير بعرض (70 سم) وارتفاع (1.10م) بعضها متوج بعقد نصف دائري والبعض الآخر بعتبة مسطحة وتعلو كل باب فتحة صغيرة للتهوية والاضاءة.

النتائج:

1. تزخر ليبيا عموما ومدينة زليتن بشكل خاص بوجود العديد من المباني التاريخية الاثرية التي تعتبر من الكنوز الوطنية التي يجب صيانتها والمحافظة عليها لما لها من قيمة تاريخية كبيرة، ودور كبير في عملية التنمية الحضرية العمرانية.
2. معظم هذه المباني والتي تتمثل في الزوايا والمساجد لا زالت تؤدي دورها في التعليم الديني وتحفيظ القران الكريم ونشر الثقافة الدينية والقيم العربية والاسلامية محليا وعالميا.
3. القيام وبشكل غير مسؤول بازالة العديد من هذه المباني اما لاغراض التطوير او لاعتبارات عقدية، وذلك من قبل بعض الجهات والاشخاص، مما يعد هدر وضياح للثروة الوطنية وللقيم التاريخية والموروث الحضاري.
4. اجراء اعمال الصيانة والاضافات لبعض هذه المباني الاثرية دون الرجوع الى المواصفات والاسس الفنية واهل الاختصاص في اجراء مثل هذه الاعمال، وازافة عناصر معمارية بانماط وطرز غريبة وشاذة واستعمال مواد بناء غير مناسبة لمثل هذه المباني.

التوصيات:

الاهتمام بدراسة وتوثيق جميع المباني التاريخية والاثريه وخاصة المساجد والزوايا القديمة ووضع ارسيف يضم جميع المعلومات التاريخية والمعمارية والانشائية لهذه المباني باعتبارها قيمة تاريخية وعلمية يجب الحفاظ عليها. المحافظة على هذه المباني وذلك باجراء اعمال الصيانة الدورية اللازمة لها وفق الشروط والمواصفات الفنية المناسبة، وتحت اشراف جهات هندسية مختصة.

عدم ازالة المدن والمباني الاثرية التاريخية بشكل عام وخاصة مباني الزوايا والمساجد القديمة لاي سبب كان. انشاء اجهزة وادارات متخصصة لحماية المباني الاثرية وتفعيل الموجود منها لمراقبة اي تعديلات على هذه الاثار سواء اعمال الازالة او الاضافات المشوهة للطابع المعماري لهذه المباني.

تطبيق اللوائح والقوانين الخاصة بالمحافظة على المدن والمباني الاثرية، وانزال العقوبات بالمخالفين لها والمتسببين

بشكل مباشر او غير مباشر في المساس بهذه المباني او تشويهها او احداث اي تغيير يؤثر على ادائها الوظيفي او طرازها المعماري.

الاستمرار بعمل الدراسات والابحاث العلمية وتشجيع المهتمين بها من اجل دراسة وتوثيق المباني التاريخية الاثرية وصيانتها والحفاظ عليها من اجل التنمية العمرانية والاستدامة الحضريّة.

المراجع والمصادر:

- [1] الدراجي، سعدي ابراهيم. زليتن دراسة في العمارة الاسلامية، جامعة بنغازي، بنغازي - ليبيا، الطبعة الاولى. 2012، ص 24، 83 - 86، 121 - 125، 130 - 141.
- [2] ابن خلدون، عبد الرحمن . العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاهدتهم من نوي السلان الاكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان. 1959، م7، ص 10 - 12.
- [3] ابن حزم الأندلسي، ابي محمد علي بن أحمد. جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الاولى. 2001م، ص 498 .
- [4] الزاوي، الطاهر أحمد. معجم البلدان اللبية، دار الاتحاد العربي للطباعة، طرابلس. 1968م، ص 162، 170، 158، 159، 294.
- [5] لاشيلا، باولودي،. أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة في عام 1817م، ترجمة: الهادي مصطفى أبو لقمة، منشورات دار مكتبة الفكر، طرابلس، (د. ط). ص 40، 41.
- [6] الزركشي، محمد بن عبد الله. إعلام الساجد بأحكام المساجد، تح: أبو الوفاء مصطفى المراغي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د. ط). 2010م، ص 26.
- [7] البلوشي، علي مسعود. موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا ، منشورات مصلحة الآثار ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ط 1. 1989م ، ص 209.
- [8] مقابلة شخصية، أجريت مع عطية علي سالم الحسين موسى أبو حجر أحد أحفاد الشيخ الحسين بن موسى ابن أحمد بن موسى أبو حجر الذي بني مسجد العرصة يوم الأربعاء 16 رمضان 1445 للهجرة الموافق 26 مارس 2024م.
- [9] وثيقة غير مصنفة، طلب مرفوع من قبل وجهاء الحجابة وعلماؤها إلى يوسف باشا القرماني، ذكر بها جامع العرصة بقرية الحجابة إحدى قرى يزلتين ، مؤرخ في سنة 1210 هجرية الموافق 1795م، وهي بحوزة الحفيد عطية علي سالم الحسين موسى.

- [10] وثيقة غير مصنفة، شهادة بثبوت صلاحية الشيخ الحسين بن موسى بن أحمد بن موسى أبو حجر في جامع العرصة بقرية حجاجة، مؤرخة في 5 محرم 1311 هـ، وهي بحوزة الحفيد عطية علي سالم الحسين موسى.
- [11] البلوشي، علي مسعود، وآخرون. موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، الجزء الثاني، مصلحة الآثار، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس - ليبيا، البعة الأولى. 1989.
- [12] ابن غليون، ابو عبدالله محمد بن خليل. التذكار فيمن ملك رابلس وما كان بها من الاخبار، تصحيح: الطاهر احمد الزاوي، دار المدار الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى. 2004، ص 294.

محور الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني

تطور عمارة مسجد وزاوية الشيخ عبدالسلام الاسمر بمدينة زيتن

عبر القرون 912 هـ 1491م

د/ عمر علي الأمين ، د. فوزي محمد عقيل ، د. عياد عبدالله ابورويص ،
1 . استاذ مساعد بقسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني بكلية الهندسة ، جامعة المرقب، الخمس ، ليبيا .
omar3228570@gmail.com ،

aaalameen@elmergib.edu.ly

2 . استاذ مساعد بقسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني بكلية الهندسة ، جامعة المرقب، الخمس ، ليبيا ،

fawzi666@elmergib.edu.ly

3 . استاذ مساعد بقسم العمارة كلية التقنية الهندسية ، مسلاته ، ليبيا

aaaburawis@ftem.edu.ly

ملخص: المباني الدينية الموجودة حالياً في ليبيا ، تمثل جزء كبير من خصائص وسمات العمارة المحلية وهي التي تمثل أيضاً مفهوم العمارة المحلية ولهذا النوع من العمارة خصائص تتغير عبر التاريخ وتتناول هذه الورقة (تطور عمارة مسجد الشيخ عبدالسلام الاسمر بمدينة زيتن عبر القرون 912 هـ 1491م) ومؤسسها الشيخ عبد السلام الاسمر الفيتوري حوالي سنة 912 هـ 1491 م بمدينة زيتن بغرب ليبيا، وحملت منذ ذلك الوقت اسم مؤسسها، وعُدت هذه الزاوية أحد أهم المراكز الإسلامية في ليبيا وذلك لدورها الكبير في نشر تعاليم الإسلام منذ أكثر من خمسة قرون.. والتي تمثل نموذجاً محلياً لعمارة المساجد والزاويا القرآنية وذلك من خلال دراسة التطور المعماري والتخطيطي لمسجد وزاوية الشيخ عبدالسلام الاسمر منذ تأسيسها حتى يومنا هذا . ويركز البحث على تطور عمارة المساجد والزاويا القرآنية عبر دراسة عمارة مسجد وزاوية الشيخ عبدالسلام الاسمر ذات التاريخ العريق من خلال دراسة الأسس والمعايير المستخدمة في عمارة هذا الصرح العظيم الذي يعتبر اهم المعالم الذي تميز مدينة زيتن منذ قرون وحتى يومنا هذا محلياً وعالمياً. وتهدف هذه الورقة لأحياء العمارة المحلية من خلال دراسة عناصر ومكونات هذا الارث المعماري وابرار دوره قديماً وحديثاً و تأكيد ما تتميز به من خصائص معمارية وتخطيطية ووظيفية يمكن توظيفها كأحد العناصر والخصائص التي يجب اتباعها مستقبلاً لتطوير المساجد والزاويا القرآنية عمارة وتخطيطاً. وتؤكد نتائج هذا البحث اهمية تخطيط المدينة دراسة هذا النمط من المساجد والزاويا القرآنية

وتأكيد هويتها للعمارة المحلية عبر الزمن. وقد تم اتباع منهجية البحث و التحليل النوعي التوضيحي وطرق التوليف المقارن لكل المراحل الزمنية لمسجد وزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر تأثيره على معالم المدينة والهوية العمرانية لمدينة زليتن عبر مراحل وجودها . وتؤكد نتائج الدراسة ان لمسجد وزاوية الشيخ عبدالسلام الأسمر تأثيره الفعال على نمط الحياة بمدينة زليتن معماريا واقتصاديا واجتماعيا بالإضافة الى المدن المجاورة وليبيا وشمال غرب افريقيا بشكل عام.

الكلمات المفتاحية: الشيخ عبدالسلام الأسمر , المساجد والزوايا القرآنية , زليتن , العمارة المحلية , ليبيا

1. المقدمة

تأسست على يد الشيخ المرابي الفاضل عبد السلام الأسمر بن سليم الفيتوري في العام 912 هـ الموافق للعام 1506م، الذي وضع لها أهدافا علمية وتربوية لمعالجة الأوضاع السائدة في البلاد في ذلك الوقت، من تفشٍ للأمية وعدم استقرار اجتماعي وسياسي، فمن بين هذه الأهداف تحفيظ القرآن الكريم وتدریس العلوم الشرعة واللغوية كالعقيدة والفقه والحديث والتفسير وعلوم اللغة العربية لأبناء المسلمين، من خلال تنظيم الحلقات الدراسية لطلبة العلم. و تُعتبر هذه الزاوية واحدة من أهم الزوايا في تاريخ ليبيا الإسلامي، حيث بدأت منذ إنشائها بتضمن العديد من الإضافات والتجديدات والترميمات على مر الزمان، وتحديداً في الأعوام 1314هـ/1896م، 1255هـ/1936م، و1379هـ/1959م (عبدالله كامل, د . ت) .

تضم الزاوية بيت الصلاة (المسجد) وضريحاً وميضأة وخلّوي، حيث يقع المسجد في الزاوية الجنوبية الغربية ويتكون من فراغ مستطيل ينقسم إلى أربع بلاطات موازية وعمودية في آن واحد، تغطيها ست عشرة قبة مابين كبيرة وصغيرة بواقع ثماني قباب من كل نوع. وبلي المسجد من الجهة الشمالية الشرقية الميضأة، ومن الجهة الشمالية الغربية عند الزاوية الجنوبية الغربية قبة الضريح. أما الصحن والخلّوي فتقع في الجهة الشمالية الغربية من المسجد، وتشكل كتل المباني مساحة مستطيلة منتظمة الأضلاع. وكانت الخلّوي والميضأة تشغلان فراغاً مستطيلاً وغير متصله بسبب وقوع المسجد، حيث تم نجد الرواق غير ممتد بكامله في الجهتين الشمالية والشرقية بسبب وجود مدخل في الزاوية الشمالية الغربية (سعدي ابراهيم الدراجي ,2003).

2. اهداف الدراسة:

هذه الدراسة تحدف لتوضيح عمارة وتخطيط جمع وزاوية الشيخ عبدالسلام الأسمر مند مئات السنين من خلال تتابع بنائها مند تأسيسها (912هـ -1491م) حتى اليوم التأكيد انها تمثل تاريخ معماري رغم بساطته وتكرار انماطه.

العمل على اصدار توصيات تحدف الاهتمام بالجانب الحضري والمعماري خلال تطوير مبانيها ومرافقها لتبلي

احتياجات مستخدميها (علماء ومعلمين وطلاب)

3. أهمية الدراسة:

- تتمثل أهمية الدراسة بزيادة الوعي بأهمية هذا الصرح العلمي وأهمية الإرث الحضري والمعماري القديم لمبانيه ومكوناته.
- من خلال مقارنة المراحل المختلفة لمباني المسجد والزواية بهدف الهوية المعمارية لغرض تأكيدها أثناء التطوير المستقبلي لمباني ومكونات المسجد والزواية ومرافقه .
- أهمية دراسة هذا النمط من الجوامع والزوايا القرآنية لتخطيط المدينة وتأكيد هويتها للعمارة الحلية عبر الزمن.

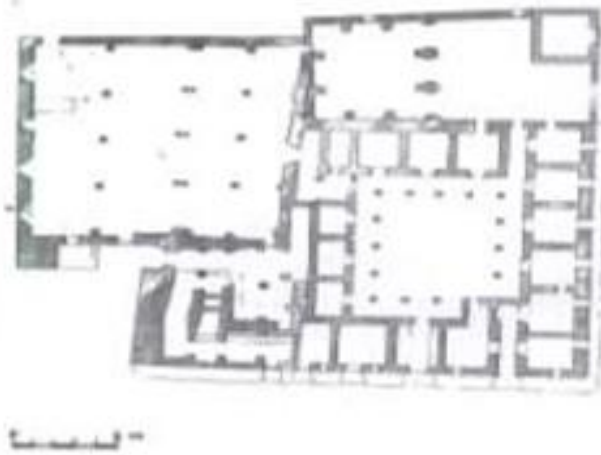
4. نبذة تاريخية

- تأسست على يد الشيخ المرابي الفاضل عبد السلام الأسمر بن سليم الفيتوري في العام 912 هـ الموافق للعام 1506م، الذي وضع لها أهدافا علمية وتربوية لمعالجة الأوضاع السائدة في البلاد في ذلك الوقت، من تفشٍ للأمية وعدم استقرار اجتماعي وسياسي، فمن بين هذه الأهداف تحفيظ القرآن الكريم وتدریس العلوم الشرعية واللغوية كالعقيدة والفقه والحديث والتفسير وعلوم اللغة العربية لأبناء المسلمين، من خلال تنظيم الحلقات الدراسية لطلبة العلم (سهام ميلاد عماري ، 2022). وتعتبر هذه الزواية احدة أهم الزوايا في تاريخ ليبيا الإسلامي، حيث بدأت منذ إنشائها بتضمن العديد من الإضافات والتجديدات والترميمات على مر الزمان، وتحديداً في الأعوام 1314هـ/1896م، 1255هـ/1936م، و1379هـ/1959م، و كان اخرها تسعينات القرن الماضي و جاري العمل على ترميمها جراء ما تعرضت له خلال السنوات الماضية .
- وحسب تقدير الشيخ الطاهر احمد الزاوي اسست زاوية الشيخ عبدالسلام الأسمر في عام 900 هـ ، بينما يذكر عبدالسلام بن عثمان الطرابلسي وهو ما اعتمده معظم الباحث ان بنائها كان عام 911هـ 1563م أي قبل وفاة الشيخ عبدالسلام الأسمر بعشر سنوات فقط (رحومة حسين ابوبكر ، 2006).

1.4 فراغات وعناصر زاوية الشيخ عبدالسلام الأسمر القديمة

مسجد على الطراز العثماني لأن المسجد الأصلي كان صغير المساحة مسقفا من جدوع اشجار النخيل وجريدها ومع ذلك بقايا جدران واعمدة تعود الى وقت التأسيس وكان خاليا من الزخارف وتتضمن الزواية بناء المسجد وضريح وميضأة وخلوي. يقع المسجد في الزاوية الجنوبية الغربية ويتكون من فراغ مستطيل ينقسم إلى أربع بلاطات موازية وعمودية في آن واحد، تغطيها ست عشرة قبة مابين كبيرة وصغيرة بواقع ثماني قباب من كل نوع (علي مسعود البلوشي ، 2009) . يلي المسجد من الجهة الشمالية الشرقية الميضأة، ومن الجهة الشمالية

الغربية عند الزاوية الجنوبية الغربية قبة الضريح. أما الصحن والخلاوي فهما في الجهة الشمالية الغربية من المسجد، وتشكل كتل المباني مساحة مستطيلة منتظمة الأضلاع. بينما الخلاوي والميضأة كانت تشغل فراغ مستطيل وغير متصلة بسبب وقوع المسجد. تم نجد الرواق غير ممتد بكامله في الجهتين الشمالية والشرقية بسبب وجود مدخل في الزاوية الشمالية الغربية (سعدي ابراهيم الدراجي , 2003) اشكال (1- 4) .



شكل (1) المسقط الأفقي لزاوية ومسجد الشيخ عبدالسلام الاسمر القديمة
المصدر: الموسوعة الأثرية الليبية



<https://www.facebook.com/photo/?fbid=8654255>

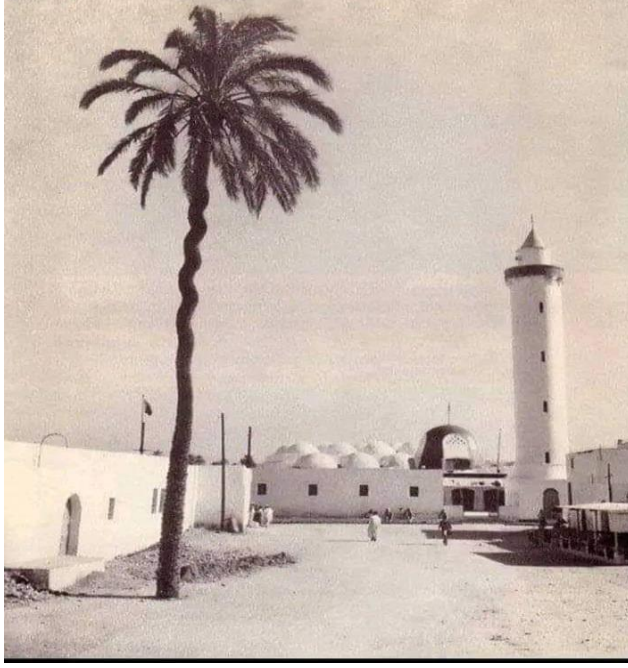


شكل (2) صورة قديمة للنمط المعماري للجامع القديم

المصدر: 11625012&set=a.812387516928812&locale=th_TH



شكل (3) منظر عام للجامع القديم - المصدر: الموسوعة الأثرية الليبية



شكل (4) منظر عام للجامع القديم
المصدر: الموسوعة الأثرية الليبية

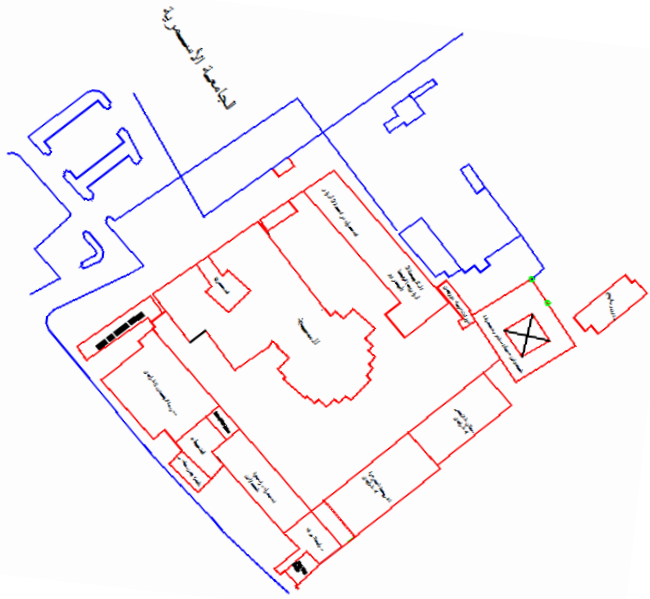


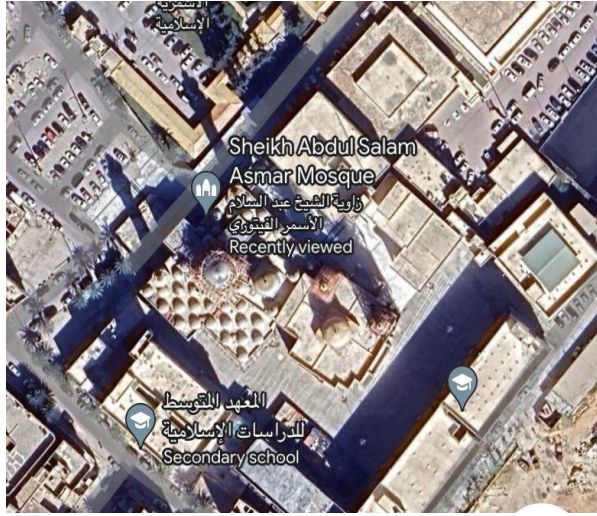
شكل (5) منظر عام للجامع القديم - 1941م
المصدر: الموسوعة الأثرية الليبية

5. اعادة بناء زاوية الشيخ عبدالسلام الأسمر القرن العشرين

ببداية القرن العشرين، شهدت الزاوية الأسمرية تطورا عمرانيا يشمل توسعة بيت الصلاة وإضافة حجرات لسكن الطلاب ومرافق خدمية أخرى. كما زاد عدد المشايخ والطلاب والضيوف الذين يزورون المكان، مع قدوم عدد من العلماء لتدريس العلوم (بعد استكمال دراستهم في الجامع الأزهر بمصر أو جامع الزيتونة بتونس) في الزاوية الأسمرية وغيرها في ليبيا.

تم تطوير نظام تعليمي حديث في المؤسسة يشبه الجامع الأزهر، مع مراحل ومناهج دراسية وشهادات علمية ومعلمين مؤهلين. وهكذا، تحول المعهد الأسمرى الديني من زاوية إلى مدرسة علمية تدرس العلوم الشرعية واللغوية وتمنح شهادات علمية للطلاب بنمط حديث. وخلال عام 1995م تم تأسيس الجامعة الأسمرية الإسلامية استكمالاً لتطور زاوية الشيخ عبد الأسمر وإدائه دورها محليا وعالميا . وبنفس الفترة تولت الإدارة المحلية خلال العقد الأخير من القرن الماضي تنفيذ المسجد ومرافق الزاوية المتمثلة بالفصول الدراسية ومرافقها (القسم الداخلي ومكملاته) وكذلك المبنى الرئيسي للجامعة الأسمرية شكل (7 و 6).

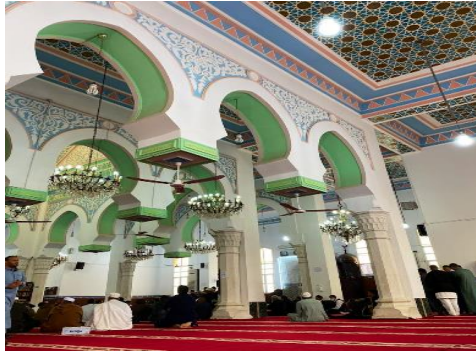




شكل (6) توزيع الكتل المكونة لزاوية وجامع الشيخ عبدالسلام الأسمر
خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين
المصدر ؛ البحات 2024م



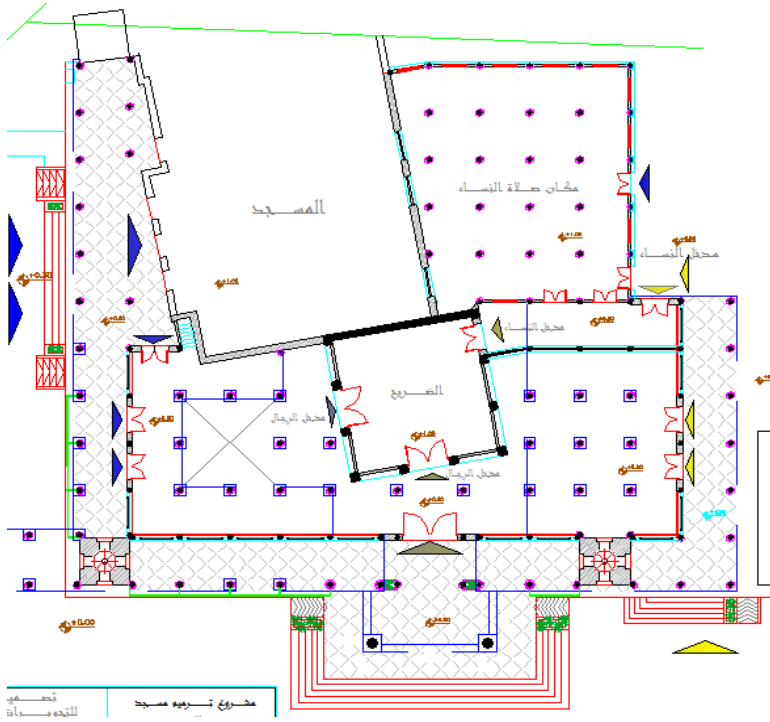




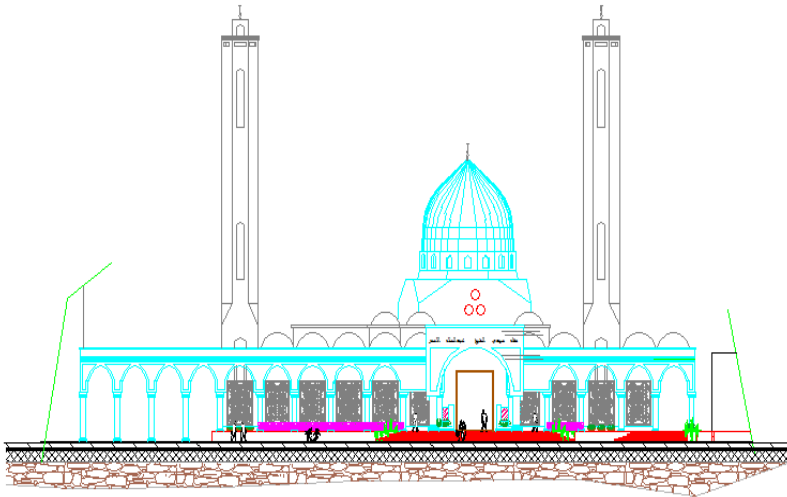
شكل (7) إعادة بناء زاوية الشيخ عبدالسلام الأسمر خلال القرن العشرين
المصدر ؛ نظارة زاوية الشيخ عبدالسلام الأسمر

6 ترميم وتطوير زاوية الشيخ عبدالسلام الأسمر:

مند السنة الماضية تولت نظارة الزاوية بدعم من الحكومة على صيانة وترميم الزاوية ومرافقها تشمل إعادة بناء الجامع وصيانة مرافقه وفق التصاميم والدراسة المعدة بالتعاون مع استشاريين والشكل (8) يوضح تطوير المساقط الأفقية وتصميم الواجهات الخاصة بالمشروع.



شكل (8) مشروع صيانة وتطوير زاوية الشيخ عبدالسلام الأسمر



شكل (9) مشروع صيانة وتطوير زاوية الشيخ عبدالسلام الأسمر
المصدر ؛ نظارة زاوية الشيخ عبدالسلام الأسمر

7 المناقشات

من خلال عرض التسلسل التاريخي للمراحل المعمارية التي مرت بها زاوية الشيخ عبدالسلام الأسمر مند نشأتها نلاحظ:

- 1 . تأسس جامع وزاوية الشيخ عبدالسلام الأسمر اسوة بنظيراتها بمختلف ارجاء الوطن من حيث عناصر تكوين الفراغات والنمط المعماري والمواد المستخدمة في التنفيذ حسب ظروف كل مرحلة من مراحل تطورها او اعادة بنائها.
- 2 . لم تختلف انماطها المعمارية وهويتها فقد تأثرت كل مرحلة بالوضع السياسي والاقتصادي الليبي
- 3 . لم يلاحظ وجود نمط معماري موحد او حتى تشابه لكل مراحل التطوير او اعادة البناء و ربما يرجع الى :

- لعدم توفر الخبرات الفنية (مهندسي متخصصين في مجال العمارة والتخطيط العمراني)
- عدم اهتمام الأدرات المحلية بمختلف مستوياتها والحكومات المتعاقبة بهذا الجانب الحضري المهم
- قلة الإمكانيات والموارد التي ترصد للترميم والتطوير وعادة ما تكون هبات من مصادر مختلفة

8 التوصيات

- باعتبار ان زاوية الشيخ عبدالسلام الأسمر من اشهر الزوايا على المستوى المحلي والدولي ومن خلال ماتم دراسته بهذه الورقة نوصي بما يلي:
- 1 . الاستمرار في التطوير ومحاولة ايجاد نمط معماري يجسد العمارة المحلية التي تراعي الظروف المحلية المختلفة.
 - 2 . العمل على تحديث العناصر المعمارية والثانوية للمساجد وزوايا تحفيظ القرآن.
 - 3 . تحديد وتحديث المواصفات للعناصر المعمارية والتخطيطية للمساجد وزوايا تحفيظ القرآن.
 - 4 . مزيدا من الدراسات من قبل ذوي الاختصاص في مجال عمارة المساجد

المصادر و المراجع

- حسين مؤنس (1978) المساجد ، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت
- الحماية والارتقاء . (بدون تاريخ). المباني التاريخية واللائحة التنفيذية. طرابلس: منشورات جهاز إدارة المدن التاريخية.

رحومة حسين ابوبكر (2006) الزاوية الأسمرية العلمية بزليتن ودورها التربوي في ليبيا (1935-1957)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ط1.

سعدى ابراهيم الدراجي (2003) دراسة في العمارة الإسلامية ، زليتن ، ط1.

سهام ميلاد عماري (2022) العمارة الإسلامية بمدينة زليتن (مسجد وزاوية عبد السلام الأسمر مسجد وزاوية أحمد الباز أنموذجاً) مجلة العلوم الإنسانية، المجلد (37) خاص بالمؤتمر العلمي الأول لقسم التاريخ، نوفمبر .

عبدالله كامل (د.ت) دراسات في آثار الوطن العربي4 ، الزوايا في العمارة الدينية الليبية خلال العصر العثماني ، دراسة حضارية أثرية.

علي مسعود البلوشي (2009) تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهد العثماني والقرماني 1551-1911م نشأة ونمو وتطور أنماط المساجد الليبية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس ليبيا.

علي مسعود البلوشي وآخرون (1989) ، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا ، منشورات الآثار الإسلامية العالمية ط1.

غاسبري ميساننا (1972) المعمار الإسلامي في ليبيا. ترجمة على الصادق حسنين الناشر. مصطفى العجيلي طرابلس الغرب.

عبد الصمد عبد القادر عبد الصمد (2022)، وصف بلاد زليتن من خلال كتابات المؤرخين والجغرافيين والرحالين المغاربة في العصر الوسيط ، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد (73) خاص بالمؤتمر العلمي الأول لقسم التاريخ ، جامعة وادي الشبطي ليبيا.

الشيخ خليفة صوي (صومعة الخير والتقوى)

أ. كامل سعيد ورغ

م. هبة كامل ورغ

المقدمة:-

هذا البحث من البحوث التاريخية التي تتناول شخصيات جلييلة ومرموقة في المجتمع، واعتمدا هذا البحث على المنهج التاريخي الاستقصائي لدراسة شيخ جليل وعلامة فده من سكان الجبل الغربي وبالتحديد مدينة نالوت وقرية تكويت المجاورة.

تناولنا في هذا البحث قصة حياة هذا الشيخ الجليل والعالم، وكذلك تناولنا أعماله ومسيرته في تعليم وتحفيظ القرآن الكريم واهتمامه بالإفتاء في المنطقة جعله محل تقدير واحترام من جميع سكان الجبل وغيرهم، ويعتبر العلامة الشيخ (خليفة الصوي) من أوائل الفقهاء والعلماء الذين درسوا القرآن، حيث فتحوا كتابا وهو عبارة عن (غار) لتحفيظ القرآن الكريم في مدينة نالوت.

وقد تناولنا سيرته الذاتية والعلمية بالتفصيل رغم قلة وشح المصادر الموثقة إلا اشارات عابرة هنا وهناك.

وقد استخدمنا المنهج الاستقصائي للبحث والتحري عن المعلومات الخاصة بهذه الشخصية من خلال بعض الروايات والحكايات والسرد الشعبي، وقد لقينا صعوبة كبيرة في التحقيق من بعض الروايات والتي نشرنا منها في تنايه هذا البحث.

نلتمس منكم عذرا إذا كان هناك تقصير لعدم وجود مراجع نلجأ إليها ونتمنى أن نكون قد وفقنا في توثيق بعض المعلومات التي تحصلنا عليها.

هذا للعلم.....

أهمية البحث:-

تتركز أهمية هذا البحث حول شخصية علامة وشيخ جليل ساهم في نشر الاسلام وتعاليمه بالمنطقة. يعتبر هذا البحث ذو أهمية وخصوصية نتيجة بما قدمه من معلومات على هذا الشيخ الجليل، وأعماله التي ساهمت في إرسال قواعد الأمن الاجتماعي والاستقرار لسكان هذه المنطقة. يعتبر هذا البحث المتميز ذا أهمية نظرا لاحتوائه على معلومات تنشر لأول مرة عن تاريخ هذا الشيخ العلامة (خليفة الصوي).

أهداف البحث:-

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالشيخ (خليفة الصوي) وجلي أعماله. يعتبر هذا البحث وثيقة نفوخ لحياة الشيخ الجليل. يهدف هذا البحث إلى اظهار ما كان مخفيا في السابق ولم يتم تناوله من أحد حول أعمال الشيخ الجليل.

منهج البحث:-

ل كي يحقق البحث أهدافه استخدمنا المنهج التاريخي الاستقصائي للوصول إلى مكامن المعلومة واستخراجها والتحقق منها.

حدود البحث:-

الحدود المكانية:- مدينة نالوت وقرية تكويت المجاورة.
الحدود الزمنية:- قدم هذا البحث في مؤتمر غدامس في 2024م.

تساؤلات البحث:-

1. ما العلاقة بين أهالي تكويت والشيخ العلامة (خليفة صوي).
2. كيف نفهم التأثيرات الجانبية على حياة العلامة الشيخ خليفة ودوره في إرساء دعائم السلم الاجتماعي في المنطقة.
3. كيف يمكن فهم دور التوعوي والتعليمي الذي استخدمه الشيخ العلامة (خليفة الصوي).

ولكي يتم الإجابة على هذه التساؤلات عشنا أولا:-

- أ. نسب خليفة الصوي.
- ب. هجرته غربا وتعلمه القرآن الكريم وأحكام الدين.

- ت. عودته إلى قريته ثم المدينة وما لاقاه من تحديات وصعوبات في البداية.
4. استقراره في نشر الدعوة والإفتاء وتعليم القرآن الكريم في الغار بجانب الغار الذي سكن فيه.
5. بناء مسجده والمراحل التي مر بها إلى الآن.

المبحث الأول:-

نبذة عن قرية تكويت ومدينة نالوت :- أولاً: قرية تكويت :-

وهي قرية قديمة جدا جدورها ضاربة في أعماق التاريخ، وأهلها من الأوائل الذين جاءوا إلى هذه المنطقة وهذا (حسب الروايات التاريخية)، ويعتبر قصرها من أقدم قصور التي شيدت في هذه المنطقة، وشيد فوق تلة صخرية تنحدر على شكل مخروط من جميع الجوانب ومنعزلة ويطل قصرها على ما حوله من الأراضي الفسيحة، وقد شيد على نمط العمارة الأمازيغية القديمة من استعمال الموارد المتاحة محليا كالحجارة والجبس وأغصان الأشجار وبعض جدوع النخيل.

وتقع هذه القرية إلى الشمال الشرقي من مدينة نالوت وتبعد عنها بحوالي خمسة عشر كيلومترا، ويربطها حاليا طريق معبد من بوابة نالوت في اتجاه الغرب إلى أن يصل إلى وازن على الحدود التونسية الجنوبية. (1246) ويعتبر عدد سكانها قليلا أصلهم ينحدر من عائلة الصوي التي سكنت هذا القصر، ويمارسون الزراعة والرعي الحيوانات منذ القدم.

ينحدر أصل ونسب (الشيخ خليفة الصوي من عائلة الصوي) ويعتبر أحد أنجب أبنائها.

ثانياً: مدينة نالوت:-

تعتبر نالوت الواحة الجبلية كما وصفها (جون ألبرت)، وهي مدينة عريقة عراقية أهلها وتمتد فوق سفح الجبل الغربي حيث تلفها الجبال والوديان من جميع الجهات إلا منفذاً أو معبر في الجهة الغربية يربطها بباقي الجبل، وتكثر فيها العيون والغابات على سفوح الجبال ومنها عين الدقيجة غربا، وغابة المالحة وصدرة شمالا، وغابة تالة وديبر شرقا، وجنوبا غابة الحسيان، تربطها عدة طرق منها الطريق القادم من العاصمة بمسافة 270 كم، وطريق يربطها بوازن غربا بطول 60 كم، وطريق يربطها جنوبا إلى الجنوب الغربي بغدامس بطول 300 كم. 247

246 كتاب القصور والطرق، إبراهيم الشماخي، ليبيا 2005.

247 مهمة جوية في الصحراء التونسية، جون ألبرت، 2009.

وهي من أقدم المدن إداريا وسياسيا، حيث اتخذها العثمانيون مقرا لهم في المنطقة الغربية، وتم من بعده الاستعمار الإيطالي، فالحكومة الملكية وكذلك الحكومات التي جاءت بعد ذلك. يتجاوز عدد سكانها 25000 ألف نسمة أو يزيدون وأغلبهم موظفون بديوان الحكومة، ويمارسون أنشطة متعددة كالزراعة (بعلية ومروية)، والتجارة، وتربية الأغنام والمواشي.

الشيخ الفاضل القدير خليفة الصوي:-

أولاً: نسبه:-

رغمًا قلة المراجع والوثائق التاريخية التي تحدد نسبه إلا أنه لم نستطع تحديد نسبه إلا من خلال الرواية الشفوية المتداولة، حيث ينتسب الشيخ خليفة الصوي إلى عائلة الصوي التي سكنت قصر تكويت، 248 ويعتبر أحد أبنائها النجباء المتميزين، وحسب بعض الروايات أنه هاجر إلى جربة مع عائلته ومع بعض العائلات التي هاجرت في تلك الفترة نظرا لصعوبة الحياة في المنطقة، ثم التحق بجامع الزيتونة بالقيروان وهناك تعلم القرآن وأحكام الدين والفقه. 249

ثانيا: هجرته:-

ورد في أحد الروايات أنه هاجر غربا إلى جامع الزيتونة حيث تعلم فيه أحكام الدين وحفظ القرآن الكريم، ويرجح أن تكون هذه الرواية أصدق الروايات لما تتضمنه من أن أهالي الجبل كانوا يملكون ديارا حول المسجد أو وقفا يستعمل لسكن الطلاب الذين يأتون من جبل نفوسة لدراسة وتعلم أحكام الدين في الجامع، وكذلك كانت هناك طريقة تتبع في إرسال الطلاب إلى الجامع من جبل نفوسة حيث تتبع الإجراءات التالية: عندما يرغب طالب في تعلم القرآن وأحكام الدين في جامع القيروان يتم إرساله إلى ذهيبية لشخص معروف لدى أهل الجبل ثم بعد ذلك يصله هذا الشخص إلى آخر في تطاوين، وهذا الأخير يوصل هذا الطالب إلى مدينين ثم قابس ثم القيروان حيث يستلمه الشخص المكلف بالطلبة الوافدين من جبل نفوسة وكل هؤلاء يتقادون أجرهم من وقف أهل جبل نفوسة.

هذا يدل على صحة هجرته ودراسته في جامع القيروان، إلا أن هناك روايات أخرى لم نتحقق منها كهجرته إلى المغرب أو الغرب وهذا يقصد به هجرته إلى جامع القيروان غربا، أما الرواية الثانية التي لم نجد ما يناظرها ولم نتحقق منها فهي هجرته إلى الأزهر.

248 معجم اعلام الإباضية، مجموعة من الكتاب، الجزائر 2000م.

249 شاهد عيان، سعيد أبو صوة، تكويت 2024م.

المبحث الثاني:- ثالثا: رجوعه إلى بلدته :-

عاد الشيخ العلامة خليفة الصوي إلى قريته بالقطر الليبي وبالطبع كانت الرحلة مشيا على الأقدام سالكا نفس مسار الهجرة وبنفس الطريقة.

وكان الشيخ على علم بوجود الشيخ (فاضل) في مدينة نالوت إماما لمسجد يعلى (يقال في إحدى الروايات الشفوية أن الشيخ فاضل هاجر من جربة إلى مدينة نالوت أثناء وجود الشيخ خليفة فيها وكان تربطه علامة وثيقة أثناء تواجد الشيخ خليفة في جزيرة جربة أثناء هجرته الأولى مع والده). هذه الرواية لم يتحقق منها من خلال مصادر أخرى أو وثائق تبين هذه الرواية.

هكذا عندما وصل الشيخ خليفة إلى الطريق المعهودة في الصعود إلى نالوت وأثناء مروره بغابة صدرا (تونين)، وهي من أملاك أسرته عندما هم لشرب الماء من عين عائلة الغابة فصاح به أحدهم بأعلى صوته هذا فرد من تكويت، ففزعوا عليه بعصيهم وفؤوسهم وحاصروه من جميع الجوانب، فقفز من أعلى الجرف يعرف (بقطارة التففايين)، ومر مسرعا لم يصبه أدى فلما رأى كبيرهم هذا المشهد قال لهم أتركوه فإن الملائكة تحرسه، وأتخذ سبيله بمحادة الجبل إلى عين تاله أسفل نالوت، جلس تحت ظل النخلة وبدأ يفكر في الأمر حيث أنه كان لا يعلم ما حدث بين عائلته وعائلة أولاد يحيى، حتى جاءت فتاتان تريدان ملء قرابهما بالماء فاقترب منهما على خجل فسألتهما ابنتا من تكوان، أجابت احدهما نحن بنات الشيخ فاضل، عند اذن قال لهما سأكتب رسالة للشيخ فاضل، فتحنى جانبنا وأخرج من جربه قرطاسا وقلما وكتب رسالة إلى الشيخ فاضل اعطاها لإحدهما، رجعتا البنتان إلى أبيه فسلموا الرسالة إلى أبيهما. 250

بقيا الشيخ خليفة في الغابة ينتظر جواب الشيخ فاضل على الرسالة، وبينما هو جالس يفكر في الموضوع إذا بالفتاتين قدمتان إليه أخبرتا أن الشيخ فاضل ينتظره في المنزل، ونظرا لصعوبة النزول والصعود من العين إلى الأعلى أمرا الشيخ فاضل ابتناه بنفخ القربتين حتى لا تكون عبئا عليها أحضرتا للشيخ خليفة لحافا وقربتا ليحملها فوق دهره حتى لا يثم الشك فيه وعندما وصل إلى بيت الشيخ فاضل استقبله بجمرة وضيئه وبقيا معه في المنزل ولم يخرج للصلاة في مسجد يعلى لمدة يومين كاملين، ولما فقد المصلون الشيخ فاضل وعدم مجيئه إلى المسجد ارتابوا لأمرهم وذهبوا إلى منزل الشيخ فاضل وسؤاله أن يأتي ويصلي بهم وأقسم عليه حتى ولو كان يأوي شخص من تكويت، عند إذ قال لهم الشيخ بأنه سيأتي للصلاة بهم في وقت صلاة الظهر، حيث اصطحب معه الشيخ خليفة

250 وثيقة على الخمانسي (القاضي)، نشرها عيسى مزينة في كتابه وثائق نالوت.

الصوي فقدم الشيخ فاضل ضيفه للصلاة بهم فصلى بهم وأحسن صلاته، عند إذ ارتاح الناس واستبشروا خيرا به، ومن تلك اللحظة بدأ الشيخ خليفة بالمسجد إماما وواعظا يشرح لهم أمور دينهم ودنياهم، واستمر على هذا الحال أياما ثم أصلح ما بين القبيلتين ودعاهم إلى التسامح ونسيان الخلافات الماضية وبدأ حياة جديدة فيها من التعاون والألفة بين أهالي المنطقة.

ارتاح الناس لهذه الخطوة التي قام بها الشيخ خليفة واستبشروا خيرا منه، وعادت الأمور إلى طبيعتها في المدينة وبدأ السلم الاجتماعي ينتشر بينهم وذهب كل فرد إلى أعماله، يزرع ويحرق أرضه ويحني ثماره من زيتون وتين وبلح، وازدهرت الحياة وانتعشت التجارة وهكذا استقرت المدينة.

وبعد عدة شهور قضاهما الشيخ خليفة مع الشيخ فاضل زوجه الشيخ فاضل إحدى بناته، ووهب له قبيلته قطعة أرض في مكان الجامع مسجد سيدي خليفة الحالي حيث أنشأ غران إحداها اختاره لسكن عائلته والآخر اتخذه كتاب لتحفيظ القرآن الكريم لأبناء المدينة، وكان هذا أول كتاب في مدينة نالوت.

بناء المسجد:-

قبل الحديث عن بناء المسجد نود أن نشير هنا، أن عائلة الصوي أهدت للشيخ العلامة قطعة أرض وهي عبارة عن قرداية بصبوب ماءها لشيخ خليفة الصوي الذي بدوره أنشأ بها غاران، اتخذها أحدهما سكنا له ولعائلته، والثاني مقرا لتحفيظ القرآن الكريم لأبناء المدينة، وكان هذا أول الكتاب في المدينة، ولذلك اتخذه مقرا لإجراء المناظرات الفقهية واللقاءات العلمية بين مشايخ وعلماء المنطقة كلها، وهذا بناء على وثيقة قدمها لي السيد ناجي خليفة أبوصوة، (تكويت 2024م).

وبعد فترة قرر الشيخ فاضل إنشاء مسجد يجاور هذا الغاران وتنادت قبائل نالوت لإنشاء هذا المسجد بما يعرف (الرغاته).

وكان من ضمن هذه القبائل قبيلة أولاد يحيى التي كانت لهم عداوة مع قبيلة الشيخ خليفة، نصح جمعا كبيرا أهالي هذه العائلة بعدم المشاركة في بناء المسجد، إلا أنه أصر على المشاركة، وعند إذن قسم الأهالي الأعمال بينهم، بحيث تقيم كل عائلة عدد قوسين أو (قمرتين)، وباشروا بأعمالهم إلا أن عائلة قبيلة أولاد يحيى كلما بنو الجزء المخصص لهم وأنهوا الأعمال يجوده في اليوم التالي قد تخدم من تلقاء نفسه، وأعادوا البناء لثلاثة مرات وفي كل مرة يتهدم، عند إذن نصح الأهالي هذه القبيلة بتوقف إنكم سببتم أدا كبيرا للشيخ خليفة الصوي، فلماذا يجب عليكم ترك العمل والمساهمة في بناء المسجد.

تم بناء المسجد على هيئته الأولى على حدود الأرض، التي منحت لشيخ خليفة، وجعلوا له بابا يفتح جهة الشمال جهة أولاد عون الله، وعند دخول تجد ساحة كبيرة وماجن من جهة اليمين ثم يقابلك باب المصلى،

وكذلك يفتح جهة الشمال الغربي، ويتكون المصلى تقريبا من (رواقين).

وفي الثلاثينات في القرن الماضي، أنشأت إيطاليا صومعة المسجد في الجهة الشرقية، وهي صومعة جميلة ثمانية الأضلاع يصعد إليها من سلم حلزوني يرفع فيها أذان الصلاة، وكذلك أنشأت حمامات ومكانا للوضوء فوقهما خزان صغير.

ولاحقا أضيف من الجهة القبليّة جهة الجنوب مدرسة صغيرة وهي عبارة عن حجرة وساحة أمامية لتحفيظ القرآن الكريم واستمرت إلى عهد قريب تقوم بمهمتها، لاحقا في الستينات من القرن الماضي درست أنا شخصا في هذا الكتاب وكنا نكتبوا على الألواح وعندما يتم حفظ السورة أو الآيات يتم غسل اللوحة بمادة تعرف (القروش) وهي مادة طينية ثم يعاد الكتابة بحجر يعرف بحجر الصوفي الذي يتم اعداده محليا. وكان يقوم بتحفيظ القرآن الشيخ أبو محمد الطمزيبي ويسكن في غار الشيخ خليفة.

المبحث الثالث:-

أبنائه:-

لم نعتز على مرجع أول مخطوط يذكر أبناء الشيخ خليفة الصوي أو عددهم، إلا أن هناك رواية نقلت عن الحاج سعيد خليفة أبوصوة عن أبيه عن جده (تكويت 2024م) أن للشيخ خليفة الصوي ثلاثة أبناء أحدهم يسمى محمد والثاني يسمى الصوي والثالث يسمى ورغ، وهذه الرواية لم تتحقق منها بالشكل النهائي ولأنها الرواية الوحيدة التي سمعناها أثناء استقصائنا وبجثنا عن تاريخ الشيخ خليفة الصوي. 251

وفاته:-

لم يعرف بالتحديد تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته، ويرجح أن يكون تاريخ ميلاده قبل سنة 1011هـ، التي ذكرها الشيخ ابراهيم الشماخي في كتابه شيوخ وعلماء الاباضية، ويرجح أن يكون يوم (21 أكتوبر)، ولكن تاريخ وفاته لم يعرف بالتحديد ولم نعتز على أي مخطوط حدد تاريخ وفاته إنما وجد رفاته أثناء توسعة المسجد في ثلاثينيات من القرن الماضي وهذا ما حدثني به (ساسية هرورو) نقلا عن خالها خليفة قرقاب الذي كان أحد العاملين في التوسعة والذي بدوره أخبرها أنهم وجدو رفات الشيخ خليفة عند ظهر غاره وأحضروا قماشاً أبيضاً وجمعوا فيه عظامه ثم تم لفه لفا جيدا ووضعت في شق داخل غار الشيخ خليفة وتم البناء عليه، والأُن لا يعرف أي مكان أو أي أثر يدل على ذلك.

رغم كل الجهود التي قمنا بها للبحث والتحري والتقصي عن تاريخ ميلاد الشيخ ووفاته إلا أننا لم نتمكن من

الحصول على أي معلومة أو حقيقة ثابتة من كل الروايات المتداولة وهذا الجهد المضني الذي قمنا به جعلنا نملك الرغبة والاصرار للاستمرار في البحث مستقبلا للسيرة العطرة لهذا الشيخ الجليل الذي قدم كثيرا من الأعمال خدمة لدينه ودينه.

أعماله:-

رغم عدم توافر المراجع التي يستند إليها لتوثيق أعماله وخدماته الجليلة في خدمة الدين والوطن إلا أن هناك كثيرا من الروايات الشفاهية التي حفظت تراثه وتناولته بالتفصيل أحيانا، جعلنا نقارن بينها ونحقق في أثارها ومصادرها حتى توصلنا إلى بعض المعلومات التي تؤرخ حياة الشيخ الجليل خليفة الصوي من هجرته الأولى ثم التحاقه بجامع الزيتونة لتعلم القرآن ثم عودته وما صاحب ذلك من أحداث إلى حين وفاته، وهنا نذكر أهم أعماله ومنها:-

1. رعايته للصلح بين العائلتين المتخاصمتين اللتان أسرفتا في العداوة الي حد سفك الدماء.
2. عند رجوعه استقر الأمن الاجتماعي في المنطقة، واستقرت حياة الناس.
3. أسس دار للدعوة وكانت عبارة عن (غار) يقوم بالتدريس فيه وتحفيظ القرآن الكريم للمتعلمين الصغار ويجرى فيه لقاءات مع شيوخ وعلماء المنطقة لتباحث في أمور الدين والدنيا.
4. بعد وفات الشيخ فاضل تولى الشيخ خليفة الصوي الافتاء في المدينة، وكان يرجع إليه في كل المسائل والفتاوى التي تمم الناس في المدينة.

عند بناء مسجده اصبح منارة للتقوى وللعلم وتخرج من مسجده الكثير من الشيوخ والأئمة والوعاظ. 252

رسائله:-

مزال مسجد الشيخ خليفة الصوي يؤدي رسالته ومازالت صومعته تصدع بالحق والتقوى، حيث تم تجديد بناءه في الثمانيات من القرن الماضي بمبادرة من أهالي نالوت في موقعه القديم على طريق غدامس جهة اليمين، وهو على هيئته الحالية ومدرسته المحادية له أصبح منبرا للعلم والتقوى وتحفيظ القرآن وقد تخرج من المدرسة الكثير من الشيوخ والحفاظ الذين يمارسون أعمالهم حاليا في مساجد نالوت العامرة، وقد تناوبا على منبر المسجد الكثير من العلماء والمشايخ الذين أسهموا في نشر الوعي الديني لدى المواطنين وتحفيظ القرآن بمدرسة سيدي خليفة الملحقة، وعلى سبيل المثال المحدثين منهم الشيخ على يحيى معمر، والشيخ يحيى المقدمي، وسبقى مسجد سيدي خليفة الصوي منارة ونبراسا للعلم والتقوى إلى أن يرث الله الأرض ومن فيها.

نتائج البحث

1. من أولى النتائج التي توصلنا إليها هي أن هذه البحوث التاريخية تفتقر إلى معلومات موثقة وإلى مراجع ووثائق مكتوبة.
2. أغلب المعلومات التي وردت في البحث كانت عن طريق الرواية والسرد الشعبي، وهذه الروايات من الصعوبة التحقق منها وإثباتها إلا بجهد مضني وكبير.
3. رحلته إلى تعلم القرآن وعلومه كانت لها روايات مختلفة منها ما ورد في كتاب السماخي ومنها ما ورد على لسان بعض سكان المنطقة نقلا عن آبائهم.
4. أن أعماله الخيرة كثيرة ويعتبر من العلماء الذين احتضنتهم مدينة نالوت.
5. استنتجنا أن قصته تشبه إلى حد بعيد قصة نبي الله موسى عليه السلام حين فر من فرعون واتجه نحو مدين ليتزوج إحدى بنات النبي شعيب عليه السلام.
6. وتوصلنا أيضا أن هذا جزء بسيط من حياة الشيخ خليفة رحمه الله ومازالت هناك حقائق أخرى سنبحث ونتحقق منها ونتحرى عليها في كثير من المكتبات وخصوصا مكتبة دار جربة التاريخية.

توصيات البحث

1. إن التوثيق من أهم الأعمال التي ينبغي أن يقوم به كل من لدريه دراية بالكتابة والقراءة.
2. حفظ الوثائق التاريخية في دوانين يجعل من السهل والوصول إليها والتحقق منها.
3. دعوة إلى جميع الكتاب والمهتمون بالتاريخ في هذه المنطقة إلى عدم ترك حادثة أو مسألة أو شاردة أو واردة إلا توثيقها وتسجيلها.
4. عقد المناظرات التاريخية لدراسة سير العلماء والمشايخ وتاريخ المنطقة.
5. إقامة مركز للبحوث والدراسات خاص بمدينة نالوت لحفظ تراثها وتاريخها وأعلامها وعلمائها وهذا يجب أن يكون بمبادرة أهلية من جميع المهتمين بهذه القضية.

المراجع

1. إبراهيم الشماخي، كتاب القصور والطرق، لبيبة 2005م.
2. جون ألبرت، مهمة جوية في الصحراء التونسية، 2009م.
3. سعيد أبوصوة، شاهد عيان، تكويت 2024م.
4. ساسية مسعود هرورو، شاهد عيان، تكويت 2024م.
5. علي الخمائسي (القاضي)، وثيقة نشرها عيسى مزيدة في كتابه وثائق نالوت.
6. معجم اعلام الإباضية، مجموعة من الكتاب، الجزائر 2000م.

الزوايا وخدمة المشروع الإصلاحى فى الجزائر خلال النصف الأول من القرن 20

محمد بن ساعو¹

قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين - سطيف2، الجزائر

*m.bensaou@univ-setif2.dz

ملخص:

يبحث موضوع "الزوايا وخدمة المشروع الإصلاحى فى الجزائر خلال النصف الأول من القرن 20" حيثيات تبلور الفكرة الإصلاحية بجزائر القرن العشرين فى ظل الاستعمار الفرنسى وتراجع المقاومات والانتفاضات الشعبية المسلحة، حيث بدأ فى النصف الأول من هذا القرن التفكير فى هيكلة الإصلاح الجزائرى، والذى وجد المدد من القوى الفاعلة فى الزوايا والمدارس القرآنية رغم أن الأول ينتمى إلى تيار الإصلاحيين والثانى إلى المحافظين، فكانت هذه هى الإشكالية التى انطلقت منها فكرة البحث، من خلال البحث فى المصادر التاريخية والوثائق عن ملامح هذا الترابط والتفاعل بينهما، فانتبهنا إلى جملة من النتائج الهامة على مستوى البحث التاريخى خاصة من خلال النماذج المحلية المدروسة، والتى تتيح التوصل إلى مؤشرات دقيقة، لكنها تختلف وفقا لاختلاف مجالات الدرس والبحث بالنظر إلى اختلاف الطريقة الصوفية والمشىخات والنفوذ...

مقدمة:

شكّلت الزوايا إطارا تعليميا بالغ الأهمية فى تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، وبقدر ما ارتبطت بالتيار المحافظ إلا أنها كانت المدد القوي لتيار الإصلاح فى الجزائر خلال الفترة الاستعمارية (1830-1962)، حيث يمكن أن نسجل هذا الارتباط من خلال:

1- قادة ومنظري المشروع الإصلاحى الجزائرى الذى تبنته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فى جملهم تكونوا وتخرجوا من الزوايا القرآنية والطريقة.

2- انحراط عدد من الزوايا فى خدمة مشروع الإصلاح وتوثيق التعاون مع أعضاء الجمعية.

إن هذه الرؤية تطرح مفارقة كبيرة بالنسبة للمهتمين بتاريخ المؤسسات والحركات الدينية فى الجزائر، ذلك أن الجمعية عند تأسيسها فى 5 ماي 1931 ضمّت بين أعضائها طريقتين وشيوخ زوايا، لكن جزء من هؤلاء قدّروا أن خط الجمعية يتعارض ورؤيتهم، فانسحبوا منها أو سحبوا ليؤسسوا جمعية أخرى، هذا على المستوى الوظيفى، لكن فى الواقع ومع توالي السنوات نسجل انحراط عدد مهم من الزوايا فى نشاطات الجمعية وتوافق شيوخها معها فى الكثير من الرؤى. وهذا هو لب الإشكال الذى نحاول معالجته فى هذه الورقة البحثية.

أولاً: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والإصلاح المهيكّل، المشروع والإطار

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في جوهرها هي هيئة للدفاع عن الإسلام والعربية تتميز بالقوة والتنظيم [253]، وهي حسب الإبراهيمي: "جمعية علمية دينية تهذيبية"، تعلم وتدعو إلى العلم وترغب فيه، كما تدعو إلى مكارم الأخلاق وتحارب الآفات الاجتماعية، "والجمعية فيما وراء هذا مرتبطة بالعالم الإسلامي... وفيما عدا هذا فالجمعية جزائرية محدودة في حدود الجزائر" [254]، "إسلامية في سيرها وأعمالها، جزائرية في مدارها وأوضاعها، علمية في مبدئها وغايتها" [255]، "ليست حركة جمعية العلماء حركة دينية محضة بالمعنى المفهوم من أمثالها في المشرق الإسلامي، وإنما هي حركة كلية لها طرفان، أحدهما الدين بعقائده وأخلاقه وفضائله وروحانيته، والثاني الدنيا بقوتها ومالها وعزّها وسيادتها وعلومها ولا فاصل بين الطرفين" [256].

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نستعرض تعريف الأستاذ محمد المبارك الذي يقول: "من لا يعرف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لا يعرف شيئاً عن الجزائر في عصرها الحاضر، فهي تؤلف الجهاز الضخم في كيانها والفكرة المستقرة في ضميرها، والمعبرة عن روحها التي ترجمت في أعمال، بدأت في نشر العلم والدين والوعي السياسي، وانتهت إلى ثورة مسلحة كانت الخاتمة والنتيجة النهائية لحركتها" [257]، وحسبنا أن هذا التعريف يعطي صورة شاملة عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبذلك يمكن أن نعتبرها حركة إصلاحية ذات رسالة ثقافية وعلمية واجتماعية - وسياسية أيضاً-، تهدف إلى حماية الشخصية الجزائرية من الذوبان في الحضارة الأوربية.

امتلكت الجمعية قاعدة شعبية مهمة، وخلافاً لبعض الحركات السياسية التي كانت تسعى لحصد مقاعد في المجالس المنتخبة، فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين اتجهت منذ البداية إلى غرس الروح الوطنية في نفوس الشباب الجزائري [258]، لذلك تغلغت في أوساط الجزائريين ولم تقتصر أفكارها على نخبة بعينها. تلتقي الجمعية مع مدرسة التجديد الإسلامي في العصر الحديث، التي تزعمها مصلحون مجددون أمثال محمد

[253] محمد الشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، جمع: أحمد طالب الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981م، ص123.

[254] محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص115.

[255] تركي رايح عمارة: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931-1956) ورؤساؤها الثلاثة، موفم، الجزائر، 2009، ص33.

[256] أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج3 (1930-1945)، ط04، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص92.

[257] الشيخ محمد خير الدين: مذكرات الشيخ خير الدين، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت)، ص155.

[258] عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص244.

عبد، جمال الدين الأفغاني ورشيد ورضا... إلخ، وكان أمرا طبيعيا تأثر رجال الحركة الإصلاحية الجزائرية بنظيرتها المشرقية نظرا للارتباط الروحي والاتصال الثقافي [259]، غير أن ذلك لا يعني أن زعماء الإصلاح في الجزائر استنسخوا ما جاءت به الحركات الإصلاحية المشرقية، إنما أخذوا منها ما يتوافق وتوجهاتهم، كما أن الحركة الإصلاحية في الجزائر تميزت بالخصوصية عن غيرها من الحركات، نظرا لما تتميز به الأمة الجزائرية عن غيرها من خصائص ومميزات. ارتبط تأسيس الجمعية بجملة من الظروف والعوامل المحلية والعالمية، كظهور الفكر الإصلاحي بالمشرق العربي وبرز شخصيات إصلاحية تبنت أفكارا عصرية مثل محمد عبده وما ساهم في انتشارها بالجزائر هي الصحف والكتب، كما ساهمت الحرب العالمية الأولى وما نتج عنها من تأثر جماهيري في تأسيس الجمعية.

كان التفكير في تأسيس هذه الجمعية في الحجاز سنة 1913، عندما التقى عبد الحميد بن باديس [260] (1889/1940)، ومحمد البشير الإبراهيمي (1889/1965) [261]، ثم في أوائل العشرينيات [262]، وذلك حينما زار ابن باديس الإبراهيمي بمدينة سطيف في 1924، وأخبره أنه ينوي تأسيس جمعية باسم "الإخاء العلمي"، تجمع شمل علماء الجزائر، ويكون مركزها مدينة قسنطينة. وتمكن الإبراهيمي من كتابة قانونها الأساسي في ليلة واحدة بطلب من ابن باديس وتلاه عليه في الصباح، فسّر ابن باديس لذلك كثيرا، لكن وقوع بعض الحوادث عطل المشروع، وفي سنة 1928 أعاد ابن باديس الكرة فوجه الدعوة للطلبة العائدين من الزيتونة واجتمعوا في مكتبه بقسنطينة، ووافق الجميع على تأسيس الجمعية.

في يوم الثلاثاء 05 ماي 1931 م على الساعة 08:00 صباحا اجتمع 72 عالما من القطر الجزائري من أجل تأسيس الجمعية، ومن خلال ما تقدم ذكره فإنه لا يمكن سبب ظهور الجمعية باحتفال الفرنسيين بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر فقط، ففي الوقت الذي كان المشروع التنصيري على أشده، حتى أن أحد المبشرين صرّح قائلا: "إن هذا الهلال في الجزائر قد غُبر، وأن عهد الصليب قد بدأ، وأنه سيستمر إلى الأبد، وعلينا أن نجعل الجزائر مهدا لدولة مسيحية مضاءة أرجائها بنور ومدنية ومنبع وحيها: الإنجيل...". كان ابن باديس يقول: "إن الجزائر أرض إسلامية

[259] محمد زمران: معالم الفكر السياسي والاجتماعي عند الشيخ البشير الإبراهيمي، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، 1996، ص 16.

[260] ولد عبد الحميد بن باديس في 05 ديسمبر 1989 بقسنطينة من عائلة أرستقراطية عريقة، تعود أصولها إلى بني زيري الصنهاجيين الأمازيغ، وبعد أن تلقى مبادئ العلوم الدينية واللغوية انتقل إلى الزيتونة، ثم قام بجولة إلى الحجاز وأدى فريضة الحج، ليعود إلى الجزائر ويبدأ مسيرته النضالية، فكان أول رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، توفي يوم: 16 أبريل 1940.

[261] الرئيس الثاني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين العلامة محمد البشير الإبراهيمي، من مواليد 1989، بأولاد براهم قرب رأس الوادي، دائرة سطيف (أولاد براهم تتصل بقبيلة ريغة من مغراوة، التي تنتسب لزنانة وهي من أشهر قبائل الأمازيغ في الشمال الإفريقي).

[262] أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 4، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص 144.

أصلية" [263]، فكان تأسيس الجمعية إيدانا بـ"محاكمة الخلاص من التحقير والشعوذة" [264].

ينتمي المجلس الموسع للجمعية إلى مختلف جهات الوطن ويمثلون المذاهب المنتشرة في البلاد، ورغم أن أغلبهم ينتمون إلى المذهب المالكي، إلا أن المذهب الإباضي كان حاضرا وفعالا في الجمعية من خلال الشيخ ابراهيم بيوض، الذي يعتبر من كبار علماء الإباضية، ثم انضمت شخصيات إباضية أخرى تركت بصماتها في تاريخ الجمعية والجزائر، مثل الشيخ أبي اليقضان [265] الذي أصبح عضوا في المجلس الإداري الثاني.

كان لتأسيس الجمعية صدى إيجابيا في نفوس كثير من الجزائريين، نظرا للأهداف التي سطرها الجمعية في برنامجها، والمرتبطة أساسا بالتربية والتعليم، حيث انتشرت الأمية والجهل بسبب السياسة الاستعمارية، وتلك المرتبطة أيضا بتنقية الإسلام من الشوائب التي لحقت به بعد انتشار الخرافات، وكان استبشار الناس بتأسيس الجمعية لأنها اهتمت كذلك بالإصلاح الاجتماعي بعد ظهور أمراض اجتماعية وأخلاقية في المجتمع الجزائري. إن المتتبع لنشاط الجمعية يدرك بأنها لم تحصره في جانب معين دون بقية الجوانب، وبنظرة بسيطة لقانونها الأساسي يمكن أن نعرف الأهداف المعلنة للجمعية والتي تتمحور حول الإصلاح الديني، الاجتماعي، الأخلاقي... لذلك يرى فرحات عباس [266] أن جمعية العلماء كانت ذات مهمة شاملة، حيث يقول: "حملت هذه الجمعية المباركة على عاتقها عبء نهضة الإسلام، ومحاربة أصحاب الزوايا والطرق المتواطئين مع الاستعمار، وتكوين إطارات اجتماعية مثقفين ثقافة عربية". كما دعت إلى التكامل بين الفئتين من المثقفين باللسان العربي واللغات الأخرى، خدمة للجزائر وافتتاحا على الحضارة المعاصرة وابداعاتها في شتى المجالات، كما رأى ابن باديس أنه لا نهضة فعلية إلا بالعلم بمفهومه الشامل الذي يتسع لجميع المجالات المادية والروحية [267]. ودعا أيضا للاستفادة من الحضارة الغربية والتعامل معها بإيجابية. وانطلاقا من أدبيات ونشاطات جمعية العلماء، يمكن تقسيم أهدافها ضمن محورين رئيسيين هما:

[263] الطاهر زرهوني: التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1993، ص 33.

[264] محمد العربي ولد خليفة: المحنة الكبرى، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 1999، ص 163.

[265] أعلام الصحافة الجزائرية، ج 04 (الأمير خالد، الزاهري، أبو اليقضان)، تقديم: زهير إحدادن، مؤسسة إحدادن للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 42-43.

[266] ولد فرحات عباس بمنطقة الطاهير -جيجل- سنة 1899، تلقى دراسته بالمدارس الفرنسية وتخرج صيدليا، ويعتبر من أهم ممثلي التيار الإدماجي في الجزائر وله وزن هام في الحركة الوطنية، وقد بدأ في مراجعة أفكاره حتى تخلّى عن الكثير منها، وفي 1958 أصبح أول رئيس للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، توفي سنة 1985.

[267] عبد الرحمن شيبان: مقدمة مجلة الشهاب، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص 34-35.

***1 هدف آني (عاجل):** يتمثل في تنقية الإسلام من الشوائب، والمحافظة على الثوابت وإحيائها، بالإضافة إلى نشر التعليم العربي وعصرنته، ومحاربة الآفات الاجتماعية وكل ذلك وقوف ضد محاولة مسح الشخصية الوطنية الجزائرية.

***2 هدف بعيد المدى:** يتمثل في استرجاع استقلال القطر الجزائري [268]، من خلال سعي الجمعية إلى تشجيع النشأ على الأخذ بأسباب النهوض والاعتناق من الاستعمار.

أولت الجمعية للإصلاح الديني أهمية كبرى، كما أنها لم تحمل باقي المشاكل التي يتخبط فيها المجتمع الجزائري فكان برنامجها في الإصلاح الاجتماعي ثريا، ورغم أنها جمعية غير سياسية في الظاهر، لكنها مارست السياسة بشكل أو بآخر، وساهمت في تقريب وجهات نظر الأحزاب السياسية والسعي إلى لم شملها وتوحيد صفها. ويرى الإبراهيمي أن تقديم الجمعية للإصلاح الديني على الإصلاح العلمي جاء للضرورة التي اقتضتها الظروف [269]، فكان التعليم من منظوره وسيلة قوية من وسائل التحرر، وكان لقيام الجمعية بإحياء مقومات الشخصية الجزائرية في إطارها الحضاري تأثير حاسم في مستقبل الجزائر لأنه حافظ على أسس تكوين الأمة الجزائرية [270].

ولتحقيق أهدافها وظّفت الجمعية المدارس [271] والمعاهد والمساجد والنوادي [272] والصحافة، كما اعتمدت على وسائل ظرفية كالمشاركة في التجمعات والمؤتمرات والاحتجاجات وإرسال الرسائل والوفود.

ثانيا: الجمعية والمدارس القرآنية للزوايا الصوفية

سجلت الزوايا والطرقية الصوفية حضورا قويا في المجتمع الجزائري، حيث كان لها دور بارز في إبقاء الجزائري مرتبنا بمقوماته، فالزوايا سهرت على التعليم العربي والقرآني والإصلاح الاجتماعي والتقليل من آثار الفوارق الاجتماعية، ولعبت دورا هاما في إنهاء الخلافات التي تنشأ بين الحين والآخر بين الأفراد والجماعات، كما أنها قادت

[268] مومن العمري: الحركة الثورية في الجزائر، من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني (1926-1954)، دار الطليعة للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2003، ص 28-30.

[269] آثار الإبراهيمي، ج 1، ص 69.

[270] ناصر الدين، سعيدوني: "نظرة في البعد التاريخي للثورة"، معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954، جمعية أول نوفمبر، مطبعة عمار قربي، باتنة، 1992، ص 164.

[271] يصف الإبراهيمي المدرسة بـ "جنة الدنيا": "المدرسة هي جنة الدنيا، والسجن هو نارها، والأمة التي لا تبني المدارس تُبنى لها السجون، والأمة التي لا تصنع الحياة، يُصنع لها الموت..."؛ البصائر، ع: 172-173، يوم: 15 أكتوبر 1951، ص 03.

[272] النوادي الإسلامية حسب الإبراهيمي هي وسط جامع بين المدرسة والجامع، لأن هناك طائفة كبيرة من الجزائريين لا تجد الجمعية وسيلة لتبليغهم دعوة الدين والعلم إلا عن طريق النوادي، تركي رابح عامرة: المصدر السابق، ص 92-93.

حركة المقاومة الشعبية المسلحة منذ دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر وفي مقدمتها الطريقة القادرية والرحمانية، لذلك عملت السلطات الاستعمارية بطرق ترغيبية وتهييبية لتجعلها أداة طيعة في يدها.

عند تأسيس الجمعية كان من بين المؤسسين بعض ممثلي الزوايا الطرقية، وذلك من أجل تحقيق التضامن والتقارب، على الرغم من امتعاض الإصلاحيين من بعض المظاهر التي ترتبط ببعض الزوايا والطرق (الطقوس، تكبير الناس بفكرة القدرية...)، لكن بعد تحديد الطاقم الإداري للجمعية تبين أنه يكاد يخلو من الطرقيين الذين اضطروا إلى الانسحاب خاصة وأن سياسة بعض الإصلاحيين تميزت بالشدّة تجاههم.

استدعت استراتيجية جمعية العلماء دعوة شيوخ الزوايا والطرق حتى لا يتم عرقلة تأسيسها لما لهم من نفوذ، ورغم أن العلماء فتحوا المجال لشيوخ الزوايا إلا أن العلماء لم تكن لهم نية واضحة في إسناد مناصب تنفيذية للطرقيين، وهو ما يفسر غيابهم عن المجلس الإداري للجمعية.

اتجه شيوخ الزوايا إلى تأسيس جمعية خاصة بهم سميت "جمعية علماء السنة" يوم 15 سبتمبر 1932 بجهود الشيخ المولود الحافظي العضو المستشار في جمعية العلماء المسلمين، وهي تتشابه في أهدافها ومبادئها مع ما قامت عليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ما عدا في اعتبارها للتصوف مصدرا من مصادر إحياء السنة والتقاليد الدينية والأخلاق. [273]

كانت صفحات جرائد الجمعية تعج بالمقالات التي تستهدف الطرق الصوفية وممارساتها، وهو ما جعل جمعية علماء السنة تبدي استعدادها للوفاق والعمل مع جمعية العلماء، حيث عبرت عن هذه الرغبة من خلال جريدتها "الإخلاص" في شهر ماي من سنة 1933^[274]، لكن جمعية العلماء لم ترحب بهذه الدعوة. تساوفا مع هذه العلاقة، فإن موقف الإدارة الاستعمارية من الجمعية في بدايته كان معتدلا، ربما لاستهانتها بتأثير رجال الدين الاسلامي، خاصة وأنها تعتبرهم غير ناضجين سياسيا ولا يشكلون تهديدا لمصالحها ومستقبلها السياسي في الجزائر^[275]، لكن بعد سنتين من تأسيسها غيّرت فرنسا موقفها، واعتبرتها جمعية خطيرة بسبب مواقفها الوطنية وكرهها للأجانب، وقررت السلطة العمل من جديد بقانون 18 أكتوبر 1892، الذي ينص على منع فتح أي مدرسة إلا بموافقتها، حيث أصدر برنفي والي عمالة الجزائر في 16 فيفري 1933 منشورا ادعى فيه أن العلماء

[273] علي مراد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925-1945، ترجمة: محمد يجاني، دار الحكمة، الجزائر، ص 131.

[274] نفسه، ص 146.

[275] تركي رابع عمامرة: المصدر السابق، ص 78.

يعملون لصالح جهات أجنبية، وفي 18 فيفري 1933 أصدر قرارا يمنع بموجبه المعلمين من التدريس بالمساجد^[276] وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد فَعَرَمَ وسجن بعضهم، وتم توقيف صدور جريدة السنة. ثم جريد "الشريعة المطهرة"، ثم جريدة "الصراط السوي"^[277]، ورد مجلس الدولة الفرنسي على احتجاج أحمد بوشمال مدير جريدة السنة اثر غلق مقرها بالقول أن السلطات الفرنسية لها الحق في منع صدور أية جريدة تنشر بلغة أجنبية في الأراضي الفرنسية^[278]. السكرتير العام لإدارة الأمن والشؤون *De Michel* وبناء على قرار 1933 الذي أصدره دي ميشيل الأهلية تم تشديد الرقابة على نشاط الجمعية واحتكار الوعظ والإرشاد الديني في نطاق الموظفين الرسميين^[279]. وشجع العناصر الموالية لفرنسا على إقامة جمعية مضادة كجمعية علماء الأمة الجزائريين من أجل Carde الحاكم العام كارد تزيق الجمعية، ولكنها فشلت وتم حلها في نوفمبر 1935^[280]. ويعتبر ابن باديس عن العراقيين التي تعرّضت لها الجمعية بقوله: "ولكن ما كادت هذه الجمعية تحطو خطوتها حتى تنكرت لها الحكومة وأقيمت أمامها العراقيين، حتى من طرف بعض المسلمين... لكن الجمعية كانت تقابل هذه المقاومات بالثبات العظيم"^[281]. يقول ابن باديس عن الطريقة: "إنها لن ترى منه أي بغض أو عداة أو حسد، في أي شأن من شؤون الحياة أو من شؤون الدين، لاختلاف في المصالح الدنيوية^[282] أو لاختلاف في الفقه أو السنة أو التفسير، وإنما جوهر الخلاف بينه وبين أهلها إنما هو موقفه من السياسة الاستعمارية التي تعمل جاهدة على عرقلة كل حركة ساعية في النهوض بالجزائر من كبوتها، وفك أغلالها عنها في مجال الحياة المادية والروحية معا"، ويضيف عن الصوفية في لحظة من الشدة

[276] نفسه، ص 80-81.

[277] قامت السلطات الاستعمارية بمنع جريدة الصراط السوي من الصدور في 1932 بعد أن رد ابن باديس على الوالي العام الفرنسي الذي صرح بخصوص الجمعية أنها تمارس السياسة وبذلك فقد خرجت عن وظيفتها الدينية والاجتماعية، فأجاب ابن باديس في الصراط أنه لا مانع من ممارسة جمعياته للسياسة، فما كان من السلطات الاستعمارية إلا أن تمنع صدورها، أنظر: مولود عومر: عبد الحميد بن باديس مسار وأفكار، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 01، 1433هـ/2012م، ص 70-71.

[278] محمد بن ساعو: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية، دار الأمة، الجزائر، 2016، ص 70.

[279] يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1945، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 90.

[280] عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 253.

[281] عبد الحميد بن باديس: حياته وآثاره، ج 4، إعداد وتصنيف: عمار الطالبي، دار اليقظة العربية، 1388هـ/1964م، ص 332.

[282] ذلك أن البعض فسّر محاولة العلماء زحزحة الطريقين عن عروشهم بسبب محاولتهم الاستيلاء على مكائهم الاجتماعية وقبض الزيارات والتربع على الموائد الحافلة التي يقدمها المريدون.

في الموقف: "فهي اليوم معروفة عند أكثر الأمة حقيقتها، معلومة غايتها، مفضوحة دوافعها، إذا دعاها داعي السلطان لبّت خاضعة مندفعة، وإذا دعاها داعي الأمة ولّت إلى أعقابها مدبرة".^[283] ولعل هذا الموقف هو الذي جعل ابن باديس يتعرض لمحاولة اغتيال من طرف مريد طريقة صوفية اعترض طريقه بعد خروجه من المسجد لكنه نجى من هذا الاعتداء بعد تطفنه ومساعدة المارة.^[284]

ترجع الجمعية تركيزها على مواجهة بعض الطرق الصوفية (المنحرفة) يجعلها سببا في تفرق المسلمين، وتصور مواجهتها على أنها مواجهة لـ"الشر" و"الباطل" و"المنكر" و"الضلال"، لذلك ربط التيار الاصلاحى نجاح أي مبادرة إصلاحية بالقضاء على الطرق الصوفية.^[285]

كل هذا لا يجنب العلاقة الطيبة التي جمعت ابن باديس ببعض رجال الطرق الصوفية فخلال الجولة التي قادته لغرب البلاد زار مشايخ الطرق والزوايا، ووصف لقاءً جمعه بالمفتي عبد القادر بن قارة مصطفى والشيخ أحمد بن عليوة شيخ الطريقة العليوية بقوله: "ولما انتهينا من العشاء أقيمت موعظة في المحبة والأخوة ولزوم التعاون والتفاهم على أساسهما، وأن لا نجعل القليل مما نختلف فيه سببا في قطع الكثير مما نتفق عليه، وأن الاختلاف بين العقلاء لا بد أن يكون، ولكن الضار والمنوع المنع البات هو أن يؤدبنا ذلك الاختلاف إلى الافتراق"، فاستحسن الشيوخ الحاضرون كلامه.^[286]

انخرط بعض شيوخ الزوايا في العمل الاصلاحى الذي تبنته الجمعية، فقد كان عبد العزيز بن الهاشمي شيخ الطريقة القادرية في وادي سوف تربطه علاقة جيدة مع شيوخ الجمعية، وساهم في نشر الفكر الاصلاحى بسوف، مما جعل الاستعمار يقوده للسجن. وكانت زوايا حوض الصومام وريغة بجنوب سطيف على علاقات قوية وعميقة مع الجمعية، ومن ذلك زاوية لقطاطشة بقصر الطير وزاوية سي الحواس هرباجي بأولاد سي احمد، التي حضر محمد البشير الابراهيمي وعبد الحميد ابن باديس جنازة شيخها الثاني محمد الطيب هرباجي.^[287] وكان محمد مساس الابراهيمي

^[283] عبد الرحمن شيبان: مقدمة الشهاب، ص 79.

^[284] نفسه، ص 88.

^[285] سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 48.

^[286] عبد الرحمن شيبان: مقدمة الشهاب، ص 87.

^[287] محمد بن ساعو: الشيخ محمد الطيب بن الحواس هرباجي (1873-1931) دراسة بيوجرافية، مجلة المعارف للدراسات والبحوث

التاريخية، جامعة الوادي، مج 8، ع 3، جوان 2023، ص ص 833-861.

أحد خريجها وهو من جملة العلماء الذين اجتمعوا في نادي الترقى لتأسيس الجمعية يوم 05 ماي 1930، [288] وما يمكن ملاحظته هو أن أغلب هذه الزوايا ضمن الطريقة الرحمانية التي وصفها الفرنسيون في كتاباتهم بأنها طريقة متعصبة ضد الأجانب، وربما ما ساعد أكثر في توطيد هذه العلاقات فضلا عن كون أغلب المؤسسين للجمعية وقياداتها ضمن المجال الجغرافي الذي تنتشر فيه الرحمانية، هو كونها طريقة مدرسية أكثر منها طريقة روحانية وفقا للباحث في الفكر الإسلامي الدكتور خليل شايب.

يبدو أن مواجهة المتصوفة لم تكن الشغل الشاغل لكل أعضاء الجمعية، بالعكس من ذلك حاول بعض الأعضاء التقرب من شيوخ الزوايا، ويظهر ذلك من خلال التقرير الفرنسي الذي جاء فيه: "لم يكن للشيخين التبسي وخير الدين نية في التقرب من الشيخ العقبي الذي استمر في مهاجمة تقاليد المرابطين بطريقة مباشرة، وحاول الشيخان تكوين رابطة مع شيوخ الطرق الصوفية المهتمين بالسياسة وجلبهم إليهم" [289].

يرجع العداء الشديد بين رجال الطرق الصوفية والشيخ العقبي إلى تأثير هذا الأخير بالحركة الوهابية تأثرا كبيرا [290]، وأما الابراهيمي فقد ارتبط بعلاقات طيبة مع بعض شيوخ الزوايا، كالشيخ محمد الطيب هرباجي شيخ زاوية الشيخ الحواس، الذي كان صديقا مقربا [291]، كما عرف الابراهيمي في مراحل الأولى أنه كان ينزل ضيفا على زاوية بن علي الشريف بإيشلاظن (آقبو) في بلاد القبائل [292].

يحدث كل هذا وسط دعوات بعض الأطراف إلى التقارب بين الإصلاحيين والطرفيين للوقوف في وجه السياسة الاستعمارية، خاصة بعد زيادة المد التبشيري في الصحراء الجزائرية، في وقت كان الصراع بين القطبين الإسلاميين على أشده، فقد دعا الشيخ محمد السعيد الزاهري إلى الوحدة بينهما، حيث يقول: "... وهي أن الأمر جدد وليس بالهزل وأن الوقت قد ضاق ولا يتسع للخصام، فالخطر الفاشيستي يكتسح ديننا وقوميتنا وكل مميزتنا يوما بعد يوم، فلنكن كالبنيان المرصوص متضافرة جهودنا لدفع أوبئة الفاشستية وموتقاتها، اهتماما بالعظائم والمهمات

[288] محمد بن ساعو: الشيخ محمد مساس الابراهيمي - جهود إصلاحية ونضال سياسي، مجلة التبيان، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد 5، أبريل 2018.

[289] تقرير مصلحة الاتصالات الشمال إفريقية، أبريل 1945، أرشيف ولاية قسنطينة.

[290] أبو القاسم سعد الله: قراءة في كتاب الشيخ الطيب العقبي لأحمد مريوش، مجلة المصادر، تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ع: 12، السداسي الثاني 2005، ص 289.

[291] آثار الابراهيمي، ج 01، ص 98-99.

[292] أهلول الورتلاني: أعلام الجزائر - الشيخ السعيد أهلول الورتلاني في مجموعة من رسائله ومجالسه وفتاويه (1859-1945م)، جمع وتقديم وتعليق: محمد الطاهر فضلاء، دار هومة، الجزائر، ص 04.

وانصرفا عن سفاسف الأمور". [293]

الخاتمة والتوصيات:

من خلال دراستنا البسيطة للحركة الاصلاحية الجزائرية التي قادتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالمدارس القرآنية التابعة للزوايا والطرق الصوفية، ندرك أن الجمعية كانت امتدادا للحركات الاصلاحية الاسلامية من حيث اهتمامها بالكتاب والسنة وآثار السلف، والعودة بالمسلمين إلى منابع الإسلام الأولى، ولكنها لم تكن نسخة من هذه الحركات بل كانت حركة جزائرية، وأهم مميزاتا:

* تعود جذور هذه الحركة لأفكار الونيسي والمجاوي والقطب اطفيش وابن الموهوب وابن سماية...، كما أنها استوعبت مختلف الحركات الاصلاحية الاسلامية القديمة منها والمعاصرة، فأخذت من أفكار ابن تيمية وتأثرت بالحركة السلفية (في بعض مواقفها تجاه البدع والخرافات) واقتدت بالحركة السنوسية (في ربط الدين بالدنيا والسياسة...) وسأيرت صيحات جمال الدين الأفغاني (في ثورته على الحكم الأجنبي) وتبنت النهج الاصلاحى الذي سار عليه محمد عبده، وأخذت من آراء الكواكي وشكيب أرسلان... ونزعتهم التجديدية، رغم كل هذا فهي ليست صورة طبق الأصل عن هذه الحركات، بل كانت حركة مميزة من خلال المهام التي اضطلعت بها والتي شملت مختلف المجالات (الإصلاح الشامل) كما أنها تكيفت مع الواقع الاستعماري المميز للنطاق الجغرافي الذي تنشط فيه.

* الوسطية والتفتح واحترام الخصوصية الجزائرية، من أبرز سمات هذه الحركة، حيث يقول مهندسها عبد الحميد ابن باديس: "نحسن ما كان من أخلاق الأمم حسنا وموافقا لحالنا وتقاليدينا ونقبله، ونفتح ما كان منها قبيحا أو مبانيا مجتمعا وبيئتنا ونرفضه، فلسنا من الجامدين في جحورهم ولا مع المتفرنسين في طفرتهم وتنطعهم، والوسط العدل هو الذي نؤيده وندعو إليه" 294.

* قيادة الحركة الاصلاحية الجزائرية تميزت بالضعف من حيث التكوين، فقليل منهم من اطلع على الفكر والواقع العالمي، فهذه القيادة كانت تحمل رواسب المسلم في عصور التخلف، وإن كان أغلب الاصلاحيين يظهرون بمظهر متفتح عصري إلا أن نواتهم الأولى هي الثقافة الإسلامية التقليدية 295، واستمر هذا الوضع إلى بداية الخمسينيات حيث بدأت تظهر نخبة مزدوجة الثقافة -الاسلامية والغربية- واللغة -العربية والفرنسية-، ولو لم تهب رياح الثورة في الخمسينيات لكان لهم ما يقدمونه من دفع قوي في الإصلاح، خاصة وأن الفرصة لم تتح لهم بعد

[293] أعلام الصحافة الجزائرية، ج04، ص36.

[294] رابح لونيسي: محاضرات وأبحاث في تاريخ الثورة الجزائرية، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط01، 2011م، ص101.

[295] نفسه، ص103.

الاستقلال.

* على الرغم من التوتر الحاصل بين الإصلاحيين والمحافظين، إلا أن بعض مظاهر التقارب والتفاعل الإيجابي المفضي إلى التعاون وخدمة الأمة تستدعي التنويه وتسليط الضوء عليها بالبحث الذي يتخذ من المونوغرافيات وسما له، لأنه الكفيل بتقديم معطيات دقيقة تُمكن من تقدير حجم التعاون والتواصل وتفتح رهانات جديدة لضبط العلاقات بين الحركات الدينية في الظرف الراهن الذي يتطلب النزوع نحو البعد الوطني تفاديا لتكرار تجارب مأساوية سبق وأن وظف فيها الدين لأغراض حادت به عن مقاصده وأثرت سلبا في حقيقة الدين ومراميه.

المراجع:

- [1] محمد الشير الابراهيمى: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، جمع: أحمد طالب الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981م.
- [2] محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.
- [3] تركي رابح عامره: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931-1956) ورؤساؤها الثلاثة، موفم، الجزائر، 2009.
- [4] أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج03 (1930-1945)، ط04، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992.
- [5] الشيخ محمد خير الدين: مذكرات الشيخ خير الدين، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت).
- [6] عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.
- [7] محمد زمران: معالم الفكر السياسي والاجتماعي عند الشيخ البشير الإبراهيمي، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، 1996.
- [8] أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان 1986.
- [9] الطاهر زهوني: التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1993.
- [10] محمد العربي ولد خليفة: الخنة الكبرى، الديوان الوطني للطبوعات المدرسية، الجزائر، 1999.
- [11] أعلام الصحافة الجزائرية، ج04 (الأمر خالد، الزاهري، أبو اليقضان)، تقديم: زهير إحدادن، مؤسسة إحدادن للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
- [12] عبد الرحمن شبان: مقدمة مجلة الشهاب، دار المعرفة، الجزائر، 2009م.
- [13] مومن العمري: الحركة الثورية في الجزائر، من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني (1926-1954)، دار الطليعة للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2003.
- [14] ناصر الدين، سعيديوني: "نظرة في البعد التاريخي للثورة"، معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954، جمعية أول نوفمبر، مطبعة عمار قرني، باتنة، 1992.

- [15] جريدة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الجزائر، ع: 172-173، يوم: 15 أكتوبر 1951.
- [16] علي مراد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925-1945، ترجمة: محمد يحياتي، دار الحكمة، الجزائر.
- [17] مولود عويمر: عبد الحميد بن باديس مسار وأفكار، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 1433هـ/2012م.
- [18] محمد بن ساعو: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية، دار الأمة، الجزائر، 2016.
- [19] يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1945، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- [20] عبد الحميد بن باديس: حياته وآثاره، ج 4، إعداد وتصنيف: عمار الطالبي، دار البيضة العربية، 1388هـ/1964م.
- [21] سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
- [22] محمد بن ساعو: الشيخ محمد الطيب بن الحواس هرباجي (1873-1931) دراسة بيوجرافية، مجلة المعارف للدراسات والبحوث التاريخية، جامعة الوادي، مج8، ع3، جوان 2023.
- [23] محمد بن ساعو: الشيخ محمد مساس الابراهيمي - جهود إصلاحية ونضال سياسي، مجلة التبيان، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد5، أبريل 2018.
- [24] تقرير مصلحة الاتصالات الشمال إفريقية، أبريل 1945، أرشيف ولاية قسنطينة.
- [25] أبو القاسم سعد الله: قراءة في كتاب الشيخ الطيب العقبي لأحمد مريوش، مجلة المصادر، تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ع: 12، السداسي الثاني 2005.
- [26] أهلول الورتلاني: أعلام الجزائر - الشيخ السعيد أهلول الورتلاني في مجموعة من رسائله ومجالسه وفتاويه (1859-1945م)، جمع وتقديم وتعليق: محمد الطاهر فضلاء، دار همومة، الجزائر.
- [27] رابع لونيسي: محاضرات وأبحاث في تاريخ الثورة الجزائرية، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط01، 2011م.

الصراع المذهبي وأثره على إنشاء المساجد في المغرب الأوسط "الصراع المالكي الاباضي في حاضرة ورجلان أنموذجا"

* جعفر بوزيدي

¹ قسم التاريخ ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الوادي، الجزائر

* djafarbz2018@gmail.com

الملخص

عرف المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط توافد العديد من الفرق والمذاهب على غرار حركة الخوارج الإباضية والمذهب المالكي السني واللذين انتشرا في كافة أرجاء بلاد المغرب وحواضره الكبرى كمدينة ورجلان، وهذه الأخيرة قد توافد إليها المذهبين وخاصة بعد سقوط تيهرت عاصمة الرستميين، فلم يكد يأفل نجم الدولة الرستمية في تيهرت سنة 296هـ حتى عجت منطقة أسوف وأريغ وورجلان بالعلماء، خاصة بعد اهتمامهم بإنشاء حلقات العلم والتأليف التي تطورت إلى نظام العزابة ليصبح بعد زمن نظاماً علمياً واجتماعياً متكاملًا. ولقد كانت ورجلان في هذه الفترة الممتدة من القرن الثالث إلى السابع للهجرة مركزاً تجارياً وعلمياً يربط المغرب الأوسط الإسلامي بجنوب الصحراء وحتى أقاصي غرب إفريقيا، فولدت هجرة الإباضية إليها نوعاً من الصراع المذهبي في المنطقة، فأصبح كل مذهب يدافع وينافح من أجل الانتصار لمذهبه من خلال المناطرات الدينية فأثر ذلك على بناء المساجد والتي تعتبر مظهراً من مظاهر هذا الصراع المذهبي في ورجلان، في هذا المقال سنحاول رصد الصراع المذهبي في حاضرة ورجلان وأثره على زيادة عدد المساجد فيها .

الإشكالية: ماهي آثار وانعكاسات الصراع المالكي الإباضي في ورجلان على بناء المساجد؟

عناصر المقال

01 التعريف بحاضرة ورجلان

02 دخول المذهب المالكي والإباضي وانتشارهما في حاضرة ورجلان

03 الصراع المذهبي وأثره على بناء و زيادة عدد المساجد

04 المساجد المالكية في حاضرة ورجلان

05 المساجد الإباضية في حاضرة ورجلان

الكلمات المفتاحية: حاضرة ورجلان - المالكية - الإباضية - المساجد .

Abstract:

During the Middle Ages, the Middle Maghreb knew the influx of many sects and sects, such as the Ibadhi Kharijite movement and the Sunni Maliki school of thought, which spread throughout the countries of Morocco and its major metropolises, such as Madinah and Raglan, and the latter flocked to the two sects, especially after the fall of Tihart, the capital of the Rustamids. The Rustamid state in Tihart in the year 296 AH until the region of Asuf, Areej, and Arjlan teemed with scholars, especially after their interest in establishing science and authorship circles that developed into a celibacy system to become, after a time, an integrated scientific and social system. In this period, from the third to the seventh century of migration, Wurjlan was a commercial and scientific center linking the Islamic Middle Maghreb with southern Sahara and even the far reaches of West Africa. Through religious debates, this affected the construction of mosques, which is considered a manifestation of this sectarian conflict in Ouarjlan. In this article, we will try to monitor the sectarian conflict in the metropolis of Warjlan and its impact on the increase in the number of mosques there.

Keywords: metropolis and Argelan – Maliki – Ibadhi – mosques

مقدمة

عرف المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط توافد العديد من الفرق والمذاهب على غرار حركة الخوارج الإباضية والمذهب المالكي السني واللذين انتشرا في كافة أرجاء بلاد المغرب وحواضره الكبرى كمدينة ورجلان، وهذه الأخيرة قد توافد إليها المذهبين وخاصة بعد سقوط تيهرت عاصمة الرستميين، فلم يكد يأفل نجم الدولة الرستمية في تيهرت سنة 296هـ حتى عجت منطقة أسوف وأريغ ورجلان بالعلماء، خاصة بعد اهتمامهم بإنشاء حلقات العلم والتأليف التي تطورت إلى نظام العزابة ليصبح بعد زمن نظاماً علمياً واجتماعياً متكاملًا. ولقد كانت ورجلان في هذه الفترة الممتدة من القرن الثالث إلى السابع للهجرة مركزاً تجارياً وعلمياً يربط المغرب الأوسط الإسلامي بجنوب الصحراء وحتى أقاصي غرب إفريقيا، فولدت هجرة الإباضية إليها نوعاً من الصراع المذهبي في المنطقة، فأصبح كل مذهب يدافع وينافح من أجل الانتصار لمذهبه من خلال المناظرات الدينية فأثر ذلك على بناء المساجد والتي تعتبر مظهرًا من مظاهر هذا الصراع المذهبي في ورجلان، في هذا المقال سنحاول رصد الصراع المذهبي في حاضرة ورجلان وأثره على زيادة عدد المساجد فيها .

الإشكالية: ماهي آثار وانعكاسات الصراع المالكي الإباضي في ورجلان على بناء المساجد؟

عناصر المقال

01 التعريف بحاضرة ورجلان

02 دخول المذهب المالكي والإباضي والصراع بينهما وأثره على بناء المساجد في حاضرة ورجلان

03 المساجد المالكية في حاضرة ورجلان

04 المساجد الإباضية في حاضرة ورجلان

01 التعريف بحاضرة ورجلان

1.1 - النشأة و التسمية :

لقد اختلفت الآراء حول زمن تأسيس أو نشأة مدينة ورجلان، لكن ما هو معلوم هو أن منخفض وادي مية قد عرف وجود الإنسان منذ القدم أي إلى العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث ، والدليل هو وجود شواهد أثرية تعود إلى هذا العصر ذات تأثير قفصي . وقد وجدت هذه القطع في محور يبلغ زهاء 100 كلم مما يحيط بالواحة ، لكن بالرغم من ذلك فقد افتقرت المنطقة إلى وجود بقايا إنسانية توافق هذه الصناعات

وقد تم العثور على البقايا خاصة في موقع قارة "كريمة" ، كما أرجع بعض الباحثين الأوربيين أن نشأة قصر وارجلان أو ورقلة يعود إلى شعوب " القرامنت" الذين وصفهم كل من هيروdot وسترابون ، أما ابن خلدون لم واختطوا يحدد لنشأتها أي تاريخ ويرى أن: " بني واركلا بطن من بطون زناتة كانت مواطنهم قبلة الزاب وارجلان على ثماني مراحل من بسكرة ... بنوا قصورا متقاربة ثم استبحر عمراؤها فصارت مصرا واحدا"297. أما الحسن الوزان الفاسي فيحدد تأسيس المدينة بقوله : " وركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء " تأسيس مدينة وارجلان الى الشيخ حادور جاء مع جماعة lethielleuxنوميديا"298. وقد حدد ليتيو" من الزنجبار وبنو القصر وسميت نسبة إلى سمرتهم وتشبيدها تم سنة 108هـ - 726م () ، أما دفيربي "

" لم يحدد تاريخ تأسيس وارجلان فيرى أنها من أقدم مدن الصحراء299.duveyrier وعلى هذا الأساس نعتبر أن مدينة وارجلان مدينة ضاربة في القدم ، وهي واحدة من المدن الصحراوية التي لها إرثها التاريخي الموهل في الزمن، حيث كانت عبارة عن قصور متقاربة ثم تجمعت لتكون مصرا واحدا ، ويعود ذلك ربما إلى زمن النوميديين.

2.1 تسمية المدينة كما وردت في المصادر:

إن المصادر التاريخية للقرون الوسطى الإسلامية، التي أرخت للفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب (القرن الأول للهجرة، القرن السابع للميلاد) ، لم تذكر وارجلان في مراحل الفتوحات، رغم أن الفاتح عقبة بن نافع قد اختار طريق الصحراء، لكنها لم تصلنا عنها أية معلومة على أنه مرّ عليها، أو على القرى المحيطة من حولها،

²⁹⁶عاشور صيد، العمارة والعمران الإسلامي بالمغرب الأوسط من خلال كتاب "القسمه وأصول الأراضين" للفرسطائي (ت 504هـ/1110م) مدينة وارجلان أنموذجا -دراسة تاريخية عمرانبة أثرية، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، معهد الآثار، 2020/2019، ص 294. ²⁹⁷ عبد الرحمان بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، 2000، مج7، ص 108. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي و محمد الأخضر، ط2، دار الغري الإسلامي، بيروت، 1983، ص 136. ²⁹⁸

-LesTouareg du Nord,-Tome Premier, Duveyrier(H), Exploration du Sahara

challamelAiné -Paris 1864 , P 284. ²⁹⁹

وبالتالي غاب اسمها في المصادر التي تضمنت أخبار وأحداث النصف الثاني من القرن الأول للهجرة. 300 ولم يظهر اسم المدينة بشكل واضح، إلا منتصف القرن الثاني للهجرة، أي زمن تأسيس الدولة الرستمية، وتوسعاتها التي شملت المنطقة الجنوبية للمغرب الأوسط بما فيها وارجلان التي أصبحت محطة تجارية هامة على طريق التبادل التجاري مع بلاد السودان الغربي، ثم ورد اسمها بقوة في المصادر التي أرخت لسقوط الدولة الرستمية، وفرار الناجين إلى وارجلان التي ذكرها أبو زكريا الوارجلاني بهذه التسمية أثناء تأريخه لتلك الأحداث، ثم توالت المصادر التي ذكرتها بتسميات متشابهة إلى حد كبير، لكن لم تعط تفسيراً أو ترجمة لمعنى التسمية³⁰¹.

فورد اسمها عند الجغرافيين العرب بأشكال متعددة واركلان وارجلان واركلا وارقلان ورقلة، وارقن، فهذه الأسماء كلها التي تختلف في النطق وشكل الكتابة، والجهة التي أطلقتها والعصر الذي استعملت فيه دالة على مكان واحد هو مدينة وارجلان، و ورقلة حالياً وقد ذكرها البكري قائلاً: "فإن أردت من تادمكة إلى القيروان فإنك تسير في الصحراء خمسين يوماً إلى وارجلان، وهي سبعة حصون للبربر أكبرها تسمى أغرم أن يكامن أي حصن العهود"³⁰²، أما الإدريسي قد رسم الكلمة ب: وارقلان حيث قال: "ومن مدينة المسيلة إلى وارقلان اثنا عشر مرحلة كبار وهي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة" وقد ركز وصفه على الجانب الاقتصادي المتطور، لكون تجارها يشترون أغلب التبر الذي في بلاد السودان الغربي، ويضربونه عملة في بلادهم تسمى الدينار³⁰³. وقد ضبطها ياقوت الحموي التسمية قائلاً: "وارجلان بفتح أوله وسكون وفتح الجيم وآخره نون كورة بين أفريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخيل والخيرات"³⁰⁴.

وقد ذكرها الدمشقي باسم وارقلان قائلاً وارقلان وبينها وبين تادمكة خمسون مرحلة وهي سبع حصون

أحمد ذكار، مدينة ورقلة التسمية والتأسيس، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرياح ورقلة، ع 17، 2014، ص 160.³⁰⁰

أبو زكريا يحيى بن بكر الوارجلاني، سير الأئمة وأخبارهم، تح: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 124.³⁰¹

أبو عبيد الله البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، مج 2، ص 371.³⁰²

أبو عبد الله محمد الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1989، مج 1، ص 109.³⁰³

محمد بن عبد العزيز ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، مج 5، ص 427.³⁰⁴

يسكنها البربر وهم إباضية لا يقيمون جمعة" 305 .

وجاء ذكرها عند الحميري بواركلان "وواركلان في طرف الصحراء مما يلي افريقية وهو بلد خصيب كثير النخل والبساتين وفيه سبع مدائن ميسورة وحصينة" 306.

أما ابن خلدون فقد حدد التسمية " بنو واركلان إحدى بطون زناته من ولد فريني بن جانا" 307 . ويقول أحمد توفيق المدني ورقلة واسمها الأصلي بني وارجلان قصر من أبداع القصور البربرية في الجنوب الجزائري 308.

02 دخول المذهبين المالكي والإباضي والصراع بينهما وأثره على بناء المساجد في

حاضرة ورجلان

في أثناء القرن الثاني الهجري حاول أئمة الإباضية على رأسهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة إقامة دولة مستقلة بالمغرب وفق المذهب الإباضي وذلك بإرساله حملة العلم الخمسة وكان من بينهم عاصم السدراتي فقد بايع أي الخطاب عبد الأعلى المعافري بالإمامة في طرابلس سنة 140هـ، وقد لقيت دعوة عاصم السدراتي استجابة لدى أهل سدراته و وارجلان الذين بايعوا أبي حاتم الملزوزي 309 ولكن فشل ثورة أبي حاتم ضد السلطة في القيروان أدى بأهل وارجلان إلى انتهاج سياسة الانطواء والعزلة، إلى غاية قيام الدولة الرستمية بتبهرت على يد عبد الرحمن بن رستم سنة 160هـ ، حيث أعلن أهل وارجلان ولائهم للدولة الرستمية فكانت تعاليم هذا المذهب تطبق بالمنطقة 310.

ولكن هذا الولاء بقي روحيا أكثر منه سياسيا، فقد بقيت مدينة وارجلان وسدراته مستقلتين وكل ما يربطها بالدولة الرستمية هو اعترافها بالتبعية الإسمية لها وكان يدير شؤونها أبو صالح جنون بن يمران. وبعد أن تمكن أبو عبد الله الشيعي القضاء على الدويلات التي بالمغرب الإسلامي، الأغلبة بإفريقية

الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار التراث العربي، ط1، بيروت، 1988، ص 316. 305
أبو عبد الله بن محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس،
ط2، مكتبة لبنان، 1984، ص 600. 306

ابن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص 106. 307

أحمد توفيق المدني، الجزائر، دار الكتاب البليدة، الجزائر، ص 1960، ص 127. 308

309 مصطفى باجو، أبو يعقوب الوريثاني وفكره الأصولي مقارنة بأبي حامد الغزالي، أطروحة ماجستير،
معهد الشريعة، جامعة قسنطينة، 1992/1993، ص 24.

علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، المطبعة العربية، غرداية، 1985، ج2، ص393. 310

والرستميين بتيهرت وبنى مدارار بسجلماسة فر آخر أئمة الرستميين يعقوب بن أفلاح مع أهله وجمع غفير من أهالي تاهرت متجهين إلى وارجلان وسدراته وذلك خوفا من بطش الشيعة. وبذلك أصبحت وارجلان ملاذال لفرار الإباضية ، فقد وجد الإمام الفار فيها كل الأمن والسلم لدرجة أن أهلها طلبوا منه الإمامة عليهم فأجابهم بمقولته الشهيرة " لا يستتر الجمل بالغنم" ، ونتيجة لخوف الفاطميين من هذه الهجرة فقد وجهوا حملة عسكرية سنة 297هـ / 910م إلى وارجلان للقضاء على الإمام والإباضية لكن اعتصامهم بجبل كريمة الذي على بعد أربعة كيلومترات جنوب وارجلان جعل العبيديين يرفعون الحصار عن المدينة بعد أن نشروا فيها الخراب 311.

كما كان لوارجلان دور في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد. (صاحب الحمار)، فقد فر إليها سنة 325هـ بعد تخلصه من الاعتقال، وبقي بها لمدة سنة لاستجلاب الأنصار ومعاودة الثورة وكان طيلة هذه السنة دائم التردد بين وارجلان وبنى بززال والأوراس ، وبعد مواصلته للثورة حوضر أبو يزيد في جبل كنانة، فكانت الإمدادات تصله من سدراته و وارجلان فقرر المنصور الفاطمي الهجوم عليها لقطع الإمدادات وقد حاول أبو يزيد إقامة حكومة مستقلة بوارجلان عن الحكم الفاطمي حيث طبع سكة ذهبية 312، لكن أعماله الشنيعة جعلته محل سخط أهالي المغرب حيث يصف أبو زكريا صاحب كتاب سير الأئمة أعماله بالقول ، " وكل مدينة أو قرية مرّ بها في طريقه خربها وسبا ذريتها وغنم أموالها ، كفعل نافع بن الأزرق وغيره بل زاد عليهم وأرى" ، وقد ارتكب أبو يزيد المعاصي والفجور ففاقت أعماله الجبارة والكياسة وخرب مايقارب ثلاثون ألف قرية لم تعمر إلى يومنا، فألت ثورته إلى الفشل بعد أن قضى عليه إسماعيل المنصور الفاطمي 313.

المذهب المالكي في حاضرة ورجلان

استمرت التحولات المذهبية في أوساط الجماعات الإباضية والإسماعيلية بالمغرب الأوسط خلال القرنين 5 و 6 هـ / 11 و 12م وعلى الرغم من أنّ المصادر التاريخية كانت شحيحة في توضيح كيفية تحوّل هذه الجماعات المذهبية بالمغرب الأوسط، إلا أنّ هذا لا يمنع من تمييز بعض العوامل التي ساهمت في اعتناقها للعقائد السنية والآراء الفقهية المالكية.

ولعلّ من أهم هذه العوامل تأثيرا في هذه الفترة، التبنى الرسمي للمذهب المالكي من قبل الدولة الحمادية، فقد كان أمراؤها يدعمون الحركة الفقهية المالكية في حواضر دولتهم، ويعينون فقهاء المالكية في العديد من

مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، جمعية التراث، غرداية، 1996، ص 39. 311

مصطفى باجو، المرجع السابق، ص 27. 312

أبو زكريا الوارجلاني، المصدر السابق، ص 118. 313

المؤسسات الدينية والمدنية مثل القضاء، والإفتاء، والإمامة³¹⁴، كما واصل التوجه السني المالكي انتشاره في أوساط الجماعات الإباضية ببلاد الزاب، ومن المدن التي يمكن اعتبارها نموذجاً للتحوّل المذهبي الذي عرفته هذه المنطقة، مدينة الغدير في غرب بلاد الزاب التي كان سكانها إباضية نكارية ينحدرون من قبيلة هواة في القرن 4هـ/11م، ثم بعد هذه الفترة، تغيرت الأوضاع المذهبية في هذه المدينة والأرياف المحيطة بها³¹⁵، وبدأت الحركة العلمية بما تصطبغ بالتوجه المالكي، ومن النخب العلمية المالكية التي اشتهرت منها؛ أبو عبد الله الغديري الذي كان معلماً للقرآن في الثلث الثاني من القرن 6هـ/12م³¹⁶، ومدينة بسكرة في جنوب بلاد الزاب التي تحوّل أهلها من الإباضية إلى المالكية في القرن 5هـ/11م³¹⁷.

وقد تزامنت هذه التحوّلات المذهبية التي عرفتها الجهات الشرقية للمغرب الأوسط، مع انتشار الجماعات الهلالية في هذه النواحي، فبعد ما أعلن الأمير الصنهاجي المعز بن باديس (406-454هـ/1016-1062م) القطيعة السياسية والمذهبية مع الفاطميين في مصر على الراجح في سنة 335هـ/1043م، وقام بمبايعة الخلافة العباسية، وإقرار المذهب المالكي كمذهبي رسمي في دولته، قام الفاطميون بمعاقبته، وذلك بإرسالهم لقبائل بني هلال وبني سليم من نهر النيل إلى بلاد المغرب في سنة 442هـ / 1050م³¹⁸.

ولما دخلت هذه القبائل إلى إفريقية، كانت بحكم ولائها للفاطميين، ينتمون لمذهبهم الشيعي الإسماعيلي، ولكن هذا الانتماء المذهبي لا يعدو أن يكون تديناً سطحياً، فقد قال عنهم ابن خلدون عند بدايات توسعهم ببلاد المغرب: "فلما غلبوا صنهاجة... سميت الرعايا بالأمصار عسفهم وعيئهم باختلاف الأيدي، إذ الوازع مفقود من أهل هذا الجيل العربي"³¹⁹. ثم بعد استقرارهم في بلاد المغرب كان تقبلهم للتصوّف بوابة لاندماجهم

عبد القادر بوعقادة، التحوّل المذهبي في العهد الصنهاجي -الحمادي الزيري- مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع 74، 2011، ص 13-14 .³¹⁴

³¹⁵ أبو الفضل بن موسى السبتي القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تصحيح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ج2، ص 332.

ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 188.³¹⁶

البكري، المصدر السابق، ج2، ص 230.³¹⁷

³¹⁸ طارق بن زاوي، استقلال المعز بن باديس عن الدولة الفاطمية (406-454هـ/1016-1062م)

أطروحة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص 170.

ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 19.³¹⁹

في المنظومة الدينية السننية المالكية خلال القرن 6هـ/12م.

كما امتد انتشار بعض الجماعات العربية جنوبا إلى معاقل الإباضية بنواحي بلاد أريغ و وارجلان في الثلث الثاني من القرن 5هـ/11م، ويمكن تقسيم هذه الجماعات إلى قسمين، الأولى: بدأت تستحوذ على بعض المجالات القريبة من قصور بلاد أريغ 320، والثانية: كانت تجوب هذه النواحي، ولكن النصوص الإباضية لم تشر إلى الأماكن التي قدمت منها 321. وقد ساهم انتشار الجماعات الهلالية في المناطق المحيطة بوارجلان وأريغ في زيادة الاضطرابات الأمنية بها، وذلك بسبب ما كانت تقوم به من عمليات سلب ونهب لممتلكات الساكنة، والقوافل التجارية التي تمر على هذه المنطقة 322.

كما بدأت العقائد السننية والآراء الفقهية المالكية تتغلغل بشكل جزئي في معاقل الإباضية بين منطقة أسوف شرقا وقصور بلاد أريغ غربا خلال القرنين 5 و6هـ/ 11 و12م 323، وكان من الجماعات القبلية البربرية التي يبدو أنها دانت بالعقائد السننية؛ قبيلة بني يوجين الوسيانية، وبعض الفروع من قبيلة مغراوة. وهذه الجماعات القبيلة هي الأخرى كانت تقوم بأعمال سلب ونهب لممتلكات الإباضية، وهذا ما زاد من الاضطرابات الأمنية في هذه الناحية 324.

وفي خضم هذا التحول المذهبي لبعض القبائل ونزوح القبائل الهلالية إلى وارجلان ظهرت بعض الجوانب السلبية التي جعلت هذه المناطق تشهد اضطرابات، هددت الوحدة المجتمعية للإباضية، فقد أدت الصراعات المذهبية في المنطقة فظهر بذلك في مدينة وارجلان مظاهر التحزب الضيف في الثلث الثاني من القرن 4هـ/10م حتى بدأت جماعات منها، يقولون لبعضهم البعض "مسجدنا، ومسجدكم و حصيرنا، وحصيركم." 325 وهذه الظاهرة ربما من .. وهذه الظاهرة ربما من أسبابها، قدوم القبائل الهلالية وتحول بعض القبائل للمذهب المالكي.

أبو الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني، سير الوسياني، تح: عمر بوعصبانة، نشر وزارة التراث والثقافة عمان، 2009، ج1، ص 405. 320

نفسه، ج2، ص686. 321

أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طبلاري، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974، ج2، ص 462. 322

الوسياني، المصدر السابق، ج 1، ص 353. 323

الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص 391، 441. 324

أبو زكريا، المصدر السابق، ص 247. 325

04 المساجد الاباضية في حاضرة ورجلان

يولي الاباضية مثل سائر المسلمين كل الأهمية للمساجد فهي بالنسبة اليهم مركز الاشعاع الديني . فالمسجد هو المكان الذي تقام فيه الشعائر الدينية ، كما أنه مركز قيادة المجتمع، خاصة بعد تحوّل النظام السياسي عندهم من إمامة الظهور إلى إمامة الكتمان أي ما يسمى بالإمامة الصغرى . حيث صار المسجد مكان اجتماع العلماء ورجال الفكر، وشيوخ القبائل . كما صار لها دورا حينما اتخذ أبو عبد الله محمد بن بكر من المساجد مقرا لهيئة العزابة المشرفة على مصالح المجتمع³²⁶.

فقد كانت مساجد وارجلان منبسطة فأكبرها يتوسط المدينة ، والمساجد الصغرى تتوزع على الأحياء . ولهذا المواقع أهميتها. فمنها المعنوى، وهو الشموخ ، والعلو ، والاشراف . ومنها الطبيعي وهو إمكانية رؤية الفجر ، وغروب الشمس للمؤذن، وانتشار الصوت خاصة إلى أماكن بعيدة . و توسط المساجد للبلدة يساهم أيضا في تقريب المسافات و توزيعها بالسوية تقريبا حتى يبسر ارتيادها و عمارتها³²⁷.

وما يميز مساجد الاباضية على الأغلب خلوها من الزخارف من فسيفساء أو آجر، أو رخام ، أو خشب منحوت. بل هي بسيطة كل البساطة في تصميمها وبنائها وذلك اقتداء بعمل الرسول صلى الله عليه وسلم حينما بنى مسجده . فلم يكلف المسلمين بجمع الأموال رغم أنه بإمكانه الاهتمام بهذا الجانب، خاصة بعد أن أفاء الله عليه الغنائم والأموال . فلو كان هناك أحد يمكن أن يظهر حبه لله تعالى بهذا التصرف لكان الرسول صلى الله عليه وسلم الأولى بفعله وكذا الخلفاء الراشدون من بعده.

ولم يلزم الاباضية أنفسهم فقط بهذه البساطة في البناء، بل إن أغلب الأرياف بالعالم الإسلامي ألزموا أنفسهم بذلك، فهو أذعى للخشوع من جهة، وأيسر للإكثار من المساجد وإتمام بنائها من جهة أخرى ، ويصفها الدكتور حسين مؤنس " أنها أسرفت في الواقعية حتى أصبحت في بعض الأحيان مجرد أشكال من اللين ، مهمتها حماية المصلين من وهج الشمس . .. وهي من هذه الناحية مساجد رائعة بمعنى أنها تروع النفس ببساطتها و هيئاتها". فكان هذه البساطة في العيش والبناء جعلت من الوارجلانيين يفكرون في أشياء أبسط بكثير من المساجد الواقية من الريح، والمطر ، ووهج الشمس، فصاروا يقصدون الغيران للتعبد، وسطوح الجبال لإحياء الليالي و التأمل

³²⁶ عمر سليمان بوعصبانة، معالم الحضارة الاسلامية بوارجلان، أطروحة ماجستير، المعهد الوطني العالي

لأصول الدين بالجزائر، 1992/1991، ص 58.

عمر سليمان بوعصبانة ، المرجع السابق، ص 59. ³²⁷

في ملكوت الله حتى سمي الجبل المشرف على سدراته و **وارجلان بجبل العباد إلى اليوم** ³²⁸ .
و من خلال كتب السير نعلم أن وارجلان مدينة تكثر فيها المساجد، و أماكن العبادة بأنواعها كما مسر.
ويذكر الوسياني أن أول مكان سجد فيه لله تعالى في وارجلان موضع الطير أمام مدينة أنجان و بني عليه الشيخ
أبو صالح جنون محرابه ، وحسبما يبدو أنه كان يريد التبرك ، وهذا لا ينفي أنه قد بنسبت مساجد بين الفترتين
فترة دخول الإسلام بوارجلان سنة (101هـ/719م) و بين نهاية القرن الثالث عهد أبي صالح
وإذا كان الشيخ حادور هو نفسه الذي ذكره جون ليتيو، فسيكون مسجد الشيخ حادور والذي وقع له نوع
من التجديد ، أقدم مسجد بوارج رجلان. لأنه حسب روايته أن الشيخ حادور أتى من زنجبار سنة 726 م
الموافق لسنة 108 للهجرة وهي السنة التي شيد فيها مدينة وارجلان .329
و من المساجد نجد مسجد الشيخ أبي سهل الذي عاش في القرن الخامس الهجري ،فقد شُيد خلف داره
وهو مسجد صغير ، سقفه متدن ، وعرضاته متقاربة، و بناؤه بسيط ، و غير متناسق يدلّ على العفوية في البناء ،
و يبعث على الرهبة والخشوع، ويفصله عن منزله صحن صغير يستعمله أهل الدار، ومنه يفضي الإنسان إلى
الخارج .

2 جامع العزابة الاباضي :

يعتبر مسجد العزابة بوارجلان من أقدم مساجد الإباضية ويسمى باللهجة البربرية "لالة عزة" وقد تعرض
جزء كبير منه إلى عملية التهديم والترميم، لكن الجزء المتبقي منه يحمل سمات العمارة المحلية أما بالنسبة لتاريخ
إنشاء هذا الجامع فلم تتوفر وثائق تاريخية تحدد تاريخ بنائه، مما يجعلنا نستند إلى بعض الروايات وبعض المقتطفات
من النصوص التاريخية إلى تحديد تاريخ إنشائه والذي يرجع بداية القرن الرابع الهجري (4هـ / 10م) أي أثناء فرار
الإباضية من تيهرت ولجوئهم إلى وارجلان وسدراته بعد سقوط عاصمة دولتهم على يد العبيديين. والشيء الذي
يدعم هذه الفرضية هو الطراز المعماري ومواد البناء وسائل الدعم التي تعود إلى تلك الفترة التاريخية وقد ورد ذكر
هذا الجامع في رحلة العياشي عندما زاره في وارجلان وصلى فيه صلاة المغرب حيث وجده متقن الصنعة و
الأرضية والحيطان فأعجبه ما فيه من وسائل الطهارة، وخاصة المكان المعد لتسخين الماء ، لكنه لم يعط لنا وصفا
كافيا للجامع فتلك الفترة.

ويقع هذا الجامع في وسط القصر العتيق بالجهة الغربية من ساحة السوق وهو متجه إلى القبلة أما شكله

نفسه، ص 58. 328

عمر سليمان بوعصبانة ، المرجع السابق، ص59. 329

عموما فهو يشبه شكل مضلع رباعي غير منتظم حيث يبلغ عرضه حوالي 24.70م أما جوفه فيبلغ حوالي 13م لكن بعد عملية التوسيع من الناحية الخلفية ازداد جوفه وأصبح يبلغ 20م .

هندسة المساجد الوردانية

نجد أن هذه المساجد تتميز بما يلي:

- انعدام القباب في أغلب مساجد وارجلان وذلك لاستغلال السطوح في ليالي الصيف التي تتميز بالحرارة الشديدة.
- وجود جدران سميككة أساساتها من الحجارة الصلبة المجلوبة من المقالع البعيدة ومنها من هو مبني بحجارة محلية هشة، ومنها ما هو من الحجارة الملحية الصلبة خاصة بعد تحفيها.
- وجود عرصات عريضة جدا قد يصل بعضها إلى المتر المربع مع تلاحم الأقواس المتعاكسة فوقها في السقوف، مما أدى إلى عدم وجود خشب النخيل والقباب
- انعدام المآذن بالمساجد (المصليات التي تقام فيها الصلوات الخمس دون الجمععات) 330

04 المساجد المالكية في حاضرة وارجلان

- المسجد المالكي الكبير (لالة مالكية)، مسجد سيدي صالح، مسجد سيدي منصور
- مسجد سيدي باعفو ، مسجد السنوسي، مسجد علي موكة (أو بقعة)، مسجد بهداج
- مسجد أبي الشان، مسجد الزاوية القادرية، مسجد سيدي عبد القادر، مسجد باهية .

التعريف بالمسجد الجامع المالكي العتيق

يقع الجامع المالكي في أقصى الشمال الغربي من القصر يحده جنوبا ساحة السوق والجامع الإباضي. ويحده غربا حي بني إبراهيم، ومن الناحية الشمالية فيحده حي بني وقين، أما الشمال الشرقي فتحده زاوية سيدي جلول، أما الجهة الغربية فتحده مجموعة سكنية من حي بني وقين تجاوره من الناحية الغربية وبالضبط في حي بني إبراهيم مجموعة من المصليات. 331

نبذة تاريخية عن الجامع :

ما نستدل، به من تاريخ تأسيس هذا الجامع هو ما ذكره ابن خلدون في كتابه العبر قائلًا: " لما استبد

عاشور صيد، المرجع السابق، ص344. 330

نفسه، ص 345. 331

الأمير أبو زكريا بن أبي حفص بملك إفريقيا وجمال في نواحيها في إتباع ابن غانية، مر بهذا المصر فأعجبه وكلف بالزيادة في تمصيره فاختط مسجده العتيق ومئذنته المرتفعة، وكتب عليه اسمه وتاريخ صنعه نقشاً في الحجاره، وهذا البلد لهذا العهد باب لولوج السفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان.³³²

وكان بناء هذا الجامع بين سنتي (1319-1346هـ)، كما وصف العياشي هذا الجامع في رحلته إذا أقام صلاة الجمعة فيه قائلاً: "كان دخولنا إلى مدينة وارقلة عشية الخميس، وأقمنا يوم الجمعة واليومين اللذين بعده ودخلنا المدينة لحضور صلاة الجمعة وصلينا بجامع المالكية، ثم بعد الصلاة طلعتنا المئذنة وهي مشرفة على المدينة كلها فنظرنا إلى أطرافها وفي وسطها وكنا نستقلها قبل ذلك فإذا هي مدينة لها سبعة أبواب وهي في وسط خط من النخيل ومساحة المدينة بالتخمين من نصف فرسخ"³³³.

ونستنتج من قول ابن خلدون و العياشي أن الجامع المالكي يعتبر من أقدم المساجد الموجودة داخل قصر وارجلان، لكن ما يثير الانتباه هو أن هذا الجامع الموجود حالياً ليس هو الجامع الذي ذكره ابن خلدون و الذي أسسه الأمير الحفصي أبو زكريا بل هو جامع آخر قد تهدم كلية ولم يبقى منه إلا الجدار السميكة الذي يبلغ طوله (largeau خمسة عشر متراً الموجود في الحدود الشمالية للقصر وهذا ما يراه الرحالة الفرنسي، لارجو) أن الجامع الذي شيده أبو زكريا هو جامع "زكريا" وليس الجامع المالكي.

الخاتمة

وفي الختام وبعد دراستنا لموضوع الصراع المذهبي في وارجلان وأثره على بناء المساجد نستنتج أن: حاضرة وارجلان حاضرة ضاربة في أعماق التاريخ وذلك بوجود آثار مادية تعود إلى الحضارة القفصية.

➤ عرفت وارجلان المذهب الإباضي في وقت مبكر فقد كانت أرضاً خصبة لدى الدعاة الإباضية من أجل

نشر مذهبهم

➤ ان التراجع الإباضي نحو وارجلان بعد سقوط الدولة الرستمية على يد العبيديين لم يكن محض الصلفة بل كان لورجلان أهمية بالغة وموقع استراتيجي واقتصادي هام تمكن الإباضيين من الهرب من الخطر الشيعي

ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 106. ³³²

مولاي بلحميسي، مدينة ورقلة في رحلة العياشي، مجلة الأصالة، ع 41، ص 62-63. ³³³

- كان للقطيعية الحمادية الفاطمية الأثر البالغ في تغيير الخارطة المذهبية في حواضر الجنوب الشرقي للمغرب الأوسط كبلاد الزاب وأسوف وأريغ و وارجلان خصوصا بعد الاجتياح الهلالي لتلك الحواضر.
- أدى التغيير في الخارطة المذهبية في المغرب الأوسط الى صراعات مذهبية مما نتج عنه تحزب الجماعات وبذلك أصبح لكل مذهب مضاربه ومساجده وبذلك زاد عدد المساجد في المنطقة.
- تميزت المساجد الاباضية في ورجلان بالبساطة وخلوها من الزخرفة.

المصادر والمراجع

- 1 عاشور صيد، العمارة والعمران الإسلامي بالمغرب الأوسط من خلال كتاب "القسمه وأصول الأراضين" للفرسطائي (ت 504هـ/1110م) مدينة وارجلان أنموذجا -دراسة تاريخية عمرانية أثرية، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، معهد الآثار، 2020/2019، ص 294.
- 2 عبد الرحمان بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، 2000، مج7، ص 108.
- 3 الحسن الوزان، وصف افريقيا، تر: محمد حجي و محمد الأخضر، ط2، دار الغري الإسلامي، بيروت، 1983، ص 136.
- 4 -LesTouareg du Nord,-Tome Premier, Duveyrier(H), Exploration du Sahara
challamelAiné -Paris 1864 , P 284.
- 5 أحمد نكار، مدينة ورقلة التسمية والتأسيس، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرياح ورقلة، ع 17، 2014، ص 160.
- 6 أبو زكريا يحي بن بكر الوارجلاني ، سير الأئمة وأخبارهم، تح: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص124.
- 7 أبو عبيد الله البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، مج 2، ص371.
- 8 أبو عبد الله محمد الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1989، مج 1، ص 109.
- 9 محمد بن عبد العزيز ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، مج 5، ص 427.

- 10 الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار التراث العربي، ط1، بيروت، 1988، ص 316.
- 11 أبو عبد الله بن محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984، ص 600.
- ابن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص 106.¹²
- أحمد توفيق المدني، الجزائر، دار الكتاب البليلة، الجزائر، ص 1960، ص 127.¹³
- ¹⁴ مصطفى باجو، أبو يعقوب الوريثاني وفكره الأصولي مقارنة بأبي حامد الغزالي، أطروحة ماجستير، معهد الشريعة، جامعة قسنطينة، 1992/1993، ص 24.
- 15 علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، المطبعة العربية، غرداية، 1985، ج2، ص393.
- مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، جمعية التراث، غرداية، 1996، ص1639.
- مصطفى باجو، المرجع السابق، ص 27.¹⁷
- أبو زكريا الوريثاني، المصدر السابق، ص 18.118
- 19 عبد القادر بوعقادة، التحول المذهبي في العهد الصنهاجي -الحمادي الزيري- مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع 74، 2011، ص 13-14 .
- ²⁰أبو الفضل بن موسى السبتي القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تصحيح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ج2، ص 332.
- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 188 21
- البكري، المصدر السابق، ج2، ص 230 22
- ²³ طارق بن زاوي، استقلال المعز بن باديس عن الدولة الفاطمية (406-454هـ/1016-1062م) أطروحة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2008/2009، ص170.
- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 2419.
- 25 أبو الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني، سير الوسياني، تح: عمر بوعصبانة، نشر وزارة التراث والثقافة عمان، 2009، ج1، ص 405.
- نفسه، ج2، ص 686 26
- 27 أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طبلاوي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974، ج2، ص 462.
- الوسياني، المصدر السابق، ج 1، ص 28353.

- الوسيانى، المصدر السابق، ج1، ص 391، 441 29
- أبو زكريا، المصدر السابق، ص 247 30
- ³¹ عمر سليمان بوعصبانة، معالم الحضارة الاسلامية بوارجلان، أطروحة ماجستير، المعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر، 1992/1991، ص 58.
- ³² عمر سليمان بوعصبانة ، المرجع السابق، ص 59.
- نفسه، ص 58. ³³
- عمر سليمان بوعصبانة ، المرجع السابق، ص 59 34
- عاشور صيد، المرجع السابق، ص 344 35
- نفسه، ص 345 36
- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 106 37
- مولاي بلحميسي، مدينة ورقلة في رحلة العياشي، مجلة الأصالة، ع 41، ص 62-63 38

مسجد العالم العلامة سيدي الفقيه سرار الإدريسي الحسني

ودوره في المجتمع في أواخر القرن السابع الهجري.

*الإسم الأول د/ أبوبكر إبراهيم خليفة سعد السراري

باحث بالهيئة الليبية للبحث العلمي - طرابلس -

*العنوان البريدي (aboobakr96@yahoo.com)

ملخص البحث

أن المسجد في المجتمع الإسلامي له أهمية ودورا عظيم في المجتمع ويعد المسجد العتيق (مسجد سيدي الفقيه سرار) بمدينة بني وليد من الآثار الإسلامية في ليبيا، و تخرج من هذا المسجد أجيال متتالية من العلماء والفقهاء والقضاء على مدى 680 سنة حيث أخذ المذهب المالكي كمنهج للتدريس والعقيدة الأشعرية السنية، والذي شيده الإمام الجليل سيدي الفقيه سرار الشريف الإدريسي الحسني في أواخر القرن السابع الهجري، سمي هذا المسجد بالجامع العتيق الأول لكونه من اقدم المساجد بمدينة بني وليد وكانت مساحته ليست بكبيرة و كما عرف أحيانا بجامع السادة السراة العشرة نسبة لأولاده الذين دفنوا بجانب هذا المسجد العتيق، حيث أتبع نمط البناء لهذا المسجد البناء التقليدي (البناء الحجري)، ويأخذ على هيئة مربع ويتوسط المسجد قوسين يتمركزان على عمود حجري، ولازال على هيئته الأولى الذي بني عليها (البناء الحجري) ويوجد على أحد الأقواس بالداخل نقوش كتب عليها سنة الترميم والمدونة بتاريخ 805 هجري وإلى يومنا هذا ليصل عمر الترميم إلى 640 سنة، حيث انتقل الفقيه سيدي سرار إلى وسط المدينة (قصر السراة) وبناء المسجد القائم إلى وقتنا هذا والذي سمي بمسجد سيدي الفقيه سرار واستمرت الدروس العلمية والرسالة التي قام بها المسجد الأول (المسجد العتيق). حيث تخرج من هذا المسجد (مسجد سيدي الفقيه سرار قصر السراة) وتخرج من المسجد كوكبة من العلماء والفقهاء والقضاء ومن أشهر هؤلاء الأعلام سيدي الفقيه العلامة خليفة بن سرار سيدي الفقيه العالم العلامة هلال بن سرار سيدي الفقيه العلامة علي بن سرار سيدي الفقيه العلامة عبد العزيز بن سرار سيدي الفقيه العلامة عبد الخالق بن سرار سيدي الفقيه العلامة عمران بن سرار سيدي الفقيه العلامة إبراهيم بن سرار سيدي الفقيه العلامة خليفة بن عبدالله القاضي السراري وسيدي العلامة القاضي سيدي علي بن معتوق السراري وسيدي العلامة إسماعيل القرج السراري و العلامة سيدي أحمد بن خليفة السراري وغيرهم. وكلهم تولى الإمامة والخطابة و التدريس والفتيا والقضاء والتوثيق ثم توالى من بعدهم ذرياتهم من الأسرة الشريفة .

19. المقدمة

يعرف المسجد لغويا : هو الموضع الذي يسجد فيه ، وكل موضع يتعبد فيه مسجد . وقيل إن المسجد - بكسر الجيم - إسم لموضع العبادة يسجد فيه أم لم يسجد [1]. والمسجد - بفتح الجيم - هو المحراب وبالكسر مصلى وجمعها المساجد [2]. وأما المسجد بحسب الإصطلاح الشرعي: المكان الذي أعد للصلاة فيه على الدوام ، وأصل المسجد شرعا: كل موضع من الأرض يسجد لله فيه [3]. ولقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذا المعنى بقوله ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ سورة الجن الآية (18) ، ليكون الحضور والتوجه والعبادة في المسجد خالصا لوجه الله ، وأن المساجد هي بيوت الله وهي خير بقاع الأرض ، يقول النبي ﷺ (أحب البقاع إلى الله مساجدها وأبغضها إليه أسواقها) [4]. ويقول أيضا النبي (...وجلعت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأبما رجل من أممي أدركته الصلاة فليصل) [5].

أما الجامع: فهو نعت للمسجد، سمي بذلك لأنه يجمع أهله، ولأنه علامة للاجتماع، فيقال: المسجد الجامع، ويجوز (مسجد الجامع)، بالإضافة بمعنى: مسجد اليوم الجامع [6] ويقال للمسلمين الذي تصلي فيه الجمعة وإن كان صغيرا، لأنه يجمع الناس في وقت معلوم، وأن أغلب المساجد اللببية الصغيرة لم تزود بمآذن، لأنها مساجدا أوقات ويمكن أن تصنف إلى العناصر التالية:

(1) المساجد التي لم تزود بأي نوع من أنواع المآذن: وهو أن يؤدي المؤذن الأذان واقفا أمام المسجد، أو في الردهة. [7] الواقعة بين الصلاة والشارع، وهذه المساجد لم تزود بمنابر بإستثناء الجامع الذي زود بمنبر وتقام فيه صلاة الجمعة.

(2) المساجد التي زودت بمآذن: وبعض المساجد قد زودت بمئذنة مثمثة الشكل، لها شرفة واحدة محمولة على طبقتين من الحنايا الصغيرة المعقودة، وهذا يعطينا شكلا معماريا [8].

أهمية المسجد في الإسلام: أن مهمة المسجد في الإسلام مهمة سامية فهو المكان الذي يقف فيه المسلم بين يدي خالقه يناجيه، ويستشعر عظمته أثناء أداء صلاته، أول مسجد وضع في الدنيا على وجه الكرة الأرضية إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي ﴿لهذه الغاية، والغايات الأخرى سامية، هو بيت الله الحرام، قال الله تعالى سورة ال عمران الآية ﴿بِبَكَّةٍ مُّبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا قَامُوا فِيهَا وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (96). ومن المسجد الحرام انطلقت دعوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام ومنه جهر بدعوته وسار أصحابه من بعده على هذا النهج فجعلوا من المساجد منابر يرشدون الناس من خلالها [9]. وبقي المسجد على مدار التاريخ الإسلامي مركزا للتعليم الكبار والصغار، ولتحقيق الأهداف العملية لتربية الناس فخرج منها العلماء

والفقهاء [10].

ولذلك يعد المسجد المكان الذي يتساوى في الجميع أفراد المجتمع دون تكبر أو أناية لصبح الجميع في ساحة العبودية الصادقة لربهم. كما أنه اللبنة الأولى لقيام المجتمع [11].

إن للمساجد دورا عظيما في الإسلام، وهي أشرف البقاع على وجه الأرض، حيث يذكر فيها إسم الله جلا وعلا في وقت لا يغفلون عن طاعته سبحانه وتعالى يقول الله عز وجل ﴿ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعُ وَيُنْكَرُ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ اسورة النور الآية (36 - 37). والمساجد تعالج القلوب وتنزل عليها الرحمات وترف الملائكة بأجنتها، وهي خير الأماكن لتربية المسلمين، وكما أخبر رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم (بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التمام يوم القيامة) [12].

والوصول إلى المساجد والحضور إليها أمر عظيم يوجب للإنسان المغفرة، فإن من يرتاد المساجد لأداء الصلوات إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى ﴿ لا بد لنا أن نشهد له بالإيمان، قال الله تعالى سورة التوبة الآية (18). ﴿الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ ومن المعروف أن الإنسان وليد بيئته، يؤثر فيها ويتأثر بها؛ لذلك من المهم قبل الدخول في تفاصيل حياة سيدي الفقيه سرار أن نلقي نظرة ولو قليلة على العصر أو البيئة التي عاش فيها فأقول عصر الدولة الحفصية سنة 800 هـ. وأجمعت أغلب الروايات المنقولة عن أولاده وحسب شجرة [13] النسب الشريف على أن اسم الشيخ سيدي الفقيه سرار بن عمر بن مخزوم بن محمد بن عمران بن محمد بن عاصف بن عبد الخالق بن موسى بن ناصر بن منصور بن يعقوب بن عمران بن عبد الرحمن بن أحمد بن غلام بن عبد الله بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن مولاي الخليفة الإمام اسد الله الغالب علي بن أبي طالب وبن سيدتنا ومولاتنا البتول فاطمة الزهراء بنت مولانا وحبیبنا وقائدنا رسول رب العالمين وإمام المرسلين محمد بن عبد الله الهاشمي صل الله عليه وعلى آله وسلم ، أما عن مولده فقد اتفقت أغلب الروايات على أن مولده كان بمدينة فأس من المغرب في القرن السابع - الهجري وقد درس بجامع القرويين الشهير وتخرج على يده اكابر العلماء من هذا الصرح الإسلامي العظيم بتلك الفترة ثم هاجر وخرج من مدينة فأس إلى البلاد التونسية مروراً بالجزائر وأستقر بتونس فترة من الزمن ونهل من علوم جها بذة علماء جامعة الزيتونة (القيروان) حيث كانت عاصمة الدولة الحفصية في ذلك التاريخ، وبعد ذلك أنتقل إلى البلاد الطرابلسية وأستقر بمدينة طرابلس حيث نهل من علمه طلبة العلم واستفدوا من فترة اقامته بمدينة طرابلس الغرب، ولم يستقر بها وأنتقل بعد ذلك إلى بلدة بني وليد التي تقع جنوب شرق مدينة طرابلس بمسافة تقدر 180 كيلو متر، ذات الموقع الاستراتيجي الهام حيث أنها تتوسط المنطقة الوسطى من البلاد وتعتبر محطة هامة للقوافل المتجهة إلى جنوب البلاد والبلاد الأفريقية، وكذلك

محطة هامة للقوافل القادمة من الجنوب إلى مدن الساحل، وكذلك محطة ترحال قوافل الحجيج القادمون من الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا في ذهابهم إلى الحج ورجوعهم مم يقيمهم في هذه البلاد وخاصة في مسجد الفقيه سيدي سرار الشريف ولا يخفى عن علمكم أن هذه القوافل يكون فيها من الفقهاء والعلماء والصلحاء العدد الكبير فيعلمون ويتعلمون أثناء نزولهم ببلدة بني وليد ، وبقائهم في الزاوية والمسجد فيقوم المسجد بدوره من تدريس فيحصل بينهم تبادل للمسائل الفقهية وتبادل الحديث في شؤون المسلمين ومن المعروف عن هذا المسجد دور العلماء والفقهاء في الإصلاح بين القبائل بهذه المنطقة لا يرد لهم كلمة ولا ينقض لهم حكم لعلمهم وواجباتهم وانتسابهم للدوحة الهاشمية الشريفة .

لحة تاريخية عن المسجد العتيق الأول (المرحلة الأولى):

يعد المسجد العتيق بمدينة بني وليد من الآثار الإسلامية في ليبيا والذي يقع في الجانب الشرقي من المدينة على بعد 4 كيلو متر من وسط المدينة البلدية ، والذي شيده الإمام الفقيه العالم سيدي الفقيه سرار الشريف الإدرسي الحسيني قبل عام 805هـ ، سمي هذا المسجد بالجامع العتيق الأول لكونه من أقدم المساجد بمدينة بني وليد وكما عرف أحيانا بجامع السادة السرارة العشرة نسبة لأولاده الذين دفنوا بجانب المسجد العتيق حيث يتخذ المسجد الطراز التقليدي في البناء وهو مربع الشكل يتوسطه عمود وكذلك قوسين في الوسط ولازال على هيئته الأولى الذي بني عليها بالحجارة ويوجد على أحد الأقواس بالداخل نقوش من بينها سنة الترميم وهو مؤرخ بتاريخ 805هـ بالداخل وكانت مساحته ليست بكبيرة ، وتولى التدريس بمسجده الذي أنتقل إليه من المسجد العتيق المعروف الآن بمسجد السادة العشرة إلى المسجد القائم بوسط مدينة بني وليد بمحلة السوق بقصر قبيلة السرارة ، حيث تولى التدريس فيه بنفسه ، ثم أولاده من بعده ومن أشهرهم من تولى الإمامة والخطابة والتدريس والفتوى والقضاء والتوثيق ، و يعتبر المسجد منارة للجميع لدوره العظيم في تعلم وتخريج أجيال متوالية على مدى 650 سنة ترسيخا للمذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والتصوف السني ، وهي مسؤولية تبناها وقام بها إمامة هذا المسجد وسار بها تلاميذهم في شتى الأنحاء ومن أشهر الأعلام الفقهاء الذين درسوا وخرجوا وعلموا في هذا المسجد، سيدي خليفة بن سرار وسيدي عبد العزيز بن سرار وسيدي عبد الخالق بن سرار وسيدي عمران بن سرار وسيدي علي بن سرار ثم أولادهم من بعدهم إلى وقتنا الحاضر حيث تسلسل فيهم منصب القضاء على لواء ورفلة كما يعرف في وقت الخلافة العثمانية وهي مدينة بني وليد وضواحيها إلى الآن ، كما لا يخلوا عصر أو فترة زمنية من القرن التاسع الهجري إلى عهد الاحتلال الإيطالي من وجود موقنين وكتاب من ذرية مولاي سيدي الفقيه سرار في وثائق هذه المنطقة بما يختص بحجج التملك والبيع والشراء والتحبس وفض النزاعات والمواريث ولا تجد أحد من ذريته أو من أحفاده إما قاضيا أو فقيها أو شاهدا من العدول .

تلاميذه: سيدي الفقيه العلامة خليفة بن سرار سيدي الفقيه العالم العلامة هلال بن سرار سيدي الفقيه العلامة علي بن سرار سيدي الفقيه العلامة عبد العزيز بن سرار سيدي الفقيه العلامة عبد الخالق بن سرار سيدي الفقيه العلامة عمران بن سرار سيدي الفقيه العلامة خليفة بن عبد الله القاضي السراري وسيدي الفقيه العلامة القاضي علي بن معتوق السراري وسيدي الفقيه العلامة القاضي إسماعيل بن علي بن معتوق وسيدي الفقيه العلامة القاضي أحمد بن إسماعيل بن علي بن معتوق وسيدي محمد بن يونس السراري و العلامة وسيدي العلامة إسماعيل القرج السراري والعلامة سيدي أحمد بن خليفة السراري الذي كان قاضيا على البلدة، وكتابتا لنوازل الشيخ المفتي عمر بن محمد بن علي بن أبوبكر المغربي الحساني الشهير بالشيخ السوداني صاحب كتاب النوازل الذي كتبه عنه القاضي المذكور مباشرة والشيخ عمر السوداني كان له حضوره عند يوسف باشا القرمالي الذي بنى له مدرسته المعروفة بزاوية الشيخ السوداني بقبيلة الطبول حيث كان القاضي أحمد أخذ العلم عن والده سيدي عبد الله القاضي السراري وأعمامه بالمسجد الثاني وتلمذ على الشيخ عمر بن محمد السوداني ، الذي كان تلميذا لوالد القاضي أحمد وهو سيدي خليفة القاضي المدرس والإمام بالمسجد ، وكذلك من أشهر خريجي هذا المسجد الشيخ العلامة أحمد بن خليفة الملقب بالإمام الذي تولى الفتيا والقضاء بمنطقة مصراته ، ثم أنتقل ابنه العالم العلامة سيدي محمد المطاوع السراري إلى مدينة بنغازي وتولى منصب الفتيا والقضاء فيها ، وخلفه من بعده في هذا المنصب ابنه العالم والفقيه سيدي سالم المطاوع السراري والشيخ الفقيه عبد الوافي بن حميدة السراري والشيخ الفقيه عبد المطلب بن إبراهيم المخزوم السراري . [14]

مؤلفاته: لديه مصحف من القرآن الكريم كاملا مكتوبا بخط يده وهو بالخط الأندلسي والخط الحساني و مخطوط لتفسير القرآن العظيم.

المنهجية:

اعتمد الباحث على:

- المنهج الاستقرائي في جمع المادة.
- المنهج الوصفي في عرض المادة.
- زيارة ميدانية إلى منطقة الدراسة حيث تم تصويرها وتجميع الصور ووصفها بشكل يوضح كل الجوانب.
- تجميع المخطوطات القديمة والروايات الشفوية.
-



الصورة (1) للمسجد العتيق يوضح نمط البناء الحجري.

توضح الصورة (1) بناء المسجد العتيق بنى الشيخ سيدي الفقيه سرار الشريف المسجد من الحجارة والرمل طين وهي مكونات طبيعية كانت تستخدم في البناء في تلك الفترة وهذه المكونات في الأصل حجارة من الحجر الرملي متكونة من علميات التجوية والتعرية في الأرض استخدمت هذه الصخور للبناء، حيث يتخذ المسجد شكلا أمتار طولا و8 أمتار عرضا ويقع في شرق المدينة ويبعد عن مركز المدينة حوالي 4 كم في مربعا مساحته تقريبا 8 اتجاه طريق بلدية المردوم.



الصورة

(2)

الواجهة الأمامية للمسجد العتيق جهة الشرق.

توضح الصورة (2) مدخل المسجد الأمامي من جهة الشرق وهو على شكل حائط طوله 8 أمتار وارتفاعه 3 أمتار يوجد به باب طوله تقريبا 2 متر وعرضه 1 متر ، ويوجد به نافذة بطول 40 سم وعرضها 20 سم



الصورة (3) الواجهة الجانبية للمسجد العتيق جهة الغرب

توضح الصورة (3) المسجد من ناحية الغرب هو على هيئة حائطين من الحجارة مختلفتان في الارتفاع حيث يرتفع الأول بمقدار 1 متر على هيئة قاعدة من التراب والحجارة لغرض بناء الحائط ثاني بمقدار 3 أمتار.



الصورة (4)الواجهة الجنوبية للمسجد العتيق جهة الجنوب.

الصورة (4) توضح المسجد من جهة الجنوب وهو حائط من الحجارة المتراصة على بعضها البعض تقابل المقبرة من جهتها الشمالية ويتوسط الحائط قوس للمحراب من الخارج وفيه بروز.



الصورة (5) الواجهة الخلفية للمسجد العتيق جهة الشمال

توضح الصورة (5) توضح المسجد من الجهة الشمالية باتجاه القبلة وهو حائط من الحجارة طوله تقريبا 8مير وارتفاعه 3 متر متكون من الحجارة المترابطة مع بعضها البعض ملتحمة مع بعضها بواسطة الرمل والطين ويظهر السقف بشكل واضح.



الصورة (6) من داخل المسجد العتيق توضح الأقواس.

الصورة (6) توضح شكل الأقواس للمسجد العتيق من الداخل وبه قواسين يتوسطهم عمود على شكل دائري يرتكز عليه القوسين ويوجد نافذة صغيرة تتوسط القوسين من أعلى ويوجد على الأقواس حائط من الحجارة المترابطة على بعض ملتحمة بالرمال والطين.



الصورة (7) من الداخل المحراب للمسجد العتيق

الصورة (7) توضح محراب المسجد العتيق في شكل مجوف داخل الحائط باتجاه القبلة على هيئة قوس من الحجارة المترابطة .



الصورة (8) للمسجد العتيق توضح شكل النوافذ.

الصورة(8) توضح نوافذ المسجد العتيق على هيئة فتحة تحتقر الحائط من جهة الشرق وهي من الحجارة الجانبية ويتواجد قوس صغير في أعلى النافذة من الداخل بينما من الخارج مستطيل الشكل .



الصورة (9) للمسجد العتيق توضح السقف .

الصورة (9) توضح سقف المسجد العتيق وهو غطاء يغطي المسجد من الأعلى من جدوع الأشجار الطويلة الممتدة من الجانبين الشمالي الي الجنوبي بشكل طولي حيث يبعد الجذع عن الجذع الآخر بمسافة تقريبا 2 متر ، وتغطي الفراغات بين الجذعين بجدوع الأشجار متوسطة الطول (المسافة بين الجذعين) ، وتغطي الجذوع بالطين والرمل المتماسكين .



الصورة (10) فتحة توضح اتجاه القبلة للمسجد العتيق.

الصورة (10) توضح من الداخل وهو المحراب يتوسط المسجد العتيق وله فتحة من الأعلى بأتجاه القبلة ويرى من خلالها أشجار النخيل.



الصورة (11) من داخل المسجد العتيق توضح النقش المكتوب على أحد الأقواس.

الصورة (11) توضح النقش الموجود على الأقواس وهي عبارة عن كتابة للبسملة والصلاة على النبي صل الله عليه وسلم، وتاريخ بناء المسجد العتيق بتاريخ الهجري 805هـ.

المرحلة الثانية: من حياة سيدي الفقيه سرار بدأت هذه من انتقاله من مكان اقامته ببيته المجاور للمسجد العتيق كما هو موضح في الصورة رقم (12)، حيث أنتقل سيدي الفقيه سرار إلى قصر السرارة الموجود بوسط مدينة بني وليد حيث قام الشيخ بأثناء المسجد الثاني الذي بجوار محل سكانه في قصر السرارة ولازال المسجد موجود في وسط مدينة بني وليد حتى الآن كما هو موضح في الصورة رقم(13) حيث تم تطوير والعناية بالمسجد من خلال أولاده الذين تصدروا لخدمة المسجد حتى الآن



الصورة رقم (12) معالم المسجد وبيت سيدي الفقيه سرار وبئر الماء



الصورة (13) مسجد سيدي الفقيه سرار المرحلة الثانية



الصورة (14) مسجد سيدي الفقيه سرار من الداخل المرحلة الثانية.

الصورة (14) توضح المسجد من الداخل بعد صيانتته وتجديد المنبر والمحراب.



الصورة (15) التوسعة الحديثة للمسجد.

الصورة (15) توضح التوسعة من جهة الشرق للمسجد في سنة 2005م مساحتها 15متر * 10متر.

الخاتمة والتوصيات

الخاتمة

للمسجد رسالة عبر التاريخ الإسلامي حيث نجح المسجد في التنشئة الاجتماعية وغرس القيم المثلى في الأجيال المسلمة، ويتضح جليا في نتاج هذه المسجد من العلماء والفقهاء والصلحاء عبر كل المراحل التي مر بها المسجد منذ نشيئته على يد الشيخ الجليل سيدي الفقيه العلامة سرار الشريف الإدريسي الحسني ومن بعده ذريته إلى يومنا هذا.

التوصيات

- (1) الاهتمام بالتراث الإسلامي العريق.
- (2) صيانة وترميم المساجد التراثية

- (3) وضع قاعدة بيانات للمساجد التاريخية في ليبيا
- (4) تجميع المخطوطات المرتبطة بالمساجد التاريخية
- (5) تشجيع القائمين على هذه المساجد ماديا ومعنويا
- (6) تشجيع الباحثين في هذا المجال.
- (7) نشر الأبحاث والدراسات المتعلقة بهذا الجانب والاستفادة منها.

المراجع:

- [1] اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد سعيد الخوري الشرثوني - دار الأسوة 5 مجلدات.
- [2] تهذيب اللغة ، محمد بن احمد بن الأزهرى ، تحقيق محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الأولى 2001م .
- [3] معجم لغة الفقهاء، محمد رواس ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية 1408هـ - 1988م .
- [4] صحيح مسلم الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، الطبعة الأولى ، دار الخلافة العلمية ، 1330هـ ، رقم الحديث 671.
- [5] صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح ، للإمام بوعبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق جماعة من العلماء ، الطبعة السلطانية ، ببولاق مصر ، 1311هـ ، كتاب المساجد ، باب الصلاة ومواضع الصلاة ، رقم الحديث 521هـ .
- [6] اسان العرب محمد بن مكرم بن علي أبوالفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، دار صادر -بيروت ، الطبعة الثالثة -1414 هـ - 5518.
- [7] معجم المصطلحات السياحية (بالعربية والإنجليزية) مراجعة : روجي البعلبكي (ط.2) ، الرياض : وزارة السياحة السعودية 20/3 ، 7/.
- [8] معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون (بالعربية والإنجليزية والفرنسية) القاهرة : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، 1980م ، ص 20.
- [9] وظيفة المسجد في المجتمع ، صالح الخريم ، 1419 هـ ، الطبعة 1 ، ص 11- 15.
- [10] الأثر التربوي للمسجد ، صالح السدلان ، ص 10 - 11.
- [11] الأثر التربوي للمسجد ، صالح السدلان ، ص 8 - 9.
- [12] الجامع الكبير سنن (الترمذي)، ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الناشر دار الغرب الإسلامي -

بيروت - الطبعة الأولى، 1996م، رقم الحديث 223.

[13] الرابطة العالمية العامة للأشراف بالنسب الشريف. المغرب: ص. ب (1783) الرباط، هاتف

0021261140499

[14] الرابطة العالمية العامة للأشراف بالنسب الشريف . المغرب: ص. ب (1783) الرباط هاتف

.0021261140499

المراجع الشفوية:

(1) السيد الدكتور / طارق بن السيد علي القاضي السراي، مستشار المجلس الأعلى للسادة الأشراف، نقيب

السادة السراة.



توصيات واقتراحات المؤتمر

- 1 - مطالبة الجهات ذات العلاقة بضرورة وضع أسس للمكونات والعناصر الرئيسية والثانوية للمساجد والزوايا القرآنية وذلك بتشكيل لجنة فنية استشارية من ذوي الخبرة والتخصص لإعداد كراسة معمارية لتحديث المفردات والعناصر المكونة للمساجد والزوايا القرآنية.
- 2 - مطالبة مصلحة التخطيط العمراني بدولة ليبيا بتطوير المعايير التخطيطية والأسس التصميمية للمساجد والزوايا القرآنية.
- 3 - تفعيل وتطوير القوانين واللوائح المتعلقة بتطبيق مبدأ الوصول الشامل للمعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة.
- 4 - ضرورة أن تتم أعمال التنفيذ والتطوير للمساجد والزوايا القرآنية تحت إشراف الخبراء والمتخصصين وتكون مواد البناء مطابقة لمواد البناء الأصلية التي يبنى بها المسجد للمحافظة على شكله الأصلي.
- 5 - التوثيق التاريخي والمعماري لجميع المساجد والزوايا والكتاتيب لغرض الحفاظ عليها وتحقيق التنمية المستدامة للأجيال القادمة وذلك باستحداث إدارة متخصصة تتولى هذه المهام.
- 6 - ضرورة أن تتولى الهيئة العامة للسياحة الاهتمام بإحياء المساجد القديمة من خلال وضع برامج ثقافية واجتماعية.
- 7 - التأكيد على مواصلة إقامة ورش العمل والندوات والمؤتمرات العلمية التي تساهم في الحفاظ على المساجد والزوايا القرآنية بصفة خاصة والموروث الثقافي.
- 8 - توعية الأجيال القادمة بأهمية المحافظة على المساجد والزوايا القرآنية عن طريق وزارة التعليم ووزارة الاعلام ووزارة الثقافة والتنمية المعرفية.
- 9 - تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني والشركات الإعلامية ووسائل الاعلام المختلفة بالإهتمام بالتراث الحضاري والتاريخي للمعالم الدينية (المساجد والزوايا القرآنية) والتعريف بها وتوثيقها والقيام بالبرامج والأنشطة الثقافية التي تعرف بهذه المعالم.

-

.

.

.

.

.

.

.

•
•

•

•

إصدارات
شركة كيدامي للخدمات الفنية والإعلامية
منظمة تورينكا للثقافة
2024

تصميم الغلاف
سيف النصر المدني

